ثمار القلوب
في
المضاف والمنسوب

لأبي منصور عبد الملك
ابن محمد بن إسماعيل الثعالبي
النيسابوري
٣٥٠ - ٤٢٩هـ

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم



الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - 2003 م

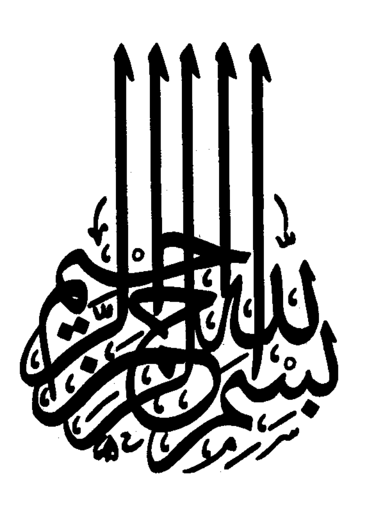


المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص.ب ٨٣٥٥ ١١ - تلفاكس ٦٥٥٠١٥ ٠٠٩٦١١
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٧٢٠٣١٧ ٠٠٩٦١٧
e-mail: alassrya@terra.net.lb

ISBN 9953-34-214-8


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

نقل ابن خلّكان(١) عن ابن بسام أن الثعالبي «كان في وقته راعي تَلعات العلم، وجامعَ أشتات النثْر والنظم؛ رأسَ المؤلفين في زمانه، وإمام المصنِّفين بحكم أقْرانه، سار ذكرُه سيرَ المثل، وضُربت إليْه آباطُ الإبل، وطلعتْ دواوينُه في المشارق والمغارب، طلوعَ النَّجْم في الغياهب؛ تواليفه أشهر مواضع، وأبهى مطالعَ، وأكثر من أن يستوفيها حدّ أو وَصْف، أو يوفي حقوقها نَثْر أو رَصْف».

وعلى الرغم من أن الثعالبي كان جديراً بهذا الوصف، وعلى الرغم أيضاً من أنه عاش أكثر من ثمانين عاماً، قضى معظمها في مدارسة الآداب والعلوم، ونظم الشعر الرائق، وإنشاء النثر الرائع؛ فإنه لم يظفر من المؤرخين وواضعي كتب التراجم بشيء يُؤْبَهُ له؛ وكلّ ما ذكروه عنه: أن اسمه أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوريّ الثعالبي؛ وأن مولده كان بنيسابور سنة خمسين وثلاثمائة للهجرة؛ ووفاته كانت بها أيضاً سنة تسع وعشرين ـ أو ثلاثين ـ وأربعمائة للهجرة؛ وأن نسبته إلى الثعالب ترجع إلى خياطة جلودها وعملها؛ أو قيل له ذلك؛ لأنه كان فَرّاء(١).

وزاد ابن قاضي شهبة أنه كان يعمل مُعلِّمَ صبيان في مكتب(٢)؛ وحتى تلميذه وربيبُه عليّ بن الحسن البَاخرزي صاحب دُمية القصر لم يَزِدْ على أن قال في حقه: «جاحظ نَيسابور، وزُبدة الأحقاب والدهور، لم ترَ العيون مثله، ولا أنكرت الأعيان فضله، وكيف يُنكَرُ وها هو المُزْن يُحْمد بكل لسان، أوْ يُسْتَر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان! وكنت وأنا بعدُ فرخ أزغَب، في الاستضاءة بنوره أرغب، وكان هو ووالدي بنيسابور لَصِيقَيْ دَار، وقريبَيْ جِوار، فكم جملة كتب كانت تدور بينهما في الإخوانيات، وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات، وما زال بي رؤوفاً وعلَيَّ

(١) ابن خلكان: ١/ ٢٩١.

(٢) طبقات ابن قاضي شهبة ٣٨٨ (مخطوطة الظاهرية).

حانياً، حتى ظننته أباً ثانياً؛ رحمة اللّه عليه كلَّ صباح تخفُق رَاياتُ أنواره، ومساء تتلاطم أمواج قارِه»[١].

وقريب من ذلك ما قاله الحصري صاحب زهر الآداب: «وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا، وهو فريد دهره، وقريع عَصْرِه، ونسيج وَحدِه، وله مصنّفات في العلم والأدب، تشهد له بأعلى الرُّتب؛ وقد فرّقت ما اخترتُه منها في هذا الكتاب»[٢].

أما تاريخ نشأته وحياته، وروافد معارفه وآدابه، وما تقلب عليه في أطوار عمره من أحداث، وما عسى أن يكون قد شغله من وظائف أو أعمال؛ وذِكْر شُيوخه وتلاميذه وصلاته بالملوك والرؤساء والأمراء، ومعاصريه من الكتّاب والشعراء والعلماء، فإن هذا ومثله؛ مما لم يذكره مؤرخ أو باحث.

ويؤخذ مما كتب وصنّف، أنه كان بذْر الأدباء الزاهر، وكوكبهم اللامع، وَعَى ما زخر به عصره من فنون وآداب، وما تُرجم إلى العربية من ثقافات، وأنه أحاط بجميع ما صُنف من كتب، وحفظ ما تناقله الرواة من حر الشعر ومصطفى الكلام؛ في مختلف الأصقاع؛ من الأندلس غرباً إلى خراسان والتركستان شرقاً؛ وأن كل ما ازدهر ـ في ظلال الدولة البويهية في العراق وفارس، والسامانية في التركستان وما وراء النهر، والحمدانية بحلب، والفاطمية بمصر، والمروانية بالأندلس ـ من صنوف الآداب، قد أحاط به ووعاه؛ وأن ما تفتحت به قرائح الشعراء وترسَّل به الكتاب والأدباء؛ في بغداد ونيسابور ودمشق وحلب والقاهرة والقيروان وقرطبة وإشبيلية قد وقع له، وأودعه بطون كتبه وأسفاره.

ويؤخذ من كتبه أيضاً، أنه كان كريم المنزلة عند الملوك والسلاطين والأمراء، تفيأ ظلالهم؛ وعاش في كَنَفهم؛ وألّف الكتب برسمهم، وأهداها إلى خزائنهم، ونال عندهم سنيَّ الجوائز ووافر الأعطيات، على اختلاف الممالك وتنوع الإمارات؛ فألّف لطائف المعارف للصاحب، والتمثيل والمحاضرة وأهداه لقابوس، واللطائف والظرائف، والكناية والتعريض للمأمون صاحب خوارزم.

أما الأمير أبو الفضل الميكالي، فقد كان مشغوفاً بحبه، محنيُّ الأضالع على مودته، فأهدى لخزانته أنفس ما ألّف، أهدى إليه فقه اللغة، وسحر البلاغة، وثمار القلوب؛ وأورد من أخباره وشعره ورسائله في كتبه ما لم يورده لأحد من الرؤساء؛

(١) دمية القصر ١٨٣.

(٢) زهر الآداب ١/ ١٥٧.

وكان الميكالي بذلك جديراً، قال في حقه في بعض فصوله: «من أراد أن يسمع سر النظم، وسِحْرَ الشعر، ورقية الدهر، ويرى صوب العقل، وذَوْب الظَّرْف، ونتيجة الفضل، فليستنشد ما أسفر عنه طبع مجده، وأثمره عالي فكره، من مُلَحٍ تمتزج بالنفوس لنفاستها، وتشرب بالقلوب لسلاستها. وأيمُ اللّه ما مرّ يوم أسعفني فيه الزمان بمواجهة وجهه، وأسعدني بالاقتباس من نوره، والاغتراف من بَحره؛ فشاهدتُ ثِمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله، ورأيتُ فضال الدهر عيالاً على فضائله، وقرأت نُسْخة الفضل والكرم من ألحاظه، وانتهبت فضائل الفوائد من ألفاظه، إلا تذكرت ما أنشدنيه، أدام اللّه تأييده لابن الرومي:

لولا عجائبُ صُنْعِ اللّه ما نَبَتَتْ تِلْكَ الفَضائِلُ في لحمٍ وَلَا عَصَبِ

وقول الطائي:

فلوْ صَوَّرْتَ نَفْسَك لم تَزِدْها على ما فيك مِنْ كَرَم الطِّباعِ

وقول كشاجم:

ما كان أحوجَ ذا الكمالِ إلى عَيْبٍ يُوَقِّيهِ مِنَ العَيْنِ

ورَبَّعْتُ بقول أبي الطيّب:

فإن تفقِ الأنامَ وأنْتَ منهم فإنَّ المسك بعضُ دم الغزالِ

وكان الميكاليّ أبداً يأخذ بضبُعه، ويريش بجناحه، ويَضع بين يديه خزائن كتبه، ويرعى فيه حرمة الأدب الأصيل، والطبع المصفى الجميل، والنفس الكريمة، والشمائل العِذاب.

وكان الثعالبيُّ شاعراً صافيَ الديباجة، لطيف التخيّل، خفيف الروح، شائق اللفظ، رشيق المعنى، بعيداً عن التكلف والتعقيد؛ كما كان كاتباً متخيّر اللفظ، سهل الأسلوب، مليح التصرف، رائق الفكر، صادق الوجدان. وأحسن ما قاله في مدح الأمير الميكالي والتحدث بما جمّله اللّه به من أدب وظرف؛ وأخلاق سرية كريمة؛ يقول في بعض مدائحه فيه:

لَكَ في المفاخِرِ معجزاتٌ جَمّةٌ أبداً لغَيرك في الورى لم تُجمَعِ[1]

بَحرانِ: بَحرٌ في البلاغة شابَهُ شِعْرُ الوليد وحُسْنُ لفظ الأصمعي

---

(١) ابن خلكان: ١/ ٢٩١.

وتـرسُّـلُ الـصـابـي يـزيـن عُـلـوّه خطُّ ابن مقلة ذي المحلّ الأرفعِ
كـالـنور أو كـالسّحْر أو كـالبدرِ أوْ كـالـوَشْـيِ في بُـرْدٍ عليه مُـوَشَّـعِ
شكـراً فكم مِنْ فقرةٍ لكَ كالغنى وافى الكريمَ بُعيْدَ فقرٍ مُدْقِعِ
وإذا تفتّقَ نور شِعْرك ناضراً فالحسْنُ بين مُرَصَّعٍ ومُصَرَّعِ
أرْجَلْتَ فُرْسَان الكلامِ ورضْتَ أفـ ـراس البديع وأنت أمجدُ مُبْدعِ
وَنَقَشْتَ في فَصِّ الزمانِ بدائعاً تُزري بآثار الربيعِ الممرعِ

ومن نثره فيه «وأما فنون الأدب فهو ابن بَجْدتها، وأخو جُملتها، وأبو عُذرتِها، ومالك أزمَّتها، وكأنما يُوحَى إليه في الاستِئثار بمحاسنها، والتفرد ببدائعها، ولِلَّه هو إذا غرس الدُّرّ في أرض القَرَاطيس، وطرّز بالظلام رداء النهار، وألقت بحارُ خواطرِه جواهرَ البلاغة على أنامله؛ فهناك الحسُّ بِرُمّته، والحُسْن بكلّيته»(١).

وجميع شعره ونثره على هذا النحو، سائر بين العذوبة والرقة، وجمال اللفظ ودقة المعاني.

وكما بارك اللَّه للثعالبيّ في عمره، فقد بارك له أيضاً في تصانيفه وكتبه، فألف ما يربو عن الثمانين كتاباً، تدور كلها حول اللغة والأدب والتاريخ، ودوّن فيها معارف عصره؛ ورسم صورة واضحة المعالم لأعلامه وكتّابِهِ وشعرائه، ونقل إليها أروع ما نَضَحت به قرائح الشعراء، وأقلام الكتّاب والمنشئين والبلغاء، مثل يتيمة الدهر في شعراء العصر، وفقه اللغة وسر العربية، وسحر البلاغة، والتعريض والكناية، والمبهج، والتمثيل والمحاضرة، وخاصّ الخاصّ.. وغيرها. وفي تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان، والأعلام للزِّركلي، ومقدمة سحر البلاغة لأحمد عبيد، ومقدمة لطائف المعارف للإيباري والصيرفي، ومقدمة التمثيل والمحاضرة لعبد الفتاح الحلو؛ وفي كل ذلك بيان عن كل كتبه: مخطوطها ومطبوعها.

وكتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، من الكتب التي اتّسمت بجمال التأليف، وتنسيق الأبواب، مع شرف الغاية، وكرم المقصد، «بناه على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يُتَمثّل بها، ويكثر في النظم والنَّثر وعلى ألسنة الخاصة والعامة استعمالها؛ كقولهم: «غُراب نوح، ونار إبراهيم، وذئب يوسف، وعصا موسى. وكقولهم: كنز النّطِف، وقوس حاجب، وقرطامارِيَة، وصحيفة

(١) زهر الآداب ١/ ١٣٣.

المتلمِّس. وكقولهم: تفاح الشام، وأترجّ العِراق، وسكّر الأهواز، وورد جُور.. وهكذا». وخرّجها من واحد وستين باباً ينطقُ كلّ منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً، ويُفصح عن الاستشهاد وسِياقة المواد آخراً، وما فيها إلا ما يتعلق من المثل بسبب، ويُوفِي من اللغة والشعر على طَرف، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسَهم، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم، ويُجيل من خصائص البلدان والأماكن قِدْحاً، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطاً».

وقد افتنّ الثعالبيّ في تصنيفه، وجرى على سجيته في كتابة أبوابه وفصوله، وأودعه من الطُّرف والنوادر والملح والأفاكيه والأقاصيص ومضاحك الشعر ما جعله مَراد النفس، وجلاء القلب، ومُتعة الخاطر.

وقد شارك الثعالبيّ في تأليف هذا النوع بعض العلماء والمصنفين، منهم ابن الأثير في كتاب المرصّع ـ وقد قصَره على الأذْواء والآباء والبنين والبنات ـ والمحبِّي، في كتاب ما يُعوّل عليه فيما يضاف ويُنسب إليه، وقد سار فيه سيراً معجمياً، وأخلاه من الأخبار والقصص، واختصر فيه الشواهد؛ كما وقعت منه بعض فصول لأبي هلال العسكري في كتاب جمهرة الأمثال، والميداني في كتاب مجمع الأمثال، وابن سيدة في كتاب المخصص، إلا أن كتاب الثعالبيّ أحسنها فصولاً وأبواباً، وأسهلها شريعة وأعذبها مورداً، وأجمعها لصنوف الآداب وروائع الأخبار، ومتنخل الأشعار، وسوائر الأمثال.

وقد قمت بتحقيق هذا الكتاب على النسخ الآتية:

١ ـ نسخة مصورة عن نسخة مخطوطة بدار الكتب محفوظة برقم ٤٠٩٩ ـ أدب، يبدو أنها كتبت في القرن الحادي عشر بقلم معتاد، ناقصة من الآخر وهي مُجَدولة بالمداد الأحمر، وأولها محلًى بالمداد الذهبيّ، وبها فهرست لعشرين باباً من أبواب الكتاب يقع في سبع ورقات. وينتهي الموجود في أثناء الكلام على «زرقاء اليمامة» من الباب العشرين وتقع في ٢١٦ ورقة، تشتمل كل صفحة فيها على واحد وعشرين سطراً، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة تقريباً، وقد رمزت إليها بالحروف (أ).

٢ ـ نسخة مصورة عن نسخة أخرى مخطوطة، محفوظة بدار الكتب برقم ٢٢٥ ـ أدب، كتبت بقلم معتاد بخط يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل، فرغ من كتابتها يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١١١٩هـ. ناقصة من

أولها، ويبدأ الموجود منها في أثناء الكلام على «جزاء سِنّمار» من الباب الثامن. وتقع في ١٥٠ ورقة؛ كل صفحة تشتمل على ٢٧ سطراً وكل سطر يشتمل على اثنتي عشرة كلمة تقريباً. وقد رمزت إليه بالحرف (ب).

٣ ـ نسخة طبعت بمطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦هـ نشرها محمد أبو شادي وقد رمزت إليها بالحرف (ط).

وجميع هذه النسخ يشيع فيها التحريف والتصحيف والسقط والخطأ. وقد بذلت أوسع الجهد وأصدق النية في التحقيق والتصحيح، معتمداً على اللَّه، ثم على هذه النسخ، وعلى كتب الأدب واللغة والتاريخ ودواوين الشعر، وعلى الأخص كتب الثعالبيّ نفسه؛ كما صنعت له الفهارس المتنوعة.

ومن اللَّه أستمد العون والسداد، وما توفيقي إلا باللَّه عليه توكلت وإليه أنيب.

مصر الجديدة في ٩ ذو القعدة ١٣٨٤هـ.

١١ مارس ١٩٦٥م.

محمد أبو الفضل إبراهيم.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب

لأبي منصور
عبد الملك بن محمد بن إسماعيل
الثعالبي النيسابوري

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد اللّه الذي أقل نِعَمه استغرقَ أكثر الشكر، والصلاة على نبيّه المصطفى محمد وآله ما نطق لسان بالذكر، فإن هذا الكتاب مترجم بـ«ثمار القلوب في المضاف والمنسوب»، خدمْتُ فيه خِزانة كتب الأمير السيد أبي الفضل عبيد اللّه بن أحمد الميكالي عمرها اللّه تعالى بطول عمره، وعلوِّ أمره؛ وإن كنتُ في ذلك كمُهْدي العودِ، إلى الهنود[1]، وناقِل المسك، إلى أرض التُّرك، وجالبِ العَنْبر، إلى البحر الأخضر؛ ولكن ما على الناصح إلا جهده؛ ولي أسوة في ابن طَباطَبا العلويّ[2]، إذ قال:

لا تُـنْـكِـرَنْ إهـداءَنـا لـكَ مَـنْـطِـقـاً ... مِـنْـكَ اسْـتَـفَـدْنَـا حُـسْـنَـهُ ونـظـامَـهُ
فـالـلَّـه عَـزَّ وجَـلَّ يَـشْـكُـرُ فِـعْـلَ مَـنْ ... يَـتْـلُـو عَـلَـيْـهِ وَحْـيَـهُ وَكَـلَامَـهُ

وأنشدني أبو الفتح عليّ بن محمد البُستيّ لنفسه:

لا تـنـكـرنّ إذا أهـديـتُ نـحـوَك مِـن ... عـلـومِـك الـغُـرِّ أو آدابِـك الـلُّـطَـفـا[3]
فَـقَـيِّـمُ الـبـاغِ قَـدْ يـهْـدِي لـمـالِـكِـهِ ... بِـرَسْـمِ خِـدْمَـتِـهِ مِـنْ بَـاغِـهِ الـتُّـحَـفَـا

[وبناء هذا الكتاب على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة][4] يُتمثّل بها، ويَكثر في النثر والنظم وعلى ألسن الخاصة والعامّة استعمالها، كقولهم: غرابُ نوح، ونار إبراهيم، وذئبُ يوسف، وعصا موسى وخاتَم سليمان، وحمارُ عُزَير، وبُرْدَة النبيّ محمد ﷺ.

وكقولهم: كنز النَّطِف، وقوسُ حاجب، وقُرْطَا مارية، وصحيفة المتلمّس

---

(١) أ: «العود الهنود».
(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي أبو الحسن؛ ذكرهما ياقوت في معجم الأدباء ١٧/ ١٥٣.
(٣) ط: «النتفا».
(٤) تكملة من ط.

وحديثُ خُرافة، ومواعيد عرقوب، وجزاء سِنمَّار، ويومُ عَبيد، وعطر مَنْشِم، ونسر لقمان، وعير أبي سيّارة.

وكقولهم: سيرة أزدَشير، وعدلُ أنوشروان، وإيوان كسرى، ورمي بهرام.

وكقولهم: سيرة العمريْن، ودِرّة عمر، وقميص عثمان، وفضائل عليّ، وصدق أبي ذَرّ، وحِلم الأحنف، وزُهد الحسن، وعَنْز الأعمش، وجامع سُفيان.

وكقولهم: حنين الإبل، وخُيَلاء الخيل، وأخلاق الثعلب، وقُبْح القرد.

وكقولهم: أفاعي سِجِسْتان، وثعابين مِصْر، وعقارب نَصِيبين، وجرّارات الأهواز، وحُمّى خيْبر، وطحال البحرين، ودماميل الجزيرة.

وكقولهم: تُفاح الشام، وأترُجّ العراق، وسكّر الأهواز، وورد جُور، وعُود الهِند، ومسك تُبَّت، وعنبر الشِّحْر، وطُرْف الصين.

وكقولهم في الاستعارات: رأس المال، ووجهُ النهار، وعين الشمس، وأنْف الجبل، ولسان الحال، وناب النّوائب[١]، وأذن الحائط، وقلْب العسكر، وكَبِد السماء، وصدر الأمر.

وقد خَرّجتها في واحدٍ[٢] وستين باباً؛ ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً، ويفصح عن الاستشهاد وسياقة[٣] المراد آخراً، وما منها إلا ما يتعلّق من المثل بسبَب، ويُوفي من اللغة والشعر على طَرَف، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسَهْم، ويأخذ من الأخبار والأنساب بِقسْم، ويُجيل في خصائص البلدان والأماكن قِدْحاً، ويجري[٤] في أعاجيب الأحاديث شوطاً، وهذا ترتيب[٥] الأبواب، واللّه الموفِّق للصواب.

الباب الأول: فيما يُضاف إلى اسم اللّه تعالى عز ذكره، وجل اسمه.

الباب الثاني: فيما يُضاف ويُنسَب إلى الأنبياء صلوات اللّه عليهم أجمعين.

الباب الثالث: فيما يُضاف ويُنسَب إلى الملائكة والجنّ والشياطين.

---

(١) كذا في ط، وفي أ: «نائب النوائب».
(٢) ا «إحدى» تحريف.
(٣) ط: «سياق».
(٤) كذا في ط، وفي ا«يطوي».
(٥) ط: «ثبت».

الباب الرابع: فيما يُضاف ويُنسَب إلى القرون الأولى.

الباب الخامس: فيما يُضاف ويُنسَب إلى الصحابة والتابعين.

الباب السادس: في ذكر رجالات العرب مختلفي الألقاب والمراتب مضافِين ومنسوبين إلى أشياء مختلفة تُضرَب بأكثرهم الأمثال.

الباب السابع: فيما يُضاف ويُنسَب إلى القبائل.

الباب الثامن: فيما يُضاف ويُنسَب إلى رجال مختلفين.

الباب التاسع: فيما يُضاف ويُنسَب إلى العرب.

الباب العاشر: فيما يُضاف ويُنسَب إلى الإسلام والمسلمين.

الباب الحادي عشر: فيما يُضاف ويُنسَب إلى القرّاء والعلماء.

الباب الثاني عشر: فيما يُضاف ويُنسب إلى أهل المذاهب والآراء والأهواء.

الباب الثالث عشر: فيما يُضاف ويُنسَب إلى ملوك الجاهليّة وخلفاء الإسلام.

الباب الرابع عشر: فيما يُضاف ويُنسَب إلى الكتّاب والوزراء في الدولة العباسية.

الباب الخامس عشر: فيما يُضاف ويُنسَب إلى طبقات الشعراء.

الباب السادس عشر: فيما يُضاف ويُنسب إلى البلدان والأماكن.

الباب السابع عشر: فيما يُضاف ويُنسَب إلى أهل الصناعات.

الباب الثامن عشر: في الآباء المضافين الذين لم يَلِدوا، والأمهات المضافات اللواتي لم يَلِدن، والبنين والبنات الذين لم يولدوا.

الباب التاسع عشر: في الأذواء والذَّوات.

الباب العشرون: في ذكر النساء والمضافات والمنسوبات التي يتمثل بها لهنّ.

الباب الحادي والعشرون: فيما يُضاف ويُنسَب إليهنّ.

الباب الثاني والعشرون: في أعضاء الحيوان وما يُضاف ويُنسَب إليها ويُستعار منها.

الباب الثالث والعشرون: في الإبل وما يُضاف ويُنسَب منها وإليها وإلى غيرها.

الباب الرابع والعشرون: في الخيل والبغال.

الباب الخامس والعشرون: في الحمير وما يُضاف ويُنسَب منها وإليها.

الباب السادس والعشرون: في البقر والغنم.

الباب الثاني والخمسون: في الطعام وما يتصل به وما يُذكر معه.

الباب الثالث والخمسون: في الشراب وما يتصل به ويُذكر معه.

الباب الرابع والخمسون: في السلاح وما يجانسه.

الباب الخامس والخمسون: في الحُلي وما أشبهها.

الباب السادس والخمسون: في الليالي المضافة.

الباب السابع والخمسون: في الأزمات والأوقات.

الباب الثامن والخمسون: في الآثار العُلْويّة سوى ما تقدم منها.

الباب التاسع والخمسون: في الأدب وما يتعلّق به.

الباب الستّون: في فنونٍ مختلفة الترتيب على توالي حروف الهجاء.

الباب الحادي والستون: في الجنّات.

وهو آخر الأبواب، جعلها اللّه تعالى أبواباً مفتوحة للأمير السيد إلى أمنيته، وعرّفه من بركاتها ما يُربِي على عَدد سطورها ـ بل حروفها ـ برحمتِه.

وبعد، فحقيقٌ على من تصفّح هذا الكتاب فرتَع في رياضه، وجَنَى من ثماره، أن يدعوَ للآمر به، والداعي إلى إيجاد أسبابه؛ بطول البقاء، ودوام النَّعماء؛ ورَغَد العيش، وسكون الجأش، وطولِ اليد، وعلوّ الجدّ؛ وكفاية المهمّ، ودِفاع المُلِمّ.

فأما أنا فأستوفق اللّه لفرض خدمته، وشكر نعمته، وأسأله مسألة المتضرِّع لديه، الرافع يديه، بأن يسوق جُمَل السعود إليه، ويوفّرَ أقسام السعادات عليه؛ حتى تجتمع له حظوظ الدنيا والآخرة، ومصالح العاجلة والآجلة، وأن يقرّ عينَ المجد ببقاء الأمراء النُّجَباء من أولاده، ويُرِيَهُ فيهم وفي كلّ ما يسمو إليه بآماله غاية محبّته ونهاية مرادِه، من حيث لا تهتدي النوائب إلى عِراصه، ولا تَطمع الحوادثُ في انتقاصه.

فيما يُضاف إلى اسم اللّه تعالى عَزَّ ذِكرُه

أهلُ اللّه، بيتُ اللّه، رسولُ اللّه، كتاب اللّه، خليل اللّه، روح اللّه، أرض اللّه، أسد اللّه، سيف اللّه، قوس اللّه، رمح اللّه، كلب اللّه، نار اللّه، شمس اللّه، ظلّ اللّه، سعد اللّه، ناقة اللّه، نهر اللّه، خاتَم اللّه، رحمةُ اللّه، ستر اللّه، يدُ اللّه، عمال اللّه، سبيلُ اللّه، باب اللّه، نور اللّه، حرّاس اللّه، أمان اللّه، ميزان اللّه، خالصة اللّه، موائد اللّه، عين اللّه، أمر اللّه، طراز اللّه، خلافة اللّه، لعنة اللّه، سجن اللّه، بنيان اللّه، صبغة اللّه، وَفْد اللّه.

الاسْتِشْهادُ

١ ـ **أهلُ اللّه**: كان يُقال لقريش في الجاهلية: أهل اللّه؛ لما تميزوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم، والفضائل والخصائص، التي هي أكثر من أن تُحصَى.

فمنها مجاورتهم بيت اللّه تعالى، وإيثارُهم سكنَ حَرَمِه على جميع بلاد اللّه، وصبرُهم على لأواء مكة وشدتها، وخشونة العيش بها.

ومنها ما تفردوا به من الإيلاف والوفادة والرِّفادة[(١)]، والسقاية والرياسة واللواء والندوة.

ومنها كونهم عى إرث من دين أبَويهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من قرى الضيف، ورفد الحاج والمعتمرين، والقيام بما يصلحهم، وتعظيم الحرم، وصيانته عن البَغْي فيه والإلحاد، وقمع الظالم، ومنع المظلوم.

ومنها كونهم قُبْلة العرب، وموضع الحج الأكبر، يؤتَوْن من كل أوب بعيد، وفج عميق، فترد عليهم الأخلاق والعقول والآداب والألسنة واللغات والعادات والصور والشمائل عَفْواً بلا كُلفة ولا غرْم، ولا عزم ولا حيلة فيشاهدون ما لم

---

(١) بعدها في ط: «الرفادة: شيء كانت تترافد به قريش في الجاهلية، تخرج فيما بينها مالاً تشتري به للحاج طعاماً وزبيباً».

تشاهده قبيلة؛ وليس من شاهد الجميع كمن شاهد البعض، ولا المجرّب كالغُمْرِ، ولا الأريب كالعُتل[١]، فكثُرت الخواطر، واتسع السماع، وانفسحت الصدور بالغرائب التي تتخذ[٢]، والأعاجيب التي تحفظ فثبتت تلك الأمور في صدورهم وأضمرتْ[٣]، وتزاوجت فتناتجت وتوالدت وصادفت قريحةً جيدة، وطينةً كريمة؛ والقوم في الأصل مرشَّحون للأمر الجسيم، فلذلك صاروا أذهَى العرب، وأعقل البرية، وأحسنَ الناس بياناً، وصار أحدهم يوزن بأمة من الأمم؛ وكذلك ينبغي أن يكون الإمام؛ فأمّا الرسول ﷺ فقد كان يَزِن جميعَ الأمم.

ومنها ثباتُ جودِهم وجزيل[٤] عطاياهم، واحتمالُهم المُؤَن الغِلاظ في أموالهم المكتسبة من التجارة؛ ومعلوم أنّ البخلَ والنظر في الطفيف مقرونٌ بالتجارة التي هي صناعتهم، والتجار هم أصحاب التربيح والتكسّب والتدْنيق والتدقيق؛ وكان في اتصال جودهم العالي على الأجواد من قوم لا كَسْب لهم من التجارة عَجَب من العَجَب. وأعجب من ذلك أنهم مِنْ بين جميع العرب دانوا بالتحمُّس والتشدد في الدين، فتركوا الغزو كراهة للسبّي واستحلال الأموال، فلما زهِدوا في الغُصوب لم يبق مكسبة سوى التجارة، فضربوا في البلاد إلى قيصر بالروم، والنجاشيّ بالحبشة، والمقوقس بمصر، وصاروا بأجمعهم تجّاراً خُلَطاء؛ فكانوا مع طول ترك الغزو إذا غزوْا كالأسود على فرائسها[٥]؛ مع الرأي الأصيل، والبصيرة النافذة.

فهذا يسير من كثير خصائصهم في الجاهلية؛ ولما[٦] جاء اللّه تعالى بالإسلام وبعث منهم خيرَ خلْقِه وأفضلَ رسله محمداً رسول اللّه ﷺ، تظاهر شرفُهم، وتضاعف كَرَمهم، وصاروا على الحقيقة أهلاً لأن يُدْعَوْا أهلَ اللّه، فاستمر عليهم وعلى سائر أهل مكّة وعلى أهل القرآن هذا الاسم؛ حيث قال النبي ﷺ: «أهل القرآن هم أهلُ اللّه وخاصّتُه». وقال لعتّاب بن أَسيد لما بعثه إلى مكة: «هَلْ تدري على من استعملتُك؟ استعملتُك على أهل اللّه».

وسأل عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه نافعَ بن عبد الحارث الخُزاعيّ حينَ قدم عليه من مكة: مَن استخلفتَ على مكّة؟ قال: ابن أبْزَى، قال: أَتستخلف[٧]

---

(١) ط: «ولا الأديب كالفضل»، تحريف صوابه من ا.
(٢) كذا في ا، وفي ط: «ورأوا الغرائب التي تشحذ».
(٣) ط: «واختمرت».
(٤) ط: «وجزالة».
(٥) ط: «براثنها» تحريف.
(٦) ط: «فلما».
(٧) ط: «استخلفت»، وما أثبته من ا.

على أهل اللَّه مولىً! قال: إنَّه أقرؤهم لكتاب اللَّه تعالى؛ قال: «إن اللَّه تعالى يَرفَع بالقرآن أقواماً».

قال بعض السلف: حسبك من قريش أنهم أهل اللَّه، وأقرَبُ الناس بيوتاً من بيت اللَّه، وأقربُهم قرابةً من رسول اللَّه، ولم يسمِّ اللَّه تعالى قبيلة باسمها غير قريش؛ وصارت فيهم ولهم الخصال الأربع التي هي أشرف خصال الإسلام: النبوة، والخلافة، والشورى، والفتوح؛ فليس اليومَ على ظهر الأرض وممالك العرب [والعجم][١] وفي جميع الأقاليم السبعة مُلْك في نِصاب نبوّة، وإمامة في مَغرِس رسالة، إلا من قريش.

وقال النبي ﷺ: «الأئمة من قريش». وقال عليه السلام: «قدّموا قريشاً ولا تتقدموها، وتعلَّموا منها ولا تُعلِّموها». وَيُنْشد[٢]:

إنّ قريشاً هي من خير الأمَمْ لا يضعون قَدَماً على قدمْ

أي يُتَّبعون ولا يَتّبعون.

وقال الأعشى وهو يعاتب رجلاً ويخبر أنه مع شرفه لم يَبلُغ مبلغ قريش:

فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الحَجُونِ ولَا الصَّفَا وَلَا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ في مَاءِ زَمْزَمِ[٣]

وسيمر بك في هذا الكتاب من نُكَتِ فضائلهم، وغُرر غرائبهم ما تكثر فائدتُه، وتَطيب ثمرته؛ وإن كان لا مزيد[٤] على وصف الجاحظ لهم ومدحه إياهم، وتخصيصه بني هاشم منهم، فإنه رحمه اللَّه ألقى جُمّة فصاحته واستنزف بحر بلاغتِه، في فصل له، وهو قوله:

العرب كالبدَن وقريشٌ روحها، وهاشم سِرّها ولُبّها، وموضع غاية الدين والدنيا منها. و[بنو][٥] هاشم مِلْحُ الأرض، وزينة الدنيا، وحَلْيُ العالم، والسَّنام الأضخم، والكاهل الأعظم، ولُبابُ كلِّ جوهر كريم، وسِرّ كلِّ عُنْصُرٍ لطيف[٦]، والطِّينَةُ البيضاء، والمغرِسُ المبارك، والنّصاب الوثيق، ومعدِن الفهم، ويَنبوع العِلْم، وثَهْلان ذُو

(١) من ط.
(٢) ط: «وأنشد». وما أثبته من أ.
(٣) ديوانه: ٩٤ (طبع فيينا).
(٤) أ: «يزيد» وما أثبته من ط.. انظر قول الجاحظ في وصف قريش في زهر الآداب ١/ ٥٨.
(٥) تكملة يقتضيها السياق.
(٦) ط: «شريف» وما أثبته من ا.

الهَضبَاتِ في الحلم[١]، والسيف الحُسام في العزم، مع الأناة والحزم، والصفْح عن الجُرْم، والإغضاء عن العثرة[٢]، والعفو عند القُدْرة، وهم الأنف المتقدّم، والسَّنَام الأكوَم[٣]، والعزم المشمخر، والصيانةُ والسر، وكالماء الذي لا ينجِّسه[٤] شيء، وكالشمس لا تخفى بكل مكان، وكالنجم للحَيْران، والماء البارد للظمآن، ومنهم الثقلان[٥] والطِّيبان والسِّبْطان والشهيدان، وأسد اللّه، وذو الجناحين، وسَيّد الوادي، وساقي الحجيج، وحَليم البَطحاء، والبَحْر والحَبْر، والأنصار أنصارهم، والمهاجر مَن هاجر إليهم أو معهم، والصِّدِّيق مَن صدّقهم، والفاروق مَن فرّق بين الحق والباطل منهم، والحواريّ حواريّهم، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم، ولا خيرَ إلاهم أو فيهم أو لهم أو معهم أو انضاف إليهم؛ وكيف لا يكونون كذلك ومنهم رسول ربِّ العالمين، وإمام الأولين والآخِرين، وسيد المرسلين، وخاتمُ النبيين! الذي لم تتم لنبي نبوّة إلا بعد التصديق به؛ والبشارة بمجيئه؛ الذي عَمّ برسالته ما بين الخافقين وأظهره اللّه على الدين كله ولو كره المشركون، فقال: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٦] وقال: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال عليه السلام: «بُعِثتُ إلى الأحمر والأسود، وإلى الناس كافّة». وقال: «نُصِرْتُ بالرُّعْب من مسيرة شهر، وأعطيت جوامعَ الكَلِم، وعُرِضت علَيَّ مفاتيحُ خزائنُ الأرض». وقال: «أنا أول شافع ومشفّع، وأوّل من تنشقّ عنه الأرض».

وقد أقسم اللّه سبحانه وتعالى بحياته في القرآن، فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، وقال: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] استفتاح وقَسَم، ثم قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، فأكد القَسَم، وفسّر المعنى، ثم قصد نبيّه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]؛ ولا عظيمَ أعظم ممن عظّمه اللّه، كما أنه لا صغيرَ أصغر ممن صغّره اللّه.

فأيّ ممدوح أعظم وأفخر، وأسنَى وأكبر، من ممدوح مادِحُه اللّه وناقلُ مديحِه وراويةُ كلامِه جبريل، والممدوح محمد ﷺ!.

---

(١) كذا في ا، وفي ط: «ومناهل الظامىء إلى الحلم»، نظر فيه إلى قول الفرزدق:

فادْفَعْ بكفك إن أردتَ بناءنا ... ثَهْلان ذو الهَضَبات هل يتحلحلُ!

(٢) كذا في ط. وفي أ: «والغضب بعد المعرفة».

(٣) سنام أكوم: كبير، وفي أ: «الأكرم» تحريف.

(٤) أ: «يخسه».

(٥) ط: «العمران».

قال مؤلّف الكتاب: وكما سمّتهم العرب أهلَ اللّه، سُمِّيَ محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي ابن آل اللّه[١]، وكان يطلب مهاجاة محمد بن يزيد المَسلَميّ، من ولد مَسلَمة بن عبد الملك بن مروان: وكان المَسلَمي يأبى ذلك، ويقول: لا أهاجي رجلاً في دولته. وكان إذا فخر في قصيدة نقض عليه محمد، فمن ذلك قول المَسلمِيّ:

أمّا صِفَاتي فَلَهَا شانُ

وهي طويلة يفخر فيها ببني أميّة؛ فقال محمد بن عبدِ الملك على وزنِها قصيدةً أوّلها:

أنا ابنُ آلِ اللّه مِنْ هاشم حيث نمى خَيْرٌ وإحسانُ
من نَبْعةٍ منها نبيّ الهدى مؤنِقةٍ والفرْعُ فَيْنانُ
منّا عليُّ بنُ أبي طالبٍ ومنكَ مروانٌ وسفيانُ
مَوْلاكَ في الإيمان لا تنسَهُ إن كان في قلبكَ إيمانُ
آمَنَ باللّهِ وآياتِهِ وأنتُمُ صُمٌّ وعُمْيانُ

وأول مَن قال له: «عِتْرة اللّه» إبراهيم بن المهدي، فإنه لما أغارت الروم بعد انصراف المعتصم [على المسلمين، وأسَرت خَلقاً كثيراً منهم، دخل على المعتصِم][٢]، وأنشدَه قصيدةً يحضُّه بها على جهادهم، فمنها قوله:

يا عِترَةَ اللّهِ قد عَاينْتِ - فانتقِمي - تلك النساءَ وما مِنهنَّ يُرتكَبُ
هبِ الرجال على إجرامها قُتِلت ما بال أطفالِها بالذَّبحِ تُستَلَبُ!

وقبل إبراهيمَ قد جعلهم الحارثُ بن ظالم المُرّيّ قرابينَ اللّه، يُتقرَّب إليه بهم، لأنهم هم، فقال:

إذَا فَارَقْتُ ثعلبَةَ بنَ سعدٍ وإخوتَهم نُسِبْتُ إلى لؤيٍّ
إلى نسبٍ كريمٍ غيرِ وَغْدٍ وحيّ هُمْ أكارمُ كلِّ حَيٍّ
وإن تَعِصبْ بِهِمْ نَسَبي فمنهمْ قرابينُ الإلٰهِ بَنُو قُصَيٍّ

٢ - **بيت اللّه**: كما أن أهل مكة أهل اللّه، والحجّاج زُوّار اللّه، فالكعبة بيتُ

(١) كذا في ا، وفي ط: «بن هاشم آل الله».
(٢) من ط.

اللّه الذي جعله اللّه مَثابةً للناس[١]، وحِطةً للخليل، وحلّةً للذبيح، وقبلة لسيّد [وَلَدِ] آدم وخاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكعبة لأمته التي هي خير الأمم[٢]؛ وقد كانت العرب في الجاهلية لا تبني بنياناً مربعاً تعظيماً للكعبة؛ وقد كانت تحلف ببيت اللّه، كما قال زُهَير:

فأقْسَمْتُ بالبيتِ الذي طَافَ حَوْلَهُ رِجالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ[٣]

وقال النابغة:

فَلَا لعمرُ الذي مسَّحْتُ كعبتَهُ ومَا هُرِيقَ عَلَى الأنْصَابِ مِنْ جَسَدِ[٤]

وقال اللّه تعالى حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فمن خصائص الحَرَم أنه بوادٍ غيرِ ذي زَرع ولا شجر، ويوجَد فيه كل ثَمَرات الأشجارِ والزرع وغيرها.

ومن خصائصه أن الذئب يُريغ الظبيَ[٥] ويعارِضه ويَصِيده، فإذا دخل الحرَم كفَّ عَنْهُ. ومن خصائصه أنه لا يسقط على الكعبة حمامٌ وإلّا وهو عليل؛ عرفَ ذلك من امتحنه وتعرّف حاله، ولا يسقط عليها ما دام صحيحاً.

ومن خصائصه أن الطير إذا حاذت الكعبة انفرقت فرقتين ولم تعلُها.

ومن خصائصه أنه لا يراه أحد ممّن لم يكن رآه إلّا ضحك أو بَكَى.

ومنها أنه إذا أصاب المطر الباب الذي من شِقّ العراق كان الخِصب في تلك السنة بالعراق، وإذا أصاب الذي من شِقّ الشامِ كان الخصب بالشام، وإذا عمّ جوانب البيت كان الخِصب عاماً في البلدان.

ومنها أن الجِمار تُرمَى في ذلك المَرمَى منذ يوم حَجّ الناسُ البيتَ على طول

---

(١) من ط. (٢) ساقط من ط.
(٣) ديوانه: ١٥. (٤) ديوانه: ٢٥، وروايته:

* فَلَا لَعَمْرُ الذي مَسَّحْتُ كعبتَهُ *

ماهريق، أي ما صب على الأنصاب؛ وهي حجارة كانت تُقام في الجاهلية ويذبح عندها. والجسد والجساد: الزعفران؛ وهو هُهُنا الدم.

(٥) يريغ الظبي، أي يطلبه.

الدهر، ثم كانت إلى اليوم على مقدار واحدٍ، ولولا أنّه موضع الآية والعلامة والأعجوبة التي فيها لقد كان كالجبال، هذا من غير أن تكَسحه[١] السُّيول أو يأخذه[٢] الناس.

ومن سُننهم أن مَنْ علا الكعبة من العبيد فهو حرّ لا يرون الملك على مَنْ علاها، ولا يجمعون بين عزّ علوِّها وذلّ الرِّق. وبمكة رجال من الصلحاء لم يدخلوها قطّ إعظاماً لها.

ومَن يستطيع أن يدَّعي الإحاطة بفضائل بيت اللّه وخصائصه!

ومَن بارع التمثّلِ به قولُ بعض المحدَثين في الحسن بن مَخلَد، وقد خُلِعَ عليه:

أبا محمدٍ المسعودُ طالعُهُ فُتَّ البَرِيَّةَ طُرّاً أيّما فَوْتِ
زَهَتْ بكَ الخِلعةُ الميمونُ طائرُها كزَهْوِ خلعةِ بيتِ اللّه بالبَيْتِ
وكعبةُ اللّه لا تُكسَى لإعْوازِ[٣]

٣ ـ رسول اللّه: قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وممن تمثل به فأحسن جداً ابن الرومي حيث قال في التمثيل لتفضيل الولد على الوالد:

قَالوا أبو الصَّقْرِ مِنْ شَيْبَانَ قُلْتَ لَهُمْ كَلّا لَعَمْري وَلَكِنْ مِنْهُ شَيْبَانُ
وَكَمْ أبٍ قَدْ عَلَا بابنٍ ذُرا شَرَفٍ كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللّهِ عَدْنَانُ

وقال آخر في تفضيل الأخير على الأول:

كَذَاكَ رَسُولُ اللّهِ آخِرُ مُرْسَلٍ ومَا مِثْلُهُ فِيما تَقَدَّمَ مُرْسَلُ[٤]

وقال الطائي في الاعتذار من اختيار غير الخيار، واصطناع مَنْ لا يصلح للصنيعة:

هَذَا رَسُولُ اللّهِ صَفْوَةُ رَبِّهِ مِنْ بَيْنِ بادٍ في الأنَامِ وَقَارِ[٥]
قد خَصّ مِنْ أهل النفاق عِصابةً وَهُمُ أشدّ أذىً مِنَ الكفّارِ

---

(١) ط: «تكتسحه». (٢) ط: «يأخذ منه».

(٣) في ط: «لأعوان»، وفي ا «لإغوار» تحريف، والصواب ما أثبته من كتاب التمثيل والمحاضرة ٣٣٠.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣١. (٥) ديوانه: ٢/ ٢٠٠.

واخْتَارَ مِنْ سَعدٍ لَعينَ بني أبي سَرْحٍ لِوَحْيِ اللَّهِ غيرَ خِيَارِ
حَتَّى استَضَاءَ بِشُعلَةِ السُّوَرِ التي رَفَعَتْ له سَجْفاً عن الأسْرَارِ

٤ ـ **كتاب اللّه**: قال ابن الروميّ متمثّلاً به:

وكأنَّما يُمنَايَ حينَ تَناوَلَتْ يُمْنَاكَ إذْ صافحتَني بكتابِ
أخذتْ كتابَ اللَّه وهو مُبشِّرٌ بكرامةِ الرِّضْوان يَوْمَ حِسَابِ

٥ ـ **خليل اللّه**: اتّخذ اللّه إبراهيمَ خليلاً، واتخذ محمداً حبيباً، والحبيب أخصّ من الخليل في الشائع المستفيض من العادات، ألا تراه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، بمعنى أحَبَّك! ومقتضى هذه اللفظة أنه اتّخذه حبيباً؛ وممّا يؤيد ذلك ويؤكده أنه تعالى لا يحبّ أحداً ما لم يؤمن بمحمد ويتّبعه، ألا تسمعه يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وممن مَلّح في التمثيل بخليل اللّه الأصمعي حين استقرضه صديق له من خُلّص أصدقائه فقال: نَعَمْ وكرامة! ولكن سكن قلبي برَهنٍ يساوي ضعفَ ما تلتمسه؛ فقال له: يا أبا سعيد، ألستَ واثقاً بي! فقال: بلى، ولكن هذا خليل اللّه كان واثقاً بربّه حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٦ ـ **روح اللّه**: قال تعالى في ذكر عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، فلذا قيل له: رُوح اللّه، كما قيل لإبراهيم: خليلُ اللّه، ولموسى: كليمُ اللّه؛ عليهم الصلاة والسلام، والأرواح كلها منه وله، وإنما أضيفت رُوح اللّه إليه على سبيل الاختصاص.

وممّا يُستملَح لأبي أحمد بن بكر الكاتب قوله لعلِيّ بن عيسى الوزير، ـ ويروَى لابن بسّام، وهو بقوله أشبه ـ:

لَسْتَ رُوحَ اللَّهِ عيسَى إنما أنت ابنُ عيسَى[(١)]
كَلِّم الناسَ فإنّ اللَّهَ قَدْ كَلَّمَ مُوسَى

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٠، ونسبهما إلى ابن بسام.

٧ ـ **أرض اللّه**: قد أكثر الناس في الحثّ على السير في الأرض لطلب الرِّزق، قال منصور بن ماذان:

فَسِرْ فِي بِلادِ اللّه والتَمِس الغِنَى ... فما الكَرَجُ الدنيا ولا النَّاسُ قاسمُ[(١)]

وقال البحتريّ:

شَرِّقْ وَغرِّبْ فَعَهْدُ العَاهِدين بِمَا ... طالبتَ في ذَمَلَانِ الأينُقِ الذُّمُلِ[(٢)]

ولا تَقُلْ أمَمٌ شَتَّى ولا فِرَقٌ ... فالأرْضُ من تُربةٍ والناسُ من رَجُلِ

وقال سعيد بن محمد الطبريّ:

سأَغْنَى بالهَبيدِ وباللّبيدِ ... وَبالفَلَوَاتِ عَنْ قَصْرٍ مَشِيدِ

فَأَرْضُ اللّهِ واسعةٌ أمامي ... إذا ضاق الفضاء على البَليدِ

ومعنى الهَبيد الحنظل، واللّبيد الجُوالق؛ أي أستغني بالحنظل ومرعى البرّ عن استصحاب زاد.

وكأن أحسن ما قيل من ذلك مقتبَس من قوله عزّ ذكره: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء: ٩٧].

٨ ـ **أسد اللّه**: كان يُقال لحمزة بن عبد المطلب: أسد اللّه، لتقدّم قدمه في الحرب، وشدة إقدامه على أعداء رسول اللّه ﷺ. ولما قال حمزة يوم حرب بدر: أنا أسدُ اللّه، وأسدُ رسول اللّه، قال له عُتبة بن ربيعة: أنا أسدُ الحَلْفاء.

قال الزُّبير بن بكّار: لم يُعرف لُعتبة رَفَث[(٣)] إلا هذه الكلمة وكلمة أخرى قالها يوم بدر أيضاً لأبي جهل، وهي قوله في كلام جرى بينهما: يا مصفِّر أستِه. ولست أدري أيّ رَفَث في قوله: أنا أسد الحَلْفاء!

٩ ـ **سيف اللّه**: خالد بن الوليد بن المغيرة أبو سليمان؛ سمّاه النبيّ ﷺ سيفَ اللّه، لحسن آثاره في الإسلام، وصدقه في قتال المشركين، فكان النبي ﷺ إذا نظر إليه وإلى عِكْرِمة بن أبي جهل قرأ: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥]؛ لأنهما من خيار الصحابة، وأبواهما أعدى عدو للّه ورسولِه.

---

(١) الكرج: مدينة بين همذان وأصبهان، أول من مصَّرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي، وجعلها وطنه؛ وإليها قصد الشعراء وذكروها في أشعارهم. (ياقوت).

(٢) ديوانه: ٢/ ١٧٧. والذملان: نوع من السير.

(٣) ساقطة من ط.

وروى أبو هريرة رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ نظر إلى خالد رضي اللّه عنه لابساً دِرعَه فقال: «نعم المرء خالد»!. وكان على مقدمة رسول اللّه ﷺ يومَ حُنين، وهو الذي تولى كسر أكثر الأصنام وهدم جُلّ الأوثان التي كانت قريش تعبدها، وتسمع من أجوافها همهمة نحو أصوات البقر حتى فتنتْ بها. ولما هدم عُزَّى رمته بالشّرر حتى أحرقتْ عامة فخذِه، فعاده النبي ﷺ.

قال الجاحظ: وما أشك في أنه قد كانت لِسَدَنة[١] الأوثان حِيَل وكَمِين، ولو سمعت أو رأيت بعض ما أعدّ الهند من هذه المخَاريق[٢] في بيوت عباداتهم، لعلمتَ أن اللّه تعالى قد مَنّ على جملة المسلمين بالمتكلمين الذين نُشّئوا فيهم.

وقال في موضع آخر: وما زالت السَّدَنَة تحتال للناس من جهة النيران بأنواع الحيَل[٣]، كاحتيال رُهْبان كنيسة الرُّها لمصابيحها؛ حتى إن زيت قناديلها لَيُستوقَد لهم من غير نار في بعض ليالي أعيادهم، وبمثل هذا احتيال السادن لخالد بن الوليد حتى رماه بالشرر، ليوهِمَه أن ذلك من الأوثان عقوبة على ترك عبادتها وإنكارها والتعرّض لها حين قال:

يا عُزَّ كفرانَكِ لا سُبحانَكِ إني رأيتُ اللّهَ قد أهانَكِ[٤]

قال: وجعلت قريشٌ وقد أهوَى خالد بسيفِه إلى العُزّى تصيح: يا عُزّى خبّليه[٥]، يا عُزَّى عزّريه؛ وليس ينثني من تهاويلهم، وعلاها بالسيف حتى كسّرها.

وفي بعض[٦] الروايات أن العُزّى كانت ثلاث شجرات من سَمُر، فأرسل النبي ﷺ خالداً رضي اللّه عنه ليَعضِدها، فمضى خالد وعَضَد أكبرها، وترك اثنتين، فلما انصرف إلى النبي ﷺ قال: أفعلت يا خالد؟ قال: نعم يا رسول اللّه، قال: فما رأيتَ شيئاً؟ قال: لا، قال: فارجع إليها فاعضِدْها، فرجع فعَضدَ الكبرى منهما، ثم أقبل ليَعضِد الصغرى فإذا جنيّة قد خرجت عليه من جوفها ناشرة شَعرها، واضعة كفّها على كعبها تصرف بأنيابها، فشدّ عليها خالد، وهو يقول:

يا عُزَّ كفرانَكِ لا سُبحانَكِ إنّي رأيتُ اللّه قد أهانَكِ

(١) بعدها في ط: «السدنة: خدمة الأوثان».
(٢) بعدها في ط: «حيل النار أو نحوها».
(٣) الحيوان: «كاحتيال رهبان كنيسة القيامة ببيت المقدس بمصابيحها».
(٤) الحيوان ٤/ ٤٨٣، ٤٨٤.
(٥) ط: «حبليه»، تصحيف، صوابه من ا.
(٦) ساقطة من ط.

ثم ضربها ضربةً فلَق رأسَها، وانصرف إلى رسول اللّه ﷺ فأخبره بالذي رأى، فقال: تلك جنيّة العُزّى، ولا عُزّى للعرب بعدها[١].

ولما قَتَل خالدُ بن الوليد بني جَذِيمة ـ وهم من كنانة ـ بالغُميصاء[٢]، وجاء الخبر إلى رسول اللّه[٣] قال: «اللهمّ إني أبرأ إليك من فعل خالد»، ووداهم ﷺ.

ولما توفّى رسول اللّه ﷺ وكانت أيام الرِّدّة، حَسُن بلاء خالد فيها، وكان عميداً عند أبي بكر رضي اللّه عنه، فبعثه إلى طُلَيحة، فهزمه، وصالح أهلَ اليمامة، ونكح ابنة مُجّاعة[٤]. وكان إذا صار إليه المال قسّمه في أهل الغَزْو ولم يرفع إلى أبي بكر رضي اللّه عنه حساباً. وكان يقدِم على أشياء لا يراها أبو بكر رضي اللّه عنه، كقتله مالك بن نُويرة ونكاحه امرأته من غير أن ترجع عن رِدّتها، وكان أبو بكر يهب سيئاته لحسناته، ويقول إذا كلمه عمر أو غيره في عزله: إني لأكره أن أغمِد سيفاً سلّه رسول اللّه. ثم إنه استعمله على الشام، فلم يزل بها حتى عزله عمر رضي اللّه عنه.

ولما اعتلّ خالد عِلّة الموت جعل يقول: لقيت كذا وكذا زحفاً، فما في جسدي موضع إلا وفيه ضربة بسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وهأنذا أموت على فراشي حَتْف أنفي كما يموت العَيْر، فلا نامت أعين الجبناء!.

ولما توفّيَ لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لِمّتها على قبره[٥]. ولما ارتفعت أصوات النساء عليه أنكرها بعضُ الناس، فقال عمر رضي اللّه عنه: دع نساء بني المغيرة يبكين أبا سليمان، ويُرِقن من دموعهنّ سَجْلاً أو سَجْلين، ما لم يكن نَقْع أو لَقْلَقة[٦].

وكان الحجّاج يقول لأبناء المهلّب: هم سيوف[٧] من سيوف اللّه.

وكتب بعض البلغاء: ما ظنّك بسيوف اللّه تعالى في أيدي أوليائه، وقد نصره[٨] من سمائه على أعدائه!.

---

(١) الخبر في الأصنام لابن الكلبي: ٢٥.
(٢) الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة، كان يسكنه بنو جذيمة بن عامر.
(٣) أ: «ورآهم رسول الله»، وأثبت ما في ا.
(٤) هو مجاعة بن مرارة، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٦ (طبعة المعارف).
(٥) بعدها في ط: «أي حلقت رأسها».
(٦) أراد الصياح والجلبة عند الموت، والخبر في نهاية ابن الأثير ٤/ ٦٤.
(٧) ط: «سيف». (٨) أ: «نصرهم».

١٠ ـ **قوس اللّه**: هي التي يُقال لها: قوس قُزَح، ويشبّه بها ما يقلّ لبْثه، ولا يدوم مُكثه، كما قال العلويُ الحمامي[١]:

فشبّهت سرعة أيّامهم ... بسرعةِ قوسٍ يسمّى قُزَحْ
تلوّنَ معترِضاً في السماءِ ... فما تمَّ ذلك حتّى نَزَحْ

وفي الخبر: «لا تقولوا قوس قُزَحْ، ولكن قولوا قوس اللّه، فإن قُزَحْ من أسماء الشياطين».

ويجوز أن تكون سمّيت بهذا الاسم وأضيفت إلى اللّه تعالى لأنها من فعل اللّه، وسائر القِسِيِّ من بَرْي[٢] الناس وفِعْلِهم. وقد سمّاها الوأواء الدمشقيّ قوسَ السماء في قوله:

أحْسِنْ بِيَوْمٍ تَرى قوْسَ السَّمَاءِ بِهِ ... والشَّمْسُ مُسْفِرَةٌ وَالبَرْقُ خَلَّاسُ[٣]
كأنّها قوسُ رامٍ والبُروقُ لها ... رَشْق السّهام وعينُ الشّمس بُرْجاسُ[٤]

وسمّاها سيف الدولة قوسَ السحاب في قوله، وأنشَدَنيه أبو الحسن الأفريقي المتيّم، قال: أنشَدَني سيف الدولة لنفسه، وهو أحسن ما قيل في وصفها:

وَساقٍ صَبيحٍ للصَّبُوحِ دعوتُهُ ... فقامَ وَفي أَجْفانِهِ سِنَةُ الغَمْضِ[٥]
يطوف بكاسات العُقَارِ كأنْجُمٍ ... فَمِنْ بَيْنِ مُنقضٍّ عَلَيْنا وَمُنْفَضِّ
وقد نَشرَتْ أيدي الجَنوبِ مَطارِفاً ... على الجوّ دُكْناً والحواشي على الأرضِ
تُطرِّزها قوسُ السحاب بأحمرٍ ... على أصفرٍ في أخْضَرٍ إثْرَ مُبْيَضِّ
كأذيالِ خَوْدٍ أقْبلَتْ في غَلائِلٍ ... مصبّغةٍ والبعض أقصَرُ مِنْ بَعْضِ

١١ ـ **رمح اللّه**: كان عمرُ بن الخطاب رضي اللّه عنه إذا ذكر الكُوفة قال: هي رُمح اللّه، وفيها جُمجُمة العرب، وكَنز الإيمان؛ كأنه أراد أن أهلها سِلاحٌ على أعداءِ اللّه في المحاربة.

---

(١) ط: «الحمالي» وما أثبته من ا.
(٢) كذا في ط، وفي أ: «من أيدي».
(٣) ديوانه: ١٣١، وروايته:

* سَقْياً ليوم بدا قوسُ الغمام به *

(٤) الديوان: «كأنه»، والبرجاس: غرض يُنصب في الهواء على رأس رمح ونحوه؛ مُولَّد.
(٥) يتيمة الدهر ١/ ٢٤.

١٢ ـ كلب اللَّه: قال الجاحظ: يُروَى أن النبي ﷺ قال لعُتبة بن أبي لَهَب: «أكَلَكَ كلبُ اللَّه»؛ فأكَلَه الأسَد[١]. وفي هذا الخبر فائدتان:

إحداهما أنه ثبت بذلك أنّ الأسد كَلْب اللَّه.

والثانية أن اللَّه تعالى لا يُضاف إليه إلّا العظيم من جميع الأشياء من الخيرِ والشرّ؛ أما الخير فقولهم: بيتُ اللَّه، وأهلُ اللَّه، وزُوّار اللَّه، وكتاب اللَّه، وأرضُ اللَّه، وخليلُ اللَّه، ورُوح اللَّه، وأشباه ذلك. وأما الشرّ فكقولهم: دَعْه في لعنة اللَّه تعالى وسُخْطه وأليم عذابه، ودَعْه في نار اللَّه وسَقَرِه.

١٣ ـ نار اللَّه: قال الجاحظ: كل شيء أضافه اللَّه تعالى إلى نفسه فقد عظّم شأنه، وشدَّد أمره، وقد فعل ذلك بالنار فقال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٦].

وحكى أبو منصور العبدونيّ الكاتب قال: تنجّزت جَوَازاً لرجل قبيحِ الخِلْقة، وَخْشِ[٢] الصورة، غاية في الدَّمامة والسماجة، فلم يَقدِر الكاتب على تَمليته، فكتب: يأتيك بهذا الجواز آيةٌ من آيات اللَّه ونُذُرِه، فدَعْه يذهَب إلى نار اللَّه وسَقَرِه.

وقرأتُ في أخبار أبي دُلامة زيد بن الجَون أنه أُخِذ ليلةً وهو سكران فخُرِّق طَيْلسانُه وحُبِس، فكتب من الغد إلى المنصور أبياتاً، منها:

أمِنْ صَهْباءَ صافيةِ المِزاجِ ... كأنّ شُعاعَها ضوء السِّراجِ[٣]
وقد طُبِختْ بنارِ اللَّه حتَّى ... لقد صارتْ من النُّطَف النِّضاجِ[٤]
أُقادُ إلى السُّجون بغير جُرمٍ ... كأنّي بعض عمّال الخَراجِ
أَميرَ المؤمنين فدتْك نفسي ... علامَ حَبَسْتَني وخَرقْتَ ساجي![٥]
ألا إنّي وإن لاقيت شَرّاً ... لخَيْرِك بعدَ هذا الشرِّ راجِ[٦]

فاستدعاه واستنشدَه الأبيات، فأنشده إيَّاها، فأمر له بألف دِرهم، فلما ولّى

(١) الحيوان ٢/ ١٨١، وانظر الاشتقاق وحواشيه ص ٢٢.
(٢) أ: «وحش» تصحيف. والوخش بالخاء: الرديء من كل شيء.
(٣) الخبر والأبيات في الأغاني ١٠/ ٢٥٢.
(٤) النطف: الماء الصافي قلّ أو كثر.
(٥) الساج: الطيلسان، والطيلسان: كساء مدوّر أخضر، لحمته أو سداه من الصوف يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم.
(٦) ط: «عانيت»، وصوابه من ا والأغاني.

ليخرج قال الربيع: أَفَهِم أميرُ المؤمنين معنَى قوله: «وقد طُبخت بنارِ اللَّه»؟ قال: قد فهمتُ، فَما عَنَى بها؟ قال: عَنَى بها الشمس، فقال: عليَّ به، فلما جاء قال: يا عدو اللَّه ما عَنيتَ بنارِ اللَّه؟ قال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ﴾ [الهمزة: ٦، ٧] على فؤادِ من أخبرَك يا أمير المؤمنين؛ فضَحِك منه وأمره بالانصراف.

١٤ ـ **شمس اللَّه**: عهدي بالأمير السيد أدام اللَّه تأييدَه يُنشِدني فائيّة ديك الجنّ من أولها إلى آخرها، وهي فائقةٌ رائقة، يزداد حسنُها لجريها على لسانه، وتكتسِي شعاراً أنيقاً من عباراته، ومنها:

وصَفْراوَيْن من جَلَبِ الأماني ... إذا جُلِيتْ ومن حَلَبِ القِطافِ
أدرّا منهما فَلَكاً وشَمْساً ... وشمسُ اللَّهِ مسرَجةُ الغِلافِ

١٥ ـ **ظل اللَّه**: يُروَى عن النبي ﷺ أنّه قال: «السلطان ظل اللَّه في أرضه». وأنشدَني أبو الفتح عليّ بن محمد البُستيّ لنفسه:

يا قوم أرْعُونيَ أسماعَكُمْ ... حتّى أؤدّي واجبَ الفَرْضِ
أَشْهدُ حقّاً أنّ سلطانَكمْ ... ليسَ بظِلّ اللَّه في الأرْضِ

١٦ ـ **سعد اللَّه**: قال الأصمعي: من أمثال العَرَب:

أسعدُ اللَّه أكثر أم جُذامُ(١)

وهما حيّان بينهما فضلٌ بيِّنٌ لا يَخفى إلا على جاهل لا يعرف شيئاً، قال الشاعر:

لقد أُفْحِمْتَ حتى لستَ تَدرِي ... أسعدُ اللَّه أكثر أَمْ جُذامُ(٢)

وضَمّن الصاحبُ أبو القاسم إسماعيل بنُ عَبّاد مُعظَم(٢) هذا البيت شعراً له كتب به في صباه إلى بعض إخوانه، فمنه:

كتبتُ وقد سبتْ عقلي المُدامُ ... وساعدَني على الشُّرب النِّدامُ
وأسْرَفْنا فما ندرِي لسُكْرٍ ... أسعدُ اللَّه أكثرُ أَم جُذامُ!

وسعد من بين قبائلِ العرب مخصوصة بالفصاحة وحُسن البيان، وكان النبيُّ

---

(١) ا «أكرم». المثل لحمزة بين الضليل البلويّ، قاله لروح بن زنباع الجذامي، وهو عجز بيت صدره:
* ويعترضُ الكلامَ وليس يدري *
أنظر نوادر المخطوطات ١/ ١٤٠.
(٢) أ: «نظم»، وأثبت ما في ط.

ﷺ مسترضَعاً فيهم، وظِئْره حليمةُ السعدية هي التي تسلمته من عبد المطلب فحملته إلى المدينة، فكانت تُرضِعه وتُحسِن تربيتَه، ولما ردّته إلى مكة نظر إليه عبد المطّلب وقد نَما نموَّ الهلال وهو يتكلم بفصاحة، فامتلأ سروراً وقال: جمال قريش، وفصاحة سعد، وحلاوة يَثرِب.

وكان النبي ﷺ يقول: «أنا أفصح العرب، بَيْد أنّي من قريش، ونشأتُ في بني سعد بن بكر، فأنى يأتيني اللَّحن!».

وكان شبيبُ بن شيْبة من أفصح الخطباء، وهو من بني سعد، وفيه يقول أبو نُخيلة[١]:

إذا عَدَتْ سعدٌ على شَبيبِها على فَتاها، وعلى خَطِيبِها[٢]
مِن مَطلَع الشمسِ إلى مَغيبِها عجِبْتُ من كثرتِها وطِيبِها

١٧ ـ ناقة اللَّه: النّوق وغيرُها من المخلوقات كلها للّه، ولكن هذه الناقة لما كانت آيةً من آيات اللّه تعالى، ومعجزةً لنبيّه صالح عليه السلام، خُصّت بالإضافة إلى اللّه تعالى، كما قال: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]؛ وذلك أن ثمود قالوا لصالح: إن أردتَ أن نؤمن لك فأَخرج لنا من هذه الصخرة ناقةً عُشَراء تَبرك بين أيدينا، وتمخّض كما تَمخّضُ النُّوق الحوامل، وتُنتَج سَقْباً منها[٣]. فصلى صالح ركعتين ودعا اللّه تعالى فانشقّت الصخرة عن ناقة عظيمة الخَلْق، حسنةِ الصورة فبركتْ بين أيديهم وتمخّضت، ونُتِجت سقْباً مثل أُمه في عظم الخِلقة، فقال لهم صالح عن اللّه تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. فاقتَسموا الماء، فكان لهم يوم وللناقة يوم، فإذا كان يوم الناقة توسعوا في اللبن ما شاءوا، وإذا كان يومهم لم يكن للناقة ماء، فَنفِسوا[٤] عليها بشرب يومِها، وتآمَروا في عَقْرها، فقال لهم صالح: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤]، فانبَعثَ أشقاها[٥]، وعَقَرها بأمر ثمودَ، فرفع السَّقبُ رأسَه إلى السماء ورَغَا بحنين وأنين، فقال لهم صالح عليه

(١) في الأصول: «سخيلة» تحريف.
(٢) الحيوان ٥/ ٥٩٢، والأغاني ١٨/ ١٣٩، وهما أيضاً في البيان والتبيين ١/ ١١٣، من غير نسبة.
(٣) العشراء من النوق: التي مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية، ومخضت الناقة تمخيضاً: أخذها الطلق. والسقب: ولد الناقة ساعة يولد.
(٤) نفس بالشيء بالكسر، أي ضن به. يُقال نفست عليه الشيء نفاسة.
(٥) بعدها في ط: «قدار بن سالف».

السلام: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]. ثم جاءهم العذاب في اليوم الرابع، وأخذتهم الرَّجفة، فأصبحوا في دارهم جاثِمين؛ وصارت ناقة اللّه مثلاً سائراً على وجه الدَّهر. وربما قيل لها: ناقة صالح، وصار عاقِرُها مَثَلا في الشِّقوة والشؤم، وهو أحمرُ ثمود، وصارت ثمودُ مَثَلاً في الفَناء والهلاك.

ومن ظريف التمثيل بهذه القصّة قول والي اليمامة في خُطبته: أيها الناس، لا تجترئوا على اللّه، فإنه لا يقرّ على المعاصي عبادَه، ولقد أهلَك أمةً عظيمةً من أجل ناقةٍ قيمتها ثلاثمائة درهم؛ فسمِّيَ مقوِّمَ الناقة.

وقد أكثر الناسُ من ضرب المَثَل بهذه الناقة، ومن مليح ذلك قولُ بعضهم في العتاب والاقتضاء:

حوائِجُ الناسِ كلّها قضِيَتْ وحاجتي لا أراكَ تَقضيها
أناقةَ اللّهِ حاجتي عُقِرَتْ أم نَبَتَ الحُرْف في حواشيها[1]

وضرب بها ابنُ الرُّومي المَثَل فقال وهو يصف إنساناً بشدّة الأكل:

شِبْه عَصَا موسَى ولكنّه لم يَخْلُق اللّهُ لها فاهَا
رِفْقاً بزاد القومِ لا تُفْنِه يا ناقةَ اللّهِ وسُقْيَاها

١٨ ـ نهر اللّه: من أمثال العامة والخاصّة: «إذا جاء نهرُ اللّه بَطَل نَهر مَعِقل»، و«إذا جاء نهر اللّه بَطَل نهرُ عيسى»؛ ونهرُ معقل بالبصرة ونهر عيسى ببغداد، وعليهما أكثر الضِّياع الفاخرة، والبساتين النَّزِهة ببغداد. وإنما يُريدون بنهر[2] اللّه البحر والمطر والسيل، فإنّها تغلب سائر المياه والأنهار وتطمّ عليها، ولا أعرف نهراً مخصوصاً بهذه الإضافة سواهما.

قلت: ومما يجري مَجرَى المَثَل المذكور قولُ الشاعر:

إذَا جاءَ مُوسَى وألقَى العَصَا فَقَدْ بَطَلَ السِّحرُ والسَّاحِرُ[3]

١٩ ـ خاتم اللّه: يراد بذلك ثلاثة أشياء: إثنان منها للخاصّة، وواحدة للعامة، أما اللذان للخاصة فقولهم للدراهم والدنانير خاصة: خاتم اللّه. وفي

---

(١) الحرف: نقصان الحظ.
(٢) ط: «نهر».
(٣) التمثيل والمحاضرة ٢١ من غير نسبة.

الخبر: «كُنوز اللّه في أرضه، فمن أرادها فليأتها بخاتَمِهِ»، وقولهم في الكناية عن العُذْرة: خاتَم اللّه، قال ابن الرومي في فتنة البرقعيّ:

كم رضيعٍ هناك قد فَطَموهُ بشَبَا السّيف قبلَ وقتِ الفِطامِ
كم فَتاةٍ بخاتَمِ اللّه بِكرٍ فَضحوها جَهراً بغيرِ اكتتامِ

وأما الذي للعامة فقولهم للصوم[1]: الصوم خاتم اللّه، وقولهم عند الحلْف باللّه على الصوم:

لا والذي خاتَمهُ على فمي

٢٠ ـ رحمة اللّه: قال سليمان بنُ عبد الملك لأبي حازم الأعرج ـ وقد خوَّفه عذاب اللّه في موعظة له حتى أبكاه ـ: فأين رحمةُ اللّه؟ فقال أبو حازم: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وكانت بالبصرة جارية تسمَّى رحمةَ اللّه، يُشَبِّبُ بها بشّار بن برد، فقال أبو نُواس يذكِّرها بشّاراً، وضمَّن شعرَه بيتاً له جرى فيه مجرى المَثَل لحُسنه وسلامته:

أَحَبْبتُ من شِعرِ بَشّارٍ لحبِّكُم بيتاً لَهِجْتُ به من شِعرِ بَشّارِ
يا رحمةَ اللّه حُلّي في منازِلنا وجاوِرِينا فدَتْكِ النفسُ مِن جارِ

٢١ ـ ستر اللّه: في مناجاةِ بعض الصالحين: يا رب غرّني سترك المُرخَى[2] علَيّ، فعصيتُكَ لجهلي؛ فالآن من عذابك مَن يستنقِذُني! وبحَبْلِ مَن أعتصِم إن قطعتَ حبلَك عنّي!

وفي الدعوات المأثورة: اللهم استُرنا بسترك الجميل، وأظِلّنا بظِلّك الظّليل.

وقرىء مكتوب على ستر من ستُور الموْصِل: هذا ستر حَسَن، وستر اللّه أحسن. فأمّا قول الشاعر:

رمتْنِي وسِتْر اللّه بيني وبينها ونحن بأكنافِ الحجازِ رَميمُ[3]

فقد اختلفت أقوالُ أصحاب المعاني فيه، فمِن قائلٍ إنه أراد به الإسلام، وقائلٍ إنه أراد به الشَّيْب، وثالث قال: إنه أراد به الكعبة.

---

(١) ساقطة من ط.
(٢) ط: «المرضى» تحريف.
(٣) الكامل للمبرد ١/ ٢٩، ونسبه إلى أبي حية النميري، وروايته: «عشية آرام الكناس».

ولما أراد الحَسَن البَصري الحجّ قال له ثابت البُنانيّ: يا أبا سعيد، بلغني أنّك تريد الحَجّ، فأحببتُ أن نصطحب؛ فقال: وَيْحك! دَعْنا نتعايش بِستر اللّه إني أخاف أن نصطحب فيَرَى بعضُنا من بعض ما نتماقت عليه.

٢٢ ـ يد اللّه: قال اللّه تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠].

ومن أبيات التَّمثيل والمحاضَرة قولُ مَن اقتبس من قوله تعالى فقال:

وما مِن يَدٍ إلّا يَدُ اللّهِ فَوْقَها ... ولا ظالمٌ إلّا سيُبلَى بأظلمِ(١)

وسمعتُ أبا نصر سهل بن المَرْزُبان يقول: قال أبو العَيْناء: كان لي خصوم ظَلَمة؛ فشكوتهم إلى أحمد بن أبي دُؤاد، وقلتُ له: إنّ القوم قد تضافروا علَيّ، وصاروا يداً واحدة علَيّ، فقال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾، فقلتُ: إنّ لهم مكراً، فقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣]، فقلتُ: إنهم كثيرون وأنا واحد، فقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وأُنشِدت ببُخارَى للمراديّ في بكر بن مالك لما قُلّد سياسة الجَيْش بخُراسان:

قُلِّدَ الجيشَ سيِّدٌ ... هو جَيْشٌ على حِدَهْ

يدُ بكرٍ وسيفُه ... ويدُ اللّهِ واحدَهْ

٢٣ ـ عُمّال اللّه: هم الذين يعملون للّه، فإما يشتغلون بعبادته، وإما يجاهدون في سبيله.

ويُروَى أن النبي ﷺ مرّ بقوم يَربعون حَجَراً(٢)، فقال: «عمّال الله أقوى من هؤلاء»، وفي بعض الروايات أنه قال: «ألا أخبركم بأشَدّكم؟». قالوا: بلى، قال: «مَن مَلَك نفسَه عند الغضب».

٢٤ ـ سبيل اللّه: قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤]. وقال النبي ﷺ: «ما من قطرةٍ أحبَّ إلى اللّه من قطرة دمٍ في سبيله، أو قطرةِ دَمْع في جَوْفِ الليلِ من خشيتِه».

٢٥ ـ باب اللّه: قلتُ في كتابي المبهج: سبحانَ مَن بابُه غيرُ مُرْتَج لمُرْتَجٍ.

وقال علِيّ بن الجَهْم:

وأَفنيةُ المُلوك محجَّباتٌ ... وبابُ اللّه مبذولُ الفِناءِ(٣)

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٣٥ من غير نسبة.

(٢) ربع الحجر (بالتحريك): رفعه بالقوة.

(٣) ديوانه: ٨١.

٢٦ ـ **نور اللَّه**: قال النبي ﷺ: «اتقوا فِراسة المؤمن فإنّه يَنظر بنُور اللَّه».

٢٧ ـ **حُرّاس اللَّه**: عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن للَّه تعالى حُرّاساً في السماء وفي الأرض، فحُرّاسُه في السماء الملائكة، وحُراسه في الأرض الذين يأخذون الدّيوان».

٢٨ ـ **أمان اللَّه**: عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تطرقُوا الطيرَ في أوكارها، فإنّ الليلَ أمانُ اللَّه».

وفي بعض الأخبار أنه نهَى عن البَيات[١]، وقال: «الليل أمان اللَّه عزّ وجلّ».

٢٩ ـ **ميزان اللَّه**: قال بعض الحكماء: العَدْل ميزان اللَّه، فلذلك هو مبرَّأ من كل مَيْل وزيْل[٢].

عن بعض السَّلَف: العدلُ ميزان اللَّه، والجوْرُ مِكيال الشيطان.

٣٠ ـ **خالصة اللَّه**: عَوْن بن عبد اللَّه: كان يقال: مَن كان في صورة حسنةٍ، ومنصِب لا يشينه، ووُسّع عليه في الرزق، كان من خالصة اللَّه تعالى.

٣١ ـ **موائد اللَّه**: يروى عن الحسن البصري رحمه اللَّه: الأسواق موائد اللَّه في أرضه، فمن أتاها أصاب منها.

٣٢ ـ **عين اللَّه**: قلتُ في كتابي المترجَم بالمبْهِج: الملِك العادل مكنوفٌ بعَوْن اللَّه، محروسٌ بعين اللَّه.

وقلتُ من قصيدةٍ في السُّلطان الماضي:

يا قاهِرَ المَلِكِ ويا خاتَمَ الـ ... ـأملاكِ بين الأخذِ والصّفْحِ
عليك عينُ اللَّه من فاتحٍ ... للأرض مستَوْلٍ على النُّجْحِ
راياتُه تَنطِق بالنّصر بلْ ... تكادُ تُملِي كُتُبَ الفَتْحِ

٣٣ ـ **أمر اللَّه**: الرِّياشي، قال: ما اعتراني هَمٌّ فأنشدتُ قولَ أبي العتاهية:

هيَ الأيامُ والغِيَرُ ... وأمرُ اللَّه يُنتظَرُ
أتيْأسُ أنْ تَرَى فَرَجاً ... فأينَ الرَّبُّ والقَدَرُ!

(١) البيات: هو أن تقصد العدو في الليل من غير أن يعلم فتأخذه بغتة.
(٢) أ: «زلل».

إلا سُرّيَ عنّي، وتنسمتُ ريحَ الفرَج. وسمعتُ أبا بكر الخُوارزميّ يقول: لم أسمعْ في وصف الطُّفيليّ أبلغَ من قول الحَمْدونيّ:

أراكَ الدهرَ تطرُقُ كلَّ دارٍ كأمرِ اللَّه يَحدُث كلَّ ليلَهْ

٣٤ ـ طِراز اللَّه: قرِئ على عِصابة بعضِ جَوارِي الخُلَفاء: «ممّا عُمِل في طِراز اللَّه»، فاستَعمل الصاحبُ هذه الاستعارة المليحة في شِعره حيث قال:

هذا عَليٌّ في مَحاسِنِهِ كأنّما حَسْبُه أن يَبلُغ الأمَلا
وكم أقولُ وقد أبصرْتُ طلعتَه: هذا الذي في طِراز اللَّهِ قد عُمِلا

وقال أيضاً:

رأيتُ عليّاً في كمالِ جمالِهِ فشاهدتُ منه الرَّوضَ ثانيَ مُزْنِهِ
ولما تَبدَّى لي طِرازُ عِذارِه رأيتُ طِراز اللَّه في ثوبِ حُسْنِهِ

وقال بعضُ أهل العصر:

ديباجةُ الوَجْه مِنْ عَليّ معمولةٌ في طرازِ رَبِّي
فَحسنُه مِلءُ كلِّ عَينٍ وحُبُّه ملءُ كلِّ قَلْبِ

٣٥ ـ خلافة اللَّه: كان أبو الفتح البُستيّ يَستحسِن قولي في كتابي المُبهِج: الملك خلافة اللَّه في عباده وبلادِه، ولن يستقيم أمرُ خلافته مع مخالفتِه. وكان يقول: بودّي أنّ لي بعض كلامه.

٣٦ ـ لعنة اللَّه: أنشدني أبو بكر الخُوارَزميّ لبعضهم:

لعنةُ اللَّهِ والرَّسولِ وأهلِ الـ أرضِ طُرّاً على بني مَظعونِ
بِعْتُ في الصّيفِ قبّة الخَيْشِ فيهمْ ورهَنتُ الكانونَ في كانُونِ

وبلغني(١) عن الصّاحب أنه كان يقول: لم أسمع جواباً أطرَف وأوقَع وأبلَغ من جواب عُبادة، فإنه قال لرجل: مِن أين أقبلتَ؟ قال: مِن لعنةِ اللَّه؛ فقال: رَدَّ اللَّه عليكَ غُربَتَك.

٣٧ ـ سِجْن اللَّه: عن النبي ﷺ: «الحمَّى رائدُ الموت وسِجْنُ اللَّه في أرضِهِ، وقطعة من النار». وفي خبرٍ آخر: «الحمَّى سجنُ اللَّه في أرضه، يَحبِس فيه عبادَه إذا شاء، ويطلِقُهم إذا شاء».

(١) ط: «وبلغه» تحريف.

٣٨ ـ بُنيان اللّه: قال النبي ﷺ: «من هَدَمَ بنيانَ اللّه فهو ملعون»؛ يعني مَن قَتَل نَفْساً، وهذه من استعاراته التي لا شيء أحسن منها، ﷺ.

٣٩ ـ صبغة اللّه: قال اللّه عز وجل: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]. وقلتُ في كتابي المُبهِج: تعالى اللّهُ ما أبدعَ صنعتَه، وأَحسَنَ صِبغَته، وأَلطفَ صِيغتَه!.

٤٠ ـ وفد اللّه: كتبَ الصاحبُ أبو القاسم: الحَجيج وفدُ اللّه، وهم له مُتاجِرون، وفي طلب ثوابه مسافرون، وإلى بيته الحرام سائرون، ولقبر نبيّه ﷺ زائرون.

وقلت في كتابي المبهج: بَشِّر وفدَ اللّه بفوائدِ الدّارَيْن.

فيمَا يُضافُ ويُنْسَبُ إلى الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام

وَصِيّ آدم، شهرةُ آدم، سفينةُ نوح، غراب نُوح، عمر نُوح، مَقام إبراهيم، نار إبراهيم، صُحُفُ إبراهيم، ضيف إبراهيم، تحفة إبراهيم، وَعْد إسماعيل، ناقةُ صالح، رؤيا يوسُف، ذئب يوسُف، قميص يوُسف، حُسن يوسف، سِنُو يوسف، ريح يوسف، عَصا موسى، نارُ موسى، يدُ موسى، بقية قوم موسى، لَطْمة موسى، خليفة الخَضِر، صبرُ أيّوب، حوتُ يونس، دِرع داود، نَغْمة داود، مزاميرُ داود، خاتم سليمان، جنّ سليمان، سَير سليمان، مُلك سليمان، حمارُ عُزَير، طِبّ عيسى، دم يحيى بن زكريا، بُرْدة النبي ﷺ، داء الأنبياء، فقر الأنبياء.

الاسْتِشْهادُ

٤١ ـ **وصيّ آدم**: إذا كان الإنسان فُضوليّاً داخلاً فيما لا يَعنيه، متكلّفاً ما لا يَلزمه من التطفُّل على أمور الناس، والتهالُكِ في الاشتغال بها، قيل: فلان وَصِيُّ آدم. وقد تُوضَع هذه الصفة مكانَ المدح، كما قال الشاعر:

وكأنّ آدمَ حين حُمّ حِمامُهُ ... أوْصاكَ وهو يَجودُ بالحَوْباءِ[1]
بِبَنيه أنّ تَرعاهُمُ فرعَيْتَهم ... وكَفَيتَ آدمَ عَيْلةَ الأبناءِ

ومنه أخذ أبو العَيْناء معنًى كلامه في الحَسَن بن سهل، وقد سأله عند محمد بن عبد اللّه بن طاهر فقال: خَلَفَ آدم عليه السلام في ولده، فهو يَسُدّ خَلّتهم، وَينقَع غُلّتهم، وقد رفع اللّه تعالى للدّنيا من شأنها إذ جعله من سكانها وذَوي الأمر فيها.

ولما نُعِيَ الحَسَن إليه قال: لئن أتعبَ المادحين، لقد أطال بكاءَ الباكين؛ ولقد كان بُقيّة[2] وفي الناس بقيّة، فكيف الآن وقد أودَت البرّية!.

(١) أ: «حين يجود بالحوباء» والحوباء: النفس.
(٢) أ: «بقيا»، وما أثبته من ط.

٤٢ ـ شهرة آدم: يُضرَب بها المثل وحقّت، قال أبو عبد اللّه بن الحَجّاج من أبياتٍ كتب بها[١] إلى بعض الرؤساء وهو يشكو بوّاباً له أنكرَه ولم يأذَنْ له:

خادمُكمْ يشكو وقد جاءكمْ غِلْظةَ بَوّابِكُمُ الخادمِ
أنكَرَني عنكمْ على زَعْمِه فلم أزلْ في عَجَبٍ دائمِ
لأنّني بين بني آدمِ مذ خُلِقوا أشهَرُ من آدمِ

٤٣ ـ سفينة نوح: قال النبي ﷺ: «إن عِتْرتي كسفينةِ نوح، مَن ركب فيها نجا، ومَن تأخّر عنها هَلَك»، وأخَذ هذا المعنى أبو عثمان الخالديّ، فقال من قصيدة:

أعاذِل إنّ كِساءَ التُّقَى كَسانيهِ حُبِّي لأهلِ الكِساءِ
سفينة نوحٍ فمن يَعتلِقْ بحَبلِهمُ يَعتلِقْ بالنَّجاءِ

وقد تُضرَب سفينة نوح مَثَلاً للشيء الجامع؛ لأنّ نوحاً حَمَل فيها من كلّ زوجين اثنين؛ كما يُضرَب المثل في ذلك المعنى بجامع سُفْيان، قال بعض العصريّين:

يا طبيباً منجِّماً وفَقيهاً شاعراً شِعرُه غِذاءُ الرُّوحِ
فهوَ طَوْراً كمِثل جامِع سُفْيا نَ وطَوْراً يَحْكي سفينةَ نُوحِ

وقال الجاحظ: قال أبو عُبيدة: زعم بعض المفسِّرين وأصحاب الأخبار أن أهل سفينة نوح كانوا قد تأذَّوْا من الفأر[٢]، فعَطسَ الأسدُ عطسَته فخرج من مِنخريْهِ زوجُ[٣] سَنانيرَ، فلذلك السِّنَّوْرُ أشبهُ شيء بالأسد. وسلح الفيلُ زوجَ خَنازير، فلذلك الخنزير أشبهُ شيء بالفيل.

قال كَيْسَان لأبي عُبيدة: ينبغي أن يكون ذلك السِّنّورُ هو آدم السّنانير وتلك السِّنّورة حوّاءَها؛ فقال أبو عبيدة، وضَحِك منه: ألم تَعلم أنّ لكل جِنْس من الحيوانات[٤] آدم وحواء! فضَحِكَ القومُ من ذلك.

٤٤ ـ غراب نوح: يُضرَب مثلاً للرسول الذي لا يعود أو يبطىء عن ذي الحاجة من غير إنجاح، وذلك أن نوحاً عليه السلام أرسَلَ الغرابَ من السفينة ليأتيه

---

(١) ط: «كتبها».
(٢) ط: «بالفأر».
(٣) المنخر: الأنف.
(٤) الحيوان ٥/ ٣٤٧، ٣٤٨ والعبارة هناك: «وزعم بعض المفسرين أن السنور خلق من عطسة الأسد، وأن الخنزير خلق من سلحة الفيل؛ لأن أصحاب التفسير يزعمون أن أهل سفينة =

بخبر الماء، فاشتغل بميتة وَجدَها ولم يَعُد إلى نوح حتى أرسل مكانَه الحمامة، فجاءته بالخبر.

قال الجاحظ: يُقال في المَثَل: فلان لا يرجع حتى يرجِعَ غرابُ نُوح كما يقول أهلُ البصرة: حتّى يَرجعَ نشيطٌ من مَرْو[(١)]، وكما يقول أهلُ الكوفة: حتّى: يرجع[(٢)] مَصقَلة من سِجستان[(٣)]. وكما تقول العرب: حتى يَؤوبَ القارِظ العَنزي[(٤)].

وقال بعضُ الشعراء في قصّة له:

ونَـدْمـانٍ بَـعَـثْـتُ بـه رَسـولاً ... فـأَهْـمَـلَ حـاجـتـي كـغُـرابِ نُـوحِ

رأى فـي الـدَّيْـرِ بَـدْراً مـسـتـنِـيـراً ... فـسـاعَـدَه عـلـى دِيـنِ الـمَـسـيـح

٤٥ ـ عمر نوح: يُضرَب مثلاً في الطول، قال وهب بن منبِّه: كان عمر نوح عليه السلام ألفَ سنة، لأنّه بُعِث إلى قومه وهو ابن خمسين سنة، ولَبِث يدعوهم إلى أن مضت[(٥)] تسعمائة وخمسون سنة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

ويُروَى أنّه عاش ثلاثة قُرون، وعُمِّر فيهم وهم لا يجيبونه، ولا اتبعه منهم إلّا القليل، كما ذكره عزّ ذكره، قال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

= نوح لما تأذوا بكثرة الفأر وشكوا إلى نوح ذلك سأل ربه الفرج، فأمره أن يأمر الأسد فيعطس، فلما عطس خرج من منخريه زوج سنانير: ذكر وأنثى، خرج الذكر من المنخر الأيمن، والأنثى من المنخر الأيسر، فكفياهم مؤونة الجرذان. ولما تأذوا بريح نجوهما شكوا ذلك إلى نوح، وشكا ذلك إلى ربه، فأمره أن يأمر الفيل فيسلح، فسلح زوج خنازير، فكفياهم مؤونة رائحة النجو».

(١) نشيط، غلام لزياد بن أبي سفيان، وكان بناء، هرب قبل أن يشرف وجه دار زياد، وكان لا يرضى إلا عمله، فقيل له: لِمَ لا تشرف دارك؟ فقال: حتى يجيء نشيط من مرو؛ فصار مثلاً لكل ما لا يتم. الميداني ١/٢١٦.

(٢) ط: «يئوب».

(٣) الحيوان: ٣١٨، وفي رواية أخرى في الحيوان ٥/٥٢٩ «حتى يجيء مصقلة من طبرستان»، وهو يوافق ما في المعارف ٤٠٣، وفي معجم البلدان ٦/٢٠ «ولّى معاوية مصقلة بن هبيرة أحد بني ثعلبة بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة، فسار إليها ومعه عشرون ألف رجل، فأوغل في البلد يسبي ويقتل، فلما تجاوز المضايق أخذها عليه وعلى جيشه العدو عند انصرافه للخروج ودهدهوا عليه الحجارة والصخور من الجبال، فهلك أكثر ذلك الجيش، وهلك مصقلة، فضرب به الناس مثلاً، فقالوا: لا يكون هذا حتى يرجع مصقلة من طبرستان».

(٤) الميداني ١/٢١١/ «حتى يئوب القارظان».

(٥) ط: «قات».

وقد أكثر الناس التمثيلَ بعمر نوحٍ نَظْماً ونَثْراً، قال محمد بن مكرّم لأحمد بن إسرائيل:

قـل لابـن إسـرائـيـل يـا أحـمـدُ عُـمْـرُكَ فـي الـعـالَـم لا يَـنـفَـدُ
إنّ زمـانـاً أنـتَ مُـسـتـوزَرٌ فـيـهِ زَمـانٌ عَـسِـرٌ أنـكَـدُ
يـا لُـبَـدَ الـدهـرِ ويـا عُـوجَـه أنـتَ كـنـوحٍ عُـمـره سَـرْمَـدُ

وقال آخرَ:

يـحـتـاجُ راجـي نَـوالِـهـمْ أبـداً إلـى ثـلاثٍ بـغـرِ تـكـذيـبِ
كـنـوز قـارون أن تـكـون لـهُ وعُـمـر نـوحٍ، وصـبـر أيّـوب

وقال أبو العتاهية:

لتَموتنّ وإنْ عُمِّرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ(١)
فـعَـلَـى نـفـسِـك نُـحْ إنْ كـنـتَ لا بـدّ تَـنـوحُ

وقرأتُ للصاحب فصلاً من كتاب له إلى أبي محمد العلويّ عَلِق بحفظي منه في ذكر نوح صاحبه، وكان بعث به رسولاً إليه: وأمّا صِلَتُه وَلْيَ برّه بوسميّه، وإنفاذه للتهنئة نوحاً أبقى اللّه سيدي بقاء سميّه، فقد أطاع فيه خُلُقاً طالما وَرَدْنا حِياضَه فارتوَيْنا من كرم غَمْرٍ، وقصَدْنا رياضَه فرَعَينا من شرفٍ دَثْر.

٤٦ ـ مقام إبراهيم: يُضرَب مثلاً لكل مكان شريف ومقام كريم قال اللّه تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ ويُروَى أنه كان فيه أثر عِقْبَيْه وأصابِعه، فما زالت الأمة تَمسَحه حتى خفيَ الأثر.

ومن أحسن ما سمعتُ في ضَرْب المَثَل به ما أنشده أبو إسحاقَ الصابيّ لعليّ بن هارونَ بن عليّ بن يحيى في ابن أبي الحواريّ، وقد عرفت له سَقْطة وثئث رِجلُه(٢) منها:

كـيـف نـال الـعِـثـار مـن لـم يَـزَلْ مـنـ ـه مـفـيـداً فـي كـلّ خـطـبٍ جـسـيـمِ
أو تَـرقـى الأذى إلـى قَـدَمٍ لـم تَـخْـطُ إلّا إلـى مَـقـامٍ كـريـمِ
لـمـقـامِ الـنـبـيِّ أحـمـدَ أو مِـثـ ـلِ مـقـامِ الـخـلـيـلِ إبـراهـيـمِ!

٤٧ ـ نار إبراهيم: يُضرَب بها المثل في البرْد والسلامة، ويُروَى أن إبراهيم

(١) ديوانه: ٦٧.
(٢) وثئت رجله: كسرت.

عليه السلام لمّا قُذِفَ في النار بعثَ اللّه له مَلَك الظّل، فكان يُحدِّثه ويؤنِسه، فلم تَصل النار إلى أذاه مع قُربه من طباع ذلك المَلَك، قال اللّه عزّ ذكره: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وقد شبّه بها ابنُ الروميّ الخمرَ فقال:

وعـاتـقـةٍ زُفَّـت لـنـا مـن قِـرى كُـوثَـى   تُـلـقّـبُ أم الـدهـر بـل بِـنْـتـه الـكـبْـرى
رأتْ نـارَ إبـراهـيـمَ أيـامَ أُوقِـدَتْ   وصارتْ من الأوْصاف أوصافها الحُسْنى
حكَتْ نـورهـا فـي بَـرْدهـا وسـلامِـهـا   وبـاتـتْ بـطـيـبٍ لا يُـوازَى ولا يُـحـكَـى

وتَعَاطى ابنُ المعتزّ هذا التشبيهَ فأوجزَ حيث قال:

ومَـشـمـولـةٍ قد طـال بـالـقـنْـص لـبـثُـهـا   حَـكَـتْ نـارَ إبـراهـيـمَ فـي الـلـونِ والـبَـرْدِ

ولنار إبراهيم مكانٌ آخرَ من باب النّيران في هذا الكتاب.

٤٨ ـ **صُحُف إبراهيم**: قال وهب بن منبّه: أنزل اللّه على إبراهيمَ عشرين صحيفةً كلها أمثال وعِبر وتسبيح وتحميد، وكان ممّا فيها: أيّها الملك المسلّط، المغرور المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولتبنيَ المدائنَ والحصون، ولكني بعثتُك لتردّ عني دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها ولو كانت من كافرٍ. وفي بعض الروايات: إنّها رُدّت إلى السماء فلم يَبق في أيدي الناس منها شيء.

وقد يُضرب بها المَثَل في الشيء المتروك المنسِيّ، كما قال الصاحب في رسالة له إلى بعض إخوانه: ونسيتَني وما كان حقّي أن أُنسَى، وكويْتَني في صُحف إبراهيم وموسى.

٤٩ ـ **ضيف إبراهيم**: يُضرب مثلاً للضيف الكريم، لأن اللّه تعالى يقول في قصّته[1]: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]، قال المفسّرون: إنّما قال ذلك لأن إبراهيم قام عليهم بنفسه، ثم ما لبث أن جاء بعجل سمين فقرّ به إليهم وقال: ألا تأكلون!.

ومن كرامة الضيف تعجيلُ قِراه، قال الشاعر:

أسأتُـمْ وأبطأتُـم على الضّيْف بالقِرَى   وخـيـرُ الـقِـرَى لـلـنـازلـيـن الـمـعـجَّـلُ

وقرأتُ في أخبار الحسين الجمل المصري أنه دخل على قادم من مكة وعنده

(١) ط: «قضيته» تحريف.

قوم يهنئونه، وبين أيديهم أطباق من الحَلْوَى، وليس يمدّ أحد منهم يدَه إليها، فقال: واللّه يا قوم لقد ذكّرتموني ضيفَ إبراهيم، قالوا: وكيف؟ فقرأ: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، ثم قال: كلوا رحمكم اللّه! فضحكوا من قوله وأَكَلوا وأكل معهم.

٥٠ ـ **تحفة إبراهيم**: هي اللّحم، ويحكَى أنّ الشعبي دخل على صديق له فتحدثا ساعة، فلما أراد القيام قال له: لا نتفرّق إلا عن ذواق، فقال الشّعبيّ: أَتحِفْني بما عندك ولا تتكلف لي ما لا يَحضرُك؛ فقال: أي التحفتين أحبّ إليك؟ تحفة إبراهيم أم تحفة مريم! قال الشَّعبي: أما تحفة إبراهيم فعهدي بها الساعة، وأريد تحفةَ مريم، فدعا له بطبق من رُطَب. وإنما عنى بتحفة إبراهيمَ اللحم لأن في قصّته: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧] وعنى بتحفة مريم الرُّطَب، لأن في قصّتها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

٥١ ـ **وَعْد إسماعيل**: يُضرَب به المثل في الصدق، لأن اللّه عزّ ذكره أثنى عليه بصدق الوعد، فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وكان العلاء بن صاعد وعد البحتري مائةَ دينار يصلُه بها، فلما حصل منها على الخَلَف كتب إليه أبياتاً، منها:

المائةُ الدِّينار منسيّةٌ   في عِدَةٍ أوسعْتَها خُلْفا
لا صِدْقَ اسماعيلَ فيها ولا   وفاء إبراهيمَ إذ وَفى
إنْ كنتَ لا تَنوِي نجاحاً لها   فكيف لا تجعلُها ألْفا!

٥٢ ـ **ناقة صالح**: هي ناقة اللّه التي تقدم ذكرُها في الباب(١) الأول، ويقال لها: ناقة صالح، وكثيراً ما يُضرب المثل بها من ينبّه على براءة ساحته أو خفّة جُرمِهِ فيقول: «إنّي لم أعقِر ناقةَ صالح».

٥٣ ـ **رؤيا يوسف**: تُضرَب مَثَلاً للرؤيا الصحيحة الصادقة، إذ كان عليه السلام رأى في المنام ـ وهو ابن اثنتي عشرة سنة ـ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له سُجَّدا، فلما قصّها على أبيه يعقوبَ عليه السلام قا له: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ

(١) صفحة ٢٩.

رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥]، فلمّا كان من شأنه ما كان، ومَلَك مصرَ ودخل عليه إخوتُه وأبواه خَرُّوا له سُجّدا قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

ولما قال المهدي لعبيد اللّه بن أبي عبيد اللّه الكاتب ـ وكان متَّهماً بالزندقة ـ: قد رأيتُ لك رؤيا قبيحةً، فقال: يا أمير المؤمنين، ليست برؤيا يوسف، فغضب المهديّ وأنشَد:

ومُطّلِعٍ من نفسِه ما يَسرّهُ ... عليه من اللحظ الخفيّ دليلُ
إذا المرء لم يُبدِ الذي في ضميره ... ففي اللّحظ والألفاظِ منه رسولُ

٥٤ ـ ذئب يوسف: يُضرَب مثلاً لمن يُرمَى بذنْب جناه غيرُه؛ وهو بريء الساحة منه، قال أبو عبيد اللّه بن الحجاج الكاتب:

قد أذْنبَ القومُ وألزمتَه ... كأنّهم أولادُ يعقوبِ
إذْ جعلوا يوسفَ في جبّهِ ... وأَوقعوا الذَّنْبَ على الذِّيبِ

قال الجاحظ: قال أبو علقمة: إنَّ [اسم] الذئب الذي أكلَ يوسف رغمون[1]، فقيل له: إنّ يوسف لم يأكله الذئب، وإنما كذبوا عليه، ولذلك قال اللّه تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ [يوسف: ١٨]، قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكله قبل! فينبغي أن يكون هذا الاسم لجميع الذئاب؛ فإن الذئاب كلَّها لم تأكله[2].

وللبديع الهَمَذانيّ من فصل له: «كذب القميص؛ لا ذَنْبَ للذِّيبِ، في تلك الأكاذيب».

٥٥ ـ قميص يوسف: أجرى اللّه تعالى أمرَ يوسفَ من ابتدائه إلى انتهائه على ثلاثة أقمصة: أولُها قميصه المضرَّج بدمِ كذِب، والثاني قميصه الذي قدَّ من دُبر، والثالث قميصه الذي أُلقِيَ على وجه أبيه فارتدَّ بصيراً، ولكلّ من هذه الأقمصة موضع مِن ضرْب المثل وإجراءِ النادرة.

فيُروَى أنّ إخوةَ يوسف لمّا قالوا لأبيهم: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُۖ﴾ [يوسف: ١٧]، قال لهم: أروني قميصَه، فأَروه إيّاه مضرَّجاً

(١) الحيوان: «رجحون».
(٢) الحيوان ٦/ ٤٧٨.

بالدم غيرَ ممزَّق، فقال: تاللّه ما رأيتُ ذئباً أحلَمَ من هذا وأرفَق؛ أكَلَ ابني ولم يمزِّق قميصَه!.

وأنشَدَني أبو عبيد اللّه المَرزُبانيّ في كتابه، كتاب «المستنير»[1] لأبي الشِّيص:

وقائلةٍ وقد بَصُرتْ بدمعٍ ... على الخدَّيْنِ منهمرٍ سَكُوبِ!
أتَكذِب في البكاءِ وأنت خِلْوٌ ... قديماً ما جَسرْتَ على الذّنوبِ
جفونُك والدموعُ تجولُ فيها ... وقلبُك ليسَ بالقلب الكئيبِ
نظير قميصِ يوسفَ يومَ جاءوا ... على لَبَّاتِه بدَم كَذوبِ
فقلتُ لها: فداكِ أبي وأمي ... رَجَمْتِ لسوءِ ظَنِّك بالغُيوبِ

وأما القميص الثاني فلأبي الحارث جمّيز فيه نادرة طريفة، وهي: أنه رُئي في ثياب متخرِّقة، فقيل له: ألا يكسوك محمد بن يحيى؟ فقال: لو كان له بيت مملوء إبراً، وجاءه يعقوبُ ومعه الأنبياء شفعاءَ والملائكة ضمُّنا يطلب منه إبرةً ليَخيطَ بها قميصَ يوسفَ الذي قُدَّ من دُبُر ما أعاره إياها، فكيف يكسوني!

ونظَم هذا المعنى من قال:

لو أنّ دارَك أنبتتْ لك واحتشَتْ ... إبَراً يَضِيقُ بها فِناء المنزلِ
وأتاكَ يوسُفُ يَستَعيرُكَ إبْرَةً ... ليَخيطَ قَدَّ قميصِه لَمْ تَفعَلِ

وقال العباس بن الأحنف:

وَقَدْ زَعَمَتْ جُمْلٌ بِأنّي أرَدْتُها ... عَلَى نَفْسِها، تبّاً لذلك مِن فِعْلِ[2]!
سَلوا عَنْ قميصي مِثلَ شاهدِ يوسفٍ ... فإنّ قميصي لم يكنْ قُدَّ مِنْ قُبْلِ

وأمّا القميص الثالث فهو مَثَل سائر في لطف الموقع، كما قال أبو الطيّب المتنبّي:

كأنّ كُلَّ سُؤالٍ في مَسامِعِهِ ... قميصُ يُوسفَ في أَجْفانِ يَعْقوبِ[3]

(١) كتاب المستنير في أخبار الشعراء المحدثين؛ أولهم بشّار بن برد وآخرهم ابن المعتز، ذكره القفطي في إنباه الرواة ٣/ ١٨٢.
(٢) ديوانه: ٢١٣.
(٣) ديوانه: ١/ ١٧٢.

وقال أبو عثمان الخالدي للوزير المهلّبي ـ وذكر معزّ الدولة ـ:

إنْ غبْتَ أَوْدَعَكَ الإلٰه حياطةً ... وإذا قَدِمتَ أباحَكَ التَّرْحِيبا
ويَكُونُ مِنْ مِقَةٍ كِتَابُكَ عِنْدَهُ ... كقميص يُوسُفَ إذْ أَتَى يَعْقُوبَا

وَلِبُلغاء المترسلين ـ لا سيما أهل العصر منهم ـ في التمثيل بهذا القميص نُكَتٌ وغُرَر؛ ومن أحسنها فصلٌ للأمير السيد أبي الفضل من رسالةٍ إلى أبيه: وَصَلَ كتابُ مولانا فعددتُ يومَ ورودِه عيداً، أعاد عهد السرور جديداً، وردَّ طَرْفَ الحَسودِ كَليلاً وقد كان حديداً، ولم أشبّهه في إهداء الروح ورد الشفاء وتلاقي الروح بعد أن أشفتْ على المكروه كل الإشفاء إلّا بقميص يوسفَ حين تلقّاه يعقوبُ من البَشير، وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير. فكم أوسعتُه لَثماً واستلاماً، والتقطتُ منه بَرْداً وسلاماً، حتى لم يبقَ في الصدر غُلّة إلا برّدتُها ولا غُمّه في النفس إلّا طردتُها، ولا شريعةٌ من الأُنس إلّا رويتُ منها وقد وردتُها.

ومنها فصلٌ لأبي العبّاس الضَّبيّ: وصل كتابُ مولانا فكان رحمة اللّه عند أيوبَ، وقميصَ يوسفَ عند أجفانِ يعقوب.

٥٦ ـ حُسْنُ يوسف: يُضرَب به المثل في شعراء العَرَب والعَجَم.

وفي الخبر أن يوسف أُعطِيَ نصفَ الحُسن، فكان النصف له والنصف لسائر الناس، وما الظنّ عن النّسوة لمّا ﴿رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وكان أبو عيسى بن الرشيد أحسنَ أهل زمانه؛ حتى إنه كان أحسن من أخيه محمد الأمين، وهو المضروب به المثل في الحُسن، فكان يُقال لأبي عيسى: يوسف الزمان؛ وسيمر ذكره في موضعه من الكتاب.

٥٧ ـ سِنُو يوسف: يُضرب بها المثل في القحط والشدّة، وكانت سبعاً متواترة؛ قال النبي ﷺ: «اللهمّ اشدُد وطأتَك على مصرَ، وابعثْ فيهم سنينَ كسِني يوسفَ». فاستجاب اللّه دعاءه حتى شَوَوا الجلد وأكلوا القِدّ.

ومن قصة سِني يوسفَ أنه كان عليه السلام قد أعدّ في سِني الخصب من الحنطة والشَّعير وسائر الحبوب في الأَهْراء[1] والخزائن ما يسع أهل مصرَ وغيرهم. فلما كانت تلك السِّنون الشداد جعل يوسفُ يبيعهم في السنة الأولى بالدراهم

(١) الأهراء: جمع هري؛ وهو بيت كبير يُجمع فيه الطعام.

والدنانير، حتى استغرق دراهم مصر ودنانيرها، ثم باعهم في الثانية بالحليّ والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس شيء منها؛ ثم باعهم في الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها كلها، ثم باعهم في الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق لأحدهم عبد ولا أمَة، ثم باعهم في الخامسة بالضِّياع والعَقار والدُّور حتى جمع بينَ مُلْك مصرَ وملكها، ثم باعهم في السادسة بأولادهم حتى استرقّهم، ثم باعهم في السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصرَ حُرّ ولا حرة إلا صار عبداً وصارت أمةً له؛ ثم إنه عليه السلام قال: إني لم أملكْ مصرَ لأملكَ أهلَها، ولم أبرّهم لأجفوهم، فأعتقهم كلهم، ورد عليهم أموالهم وأملاكهم وأولادهم فذلك قولُ اللّه عزّ ذكرُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٢١].

٥٨ ـ ريح يوسف: يُضرَب مثلاً فيما يُحَسّ به من أثر الشيء السَّار كما يُحكَى أنّ آدم بن عمرَ بن عبد العزيز استأذن على يعقوب بن الربيع وهو على الشراب، فأمر برفْعه وأَذن له، فلما دخل قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤]، فضحك يعقوبُ وأمر بردّ الشّراب، ونادمَه يومه.

٥٩ ـ عصا موسى: قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٧، ١٨].

قال الجاحظ: مَن يستطيع أن يدّعِيَ الإحاطة بما في قول موسى: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] إلّا بالتقريب وذكر ما خطر على البال! ولكنني سأذكر جُملاً تدخل في باب الحاجة إلى العصا، فمنها: أنها تُحمَل للحيّة والعقرب والذئب والفحل الهائج في زمن هَيْج الفحول، ويَتوكّأ عليها الشيخُ الدالف، والسقيم المُدنَف، والأقطع الرِّجل، والأعرج، فإنها تقوم مقام الرجل الأخرى، وتَنوب للأعمى عن قائِده، وتُتّخذ مِحراكاً(١) للتنور، وهي لدقّ الجِصّ والحشيش والسمسم، ولخَبْط الشجر، وهي للقصّارِ والمُكارِي(٢)، فإنهما يتخذان المخاصرَ من عِصيّ قِصار، فإذا طال الشوط وبعدت الغاية استعانا في عَدوِهما(٣) وهرولتهما في أضعاف ذلك لاعتمادها على وجه الأرض، وهي تُعدِّل من مَيْل المفلوج، وتقيم من ارتعاش المحموم(٤)، ويتخذها الراعي لغنمه، وكلّ راكب لمركبه،

---

(١) المحراك: ما تحرك به النار.

(٢) القصار: محور الثياب، وخشبته المقصرة كمكنسة. والمكاري: الذي يكريك دابته لأجر.

(٣) البيان: «حضرهما».

(٤) البيان: «المبرسم»، وهو المصاب بالبرسام؛ علة يهذي فيها.

ويدخل الرجل عصاه في عُروة المِزْود ويُمسِك بيده الطرف الآخر، وربما كان أحد طرفيها في يد رجل، والطرف الآخرَ في يد صاحبها وعليها حمل ثقيل. وتكون إن شئت وتِداً في حائط، وإن شئت ركَزْتَها في الفضاء قِبلة، وإن شئت جعلتَها مظلّة، وإن شئت جعلت فيها زُجّاً فكانت عَنَزة[١]، وإن زدتَ فيه فجعلَته سِناناً كانت عُكّازة، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطرَداً، وإن زدت فيها شيئاً كانت رُمْحاً، وإن أردت كانت سوطاً وسلاحاً ومِخصَرة[٢].

وممن ضَربَ المثل بعصا موسى فأحسَنَ وأبدع ابنُ الروميّ حيث قال:

مديحي عصا موسَى وذلكَ أنّني ضربتُ به بحرَ الندى فتضحضحا
فيا ليت شِعري إن ضربتُ به الصَّفا أيَبعث لي منه جداولَ سُيَّحَا!
كتلك التي أَندَتْ ثرى الأرضِ يابساً وأبدتْ عيوناً في الحجارة سُفَّحا
سأمدح بعضَ الباخِلين لعلّه إنِ اطّردَ المِقياسُ أن يتسمّحا

ولو لم يفترِع غير هذا المعنى البِكْر لكان أشعرَ الناس، إذ شبّه مديحَه بعصا موسى التي ضرب بها البحر فيَبِس، وضَرب بها الحجرَ فانبجسَ، وذلك أن ابن الرومي مدح جواداً فَبخِل، فقال: سأمدح بخيلاً، فلعلّه أن يجود على هذا القياس.

ومن مليح ما قيل في عصا موسى قولُ أبي الطيب الشعيريّ من أهل الشام:

قُلْ لمن يَحمِل العصا حيث أَمسَى وأصبَحا
ما حوَتْها يدُ امرئٍ بعدَ موسى فأفلَحَا

وظَرُف من قال:

عَلمتَ يا مُشاجع بنَ حارِثهْ أنّ العصا في الوَحْلِ رِجلٌ ثالثَهْ

٦٠ ـ **نار موسى**: تُضرب مثلاً للشيء الهيّن اليسير يُطلَب فيوجَد بسببه العِلْق النفيس والغنيمة الباردة، قال ابن عائشة: كن لما لا ترجو أرجَى منك لما ترجو، فإنّ موسى ذهب يقتبِس النار، فكلّمه الملك الجبّار. وقد أعدتُ ذكرَ هذه النار في باب النِّيران من هذا الكتاب.

٦١ ـ **يد موسى**: يشبَّه بها ما يوصف بحُسن البياض وشُعاع النور، لقول اللّه

(١) ط: «عدة» تحريف، صوابه من البيان، والعنزة بالتحريك: عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً، في طرفها الأسفل زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير.
(٢) البيان والتبيين ٣/ ٦٧ ـ ٦٩ مع تصرف.

تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [القصص: ٣٢].

قال بعض أهل العصر في الغَزَل:

لك صُدْغٌ كأنّه قلبُ فِرعوْ ... نَ ووجهٌ كأنّه يدُ موسَى

وفمٌ قد أتى ببرهانِ عيسَى ... فهو بالطِّيب منه يُحيي النفوسا

واخترع ابن طَباطَبا العَلَويّ في ذكر هذا البياض معنى آخر أحسنَ فيه على إساءته، قال لأبي عليّ بن رُستَم:

أنت أُعطيتَ من دلائلِ رُسْل اللّهِ ... آياً بها علوتَ الرؤوسا

جئتَ فرداً بلا أبٍ وبيُمنا ... كَ بياضٌ فأنت عيسى وموسى

٦٢ ـ **بقية قومِ موسى**: يضرب بهم المثل في المَلال وقلّة الصبر لأنهم لم يصبروا على طعام واحد، كما قال الشاعر:

وَقَوْمِ موسى في الزّمان البائِدِ ... لم يَصبِروا على طعامٍ واحِدِ

وقال أبو نُواس:

أتيتُ فؤادَها أشكو إليه ... فلم أخلُصْ إليهِ من الزِّحامِ[1]

فيا مَن ليس يكفيها خليلٌ ... ولا ألفا خليلٍ كلّ عامِ

أراكِ بقيّةً من قومِ موسى ... فهم لا يَصبِرون على طعامِ

وقال العباس بنُ الأحنف:

يا قوم لم أهجرْكمُ لملالةٍ ... حدثتْ ولا لمقالِ واشٍ حاسدِ[2]

لكنّني جرّبتُكمْ فوجدتكُمْ ... لا تصبِرون على طعامٍ واحدِ

٦٣ ـ **لطمة موسى**: تُضرَب مثلاً لما يسوء أثرهُ، وفي أساطير الأَولين أنّ موسى سأل ربَّه أن يُعلِمه بوقت موتِه ليستعدّ لذلك، فلما كتب اللّه له سعادة المُحتضَر أرسل إليه مَلَك الموت وأمَرَه بقبض روحه بعد أن يُخبره بذلك، فأتاه في صورةِ آدميّ، وأخبره بالأمر، فما زال يحاجُّه ويُلاجّه، وحين رآه نافذَ العزيمة في ذلك لَطَمه لطمةً فذهبت منها إحدى عينيه، فهو إلى الآن أعوَر. وفيه قيل:

يا مَلَك الموتِ لقيتَ مُنكَرا ... لَطمةُ موسى تركتْك أعوَرَا

(١) ديوانه: ١٠٦.

(٢) ديوانه: ١٠٦.

وأنا بريء من عُهْدة هذه الحكاية.

٦٤ ـ **خليفة الخَضِر**: يقال للرجل إذا كان جوّالاً في الأسفار، جوّاباً للآفاق: فلان خليفة الخَضِر، كما قال أبو تمام في نفسه:

خليفة الخِضْرِ مَنْ يأوِي إلى وطنٍ　　في بلدةٍ فظهورُ العِيسِ أوطانِي[١]

ثم قال:

بالشّام قومي وبغدادُ الهوى وأنا　　بالرَّقّتَيْنِ وبالفُسطاطِ إخواني
وما أظنّ النوى تَرضَى بما صنعتْ　　حتّى تسافرَ بي أقْصَى خُراسانِ[٢]

قال القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز: أمّا الخَضِر فالناس في أمره فريقان: منكِر ومكذّب، ومقرّ ومصدّق. ومعظم أهل الشرائع والنبوّات يُثبِت عينَه وإن اختلف في نعته، وإنما ينكره خواصّ من متكلّمي الإسلام ومتخصصي المِلَل، فأما عوامّ مِلّتنا والسّواد الأعظم من أهل الكتابيّين والمَجوس فهم على افتراق المذاهب بهم في اسمه وصِفته، وفي زمانه ومدته، مُطبِقون على إثبات عبدٍ للّه صالح حيّ على الدهر، ممدودٍ له في الأجل، جوّال في الأرض، مغيَّبِ الشخص عن الأبصار، وربما تجاوز جهّال هذه الأمم إلى تثبيت أمور مغيِّبِ الشخص عن الأبصار، وربما تجاوز جهّال هذه الأمم إلى تثبيت أمور هي أبعد من العقول، وأذهبُ في طريق الاستحالة كاستتاره عن العيون وهو حاضر وقصورها عنه وهو شاهد، وقطعه الأمكنة البعيدة في الأزمنة اليسيرة، وتصوره عند ذكر كل مَن ذكرَه، ومثوله بحضرة كل مَن دعا باسمه، وإن اختلفتْ بهم الأماكن، وتباعدتْ بينهم المسافة، حتى إنّه ليكون في أقصى المشرق وعند منتهى العِمارة وفي منقطَع التُّرْب ومسقَط الشمس من آخر المغرب في وقت واحد. وربما طوى ما بينهما في قدْر رَجْع البصر، وزمان امتداد الطَّرْف؛ إلى أكاذيب شنيعة، وحماقاتٍ عجيبة. وربّ سفيهٍ ماجن، وخليع مارد، وقد استغوَى ضَعفة قوم فأعدّ لهم أثراً في صَخرة، أو موطىء قدم على صفحة أرض، فادّعى أن رجُلاً حسن الهيئة والشارة، جميلَ الرُّواء والسِّحْنَة، عَطِر الثوب والبزّة، قد ظهر في موضع كذا، أو على جبل كذا، ثم أراهم ذلك الأثر، فلم يشكّ القومُ أن الخَضِر ظهر له، وأن نعمةً من اللّه أُهدِيَتْ إليه، وكَرامةً من كراماته أفيضت عليه، فاتخذوا ذلك الماجنَ إماماً، وتلك البقعة مَشهَداً ومثاباً.

---

(١) ديوانه: ٣/ ٣٠٩، وفيه: «من يربع على وطن».
(٢) الديوان: «حتى تطوح بي».

وأكثر الرُّواة والعلماء على أنه صاحب موسى الذي قال له موسى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

وقال بعضهم: إنما كان السبب في امتداد عمره وتأخّر يومه والعلة في خلوده واتصال حياته، أنه كان على مقدِّمة ذي القرنين، ثم اقتحم الظُّلُمات، طالباً فيها عينَ الحياة، التي مَن جَرعَ من مائها جَرعةً عاش مخلّداً، ولم يذق الموتَ أبداً.

قالوا: فبينما هم بين أطباق الظلمات، وفي جوٍّ لا تتخلَّلُه[١] الأنوار، إذ هجم الخَضِر على تلك العين فشرب منها حتى اكتفى، ولحِق ذو القرنين العين وقد غارت فلم يجد لها أثراً، فانكفأ راجعاً، وغاب عنه الخَضِر سائحاً. واللّه أعلم.

٦٥ ـ صبر أيوب: قصّته في البلاء والصبر عليه مشهورة، والمثل بها سائر، قال ابن لَنْكَك:

نحن من الدهرِ في أعاجيبِ فنسأل اللَّهَ صبْرَ أيّوبِ
أَقْفرتِ الأرضُ من محاسنها فأبكِ عليها بكاءَ يعقوبِ

٦٦ ـ حُوت يونس: يشبَّهُ به النَّهم الأكُول الجيّد الالتقام والالتهام، كما يشبّه بعصا موسى. كما كتب أبو الخطَّاب الصّابي إلى عزّ الدولة أبو منصور بختيار على سبيل المُطايبة؛ وأمره أن يتخيَّر من أطايب ما يُقرَّب إليه، ولا يتعذّر هضمُه، ولا يبطىء استمراؤه، وأن يعتمد صُدور الدَّجاج وخواصرَ الحُمْلان، ويتجنب شحومَ الكُلى فإنّها تمنع من الإمعان، وأن يحاكي حوتَ يونسَ في جودة الالتقام، وثعبان موسى في سرعة الالتهام، ويبادر الطَّرْف باستراطِه[٢]، ويَسبِق النفسَ بازدرادِه.

٦٧ ـ دِرع داود: قال اللّه عزّ وجلّ في قصة داود: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠، ١١]، قال المفسِّرون: كان الحديد في يده كالعجين في يد أحدكم؛ وقالوا في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾، أي لا تُضيِّق ثقبَ مسامير الدُّروع فتُخرَق، ولا توسِّعها فتُفلَق.

---

(١) كذا في ا، وفي ط: «تنخله»، تحريف.
(٢) الاستراط: البلع.

قالوا: ولم يكن قبل داود دُروع، وإنما كانت صفائح من حديد مضروبة؛ وهو أول مَن عمِلها ولبِسها وألبَسها؛ قال أبو ذؤيب:

وعليهما مَسرودتَان قَضاهُما داودُ أمتَن من سَوابغِ تُبَّعِ[1]

وأحسن السلاميّ في قوله من قصيدة لعضُد الدولة:

ألبستَهم نسجَ داودٍ فنلتَ بهمْ ملكَ ابن داودَ إذ دانتْ له الأممُ

٦٨ ـ **نغْمة داود**: يُضرب بها المثلُ في الطّيب، وكان عليه السلام إذا قام في محرابه يقرأ الزَّبور، عَكَفَتْ عليه الوحش والطير تُصغِي إليه، ولذلك قال ابن الرومي في ذمّ صيادٍ يَرمي بقَوس البُندق ولا يخطىء بإصابته:

تستأنِسُ الطيرُ إلى قوسِه كأنّها مِحرابُ داودِ

وقال أبو عليّ البصير في جارية قارئة اسمُها سكّر:

أسكرتْنِي سُكْراً بغيرِ شرابِ وأتتْ إذ أتتْ بأمرٍ عُجابِ
لم تُرجِّعْ بآيةٍ من كتاب اللّـ ـهِ حتى نسيتُ أمَّ الكتابِ[2]
أذكرتْني بصوتها صوتَ داو دَ يُقَرّي الزَّبورَ في المحرابِ

وقال بعض العرب:

لها حُكم لقمانٍ وصورةُ يوسفٍ ونَغْمةُ داودٍ وعفّة مريمِ
ولي سُقمُ أيّوبِ وغُرْبَةُ يونسٍ وأحزانُ يعقوبٍ ووحشةُ آدمِ

٦٩ ـ **مزامير داود**: حدّث أبو عاصم، عن ابن جُريج، قال: سألتُ عطاءً عن قراءة القرآن على ألحان الغِناء والحُداء، فقال: لا بأسَ، فقد حدّثني عبيد اللّه بن عمير الليثي أنه كان لداودَ عليه السلام مزامير يزمر بها إذا قرأ الزّبور، فكان إذا اجتمع عليه الإنس والجنّ والوحشُ والطير أبكَى مَن حولَه؛ قال ابن الحجاج:

هذا ومعشوقتي مُجَنْجِنةٌ أَطْيَبُ من جِنْجِنٍ بطنبورِ
لها غناءٌ أشجَى إذا نَغمتْ من صوتِ داودَ بالمزاميرِ

---

(١) ديوان الهذليين ١/ ١٩، وروايته:

* داود أو صنعُ السَّوابغ تُبَّعُ *

مسرودتان، أي درعان مخروزتان أو منسوجتان؛ من السرد؛ وهو الحرز.

(٢) ترجيع الصوت: ترديده.

وقال المبرّد: مزامير آل داود، كأنها ألحانهم وأغانيهم.

وقال غيرُه: إن طِيب صوته ونعمة نغمته شُبِّها بالمزامير، ولا مزاميرَ ولا مَعازِف هناك؛ والله أعلم.

٧٠ ـ **خاتم سليمان**: يُضرَب به المثل في الشرف والعلو ونَفاذ الأمر، وذلك أنّ مُلكَه زالَ عنه بعدمه، وعاودَه مع عوْدِه، والقصة فيه معروفة سائرة؛ ويُقال: إنه كان مُعجِزةً له، كما كانت عصا موسى من معجزاته، وبه اقتدى الملوكُ بعدَه في اتّخاذ خواتم الملوك، ودواوين الخاتم.

٧١ ـ **جِنّ سليمان**: لمَّا سخّر اللّه تعالى لسليمانَ عليه السلام الجنّ والشياطين وجعلهم يَصدُرون عن رأيه، ويتصرفون عن أمره، أُضيفوا إليه، فقيل: جِنّ سليمان، وشياطين سليمان، كما قال البحتريّ:

كأنّ جنّ سليمانَ الذين ولُوا ... إبداعَها فأدقّوا في معانيها[١]

وقال غيره لبعض الملوك:

شيّدتَ قصراً عالياً مشرفاً ... بطالعيْ سعدٍ ومسعودِ
كأنّما يَرفع بنيانَه ... جنُّ سليمانَ بن داودِ
لا زلتَ مسروراً به باقياً ... على اختلاف البِيضِ والسودِ

وأنشد الجاحظ للنابغة:

إلّا سليمانَ إذْ قال المليكُ له ... قُم في البريّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ[٢]
وخيّسِ الجنَّ إني قد أذنتُ لهم ... يبنون تَدمُرَ بالصُّفّاحِ والعَمَدِ

ثم قال: وأهلَ تَدمُر يزعمون أن ذلك البناء بُنِيَ قبل زمن سليمانَ بأكثر من قدر ما بيننا اليوم وبين زمن سليمان. قالوا: ولكنّكم إذا رأيتم بنياناً عجيباً وجهلتم موضعَ الحيلة فيه أضفتموه إلى الشياطين، ولم تعانوه بالفكر، وأنشد للعَرْجيّ:

سدّتْ مسامِعُها لقَرْعِ مراجلٍ ... من نَسْجِ جِنّ مِثْلُهُ لا يُنْسَجُ

وقال الأصمعيّ: السيوف المأثورة هي التي يُقال إنها من عمل الجنّ والشياطين لسليمان فأما القوارير والحمّامات فذلك ما لا شكّ فيه. وقال البَعيث:

بَنَى زيادٌ لذكر اللّه مصنعةً ... من الحجارة لم تُعمَل من الطّينِ

---

(١) ديوانه: ٢/ ٣١٩.
(٢) ديوانه: ٢١ وانظر الحيوان: ٦/ ١٨٧.

كأنّها غيرَ أن الإنسَ ترفَعُها ... ممّا بَنَتْ لسليمانَ الشياطينُ

وأحسن ما حوضر به عن شياطين سليمان قول أبي القاسم غانم بن أبي العلاء الأصفهاني في مَرثيّة الصاحب:

يا كافيَ الملك ما وفّيتُ حقَّك مِن ... مدحٍ وإن طال تقريظٌ وتأبينُ
فُتَّ الصِّفاتِ فما يَرْثيك من أحدٍ ... إلّا وتَزيينُه إيّاك تهجينُ
ما مِتَّ وحدَك بل قد مات من وَلدتْ ... حوّاء طُرّا بل الدنيا بل الدِّينُ
هذي نواعي العُلا مذ مِتّ نادبةٌ ... من بعد ما نَدَبَتْك الحُور والعِينُ
تَبكي عليك العطايا والصِّلات كما ... تبكي عليك الرعايا والسلاطينُ
قام السُّعاةُ فكان الخوف أقعدَهمْ ... واستيقَظوا بعد ما نام الملاعينُ
لا يَعجَب الناس منهم إنْ هم انتَشروا ... مَضَى سليمانُ فانحلّ الشياطينُ(١)

٧٢ ـ **سير سليمان**: يُضرب به المثل في السرعة، لأن اللّه تعالى يقول: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢].

ويُروَى أنه كان يسير في يوم واحد من إصطَخْر فارسَ إلى بيت المقدِس، وبه ضرب المثل سَلْم بن عمرو حيث قال للهادي وقد ركب البريد من جُرْجانَ إلى بغدادَ لمّا بلغه وفاةُ المنصور:

لمّا أتت خيْرَ بني هاشم ... خلافةُ اللّهِ بجُرجانِ
أسرَع في الأرضِ وقد سارَها ... يَحكي لنا سيرَ سليمانِ

ومن المسير المذكور في العرب مسيرُ حُذَيفة بن بدر، وسيمرُّ ذِكر ذلك في الكتاب في مكانه إن شاء اللّه تعالى.

٧٣ ـ **مُلك سليمان**: يُضرَب به المثل في الاتساع والانبِساط، وذلك أنه ملك مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وفي عَوْدِه إليه بعد ذهابه وزواله يقول الشاعر:

قد زال مُلكُ سليمانٍ فعاوَدَه ... والشمس تنحطّ في المَجرَى وترتفِعُ

٧٤ ـ **حمار عُزير**: يجري ذكرُه في عدّة مواضع: فمنها أنه يُضرَب مثلاً للمنكوب فينتعِش، لأن اللّه تعالى أحياه بعد مائة عام من موته. قال الصاحب في أبي محمد بن عبد اللّه بن محمد بن عزير لما استوزر بعد النكبة: حمار عُزَير ذاك لا ابن عُزَير.

---

(١) ط: «قضى».

ونظر الفضل بن عيسى الرّقاشيُّ إلى حمارٍ فارِهٍ تحت سلْم بن قتيبة، فقال: قِعْدة نبيّ، وبِذْلة جبّار، ذهب إلى حمار عزير وعيسى عليه السلام.

وقال بعض المتعصّبين للحمار والقائلين بفضله: وكيف لا أحب شيئاً أحياه اللَّه بعد موته قبل الحشر! يعني حمار عُزَير.

وحَكى الجاحظ عن مقاتل بن سليمان، قال: قال موسى للخضر عليهما السلام: أيّ الدواب أحبّ إليك؟ قال: الفَرَس والحمار، لأنهما من مراكب الأنبياء. قال الجاحظ: أمّا الفرس فمَركَب أولِي العزم من الرسل وكلّ مَن أمره تعالى بحمل السلاح وقتال الكفّار؛ وأما البعير فمَركَب هودٍ وصالحٍ وشعيب ومحمد ﷺ، وأما الحمار فمَركَب عُزَير وعيسى عليهما السلام[(١)].

٧٥ ـ طبّ عيسى: يُضرَب به المثل لأنه كان يبرِىء الأكمَه والأبرص، ويُحيي الموتى بإذن اللَّه.

ومن أمثال العرب: فلا يتطبّب على عيسى بن مريم، قال المتنبّي:

فآجَرَكَ الإلٰهُ على عليلٍ ... بعثتَ إلى المسيحِ به طبيبا[(٢)]

وقال أبو بكر الخُوارَزميّ:

وَمَا كنتُ في تركيكَ إلا كتاركٍ ... طَهوراً وراضٍ بعدَه بالتيمُّمِ
وراوِي كلام يَقتفي إثْرَ باقلٍ ... ويَترك قَسّاً جانباً وابنَ أهتمِ
وذي عِلّة يأتي طبيباً ليشتفي[(٣)] ... به وهو جارٌ للمسيح بنِ مريمِ

٧٦ ـ دم يحيى بن زكريا: قال أبو عَمرو بنُ العلاء: قيل لنا: في دار فلان ناس قد اشتملوا على سَوْأةٍ لهم وهم جلوس على خَمرة وعندهم طُنبورة؛ فدخلْنا عليهم في جماعة من رجال الحيّ؛ فإذا فتىً جالسٌ في وسط الدار وأصحابه حوله، وهم بيض اللِّحى، وإذا هو يقرأ عليهم دِفتَر شِعر، فقال الذي كان سعى بهم: السوأة في ذلك البيت، فإن دخلتموه عثرتم بها[(٤)]، قال: فقلت: لا واللَّه لا كسفت فتىً أصحابه شيوخ وفي يده دِفْتر علم؛ ولو كان في ثوبه دم يحيى بن زكريا عليه السلام[(٥)].

اختلفوا في مَقتَل يحيى؛ هل هو بالمسجد الأقصى أو بغيره؟

---

(١) الحيوان ٧/ ٢٠٤.
(٢) ديوانه: ١/ ١٤٥.
(٣) ط: «طبيباً».
(٤) ط: «عليها».
(٥) الحيوان ١/ ٦١.

وعن سعيد بن المسيِّب: قدم بُخْتَ نصَّر دِمشقَ، فإذا هو بدمِ يحيى بن زكريا يَغلِي، فسأل عنه فأخبروه، فقَتل على دمِه سبعين ألفاً؛ فسكن؛ وقد طُعن في صحة هذا القول.

٧٧ ــ **بردة النبيّ**: يُضرَب بها المثل في البِلَى والخُلوقة، فيقال: أعتَق من الحنطة، ومن بردة النبي ﷺ، وهي التي كساها رسولُ اللَّه ﷺ كعبَ بنَ زهير رضي اللَّه عنه لمَّا أنشده قصيدتَه التي منها:

نُـبِّـئْـتُ أن رسـول الـلَّـه أوعَـدَنـي والـعـفُـو عـنـد رسـولِ الـلَّـه مـأمـولُ(١)

فاشتراها معاوية منه بستِّمايه دينار، فلم يزل الخلفاء يتداولونها تبرّكاً بها إلى يومنا هذا.

ومن ظريف التمثيل بها قولُ جُعَيفِر الموسوس في رجل استوهَبَه جُعَيفِر دُرّاعةً له فقال: قد لبسها أبي، وأنا أكره أن يَلبسَها أحد بعدَه:

سـألـتُـه دُرّاعـةً لـبـاسُـهـا يَـحـسُـن بـي
فـقـال لـي: أكـرَه أنْ تَـلـبـسَـهـا بـعـد أبـي
وقـد رأى الـبُـردةَ مَـن يَـلـبـسُـهـا بـعـد الـنـبـي

٧٨ ــ **داء الأنبياء**: قال الجاحظ: ومن المفاليج إدريسُ النبي ﷺ. ورُوِيَ أنّ الفالج من أمراض الأنبياء. قال: ولا أعرِف إسناد هذين القولين، ومثل هذا يحتاج فيه إلى الرواية عن الثِّقات، إلا ما حدَّث به عبّاد بن كثير الخُزاعيّ، عن الحسن بن ذَكْوان، عن عبد الواحد بن قيس، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «داء الأنبياء الفالج واللَّقْوة»(٢).

قال الجاحظ: وأكثر ما يعتري الفالجُ المتوسطين في الأسنان، لأن الشباب كثيرُ الحرارة، والشيخوخة كثيرة اليُبْس، فأكثر ما يعتري بين هذَين السِّنَّيْن.

٧٩ ــ **فقر الأنبياء**: يُقال ذلك لأن فقراءهم أكثر من أغنيائهم، والفقر شِعار الصالحين.

ويُروَى أن نبيًّا من الأنبياء شكا للَّه تعالى شدة الفقر، فأوحى اللَّه تعالى إليه:

---

(١) ديوانه: ١٩.
(٢) اللَّقوة: داء في الوجه.

هكذا أُجريَ أمرك عندي، أفتريد أن أعيدَ الدنيا من أجلك! [على أنه لا يجوز وصف الأنبياء بالفقر كما صرّحوا به، لأنّ تركهم الدنيا عن قدرة، وحديث الفقر لا أصل له][1].

وقال البحتريّ:

فقرٌ كفقر الأنبياء وغُربةٌ ... وصبابةٌ ليس البَلاء بواحدِ

(١) تكملة من ط.

فيمَا يُضافُ ويُنسَبُ
إلى الملائكةِ والجنّ والشياطِين

خطّ الملائكة، طاوس الملائكة، غسيل الملائكة، قوط الملائكة، سيرة الملائكة، جَناح الملائكة، جناح جبريل، حربة أبي يحيى، سحر هاروت، رماح الجن، ديك الجنّ، كلاب الجنّ، ذبائح الجنّ، جند إبليس، إبليس الأباليس، صديق إبليس، قبح الشيطان، خطوات الشيطان، أصابع الشيطان، رقي الشيطان، مكيال الشيطان، ظلّ الشيطان، لطيم الشيطان، مخاط الشيطان، بريد الشيطان، وكْر الشيطان، حبائل الشيطان، خمر الشيطان، رؤوس الشياطين.

الاسْتِشْهادُ

٨٠ ـ **خط الملائكة**: يُكنى به عن الخط الرديء، ولما وصف اللَّه الملائكة بالكتابة فقال: ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الإنفطار: ١١] قال: ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ولما كان خطُّهم غير بَيِّن للناس، وأجوَد الخط أبيَنه، قيل في الكنايةِ عن الخط الرديء: خط الملائكة.

وسمعت أبا القاسم الطهمانيّ الفقيه يقول: سمعت أبا محمد يحيى بن محمد العلوي يقول: إنما شُبِّه الخط الرديء بخط الملائكة لأن أردأ الخط الرّقم، وخط الملائكة رَقْم، كما قال اللَّه تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٠، ٢١].

٨١ ـ **طاوس الملائكة**: كان عندنا بنيسابورَ شيخ يُقال له: أبو بكر الفارسيّ المذكر، يَقُصّ ويذكِّر، وكان تفسير ابن الكلبيّ على طرَف لسانه، وبسبب الإسراع فيه وفي القراءة كان يُقال: هو بحِذاء القرآن؛ كناية عن حفظه له. وكان إذا ذَكَر جبريل عليه السلام قال له: طاوس الملائكة، وما أشك في أنه ليس أبا عُذْرةِ هذا اللَّقَب، وإنما هو أُخِذ خَلَفاً عن سَلَف. واللَّه أعلم.

٨٢ ـ **غسيل الملائكة**: هو حنظلة بن أبي عامر الأنصاريّ، غسَلَتْهُ الملائكة،

وذلك[١] أنه خرج يوم أُحُد فأصيب، فقال رسول اللّه ﷺ: «هذا صاحبكم قد غسّلته الملائكة»، فسئِلتْ[٢] عن ذلك امرأتُه فقالت: إنه كان معي على ما يكون عليه الرجل مع امرأته، فأعجلَتْهُ حَطْمة بالمسلمين[٣] منعَتْه عن الاغتسال، فخرج فأصيب، وفيه يقول الأحْوَص[٤] ـ وكان حنظلة خال أبيه:

غسّلتْ خالِيَ الملائكةُ الأبرا رُ مَيتاً أكرِمْ به من صَريعِ[٥]

وقد ذكر المبرّد نَفَراً ممن كان بينهم وبين الملائكة سبب، فمنهم سعد بن مُعاذ، هبط لموته سبعون ألف ملك لم يَهبِطوا إلى الأرض قبلَها، وقَبضَ رسول اللّه ﷺ رِجْلَه[٦] وهو يمشي في جنازته لئلا يطأ على جَناح مَلك واهتزّ لموته عرشُ اللّه، وفي ذلك يقول حسّان:

وما اهتزّ عرشُ اللّه من موت هالكٍ سمعنا به إلّا لموتِ أبي عمرو

وكبّر عليه رسول اللّه ﷺ تسعاً كما كبّر على حمزة، وشمّ من تراب قبره ريح المسك.

ومنهم حسان بن ثابت، قال له رسول اللّه ﷺ: «اهجُهم وروح القدس معك». وقال في حديث آخر: «إنّ اللّه مؤيِّد حسان بروح القدس ما نافَحَ عن نبيِّه». وكان يوضع لحسانَ مِنبر في مؤخَّر المسجد يقوم عليه فينافح عن رسول اللّه ﷺ.

ومنهم عمران بن حُصَين، كان تُصافحه الملائكة وتعوده، ثم افتقَدَها فأتى رسول اللّه ﷺ، فقال: يا رسول اللّه، إنّ رجالاً[٧] كانوا يأتونني لم أرَ أحسنَ وجوهاً، ولا أطيبَ أرواحاً منهم، ثم انقطعوا عني؛ فقال رسول اللّه ﷺ: «أصابك جُرح فكنت تكتُمُهُ؟» فقال: أَجلْ، قال: ثم أظهرتَه؟ قال: قد كان ذاك، قال: «أما لو واللّه أقمتَ على كتمانه لزارتك الملائكة إلى أن تموت». وهذا جُرح أصابه في سبيل اللّه.

---

(١) الكامل ٤/ ١٠٢ وما بعدها.
(٢) الكامل: «فسئل عن ذلك».
(٣) الكامل: «في المسلمين».
(٤) في الكامل: «الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حمى الدبر».
(٥) بعده في الكامل:
وأنا ابن الذي حَمَتْ ظهره الدَّبْـ ـرُ قتيل اللِّحيان يوم الرجيع
(٦) الكامل: «من رجليه في المشي».
(٧) أ: «إن فينا رجالاً»، وأثبت ما في ط والكامل.

ومنهم جَريرُ بنُ عبد اللّه البَجَليّ، قال رسول اللّه ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الفَجّ [خير ذي يمن](١)، فإنّ عليه مسحةَ مَلَك».

ومنهم دِحْية بن خليفة الكلبيّ، كان جبريل يَهبط في صورته، فمن ذلك يوم بني قُرَيظة لما انصرف رسول اللّه ﷺ من الخندق، هَبَط عليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، أقد وضعتَ سلاحك(٢) وما وضعت الملائكةُ أسلحتها بعد! إنّ اللّه يأمرك أن تسير إلى بني قُرَيظة، وهأنذا سائر إليهم فمزلزلٌ بهم. فأمر رسول اللّه ﷺ الناسَ ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة وجعل يمر بالناس فيقول: أمَرَّ بكم أحد؟ فيقولون: مرّ بنا دِحْية بن خليفة على بغلة، وعليه قطيفة خزّ، نحو بني قُرَيظة، فيقول: ذاك جبريل، ثم مرّ بهم دِحْية بعد ذلك، وكان لا يزال بعد ذلك اليوم يَنزِل على صورته كما ظهر إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم الكنانيّ، وفي صورة الشيخ النجديّ يوم دار الندوة حين أشار بأن تجتمع قريشٌ فتضربَ رسولَ اللّه ﷺ بسيفٍ واحد. واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

٨٣ ـ **قوط الملائكة**: قرأتُ وسمعتُ أن بقرب باب آمِدَ صخرة عظيمة فيها صَدْع؛ يخرج منه عينُ ماء يشرب منه الناس والأنعام، ويُقال لذلك الصَّدْع: قُوط الملائكة؛ والقُوط بلغتهم الفَرْج.

٨٤ ـ **سِيرة الملائكة**: أنشدني أبو الفتح البُسْتيّ لنفسه في أبي سعد بن ملّة الهَرويّ:

أما الكريمُ أبو سعدٍ وهمّته فقد غدا في العُلا أعجوبةَ الفَلَكِ
لو استعار الوَرَى إكسيرَ سِيرتِه لكان أجودَهم في سيرة المَلَكِ

٨٥ ـ **جناح الملائكة**: قال اللّه تعالى في وصف الملائكة: ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ١].

٨٦ ـ **جَناح جبريل**: وقد ضَرب المثلَ بجناح جبريلَ في البركة والشفاء بعضُ أهل العصر، فقال في وصف رُقعة في العيادة وردتْ عليه:

أرقعةٌ في عِيادتي وردتْ أم رُقْيةٌ قد شفتْ لِتَعْجيلِ
أم عُوذةٌ عن نبيّنا صَدرتْ أم مَسحةٌ من جَناح جِبريلِ!

(١) من الكامل.
(٢) الكامل: «أضعتم سلاحكم».

٨٧ ـ **حَرْبة أبي يحيى**: أبو يحيى هو مَلَك الموت، وإنما كُنِيَ بهذه الكُنية كنايةً عن الموت، كما كُنِيَ عن اللّديغ بالسَّليم، وعن المَهلكة بالمفازة؛ قال الصاحب في أخوين مليح وقبيح، واسم المليح منهما يحيى:

يَحيَى حلوُ المَحْيَا ولكن لهُ[١] أخٌ حَكَى وجهَ أبي يَحيى

وحربة أبي يحيى يُراد بها مقدمة من مقدمات الموت على جهة التمثيل والاستعارة، قال بعض أهل العصر:

عَذيري من الأيام مدّتْ صُروفُها إلى وجه من أهوَى يَدَ النَّسخ والمحوِ
وأبدت بوجهي طالعاتٍ أرَى بها سهامَ أبي يحيى مسدَّدة نحوي
فَذَاكَ سواد الخطِّ ينهى عن الهوى وهذا بياض الوخْط يأمُر بالصَّحوِ

٨٨ ـ **سحر هاروت**: يُضرب به المثل، ويُنسَب إليه السّحر دون صاحبه ماروت، لأن اللّه تعالى بدأ به فقال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وكذلك يُقال: أقصَرُ من يأجوج، ولا يقال: من مأجوج، قال ابن بُرْد:

وكأنَّ رَجْعَ حديثِها قِطَعُ الرِّياضِ كُسِين زَهْرَا[٢]
وكأنّ تحتَ لِسَانِها هاروتَ يَنفُث منه سِحرا

وقال عبد اللّه بنُ المعتزّ:

أسترزِقُ اللّهَ عطفَ الحبّ من رَشإٍ يَشُوب تذكيرَ عينيْه بتأنيثِ
كأنّ في طَرْفه هاروتَ يقصدني[٣] منه بِسحرٍ إلى الأحشاء منفوثِ

وقال الصاحب:

لقد ظنّ بدر التّمّ نقص جمالِه فبُعداً لوجهِ البدر مع سوء ظنّهِ
ولو أنّ هاروتاً رأى سحرَ عينِه تعلّم كيفَ السحرُ من حَدِّ جَفنِهِ

٨٩ ـ **رماح الجنّ**: العَرب تسمِّي الطاعون رماحَ الجنّ، وجاء في الحديث: نه وَخْز أعدائكم من الجن».

ولما كان طاعون عَمَواس قام عَمرو بن العاص في الناس خطيباً، فقال: يا

(١) أ: «حكى المحيا».
(٢) الأغاني ٣/ ١٥٥.
(٣) ط: «عضدني» وما أثبته من ا.

أيُّها الناس، إنّ هذا الطاعون قد ظهر، وإنّما هو وَخْز من الشياطين، ففروا منه في الشِّعاب. وبلغ ذلك مُعاذ بن جبل، فأنكر عليه هذا القول، ثم لم يلبث أن مات فيه.

قال الجاحظ: وقد كانت الطواعين تقع كثيراً فتصير تواريخ، كطاعون عَمَواس، وطاعون العَذَارَى، وطاعون الأشراف وغيرها. ولما ملك بنو العباس رفع اللّه ببركتهم الطواعين والمُوتان(١) الجارفَ عن بني آدم، فإنها كانت تحصِد فيهم حَصْدًا، وفي ذلك يقول العُمانيّ للرشيد(٢):

قد أذهب اللّه رماحَ الجِنّ وأذهبَ التعليق والتجنيّ(٣)

يريد أنَّ ما كان بنو مروان يفعلونه من مطالبة الناس بالأموال، وتعذيب عمّال الخَراج بالتعليق والتجريد، قد ذهب.

وقالت امرأة قَتَل ٱبنَها غيرُ أكفائه:

لعمرُكَ ما خشيتُ على عَدِيّ رماحَ بني مقيّدةِ الحمارِ(٤)
ولكنّي خشيتُ على عديّ رماحَ الجِنّ أو إيّاكَ حارِ

كأنها قالت: إنما كنتُ أخشى على ابني طواعين الشام أو الحارث بن مالك الغسانيّ، فأما مَن يرتبط الحمير ولا يرتبط الخيل فلم أكن أخشاه.

وقال المنصور يوماً لأبي بكر بن عياش: من بركتنا أن رُفع عنكم الطاعون، فقال: لم يكن اللّه ليجمعَكم علينا والطاعون.

قال الصُّوليّ: لما كانت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة للهجرة وقع طاعون عظيم في الناس ببغدادَ وما جاورها.

٩٠ ـ **ديك الجنّ**: هو عبد السلام بن رَغْبان الحمْصيّ، شاعر مفلق في المحدَثين، أدرك زمان المتوكّل حتى قال من قصيدة له:

حتى حسبت أنو شروان من خَدَمي وخلتُ أنّ نديمي عاشر الخُلَفا

ولست أعرف سبب تلقيبه بديك الجِنّ، ويشبه أن يكون قال بيتاً يشتمل على ذكرِ ديك الجنّ فلقِّبَ بذلك؛ كما لقّب كثيرٌ من الشعراء بأقوال تجري لهم مجرى الشواذ والنوادر.

---

(١) الموتان: موت يقع في الماشية.

(٢) الحيوان ٦/ ٢١٩، وفيه: «وقال العماني يذكر دولة بني العباس».

(٣) الحيوان: «وأذهب العذاب والتجني».

(٤) الحيوان ٦/ ٢١٨، وفيه: «وقال الأسدي للحارث الغساني».

٩١ ـ كلاب الجنّ: قال الجاحظ: أما قول عَمرو بن كلثوم:

وقد هرّتْ كلابُ الجنّ منّا ... وشذّبْنا قَتادة مَن يَلينا

فإنهم يزعمون أن كلاب الجِنّ هم الشعراء.

٩٢ ـ ذبائح الجنّ: في الحديث أنه نهى عن ذبائح الجنّ؛ وهي أن يشتري الرجل الدار أو يستخرج العين وما أشبههما فيذبح لها ذبيحة الطِّيَرة، ويُضيف جماعة.

٩٣ ـ جُند إبليس: يقال ذلك للمجّان والخُلعاء، قال الشاعر:

وكنتُ فتىً من جُند إبليسَ فارتقتْ ... بيَ الحالُ حتى صار إبليسُ من جُنْدِي

٩٤ ـ إبليس الأباليس: قال جَرير من قصيدته التي فيها.

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَن ... لم يستطع صَولَةَ البُزْلِ القَناعِيسِ[١]:

إنّي لَيُلقي علَيَّ الشِّعرَ مكتَهلٌ ... من الشياطين إبليسُ الأباليسِ[٢]

وكانت الشعراء تزعم أنّ الشياطين تُلقِي على أفواهها الشِّعر، وتلقّنها إيّاه وتعينُها عليه، وتدّعي أنّ لكلّ فحل منهم شيطاناً يقول الشعرَ على لسانه، فمن كان شيطانه أمرَد كان شعرُه أجوَد.

وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن أن ذكروا لهم أسماء، فقالوا: إنّ اسم شيطان الأعشى مِسْحَل، واسمَ شيطان الفَرَزدق عمرو، واسم شيطان بشّار شِنِقْناق. وفي مِسْحَل يقول الأعشى:

وما كنتُ ذا قولٍ ولكنْ حسبتُني ... إذا مِسْحَلٌ يَبري ليَ القولَ أنطِقُ[٣]

خليلانِ فيما بينَنا من مودّةٍ ... شريكان جنيٌّ وإنس موفّقُ

وقال يذكره:

حباني أخي الجنيُّ نفسي فِداؤه ... بأفْيَحَ جَيّاش العشيّات مِرْجَمِ[٤]

---

(١) ديوانه: ٣٢٣ واللبون: ما أوفى ثلاث سنين. والقناعيس: الشداد. والقرن: الحبل.

(٢) لم يذكر في رواية الديوان.

(٣) جمهرة أشعار العرب ٣٠.

(٤) ديوانه: ٩٥، والأفيح: الواسع، أراد سعة خطوه. والمرجم: الذي يرجم الأرض بشدة وقع حوافره.

وقال أيضاً فيه:

دعوتُ خليلي مِسْحَلاً ودَعوْا له جُهُنّامَ، جَدْعاً للهَجين المذمَّمِ![1]

وقال حسان بن ثابت:

إذا ما تَرَعْرَعَ منَّا الغلامُ فليس يقال له: مَن هوَهْ![2]
إذا لم يَسُدْ قبلَ شدِّ الإزارِ فذلك فينا الذي لا هُوَهْ
وَلِي صاحِبٌ من بني الشيصبانِ فحيناً أقولُ وحيناً هُوَهْ

شيْصَبانِ وشِنِقْناق: رئيسان عظيمان من الجنّ ـ بزعمهم.

ولما ادَّعى بشّار أن شِنِقْناق يرغب في مصاحبته ومعاونته قال:

دعاني شِنِقْناقٌ إلى خَلْفِ بَكْرةٍ فقلتُ اتركاني فالتفرّد أحمَدُ[3]

يقول: أحمد لي في الشعر ألا يكون عليه معين؛ فقال أعشى بني سُلَيم يرد عليه:

إذا أَلِفَ الجنّيُّ قِرْداً مُشنَّفاً فقل لخنازير الجزيرة أبشري[4]

فجزِع بشار لذلك كجزعه من قول حمادِ عَجْرَد فيه:

ويا أقبحَ من قِرْدِ إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

لأنه كان يعلم مع تَغزّله أنّ وجهه وجهُ قرد. وفي زعمهم أن مع كل شاعر شيطاناً؛ يقول أعشى بني سُلَيم:

وما كان جنيُّ الفرزدق قُدوةً وما كان فيها مِثلُ فحلِ المخَبَّلِ[5]
وما في الخَوافي مثل عمرو وشيخِه ولا بعد عمرو شاعرٌ مثل مِسْحَلِ

وقال الفرزدق وهو يمدح أسد بن عبد اللّه القَسْريّ:

لَيُبْلِغَنَّ أبا الأشبال مِدْحَتنا مَنْ كان بالغَوْرِ أوَ مَرْوَى خُراسانِ[6]

---

(١) الجهنام بضم الجيم والهاء: اسم عمرو بن قطن، من بني سعد بن قيس بن ثعلبة، أو اسم تابعته. وجدعاً له، أي قطعاً.
(٢) ديوانه: ٤٢٢، ٤٢٣. وفيه «فما إن يقال له».
(٣) الحيوان ٦/ ٢٢٨، والبكرة: الفتية من الإبل، دعاه ليردفه خلفه.
(٤) الحيوان ٦/ ٢٢٨، مشنف، أي في أذنه الشنف، وهو القرط.
(٥) ديوان الأعشين ٢٢٧، الحيوان ٦/ ٢٢٧.
(٦) ديوانه: ٨٧٥.

كأنها الذهب الإبريز حبّرها لسانُ أشعر خلق اللّه شَيْطاناً[١]

وقال أبو النجم:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البَشَرْ شيطانه أنثى وشيطاني ذَكَرْ[٢]
فما يراني شاعرٌ إلا استَتَرْ فِعْلَ نجوم الليل عاين القَمَرْ

وقال آخر:

إنِّي وإن كنتُ صغيرَ السنّ وكان في العينِ نُبُوٌّ عَنّي[٣]
فإنّ شيطاني أميرُ الجنّ يَذهَبُ بي في الشعر كلَّ فنّ[٤]

وقال ابن ميادَة:

ولما أتاني ما تقول مُحاربٌ تغنّتْ شياطيني وجُنَّ جنونُها[٥]

وقال منظور بن روَاحةَ:

فلما أتاني ما يقول ترقّصتْ شياطينُ رأسي وانتشَيْن من الخَمْرِ[٦]

وقال الزَّفَيان العُوَافيُّ:

أنا العُوافيُّ فمن عاداني أذقتُه بوادرَ الهَوانِ[٧]
حتى تراه مُطرِقَ الشيطان عَلّمني الشِّعرَ مُعَلِّمانِ

- يعني معلِّماً من الإنس ومعلِّماً من الجن.

وقال أبو السِّمْط لعلِيّ بن الجَهْم:

إنّ ابن جَهْمٍ في المغيب يعيبُني ويقول لي حَسناً إذا لاقاني

---

(١) رواية الديوان: «أشعر أهل الأرض».
(٢) الحيوان ٦/ ٢٢٩، الشعراء ٥٨٤، ديوان المعاني ١/ ١١٣، محاضرات الراغب ١/ ٢٨٠.
(٣) الحيوان ٦/ ٢٢٩، غرر الخصائص ١/ ٢٢٥.
(٤) بعده في الغرر:
* حتّى يزيل عنّي التّظنّي *
(٥) الحيوان ٦/ ٢٤٤، الأغاني ٢/ ١٠١؛ من قصيدة يهجو بها الحكم الخضري، وبعده:
وحاكت لها مما أقول قصائداً ترامت بها صهبُ المهارِي وجُونُها
(٦) الحيوان ٦/ ١٨٥، وقبله:
أتاني وأهلي بالدّماخِ فغمرةٍ مسبّ عُوَيف اللؤم حَيَّ بني بَدْرِ
(٧) الحيوان ٦/ ٢٤٧.

ويكون حين أغيبُ عنه شاعراً ويضلّ عنه الشِّعرُ حين يراني
وإذا التقينا ذاد شعريَ شعرَه[١] وَنَزَا على شَيْطانِهِ شَيْطاني
إنَّ ابنَ جَهْمٍ ليس يَرْحَم أمَّه لو كان يرحمُها لما عاداني[٢]

وكان الفرزدق يقول: شيطان جريرٍ هو شيطاني؛ إلا أنه من فمي أخبث.

وقيل لجعفر بن يحيى: لو قلت الشعر! فقال: شيطانه أخبثُ[٣] من أن أسلِّطه على عقلي[٤].

٩٥ ـ صديق إبليس: هو عبد اللّٰه بن هلال، الذي يقال له الساحر، وكان في زمن الحجّاج وكان صاحب شَعْبَذة ونِيرَنْجات[٥]؛ يدّعي أن إبليسَ يتراءى له ويصادقه ويكاتبه ويُطلعه على أسراره. ولمّا قال الحجّاج ليحيى بن سعيد بن العاص: أخبَرَني عبدُ اللّٰه بن هلال صديق إبليس عليه اللعنةُ، أنك تشبِه إبليس؛ قال: وما ينكر الأميرُ أن يكون سيّد الإنس يشبه سيّد الجن! فعَجِبَ من قوّة جوابه.

٩٦ ـ قُبْح الشيطان: بلغني عن الصاحب أنه كان يستملح قولَ أبي عليّ البصير في أبي هِفّان ويستظرفه، وكثيراً ما كان يُنشِده ويردِّده:

لي صديقٌ في خِلْقةِ الشيطانِ وعُقول النّساء والصبيانِ
مَنْ تظنونه؟ فقالوا جميعاً ليس هذا إلّا أبا هفّانِ[٦]

قال الجاحظ: إنّا[٧] وإن كنّا لم نرَ شيطاناً قط ولا صوّره لنا صادق، ففي إجماع العَرَب والمسلمين وكلٍّ من لَقِيناه، على ضرب المثل بِقُبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح: والكتاب إنما نزل على الذين ثبت هذا في طبائعهم غايةَ الثبات. قال: وربّما قالوا: فلان شيطان، على معنى الشهامة والنّفاذ، لذلك قالوا لأبي حنيفة: شيطانٌ خرج من البحر.

قال مؤلّف الكتاب: قلتُ في كتابِ «يتيمة الدهر»[٨] في أبي الحسن اللحام: هو من شياطين الإنس، وريَاحينِ الأُنس.

---

(١) أ: «قال شعري شعره».
(٢) أ: «لما آذاني».
(٣) كذا في ط، وفي أ: «إلا أنه أخبث مني».
(٤) ط: «نفسي»، وما أثبته من ا.
(٥) النّيرنجات بكسر النون: أخذ كالسحر وليس بسحر.
(٦) ط: «فمن تظنونه»، وهو غير مستقيم الوزن.
(٧) الحيوان ٦/ ٢١٢، ٢١٣.
(٨) يتيمة الدهر ٤/ ٩٥.

٩٧ ـ **خُطُوات الشيطان**: قال اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة:١٦٨]، قال الزّجّاج: خُطُوات الشيطان: طُرُقه التي يسلكها، أي لا تسلكوا الطرق التي يدعوكم الشيطان إليها. وقال غيرُه: أراد: لا تَقتَفُوا آثارَه.

قال الشاعر:

يا نابذاً لوصايا إلٰهه خَلْفَ ظَهْرِهْ
وتابعاً خُطُوات الشَّيْطانِ في كلِّ أمرِهْ
أراك لم تَرَ مَيْتاً يَهْوي إلى قَعْر قبرِهْ

٩٨ ـ **أصابع الشيطان**: كان يُقال: مَن والاه[1] السلطان، صَبَعه[2] الشيطان، قال الشاعر:

قد كنتَ أكرمَ صاحبٍ وأبرَّه حَتى دَهَتْكَ أصابِعُ الشَّيْطَانِ
جَذَّ الإلٰهُ بنانَها وأبانَها[3] كم غَيَّرتْ خَلقاً مِن الإنْسانِ

٩٩ ـ **رُقَى الشيطان**: هي الشعر، قال جَرير لما مدح عمرَ بن عبد العزيز فلم يُعطه:

رأيتُ رُقَى الشَّيْطانِ لا تستفِزُّهُ وقَدْ كانَ شَيْطانِي من الشِّعرِ رَاقِيَا

وأما قول الشاعر:

مَاذا يَضرُّ سُلَيْمَى أنْ يُلِمَّ بِها مُرَجَّلُ الرَّأسِ ذُو بُرْدَيْنِ وَضَّاحُ[4]
خَزٌّ عِمامَتُهُ، حُلْوٌ فُكَاهَتُهُ فِي كَفِّهِ مِنْ رُقَى إِبْلِيسَ مِفْتاحُ

فإنه عَنَى بـ«رُقِى» إبليسَ كلماتِ التغزّل والخلابة والتَّجْمِيش وما يجري مجراها في معاشرة النساء.

١٠٠ ـ **مكيال الشيطان**: قالَ بعضُ الحكماء: العدل ميزانُ الباري، والجور مِكيال الشيطان؛ كأنه أرادَ ما يجري في الكيْل من المجازفة عند الأخذ، ومن التَّطفيف لدى الأداء، فُنسب ذلك إلى الشيطان.

١٠١ ـ **ظلّ الشيطان**: العربُ تقول للمتكبِّر الضَّخْم: ظلُّ الشِّيطان. قال الحجاج لمحمد بن سعد بن أبي وقاص: بينا أنتَ يا ظلّ الشيطان أشدّ الناس كبراً، إذْ صرتَ مؤذِناً لفلان.

---

(١) ط: «ولاه».
(٢) صبعه: أشار إليه بأصبعه.
(٣) جذها: قطعها.
(٤) الترجيل: تسريح الشعر وتنطيفه.

١٠٢ ـ لطِيم الشيطان: يُقال لمن به لَقْوَة أو شَتَر[١]: يا لطيمَ الشيطان وكان عمرو بن سعيد بن العاص يلقّب بذلك.

ولمّا بلغَ عبد اللّه بن الزبير خبر فتك عبد الملك بنِ مروَان بعمرو بن سعيد قال في خطبته: بلَغنا أن أبا الذِّبّان، قتل لَطيمَ الشيطان، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، وكان عبدُ الملك يُكنى أبا الذّبّان لشدة بَخَرِه وموتِ الذِّبّان إذا دنتْ من فمِه.

١٠٣ ـ مُخاط الشيطان: الخيوط التي تتراءى في الهواء عند شدة الحر يُقال لها: مُخاط الشيطان، ولُعاب الشمس، وخيط باطل، ويشبَّه به ما لا حاصل له، وما لا طائل فيه.

وكان مروان بن الحَكَم يُقال له خيط باطل، لأنه كان طويلاً مضطرباً[٢]، قال الشاعر:

لحا اللّه قوماً أمّروا خَيط باطلٍ على الناسِ يُعطِي مَن يشاء ويمنَعُ[٣]

١٠٤ ـ بريد الشيطان: الوزغ، ذكر الجاحظ عن شريك النَّجَعيّ عن جرير، عن عِكرمة، عن ابن عباس رضي اللّه عنهما، قال: الوَزَغ بريد الشيطان[٤].

وفي بعض الأخبار: مَن قتل وزغةً حَطّ اللّه عنه بها سبعين خطيئة، ومن قتل سَبُعاً كان كمن أعتقَ رقبةً.

١٠٥ ـ وكْر الشيطان: قال النبي ﷺ: «إياكم والأسواق، فإنّ الشيطان قد باض فيها وفرّخ»، على سبيل الاستعارة والتمثيل، وقد حذا الصاحب على تشبيهه فقال في وصف بعضِ مَواطن الشرّ: عُشٌّ من أعشاش العُدْوَان، وَوكْرٌ من أوكار الشيطان.

١٠٦ ـ حبائل الشيطان: قال بعض السّلف: احْذَرُوا النساء فإنّهنّ حبائلُ الشيطان.

وجاء في بعض الأشعار:

إن النساء حبائل الشيطان

---

(١) اللقوة: داء في الوجه، والشتر: انقلاب في جفن العين.
(٢) في لطائف المعارف ٣٦ «كان مروان بن الحكم مفرط الطول مع الدقة، فلقّب خيط باطل».
(٣) المسعودي ٣/ ٣٢، ونسبه إلى عبد الرحمن بن عبد الحكم؛ وفي لطائف المعارف ٣٦ من غير نسبة.
(٤) الحيوان ٤/ ٢٨٩.

١٠٧ ـ خمر الشيطان: قال يحيى بن مُعاذ الرازيّ: الدنيا خمر الشيطان، فمن شرب منها لم يُفِقْ من سَكْرتها إلا وهو في عسكر الموتى خاسراً نادماً. والله أعلم.

١٠٨ ـ رؤوس الشياطين: يشبَّه بها ما يُستقبَح ويُستهوَل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤، ٦٥]؛ قال الجاحظ: ليس من الناس من رأى شيطاناً قط على صورته؛ ولكن لما كانَ الله قد جعل في طبائع جميع الأمم استقباح صورة الشيطان واستِسماجه وكراهته، وأجرى هذا على ألسنة جميعهم، ضَرَب المثل به في ذلك؛ رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتفزيع(١) إلى ما جعله في طبائع الأولين والآخرين والشيوخ والصبيان والرجال والنساء(٢).

وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسّرين أنّ رؤوس الشياطين نَبات يَنبت باليَمَن، وقول بعضهم: إنّ الشياطين هٰهنا الحيّات.

وحدث الصُّوليَ بإسناد له عن أبي عبيدة أنه قال: لما قدمتُ من البَصرة وصلت إلى الفضل بن الربيع، فسلّمتُ عليه بالوَزارة، فضحك إليّ واستدناني، حتى جلست بين يديْ فرشه، ثم سألني ولاطفني واستنشدني، فأنشدته عيون أشعار(٣) أحفظها جاهلية(٤)، فقال: قد عرفت أكثر هذه، وأريد من مليح الشعر، فأنشدتُه منها، فَطرِب لها وضحك، وزاد نشاطه، ثم دخل رجلٌ في زِيّ الكتّاب، له هيئة، فأقعده إلى جانبي وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا علّامة أهل البصرة أبو عبيدة، أقدَمْناه لنستفيد منه ومن علمه(٥)، فدعا له الرجل وقرّظه لفعله هذا، وقال لي: والله إنّي كنت مشتاقاً إليك، وقد سئلت عن مسألة، أفتأذن لي أن أعرّفك إيّاها؟ قلت: هات، قال: قال الله عزّ وجل: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾؛ وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقلتُ: إنما كلّمهم الله تعالى بما يعرفون، وعلى كلام العَرَب، أما سمعت قولَ امرىء القيس:

أيقتُلُنِي وَالمَشْرفيُّ مُضاجِعي ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أَغْوالِ(٦)

---

(١) ط: «بالإضافة والتفريغ»، والصواب ما أثبته من ا والحيوان.
(٢) الحيوان ٦/ ٢١٢، ٢١٣ بتصرّف.
(٣) كذا في ا، وفي ط: «أسفارِ».
(٤) أ: «في الجاهلية».
(٥) كذا في ا، وفي ط: «لنستفيد من علمه».
(٦) ديوانه: ٣٣.

وهم لم يَروا الغُول، ولكن لما كان أمرُ الغُول يَهُولهم أُوعِدوا به فاستحسَن الفضلُ ذلك واستحسنَه السائل؛ فعزمت منذ ذلك الوقت أن أضع كتاباً لمثل هذا وأشباهه، فلمّا رجعتُ إلى البَصرة عملتُ كتابي الذي سمّيته «كتاب المجاز»، وسألتُ عن الرجل فقيل: هو من كُتّاب الوزير وجلسائه، يقال له: إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب العبرتاني[١].

(١) الخبر في إنباه الرواة ٣/ ٢٧٧، ٢٧٨.

فيمَا يُضافُ ويُنسَبُ إلى القُرون الأُولى

أحلام عاد، ريحُ عاد، أحمَر ثمود، صاعقةُ ثمود، أكلُ لقمان، نخوةُ فرعون، صَرْح هامان، كنوز قارون، سَدُّ الإسكندر، نوم أصحاب الكهف، جَوْر سَدُوم، جوفُ حمار.

الاسْتِشْهادُ

١٠٩ ـ أحلام عاد: العَرب تضرب المثل بأحلام عاد، لما تتصور من عظيم خلْقها، وتزعم أنّ أحلامها على مقاديرِ أجسامها، قال الشاعر يمدح قوماً:

وأحلام عادٍ لا يخافُ جليسُهُمْ ... وإن نَطقُوا العَوراءَ غَرْب لسانِ(١)

وقال آخر:

كأنما وَرِثوا لقمانَ حِكمَته ... عِلما كما وَرِثوا الأحلامَ عن عادِ

١١٠ ـ ريح عاد: تُضرَب مثلاً في الإهلاك والإفناء، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦] الآية، وقال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

١١١ ـ أحمر ثمود: هو قُدارُ بن سالف، عاقرُ ناقة اللّه، يُضرَب به المثل في الشؤم والشقوة، وقد غلط زهيرٌ في قوله:

فتُنتِجْ لكمْ غِلمانَ أشأمَ كلّهمْ ... كأحمرِ عادٍ ثمّ تُرضعْ فتَفطِمِ(٢)

وكأنه سمع بعادٍ وثمود، فنسب الأحمر إلى عاد على ما تَوَهَّم، وهو من ثمود، وكان قدار أحمرَ أزرق، وهو الذي ذكره اللّه تعالى فقال: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢].

وعن عمّار بن ياسر قال: خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في غزوةِ ذاتِ العُشيْرة

(١) غرب اللسان، أي حدته.
(٢) ديوانه: ٢٠.

فلما قَفَلنا نزلْنا منزلاً، فخرجتُ أنا وعلِيّ بن أبي طالب ننظر إلى قوم يعتملون، فنَعسنا، فسفَتْ علينا التراب، فما نبّهنا إلا رسول اللَّه ﷺ، فقال لعلِيّ رضي اللَّه عنه: يا أبا تراب ـ لِمَا عليه من التراب ـ: أتعلمُ مَن أشقى الناس؟ فقال: خبِّرني يا رسول اللَّه؟ فقال: «أشقى الناس أحمرُ ثمود الذي عقرَ ناقة اللَّه، وأشقاها الذي يخضِب هذه ـ ووَضَعَ يده على لحيته ـ من هذا ـ ووضع يده على قَرْنه»؛ فكان علِيّ رضي اللَّه عنه كثيراً ما يقول عند الضّجر بأصحابه[1]: ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا!

١١٢ ـ صاعقة ثمود: هي الصيْحة التي أخذتهم، فأصبحوا في دارهم جاثِمين، وإنها كانت صيْحة جبريل عليه السلام؛ تُضربُ مثلاً في الإبادة والإفناء، كريح عاد.

ولما قيل: إن الحجاج من بقيّة ثمود قال في خطبة له: أتزعمون أني من بقية ثمود، واللَّه تعالى يقول: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥١] صدَق اللَّه العظيم وكذبْتم أنتم.

ودعا أبو الفرج الببَّغاء على القرامطة فقال: صبّ اللَّه عليهم طُوفانَ نُوح، وحجارةَ لوط، وريح عاد، وصاعقة ثمود.

١١٣ ـ أكل لقمان: هو لقمان العادي صاحب النسور، تَضرِب به العرب المثل في الأكل، فتقول: آكَل من لقمان. وتزعم أنه كان يتغدّى بجزور ويتعشى بمثلِهِ.

١١٤ ـ نَخْوة فرعون: أنشدني الخُوارَزمي لنفسه في اللّحّام[2]:

رأيتُ لِلَّحَّامِ في خَلْقِهِ ... للشِّعرِ تطبيقاً وتجنيساً[3]
نَخْوةُ فرعونَ ولكنه ... جانَسَ في حَملِ العصا موسَى
وغشّ إبليسَ ولكنّه[4] ... خالفَ في السّجدة إبْلِيسا

١١٥ ـ صَرْح هامان: بناه لفرعونَ من الآجُرّ، وهو أوّل من استعمله، كما حكى اللَّه تعالى عن فرعون إذ قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

---

(١) كذا في ا، وفي ط: «لأصحابه».
(٢) ط: «اللجام»، تحريف، وهو أبو الحسن عليّ بن الحسن اللحام الحرَّاني، ترجم له الثعالبي في اليتمية، ٤/ ٩٥ ـ ١٠٨.
(٣) يتيمة الدهر ٤/ ٩٦، وورد البيت في الأصول محرفاً، وأثبت ما في اليتيمة.
(٤) اليتمية: «قرينة إبليس».

ويُقال: إنه جلب الفَعَلة لبناء الصَّرْح وأكثرهم من الخُوز[١]، حتى بَنوا ما يُضرَب به المثل للأبنية الشاهقة الحصينة[٢].

ومن أحسن ما يُحاضَرُ به[٣] من ذلك قول أبي القاسم الزعفرانيّ في تهنئة الصاحب بداره الجديدة، من قصيدة أولها:

سَـرّكَ الـلَّـهُ بـالـبـنـاءِ الـجـديـدِ نِلْتَ حَال الشَّكورِ لا المُستزيد[٤]

هـذه الـدارُ جـنّـةُ الـخـلـدِ فـي الـدّنـ يَا فاغتَنِمْها وأخْتَها في الخلود[٥]

ومنها أيضاً:

ألــزَمَ الإنْــسَ كــلَّ جــافٍ شـديـدٍ عـمـلَ الـجِـنّ كـلَّ جـافٍ مَـريـدِ

فـابـتَـنـوْا مـا لـو أنّ هـامـانَ يَـدْنـو مـنـه لـم يَـرضَ صَـرْحَـه لـلـصـعـودِ

أي للصعود إلى السماء في زعمه لظهور حقارته عندَه.

وقرأتُ في كتاب الجوابات المسكتة لابن أبي عون[٦] أنّ عبد اللّه بن خازم قال يوماً لقَهْرَمانه: إلى أين تمضي يا هامان؟ قال: أبني لكَ صَرْحاً؛ فعجب من جوابه، لأنه أشار إلى أنه فرعون إن كان هو هامان.

١١٦ ـ كنوز هامان: يضرَب بها المثل فيما يُستعظَم قدره من نفائس الأموال لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦].

وقرأتُ فصلاً للخُوارَزمي من رسائله القديمة: لو كنّا نعمل على قَدْر النيّة، لحملنا إليك خراج فارسَ، وعُشْرَ الأهواز، ودَخل البَصرة، وتاجَ كِسْرى، وإكليلَ شِيرين، وكنوزَ قارون، وعَرْش بلْقيس.

١١٧ ـ سَدّ الإسكَندر: هو سدّ يأجوج الذي جاء ذكرُه في القرآن[٧] وتولى بناءه[٨]

---

(١) الخوز: جيل من الناس.
(٢) في ا «الرفيعة».
(٣) ط: «أحاضر».
(٤) يتمية الدهر جـ٣/ ١٨٨.
(٥) أ: «فضلها وأختها بالخلود».
(٦) ط: «أبو عون»، خطأ، صوابه في ا، وهو إسحاق إبراهيم بن أبي عون، ذكره وذكر كتابه ابن النديم في الفهرست ١٣٧.
(٧) وهو قوله تعالى في سورة الكهف: ٩٤ ﴿فَهَلْ نَجعَلُ لكَ خَرْجاً عَلَى أن تجعَلَ بيننا وبينَهُمْ سَدّاً﴾.
(٨) أ: «وتولاه».

ذو القَرنين، وهو الإسكندر عند أكثرِ الناس، يُضرَب به المَثَل في الحَصانة والوثاقة، قال المتنبي:

كأني دَحَوْتُ الأرضَ من خبرتي بها   كأني بَنَى الإسكندر السدَّ من عَزْمي(١)

وقد ضَربَ به المثل ابن طبَاطَبا العلويّ أيضاً فقال وهو يهجو أبا عليّ بن رُستَم، ويذكر بناءه سُوَر أصْبِهَان ويرمي حُرَته [بآزريون غلامه](٢):

يا رسْتَميّ استعمِل الجِدّا   وكدَّنا في حظّنا كدّا
فإنك المأمولُ والمُرتَجَى   تُهوِّن الخَطْبَ إذا اشتدّا
أحكمتَ مِنْ ذا السُّور ما لم تجِد   واللَّه مِن إحكامه بُدّا
فخلفه نسلٌ كثيرٌ لمن   أصْفَت لآزريونها الوُدّا(٢)
وهم كيأجوجَ ومأجوجَ إنْ   عددتَهمْ لم تُحْصِهمْ عَدّا
وأنتَ ذو القَرْنَين في عَصرِنا   جعلتَه ما بينَهم سَدّا

١١٨ ـ **نوم أصحاب الكهف**: يُضرَب مثلاً للنوم الكثير، لأن اللَّه تعالى يقول في قصّتهم: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١]، قال ابن الحجّاج:

قوموا فأهلُ الكهف مع   عبّودَ عندكُمُ صَراصِرْ

وقصّة عبّود ستمر في مكانها من الكتاب(٣) إن شاء اللَّه تعالى.

١١٩ ـ **جَوْر سَدُوم**: سَدُوم كان مَلكاً في الزمن الأول جائراً، وله قاضٍ أجوَرُ منه، يُضرَب به المثل، أجوَرُ من قاضي سَدُوم(٤).

قال أبو الليث(٥) في موسى بن خلف، صاحب ابنِ الفُرات:

أفّ مِن دولةٍ بموسى تقومُ   ما نراها مع البلاء تدومُ
ما قَضى مثلَ ما به النّذلُ يَقضِي   في جميع الأمور قطُّ سَدومُ

(١) ديوانه: ٤/ ٥٢.
(٢) أ: «أمنت» تصحيف.
(٣) عند الكلام على «نومة عبود»، رقم ٢٠٣.
(٤) الميداني ١/ ١٩٠، قال: «سدوم ـ بفتح السين ـ مدينة من مدائن قوم لوط عليه السلام».
(٥) كذا في ا، وفي ط: «اللفت».

وقال آخر:

لا تَبغْ عُقدةَ مالٍ خِيفةَ الجارِ الغَشومِ
واصطبِرْ للفَلَكِ الجا ري على كلِّ ظَلومِ
فهوَ الدائرُ بالأمـ ـرِ على آلِ سَدومِ

١٢٠ ـ جوف حمار: من أمثال العرب: هو أكفرُ من حِمَار، وأخلَى من جوفِ حمار[١]؛ وهو رجلٌ من عاد، يُقال له حمار بنُ مويلِع، وجوفُه وادٍ له طويل عريض، لم يكن ببلاد العَرَب أخصب منه، وفيه من كلّ الثمرات، فخرج بنُوه يتصيّدون؛ فأصابتهم صاعقة فهلكوا، فكفر وقال: لا أعبد مَن فعل هذا بِبَنيّ، ودعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قَتَله؛ فأهلكه اللّه تعالى وأخرب واديه؛ فضَرَب العرب به المثلَ في الخراب والخلاء، قال الأفوَه الأوْدِيّ:

وبِشؤم البَغْي والغَشْمِ قديماً قدْ خلا جوفٌ ولم يبقَ حمارُ[٢]

وقال امرؤ القيس:

ووادٍ كجَوفِ العَيْرِ قَفْرٍ قطعتُه بِهِ الذّئب يعوِي كالخليع المعيّلِ[٣]

(١) الميداني ١/ ٢٥٧، ٢/ ١٦٨.
(٢) الميداني ١/ ٢٥٧ من غير نسبة.
(٣) ملحق ديوانه: ٣٧٢.

فيمَا يُضافُ ويُنسَبُ إلى الصحابةِ والتّابعين رضي اللّه عنهم

سيرة العُمَرَين، دِرّة عمر، قميص عثمان، فضائل عليّ، صدق أبي ذَرّ، مِشية أبي دُجانة، دَهاء معاوية، فقه العبادلة، وليمة الأشعثِ، حِلم الأحنف، زَكَن إياس، زُهد الحسن، وَرَع ابنِ سيرين، سَجْع المختار، شَجّة عبد الحميد.

الاسْتِشْهادُ

١٢١ ـ سيرة العُمَرين: هما أبو بكر وعمر رضي اللّه عنهما، يُضرب بسيرتهما المثل إذ لا عهد[١] بمثلهما بعد النبي ﷺ. وكان عبد الملك بنُ مروانَ يقول: أَنصفونا يا معشر الرعيّة، تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر، ولا تسيرون فينا ولا في أنفسكم بسيرة رعيّةِ أبي بكر وعمر! نسأل اللّه أن يعين كُلّا على كُلّ.

وقال البحتريّ:

إنّ الرعيّة لم تزَل في سيرةٍ عُمَريّة مذ ساسَها المتوكّلُ[٢]

وقال بعض البلغاء وقد ذكر بعض الملوك: رأيت صورة قمرية، وسيرة عُمَريّة.

وقال آخر: رأيت بفلان نورَ القَمَرين، وعَدْلَ العُمَرين.

١٢٢ ـ دِرّة عمر: قال الشعبيّ: كانت دِرّة عمرَ أهيَب من سيف الحجّاج.

ولما جيء بالهُرْمُزانِ ملك خوزستان أسيراً إلى عمر رضي اللّه عنه، وافق ذلك غيبته عن[٣] منزله، فما زال الموكّل بالهرمُزان يقتفي أثَرَ عمرَ حتى عثر عليه في بعض المساجد نائماً متوسداً درته، فلما رآه الهُرمُزان قال: هذا واللّه المُلْك الهنيء، عدلْتَ فأمِنتَ فنمتَ! واللّه إني قد خدمت أربعةً من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان، فما هِبْتُ أحداً منهم هَيْبتي لصاحب هذه الدِّرّة.

---

(١) ط: «لم يعهد».

(٢) ديوانه: ٢/١٩٦.

(٣) أ: «من».

١٢٣ ـ قميص عثمان: هو قميصه المضرَّج بالدم الذي قُتل فيه، يُضرب به المثل للشيء يكون سبباً للتحريش، وذلك أنّ عمْرو بن العاص رضي اللّه عنه، لما أحسّ من عسكر معاوية بصفِّين فتوراً في المحاربة، أشار عليه بأن يُبرز لهم قميصَ عثمان، ليستأنفوا جداً جديداً في الانتقاض[١] والمنازعة، ففعل ذلك معاوية، فحين وقعتْ أعين القوم على القميص ارتفعت ضجتهم بالبكاء والنَّحيب، وتحرّكَ منهم الساكن، وثارَ من حقودهم الكامن، فعندها قال عمرو: حَرِّكْ لها حُوارَها تحِنّ[٢].

وعلى ذكر هذا القميص فإن المتوكل لما قتله الأتراك بمواطأة المنتصِر، وأَفْضَى الأمرُ بعدَه وبعد المنتصر والمستعين إلى المعتز، لم تزل أمّه قبيحة تحرّضه على الإيقاع بقَتَلة أبيه[٣] وتلومُه على مَيْله لهم دون طلب الثأر منهم، وكان المعتز يعدِها ويُمنّيها، وهو يعلم أنه لا يقوى عليهم مع كثرة عددهم، وشدة شوكتهم وغلبتهم على أمور الخلافة، فأبرزت قبيحة يوماً للمعتز قميصَ المتوكل الذي قُتِل فيه وهو مضرّج بالدم، وجعلتْ تبكي وتبالغ في التقريع والتحريض كل المبالغة، فلمّا طال ذلك منها قال لها المعتز: يا أمّي، ارفعي القميصَ وإلا صار قميصين، فعندها أمسكتْ ولم تَعُد لعادتها.

١٢٤ ـ فضائل عليّ: يُضرب بها المَثل في الكثرة، كما قال محمد بن مكرّم لأبي عليّ البصير: فُضولُك واللّهِ أكثرُ من فضائل عليّ.

وقال الجاحظ: لا يُعلَم رجل في الأرض متى ذكر السبق في الإسلام والتقدم[٤] فيه، ومتى ذكرت النجدَة والذّبّ عن الإسلام، ومتى ذكر الفقه في الدين، ومتى ذكر الزهد في الأموال التي تتناجز الناس عليها، ومتى ذكر الإعطاء في الماعون، كان مذكوراً في هذه الخِلال كلّها، إلا عليّ رضي اللّه عنه.

وكان الحسن يقول: قد يكون الرجل عالماً وليس بعابد، وعابداً وليس بعالم، وعالماً عابداً وليس بعاقل؛ وسليمان بن يسار عالم عابد عاقل[٥]، فانظر أين تقع خلالُ سليمانَ من خصالِ عليّ!.

---

(١) ط: «الامتعاض».
(٢) الميداني ١/ ١٩١، والحوار: ولد الناقة.
(٣) ط: «بأبيه»، وهو خطأ.
(٤) ا: «القدم».
(٥) ساقط من ا.

١٢٥ ـ صدق أبي ذَرّ: يُضرب به المثل. ويُروَى أن النبي ﷺ كان يقول: «ما أظلّت الخَضْراء، ولا أقلّت الغَبْراء بعد النَّبيِّين أصدَقَ لهجةً من أبي ذَرّ».

ومن أملَحِ ما سمعتُ في ضرب المثل به قولُ الصاحب في إنسان كَذوب: الفاختة عنده أبو ذَرّ[١]؛ لأنّ الفاختة يُضْرَب بها المثل في الكذِب، وأبو ذَرّ يُضرَب به المثل في الصدق.

١٢٦ ـ مِشية أبي دُجانة: هو سِماك بن خَرَشَة الأنصاري رضي اللّه عنه، كان شجاعاً بطلاً قد تعوَّد الإقدام حيث تزلُّ الأقدام، وله آثار جميلة في الإسلام، وكانت له مِشية عجيبة في الخُيَلاء، ونظر ﷺ إليه في المعركة وهو يتبختر بين الصفّين فقال: «إن هذه مشيةٌ يبغضها اللّه إلا في هذا المكان».

وكان يقال له: ذو المشهَّرة، لأنه كانت له مشهَّرة إذا لبسها في الحرب لا يُبقي ولا يَذَر.

١٢٧ ـ دهاء معاوية: ذلك مما اشتهر[٢] أمره، وسار ذكره، وكثُرت الروايات والحكايات فيه. ووقع الإجماع على أنّ الدُّهاة أربعة: معاويةُ وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه؛ رضي اللّه عنهم؛ فلما كان معاوية بحيث هو من الدهاء وبُعد الغَوْر، وانضم إليه الدُّهاة الثلاثة الذين يرَوْن بأوّل آرائهم أواخرَ الأمور، فكان لا يقطع أمراً حتى يَشهدوه، ولا يشتضيء في ظُلَم الخُطوب إلّا بمصابيح آرائهم، سلم له أمر المُلك[٣]، وألقتْ إليه الدنيا أزمّتها، وصار دهاؤه ودهاء أصحابه الثلاثة مَثَلاً؛ ولم يذكر معهم في الدهاء إلا قيس بن سعد بن عُبادة، وعبد اللّه بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعيّ.

١٢٨ ـ فقه العبادلة: هم عبد اللّه بن مسعود، وعبد اللّه بن عبّاس وعبد اللّه بن عمر بن الخطاب، وعبد اللّه بن الزبير، وعبد اللّه بن عمرو بن العاص؛ فهؤلاء من فقهاء الصحابة وأثباتهم وعلمائهم، ومن أنبههم.

---

(١) الفاختة من ذوات الأطواق، ويقال لها الصلصل أيضاً، قال الدميري: «والعرب تصفها بالكذب، فإن صوتها عندهم: «هذا أوان الرطب»؛ وتقول ذلك والنخل لم يطلع، قال الشاعر:

أَكْذَبُ مِنْ فاخِتَةٍ ... تقولُ وَسْطَ الكَرَبِ
والطَّلْعُ لم يَبْدُ لَها: ... هذا أوانُ الرُّطَبِ

(٢) أ: «ما شهر».

(٣) أ: «اطرد له ذلك».

ومن عبادِلَتهم أيضاً عبد اللَّه بن أبي طالب، وعبد اللَّه بن أبي بكر الصدّيق رضي اللَّه تعالى عنهم أجمعين.

١٢٩ ـ وليمة الأشعث: كان الأشعث بنُ قيس بن مَعدِي كرِبَ الكِندي ارتدّ في جملة أهل الرِّدّة، فلمّا أُتِيَ به لأبي بكر رضي اللَّه عنه أسيراً استتابه وأطلقه، وزوّجه أخته أم فَرْوَة بنت أبي قُحافة، فأصبح صبيحةَ البِناء، وخرج شاهراً سيفَه، فلم يَلقَ ذات أربع مما يؤكل لحمُه إلا عقَرها، فقال الناس: هذا الأشعث قد ارتدّ ثانية. ثم إنه قال: يا أهل المدينة، إنا واللَّه لو كنا ببلادنا لأوْلَمْنا، فاجتزروا من هذه اللحمان، وتصادقوا في الأثمان؛ فلم يبق دارٌ من دور المدينة إلّا دخلها من تلك اللحوم، ولم يُرَ يومٌ أشبه بيوم الأضحى من ذلك، فضَرب أهل المدينة المثلَ بوليمة الأشعث، فقالوا: وليمة الأشعث، وأَوْلَم من الأشعث[١].

١٣٠ ـ حِلْم الأحنف: قال الجاحظ: قد ذكروا في الأشعار حِلم لقمان، ولُقَيم[٢] بن لقمان، وذكروا قيس بنَ عاصم، ومعاوية بن أبي سُفْيان، ورجالاً كثيراً ما رأينا هذا الاسم التزق بأحد والتَحم بإنسان وظهر على الألسنة كما رأيناه، تهيّأ للأحنف بن قيس؛ ثم كان مع[٣] ذلك رئيساً في أكثر تلك الفتن؛ فلم يرَ حاله عند الخاصة والعامة، وعند النسّاك والفُتّاك، وعند الخلفاء الراشدين، والملوك المتغلّبين، ولا حالُه في حياته، ولا حالُه بعد موته إلا مستوياً، فينبغي أن يكون قد سبقتْ له من النبي ﷺ دَعوة، وقال فيه كما روَوْه وذكروه. أو يكون قد كان يضمر من حُسن النيّة ومن شدة الإخلاص ما لم يكن عليه أحد من نظرائه. فإن قال قائل: تزعمون أنّ عبد المطلب كان أحلمَ الناس، وكذلك العبّاس بن عبد المطلب، قلنا: إنّ الأحنف كان الحِلم سيد عمله، فبان حلمُه من سائر أعماله، ومحاسن عبد المطلّب وخِصال العباس في المجد والشرف كانت متكافئةً متساوية، كل خَصلة منها تنتصف من أختها، فكانت كما قال الشاعر:

إنِّي غَرِضْتُ إلى تَناصفِ وجهِها ... غَرضَ المُحبّ إلى الحبيب الغائبِ[٤]

وإذا كانت الخصال كذلك لم يغلب على صاحبها اسم دون اسم، ورجع الأمر إلى أن يسمّى سيداً، وما أشبه ذلك من الأسماء الخاصة.

---

(١) الميداني ٢/ ٣٧٩.
(٢) ط: «يقيم» تحريف».
(٣) ط: «على».
(٤) البيت مع آخر في الكامل ٢/ ٣٣ من غير نسبة. غرضت: اشتقت. والتناصف: الحسن.

١٣١ ـ زُهد الحسن: قال الجاحظ: كان الحسن رضي اللّه تعالى عنه يُستَثنى من كل غاية؛ وقالوا: أزهدَ الناس إلّا الحسن، وأفقهَ الناس إلا الحسن، وأفصَح الناس إلا الحسن، وأخطَب الناس إلا الحسن؛ وعلى هذا كان جميع كلامهم.

١٣٢ ـ وَرَع ابنِ سيرين: قال الجاحظ: كان يُقال: زُهْد الحسن، ووَرَع ابنِ سيرين، وعَقلُ مُطرِّف، وحِفظ قَتادة، وكلهم من البَصْرة[١]، قال الشاعر:

فأنت بالليل ذئبٌ لا حريمَ له وبالنهارِ على سَمْتِ ابنِ سيرينِ[٢]

لمَّا لم يستقم له أن يقول: «على ورع ابن سيرين»، أقامَ السَّمْت مَقامه وأحسَن، وهذا من لطائف الشعر.

١٣٣ ـ سَجْع المختار: كان المختار بن أبي عُبيد الثَّقفي لا يوقَف له على مذهب؛ كان خارجياً، ثم صار زُبيريًّا، ثم صار رافضيًّا، يدعو إلى محمد بن الحنفية، ويطلب بدم الحسين رضي اللّه عنه؛ وتغلّب على الكوفة، وفعل الأفاعيل، فقيل له: يا أبا إسحاق، كيف خرجتَ تدعو إلى هؤلاء القوم ولم تُعرف بالتشيُّع لهم! فقال: إني رأيت مروان وَثَب على الشام، وابنَ الزبير على مكة، ونجدة[٣] على اليمامة، وابنَ خازم[٤] على خُراسان، وواللّه ما أنا دونهم.

وكان يدَّعي أنه يُلهَم ضرباً من السَّجع لأمور تكون، ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس: هذا من عند اللّه.

ولمَّا قيل لابن عباسَ رضي اللّه عنهما: إن المختار يزعم أنه يوحَى إليه قال: صدق المختار، يعني قولَ اللّه عزّ ذكره: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقيل للمختار: إنك تقول أشياء فلا تكون؛ فقال: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

فمن اسجاعه أنه قال ذاتَ يوم: لتَنزلَنّ من السماء، نارٌ دَهْماء، ولتحرقنّ دار أسماء؛ فذكر ذلك لأسماء بن خارجة، فقال: أوَقد سجع بي أبو إسحاق! هو واللّه محرِّق داري. فتركه والدار وهَرَب من الكوفة.

---

(١) البيان والتبيين ١/ ٢٤٢.
(٢) الحيوان ٤/ ٣٩١.
(٣) نجدة بن عامر الحنفي.
(٤) هو عبد الله خازم، وانظر تاريخ الطبري، حوادث سنة ٦٦.

وقال في بعض سَجْعه: أما والذي شرع الأديان، وحَبّب الإيمان، وكَرّه العصيان، لأقتلنّ أزْدعُمان، وجُلَّ قيس عيْلان، وتميما أولياء الشيطان، حاشا النجيب ظَبْيان[١]: فكان ظَبْيان يقول: لم أزل في عصر المختار أتقلّب آمناً.

ويُروَى أن النبي ﷺ قال: «إنّ لثقيف كذاباً ومبيراً». فقيل: هما المختار والحَجّاج.

ومن المختار يقول أبو تمام متمثلاً:

والهاشميّون استقلَّت عيرُهُمْ   من كَرْبَلاء بأعظم الأوتار[٢]
فَشفاهُم المختار منه ولم يكن   في دينه المختار بالمختارِ

وقال أعشى هَمْدانَ في أيام ابن الأشعث للحجّاج:

إنَّ ثَقيفاً منهُمُ الكذّابانْ   كذّابُها الماضي وكذّابٌ ثانْ

ومن ظريف ما يُحكَى من حِيَل المختار أنّه كان عنده كرسيّ قديم العهد، فغشَّاه بالدِّيباج وقال: هذا الكرسيّ من ذخائر أمير المؤمنين علِيّ بن أبي طالب، فضعوه في حَوْمة القتال وقاتِلوا عنه، فإنّ محلّه فيكم محلّ السكينة في بني إسرائيل. ويُقال: إنه كان اشتراه من نجّار بدرهمين.

ولمّا وجّه المختار إبراهيمَ الأشتَر إلى حرب عُبيد اللّه بن زياد خرج يشيّعه ماشياً، فقال له إبراهيم: اركبْ يا أبا إسحاق، فقال له: إنّي أحب أن تغبَّر قَدَمَايَ في نُصرة آل محمد ﷺ: فشيّعه فرسخين، ودفع إلى قوم من خاصَّته حمائم بيضاً ضِخاماً، وقال لهم: إن رأيتم الأمر علينا فأرسِلوها في المعركة، وقال للناس: إنِّي أجد في مُحكم الكتاب، وفي اليقين والصواب، أنّ اللّه ممِدُّكم بملائكة غِضاب، تأتي في صُوَر الحمام دون السحاب. فلما التقت الفئتان، وكادت الدَّبْرة تكون على عسكر ابن الأشتر أرسِلَت الحمائم البيض، فتصايح الناس: الملائكة، الملائكة! فتراجعوا، فأسرع القتلُ في أصحاب عُبيد اللّه، ثم انكشفوا ووضعوا السيوف فيهم حتّى أفنوهم، فقال ابن الأشتر: لقد ضربتُ رجلاً على شاطىء النهر ورجع إليّ سيفي تنفح منه رائحة المِسك، ورأيت له إقداماً وجُرأة، فصرعْتُه، فشرّقت يداه، وغرّبت رجلاه، فانظروا مَن هو؟ فنظروا فإذا هو عبيد اللّه بن زياد.

١٣٤ ـ زكَن إياس: هو أبو وائلة إياسُ بن معاوية، وكان قاضياً فائقاً، زَكِناً

(١) ظبيان بن عمارة التميمي، وكان له شأن مع المختار، وانظر تاريخ الطبري ٦/ ٦٠.
(٢) ديوانه: ٢/ ٢٠٢.

يُضرب بزَكَنه المثل. ولما أراد أبو تمام أن يتمثّل به في شعر له ولم يستَوِ له الوَزْن أن يَذكُر زَكنَه في البيت أقام الذكاء مقام الزَّكَن، فقال:

إِقدامُ عَمروٍ في سماحة حاتمٍ في حِلم أحنف في ذَكاءِ إياسِ[١]

ولأبي الحسن المدائنيّ كتابٌ مقصور على زكَن[٢] إياسٍ وإبراز نوادره.

وحَكَى الجاحظ عنه قال: كان إياس وهو صغير ضعيفاً ضئيلاً[٣]، وكان له أخٌ أشدّ حركةً منه وأقوى، فكان معاوية أبوه يقدِّمه على إياس، فقال له إياس يوماً: يا أبتِ، إنك تقدِّم أخي علَيّ وسأضرب لك مَثَله ومَثَلي، فهو مثلُ الفرّوج حين تنفلق عنه البيضة يَخرُج كاسياً كافياً نفسَه فيلقُط[٤] ويستخفّه الناس، فكلما كبر انتُقِص، حتى إذا تم فصار دجاجةً لم يصلح إلّا للذبح وأنا مثل فَرْخ الحمام تنفلق عنه البيضة عن شيء ساقط لا يَقدِر على حَركة، وأبواه يغذِّيانه[٥] حتى يَقوَى ويُثبت ريشه ثمّ يُحسن بعد ذلك ويطيرُ. ويتخذه[٦] الناس ويرسلونه من المواضع البعيدة[٧]، فيجيء، فيُصان لذلك ويُكرَم، ويُشتَرى بالأثمان الغالية، فقال له أبوه: لقد أحسنتَ المثل! فقدمه على أخيه، فوجد عنده أكثر مما ظن منه به؛ وخرج إياس باقعة منقطعَ النظير[٨].

وزعم الأصمعيّ أن إياساً نظر إلى رجل من ثَقيفَ أبيض بضّ، فقال له: أهندية أمُّك؟ قال: لا واللَّه ما ضربت في هندية ولا هندي قط بعرق، قال: بلى واللَّه وإن جهلتَ، وإني لأرى فيك آثارَ ذلك، قال: لا واللَّه إلا اللّبَن والحضانة، فإن خادمة هندية كانت لأمي أرضعتني مدة مديدة، قال: فمن ذلك[٩]!.

وقال المدائنيّ: حجَّ إياس فسمع نُباحَ كلب، فقال: هذا كلب مشدود، ثم سمِع نُباحه. فقال: قد أُرسِل، فلما انتهوا من الماء سألوا أهله، فكان كما

---

(١) ديوانه: ٢/ ٢٤٩.
(٢) الزكن: التفرس والظن.
(٣) الحيوان: «ضعيفاً رقيقاً دميماً».
(٤) الحيوان: «يلتقط».
(٥) الحيوان: «يغذوانه».
(٦) ا ط: «يتخذونه»، الحيوان: «وتجد به الناس».
(٧) الحيوان: «ويكرمونه ويرسل من المواضع البعيدة».
(٨) الحيوان ٢/ ٢٧٨، ٢٧٩، وفيه: «مما كان يظن فيه».
(٩) فمن ذلك؛ يعني رضاعه من الهندية مدة.

قال[1]، فقيل له: كيف علمتَ أنّه موثق، وأنّه قد أُطلِق؟ فقال: كان نُباحُه وهو موثَق يُسمَع من مكانٍ واحد، فلما أُطْلِق سمعتُه يقرُب مرة ويبعد أخرى، ويتصرف في ذلك[2].

ومرّ ذات ليلة [بماء][3] فقال: أسمع صوتَ كلب غريب؛ فقيل له: كيف عرفتَ ذلك؟ قال: بخضوع صوته، وشدّة نُباحِ الآخر؛ فسألوا عنه؛ فإذا كلبٌ[4] غريب، وإذا كلبٌ ينبحه[5].

وقال رجل لإياس: أنا أصنع مثل ما تصنع، فنظر إياسٌ إلى صَدْع في الأرض فقال: ما في هذا الصَّدْع؟ قالَ: لا أدري، وما أرىَ شيئاً. قال إياس: فيه دابّة، فنظروا فإذا فيه دابّة، فقال إياس: إن الأرض لا تنصَدِع إلّا عن دابَّةٍ أو نبات.

ونظر يوماً بواسط في الرّحبَة إلى آجُرَّةٍ، فقال: تحتَ هذه الآجُرة دابَّةٌ، فنزعوها[6] فإذا تحتها حيّة مطوّقة[7]، فسئل عن ذلك، فقال: إني[8] رأيتُ ما بين الآجُرّتين ندِيًّا من بين جميع الرّحبَة، فعلمتُ أن تحتها شيئاً يتنفّس[9].

ورأى أثَر رَعْيِ بعير: فقال: هذا بعيرٌ أعوَر؛ فنظروا، فكان كما قال فقيل له: من أين علمتَ هذا؟ فقال: لأني وجدتُ رَعْيَهُ من جهة واحدة.

١٣٥ ـ شَجّة عبد الحميد: تُضرب مثلاً للعَوْرة تصيب الإنسانَ الجميلَ فلا تَشينه، بل تزيده حُسناً، فكان عبد الحميد بنِ عبد اللّه بن عمرَ بن الخطاب من أجملِ أهلِ دهره، فأصابتْه شَجّة في وجهه، فلم تَشِنه، بل استحسنَها الناسُ. وكان النساء يُخطّطن في وجوههنّ شَجّة عبد الحميد. واللّه أعلم.

---

(١) ط: «موثوق»، والصواب ما أثبته من الحيوان، أوثقه، أي شدّه، وبعدها في الحيوان: «فقال له غيلان أبو مروان».
(٢) الحيوان ٢/ ٧٥، ٧٦.
(٣) من الحيوان.
(٤) الحيوان: «فإذا هو غريب».
(٥) الحيوان ٢/ ٧٦، وفيه: «والكلاب تنبحه».
(٦) الحيوان: «فنزعوا الآجرة».
(٧) الحيوان: «متطوقة».
(٨) الحيوان: «لأني».
(٩) الحيوان ٦/ ٤٨١.

في ذِكر رجَالات العرب في الجاهلية والإسلام مختلِفي الألقاب والمراتب مضافين إلى أشياء مختلفة يُضرَبُ بأكثرهم الأمثال

قريش الأباطح، شَيْبة الحمد، حاتم طيِّئ، كُليب وائل، زيد الخيل، مُلاعب الأسنّة، سَحْبان وائل، أزواد الركب، عُرْوة الصَّعاليك، أبو عروة السباع[1]، سعد العشيرة، سعد المطر، دُعيْميص الرمل، سُلَيك المقانب، عرّاف اليمامة، شيخ مَهْو، حَنيف الحناتم، وافد البَراجِم، يَسار الكواعب، طُفيل العرائس، سعد القرقرة، وَضّاح اليَمَن، مجنون بني عامر، شيخ المَضيرة، أمين الأُمَّة، حواريّ النبي، ربانيّ الأمّة، أشجّ بني أميّة، جبّار بني العباس.

الاسْتِشْهادُ

١٣٦ ـ قريش الأباطح: يُقال لهم أيضاً: قريش البِطاح، لأنهم لُبابُ قريش وصميمها الذين اختطوا بطَحاء[2] مكة، وهي سُرّتها، فنزلوها. وهم بنو عبد مناف، وبنو عبد الدار، وبنو عبد العُزّى، وبنو زُهْرة، وبنو تَميم بن مرّة، وبنو مخزوم، وبنو سَهْم، وجُمَح، وبنو عَدِيّ بن كعب؛ وبنو عامر بن لؤيّ، وبنو هلال بن أهيب بن ضبّة بن الحارث بن فِهر، ويقال لهم: الأبطحيّون أيضاً، قال خَلَف بنُ خليفة حين ذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة:

وقامت قريشٌ قريشُ البِطاحِ ... مع العُصَبِ الأوَلِ الداخلَهْ

(١) هكذا ورد في الأصول، ولعل الصواب: «زجر أبي عروة» كما ورد في بيت النابغة الجعدي. وانظر ديوانه: ١٥٨.
(٢) أ: «ببطحاء».

وما أحسنَ ما قال البحتريّ يمدح المتوكل:

يا بن الأباطح من أرضٍ أباطِحُها ... في ذِرْوَةِ المجدِ أعلى من رَوابيها[١]
ما ضيّعَ اللّهُ في بَدْوٍ وَلَا حَضَرٍ ... رعيّةً أنتَ بالإحسان راعِيها

فهؤلاء قريشُ الأباطح؛ وأما قريش الظَّواهر فهم الذين لم تَسَعْهم الأباطح، فنزلوا ظواهر مكة، وهم مَعيص بن عامر بن لؤيّ، وتَيْم بن غالب بن فِهر، ومحارب والحارث، ابنا فِهر.

١٣٧ ـ **شَيبة الحمد**: كان يقال لعبد المطلب بن هاشم: شيْبة الحمد، لنور وجهه، وذلك أنه كانت في ذؤابته شعرة بيضاء حين وُلِد، فسُمِّيَ شَيبةَ الحمد، وفيه يقول حُذافة بن غانم:

بنو شَيبة الحمدِ الذي كان وجهُه ... يضيء ظلامَ الليل كالقمر البدرِ[٢]

١٣٨ ـ **حاتم طيئ**: جَواد العَرَب المضروب به في الجُود المثل، أنشدَ الجاحظ لأبي الشَّمقمق:

لمَّا سألتُك شيئاً ... أَبدلْتَ رُشْداً بِغَيٍّ
ممّن تعلّمتَ هذا ... أَلَّا تجودَ بشيٍّ!
أما مررتَ بعبدِ ... لِعبدِ حاتِم طيّ

وقال آخر:

أَلجودُ حاتمُ طيّ ... وحاتم البُخل عَوْنُ
له مَطابخُ بِيضٌ ... والعِرضُ أسودُ جَوْنُ

ونظر أصْرَم[٣] بن حُميد الطُّوسيّ إلى رجل يقول: أنا مسلوب الغنى؛ فنزل عن بِرْذَونه وأعطاه إيّاه، فأنشأ يقول أبياتاً منها:

إليّ مَسلوب الغِنَى إليّ ... حاتم طيّ وحُمَيد طيْ
مدار أحياء العلا عليّ

وقال الصاحب لابن العَميد:

وهو إنْ جادَ ذُمّ حاتمُ طيٍّ ... وهو إنْ قال قَلَّ قُسُّ إيادِ

(١) ديوانه: ٢/ ٣٢٠.
(٢) من أبيات في الأغاني ٨/ ٢٢٩.
(٣) كذا في ا، وفي ط «أحرم»، تصحيف.

وأخبارُه في الجُود أكثر من أن تُحصَى، وأشهر من أن ينبه عليها. ومن أحاسنها أنه قسم مالَه بضع عشرة مرة؛ ومرّ في سفر له على بني عَنَزة ولهم أسير في القِدّ، فاستغاث به ولم يَحضُره فَكاكُه، ففاداه وخلّاه، وأقام مقامه في القِدّ حتى أُدِّيَ فِداؤُه.

وَرَوَت الرواة بالأسانيد عن مِلْحانِ ابن أخي ماويةَ امرأة حاتم، قال: قلت لها: يا عمتي، حدثيني ببعض عجائب حاتم؛ فقالت: كل أمره عجيب[١] فعن أيّه تسأل؟ قلتُ: حدثيني بما شئتِ[٢]، قالت: أصابت الناس سنة أذهبت الخُفّ والظِّلْف، وأكلت النفوس، فبتنا ذات ليلة وقد أسهرنا الجوع[٣]، فأخذ هو عَدِيّاً، وأخذتُ أنا سَفّانةَ، وجعلنا نعللهما حتى ناما، ثم أقبل علَيّ يعللني بالحديث حتى أنام، فرققتُ لما به من الجَهْد، وأمسكت عن كلامه لينام، فقال لي: أنمتِ؟ وكررها مراراً، فلم أجِبه؛ فسَكتَ، ثم نظر من فَتْق الخِباء، فإذا بشخص قد أقبَل، فرفع رأسه، فإذا امرأة تقول: يا أبا سَفّانة، أتيتُك من عند صِبية يتعاوَوْن من الجوع كالذباب، فقال: أَحضِريهم، فواللَّه لأُشبِعنّهم، قالت: فقمتُ سريعاً، وقلتُ: بماذا! فواللَّه ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل، [فقال: واللَّه لأشبعنّ صبيانك مع صبيانها][٤]، فلما جاءت الصبيّة قام حاتم إلى فرسه فذَبحه، ثم قَدَح ناراً وأجّجها ودفع إليها شَفْرة[٥]، وقال لها: اشوي وكُلي، ثم قال لي: أيقظي صَبِيَّيْكِ، فأَيقَظْتهما، ثم قال: واللَّه إنّ هذا لَلُؤم أن تأكلوا وأهل الحي[٦] جِياع! فجعل يأتي بيتاً بيتاً ويقول: انهضوا، عليكم بالنار؛ فاجتَمعوا حول الفَرَس، وتقنَّع هو بكسائه، وجلس ناحية، فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليلٌ ولا كثير إلا حوافره، وإنه لأشدّ جوعاً منهم، وما ذاقه[٧].

١٣٩ ـ كُلَيب وائل: كان سيّد ربيعة في زمانه، قاد نزاراً كلّها. والعَرَب تَضرب به المثل في العزّ والقوة والظلم[٨]، وكان لا يظلم إلا القوي، وبلغ من عزّه وظلمه أنّه كان يَحمِي الكلأ، فلا يقرب أحد حِماه، ويُجير الصيد فلا يُهاج؛ وكان

(١) الأغاني: «عجب».
(٢) الأغاني: «ما شئت».
(٣) الأغاني: «فإني الليلة قد أسهرني الجوع».
(٤) من الأغاني.
(٥) كذا في الأغاني وفي ط: «بعضه».
(٦) الأغاني: «الصرم»، ويُراد به الحي.
(٧) الأغاني ١٦/ ١٠٤، ١٠٥ (ساسي):
(٨) الميداني ٢/ ٤٢، ولفظ المثل: «أعز من كليب وائل».

الناس إذا وردوا الماء لم يسبق أحد منهم إلّا بأمره، وإن أصابهم مطر وقد ظمئوا لا يخوض إنسان حوضاً إلّا على ما فَضَل عنه. وكان إذا أتى الماء وقد سبق إليه أحد ألقَى عليه الكلاب فتَنهشه؛ وكان يعمِد إلى الرّوضة تعجبه فيأمر بأن يؤخذ كلب وتُشدّ قوائمه فيُلقَى في وسطها، فحيث بلغ عُواؤه كان حمًى لا يُرْعَى. وكان لا يمرُّ بين يديه أحد إذا جلس، ولا يحتبي في مجلسه غيره، ولا يرفع الصوتَ عنده. ولما قتله من يمرّ[١] ذِكره في مكانه من هذا الكتاب رَثاه مُهلهل بقوله:

نُبِّئت أنّ النار بَعدَكَ أُوقدتْ ... واستبَّ بعدَكَ يا كُليب المَجلسُ[٢]
وتكلَّموا في أمرِ كلّ عظيمةٍ ... لو كنت شاهدَهم بها لم يَنبِسوا

وقال أبو نُواس يهجو إسماعيلَ نُيبَخْت، ويضربُ المَثَل بكُليب وائل[٣]:

على خُبز إسماعيلَ واقيةُ البخلِ ... فقد حلّ في دارِ الأمان من الأكلِ
وما خبزُه إلا كآوَى يُرى ابنُها[٤] ... ولم تُرَ آوَى في الحُزون ولا السَّهل
وما خُبزُه إلا كعنقَاء مُغرِبٍ ... يُصوَّر في بُسط الملوك وفي المُثْلِ
يحدّث عنها الناس من غير رؤيةٍ ... سوى صورةٍ ما إن تُمِرُّ ولا تُحْلِي[٥]
وما خبزُه إلا كُليبُ بن وائلٍ ... لياليَ يحمي عِزُّهُ منبتَ البَقْلِ
وإذْ هو لا يستبّ خصْمان عندَه ... ولا الصوت مرفوع بِجِدّ ولا هَزْل
فإنْ خبزُ إسماعيلَ حَلّ به الذي ... أصاب كُلَيباً لم يكن ذاكَ عن ذُلّ[٦]
ولكن قضاء ليس يُسْطاعُ رَدُّه ... بحيلةِ ذي مَكرٍ ولا فِكرِ ذي عقلِ[٧]

---

(١) هو جساس بن مرة، وانظر قصة مقتله في الميداني ١/ ٣٧٤.

(٢) الحيوان ٣/ ١٢٨، وروايته: «أودى الخيار من المعاشر كلهم»، وانظر ديوان المعاني: ١/ ٢٠٤.

(٣) ديوانه: ١٧١، الحيوان ٣/ ١٢٩، ١٣٠. وقال الجاحظ في البخلاء ٧٢ «وكان أبو نواس يرتعي على خوان إسماعيل بن نيبخت، كما ترتعي الإبل في الحمض بعد طول الخلة، ثم كان جزاؤه منه أنه قال:

خبْزُ إسماعيل كالوشـ ... ـي إذا ما شُقّ يُرفَا

وقال:

ومَا خبزُهُ إلّا كليبُ بن وائلٍ ... لياليَ يحمي عزُّه منبتَ البَقْلِ

(٤) الحيوان: «يرى ابنه».

(٥) كذا في الحيوان والديوان: وفي الأصول: «ما قد تمر مع النقل».

(٦) الحيوان: «عن بذل».

(٧) الديوان: «بجيلة ذي دهي»، والدهي: الدهاء.

قال الجاحظ: وأبياتُ أبي نُواس على أنه مولّد [شاطر][1] أشعرُ من شِعر مهلهل في إطراق الناس في مجلس كُلَيب.

قال مؤلف الكتاب: ومن ألفاظ الأمير أبي الفضل عبيد اللّه بن أحمد الميكالي أدام اللّه أيّامه الجارية مَجرى الأمثال قوله: لستَ منّي بوائل ولو كنتَ كُلَيبَ وائل.

١٤٠ ـ زيد الخيل: هو زيد بن مهلهل الطائي، قيل له زيد الخيل لطول طِراده بها وقيادته لها؛ وكان جسيماً وسيما يقبّل المرأة على الهَوْدج، ويخط رجله على الأرض إذا رَكِبَ. وكان شاعراً، ووفد على النبي ﷺ فسمّاه زيدَ الخير، وقال له: «يا زيد، ما وُصف لي أحد في الجاهلية فرأيتُه في الإسلام إلا كان دون الصفة لَيْسَك»، يريد: «غَيرك»، وأقطَعه أرضاً، وكانت المدينة وبيئةً، فقال لما خرج من عنده عليه السلام: «إنْ ينج زيدٌ من أمّ مِلْدَم[2]»، فلمّا بلغ بلدَه مات[2].

١٤١ ـ ملاعِب الأسنّة: هو عامر بن الطُّفَيل بن مالك، أحد فُرسان العرب المذكورين؛ قال أبو عبيدة: فُرسان العرب ثلاثة: فارس تميم عُتيبة بن الحارث بن شهاب؛ وكان يقال له صياد الفوارس وسمّ الفوارس، وفارس ربيعة بسْطام بن قيس بن مسعود، وفارس قيس عامر بن الطفيل مُلاعب الأسنّة. فأما مُلاعب الرماح فأبو بَراء عامر بن مالك بن جعفر، وكان بعث إلى رسول اللّه ﷺ يسأله أن يوجه إليهم قوماً يفقّهونهم في الدِّين، فبعث إليهم قوماً من أصحابه، فعرض لهم[3] عامر بن الطفيل، فقَتلهم يومَ بئرِ معونة، فلم يُفلت منهم إلا رجل واحد، فاغتمّ أبو براء لذلك، وقَلِق لإخفار عامِر بن الطفيل بقتلهم ذِمّته. وبلغ بني عامر موتُ عامر بن الطُّفَيل وهو منصرف من عند رسول اللّه ﷺ وأرادوا النّجْعة، فجعلوا يرتحلون، فقال أبو براء: ما يصنع القوم؟ فقالوا: يرتحلون لهذا الأمر الذي حدث؛ قال: أبغير إذني! فقال بعض بني أخيه: يزعمون أنه قد عرض لك في عقلك شيء منذ ساءك أمرُ هذا الرجل؛ فدَعَا لَبيداً، واستدعى قَينَتَيْن له، فشرب

---

(١) من الحيوان.

(٢) أم ملدم الحمّى، والخبر في الأغاني ١٦، ٤٧ (ساسي)، وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك، ورقق قلبك على الإسلام، يا زيد، ما وصف لي رجل قط فرأيته إلا كان دون ما وصف به؛ إلا أنت؛ فإنك فوق ما قيل فيك». فلما ولي قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أي رجل إن سلم من آطام المدينة!».

(٣) ط: «عليهم»، تصحيف، صوابه من ا.

وغنّتاه، فقال: يا لَبيد، أرأيتَ إنْ حدَث بعمّك حدثٌ ما كنتَ قائلاً؟ فإنّ قومك يزعمون أنّ عقلي قد ذهب، والموتُ خير من عُزوب العقل، فقال لَبيد:

قُومَا تَنُوحانِ مع النُّوّاح
وأبِّنَا مُلاعِبَ الرِّماح[1]
يا عامراً يا عامرَ القِداح
ومِدْرَهَ الكَتيبة الرِداح[2]
لو كان حيٌّ مُدرِكَ الفلاحِ
أدركه مُلاعِب الرّماحِ

فلما أثقله الشراب اتكأ على سيفه حتى فاضت نفسه، وهو يقول: لا خيرَ في العيش وقد عصَتْني بنو عامر.

١٤٢ ـ **سَحْبان وائل**: رجل من باهلة، خطيبٌ بليغ، يُضرَب به المثل في الخَطابة والبلاغة[3]، وهو القائل:

لقد علم الحيُّ اليَمانون أنّني ... إذا قلتُ: أمّا بعد، أنّي خطيبُها

وقال حُميد الأرقط وهو يهجو ضيفاً له، ويضرب المثل في البيان بِسَحْبان وفي العِيّ بباقل[4]:

أتانا وما داناه سَبحانُ وائلٍ ... بياناً وعِلماً بالّذي هو قائلُ
فما زالَ منه اللُّقْمُ حتّى كأنّه ... من العِيِّ لمّا أن تكلَّمَ باقلُ

وقال بعض المحدثين:

وعاشقٍ تحتَ رِواق الدّجى ... أغرى به الحيرةَ فِقدانُ
أعرَب عن مكنونِ أسراره ... أحوَى لطيف الكَشْح خُمصانُ
كأنّما يَسحَب في إثره ... ذَيْلاً من الحكمة سَحْبانُ

١٤٣ ـ **أزواد الرَّكب**: هم ثلاثة نفَرٍ من قريش: مسافر بن أبي عَمرو بن

---

(١) ديوانه: ٣٣٢، برواية مخالفة.
(٢) الرداح: الضخمة الكثيرة.
(٣) الميداني ١/٢٤٩، ولفظ المثل فيه: «أخطب من سحبان وائل».
(٤) الميداني ٢/٤٣، ولفظ المثل فيه: «أعيا من باقل».

أميّة، وزَمْعة بن الأسوَد بن المطَّلب بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم؛ سُمُّوا بذلك لأنه لم يكن يتزوّد معهم أحد في سَفَر. وكانوا يُطعمون كل مَنْ يصحبهم ويكفونه الزاد، وكان ذلك خُلُقاً من أخلاق أشرافِ قريش؛ ولكن لم يسمّ بهذا الاسم إلا هؤلاء الثلاثة.

١٤٤ ـ **عروة الصعاليك**: هو عُرْوَة بن الوَرد الذي يقول:

ومَنْ يَكُ مِثلي ذا عِيالٍ ومُقتِراً … من المال يَطرَحْ نفسَه كلَّ مَطرَحِ[١]

لِيُبلغ عُذْراً أو يصيبَ رغيبةً … ومُبلغُ نفسٍ عذْرَها مثلُ مُنْجِحِ

قال المبرّد: إنما سُمِّيَ عُرْوَة الصعاليك لأنه كان إذا شكا إليه فتًى من فِتيان قومه الفقرَ أعطاه فرساً ورمحاً، وقال له: إن لم تستغنِ بهما فلا أغناك اللَّه!.

١٤٥ ـ **أبو عروة السّباع**: يُضرب به المثل في جَهارة الصوت وشدَّته؛ قال أبو عبيدة: كان أبو عروة يصيح بالسَّبُع وقد احتمل الشاة فيخلّيها ويَسقط فيموت، فيُشَقّ بطنُه فيوجَد فؤادُه قد انخلع، قال الشاعر:

زجرُ أبي عُروةَ السِّباعَ إذا … أشفَق أن يَلْتبِسْنَ بالغَنَمِ[٢]

١٤٦ ـ **سعد العشيرة**: إنما قيل له سعد العشيرة؛ لأنه كان يركب في عشرة من أولاده الذكور فكأنه منهم في عشيرة، فصار مَثَلاً للرجل يستكثر بأبنائه وعشيرته ويتعزز بهم.

١٤٧ ـ **سعد المطر**: قال الجاحظ: إنما قيل سعد المطر، لأنه كان يُرَى مُلْقىً في المطر، وهو الذي يقول في ذلك:

دَعِ المواعيدَ لا تَعرِض لوجهتِها … إنّ المواعيد مَقرونٌ بها المَطَرُ

إنّ المواعيد والأعياد قد مُنيا … منه بأنكدِ ما يُمنى به البَشَرُ

أما الثّياب فلا يغرُرْك إن غُسلتْ … صحوٌ يدومُ ولا شمسٌ ولا قمرُ

وفي الشُّخوص له نَوْءٌ وبارقةٌ … وإن يُبَيِّتْ فذاك الفالج الذّكَر

قال: والفالج الذَّكر هو الذي يهجم على الجوف. قال: ولما دهى المطر المحلول[٣] مولَى آل سليمان جلس على طريق الناس، وقد رجعوا من الاستمطار وقد سُقوا، فهم ضاحكون مستبشرون، فأقبل على صاحب له، وقال: ليس بي إلّا

(١) ديوانه: ٨٨.
(٢) الكامل ٢/ ١٦٥، ونسبه إلى الجعدي.
(٣) ط «المملوك»، أ: «المحلوك»، وكلاهما تحريف، وانظر البخلاء ١١٩، ٣٦٧.

سرورهم بالإجابة، وإنما مُطروا لأني غسلت ثيابي اليوم، ولم أغسل ثيابي قط إلا جاء الغيم والمطر، فليخرجوا غداً فإن سُقوا فإنِّي ظالم.

ولبعضهم في معناه:

وما خفتُ أنّي غسلتُ ثيابي ... سوى أنَّ يومي يعودُ مَطيراً

١٤٨ ـ دُعَيْمِيص الرَّمل: هو أهدى أدلاء العرب للطُّرُق، يُضرب به المثل؛ فيقال: أهدَى من دُعَيْميص الرَّمل[1]، ويقال: إنه دخل وَبَار ـ وهي بلدة تزعم العربُ أنها بلدة الجنّ ولم يدخلها إنسيّ غيره ـ فرمته الجنّ بالرمل حتى عمِيَ، ثم مات، ولما اشتهر ذلك عنه غلب عليه هذا الاسم.

ويقال: هو دُعَيْمِيص هذا الأمر، أي العالم به، قال الشاعر:

دُعموصُ أبوابِ الملو ... كِ وراتقٌ للخَرق فاتِقْ[2]

١٤٩ ـ سُلَيك المَقانب: هو سُلَيك بن السُّلَكة، وهي أمُّه، وكانت أَمَةً سوداء، وسُلَيك أيضاً أسود، وهو أحد أغرِبة[3] العَرَب، وأعدى الناس، لا يُشَقّ غُباره، وأخباره في العَدْو والغارة مشهورة معروفة[4]. وكان يقول: اللهم إني لو كنتُ ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمَةً. اللهم فهيىء ما شئت إذا شئت، اللهمَّ إني أعوذ بك من الخيبة، وأما الهيبة فلا هيبة.

وممن ضَرَب المثل به أبو تمام في قوله:

مفازة صدرٍ لو تُطرَّق لم يكنْ ... ليَسلُكَها فرداً سُلَيك المَقانبِ

وقال:

يَمشِي رُوَيداً فأما حينَ يَطلبنا ... فلا السُّلَيك يُدانيه ولا رَجُلُ

١٥٠ ـ عَرّاف اليمامة: أحد كُهان العرب المعروفين، مثل أخبارية جُهينة، وكاهنّية باهلة، ومثل شِقّ وسَطِيح[5]؛ فأما عَرّاف اليمامة فهو رياح بن كحيلة[6]، وفيه يقول الشاعر:

أقول لعرّاف اليمامة داوِني ... فإنّك إنْ أبرأْتَني لطبيبُ[7]

---

(١) الميداني ٢/ ٤٠٠٩.
(٢) في رواية للميداني: «للخرق فاتح».
(٣) ط: «أعزبة»، تحريف.
(٤) الأغاني: ١٨/ ١٣٣ ـ ١٣٩ (ساسي).
(٥) ط: «سطيح».
(٦) الحيوان ٦/ ٢٠٤، «رباح بن كحلة»، وبعده: «وهو صاحب بنت المستنير البلتعي».
(٧) لعروة بن حزام، وانظر حواشي الحيوان ٦/ ٢٠٥.

١٥١ ـ شيخ مَهْو: يُضرَب به المثل في الخسران، فيقال: أخسر صفقةً من شيخ مَهْو[1]؛ ومَهْو: حيّ من عبد القيس، وكانت إيادٌ تُسَبُّ بالفَسْو وتعيَّر به، فقام رجل من إياد بسوق عُكاظ ومعه بُردا حِبَرة، فقال: مَن يشتري مني عار الفَسْو بهذين البُرْدين؟ فقامَ عبد اللّه بن بَيْدرة[2] أحد مَهْو فقال: هاتهما، واشهدوا إني اشتريتُ عار الفسْو من إياد لعبد القيس بالبردين. فلما أتى رَحْلَه وسئل عن البُرْدين، قال: اشتريتُ لكم بهما عار الدهر؛ فوثبتْ عبد القيس وقالت:

إنّ الفُساةَ قبلَنا إيادُ ونحن لا نفسو ولا نكادُ

وتفرّق الناس عن عكاظ بابتياع عبد القيس عار الفَسْو حتى قال الشاعر[3]:

يا مَن رأى كصفقة ابن بيدَرَهْ من صفقةٍ خاسرةٍ مخسَّرَهْ
أَلمشتري الفسوَ ببُرديْ حِبرَه[4] شَلَّت يمينُ صافقٍ ما أخسَرَهْ

وقال ابن دارةَ في وقعة مسعود بن عمرو:

وإني إن ضربتُ جِبَالَ قيسٍ وحالفتُ المُزونَ على تميمِ
لأخسَرُ صفقةً من شيخ مَهْوٍ وأجوَرُ في الحكومة من سَدومِ

ثم إنّ هذا العار زال عن إياد ولَصِق بعبد القيس، فَهُجوا به كثيراً.

ومرّ إنسان بالجمّاز، فقال: يا شيخ، كيف آخذ إلى عبد القيس؟ قال: امضِ قُدُماً واشتمّ، فإن كرهتَ الرائحة فَتَمّ.

ومن هذا أخذ الحَمْدونِيّ قوله في قيْنة ذات صُنان:

مَن كان لا يَدرِي لها منزلاً فقل له يَمشي ويستنشِقِ

١٥٢ ـ حُنَيف الحَناتم: هو رجل من تَيْم اللّات بن ثعلبة، تَضْرب العرب به المثَل في الإبالة ـ وهي مصدر لأبل ـ وهو البصير بِرعيْة الإبل وما يُصلِحها، فيقال: آبَلُ من حُنيف الحناتم[5].

---

(١) الميداني ١/ ٢٥٢.

(٢) ط: «زبيدة»، تصحيف.

(٣) في الميداني: فقالت إياد:

يا لَلكَيزٌ دعوةَ نبديها نُعْلنها ثمّ ولا نُخفيها
* كُرُّوا إلى الرِّحال فافسُوا فيها *

(٤) الميداني: «المشتري العار».

(٥) الميداني ١/ ٨٦.

ومن كلامه الدالِّ على إبالته قولُه: من قاظ الشَّرَف، وتربّع الحَزْن، وتَشتَّى الصَّمّان، فقد أصاب المَرْعَى[١].

١٥٣ ـ وافد البَراجم: يُضرَب به المثل في الشقاء والجبن، وذلك أن أسعد بن المنذر أخا عمرو بن هند انصرف ذاتَ ليلة من مجلس صفائه وهو ثَمِل، فَرَمَى رجلاً من بني دارم بسهم فقتله، فوثب عليه بنو دارم فقتلوه، فغزاهُمْ عمرو بن هند، وقتل منهم مقتلةً عظيمة، ثم أقسم ليحرقنّ منهم مائة، فبذلك سُمّيَ محرّقاً، وأخذ تسعة وتسعين رجلاً منهم فقَذَفهم في النار، وأراد أن يُبرّ قسمه بمن تكمل به العدَّة، فمرّ رجل يقال له عمّار، من بني مالك بن حنظلة، فتشمم رائحة اللّحم، فظن أنّ الملِك قد اتخذ طعاماً للأضياف، فعرّج إليه، فأُتِيَ به، فقال له: مَن أنت؟ فقال: أبيت اللّعن! أنا وافد البَراجم، فقال عمرو: إن الشقيّ وافدُ البَراجِم؛ فصار مَثَلاً للشقيّ يسعى بقدمه إلى مَراقِ دمه[٢]. ثم أمر به فقُذِف في النار تحِلّةً لقَسَمه. قال الطِّرِمّاح في إحراق عمرو بني دارم:

ودارم قد قتلْنا منهمُ مائةً ... في جاحم النارِ إذ ينزُون بالخَدَدِ
ينزون بالمُشْتَوَى منها ويُوقِدها ... عمرٌو ولولا شُحوم القوم لم تَقِدِ

وقال جرير يعيّر الفرزدق:

أين الذين بنار عمروٍ أُحرِقوا ... أم أينَ أسعدُ فيكم المسترضَعُ![٣]

١٥٤ ـ يَسار الكواعب: وهو عَبْد تعرّض لبنتِ مولاه، وراوَدَها عن نفسها فنهتْه، فعاودها، فامتنعت عليه، فعاد لعادته، فقالت: إن كان لا بد فإني مبخّرَتك ببخور، فإن صبرتَ على حرارته صرتَ إلى ما تريد، فعمدتْ إلى مِجْمَر، فأدخلتْه تحتَه، واشتملت على سكين حديد فجبّت به مَذاكيرَه، فصاح فقالت: صبراً على مَجامِر الكرام!

ثم لم يلبث أن مات، فصار مثلاً لكلّ جانٍ على نفسه، ومتعرض لما يَجِلّ عن قَدْره، وفيه يقول الفرزدق لجرير[٤]:

وهل أنت إن ماتت أتانُك راكبٌ ... إلى آل بِسطامِ بن قيسٍ بخاطبِ[٥]

---

(١) بعده في الميداني: «فالشرف في بلاد بني عامر، والحزن من زبالة مصعداً في بلاد نجد، والصمان في بلاد تميم».

(٢) الميداني ١/ ٩.

(٣) ديوانه: ٣٤٩، وروايته: «بسيف عمرو قتلوا».

(٤) الميداني ٢/ ٤١٢.

(٥) ديوانه: ١١٢، وروايته:

ألستَ إذا القعساءُ أنسَلَ ظَهرُها ... إلَى آل بِسطَام بْنِ قَيسٍ بخَاطبِ

وإنّـي لأخـشَـى إن خـطـبـتَ إلـيـهـمُ عـلـيـكَ الـذي لاقَـى يـسـارُ الـكَـواعِـبِ

١٥٥ ـ **طُفَيل العرائس**: ويقال له طفيل الأعراس أيضاً، وهو من غَطَفان، ويقال: إنه من موالي عثمان بن عفان رضي اللّه تعالى عنه، وكان يتتبّع الأعراسَ، فيأتيها من غير أن يُدعَى إليها. وهو أوّل من فعل ذلك، وإليه يُنسب الطفيليّون، وكان يقول: وَدِدْتُ أن الكوفة بركة مصهرجَة، فلا يخفى علَيّ من أعراسها شيء.

وسئل عن أشرف الأعواد، فقال: عصا موسى، ومِنبر الرسول ﷺ، وخِوان العُرس، وفيه يقول ذاهب في طريقه:

وكـنّـا بـالـمَـطـالـب قـد شَـقِـيـنـا فـفُـزْنـا بـالـسـعـادة عـن طُـفَـيـلِ

وفيه يقوم عِمْلاق العثمانيّ الذي كان نزل بنَيْسابور، وهو الآن حيّ يُرزَق:

تـلـبَّسَ عِـمـلاقُ بـنُ غَـيْـلانَ لـلـشّـقـا ولـلـخـرق والإخـفـاق أثـوابَ حـارِسِ
يـطـوف بـنَـيْـسـابـور فـي كـلّ سِـكّـةٍ خـلـيـفـة مـولاه طُـفَـيـلِ الـعـرائِـس

١٥٦ ـ **سعد القَرْقرة**: مُضحك النعمان، يُعَدّ في المستأكلين والمتطفلين. قيل له: ما رأيناك إلا وأنت تزيد شحماً وتَقطُر دماً! فقال: لأني آخُذ ولا أُعطي، وأُخطِىء ولا أُلام، فأنا طول الدهر مسرور ضاحك.

١٥٧ ـ **وَضّاح اليَمَن**: قال الجاحظ: ثلاثةٌ من العبيد قُتِلوا بسبب العشق: منهم يَسار الكواعب، ومنهم عبدُ بني الحَسحاس، ومنهم وَضّاح اليَمَن؛ فأما يسار الكواعب فقد مرّت قصّته[1]، وأما عبدُ بَني الحَسْحاس؛ فإنه كان شاعراً يُشَبِّب ببناتِ مواليه، ويصرّح بالفاحشة معهنّ، كقوله:

وأَشـهَـد بـالـرّحـمـن أنّـي تـركـتُـهـا وعشرين منها إصبَعاً من وَرائيا[2]

ولمّا عُرِض على السّيف ضحك منه بعضُهنّ، فقال:

فـإنْ تَـضْـحـكـي مـنـي فـيـا ربّ لـيـلـةٍ تـركـتُـكِ فـيـهـا كـالـقَـبـاء الـمـفـرّجِ[3]

وأمّا وضّاح اليمن فإنه كان شاعراً من أجمل الناس وأظرفِهم وأخفِّهم شعراً، وهو القائل:

ضَـحِـكَ الـنَّـاسُ وَقـالُـوا شِـعْـرُ وَضَّـاح الـيَـمـانـي

(١) ص ١٠٨.
(٢) ديوانه: ٢١.
(٣) ديوانه: ٥٩.

إنــمــا شِــعْــرِيَ قَــنْــدٌ خُــلِــطَــتْ بــالــجُــلْــجُــلانِ[١]

وعن الهيثم بن عدي، قال: سمعت صالح بن حسان، يقول: أَفقهُ الناس وَضّاح اليَمَن في قوله:

إذا قلتُ هاتي نوّليني تبسّمتْ وقالت معاذَ اللّه من فعلِ ما حَرُمْ
فما نَوَّلَتْ حتّى تضرّعْتُ عندَها وأنبأْتُها ما رخّص اللّه في اللَّمَمْ

ويُحكَى أن أمّ البنين بنت عبد العزير بن مروان كانت تصادقه وتستخصّه، وكانت عند الوليد بن عبد الملك، وكانت قد جعلتْ للوضّاح هذا صُندوقاً تجعله فيه، فإذا وجدتْ من الرّقباء فرصةً وغفلةً أخرجته وخلَت به، فحُمِل إلى الوليد جوهرٌ نفيس، فأمر خادماً له يحمله إلى أمّ البنين، فدخل الخادم إليها فوجدها قد خلَت بوضّاح، فلما أحست بالخادم جعلتْه في الصندوق، ولم تعلَم أن الخادم قد بَصُر به، فسألها الخادم أن تهبَ له جوهرةً منه، فزجرته وأنكرتْ عليه تهكُّمه[٢]، فخرج الخادم وأخبر الوليد، فدخل عليها وقعد على بعض الصناديق، وقال لها: يا ابنة عمي، هبي لي صندوقاً من صناديقك هذه، قالت: يا أمير المؤمنين، هي بأسرِها لك، قال لا، بل أريد واحداً منها، قالت: خذْ منها ما شئتَ، وكان الخادم وصف له الصندوق الذي فيه وَضّاح وأعلَمه بمكانه، فأخذه؛ فأمر بحمله واحتفارِ موضعٍ يُبْلَغ الماء به، وأدلى الصندوق بما فيه إليه وهما ينظران، فلم يَرَ واحد من الوليد وأمّ البنينَ أثرَ ذلك في وجه صاحبه، ولا أجرَيا حديثه إلى أن فرّق بينهما الموت[٣].

١٥٨ ـ **مجنون بني عامر**: هو قيس بن الملوَّح صاحب ليلَى، يُضرب به المثل في الحب، وهو أشهر من أن يُذكَر، وشعره أسْيَر من أن ينبَّه عليه، ومن أحسن ما يُروَى له قولُه:

وأدنيتِني حتى إذا ما سَبَيْتِني بقولٍ يحلّ العُصْمَ سهلَ الأَباطحِ[٤]
تجَافَيْتِ عَنّي حين ما لِيَ حيلةٌ وغادَرْتِ ما غادرتِ بين الجوانحِ

(١) القند: العسل. والجلجلان: حب السمسم.
(٢) ط: «تحكمه»، والصواب ما أثبته من ا، والمتهكم: المقتحم على ما لا يعنيه.
(٣) الخبر بتصرف عن الأغاني ٦/ ٢٢٥، ٢٢٦.
(٤) ديوانه: ٩٤.

وقولُه:

ودَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بالخَيْفِ مِنْ مِنىً ... فهَيَّجَ أحزانَ الفؤادِ وما يَدرِي[١]
دعَا باسِمِ لَيلَى غيرَها فكأنما ... أطارَ بلَيلَى طائراً كان في صدري

ويُروى لليلى:

لم يكنِ المجنونُ في حالةٍ ... إلّا وقد كنتُ كما كانَا
لكنه باحَ بسرِّ الهوى ... وأنّني قد ذُبْتُ كِتمانَا

١٥٩ ـ شيخ المَضِيرة: كانَ أبو هُريرة رضي اللَّه عنه على فضله واختصاصه بالنبي ﷺ مَزّاحاً أكولاً؛ وكان مروان بنُ الحكم يستخلفه على المدينة، فيركب حماراً قد شدّ عليه برذعة، فيلقى الرجلَ فيقول: الطريق الطريق، قد جاء الأمير!.

وعن أبي رافع، قال: كانَ أبو هريرة رضي اللَّه عنه ربما دعاني إلى عشائه فيقول: دع العراق[٢] للأمير، فانتظرنا فإذا هو ثريد بزيت. وكان يدّعي الطبّ فيقول: أكْل التمر أمانٌ من القُولَنْج[٣]، وشُربُ العسل على الرّيق أمانٌ من الفالج، وأكل السفرجل يُحسّن الولَد[٤]، وأكل الرمّان يُصلح الكَبد، والزبيب يشدّ العَصَب، ويُذهِب الوَصَب والنَّصَب، والكَرَفْس يقوّي المعدة، ويطيّب النَّكْهة، والعَدس يُرقّ القلب، ويُذرِف الدمعة، والقرع يزيد في اللّب، ويرقُّ البشَرة، وأطيب اللحم الكتِف وحواشي فَقار العنُق والظهر. وكان يديم أكل الهريسة والفالُوذَج، ويقول: هما مادة الولد. وكان يعجبه المَضيرة[٥] جداً، فيأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاةُ صلى خلف علِيّ رضي اللَّه عنه، فإذا قيل له في ذلك، قال: مَضيرة معاوية أدسم وأطيب، والصلاة خَلْف علِيّ أفضل.

وكان يقال له: شيخ المَضِيرة، وقيل فيه:

وتولّى أبو هُريرةَ عن نصـ ... ـر علِيّ ليستفيد الثّريدَا
ولَعَمْري إنّ الثريدَ كثير ... للذِي ليس يستحقُّ الهَبيدَا[٦]

---

(١) ديوانه: ١٦٢.
(٢) كذا في ط، وفي: أ «الفرات».
(٣) القولنج: مرض في الأمعاء.
(٤) ط: «اللون».
(٥) مضر اللبن: حمض، والمضيرة ما يُطبخ منه.
(٦) الهبيد: الحنظل.

١٦٠ ـ **أمين الأمّة**: هو أبو عبيدة بن الجراح، وكان من عظماء أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وكان عليه السلام يقول: «لكلّ أمة أمين، وأمينُ هذه الأمة أبو عُبَيْدة بن الجرّاح».

ورُوِيَ أنه أُتِيَ بطعام فقال: «يُستحبّ أن يبدأ رجلٌ صالحٌ، فابدأ يا أبا عبيدة».

١٦١ ـ **حَواريّ النبيّ**: هو الزّبير بن العوّام، لأن النبي ﷺ كان يقول: «لكلّ نبيّ حَواريّ، وحَواريَّ الزّبير». وكان أحدَ العَشَرة الذين بُشّروا بالجنة، وأحد أصحاب الشُّورى.

ولما قُتِل أُتِيَ إلى عليّ بسيفه، فنظر إليه وقال: هذا هو السيّف الذي طالمَا جلَّى الكُرب عن وجه رسول اللَّه ﷺ، وبشّر قاتلَه ابن جُرْموز بالنار، وقال: سمعتُه عليه الصلاة والسلام، يقول: «بشّروا قاتلَ ابنِ صفيّة بالنار».

١٦٢ ـ **ربّاني الأمّة**: هو عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب كان يُقال له: ربّاني الأمّة[1] وَحِبرُها، وتُرجُمان القرآن؛ والرّبانيّ: المتألّه العارف باللَّه تعالى، وقال اللَّه عز[2] وجلّ في القرآن: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

١٦٣ ـ **أشجُّ بني أميّة**: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.

وكان عمر يقول: إنّ من ولدي رجلاً بوجهه أثر، يملأ الأرض عَدْلاً كما مُلئتْ جَوْراً. ولمّا نفحَهُ[3] حمارٌ برِجله فأصاب جبهته وأثّر فيها، قال أخوه أصبغ[4]: اللَّه أكبر! هذا أشجّ بني أميّة يملك ويملأ الأرض عَدْلاً.

ولما قال عُمر في يزيدَ بن المهلّبِ: أيّ عراقيّ هو لولا عُذْرة[5] في رأسه، بلغ ذلك يزيد فقال: مَن يَعذِرني من لَطِيم الحمار!.

١٦٤ ـ **جبّار بني العبّاس**: كان يقال للرشيد: جبّار بني العباس لأنه أَغزى ابنه القاسم الروم، فقتل منهم خمسين ألفاً، وأخذ خمسة آلاف دابة بسُرج الفضّة ولُجُمها.

---

(١) ساقط من ط، وما أثبته من ا.
(٢) أ: «عزّ ذكره».
(٣) النقح: الضرب بالرجل.
(٤) انظر جمهرة أنساب العرب ١٠٥.
(٥) العذرة: الخصلة من شعر.

وأغزى علِيَّ بن عيسى بن ماهانَ بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفاً وسَبَى عشرة آلاف، وأسر ملِكَيْن منهم، ثم غزا الرشيد نفسه الروم، وافتتح هرقْلَةَ، وأخذ الجزية من ملك الروم، ولم يخلّف أحد قطّ من الملوك ما خلّفه الرشيد من الأثاث والعَيْن والوَرِق والجواهر، وكان بقيمة مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف دينار، أي قيمة الضِّياع والدواب والعبيد.

فيما يُضَاف ويُنسَب إلى القَبائِل

إيلاف قريش، تيه بني مخزوم، جود بني طَيِّ، لؤم باهلة، رُماة بني ثُعَل، قِيافة بني مُدلج، عِيافة بني لهْب، خُطباء إياد، ثَريدة غَسّان، مُهُور كِندة. حَرَّة بني سُلَيْم.

الاسْتِشْهادُ

١٦٥ ـ **إيلافُ قريش**: كانت قريش لا تتاجر إلا مع مَن وَرَد عليها مكة في المواسم وبذي المجاز وسُوق عكاظ، وفي الأشهر[١] الحُرُم لا تَبرَح دارها، ولا تجاوِز حَرمها، للتحمس في دينهم، والحبّ لحرَمهم، والإِلْف لبَيْتهم، ولقيامهم لجميع[٢] من دخل مكة بما يصلحهم. وكانوا بوادٍ غيرِ ذي زرع، كما حكى اللَّه تعالى عن إبراهيمَ عليه السلام حين قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ فكان أوّل مَن خرج إلى الشام ووَفدَ إلى الملوك وأبعد في السفر ومرّ بالأعداء، وأخذ منهم الإِيلاف الذي ذكره اللَّه هاشم بن عبد مناف، وكانت له رِحْلتان: رِحلة في الشتاء نحو العباهلة من ملوك اليَمَن ونحو اليَكْسوم من ملوك الحبشة، ورِحلة في الصيف نحو الشام وبلاد الروم. وكان يأخذ الإيلافَ من رؤساء القبائل وسادات العشائر لخصلتين: إحداهما أن ذُؤْبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحابَ الغارات وطلّابَ الطوائل كانوا لا يُؤمَنون على أهل الحرَم ولا غيرهم، والخصلة الأُخرى أن أناساً من العرب كانوا لا يَرَوْن للحَرَم حُرمةً، ولا للشهر الحرام قدراً، كبني طيّء وخَثْعم وقُضاعة، وسائر العرب يحجّون البيت ويدينون بالحُرمة له. ومعنى الإيلاف إنما هو شيء كان يجعله هاشمٌ لرؤساء القبائل من الربح، ويحمل لهم متاعاً مع متاعه، ويسوق إليهم إبلاً مع إبله ليكفيهم مئونة الأسفار، ويكفي قريشاً مئونة الأعداء، فكان ذلك صلاحاً للفريقين، إذ كان المقيم رابحاً، والمسافر محفوظاً، فأخصبَت قريش، وأتاها خيرُ الشام واليَمَن والحبشة، وحسُنت حالُها، وطاب عَيشُها. ولمّا مات هاشم قام بذلك المطّلب،

(١) ط: «في الأشهر».
(٢) أ: «بجميع»، والأصح ما في ط.

فلما مات المطلب قام بذلك عبدُ شَمْس، فلما مات عبد شمس قام به نوفل، وكان أصغرهم. وقولُ اللّه تعالى: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]؛ يعني الضِّيق الذي كان فيه أهلُ مكة قبل أن يأخذ هاشم لهم الإيلاف، والخوفَ الذي كانوا عليه ممن يمر بهم من القبائل والأعداء وهم مقتربون ومعهم الأموال، وهو قوله عزّ ذكرهُ: ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦]، يعني في تلك الأسفار، ولم يرد ذلك وهم مقيمون في حرَمهم وأَمْنهم لأنّ اللّه تعالى يقول: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥] مع قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقوله: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقد عمّ مطرود الخُزاعيّ بني عبد مناف بذكر الإيلاف لأن جميعهم قد فعل ذلك، فقال:

يأيُّها الرَّجُلُ المحوِّل رَحلَهُ ... هلّا حَلَلْتَ بآل عبدِ منافِ![1]

الآخذين العهدَ في إيلافِهِمْ ... والرَّاحلين برِحْلَةِ الإيلافِ

وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب قال الشاعر، وهو يرد على بني أسد فيما يدّعونه من قرابة قريش:

زعمْتم أن إخوتَكم قريشٌ ... لهمْ إلْفٌ وليس لكم إلافُ[2]

أولئك أومِنوا خَوْفاً وجُوعاً ... وقد جاعتْ بنو أسد وخافُوا

١٦٦ ـ **تِيه بني مخزوم**: قال الجاحظ: أما بنو مخزوم وبنو أميّة وبنو جعفر بن كلاب واختصاصُهم بالتِّيه والكِبْر، فإنهم أبطَرهم ما وجدوه لأنفسهم من الفضيلة، ولو كان في قُوَى عقولهم فضلٌ على قُوَى دَواعي الحَميّةِ فيهم لكانوا كبني هاشم في تواضعهم وفي إنصافهم لمن دونهم.

ولما بلغ الحسن بن عليّ رضي اللّه عنهما قول معاوية: إذا لم يكن الهاشميّ جواداً، والأموي حليماً، والعَواميّ شجاعاً، والمخزوميّ تَيّاها، لم يشبهوا آباءهم، قال: إنه واللّه ما أراد بها النصيحة، ولكن أراد أن يُفْنِيَ بنو هاشم ما بأيديهم فيحتاجوا إليه، وأن يحلُم بنو أميّة فيحبّهم الناس، وأن يشجعَ بنو العوّام فيقتَلوا، وأن يتيه بنو مخزوم فيمقَتوا.

---

(١) أمالي المرتضى ٢/٢٦٨.

(٢) لمساور بن هند، كما في اللسان (ألف).

وكان يُقال: أربعة لم يكونوا ومحالٌ أن يكونوا: زُبيريّ سخيّ، ومخزوميّ متواضع، وهاشميّ شَحيح، وقريشيّ يُحِب آل محمد ﷺ.

١٦٧ ـ جود طَيء: يُضرَب به المثل، لكون حاتم وأوْس بن حارثة ابن لأم منهم؛ وهما آية في الجود والكرم، قال أبو تمّام الطائيّ:

لـكـلٍّ مـن بـنـي حَـوّاءَ عُـذْرٌ ... وَلَا عُـذْرٌ لِـطـائـيّ لَـئـيـمِ[١]

ويُروَى[٢] أنّ أوْساً وحاتماً وفَدا على عمرو بن هند، فدعا أوْساً، وقال له: أنتَ أفضل أم حاتم؟ فقال: أبيت اللعن! لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهَبنا في غداةٍ واحدة. ثم دعا حاتماً فقال له[٣]: أنت أفضل أم أوْس؟ فقال: أبيت اللعن! إنما ذُكِرْتُ بأوْس، ولأَحَدُ ولده أفضل مني، فقال عمرو: واللّه ما أدري أيّكما أفضل! وما منكما إلّا سيِّد كريم.

ومن محاسن أوْس أنَّ النعمان بن المنذر دعا بحُلّةٍ نفيسة، وعنده وفود العرب من كل حي، وفيهم أوْس، فقال لهم: احضروا غداً، فإني مُلبِسٌ هذه الحُلّة أكرَمكم؛ فحضر القوم إلا أوْساً، فقيل له: لم تتخلف؟ فقال: إن كان المراد غيري فأَجْمَلُ الأشياء بي ألا أكون حاضراً، وإن كنتُ المراد فسأُطلَبُ؛ فلما جلس النُّعمان ولم يرَ أوْساً، قال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضُر آمناً مما خِفْت؛ فحضر فألبِسَ الحُلّة، فحسده قوم من أهله، فقالوا للحطيئة: اهجُه ولك ثلاثمائة ناقة، فقال: كيف أهجو مَن لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلّا من عنده!. ثم قال:

كـيْـفَ الـهِـجـاء ومـا تـنـفـكُّ صـالـحـةٌ ... من آل لأم بـظـهْـر الـغـيـب تأتيني![٤]

فقال لهم بِشْر بن أبي خازم: أنا أهجوه لكم، وفعل، فأخذ الإبل، فأغار أوْس عليها واكتسحها، وطلبه، فجعل لا يستجير حيًّا من أحياء العرب إلّا قالوا له: قد أجرْناك من الجنّ والإنس إلّا من أوْس، فكان في هجائه إيّاه ذكَر أمّه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أُتِيَ[٥] به أسيراً، فدخلَ أوْسٌ إلى أمه واستشارها في أمره، فقالت: أرى أن تردّ عليه ماله، وتعفو عنه وتحبوه، وأفعل أنا مثل ذلك؛ فإنه لا يغسل

(١) ديوانه: ٣/ ١٦٤.
(٢) أ: «ورُوي».
(٣) أ: ساقطة من ط.
(٤) ديوانه: ٨٣، وروايته: «من آل لأي».
(٥) أ: «حي».

هجاءه إلا مدحُه؛ فأخبره بما قالت، فقال: لا جرم! واللّه لا مدحت أحداً حتى أموتَ غيرَك، ففيه يقول[(١)]:

إلـى أوْس بـن حـارثـة بـن لأمٍ ... ليقضي حاجتي فيمَنْ قَضَاها[(٢)]
وما وطىء الثرى مثل ابن سُعْدَى ... ولا لبِسَ النِّعال ولا احتذَاها

١٦٨ ـ **لؤم باهلة**: كان ذلك مشهوراً مضروباً به المثل، ولم تزل العرب تصِف باهلةَ باللؤم في الجاهلية والإسلام؛ ثم خَفِيتْ منهم تلك السِّمة وشَرُفت بقتيبة بن مُسلم وبنيه؛ حتى قال القائل:

إذا ما قريْشٌ خلا مُلكُها ... فإنَّ الخلافةَ في باهلَهْ

ومما يحكى من لؤم باهلة أنه قيل لأعرابيّ: أيسرّك أنّ لك مائة ألف درهم وأنت من باهلة؟ فقال: لا واللّه، فقيل: أفيسرّك أن لك حمرَ النَّعم وأنك منها؟ قال: اللهم لا، قيل: أفيسرُك أنك في الجنة وأنت باهليّ؟ قال: نعم؛ ولكن بشريطة ألّا يعلم أهلها أنني منها.

ومن أبيات التمثيل والمحاضرة التي تقع في كل اختيار قول بعضهم:

فخرتَ فأصلك أصْلٌ شريف ... ضررتَ به نفسك الخامِلَهْ[(٣)]
وما ينفع الأصلُ من هاشمٍ ... إذا كانتِ النَّفْس من باهلَهْ!

ومما يستجاد لأبي هِفّان قوله[(٤)]:

أباهلُ ينبحُني كلبُكمْ ... وأُسْدُكمْ ككلاب العَرَب[(٥)]
ولو قيل للكلب يا باهليّ ... عَوَى الكلْب من لؤمِ هذا النَّسَبْ

وكان الأصمعيّ يجزع من قول اليزيديّ فيه:

ومَن أنت! هل أنت إلّا امرؤٌ ... إذا صحّ أصلُك مِن باهلَهْ[(٦)]
وللباهليّ على خُبزِه ... كتابٌ يحرِّمه آكِلَهْ

(١) ط: «ففيه يقول الحُطيئة» والشعر لبشر.
(٢) البيتان لبِشر بن أبي خازم، وهما في ديوانه: ٢٢٢.
(٣) التمثيل والمحاضرة ٤٤٦.
(٤) ط: «حفان» تحريف.
(٥) الكامل ٣/ ١١، من غير نسبة.
(٦) الكامل: ٣/ ١١.

وقد ظرف أبو محمد عبد اللّه بن أحمد الخازن الأصبهاني في قوله من قصيدة للصاحب:

وما قَعَدَتْ بنا الأحوال حتّى أقام حذاء أعيننا الحذَايَا
ومن باراه ضلّ ولا خفاء بلؤم الباهليّ وإن تطايا

١٦٩ ـ **رُماة بني ثُعَل**: يضرب بهم المثل، ويوصفون بجودة الرميّ من بين قبائل العرب، قال امرؤ القيس(١):

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ مخرجٌ كَفّيْهِ مِنْ سُتَرِهْ(٢)

وقال أبو مسلم محمد بن بَحْر:

هلْ أنتَ مُبلغُ هذا الفارس البطلِ عنّي مقالة صبٍّ غير ذي خَطَلِ
إن كنت أخطأت برجاساً عمدت له فأنت في رمي قلبي من بني ثُعَلِ(٣)

١٧٠ ـ **قيافة بني مُدْلِج**: القيافة علم اختصت به العرب من بين سائر الأمم، وهو إصابة الفِراسة في معرفة الأشياء في الأولاد والقَرابات ومعرفة الآثار؛ وهي في كنانة أكثر منها في غيرها، وبنو مُدلِج القيافة منهم، وما ظنك بقوم يلحقون الأسود بالأبيض، والأبيض بالأسود، والوضيء بالدَّميم، والدَّميم بالوضيء، والطويل بالقصير، والقصير بالطويل! فمنهم سُراقة بن مالك المدلجيّ أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثرَ رسولِ اللّه ﷺ حين خرج إلى الغار مع أبي بكر رضي اللّه عنه، فلما رأى أثر قدمه؛ قال: أما محمد فإني لم أره، ولكنْ إن شئتم أنْ ألحق هذا الأثر، قالوا: فالحقه، قال: هو أشبه شيء بالأثر الذي في مقام إبراهيم، فضرب أبو سفيان بكمّه على الأرض ليعفو الأثر وقال: قد خرِف الشيخ.

ومنهم مجزّر المدلجيّ، دخل على رسول اللّه ﷺ، فرأى زيد بن حارثة وأسامة بن زيد قد ناما في قَطيفة، وغطّيا رأسيْهما، وبدتْ أقدامهما فقال: إن هذه أقدام بعضُها من بعض، فسرّ بذلك رسول اللّه ﷺ.

ومن مليح الشعر في القيافة قول أبي محمد بن مُطران الشاشي في أخوين متفاوتين:

بين أخلاقِك التي هي أخلا قٌ وأخلاقِه العِتاقِ مسافَهْ

---

(١) الكامل: ٣/ ١٠ من غير نسبة.
(٢) ديوانه: ١٢٣.
(٣) البرجاس: الغرض يُرمى إليه.

ولَعَمري لَفي ادِّعائك إيّا ه كَمَن رَام إبطال عِلم القِيافَهْ

١٧١ ـ عِيافة بني لِهْب: هم أزجُر العرب وأعيَفهم، قال بعض الرواة: حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضوان اللّه عليه، فصاح به صائح: يا خليفة رسول اللّه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، فقال رجل من خلفي: دعاه باسم ميّت، مات واللّه أمير المؤمنين! فالتفت فإذا هو رجل من بين لِهْب من بني نَصْر بن الأزد؛ وهم أزجر العرب وأعيَفهم؛ قال: فلما وقفنا للجِمار ورميت، إذا حصاة قد صكّت صلعة عمر فأدمتْها، فقال قائل: أُشعِرَ واللّه أمير المؤمنين. ولا واللّه ما يقف هذا الموقف أبداً، فالتفتُّ فإذا أنا بذلك اللِّهْبيّ بعينه، فقتل عمر رضي اللّه عنه قبل الحول.

وقال كُثَيِّرُ في رجل منهم، يقال له لِهْب بن أبي أحجَن الأزديّ العائف:

تيَمّمتُ لِهْباً أبتغي العلمَ عندَه وقد صار علْمُ العائفينَ إلى لِهْبِ(١)

١٧٢ ـ خطباء إياد: يضرب بهم المثل؛ وقال يوماً عبد الملك بن مروان لجلسائه: هل تعرفون حيًّا هم أخطب الناس، وأجود الناس، وأشعر الناس، وأنكح الناس؟ فأطرقوا؛ فقال: هم إياد، لأن قسّاً منهم، وكعب بن مامة وأبو داود الإيادي منهم، وابن ألغز منهم؛ وكلٌّ مثل في جنسه؛ فأما قُسّ فهو ابن ساعدة، أسقف نَجْران وأحكم حكماء العرب، وأبلغ وأعقل مَن سُمع به منهم؛ وهو أوّل مَن كتب: من فلان إلى فلان؛ وأول مَنْ خطب متوكّئاً على عصا، وأول مَن أقرّ بالبَعْث، وأوّل مَن قال: أما بعد؛ وبه يُضرب المثل في الخطابة والبلاغة(٢)؛ قال الأعشَى:

وأبلغ مِن قُسٍّ وأجْرَا من الذي بذي الغِيل مِنْ خفّان أصبح خادرا(٣)

وقال الحطيئة:

وأخْطَبُ من قُسٍّ وأمضى إذا مضَى مِن الريح إذْ مسَّ النُّفوسَ نَكالُها(٤)

ومن مشهور كلامه: ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون! أرضُوا بالمُقام فأقاموا، أم تُركوا فناموا!

ومن سائر شعره:

في الذّاهبينَ الأوّلينَ من القرون لنا بصائرُ

(١) العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها.
(٢) الميداني ١/ ١١١، ٢٥١، ولفظ المثل فيهما: أبلغ من قس، وأخطب من قس.
(٣) الميداني ١/ ١١١.
(٤) ديوانه: ٦٧، وروايته: «من السيف».

لـــمَّـــا رأيــــتُ مـــوارداً لـلـمـوتِ لَـيْـسَ لـهـا مـصـادِرْ
ورأيــت قـــومـــي نَـــحْـــوَهَـــا يـمـضـي الأكـابـرُ والأصـاغـرْ
أيـــقـــنـــتُ أنّـــي لا مـــحـــا لـةَ حـيـثُ صـار الـقـومُ صـائـرْ

ويُروى أن النبي ﷺ ذكر قُسّاً فقال: «يُحشر أُمَّةً وحدَه».

١٧٣ ـ **ثريدة غسّان**: كان القومُ ملوكاً يختصّون من بين العرب بالطيّبات، ولهم الثريدة التي يُضرب بها المثل؛ وهي التي أجمعت العرب على أنه ليست ثريدة أطيب منها لا من طعام العامة، ولا من طعام الخاصة؛ فصارت مثلاً في أطايب الأطعمة، كمَضيرة معاوية، وفالوذج ابن جُدْعان.

وذكر بعض الرُّواة أنها كانت من المخّ والمُحّ، ولا أطيب منهما.

١٧٤ ـ **مُهور كِنْدة**: كانت كندة لا تزوّج بناتِها بأقل من مائة من الإبل، وربما أمهرت الواحدة منها ألفاً منها؛ فصارت مهور كِندة مثلاً في الغلاء، حتى قال النبي ﷺ: «اللهم أذهِبْ مُلْك غسان، وضَعْ مُهورَ كِندَة». وقال أيضاً: «أعظم النِّساء بركةً أحسنهنّ وجوهاً، وأرخَصهنّ مهوراً».

١٧٥ ـ **حَرّة بني سُلَيم**: يضرب بها المثل في السواد، وهي إحدى العجائب، لأنها سوداء، وأهلها بنو سُلَيم كلهم سود، ومَنْ نزلها من غير سُلَيم اسودّ.

وقال الجاحظ: وإنهم ليتخذون المماليك للرّعي والسقي والمهنة والخدمة من الروميِّين والصقالبة[(١)] مع نسائهم؛ فما يتوالدون ثلاثة أبطن حتى تقلبهم الحرة إلى ألوان بني سُليم؛ ولقد بلغ من أمر هذه الحَرّةِ أنّ ظِباءها ونعامها وذئابها وثعالبها وحميرها وخيلها وإبلها كلُّها سود. قال: والسَّواد والبَياض هُما من قبَل خلقة البلدة، وما طبع اللّه عليه الماء والتُّربة، ومن قبَل قُرْب الشمسِ وبُعدها، وشدة حرّها ولينها، وليس ذلك من قبل مَسْخ ولا عقوبة ولا تَشْويه ولا تقبيح؛ على أن حرَّة بني سُلَيم تجري مجرى بلاد الترك، فإنك إذا رأيت الترك ورأيت إبلهم ودوابهم وكلَّ شيء لهم، حسبته شيئاً واحداً، وكل شيء لهم تركيّ المنظر.

---

(١) الميداني ١/ ١١١.
(٢) أ: «الصقلابيين».

فيما يُضاف ويُنسَبُ إلى رجالٍ مُختلِفين

حكمة لقمان، رأي سَطيح، جُود كعب، بُخل مادر، بلاغة قُسّ، عيّ باقل، جار أبي داود، جليس قَعقاع، فَتْكة البرَّاض، حديث خُرافة، مواعيد عُرقوب، وفاء السموأل، نَدامة الكُسَعيّ، عَدْو سُلَيك، صَفْقة أبي غَبْشان، قبر أبي رِغال، نفس عِصام، يَدا عذْل، هوان قُعَيس، ميتة أبي خارجة، جزاء سنمَّار، كنز النَّطِف، حِلْف الفُضول، مسير حُذيفة، نكاح حَوْثرة، ذكَر ابن ألغز، أَيْر الحارث بن سَدوس، نومة عَبّود، حُمْق هَبَنّقة، جَهْل أبي جهل، شؤم طُوَيس، كذب مُسَيلَمة، طمع أشعب، سُنيَّات خالد، أصفر سُلَيم، بخت أبي نافع، قِنْديل سَعْدان، واو عمرو، شَرْبة أبي الجهْم، لحن الموصِليّ، غناء إبراهيم بن المهديّ، عود بُنان، ناي زنام، خَرْص أبي السّقاء، حكاية أبي ديونه، لُواط يحيى بن أكْثَم.

الاسْتِشْهادُ

١٧٦ ـ حكْمة لقمان: قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، وحكى عنه مواعظه ووصاياه لابنه، ونَسَب إليه سورة من كتابه، فما الظنُّ بمَنْ ثَبَّت اللّه له حكمته، وارتضى كلامه! أليس حقيقاً أن يُضرب به المثل! ويُروَى أنه كان عبداً حبشياً لرجل من بني إسرائيل، فأعتقه وأعطاه مالاً؛ وذلك في زمن داود عليه السلام.

ولم يكن لقمان نبيًّا في قول أكثر الناس. وعن سعيد بن المسيّب أنّ لقمان النبيّ كان خيّاطاً.

قال وهب بن مُنبِّه: قرأت من حِكمته نحواً من عشرة آلاف باب لم يسمع الناس كلاماً أحسَن منها، ثم نظرت فرأيت الناس قد أدخلوها في كلامهم، واستعانوا بها في خطبهم ورسائلهم، ووصلوا بها بلاغاتهم، وقد أكثروا من ضرب المثل بحكمته، كما قال السّريّ وهو يمدح أبا محمد الفيّاض الكاتب:

أخو حِكَمٍ إذا بدأت وعادَتْ ... حَكَمْنَ بعجز لُقمان الحكيمِ[1]

(١) ديوانه: ٩٧.

مَلكت خِطامها فعلَوتَ قُسّاً بـرونقِها وقيسَ بن الخَطيم

ومن محاسن مواعظه لابنه قوله له: يا بنيّ، بع دنياك بآخرتك تربحْهما جميعاً. يا بنيّ، إيّاك وصاحبَ السوء فإنه كالسيف يَحسن منظرُه ويَقبحُ أثره. يا بنيّ، لا تكن النملة أكيَسَ منك، تجمع في صيفها لشتائها. يا بُنيّ، لا يكن الديك أكيَسَ منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم. يا بُنيّ، إياك والكذب فإنه أشهَى من لحم العصفور. يا بنيّ، إن اللّه تعالى يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بالمطر. يا بنيّ، لا تقرب السلطان إذا غضب، والنهر إذا مَدّ. يا بنيّ، اتخذ تقوى اللّه بضاعة تأتِكَ الأرباح من غير تجارة. يا بنيّ، شاور مَن جرّب الأمور؛ فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه بالمجّان. يا بنيّ، كذّب مَن قال: إنّ الشر يطفأ بالشرّ، فإن كان صادقاً فليوقد نارين، ثم لينظر هل تطفأ إحداهما بالأخرى! وإنما يطفىء الخيرُ الشرَّ كما يُطفىء الماء النار.

١٧٧ ـ **رأيُ سَطيح**: سَطيح الكاهن، كان يُطوى كما تُطوَى الحصير، ويتكلم بكل أعجوبة في الكَهانة؛ وكذلك شِقّ الكاهن، وكان نصف إنسان، قال ابن الرومي متمثلاً برأيِ سَطيح:

وإذا ارتأى رأياً فأثقبُ ناظر نظراً وأبعده مدى تطويحِ
تُبدِي له سرَّ العيون كهانةٌ يوحي بها رأيٌ كرأيِ سطيحِ
سبقت بحُنْكته التجارب فطنة كالشوْكة استغنت عن التنقيحِ

وقال أيضاً وذكرهما معاً:

لك رأيٌ كأنه رأيُ شِقّ وسَطيحٍ قريعَي الكُهّانِ
يَستشِفّ الغيوبَ عَما تَوارَيْـ ـنَ بعينٍ جليّة الإنسانِ(١)

١٧٨ ـ **جود كعب**: قال الجاحظ: العامة تحكمُ بأنّ حاتماً الطائيّ أجوَدُ العرب؛ ولو قدمته على هَرِم في الجود لما اعترض عليهم؛ ولكنَّ الذي يحدَّث به عن حاتم لا يبلغ مقدار ما رووه عن كعب؛ لأنّ كعباً بذل النفس حتى أعطبه الكرم، وبَذَلَ المجهود في المال فساوى حاتماً من هذا الوجه وباينه ببذل المهجة؛ ومن حديثه أنه خرج في رَكْب فيهم رجل من النّمرِ بن قاسط في شهر ناجر(٢)

(١) تستشف، أي تكشف الغيوب.
(٢) ناجر: شهر من الشهور الصيفية الشديدة الحَر.

فضّلوا وعطشوا، فتصافنوا ماءهم - والتصافن أن تطرح حصاة في القَعْب - والتفت كعب، فأبصر النمَريّ يحدّق النظر إليه، فآثره بمائه، وقال للساقي: اسق أخاك النَّمَريّ، فشرب النمري نصيب كعب ذلك اليوم؛ ثم نزلوا المنزل الآخر فتصافنوا بقيّة مائهم؛ ونظر النمَريّ إلى كعب كنظر أمْسِه، فقال كعب كقول أمْسِه، وارتحل القوم وقالوا: ارتحل يا كعب، فلم يكن به قوة للنهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقيل له: رِدْ يا كعب؛ إنك وارد، فعجز عن الجواب، ثم فاضت نفسه النّفيسة.

وقد أكثر الناس التمثّل به، ومن أبدعه قول الصاحب:

وما نالَ كعْبٌ في السماحة كعبَهُ

١٧٩ - بُخل مادِر: هو رجل من بني هلال بن عامر، يُضرب به المثل[١]، بلغ من بخله أنه سقى إبله، فبقي في الحوض ماء قليل، فسلح فيه ومدر الحوْضَ بالسَّلْح، أي لطّخه.

وأحسن من هذا القول ما قرأت للصاحب في رسالة مداعبة قوله: اعلم يا أخي أنّك جئت في اللؤم بنادر، لم تَهتَدِ له فِطْنة مادر.

وكان يأتي الماء حتى إذا رَوِيَ وأَروَى ملأه مَدَراً ضناً على غيره بوروده.

١٨٠ - بلاغة قُسّ: قد تقدّم ذكره[٢]، وذكر ضرب المثل ببلاغته وخطابته في الباب الذي قبل[٣] هذا الباب؛ وهو أشهر من أن يُعاد حديثه.

١٨١ - عيّ باقل: حديثه مشهور، وهو أنه اشترى ظَبْياً بأحد عشر دِرْهماً، فمرّ بقوم فقالوا له: بكم أخذت الظبي؟ فمدّ يديه، وأخرج لسانه - يريد بأصابعه عشرة دراهم، وبلسانه درهما - فشرد الظبيّ حين مدّ يديه، وكان الظبي تحت إبطِه، فجرى المثل بعيِّه، وقيل: أشدُّ عِيًّا من باقل، كما قيل: أبلغُ من سَحْبانَ وائل.

١٨٢ - جار أبي دُوَاد: كان كعب بن مامةَ إذا جاوره رجلٌ قام له بكل ما يصلحه وعياله، وحَماه ممن يريده، وإن هَلَكَ له بعير أو شاة أو عَبْد أخلف عليه، وإن مات وَداه، فجاوره أبو دُوَاد الإيادي الشاعر، فكان يفعل به ذلك ويزيد في بِرّه، فصارت العرب إذا حمدتْ جاراً يُحسن جِواره قالوا: كجار أبي دُوَاد، قَالَ قَيس بن زهير:

أطـوِّف مـا أطـوِّف ثـمّ آوِي ... إلـى جـارٍ كـجـارِ أبـي دُوَادِ

---

(١) الميداني ١/ ١١١.
(٢) ص ١٢٢.
(٣) ط: «يلي». صوابه من ا.

وكان أبو دوَاد يفعل بجيرانه مثل ما فعل كَعْب به. ولبعض أهل العصر في التمثيل به:

وعَجزِي بانَ عَنْ وصف الأيادِي كجارِ أبي دُوَاد للإيادي

١٨٣ ـ **جليس قعقاع**: هو القعقاع بن شَوْر الذّهليّ، كان إذا جالسه واحد بالقصد إليه جعل له نصيباً من ماله، وأعانه على عدوّه، وشفع له في حوائجه، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له، ودخل القعقاع على معاوية رضي اللّه عنه يوماً ومجلسه غاصّ بأهله، فلم يجد موضعاً، فأوسع له بعض جلسائه حتى جلس بجنبه؛ ثم أمر معاوية للقعقاع بمائة ألف درهم، فقال القعقاع لجليسه: اقبضها، فلما قال له الرجل: خذ مالك، قالَ: ما دفعته إليك وأنا أريد أسترجعه منك؛ فقال الرجل في ذلك:

وكنتُ جليسَ قعقاع بن شَوْرٍ ولا يشقَى بقعقاعٍ جليسُ[(١)]
ضَحُوكُ السِّنّ إن نطقوا بخيرٍ وعند الشرّ مِطرَاقٌ عَبوسٌ

وكان الرجل يجالس بني مخزوم، فسعوا به، وزعموا أنه يقع في الوُلاة فقال الرجل:

شَقِيتُ بكمْ وكنت لكمْ جليساً ولستُ جليسَ قعقاعِ بن شَوْرِ[(٢)]
وقبلكُمُ أبو جهلٍ أخوكمْ غزا بدراً بمِجمرةٍ وتَوْرِ[(٣)]

١٨٤ ـ **فَتْكة البرّاض**: هو البرّاض بن قيس الكِنانيُّ، أحد فُتّاك العرب الذين يُضرب بهم المثل في الفَتْك، كالحارث بن ظالم، وعمرو بن كلثوم والجحّاف بن حكيم؛ ومن خبر فَتْكه البرّاض أنّه كان وهو في حَيِّه عيّاراً[(٤)] فاتكاً يجنِي الجنايات على أهله، فخلعه قومه وتبرأوا من صنعه، ففارقهم، وقدم مكة فحالف حرب بن أميّة، ثم نبا به المُقام بمكة أيضاً، ففارق الحجاز إلى العراق، وقدم على النعمان بن المنذر فقام ببابه، وكان النُّعمان بن المنذر يبعث كل عامٍ إلى عُكاظ بلطيمةٍ[(٥)] لتباع له هناك؛ فقال وعنده البَرّاض والرَّحّالَ ـ وهو عروة بنُ عتبة: مَن

(١) الكامل ١/ ١٧٧.
(٢) الكامل ١/ ١٧٧.
(٣) التور: إناء من صفر.
(٤) رجل عيار: كثير الذهاب والمجيء في الأرض.
(٥) اللطيمة: العير تحمل الطيب والبز.

يُجيز لي لطيمتي حتى يقدمها عكاظاً؟ فقال البراض: أبيت اللعن! أنا مجيزها[١] على كنانة، فقال النعمان: ما أريد إلا رجلاً يُجيزها على الحَيَّيْن: قيس وكنانة، فقال عرْوة الرَّحَّال: أبيت اللعن! أهذا العيّار الخليع يكمل[٢] أن يجيز لطيمة الملك! أنا واللّه مجيزها على أهل الشِّيح والقَيْصوم من نجد وتِهامة، فقال: خذها فأنت لها؛ فرحَل عروة بها، وتبع البرّاض أثره، حتى إذا صار بين ظهراني قومه وثب إليه البرّاض بسيفه، فضربه ضربة خَرّ منها، واستاق العِير[٣]. فصارت فَتْكة البرّاض مثلاً، قال أبو تمّام:

والفَتَى مَن تَعرّقَتْهُ الليالي ... والفيافي كالحيَّة النَّضْنَاضِ[٤]
كلّ يوم له بصرفِ الليالي ... فَتْكةٌ مثلُ فَتْكَةِ البَرّاضِ

وكان يُقال: فَتَكاتَ الجاهلية ثلاث، وفَتكات الإسلام اثنتان؛ فأما فَتَكات الجاهلية ففتْكة البرّاض بعرْوة؛ وفتكَة الحارث بن ظالم بخالد بن جعفر بن كلاب؛ فَتك به وهو في جِوار الأسود بن المنذر الملك، فقتله وطلبه الملك فأعجزه[٥]، وفتْكةُ عمرو بن كُلثوم بعمرو بن هند الملك، فتكَ به وقَتَله في دار مُلْكه بين الحيرة والفرات، وهتك سرادِقه، وانتهب رَحْله وخزائنه، وانصرف بالتّغالِبَة إلى بادية الشام موفوراً، ولم يُصَبْ[٦] أحدٌ من أصحابه؛ وأما فَتْكَتَا الإسلام، ففتكة عبد الملك بن مرْوان بعمرو بن سعيد بن العاص، وفيه قيل:

كأنّ بني مَرْوان إذ يقتلونَهُ ... بُغاثٌ من الطير اجتمعن على صَقْرِ[٧]

وفَتْكة المنصور بأبي مسلم.

١٨٥ ـ حديث خُرافة: خرافة رجلٌ من بني عُذْرة، استهوته الجنّ، فلما خلّتْ عنه رجع إلى قومه، وجعل يحدّثهم بالأعاجيب من أحاديث الجنّ، فكانت

---

(١) أ: «أنا المجيز بها».
(٢) كذا في ا والميداني، وفي ط: «يحمل»، وفي الأغاني: أفكلب خليع يجيزها!».
(٣) الخبر في الأغاني ١٩/ ٧٥ ـ ساسي، والميداني ٢/ ٨٧، ٨٨، وأسماء المغتالين من الأشراف ١٤١.
(٤) ديوانه: ٢/ ٣١٠، ٣١١. وتعرقته: أهزلته.
(٥) أنظر أسماء المغتالين من الأشراف ١٤١، ١٤٢.
(٦) أ: «لم يكلم أحد من أصحابه».
(٧) البيت في الحيوان ٦/ ٣١٥، بدون نسبة، وفي ٧/ ٦٠، نسبة إلى بشر بن مروان.

العرب إذا سمعت حديثاً لا أصل له، قالت: حديث خرافة، وضربه ابن الزِّبَعْرَى مثلاً بالكُفر بالبعث حيث قال:

حَيَاةٌ ثمّ موتٌ ثم نَشْرٌ   حديثُ خُرَافةٍ يا أمّ عمرِو

ثم كثر هذا في كلامهم حتى قيل للأباطيل والترّهات: خرافات.

ويُروى أنّ رجلاً تحدّث بين يديْ رسول اللّه ﷺ بحديث، فقالت امرأة من نسائه: هذا حديث خُرافة، فقال عليه السلام: «لا وخرافة حق»[١].

ويُروَى أن الجنّ لما استهوتْه كانت تخبره بما يقع إليهم من أخبار السماء عند استراقهم السمع، فيخبر به خُرافةُ أهلَ الأرض فيجدونه كما قال[٢].

١٨٦ ـ مواعيد عرقوب: يُضرب بها المثل في الكذِب والخُلْف[٣]، وعُرْقوب رجلٌ من خَيبر، ويُقال: إنه من العمالقة، أتاه أخوه يسأله، فقال له عرقوب: إذا أَطْلعت تلك النخلة فلك[٤] طلعها، فلما أطلعت أتاه للعِدَة[٥]، فقال له: دَعْها حتى تُبلح، فلما أبلحَت[٦] أتاه فقال: دَعْها حتى تُزْهِيَ[٧]، فلما زهَتْ قال: دَعْها حتى تُرطِب[٨]؛ فلما أرطبت، قال: دعها حتى تُتْمر، فلما أتمرت سَرى إليها عُرقوبٌ من الليل، فجذَّها[٩] ولم يعطِ أخاه شيئاً، فسارت مواعيده مثلاً سائراً في الأمثال[١٠] كما قال كعب بن زهير:

صَارَتْ مواعيدُ عُرْقُوبٍ لهَا مثلاً   ومَا موعيدُها إلّا الأباطيلُ[١١]

فليسَ تُنجِز ميعاداً إذا وعَدتْ[١٢]   إلا كما يُمسك الماءَ الغرابيلُ

---

(١) في الميداني: «يعني ما تحدث به عن الجن حق».
(٢) الميداني ١/ ١٧٥.
(٣) الميداني ٢/ ٣١١.
(٤) أ: «ذلك»، تحريف.
(٥) كذا في ا والميداني، وفي ط: «كوعده».
(٦) أبلحت النخلة؛ إذا صار ما عليها بلحاً، والبلح: حمل النخل ما دام أخضر صغاراً كحصرم العنب.
(٧) أزهي النخل وزها؛ إذا تلوّن بحمرة وصفرة.
(٨) الرطب: نضيج البسر قبل أن يثمر. والبسر: ما لُوِّن من التمر ولم ينضج.
(٩) جدها، أي قطعها، وفي أ: «جذها» وهما سواء.
(١٠) الميداني ٢/ ٣١١.
(١١) ديوانه: ٨، وروايته: «كانت».
(١٢) الديوان: «وما تمسك بالوصل الذي زعمت».

وقال الشّماخ:

وَعَدْتَ وكان الخلفُ منك سجيَّةً مواعيدَ عُرقوب أخاه بيثْرِبِ[(١)]

وممّا نقَم به عمرو بن هند على المتلمّس حتى أمر فيه بما أمر قولُه في هجائه:

وطَردْتَني حَذَر الهِجاء وَلا والّلاتِ والأنصابِ لا تَئِلُ[(٢)]

شرُّ الملوك وشرُّهم حسباً في الناس من عَزُّوا ومَنْ جهلوا[(٣)]

مَنْ كان خُلْفُ الوعدِ شيمَته والغَدْرُ عُرْقوبٌ له مثلُ[(٤)]

وقال الصَّنَوبريّ في نظم قِصّة عرقوب:

قالوا لنا نخلَةٌ وقد طَلَعتْ نخلتها فاصطبِرْ لطلعَتِها[(٥)]

حتى إذا صار طلعُها بلحاً قالوا توقّعْ بلوغَ بُسْرتها

حتى إذا بُسرُها غدا رُطَباً فازوا بأغْداقِها برُمّتِها

عدمتُها نخلةٌ كنخلة عُر قوبِ ومن قِصّةٍ كقِصّتها

وقرأتُ لبعض الكتّاب فصلاً في الشكوى استظرفت منه قوله: وقد حصلت على أحزانِ يعقوب، ومواعيد عُرْقوب[(٦)].

١٨٧ ـ وفاء السموأل: هو ابن عادياء اليهوديّ، القائل:

إذَا المرءُ لم يدنَس من اللُّؤمِ عِرضُهُ فكلُّ رِداءٍ يَرتديهِ جميلُ[(٧)]

ومن وفائه أن امرأ القيس بن حُجْر الكنديّ لمّا أراد الخروج إلى الروم استودع السموأل دروعاً له، فلمّا هلك امرؤ القيس غزا ملك من ملوك الشام السموأل، فتحصّن منه في حِصْنه، فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن، وقال له: إما أن تفرج عن وديعة امرىء القيس، وإما أن أقتل ابنك، فامتنع من تسليم

---

(١) البيت في اللسان (عرقب)، ونسبه إلى الأشجعي؛ وهو أيضاً بهذه النسبة في الميداني، ولم أجده في ديوان الشماخ. ويترب: موضع باليمامة، ويُروى، بيثرب»، وهي المدينة نفسها.

(٢) الأغاني ٢١/٢٣٦ ـ ساسي، وروايته: «اطردتني»: أي صيرتني طريداً. ولا تئل، أي لا تنجو، والموئل: الملجأ.

(٣) ط: «إن عزوا وإن جهلوا»، وأثبت ما في ا والأغاني.

(٤) لم يرد في رواية الأغاني.

(٥) لم أجدها في ديوانه.

(٦) أ: «أحزان يعقوبية، ومواعيد عرقوبية».

(٧) ديوانه: ١٠.

الوديعة، فذبح الملك ابنه وهو ينظر إليه، ثم انصرف ووافى السموأل بالدُّروع الموسمَ، فدفعها إلى ورثة امرىء القيس، وقال:

بَنَى لِيَ عادِيا حِصناً مَنيعاً ... وماءً كلّما شئت استقَيْت[١]
وفيتُ بأَدْرُع الكِنْديّ إنّي ... إذا ما خانَ أقوامٌ وَفَيْتُ
وقالوا إنه كنزٌ رغيبٌ ... ولا واللَّه أغْدِر ما مَشَيتُ

وقد أكثر الناس من ضرب المثل به، فمن ذلك قول الأعشى:

كنْ كالسموأل إذْ طاف الهمام به ... في جَحْفَلٍ كسوادِ اللَّيْلِ جرّارِ[٢]
بالأبلق الفَرْد من تيماءَ مَنْزِلُهُ ... حِصْنٌ حصينٌ وجارٌ غير غَدّارِ
ورامه الخَسْف تهديداً فقال له ... مهما تقله فإني سامع حَارِ[٣]
فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما ... فاخترْ وما فيهما حَظٌّ لمختارِ
فشكّ غير طويل ثم قال له ... اقْتلْ أسيرَكَ إنّي مانعٌ جارِي

١٨٨ ـ **ندامة الكُسَعيّ**: هو محارب بن قيس، ومن حديثه أنه كان يرمي إبلاً له، فبَصُر بنبْعة في صخرة، فأعْجبتْه، وقال: ينبغي أن تكون هذه قَوْساً، فجعل يتعهّدها ويَرقُبها، حتى إذا أدركت قطّعها وجفّفها؛ فلما جَفَّت اتخذ منها قوساً وأسهماً[٤]، ثم خرج حتى أتى غِرّةً على موارد حَميرٍ وَحْش؛ فكَمن ليلاً فيها، فمرّ قطيعٌ منها، فرماه فمَرَق منه السهم، فظنّ أنه أخطأ، ثم لم يزل يفعل ذلك حتى أفنى الأسهم الخمسة في خمسة أعيار[٥]، وقد أصابها كلَّها، وهو يظنّ أنّه أخطأها، فأنشأ يقول:

أبعد خمسٍ قد حفظتُ عَدّها ... أحمِلُ قوسي فأريد رَدَّها

---

(١) من قصيدة في ديوانه: ٣١ ـ ٣٦.
(٢) الأغاني ٩/ ١١٩، الشعر والشعراء ٢١٧.
(٣) رواية البيت في الشعر والشعراء:
خيَّرَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... إعرضهما هكذا أسْمَعْهما حارِ
(٤) بعدها في الميداني: وأنشأ يقول:
يا ربّ وفّقْني لنحْتِ قوسِي ... فإنّها من لذّتي لنفسِي
وانفخ بقوْسِي وَلَدِي وعُرسِي ... أنحتُها صفراء مثل الوَرْسِ
* صَفْراء ليستْ كقِسِيّ النّكْسِ *
(٥) أ: «خمسة أعيار».

أَخْزَى الإلهُ لينها وشدَّها والله لا تسلَمُ عندي بعدَها
وَلا أرجّي ما حييتُ رِفْدَهَا

ثم عَمَد إلى القوْس فضرب بها حجراً وكسرها ونام، فلما أصبح نظر إلى الأعيار مصرّعةً حولَه، وأسهمه مضرّجة، فندم على كسر القَوْس، فشدّ على إبهامه، فقطّعها وأنشأ يقول:

ندِمْتُ ندامةً لو أنّ نفسي تُطاوِعُني إذَنْ لَقَطَعْتُ خَمسِي
تبيّنَ لي سَفاهُ الرأي مني لَعمرو أبيك حينَ كَسَرْتُ قَوْسي

وسارت ندامتُه مثلا في كل نادمٍ على ما جنتْه يداه، كما قال الفرزدق لمّا طلّق امرأته نوار وندِم عليها:

نَدِمْتُ ندامَةَ الكُسَعيّ لمَّا غَدَتْ مِنِّي مُطلَّقةً نَوارُ[1]
وكنتُ كفاقىءِ عينيْه جهلاً فأصبحَ لا يُضيءُ له نهارُ
وكانتْ جَنَّتي فخرجتُ منها كآدمَ حين لجَّ به الفِرَارُ

وقال آخر:

ندمتَ ندامة الكُسَعِيّ لمَّا رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكَ[2]

١٨٩ ـ عَدْوُ السُّلَيك: هو السُّليك بن السُلَكة، الذي يُقال له: سُلَيك المَقانب؛ وقد تقدّم ذِكره، والعربُ تضرب به المثل، وتزعم أنه والشّنفرى أعْدى مَنْ رُئيَ. ويُحكى كثيرٌ عن سبقهما الأفراس وصيْدهما الظِّباء عَدْواً، واللّه أعلم بصدقِهِ أو كذبه. قال أبو عبيدة: العدّاؤن من العرب: السُّلَيك والشَّنْفَرَى والمنتشر بنُ وهب وأوفى بن مطر؛ ولكن المَثَل سار من بينهم بالسُّلَيك.

١٩٠ ـ صَفْقة أبي غَبْشان: يُضرَب به المثل في الخسران، وكانت خُزاعةُ سَدَنَة[3] الكعبة قبل قريش؛ وكان أبو غبشانَ الخُزاعيّ يلِي من بينهم أمرَ الكعبة، وبيَده مفاتيحُها؛ فاتفق له أنه اجتمع مع قصيّ بن كلاب في شَرْب بالطائف، فخدعه قُصيّ عن مفاتيح الكعبة بأن أسكره، ثم اشتراها منه بزقّ خَمْر، وأشهد عليه، ودفع المفاتيح في يد ابنه عبد الدار بن قصيّ، وسرّحه[4] إلى مكة، فلمّا أشرف عبدُ الدار

(١) ديوانه: ٢٦٣، ٢٦٤.
(٢) أ: «عيناه ما صنعت يداه».
(٣) السادن: خادم الكعبة.
(٤) أ: «وصيّر به».

على دور مكة رفع عقيرته وقال: يا معاشرَ قريش؛ هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ردّها اللّه عليكم من غير غدْر ولا ظُلم؛ وأفاق أبو غَبْشان من سُكْرِه نادماً خاسراً، فقال الناس: أحْمَق من أبي غَبشان[١]، وأندم من أبي غَبشان، وأخسر صَفْقة من أبي غَبشان، فذهبت الكلماتُ الثلاث أمثالاً، وأكثرتِ الشعراء القول فيه، فقال بعضهم:

باعت خُزاعةُ بيتَ اللّه إذ سكرَتْ ... بِزقّ خمرٍ فما فازت وَلَا رَبِحَتْ

وقال آخر:

أبو غَبشان أظلمُ من قُصَيّ ... وأظلمُ من بني فِهْرٍ خُزَاعَهْ
فلا تَلْحوا قُصيًّا في شِراها ... ولوموا شيخَكم إذ كان باعَهْ

وقال آخر:

إذا افتخرتْ خُزاعة في قديم ... وجدْنا فخرَها شربَ الخُمورِ
وَبَيْعاً كعبةَ الرحمن حُمْقاً ... بزقّ، بئس مفتخَرُ الفَخورِ!

١٩١ ـ قبر أبي رِغال: أبو رِغال[٢] هو الذي كان يَرجُم الناسُ قبرَه إذا أتَوا مكة؛ وكان وجهُه فيما يزعمون [أنّ][٣] صالحاً النبي عليه السلام [أمَّره][٣] على صَدقات الأموال، فخالف أمرَه، وأساء السِّيرة، فوثبت عليه ثقيف، فقتلته قتلاً شنيعاً؛ وإنما فعلوا ذلك لسوء سيرته في أهل الحرَم، وقد ذكره الشعراء فأكثروا، قال مسكين الدارِميّ:

وأرجُمُ قبرَه في كلِّ عامٍ ... كرجْمِ النَّاسِ قبرَ أبي رِغَالِ[٤]

وقال جرير:

إذا ماتَ الفرزدق فارجمُوه ... كرجْم الناس قبرَ أبي رِغَالِ[٥]

وأنشد الجاحظ للحكَم بن عمرو البهْرانيّ:

والذي كان يكتني برِغَالٍ ... جعَل اللّهُ قبرَه شرَّ قَبْرِ[٦]

---

(١) الميداني ١/٢١٦.
(٢) اسمه زيد بن مخلف، وأبو رغال كنيته، كما في اللسان ١٣/ ٣١٠.
(٣) من ا.
(٤) الحيوان ٦/١٥٧.
(٥) ديوانه: ٤٢٦.
(٦) الحيوان ٦/١٥٦.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لَغَيْلان بن سَلَمة حين أعتق عبيدَه، وجعل مالَه في رِتاج الكعبة: لئن لم ترجْع في مالك لأرجْمنّ قبرك كما يُرْجَم قبرُ أبي رِغَال.

١٩٢ ـ نفس عِصام: يُضرب مثلاً لمن يَشرُف بالاكتساب لا بالانتساب، ويسود بنفسه لا بقومه؛ وعِصام هو الباهليّ الذي يقول فيه النابغة:

نفسُ عصامٍ سوَّدتْ عِصَامَا ... وعلّمْته الكَرَّ والإقدامَا
وجَعلَتْه مَلِكاً هُمامَا[١]

وكان عِصام هذا حاجب [الملك][٢] النعمان بن المنذر، فعرض للنعمان مرض احتجب[٣] فيه عن الناس حتى أَرجفوا به، ولما تعذّر وصولُ النابغة إليه قال فيه قصيدةً منها قوله لعصام:

فإنّي لا ألومُك في دخولٍ ... فقل لي: ما وراءَكَ يا عِصامُ؟[٤]
ألَمْ أقسِمْ عليك لَتُخْبِرَنّي ... أمحمولٌ على النَّعش الهُمامُ؟
فإن يَهلِكْ أبو قابُوسَ يَهلِكْ ... ربيعُ الناس والشَّهر الحَرامُ

قال الجاحظ: وإنّما مدحه ليستأذن له وليوصله، ولم يمدحه لعظم الحجابة في عينه، ومعلوم كيف قدَّر حاجب الملك اليوم.

وكان الأمير إسماعيل بن أحمد السّامانيّ يقول: كنْ عِصَامياً ولا تكن عِظاميّا، أي سُدْ بشرف نفسك كما ساد عِصام، ولا تتكل على سُؤدُد آبائك الذين ماتوا، وصاروا عظاماً نخِرة، فإن الشاعر يقول:

إذا ما الحيُّ عاشَ بِعظمِ مَيْتٍ ... فذاكَ العظمُ حَيٌّ وهو مَيْتُ

١٩٣ ـ يدا عَدْل: هو عَدْل بن سعد[٥] العشيرة، كان على شُرْطةِ تبّع، وكان تُبَّع إذا أراد قتل رجل دفعه إليه، فجرى المثل به في ذلك الوقت، فصار الناس يقولون للشيء الذي ييأسون منه: هو على يَدَيْ عَدْل.

وعهدي بأبي بكر الخُوارَزميّ يقول عند ذم العُدول: ما وقع في يدي عَدْل، فهو على يَدَيْ عَدْل.

---

(١) ديوانه: المسمى التوضيح والبيان ١٠٦.
(٢) من ا.
(٣) كذا في ا، وفي ط: «حجبه» تحريف.
(٤) ديوانه: ٧٤.
(٥) في الاشتقاق ٤١٠ «عدل بن جزء بن سعد العشيرة».

١٩٤ ـ **هوان قُعَيس**: قال الجاحظ: كان قُعَيس عند عمته في ليلة مطر وقرّ[١]، وكان قد أتى بيتَها ضيفاً، فأدخلت كلبها إلى البيت، وتركت قُعَيساً في المطر، فمات من البرد.

وذكر الشَّرقيّ بن القطامي أن قُعَيْس بن مقاعس من بني تميم، وأنه لما مات أبوه حملته عمته إلى صاحب بُرّ، فرهنتْه على صاع من بُرّ، ولم تفكه حتى غَلِق الرهن واستعبده الحنّاط[٢] فصار عبداً له، فصار هوان قُعَيْس[٣] مثلاً، كما قال جَحْظة البَرْمكيّ ـ ويُروَى أنه لمنصور الفقيه:

إذا ما البخيلُ ثَوى في الثرَى ... خَرِي وارثُوه على حُفرتِهْ[٤]
هوانُ البخيلِ على أهلِهِ ... هوانُ قُعَيْسٍ على عمّتِهْ

١٩٥ ـ **ميتة أبي خارجة**: سُمِعَ أعرابيّ يقول وهو متعلق بأستار الكعبة: اللهم ميتةً كما مات أبو خارجة؛ فقيلَ له: كيف كانت ميتة أبي خارجة؟ فقال: أكل بَذَجاً[٥] وشرب مشعلاً[٦]، ونام شامساً، فأتته منيّته شبعان ريّان دَفْآن[٧].

١٩٦ ـ **جزاء سِنِمّار**: يُضرب به المثل[٨] للمحسن يكافأ بالإساءة؛ وكان سنمّار الرُّوميّ مشهوراً ببناء[٩] المصانع والحصون والقصور للملوك، فبنى الخَوَرْنق على فُرات الكوفة للنعمان بن امرىء القيس في مدة عشرين سنة، فكان يبني مدة ويغيب مدَّة، يريد بذلك أن يطمئن البنيان ويتمكن، فلما فرغ منه وصعِده النعمان، وهو معه، ورأى البرّ والبحر، ورأى صيد الضِّباب والظباء والحمير، ورأى صيد الحيتان وصيد الطير، وسمع غناء الملاحين وأصوات الحُداة، وحُسن المعرفة: أبيتَ اللعن! واللّه إني لأعرف في أركانه موضع حَجَر لو زال لزال جميع البنيان، قال: أوَ كذلك! قال: نعم، قال: لا جرم! واللّه لأدعنَّه ولا يعلم بمكانه أحد؛ ثم أمر به فرُمِيَ من أعالي البنيان فتقطّع.

---

(١) أ: «وبرد».
(٢) الحناط: بائع الحنطة.
(٣) الميداني ٢/٤٠٧، ولفظ المثل هناك: «أهون من قعيس على عمته».
(٤) ط: «سحنته».
(٥) البذج: الحمل. وفي ط: «ثردا»، وأثبت ما في ا والحيوان وعيون الأخبار.
(٦) المشعل: زق ينتبذ فيه، وفي العيون: «معسلاً».
(٧) الحيوان ٤/٥٠٢، وعيون الأخبار ٣/٣٧٦.
(٨) الميداني ١/١٥٩، ١٦٠، وفي أ: «يضرب مثلاً».
(٩) أ: «باتخاذ».

ويقال: بل قتله مخافة أن يبنيَ مِثله لغيره من الملوك، فقال شُرَحْبيل الكلبيّ، وجعل الحديث مثلاً:

جَزاني جزاهُ اللّه شرَّ جَزائِه جَزاءَ سِنمَّارٍ وما كان ذا ذَنْبِ[١]
سوى رصِّهِ البنيانَ عشرين حِجَّةً يُعالِي عليه بالقَراميدِ والسَّكْبِ[٢]
فلما رأى البنيانَ تمَّ سُحوقُه وآضَ كمِثل الطَّوْدِذي الباذخ الصَّعْبِ[٣]
وظن سِنّمَّارٌ به كلَّ نافعٍ[٤] وفاز لديه بالكرامة والقُرْبِ
فقال اقْذفوا بالعِلْج من رأسِ شاهقٍ وذاكَ لَعمرُ اللّه من أعظم الخَطْب

١٩٧ ـ كنز النَّطِف: من أمثال العرب: كأنّ عنده كنز النَّطِف، وهو النَّطِف بن خَيْبريّ أحد بني سليط بن الحارث بن يَرْبوع، وكان أصاب [عينَيْ][٥] جوهر من اللَّطيمة التي أنفَذها باذان من اليمن إلى كِسرى بن هرمز، فانتهبها بنو حَنْظلة، وحصلت الجواهر عند النَّطِف فكنزها، وقتلت بها بنو تميم يوم صَفْقَة المشقّر، وصار كنز النَّطِف مثلاً في كلّ رغيبة وعِلْقٍ[٦] نفيس، يقال: لو كان عنده كنز النَّطِف ما عَدَا[٧].

١٩٨ ـ حِلْف الفُضول: هو في بعض الرِّوايات تحالفُ ثلاثة من الفَضْلِين على ألَّا يروْا ظُلْماً بمكّة إلّا غيّروه، وأسماؤهم: الفضل بن شراعة، والفضل بن قُضاعة، والفضل بن نصاعة[٨]؛ والرواية الصحيحة أنه لما كان فيه من الشَّرف والفَضْل سُمِّيَ حِلْف الفضول.

وقال رسول اللّه ﷺ: «لقد شهدتُ في دار عبد اللّه بن جُدْعان حِلْفاً لو دُعيتُ إلى مثله اليوم لأجبت».

وكان سبب[٩] ذلك الحِلْف أنَّ رجلاً جاورهم من زُبَيد، فظُلم حقّه وثمن

---

(١) الحيوان ١/ ٢٣.
(٢) القراميد: مفرده قرميد، وهو الآجر. والسكب: النحاس أو الرصاص.
(٣) سحوقه: طوله. وآض: صار. والطود: الجبل.
(٤) ا والحيوان: «كل حبرة». (٥) تكملة من ا.
(٦) أ: «عقد».
(٧) ما عدا، أي ما صرف.
(٨) أ: «نضاعة».
(٩) أ: «من سبب».

سلعته؛ وكانت ظلامته عند العاص بن وائل السهميّ، وكانت لرجل من بارق ظُلامة عند أبيّ بن خَلَف الجُمحيّ، فلما سمع الزُّبير بن عبد المطلب الزبيديّ وقد صعد في الجبل ورفع عقيرته بقوله:

يا لَلرجالِ لِمظلومٍ بضاعتُه ... ببطنِ مكة نائي الدَّارِ والنَّفَرِ
إنّ الحرام لمَنْ تمّتْ حَرامتُه ... ولا حرامَ لثوب الفاجر الغُدَرِ

فقال الزبير:

حَلفتُ لنَعقِدَنْ حِلْفاً عليهمْ ... وإنْ كنّا جميعاً أهلَ دارِ
نُسمِّيه الفُضولَ إذا عقدْنا ... يقرّ به الغريبُ لذي الجِوارِ

ثم قام هو وعبد اللَّه بن جُدعان، فدعَوا قريشاً إلى التحالف والتناصُر والأخذ للمظلوم من الظالم فأجابوهما، وتحالفوا في دار ابن جُدْعان، وشهِدَه النبي ﷺ قبل الوحي؛ فهذا حِلْف الفُضول[١].

وأما حِلْف المطيّبين؛ فهو تحالف آخر بين قريش، لما اجتمعوا لذلك غمسوا أيديَهم في الطِّيب، ثم تصافحوا وتحالفوا وتعاقَدوا.

١٩٩ ـ مسير حُذَيفة: قال المبرّد: من المسير المذكور الذي يُتمثّل به مسيرُ حُذيفة بن بدر، وكان أغار على هجائن المنذر بن ماء السماء، وسار في ليلة مسيرة[٢] ثمانٍ، فقال قيس بن الخَطيم متمثلاً به:

هَمَمْنا بالإقامة ثم سِرْنا ... مسيرَ حُذيفةَ الخيرِ بن بدرِ[٣]

٢٠٠ ـ نكاح حَوْثرة: حَوْثرة رجل من عبد القيس، يَضرب به العرب المثل في شدّة النكاح وكثرته، فتقول: أنكح من حوثرة[٤].

وممن يضرب به المثل في النكاح والغُلْمة خَوّات بن جُبَير الأنصاريّ، صاحب ذات النِّحيَيْن[٥]، وكان يأتي أحياءَ العرب يتطلب النساء، فإذا سئل عن حاجته قال: قد شَرَدَ لي بَعير فخرجت في طلبه. وأدرك الإسلام، وشهد بدراً،

(١) أ: انظر الخبر وما ورد فيه من الشعر في الروض الأنف ١/ ٩١.
(٢) كذا في ط وعيون الأخبار، وفي أ: «مسيرة ثمان ليال».
(٣) ديوانه: ١٢٢؛ وانظر عيون الأخبار ١/ ١٣٨.
(٤) الميداني ٢/ ٢٤٧، قال: و«اسمه ربيعة بن عمرو».
(٥) ا، ط: «النجيبين»، تحريف، والصواب ما أثبته من ب.

فقال له النبي ﷺ يوماً: ما فَعَل بعيرك الشَّرودُ؟[١] فقال: أمَّا منذ قيّده الإسلام فلا. وتزعم الأنصار أن النبي ﷺ دعا له بأن تسكن غُلمته، فسكنتْ بدعائه ﷺ[٢].

٢٠١ ـ **ذَكَر ابن ألغز**: ابن ألغز رجل من إياد، كان أعظمَ الناس أيْراً، وأشدَّهم نكاحاً، وكان إذا أَنعَظ وتحرك يستلقي على قفاه، فيجيء الفَصيل الأجرب فيحتكّ بأيْره يظنّه الجِذْل ـ والجِذْل عُودٌ في العَطَن يُنْصَبُ لتحتك به الإبل الجَرْبَى ـ ويزعمون أنه أصاب رأسُ أَيْرِه جَنْبَ عَروس زُفّت إليه، فقالت: أتهدّدنا بالرّكبة! وهو القائل:

أَلا ربّما أَنعَظْتُ حتّى إخالُهُ ... سينقَدّ بالإنعاظ أو يتمزّقُ

فأُعمِله حتى إذا قلتُ قَدْ وَنَى[٣] ... أبى وتمطّى جامحاً يتسبّق[٤]

ومِمّن ضرب به المثل الفرزدق، حيث قال[٥]:

لَحا اللّه هَذا مِن خِلالٍ وَمَنْ يَقُلْ ... سِوَى ذَاكَ لاقاهُ بأيْرِ ابنِ ألغزِ

وقال آخر:

أُولاكَ الأُلى كان ابنُ ألغَزَ منهُمُ ... ولا مثل ما كان ابن ألغزَ يصنَعُ

وذكر عبد الملك بن مروان إياداً، فقال: هم أخطب الناس لمكان قُسّ، وأسخى الناس لمكانِ كعْب، وأشعر الناس لمكان أبي دُوَاد، وأنكح الناس لمكان ابن ألغز.

٢٠٢ ـ **أيْرُ الحارث بن سَدُوس**: يُضرب به المثل في كثرة الأولاد؛ قال الأصمعيّ: كان له أحد وعشرون ذَكَراً، قال الشاعر:

فلو شاء ربّي كان أيرُ أبيكُم ... طويلاً كأَيْرِ الحارثِ بنِ سَدُوسِ[٦]

والعَرَب تقول: فلان طويل الأير، إذا كان كثيرَ الأولاد.

وقال عليّ بن أبي طالب كرّم اللّه وجهَه: مَنْ يطلْ أيْرُ أبيه ينتَطِقْ به؛ أي مَنْ

---

(١) كذا في أ، ب، وفي ط: «أيشرد عليك؟»، في الميداني: «يا خوات، كيف شرادك؟».
(٢) انظر الميداني ١/ ٢٧٦، ٢/ ٣٤٧.
(٣) ط: «فأمسكه».
(٤) كذا في ط، وفي أ: «يتنمق»، وفي الميداني: «يتمطق».
(٥) كذا في ط، ولم أجد البيت في ديوان الفرزدق، وفي الأصول الخطية: «وقال آخر».
(٦) اللسان ٤/ ٩٣ من غير نسبة.

كثرت إخوته استَظهَر بهم؛ وضرب المنطقة إذْ كانت تشدّ[١] الظهرَ مَثلاً لذلك.

٢٠٣ ـ نومة عَبّود: رَوَى الفرّاء عن المفضل بن سلمة، قال: كان عبّود عبداً أسود حطّاباً، فَغبر[٢] في مُحْتَطَبه[٣] أسبوعاً لم ينم، ثم انصرف وبقيَ أسبوعاً نائماً، فضُرِب به المثلُ لمن ثَقُل نومُه، فقيل: قد نام نومة عبّود[٤].

وقال الشَّرْقيّ بن القَطاميّ: أصل ذلك أنّ عبوداً تماوتَ على أهله، وقال: اندُبوني لأعلم كيف تندبون إذا مِتّ؛ فسجَّيْنَه وندَبنه، فإذا به قد مات[٥].

قال أبو عبد اللّه بن الحجاج، وهو ضرب به المثل:

قوموا فأهلُ الكهفِ معْ عبّودَ عندكُمُ صَراصِرْ

٢٠٤ ـ حُمْق هَبَنّقَة: قال حمزة الأصبهانيّ: هو هبنّقة ذو الودَعات، واسمه يزيد بن ثَرْوان، أحد بني قيس بن ثعلبة، ومن حُمْقه أنه جعل في عنقه قِلادةً من وَدَع وعَظْم وخَزفٍ وهو ذو لحية طويلة، فسئل عنها، فقال: لأعرّف بها نفسي، ولئلا أضِلّ؛ فبات ذات ليلةٍ، وأخذ أخوه قلادتَهُ فتقلّدها فلمّا أصبح هبنّقة رأى القِلادة في عُنق أخيه، فقال له: يا أخي، إن كنت أنت أنا، فمنْ أنا!

ومن حُمقِه أنه اختصمَت الطُّفاوة وبنو راسب إلى عِرْباض في رجل ادّعاه هؤلاء وهؤلاء، فقالت الطُّفاوة: هذا من عرافتِنا. وقالت بنو راسِب: بل هو من عرافتنا، ثم قالوا: قد رضينا بحُكم أول من يَطلُع علينا، فبينما هم كذلك إذ طَلَعَ عليهم هَبنَّقة، فقَصّوا عليه القصة، فقال: الحُكم عندي في ذلك أن تُلقُوه في نهر البَصْرة، فإن كان راسبياً رَسَب، وإن كان طُفاويًّا طفَا. فقال الرجل: قد زَهِدت في النّسبتين فخلُّوا عني، فلستُ من راسب ولا من الطُّفاوة.

ومن حُمقه أنه ضلّ له بعير؛ فأخذ ينادي: مَن وجد بعيري فهوَ له؛ فقيل له: فلِمَ تنشده؟ قال: فأين حلاوة الوِجْدان!

وكان يَرعى غنماً له، فيُرعِي السِّمانَ منها ويُنحّي المَهازيل، فقيل له في ذلك، فقال: لا أفسِد ما أصلَح اللّه، ولا أُصلح من أفسَدَ اللّه.

---

(١) ب: «إذا كان الظهر يشد بها».

(٢) ط: «فبقي».

(٣) أ: «محطبه».

(٤) الميداني ٢/ ٣٣٧، ولفظ المثل فيه: «نام نومة عبود».

(٥) بعدها في ط: «كقولهم، وهي كلمة مقحمة ليست في الأصول الخطية.

وقال الشاعر فيه:

عِشْ بِجَدٍّ ولا يَضُرُّكَ نَوْكٌ إنّما عَيّشُ مَن ترى بالجُدودِ[١]
عِشْ بِجَدٍّ وكن هَبنّقةَ القَيْـ ـسِيّ أو مِثلَ شَيْبة بن الوَليدِ
رُبَّ ذي إرْبةٍ مُقلٌّ من المـا لِ وذي عُنْجُهيّةٍ مَجْدودِ[٢]

وقال آخر:

فعِشْ بجدٍّ وكنْ هبَنّقةً يَرْضَ بِكَ الناسُ قاضياً حَكَما

وأخبار حمقِه كثيرة، والمَثل به سائرٌ[٣] كما سار بحُمْق جُحا وحُمْق دُغَة.

٢٠٥ ـ جَهْلُ أبي جَهْل: هو ابن هشام، يُضرَب به المثل لجهله لموافقة كُنْيتِه صفتَه، وكان يُكنّى بأبي الحَكَم، وفيه قال مُصعَب بن الورّاق في مخالفة ظاهرِه باطنَه:

أَلناسُ كَنَّوْه أبا حَكَمٍ واللّهُ كَنّاه أبا جَهْلِ[٤]
أبقَتْ رياستُهُ لأسرتِهِ غَضَبَ الإلهِ وذلّةَ الأَصْلِ

وفيه يقول أيضاً حسّان بن ثابت:

ألمْ تَرَياني حين أغدُو مُسبِّحاً بسَمْتِ أبي ذَرّ وجَهلِ أبي جَهْلِ
ومِحبَرتي رأسُ الرّياءِ ودِفْتَري ونَقْلِيَ بالأسحار أَوْ رَائحاً رَحْلي
فكمْ مِن فَتىً قد قال والدُه له علمتَ بهذا إنّه من ذَوِي الفَضْلِ
يبرّئه مِنْ أن يُصاحِبَ شاطِراً كمن فَرّ مِن حَبْسِ الخَراجِ إلى القَتلِ

وقال ابن الحجّاج من قصيدة:

بِرطلِ راحٍ كالمِسك ساعيةٍ تُغْنيك في طيبها عن النُّقْلِ
عاديّة السنّ بَطْشُ سَوْرَتِها أجهل في الرأس من أبي جَهْلِ

٢٠٦ ـ شُؤْم طُوَيس: طُوَيس من مخنَّثي المدينة، وكان يسمَّى طاوساً، فلما تخنَّث سُمّي بُطويس، ويكنّى بأبي عبد النَّعيم[٥]. وهو أوّل مَن غَنّى في الإسلام

---

(١) ط: «من ثوى» تحريف.
(٢) قال في الميداني: «العنجهية: الجهل، وشيبة بن الوليد: من رجالات العرب».
(٣) الميداني ١/ ٢١٧، ٢١٨.
(٤) الشعر يُنسب لحسان، ديوانه: ٣٤٣.
(٥) في ابن خلكان ١/ ٤٠٠ «كنيته أبو عبد المنعم، وغيرها المخنثون فقالوا: عبد النعيم».

بالمدينة، ونَقَر بالدّفّ المربّع، وكان مأبوناً خليعاً، يُضحِك كلَّ حزين وثكلى.

وكان يقول: يا أهل المدينة، ما دمتُ بين ظهرانيكم، فتوقّعوا خروجَ الدجّال والدّابة، فإن مِتّ فأنتم آمِنون. اعلموا أنّ أمّي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالتّمائم، وولدَتْني في الليلة التي مات فيها رسول اللّه ﷺ، وفطَمَتْني يومَ مات أبو بكر، وبلَغتُ الحُلم في اليوم الذي قُتِل فيه عمر بن الخطاب، وتزوّجت في اليوم الذي قُتل فيه عثمانُ، ووُلِدَ لي في اليوم الذي قُتل فيه عليّ، وكان يُضرَب به المثل في التّخنّث وفي الأبْنة والشّؤم(١).

ومن أملَح ما أحفَظ في التمثل بشُؤْمه قولُ أبي الفَتْح البُسْتِي في أبي عليّ بن سيمجور(٢):

ألم ترَ ما ارتآهُ أبو عليّ ... وكنتُ أراه ذا لُبٍّ وَكَيْس
عَصَى السلطانَ فابتدرتْ إليه ... جيوشٌ يَقْلعون أبا قُبَيْس(٣)
وَصَيَّرَ طوسَ مَعقِلَه فأضْحَتْ ... عليه طوسُ أشأمَ من طُوَيْسِ

وكان أبو الحسن اللّحام يلقّب أبا جعفر محمد بن العباس بن الحسن بطُوَيس حتّى شُهِر به، وفيه يقول:

عادَ إلى الحَضْرة نَفْسانِ ... طُوَيْسُ والنّذلُ ابنُ مطرانِ
إثنانِ ما إن لهما ثالثٌ ... إلّا عَصَا موسى بنِ عِمرانِ

٢٠٧ ـ كذِب مُسَيْلمة: هو أبو ثُمامة مسيلمة بن حبيب الحنفيّ من أهل اليمامة، كان صاحبِ نيرَنْجَات وأَسْجاع ومَخاريق وتَمويهات، وادّعى النبوّة ورسولُ اللّه ﷺ بمكة قبل الهجرة، فما زال يَخفَى ويَظْهر، ويَقوَى ويَضعُف، وأهل اليمامةِ فرقتان: إحداهما تعظّمه وتُؤمِن به، والأخرى تستخِفّه وتَضحَك منه، وكان يقول: أنا شريك محمد في النبوّة، وجبريل عليه السلام يَنزِل علَيّ كما يَنزل عليه، وكان رَجّال بن عُنْفُوَة من رائِشي نَبْله، والحاطِبين في حبَله، والساعين في نُصرته. وكان مُسيلمة يقول: يا بني حنيفة، ما جعل اللّه قريشاً بأحق(٤) بالنبوّة منكم، وبلادكم أوسع من بلادهم، وسَوادُكم أكثرُ من سَوادهم؛ وجبريل يَنزل على صاحبكم مثل

(١) الميداني ١/ ٢٥٨.
(٢) كذا في ا، وفي ب: «سيمجون»، وفي ط: «سمجور».
(٣) كذا في أ وفي ب «يقطمون».
(٤) ط: «أحق».

ما يَنزل على صاحبهم. ولمّا قَدِم النبيّ ﷺ المدينة وجد الناس يتذاكرونه وما يبلغهم عنه من قوله وقول بني حنيفة فيه، فقام يوماً خطيباً، فقال بعد حمدِ اللَّه والثناء عليه: أمّا بعد، فإنّ[1] هذا الرجل الذي تُكثِرون في شأنه كذّابٌ في ثلاثين كذاباً قبل الدجّال؛ فسمّاه المسلمون مُسَيْلمة الكذّاب، وأظهروا شَتْمه وعَيْبَهُ وتصغيرَه، وهو باليمامة يركب الصَّعْب والذَّلول في تقوية أمره، ويعتضد برجّال بن عُنفُوة، وهو يَنْصُره ويذبّ عنه ويُصدّق أكاذيبَه، ويقرأ أقاويله التي منها: «والشمسِ وضُحاها، في ضوئها ومُنجلاها[2]. والليل إذا عَداها، يَطلبها ليَغْشاها، فأدركها حتى أتاها، وأطفأ نورها فمحاها».

ومنها: «سبّح اسمَ ربّك الأعلى، الذي يسّر على الحُبلَى، فأخرَج منها نَسَمة تَسعَى، من بين أحشاء ومِعى، فمنهم من يموت ويُدَسّ في الثرى، ومنهم مَن يعيش ويَبقى إلى أجل ومُنتهى، واللَّه يعلم السر وأخفى، ولا تَخفَى عليه الآخرة والأولى».

ومنها: «اذكروا نعمة اللَّه عليكم واشكُروها؛ إذ جعل لكم الشمس سِراجاً، والغيثَ ثَجّاجاً، وجعل لكم كِباشاً ونِعاجاً، وفضَّة وزُجاجا، وذَهبا ودِيباجا؛ ومن نعمتِه عليكم أن أخرَج لكم من الأرض رُمّانا، وعِنبا ورَيْحاناً، وحِنْطة وزُؤَانا»[3].

وكان أبو بكر رضي اللَّه عنه إذا قرع سمعه هذه التُّرّهات يقول: أشهد أنّ هذا الكلام لم يخرج من إلّه.

وكان النبي ﷺ رأى فيما يرى النائم أنّ في يده سِوارَيْ ذَهَب فنَفَخَهما فطارا، فوقع أحدَهُما باليمامة والآخرَ باليَمَن، فأوّلهما لمُسَيْلمة صاحب اليمامة، والأسوَد العَنْسي صاحب اليَمَن.

وكان رَجّال بن عُنْفُوة صاحب مُسَيْلَمة قَدِم المدينة مراراً، وقرأ القرآن وأظهر الإيمان، وأسرّ الكفر. ويُروَى أنّ النبي ﷺ بينما هو جالس في أصحابه؛ إذ سمع وَطْئاً من خلفِه، فقال: هذا وَطْءُ رَجُلٍ من أهلِ النار؛ فإذا هو رَجّالُ بن عُنْفُوَة. فلما قدِم وفدُ حنيفةَ على النبي ﷺ ـ وفيهم مُسَيْلمة إلا أنه لم يلْقَه ـ وأظهروا الإسلام وأرادوا الانصراف، أمر لهم عليه الصلاة والسلام بجوائز كعادته في

(١) ا، ط: «فأما»، وما أثبته من ب.
(٢) ط: «مجلاها».
(٣) الزؤان: حب يخالط البر.

الوفود، وقال: هل بقيَ منكم أحد؟ قالوا: لا، إلا رجل منا يحفظ رحالنا ـ يَعنُون مُسَيلمة ـ فقال ﷺ: ليس بشرِّكم مَكاناً. فلما رجع الوفدُ إلى مُسَيْلمة وقد بلغه كلام النبي ﷺ قال لهم: قد سمعتم قولَ محمد فيّ: «ليس بشرّكم مكانا»، وقد أشركَني في الأمر. فسَكَتوا ولم يُحيروا جواباً، فقال رَجَّال بنُ عُنْفُوَة: يا قوم، نبيّ منكم خيرٌ لكم من نبيٍّ من غيركم، وأنا أشهد أنّ محمداً أشركه في الأمر بعده، فعليكم به. ولما انصرفوا إلى اليمامة أعلن مُسَيْلمة النبوة، وادعى الشركة، وفتَنَ أهلَ اليمامة، وانقسموا بين مصدِّق ومكذِّب، وراضٍ وساخط. وكَتَبَ مُسَيْلمة إلى النبي ﷺ كتاباً قال فيه: إلى النبي محمد رسول اللّٰه من مُسَيْلمة رسول اللّٰه، أما بعد، فإني أُشركت في الأمر معك وإنّ لنا نصف الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون ولا يعدلون. وخَتَم الكتاب وأنفَذَه مع رسولين، فلما قرىء الكتاب على النبي ﷺ قال لهما: ما تقولان[1]؟ قالا: نقول ما قال أبو ثمامة، فقال: أما واللّٰه لولا أن الرسل لا يُقتَلون لقتلتكما. وأَمْلى في الجواب: «من محمد رسول اللّٰه إلى مُسَيْلَمة الكَذّاب، سَلامٌ على من اتّبع الهدى، أمّا بعد، فإنّ الأرض للّٰه يُورِثها مَن يشاء من عبادِه والعاقبةُ للمتّقين».

ولما صدر الرسولان إلى مُسَيْلمة الكذّاب افتَعَل كتاباً يذكُر فيه أنه جعل له الأمر من بعدِه، فصدّقه أكثر بني حنيفة.

وبلغ من تبرّكهم به أنهم كانوا يسألونه أن يدعو لمريضهم، ويبارك[2] لمولودهم، وجاءه قوم بمولود لهم[3] فمسح رأسه فقَرِع. وجاءه رجل يسأله أن يدعو لمولود له بطول العمر، فمات من يومِه.

وكان ثمامة بن أثال الحنفي يقشعر جلدُه من ذكر مُسَيْلمة، وقال يوماً لأصحابه: إنّ محمدا لا نبيّ معه ولا بعدَه، كما أن اللّٰه تعالى لا شريك له في أُلوهيّته، فلا شريك لمحمد في نبوّته. ثم قال: أين قولُ مُسَيْلمة: «يا ضفدع نِقِّي نِقِّي، كم تَنقّين! لا الماء تكدِّرين، ولا الشربَ تَمنَعين»، من قول اللّٰه تعالى الذي جاء به محمد ﷺ: ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ ـ ٣]، فقالوا: أوقِحْ بمن يقول مِثل ذلك مع مثل هذا!.

---

(١) كذا في أ، ب؛ وهو الصواب، وفي ط «تقولون».
(٢) ط: ب: «ويبرك».
(٣) ط: «بمولودهم».

ولما انتقل النبيُّ ﷺ إلى جوارِ رَبّه وارتدّت العربُ، بعث أبو بكر رضي اللّه عنه خالدَ بنَ الوليد إلى حرْب أهلِ الرّدّة، فأَوقَعَ بهم وانتَصَف منهم، ثم أمره أبو بكر رضي اللّه عنه بقَصْد اليَمامة ومقارعة مُسَيْلمة؛ ففعل، وزَحَف إليها في وجوهِ المهاجرين والأنصار، وتلقَّاهُ مسيلمة في خيْلِهِ ورجله. ولما كان يوم اليمامة حَمِيَ الوَطيس، واشتدت الواقعة، وعَظمت المَلْحَمة، والتجأ بنو حنيفة وفيهم مُسَيْلَمة إلى حَديقة سُمّيتْ من بعده حديقةَ الموت، فاقتحَمَها خالدٌ رضي اللّه عنه والمسلمون، ووضَعوا فيهم السيوف، وقَتَلَ اللّه مُسَيْلمة، فاشترك في قتله وَحْشِيٌّ بحَرْبته وعبد اللّه بن الزبير بسَيْفه، وفتح اللّه تعالى اليمامة على المسلمين وأفاء عليهم الغنيمة ببَركة أبي بكر الصدّيق ويُمْن نَقِيبتِه رضي اللّه تعالى عنه.

٢٠٨ ـ **طمع أشعب**: كان أشعَب من أهل المدينة، وكان صاحب نوادر، وصاحب إسناد، وكان يحدّث فيقول: حدثنا سالم بن عبد اللّه بن عمرَ رضي اللّه عنه ـ وكان يُبغِضني في اللّه ـ فإذا قيل له: دَعْ ذا، قال: ليس للحقّ مُتَّرَك[١].

وكانت عائشة بنت عثمانَ كفَلَته وكفلت معه ابن أبي الزِّناد.

وكان أشعَب يقول: تربّيت أنا وابن أبي الزِّناد في مكان واحد، فكنت أَسفُل وهو يَعْلو حتى بلغْنا إلى ما ترَوْن.

وسأله رجل شراءَ قَوْس[٢] بدِينار، فقال: لو كنت إذا رميت عنها طائراً وقع مشوياً بين رغيفين ما اشتريتُه بدينار.

وقال له سالم بن عبد اللّه: ما بلغ من طَمَعِك؟ قال: ما نظرتُ إلى اثنين في جنازةٍ يتسارّان إلا قدّرت أن الميت أوصَى لي بشيء، وما زُفّت في جواري امرأة إلا كنستُ بيتي رجاء أن يغلَطَ بها إليّ.

وبلغ من طَمعِه أنه مَرّ برجل يعمل طَبَقاً، فقال: أحبّ أن تزيد فيه طَوْقاً، فقال: وَلِمَ؟ قال: عسى أن يُهدَى إليَّ فيه شيء فيكون أكثر.

وقيل له: هل رأيتَ أطمَعَ منك؟ قال: نعم، خرجتُ إلى الشام مع رفيق لي، فنزلنا عند دَيْر فيه راهب، وتلاحَيْنا في أمر، فقلت: أَيْرُ الراهب في أستِ الكاذب؛ فنزل الراهب وقد أنعَظ وقال: بأبي أنتما! مَن الكاذبُ منكما؟.

(١) الميداني: «مدفع».
(٢) كذا في ط، والذي في أ، ب «قوس بندق».

ونوادِر طمَعِه أكثرُ من أن تُحصَى[١]. وقد تظرّف مَن قال في كَذِب مُسَيْلَمة وطمع أشعَب:

وتقول لي قولاً أظنّك صادقاً ... فأجيء من طمع إليكَ وأذهَبُ
فإذا اجتمعتُ أنا وأنتَ بمجلسٍ ... قالوا مُسَيْلَمةٌ وهذا أشعَبُ

٢٠٩ ـ سُنَيّات خالد: يَضرِبُ المَثَل بها أهلُ المدينة في القَحْط والشدّة؛ كما يُضرب المثَلُ بسِنِي يوسُف. وخالد هذا هو خالدُ بن عبد الملك بنُ الحارث بن الحَكَم المعروف بابن مطرة[٢]. وَلِيَ لهشام بنِ عبد الملك [خالد بن عبد الملك][٣] بن الحارث بن الحَكَم المدينة سبع سنين، فأقحطَ الناس حتَّى أجْلَى[٤] أهل البَوادي إلى الشام. وكان يُقال: سُنيّات[٥] خالد، لا أعاد اللّه أمثالَها!.

٢١٠ ـ أصفرُ سُلَيم: كان سُلَيْم صَيْدلانياً بالبَصْرة، وقد عجن دواء أصفر لكل ما شُرِب له، فكان يَستشفي به كل مبرود ومحرور، فسار[٦] مثلاً في البَرَكة وحُسن الموقع. وقد قيل فيه غيرُ هذا. واللّه تعالى أعلَم.

٢١١ ـ بخت أبي نافع: كان أبو نافع تاجراً، ما خَسِرتْ تجارته قط، وما عَرَف إلا الرّبح فيما يَبيعُه ويَشتريه طول أيامه، فسار المَثَل ببخْتِهِ.

٢١٢ ـ قِنْديل سعدان: كان يحيى بن خالد وَلَّى سعدانَ الديوان، فكان يرتشِي ولا يقضِي حاجةً لأحد ما لم يأخذ رِشوة، حتى قال فيه الشاعر:

صُبَّ في قنديلِ سعدا ... ن مع التسليم زَيْتا[٧]

---

(١) انظر الميداني ١/ ٤٣٩، ٤٤٠.
(٢) كذا في أ، ب، وفي ط: «مطيرة».
(٣) ورد هذا الاسم مضطرباً في الأصول، وصوابه ما أثبته من تاريخ الطبري (حوادث سنة ١٢١)؛ وفي النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٤ (حوادث سنة ١١٥): «وفيها عزل الخليفة هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن إمرة المدينة، وولاها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص».
(٤) في ب: «جلا»، ويقال: جلا القوم عن أوطانهم وأجلوا، إذا خرجوا من بلد إلى بلد.
(٥) سنيات: جمع سنية؛ وهو تصغير تعظيم، وفي حديث طهفة: «فأصابتنا سنية حمراء»، أي جدب شديد. وفي ط: «سنو خالد»، وأثبت ما في أ، ب.
(٦) ط: «فصار».
(٧) ط: «ظن» تحريف، وفي ب: «في القنديل» والوزن به يستقيم.

وقـنـاديـلُ بَـنِـيـه قـبـل أن يـخـفـي الـكُـمَـيْـتـا[1]

وصبُّ الزيت في القنديل كنايةٌ عن الرشوة[2]، فلما شُهر بالارتشاء عَزَله يحيى وولّى مكانه أبا صالح بن ميمون، فكان يربو على سَعْدانَ في الارتشاء وفَرْط الطمع، فقيل له فيه:

قِـنـديـلُ سـعـدانَ عـلـى ضـوئِـهِ فـرخٌ لِـقـنـديـلِ أبـي صـالـحِ
تـراه فـي ديـوانـهِ أحـوَلاً مـن لـمـحِـه لـلـدِّرهـم الـلائِـحِ

فعزَلَه يحيى وأعاد سَعْدانَ إلى عمله.

٢١٣ ـ واو عمرو: تُضرَب مثَلاً لما لا يُحتاج إليه، وأوّل مَن ضَرب المثل بها أبو نُواس حيث قال لأشجع السُّلَميّ:

أيّـهـا الـمـدَّعي سُـلَـيْـمَـى سَـفـاهـاً لـسـتَ مـنـهـا ولا قُـلامـة ظُـفْـرِ[3]
إنـمـا أنـتَ مـن سُـلَـيْـمَـى كـواوٍ أُلـحِـقـتْ فـي الـهِـجاء ظُـلْـمـا بـعَـمْـرِو

وقال ابن بسّام:

يـا طـلـوعَ الـرقـيـبِ مـا بـيـن إلـفٍ يـا غَـريـمـاً أَتَـى عـلـى الـمِـيـعـادِ
يـا ركـوداً فـي يـومِ صـيـفٍ وغَـيْـمٍ يـا وجـوهَ الـتُّـجَّـار يـومَ الـكـسـادِ
خـلِّ عـنَّـا فـإنـمـا أنـت فـيـنـا واو عـمـرو أو كـالـحـديـث الـمُـعـادِ

وأحسنُ ما سمعتُ فيه قول أبيْ سعيد الرُّسْتَميّ للصّاحب بن عبّاد، من قصيدة:

أَفي الـحَـقِّ أنْ يُـعْـطَـى ثـلاثـون شـاعـراً ويُحرَم ما دون الرِّضا شاعرٌ مِثْلي[4]
كـمـا أُلـحِـقـتْ واوٌ بـعَـمـرٍو زيـادةً وضُويقَ باسم اللّه في ألفِ الوَصْلِ

ووصَفَ بعضُهم زيادةً لا يُحتاج إليها، فقال: واو عمرو، وبغلة الشّطَرنج.

٢١٤ ـ شربة أبي الجَهْم: يُضرب مثلاً للشيء الطيّب اللذيذ الرديء العاقبة، وكان أبو الجَهْم عَيْناً لأبي مُسلم على أبي جعفر المنصور، يُراعيه

---

(١) ط: «يجفو».
(٢) ساقط من ط.
(٣) ديوانه: ١٧٩، وفيه: «قل لمن يدّعي».
(٤) يتيمة الدهر ٣/ ٢٨٨.

ويُداخِله ويحفظ أنفاسه، والمنصور يستثقِله[١]، ويتبرّم به، ويترصّد الغوائلَ له، فبينما هو ذاتَ يومٍ عندَه إذ عَطِشَ فاستَسقى، فقال المنصور: يا غلام اسقِهِ سَوِيق اللَّوْز بالطَّبَرْزَد، فجاءه بقَدَح منه وفيه سُمّ سريع القَتْل، فشرِبه أبو الجَهْم ولم يلبث أن حرّك بطنه، فقام، فقال المنصور: إلى أين يا أبا الجهم؟ فقال: إلى حيث وجَّهْتَني يا أبا جعفر. ورجع إلى منزله وقذَفَ كلَّ شيء في بطنه، وتلف لوقته[٢]، فقيل فيه:

تَجنّبْ سَوِيقَ اللوزِ لا تشربنّه ... فشُربُ سَويق اللوزِ أَردَى أبا الجَهمِ

٢١٥ ـ **لَحْن المَوْصِليّ**: هو إسحاق بنُ إبراهيم، يُتمثَّل به في الظَّرْف وجودةِ الغِناء، كما قال ابنُ عُيينة وهو يصف حمامة:

ووَرْقاءَ تَحكِي الموصلِيَّ إذا شَدَا ... بألحانِه أحْبِبْ بها وبمَن تَحكِي

وقال آخر:

أَزاحَ بَلْبالي غِناءُ البُلبُلِ ... إذْ مَرّ في ألحانِه كالمَوْصِلي[٣]

وقال آخر:

خُلُقٌ ما يَكادُ يَصبِر عنه ... قلبُ خَلْقٍ إلا بألفِ كَفِيلِ
وحديثٌ كأنّ إسحاقَ يَحْدُو ... في تَضاعيفِه بِشعرٍ جَميلِ

٢١٦ ـ **غِناءُ إبراهيمَ بن المهديّ**: كان من آدَب الناس وأشعرِهم وأبلغِهم، وغَلَبَ عليه الغناء فبرّز وأعجَز، وسَحَر وبَهَر، حتى ضُرِب به المثل، وكان عجيبَ الشأن، بديعَ الوصف والحال، وكان أسوَدَ شديد السواد، برّاق اللون، وأبوه المهدي أبيَض، وأمه أمْيَل إلى السواد[٤]. وتنقلتْ به أحوالٌ وأدوار، وتقلّد الخلافة سنين[٥] إلى أن دخل المأمونُ بغدادَ وهو مستتر، ثم ظهر وعفا عنه المأمون، وردّ عليه أموالَه، وأكرمه ونادمَه، ورتّبه في مشايخ بني هاشم.

وكان غِناء إبراهيمَ لأخيه الرشيدِ ثم للثلاثة من بني أخيه الخلفاء: وهم

---

(١) كذا في ب، وفي ا «يستقله» تحريف، وفي ط: «يستشغله».
(٢) ط: «في وقته».
(٣) ط: «في الألحان» ولا يستقيم الوزن معه.
(٤) أ، ب: «وأن شكله بيضاء».
(٥) ط: «سنتين».

الأمين، والمأمون، والمعتصم. وطَرب المعتصمُ يوماً لغنائه فقال: أحسنتَ يا أميرَ المؤمنين، فقال إبراهيم: عَرْبَدْتَ[١] يا أمير المؤمنين.

وكان إذا ضَرَب وغَنّى لأحدهم في الصحارى والمصائد والمتنزهات وقفت له الطير، وعكفت عليه الوحوش، حتى تكاد تؤخذ بالأيدي، وكان أبو عيسى بن الرشيد يقول له: السُّكرُ على صوتك شَهادةٌ يا عمّ.

وكان أحمدُ بنُ يوسفَ يقول فيه: القلوب من غِنائه على خَطَر، فكيف الجُيوب!

وقرأت لأبي[٢] إسحاقَ الصابي فصلاً لأبي عثمانَ الخالديّ استحسنتُه جداً في محاسن الأفراد وهو قولُه: لو كان لك خَصْم يجمَعَ شِعرَ البحتريّ، وغِناء إبراهيمَ بن المهديّ، ومذاكَرة الأصمعي، وكتابةَ جعفر بن يحيى، وحُسْنَ وجهِ المعتزّ وطيبَ عِشْرةِ حَمْدون[٣]، لما كنتُ إلّا منحرِفاً عنه، مُعيناً عليه، مُقبِّحاً محاسنَه من أجلِك.

٢١٧، ٢١٨ ـ عُودُ بُنان، ونايُ زُنَام: كان بُنان وزُنام مُطْرِبَيْ المتوكّل، وكان كلّ منهما منقطَع القَرين في طبقته، فإذا اجتمعا على الضَّرْب والزَّمْر احسَنا وفتَنا وأعْجَبَا وعَجبا، وكان المتوكل لا يَشرَبُ إلّا على سَماعهما، وفيهما يقول البحتريّ من قصيدة[٤]:

هل العيشُ إلّا ماءُ كَرْم مصفَّقٍ ... يُرَقرِقُه في الكأس ماءُ غَمامِ
وعُودُ بُنانٍ حينَ ساعدَ شَدْوُه ... على نَغَم الألحانِ نايَ زُنَامِ

٢١٩ ـ خَرْص أبي السّقاء: كان يَخْرُص[٥] النخيل بالبصرة للسلطان فلا يغلَطُ بِرطلٍ، فضُرِبَ به المثل في ذلك.

٢٢٠ ـ حكاية أبي ديونه: كان زَنْجيًا، وكان كما قال ابنُ الرُّوميّ يُخاطِبه:

حكَيتَ القِردَ في قُبحٍ وسُخْفٍ ... وما قصّرتَ عنه في الحِكايَهْ

---

(١) العربدة: ما يأتي به الشارب من فعل أو قول من أثر سوار الخمر.
(٢) ط: «»لى أبي» تحريف.
(٣) هو حمدون بن إسماعيل النديم؛ وله مع المعتصم أخبار حسان، وانظر المحاسن والمساوىء ١/ ١٤٩ ـ ٢٤٣.
(٤) ديوانه: ٢/ ٢٢٣.
(٥) خرص النخل: تقدير ما عليه من تمر على الحدس والتخمين.

وكان يَحكي كلَّ صوت وكل هيئة وكل مِشية، ويَحكي أصواتَ الدّوابّ والبهائم والطير فلا يُفرق بين صوته وأصواتِها، ونظيرُه في زماننا أبو الوَرْد صاحبُ المهلَّبي الوزير، ولا ثالثَ لهما.

٢٢١ ـ لِواطُ يَحيى بن أكثم: أصله من مَرْوَ، فاتّصل بالمأمون أيَّامَ مُقامِه بها، فاختصّ به، واستولى على قلبه، وصحِبَه إلى بغداد، ومحله منه محلّ الأقارب أو أقرب.

وكان متقدِّماً في الفِقْه وآدابِ القُضاة، حَسَنَ العِشرة عَذْبَ اللسانَ، وافر الحَظّ من الجِدّ والهَزل، ولّاه المأمون قاضي[(١)] القضاة، وأمرَ بألّا يُحجَب عنه ليلاً ولا نهاراً. وأَفضَى إليه بأسراره. وشاوَرَه في مهماته، وكان يحيى ألْوَط مِنْ ثفَر، ومِن قوم لُوط؛ وكان إذا رأى غلاماً يُفسِده وقعتْ عليه الرِّعْدة، وسالَ لُعابُه، وبَرِقَ بصرُهُ.

وكان لا يَستخدِم في داره إلا المُرْدَ المِلاحَ ويقول: قد أكرم اللّه تعالى أهل جنّته بأن أطاف عليهم الغِلمانَ في حالِ رِضاه عنهم، لفضلِهم على الجواري، فما بالي لا أطلبُ هذه الزُّلْفى والكرامةَ في دار الدُّنيا معهم[(٢)]!

ويقال إنه[(٣)] هو الذّي زيَّنَ للمأمون اللُّواط، وحَبّبَ إليه الوِلْدان، وغَرَس في قلبِه محاسنهم وفضائلهم وخصائصهم، وقال: إنهم بالليل عرائس، وبالنهار فوارس، وهم للفِراش والهراش[(٤)]، وللسَّفَر والحَضَر، فصدَرَ المأمون عن رأيه، وجرى في طريقه، واقتدَى به المعتصِمُ حتَّى اشتهر بهم، ومَلَك ثمانيةَ آلافٍ منهم، وما كان بنو العبّاس يَحُومون حولَهم، اللّهم إلّا ما كان يُؤثَر عن محمد الأمين من استخدام الخِصْيان، والعَبَث بهم دونَ فُحول الوِلْدان.

ويُحكَى أن المأمون نظر يوماً إلى يحيى في مجلسه وهو يُجِدّ النظر إلى ابن أخيه الواثق، وهو إذ ذاك أمرَد تأكلُه العين. فتبسّم إليه وقال: يا أبا محمد، حَوَالَيْنَا ولا عَلَيْنا! فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ الكَلْب لا يأكل النار.

وخَلَا به المأمونُ ليلةً على المُطايَبَة والمداعبَة والمُجاراة في مَيْدان الغِلْمان، ومُتْرَف غلام المأمون يتسمع عليهما، وهو الذي حَكى هذه القصّة عنه، قال: قال

---

(١) كذا في أ، ب، وفي ط: «قضاة».
(٢) أ: «منهم».
(٣) ط: «هذا».
(٤) ب: «وللهراش».

له المأمون: يا أبا محمد، أخبِرْني عن أظرف غلام مَرّ بك، قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، احتَكَم إليّ غلامٌ في نهاية المَلاحة والظَّرْف واللباقة، فأخذته عيني، وتعلّقه قلبي، فلم أفصِّل الحُكم بينه وبين خَصْمِه إيثاراً مني للقائه ومعاودته إيّاي في حكومته، فدخل إليّ على حين غفلة[١] ومِثْلُه لا يُحجَب عني، فلما وصلَ إليّ قال: أيها القاضي، أعنّي[٢] على خَصمي، فقلت له: ومَن يُعينُني[٣] على عينيك يا بنيّ؟ قال: شَفَتي ـ وأدناها منّي ـ فلما شَمِمتُ الخمرَ مِن فيه وفَيتُه[٤] حذّاً من القُبَل، وقلتُ له: يا بُنيّ، ما بالُ شَفَتيك متشقّقتين! فقال: أحلى ما يكون التِّين إذا تشقّقَ، ثم قلتُ له ويَدِي في ثيابه: يا بُنيّ ما أنْحَفَكَ! فقال: كلما دَقّ قصَب السكر كان أَحْلَى. فضحك المأمونُ ووقّع له بمائتي دينار، وقال: أوصِلها إليْهِ ولو على أجنحة الطير ـ وكان إذ ذاك قد التحى، وكان يحيى يعرِف منزله ـ فامتَثَل أمرَه وأوصَلَها له.

ومما قيل في يحيى:

وكنّا نـرجّي أن نَرَى الـعدلَ ظاهِراً ... فـأَعـقَـبَـنـا بـعـد الـرجـاءِ قُـنـوطُ
متى تَصلُح الدنيا ويَصلُح أهلُها ... وقاضي قُضاةِ المسلمين يَلوطُ![٥]

وفيه أيضاً:

أنـطـقَـنـي الـدَّهـر بـعـد إخـراسـي ... بـحـادثـاتٍ أطَـلْـن وَسْـواسـي
قـاضٍ يَـرَى الـحـدَّ فـي الـزِّنـاء ولا ... يَـرَى عـلـى مَـن يَـلـوطُ مـن بـاسِ
أمـيـرُنـا يـرتـشـي وحـاكِـمُـنـا ... يـلـوطُ، والـرأسُ شـرُّ مـا راسِ
مـا إن أَرَى الـجَوْرَ يـنقَضي وعلى الـ ... أمـةِ والٍ مـنْ آل عَـبّـاسِ[٦]

وفيه قيل:

وكـنـتُ ألـومُ الـشَّيـخَ فيـك ولا أرَى ... دمَ الـشـيـخ إنْ رامَ الـحَـرامَ مـحـرَّمَـا
فـلـمّـا رأيـتُ الـحـسُـنَ أَلـقـى رداءَه ... عليكَ عذرتُ الشيخَ يَحيَى بن أكثَما

(١) ط: «خلوة»
(٢) ط: «أعدني».
(٣) ط: «يعديني».
(٤) ط: «وبلغت».
(٥) أ، ب: «إذا كان قاضي المسلمين يلوط» وهو مستقيم الوزن.
(٦) ط: «من بني العباس».

ولفَرْطِ لواطه نُسِب إلى الأبْنة، فقيل فيه:

حَـرْبَـةُ يـحـيـى لـيِّـنٌ رأسُـهـا إنْ وقـعـتْ فـي الـلـحـم لـم تَـخـدِشِ
يَـحـشـو بـهـا الـمُـرْدَ إذا مـا خـلا وهـو كـمـا يـحـشـوهُـم يـحـتـشـي
يَـنـحـطّ مـن فـوقٍ إلـى أسـفـلٍ مـثـلَ انـحـطـاط الـطـائـر الـمـرْعَـش

ويُحكَى أنه دخل يوماً على العبّاس بن المأمون وهو يعلب بالشّطرنْج، ويُنشِد:

يـا لَـيْـتَ يَـحْـيَـى لـم يَـلِـدْه أكـثَـمُـهْ ولـم تـطـأْ أرضَ الـعِـراقِ قَـدَمُـهْ
أيّ دَواةٍ لـم يُـلْـقِـهـا قَـلَـمُـهْ[1]

فقال يحيى: دَواتُك أيها الأمير.

وسمعَه إسماعيلُ بنُ حمّاد بن أبي حنيفة يوماً يَغَضُّ من جَدّه، فقال له: ما هذا جزاؤك منك! قال: حين فعلَ ماذا؟ قال: حين أباح المُسكِر، درأَ الحَدّ عن اللوطيّ[2].

---

(١) لاقت الدواة وألاقها صاحبها، أي وضع فيها ليقة.

(٢) فند ابن خلدون في المقدمة ص ٢٣٦، وما بعدها ما نُسب إلى يحيى بن أكثم في هذا الشأن.

فيما يُضَافُ ويُنسَبُ إلى العَرب

تيجانُ العَرَب، أغْرِبة العَرَب، جَمَرات العَرَب، أثافيّ العَرَب، نَخْوة العَرَب، صَنَّاجة العَرَب، كِسْرَى العَرَب، صِلاءُ العَرَب، كاهِلُ العَرَب، سابِق العَرَب.

الاسْتِشْهادُ

٢٢٢ ـ تيجانُ العَرَب: جاء في الخبر: إنّ العمائم تِيجانُ العَرَب، فإذا وضعوها وضَع اللَّهُ عزَّهم[١]. وكان يُقال: اختصت العرب من بين الأمم بأربع: العمائمُ تيجانُها، والدروع[٢] حيطانُها، والسيوفُ سِيجانُها[٣]، والشِّعْرُ دِيوانُها.

٢٢٣ ـ أغرِبة العَرَب: وذُؤْبان العرب سادتها، وهم أربعةٌ سُودان شُجْعان؛ فمنهم عَنْترة بن شدّاد العَبْسيّ، سَرَى السوادُ فيه من جهة أمه، وكانت حبشيّة زَنجيّة تُسمَّى زَبيبة، وفيها قال مَن وَصَفَ رجلاً بقلّة شُربِ الشّراب:

ويدّعِي الشُّرْبَ في رِطلٍ وباطِيَةٍ[٤] وأُمُّ عنترةَ العَبسيّ تَكفِيهِ

ومنهم خُفاف بن نُدْبة السُّلميّ، سَرَى السّواد فيه من قِبَل أمِّه وبلدتِه؛ لأنه من حَرّة بني سُلَيم، وأدرَك النبيَّ ﷺ، وكان شاعراً شجاعاً وقلّ ما يجتمع الشعر والشجاعة في واحد[٥]، وشَهِدَ مع النبي ﷺ فتح مكة ومعه لواء سُلَيم.

ومنهم السُّلَيْك بنُ السُّلَكة، وقد تقدّم ذِكره[٦].

ومنهم عبدُ اللَّه بن خازم السُّلَميّ والي خُراسان لعبد اللَّه بن الزّبير، ومن عجيب أمرِه أنه كان نهاية في الشجاعة والنجدة، وكان يخافُ الفأرَ أشدَّ مخافة، فبينما هو ذاتَ يومٍ عند عبيد اللَّه بنِ زياد إذ أدخَلَ عليه جُرَذاً أبيَض، فتعجّب منه،

---

(١) أ: «غيرهم».
(٢) ط: «والحجا»، أ: «والحسنى»، وأثبت ما في ب.
(٣) سيجان: جمع ساج؛ وهو الطيلسان.
(٤) الباطية: الناجود للنبيذ.
(٥) كذا في ا، وفي ب: «لرجل»، وفي ط: «الولد» تحريف.
(٦) ص ١٣٤.

فقال لعبد اللّه: يا أبا صالح، هل رأيتَ أعجبَ من هذا؟ وإذا عبد اللّه قد تضاءل كأنّه فَرْخ، واصفرَّ كأنه جرادة[١]، فقال عبيد اللّه: أبو صالح يعصي[٢] الرحمٰن، ويتهاوَن بالسلطان[٣]، ويَقبِض على الثعبان، ويمشي إلى الأسد الوَرْد[٤]، ويَلقَى الرِّمَاحَ بوجهه، والسيوفَ بيَدِه، وقد اعتراه من جُرَدٍ ما تَرَوْن! أشهَدُ أنّ اللّه على كل شيء قدير.

٢٢٤ ـ جَمَرات العَرَب: بنو ضبّة، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نُمَير بن عامر، وبنو عَبْس بن بَغِيض، وبنو يَرْبوع بن حَنْظلة. قال الخليل: الجَمرة كلّ قوم يصبرون لقتالِ مَن قاتَلَهم، لا يحالفون[٥] أحداً، ولا ينضمّون إلى أحد، تكونُ القبيلة نفسُها جَمرَة تصبر لمُقارعَة القبائل كما صبرتْ عَبْسٌ لقيسٍ كلِّها.

٢٢٥ ـ أثافيّ العَرَب: قال محمد بن حبيب البصريّ في الكتاب المحبَّر: سُلَيم وهَوازِن ابنا منصور بنِ عِكْرِمة أُثْفِيّة، وغَطَفان أُثفيّة، ومُحارِب أثفيّة، وهي أَلأَمها.

٢٢٦ ـ نَخْوَة العَرَب: لم تَزَل العربُ تتميز عن سائر الأمم بالنَّخْوة لما كانت تختصّ به من السَّماحة والفصاحة والشجاعة، حتى إنَّ النّعمان بنَ المنذر تَرفَّع عن مُصاهَرة سلطان أبْرِويز إذ كان من العَجَم؛ ولمَّا بعث اللّه تعالى صفْوَة خلقِه وخاتَمَ رسُله منهم ازدادت نخوَتُهم وصارت مثلاً، كما قال الشاعر:

لُـؤْمُ الـنَّـبـيـطِ ونَـخْـوَةُ الـعَـرَبِ

٢٢٧ ـ صَنّاجة العَرَب: كان يقال للأعشى صَنّاجة العَرَب، لكثرة ما غَنّتْ بشعرِه، ويقال: بل لأنه أوّل مَن ذكر الصَّنْج في شِعره حيث قال:

ومُستجيبٍ تَخالُ الصَّنْجَ يُسْمِعه إذا تُرجِّع فيه القَيْنةُ الفُضُلُ[٦]

٢٢٨ ـ كسرى العرب: كان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه إذا نظر إلى

---

(١) كذا في أ، ب، وفي ط: «وأصفر كأنه جناح طائر».
(٢) أ، ب: «برضى».
(٣) أ: «الشيطان».
(٤) الأسد الورد: ما بين الكُميت والأشقر؛ كالمتورد.
(٥) أ، ب: «لا يخافون».
(٦) القصائد العشر بشرح التبريزي ٣٨٠. المستجيب: العود، أي أنه يجيب الصنج، شبه صوته بصوت الصنج، فكأن الصنج دعاه فأجابه. والفضل: التي في ثياب فضلتها، أي مباذلها. والقينة عند العرب: الأمة مغنية كانت أو غير مغنية. (من شرح التبريزي).

معاوية بن أبي سُفْيان قال: هذا كِسرى العَرَب؛ لأنّه كان يَجمَع بين سَخاء العرب وتأنُّقِ مُلوكِ العَجَم في الرِّياش والمَطعَم.

وممّا يُقَارب هذا المعنى فصلٌ قرأتُه للصاحب في ذكر فصل قرأه للأمير شمس المعالي: قرأت الفصل الذي تجشّمته، فإذا هو جامع هزّة[1] العَرَب إلى عِزَّة العَجَم، وناظم ما بين صَليلِ السيف، وصَرِير القَلَم.

٢٢٩ ـ صِلاء العَرَب: قال عمر رضي اللّه عنه: الشمس صِلاء العرب، وكان يقول: العربيّ كالبعير حيثما دارت الشمسُ استقبَلَها بهامَتِه.

ووصف الراجزُ الإبلَ فقال:

تستَقبِل الشمسَ بجُمْجُماتِها

٢٣٠ ـ كاهل العرب: قال معاوية للأحنفِ وحارثَة بن قُدامة ورجالٍ من بني سعد كلاماً أحفَظهم[2]، فردوا عليه جواباً قبيحاً، وابنةُ قَرَظة[3] في بيتٍ بقربِه تَستمتع؛ فلما خرجوا قالت: يا أمير المؤمنين، لقد سمعتُ من هؤلاء الأجلاف كلاماً رَموْك به فلم تُنكِره عليهم، فأردتُ أن أخرج عليهمْ فأَسْطُوَ بهم. فقال لها معاوية: إنّ مضرَ كاهلُ العرب، وتميماً كاهلُ مُضَر، وسعداً كاهلُ تميم، وهؤلاء كاهلُ سَعْد.

وشبيهٌ بهذا الكلام في المعنى ما يُحكَى عن جعفر بن سليمان الهاشميّ أنَّه كان يقول: العِراقُ عين الدُّنيا، والبَصْرة عينُ العِراق، والمِرْبَد عين البَصْرة، وداري عَيْنُ المِرْبَد.

وعن يحيى بن خالد: العَرَب يَكتُبون أحسنَ ما يَسمَعون، ويَحفَظون أحسَنَ ما يَكتُبون، ويَرْوُونَ[4] أحسنَ ما يَحفَظون.

٢٣١ ـ سابق العرب: عن النبي ﷺ: «أنا سابقُ العَرَب، وصُهَيبٌ سابق الرُّوم، وسَلْمانُ سابقُ فارِسَ، وبلال سابقُ الحبَشة».

---

(١) كذا في ط، وفي أ، ب: «مصاهرة».
(٢) ب: «غاظهم».
(٣) هي فاختة ابنة قرظة، زوج معاوية.
(٤) ط: «ويرون» تحريف.

فيما يُضافُ ويُنسَبُ إلى الإِسْلام والمسْلِمين

سهمُ الإسلام، قبّة الإسلام، بَيضة الإسلام، خضاب الإسلام، فَتْكتا الإسلام، نِطاقُ الإسلام، دعوةُ الإسلام، عصا المسلمين، حَلُوبة المسلمين، جناح المسلمين.

الاسْتِشْهادُ

٢٣٢ ـ سهم الإسلام: كان السَّلَف يقولون في وصاياهم: إذا مررتَ بقوم فابدأهم[١] بسَهْم الإسلام، وهو السَّلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

وكان النبي ﷺ يقول يومَ دخول المدينة: «أَفشُوا السَّلام، وأطعِموا الطعام، وصلُّوا بالليل والناسُ نيام، وصِلُوا الأرحام، تَدخُلوا الجنّة بسلام».

٢٣٣ ـ قبّة الإسلام: لما مصّر عمر رضي اللّه عنه البَصْرة، وانتقلتْ قبائلُ العرب إليها، وكثرت الأبنية فيها، واشتدَّتْ شوكة الإسلام بها، سُمّيتْ قبّةَ الإسلام. ثم لمّا بنى المنصور بغدادَ وسمّاها مدينة السّلام[٢] وصارت دار الخلافة، ومَصَبّ أموال الدنيا، قال الناس: هذه الآن أوْلَى بأن تُسمَّى قبّةَ الإسلام من البصْرة، فقالوا: مدينة السّلام[٣]، وقبّة الإسلام.

ولما وقعتْ فتنةُ الزَّنْج بالبَصرة، رُفِعَ إلى عبيد اللّه بن يحيى بن خاقان بِسُرَّ مَن رأى أنَّ البَصرة قبّة الإسلام، وفيها قريش والهاشميون والعرب، وهي على شَرَف الخراب والذَّهاب، فأُضجِر وقال: وذهبَتِ البصرة فمه! فقيل له: وذهبتَ أنت فَمَهْ! فكان يصاحُ به في الطريق: فَمَهْ! حتى اشتهَر بها، فهرب مِن سُرَّ مَن رأى.

(١) ط: «فابدأ وارمهم»، وأثبت ما في أ، ب.
(٢) كذا في ب، وفي ا، ط: «الإسلام».
(٣) ط: «الإسلام».

وذكر ابن الموسويّ النقيب قبّة الإسلام في قصيدة مدح بها الطائعَ، وذكر فيها أباه فقال:

لـمّـا رآكَ رأى الـنـبـيَّ مـحـمـداً ... فـي بُـرْدةِ الإجـلالِ والإعـظـام[1]

ورأى بـمـجـلِـسـك الـمُـعـرّق في الـعُـلا ... حَـرَمَ الـرجـاء وقُـبّـةَ الإسـلامِ

٢٣٤ ـ بَيْضة الإسلام: وهي على طريقة الاستعارة والتشبيه: مجتَمعه وحَوْزَته، ويقال أيضاً: البَيْضة.

وقد قصَرتُ في هذا الكتاب باباً على البَيْض المنسوب والمضاف.

٢٣٥ ـ خضاب الإسلام: ذكر أبو عُبيد اللّه المَرزُباني في كتاب «الأنوار والثّمار»[2] حديثاً يرفعهُ إلى عُقبَة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالحِنّاءِ فإنّه خِضاب الإسلام، وإنه يصفّي البَصَر، ويُذهِب بالصُّداع، ويزيدُ في الباه؛ وإياكم والسّواد، فإنه من سوّد سوّد اللّه وجهه يومَ القيامة».

٢٣٦ ـ فَتْكَتَا الإسلام: كان يُقال لفَتْكةِ عبدِ الملك بن مروان بعمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فتكة الإسلام، ثم صارت بفتكةِ المنصور بأبي مُسلِمَ فَتْكَتَين هما فَتْكتا الإسلام، ولا ثالثَ لهما.

٢٣٧ ـ نِطاقُ الإسلام: هو على طريق الاستعارة أنصاره وأعوانُه، فكأنه يَسْتظهِر[3] بهم عند التنطُّق.

وسئِل عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه عن تغيير الشَّيْب وما يُروَى في ذلك من قول النبي ﷺ: «غَيِّروا الشَّيْب ولا تَشَبّهوا باليَهود». فقال: إنما قال ذلك والدِّينُ في قُلّ، فأما وقد اتسع نطاق الإسلام فكل امرىءٍ وما اختار لنفسه.

٢٣٨ ـ دعوة الإسلام: كانت وليمة[4] الحسن بن سهل حينَ بنَى المأمونُ ببنتِه بُورَان تُدْعَى دَعْوَة الإسلام، حتى جاءتْ دعوة بركوار[5]، فقال الناس: هي مثلها، وقالوا: إنّ دعوة بركوار دعوة الإسلام لم يكن قبلَها ولا بعدَها مثلها، إلّا ما يُحكَى في وقت بِناء المأمون ببُوران، وبَلَغ من جلالةِ دَعْوَة الحَسَنِ بن سَهْل وعظم

(١) ديوانه: ٢/ ٧٧٥.

(٢) في أوصافها وما قيل فيها وفي الفواكه، ذكره القفطي في إنباه الرواة ٣/ ١٨٣.

(٣) أ، ب: «ليستظهر».

(٤) أ، ب: «دعوة».

(٥) أ، ب: «براكوازا».

خطرها وارتفاع مقدارها، أن أقامَ للمأمون بفم الصِّلح[١] وجمع قوّادَه وأصحابه نُزُلَهم أربعين يوماً، واحتفل بما لم يُرَ مِثلُه نفاسةً وكثرةً. قال المبرّد: سمعت الحسن بن رجاء يقول: كنا نطعمُ أيامَ مُقام المأمون عند الحَسَن بن سهل ستةً وثلاثين ألفَ مَلّاح؛ ولقد عزّ بنا الحَطَب يوماً فأوقَدْنا تحت القِدور الخَيش[٢] مغموساً في الزيت، ولما كانت ليلة البِناء وجُلِيَتْ بُوران على المأمون فُرِش لها حصيرٌ من ذَهب وجيء بِمكْتَل مرصَّع بالجواهر، فيه دُرَرٌ كبار، فنثِرَت على مَن حضر من النساء، وفيهنّ زُبَيدة وحَمْدُونة بنت الرشيد وعجائز الخلافة، فما مسّ مَن حضر منهنّ من الدرر شيئاً، فقال المأمون: شرّفن أبا محمد، وأكرِمْن بوران؛ فمدت كل واحدة منهن يدها فأخذَت دُرّة واحدة، وبقي سائر الدَرِّ يلوحُ على حصيرِ الذهب؛ فقال المأمون: قاتَلَ اللّه الحَسن بن هانىء كأنه قد رأى هذا حيث يقول:

كأنّ صغرى وكُبْرى من فواقِعها حَصْباءُ درٍّ على أرضٍ من الذهبِ[٣]

وكانت في ذلك المجلس شَمعة عنبر فيها مائتا رطل، فضجّ المأمونُ من دُخانها، فعُمِلَتْ له على مثالاتِ من الشمع، فكان الليل مدة مقامه بفم الصِّلح كالنهار، ولما كانت دعوة القواد نثِرتْ عَلَيْهم رِقاعٌ فيها أسماءُ ضِياع، فمن وقعتْ في يده رُقعةٌ لَضيْعة أشهَدَ الحَسنُ له بها[٤].

ويقال: إنه أنفَق في هذه الدعوة أربعة آلافِ دينار، فلما أراد المأمونُ أن يَصعَد أمرَ له بألف ألفِ دينار، وأقطعَه الصِّلح، وعاتَبَه على احتفاله واجتهاده، وحمْله على نفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين، أتظنّ هذا من مال سهل! واللّه ما هوَ إلّا مالُك رُدَّ إليك، وأردت أن يفضِّل اللّه أيامك ونِكاحَك كما فضّلك على جميع خلقه.

فهذه دعوة الإسلام الأولى.

وأما دعوة الإسلام الثانية فهي ببركوار لمَّا أعذَر[٥] المتوكل المعتزّ؛ ومن قصّتها أنه جلس بعد فراغ القوّاد والأكابر من الأكل، ومدّت بين يديه مَرافِع[٦] ذهب مرصَّعة بالجواهر، وعليها أمثلة من العَنْبر والنَّدِّ والمِسْك المعجون على جميع الصُّوَر. وجعلت بساطاً ممدوداً، وأحضر القوّاد والجُلساء وأصحاب المراتب، فوُضعتْ بين أيديهم صَواني الذهب مرصَّعة بأنواع الجواهر من الجانبَين،

---

(١) فم الصلح: نهر كبير فوق واسط.
(٢) في أ، ب «الحطب».
(٣) ديوانه: ٢٤٣.
(٤) كتاب نساء الخلفاء، ٦٧ وما بعدها.
(٥) الإعذار: الختان.
(٦) المرافع: جمع مرفع؛ وهو الإناء الصغير.

وبين كلِّ سِماطَين فُرْجة، وجاء الفَرّاشون بَزنابِيل قد غُشِّيتْ بالأدَم مملوءة دراهم ودنانير نصفين، فصُبّت في الفرْجة حتى ارتفعت على الصواني، وأمِر الحاضرون أن يَشرَبوا، وأن يأخُذ[1] كل من شَرِب من تلك الدنانير ثلاثَ حَفَنات بقدْر ما حَملتْ يدُه، فكلّما خفّ موضع صبوا عليه من الزَّنابيل حتى يردّوه إلى حالته، ووقف غِلمانٌ في آخِر المجلس فصاحوا: إنّ أميرَ المؤمنين يقول لكم: ليأخُذْ مَن شاء ما شاء؛ فَمدّ الناسُ أيديهم إلى المال فأخذوه، فكان الرجل منهم يثقله ما معه فيخرج فيُسلمه إلى غِلمانه ويرجع إلى مكانه. ونظر ابن حمدون إلى سَطْل ذهب مملوء مِسكاً، فأخذه، ومرّ به ليدفعه إلى غلامه، فقال له المتوكلُ: إلى أين؟ فقال: إلى الحمّام يا أميرَ المؤمنين. ولما تقوّض المجلس خلع على الناس ألف خِلعة، وأعتق ألفَ نسمة، [٢]فصارت دعوته يقال لها: دعوة الإسلام الثانية[٢].

٢٣٩ ـ عصا المسلمين: قال أبو عمرو بن العلاء: من أمثالهم: شَقّ فلان عصا المسلمين؛ إذا فرّق جَمعهم، وشقّ العصا؛ إذا خرج من الطاعة، قال جرير:

أَلَا بَكَرَتْ سَلْمَى فَجَدَّ بُكُورُها ... وَشَقّ العَصَا بَعْدَ اجْتِماعٍ أَميرُها[٣]

وقال العَتّابيّ في الرشيد:

إمامٌ له كَفٌّ يَضُمُّ بنانُها ... عصا الدين ممنوعاً من البَرْيِ عُودُها

وعَينٌ مُحيطٌ بالبرية طَرْفُها ... سواءٌ عليه قربُها وبَعيدُها

٢٤٠ ـ حَلوبة المسلمين: من طريق الاستعارة: فَيْئُهم وخَراجُهم، يقال: درّتْ حَلُوبة المسلمين؛ إذا جُبيتْ حقوقُ بَيْتِ[٤] المال.

٢٤١ ـ جَناح المسلمين: كان يُقالُ للبَرِيد: جَناح المسلمين؛ لما كان يتطاير به من الأخبار. ولما ولي الحَسَن بن وَهْب[٥] بَريدَ الحَضْرة قال فيهِ دِعبِل:

مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي إمامَ الهُدَى ... قَافِيَةً لِلسَّتْرِ هَتّاكَهْ[٦]

هذا جَناحُ المسلمين الذي ... قدْ قَصّه تَولِيَةُ الحَاكَهْ

أَضْحَتْ بغالُ البُرْدِ منظومةً ... إلى ابنِ وَهْبٍ تحمِلُ النَّاكَهْ

فبلغَتِ المتوكِّل فأَمَر بعَزْلِه.

---

(١) في ب: «يتنقل».
(٢ ـ ٢) ساقط من ط.
(٣) ديوانه: ٢٩٣.
(٤) ساقطة من ط.
(٥) في ب: «سهل» تحريف.
(٦) ديوانه: ١١٨.

فيما يُضَافُ
ويُنسَبُ إلى القرّاءِ والعُلماءِ

خَرِيطة شَهْر، فِقهُ أبي حنيفة، جامع سُفْيان، عَنْز الأعمش، طَفْرة النَّظّام، حاجة أبي الهُذَيل.

الاسْتِشْهادُ

٢٤٢ ـ خريطة شَهْر: تُضرَب مثلاً فيما يَختزِله القراء والفقهاء من أموال الناس والودائع، وذلك أن شهرَ بنَ حَوْشَب ـ وكان من جِلّة القراء والمحدِّثين ـ دخل بيتَ المال فأخذ خريطة فيها دراهم، فقال فيه القائل:

لـقـد بـاعَ شـهـرٌ دِيـنَـه بـخـريـطـةٍ فَـمن يأمن القُرّاء بعدَكَ يا شَهْرُ![1]

فصارت خريطته مثلاً، وشهر هو الذي قال له رجل: أنا[2] أحبّك، فقال: ولِمَ لا تحبني وأنا أخوك في كتاب اللّه، وشريكك[3]، على دينِ اللّه، ومَؤونَتي على غيرك[4]!.

٢٤٣ ـ فقه أبي حنيفة: يُضرَب به المَثل، كما قال بعضُ الرُّجّاز للمأمون:

مـأمـونُ يـا ذا الـمِـنَـن الـشريـفـهْ والـعِـلْـم والـمَـنـزِلـةِ الـمُـنـيـفـهْ[5]

---

(١) أ، ب: «فما يأمن القراء».
(٢) ط: «إني».
(٣) ط: «ووزيرك»، وهي ساقطة من ب.
(٤) بعدها في ب: «والسلام».
(٥) من أرجوزة لأحد بني تميم، في خبر ذكره الطبري في حوادث سنة ٢١٨؛ وهي بروايته:
مَـأمُـونُ يـا ذا الـمِـنَـنِ الـشّـرِيـفَـهْ وصـاحِـبَ الـمـرتَـبـةِ الـمـنـيـفَـهْ
وقـائِـدَ الـكَـتـيـبـة الـكَـثِـيـفَـهْ هَـلْ لَـكَ فـي أُرجـوزة ظَـرِيـفَـهْ
أَظْـرَفُ مِـنْ فـقـهِ أبـي حَـنـيـفَـهْ لا والـذي أنـتَ لَـهُ خـلـيـفَـهْ
مـا ظُـلِـمَـتْ فـي أرْضِـنـا ضـعـيـفَـهْ أَمِـيـرُنـا مُـؤنَـتُـهُ خَـفـيـفَـهْ
ومَـا اجْـتَـبَـى شيئاً سوى الـوظـيـفَـهْ فـالـذّئـبُ والـنَّـعـجـةُ في سَقِـيـفَـهْ
* والـلّـصُّ والـتـاجِـرُ فـي قـطـيـفَـهْ *

هــل لــك فــي أُرجــوزةٍ ظــريــفــهْ أظـرَفُ مــن فــقــهِ أبــي حــنــيــفــهْ

وفيها مما يُستَظرَف:

الـذئْـبُ والـنـعـجـةُ فـي سَـقـيـفـهْ والـلِّـصُّ والـتـاجـرُ فـي قـطـيـفـهْ

وقال بعض المولَّدين:

مـــتـــفـــقِّـــهٌ جَـــمَـــعَ الـــكَـــلا مَ إلــى قــيــاسِ أبــي حــنــيــفــهْ
فــأتــاكَ يَــسْــعَــى لــلــقــضــا ءِ بِـلـحـيـةٍ فـوقَ الـقـطـيـفـهْ[١]

وكان يقال: أربعة لم يُلحَقوا ولم يُسبَقوا: أبو حنيفة في فِقهه، والخليلُ في أدبه، والجاحظ في تأليفه، وأبو تمّام في شعره.

وممّن ضَرَب المثلَ بفقه أبي حنيفة ابنُ طَباطَبا[٢] حيث قال[٣] يهجو أبا عليّ الرُّستَميّ:

كُـفـراً بِـعـلـمِـك يـا بـنَ رُسْـتـم كُـلِّـهِ وبـمـا حفظتَ سِوَى الكتابِ المُنزلِ
لـو كـنـتَ يـونـسَ فـي دوائـرِ نـحـوِه أوَ كنتَ قُطْربَ في الغَريب المُشكلِ
وحَـويْـتَ فـقـهَ أبـي حـنـيـفـة كـلَّـه ثـمّ انـتَـمَـيْـتَ لـرُسْـتَـمٍ لَـم تَـنْـبُـلِ[٤]

٢٤٤ ـ جامع سُفْيان: يُضرب المثلُ بجامع سُفيَان الثوريّ في الفقه للشيء الجامع لكلّ شيء، كما يُضرَب المثل بسفينة نوح؛ وعَهْدي بأبي بكر الخُوارزميّ إذا رأى رجلاً[٥] جامعاً أو كتاباً، قال: ما هوَ إلا سفينةُ نوح، وجامعُ سُفْيان، ومخلط خُراسان.

وقال أبو عبد اللّه بن الحجّاج:

بـالـلّـه قـولـوا لـي ولا تَـغْـضَـبـوا لـــســـتُ مــن الــحــقِّ بَــغْــضــبــانِ
فـــقـــرٌ وذُلٌّ وخُـــمـــولٌ مـــعـــاً أحــســنــتَ يــا جــامــعَ سُــفْــيــانِ

٢٤٥ ـ عَنْز الأعمش: يُضرب مثلاً فيمن يُنزَّلُ منزلةً لا يستحقها لغَيْبة من يَصلُح لها. وذلك أنّ الأعمش كان إذا فقد من يحدِّثه من أصحابه أقبل على عنزٍ له

---

(١) كذا في ط، وفي أ، ب: «بلحية ألوى طفيفة».
(٢) بعدها في أ، ب: «وأبو تمام في شعره»، وهي زيادة مقحمة.
(٣) بعدها في ط: «وهو».
(٤) في ط: «انتهيت»، وهو وجه.
(٥) ط: «مكاناً جامعاً أو كاتباً».

يحدِّثها كراهةً للفراغ، وخوفاً من النِّسيان، وحرصاً على الدّرس[١] والرواية، فجرى المَثَل بعَنْز الأعمش فيما ذكرتُه، وفيمن يخاطب من لا يَفهَم.

٢٤٦ ـ **طَفْرة النَّظَّام**: هي أنه كان يقول بأنّ الجزء[٢] ينتقل من المكان الأول إلى المكان الثالث، من غير أن يمرّ بالمكان الثاني بطَفْرة، فصارت طَفْرة النَّظام مَثلاً فيمن يغذُّ[٣] السَّيَر ويقطع المسافةَ البعيدةَ في المدة القريبة.

٢٤٧ ـ **حاجة أبي الهُذَيل**: يُضرَب مثلاً للحاجة يسألُها الإنسانُ لغيره، ويُضمِر ضدَّ ما يُظهِر [منها][٤]، ولا يحبّ قضاءها إما بُخْلاً بجاهه، وإمّا لحاجة أخرى في نفسه.

وكان أبو الهُذَيل سار إلى سَهْل بنِ هارون الكاتب ـ وكان خاصاً بالحسَن بن سَهْل ـ يسألُه الكلامَ في أمره، ويستعينُه على إضافةٍ[٥] دُفِع إليها، فسار سَهْل إلى الحَسَن فكلّمه وقال له: قد عرفتَ أيها الأميرُ حالَ أبي الهُذَيل ومحلّه وقدرَه في الإسلام، وأنه متكلِّمُ قومِهِ، والرادّ على أهل الإلحاد، وقد فزِع إليك لإضافةٍ هو فيها؛ فوَعَده أن يَنظُر له بما يُصلِح حالَه، فلما انصرَف سهل إلى منزله بعثه لؤم طبعِه وسوءُ خُلُقِه على أنْ كَتَبَ إلى الحسن بن سهل:

إنّ الضميرَ إذا سألتُك حاجةً ... لأبي الهُذَيل خِلافُ ما أُبدِي
فامنَحْه رُوحَ اليأسِ ثم امددْ له ... حبلَ الرَّجاءِ بمُخلِفِ الوَعْدِ
وألِنْ له كَنَفاً ليحسُن ظَنُّه ... في غير منفعةٍ ولا رِفْدِ
حتى إذا طالت شَقاوة جَدِّه ... بَعنائِه فأجِبْهُ بالرَدّ

فلما قرأ الحسن رقعتَه وقّع فيها: هذه ـ لك الويْل ـ صِفتُك لا صِفتي. وأمَر لأبي الهُذَيل بألفِ دينار.

وكان سهل بن هارون بن راهبون الكاتب الميسانيّ[٦] كاتباً شاعراً بليغاً حكيماً، ولكنّه كان مُفرِط البُخْل بمالِه وجاهِه، ضارباً في اللؤم والدناءة بسهمٍ فائز.

---

(١) ط: «الدراسة».
(٢) ط: «الجسم».
(٣) كذا في ا، وفي ب: «يبعد»، وفي ط: «يقد».
(٤) تكملة من ب.
(٥) أضاق الرجل، أي ذهب ماله.
(٦) ط: «المياني»، تحريف؛ صوابه من أ، ب.

فيما يُضَافُ ويُنسَبُ إلى أصحاب المذاهب والآراء والأهْواء

إيمان المرجِىء، وجه الناصِبيّ، خُفّ الرافضيّ، نجدة الخارجيّ، أكل الصوفيّ، ظَرف الزّنديق.

الاسْتِشْهادُ

٢٤٨ ـ إيمانُ المُرجِىء: يُضرب به المَثَل لما لا يزيد ولا يَنقُص، لأنَّ المُرجئة يقولون: إنَّ الإيمان قولُ فرْد لا يزيد ولا يَنقُص، فيشبَّه بإيمانهم ما يكون بهذه الصفة.

٢٤٩ ـ وجه الناصبيّ: الشّيعة تَصِفه بالسواد، ويشبَّه به كلُّ شديدِ السواد، كما قال النّاشئ الأصغر:

يا خليلي وصاحبي ... مِن لؤيٍّ بنِ غالبِ
حاكمُ الحُبِّ جائرٌ ... موجِبٌ غير واجِبِ
لك صُدْغٌ كأنّما ... لونُه وجهُ ناصِبي
يَلدَغُ الناس إذْ تَعقْـ ... ـرَب لَدْغَ العقارِبِ

وقال أبو الفتح كُشاجِم:

حُبُّ عليّ عُلُوُّ هِمَّهْ ... لأنه سيِّدُ الأئمَّهْ[1]
مَيِّزْ محبِّيه هل تَراهُمْ ... إلّا ذَوي ثَروةٍ ونِعْمَهْ!
بين رئيسٍ إلى ظريفٍ ... قد أُكمِلَ الظَّرْفَ واستَتَمَّهْ
فهمْ إذا حُصِّلوا ضياءٌ[2] ... والعَصَبُ الناصبيُّ ظُلْمَهْ[3]

(١) ديوانه: ١٦٠.
(٢) الديوان: «خلصوا».
(٣) أ: «والغضب»، ورواية الديوان: «والنصب الظالمون ظلمة».

وأَنشد أبو بكر الخُوارَزميّ لنفسه:

رُبَّ لَيْلٍ كطَلْعة الناصِبيّ ذي نجومٍ كحجّة الشِّيعيّ[(١)]

٢٥٠ ـ **خُفّ الرافِضيّ**: يشبَّه به ما يُوصَف بالسَّعة؛ ويقال: أوسَعُ مِن خُفّ الرافضيّ؛ لأنه لا يَرَى المَسْح على الخُفّ فيوسِّع مدخله؛ ليتمكّن من إدخال يدهِ فيه ماسحاً لرجْلَيه إذا توضّأ.

٢٥١ ـ **نجدة الخارجيّ**: قال الجاحظ: قد علمنا أن داعي استفاضة النجدة جميع أصناف الخوارج وتقدمهم فيها إنما هو بسبب الدِّيانة، لأنّا نجد عبيدَهم ومواليَهم ونساءهم يقاتِلون مثْلَ قتالهم، ونجد السِّجِسْتانيَّ، وهو عجميّ، واليماني والنَّجْرانيّ والجَزَرِيّ وهم عرب، ونجد تاهرت ـ وهي بلاد عجم ـ كلُّهم في القتال والنجدة سواء، وفي ثَبات العزيمة والقوة والشدة متكافئين، فاستوتْ حالاتُهم في النجدة، مع اختلاف أنسابِهم وبُلْدانهم، وفي هذا دليلٌ على أنّ الذي سَوَّى بينهمْ هو التديّنُ بالقتال.

٢٥٢ ـ **أكل الصُّوفيّ**: يُضرب المَثَل بأكل الصُّوفيّة، يقال: آكَلُ من الصّوفية، وآكَل من الصّوفيّ، لأنهم يَدِينون بكثرة الأكل، ويختصّون بعِظَم اللّقْم، وجَوْدة الهَضْم، واغتنام الأكل[(٢)]. وسئل بعضُ القُراء عنهم فقال: رَقَصَةٌ أَكَلة[(٣)]؛ وبلغ من عنايتهم بأمر الأكل، وشدة حرصهم على قطع أكثر الأوقات به أنْ نَقَش بعضهم على خاتَمه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥]، ونَقَشَ آخر: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]، ونقش آخر: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]، وفسّر أحدهم الشجرة الملعونة في القرآن فقال: هي الخِلال، لمجيئه بعد انقضاء أمر الطعام ووقع اليأس منه. وفسّر آخرَ قولَه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨]، فقال: إلى المنزل إذا لم تكن دَعْوة، وإلى مِثل تلك الحال أشارَ من قال:

كأنّ أبا يحيى يُساقُ إلى الموتِ إذا ما تفرّقنا وصِرْنا إلى البَيْتِ
لعِلمِ أبي يحيى بما هو صائرٌ[(٤)] إليه إذا أَمسَى من الخُبْزِ والزَّيتِ

وفسّر بعضُهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، فقال: هم الذين يثردون ولا يأكلون وغيرهم يأكل. وقال آخر: بل هم الذين لا سكاكينَ معهم في أيام البطّيخ.

---

(١) أ، ب: «كطلعة الشيعي».
(٢) ط: «ويأكلون أكل الغنيمة».
(٣) أ: «رفضة».
(٤) ط: «سائر».

وقال بعضهم: العيش فيما بين الخَشَبتين، يَعْنِي الخِوان والخِلال.

ولقّبوا الطَّشت والإبريقَ إذا قُدِّما قبل المائدة بِبِشْر وبَشِير، وإذا قُدما بعدَها بمُنكَرٍ وَنكير، ولقّبوا الحَمَل بالشهيد ابن الشهيد، والقطائفَ بقبور الشهداء، وكُنوز الزّهاد، وكنوا[١] الزُّمَاورد[٢] بأبي جامع، والبَهَطّ[٣] بأبي نافع؛ والأشنان بأبي إلياس[٤]؛ إلى أشباه لهذه النقوش، والتفاسير والألقاب والكُنى كثيرة[٥] جداً لا يتسع لها هذا الكتاب.

وقد أفصح بعضُ الظُّرفاء عن حقيقة وصفِهم، وجَلِيّة حالِهم، فقال وما قال إلا الحقّ:

صَحبتُ قوماً يقول قائلُهمْ ... نحن على ذي الجلال متَّكِلهْ
فالوَقْتُ والحال والحقيقة والـ ... برهانُ والرقص عندهمْ مثله[٦]
فَلم أزلْ خادماً لهم زَمَناً ... حتّى تبيَّنْتُ أنّهُمْ أكَلَهْ

وأُنْشِدت لأبي القاسم عمر بن عبد اللّه الهرَنديّ[٧] فيهم:

تَبّاً لقوم جَعَلوا ... ديناً لدنْيا مأكَلَهْ
تستَّروا بأنّهُمْ ... صوفِيَّةٌ محنبَلهْ[٨]
وما يُساوِي نُسْكُهمْ ... قِمامة في مزْبَلَهْ[٩]
إتَّخذوا شِباكَهُمْ ... إحْفاءَهم للأسْبِلَهْ[١٠]
وهمْ إذا فتّشْتَهمْ ... منافقون أكَلَهْ

٢٥٣ ـ ظَرْف الزِّنديق: أما قولهم: أظرف من الزنديق؛ فقد صار مثَلاً في

(١) كذا في ط، وفي أ، ب: «ولقبوا».
(٢) الزماورد؛ بالضم: طعام اللحم والبيض.
(٣) البهط، محركة مشددة الطاء: الرز يُطبخ باللبن والسمن.
(٤) ساقط من ط.
(٥) ط: «الكثيرة» تحريف.
(٦) ط: «مسأله».
(٧) الهرندي: منسوب إلى هرند (بالتحريك)، مدينة من نواحي أصبهان، في أ، ب: «الهريدي» تحريف. ذكره الثعالبي في اليتيمة ٣/ ٣٧٨، وأورد طائفة من شعره؛ ومنها هذه الأبيات.
(٨) ط: «مخيله»، وأثبت ما في أ، ب واليتيمة.
(٩) اليتيمة: «من مزبلة».
(١٠) الأسبلة: جمع سبال، وهو الشارب. وفي ط: «للسبلة».

زمان كثيرٍ ظرفاؤه، وهو زمان المهديّ، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة، كصالح بن عبد القُدوس، وأبي العتاهية، وبشّار، وحمّاد الراوية، وحمّاد عَجْرَد، ومُطيع بن إياس، ويحيى بن زياد، وعلِيّ بن الخليل، ومثلهم وممّن تقدمهم قليلاً، كابن المقفّع، وابن أبي العَوْجاء، وما منهم في الظاهر إلا نظيف البِزّة، جميل الشكل، ظاهر المروءة، فصيح اللَّهجة، ظريف التفصيل والجُمْلة؛ واللّه أعلم ببواطنهم وضمائِرهم. قال أبو نواس وكان أيضاً يعدُّ فيهم:

تِيهُ مُغِنٍّ وظَرفُ زِنْديقِ[١]

وقد كان الجاهل الغِرّ من أهل ذلك العصر يتطفّل على الزندقة ينتحِلها ليُعَدَّ من الظرفاء، كما قال الشاعر:

تزنْدَقَ معلِناً ليقولَ قومٌ ... من الأدباءِ زِنْديقٌ ظَريفُ
فقد بقيَ التزندُقُ فيه وَسْماً ... وما قيل الظَّريف ولا الخَفيفُ[٢]

قال الجاحظ: ربّما سمع أحدهم ممن لا معرفة عنده ولا تحصيل له، أن الزنادقة ظُرفاء، وأنهم عقلاء وأدباء، وأنهم عبّاد وأصحاب اجتهاد، وأنّ لهم البصائر في دينهم، والبذل لمهجهم، وأن هناك عِلْماً وتمييزاً، وإنصافاً وتحصيلاً، فيسري إليهم مسرى المُهْر الأرنّ[٣]، ويحنّ إليهم حنينَ الوالِه العَجول، ويتصبَّب فيهم صَبابة العاشق المتيّم، ويرى أنه متى اتُّهم بهم فقد قُضِيَ له بذلك كلِّه، فلا يزال كذلك حتى يَسْهل في طباعه، ويرجُح عنده أن يزعم أنه زِنديق.

---

(١) ديوانه: ٨٩، وصدره:

* وَصِيفُ كَأسٍ مُحدِّثُهُ مَلِكٌ *

(٢) أ، ب: «ولا قيل».

(٣) ط: «فينزو نحوهم نزو المهر الأرن»، وما أثبته من ا.

فيما يُضَافُ ويُنسَبُ
إلى مُلوكِ الجاهليّة وخُلفاءِ الإسْلام

سِيرةُ أزْدَشير، عدلُ أنُوشِرْوان، رميُ بَهْرام، إيوان كسرَى، نديما جَذيمة، ظلم الجُلُنْدَى، شَقائقُ النعمان، خَرَزات الملك، رِدافة المُلوك، أخلاق الملوك، دِينُ المُلوك، داءُ المُلوك، غضبُ المُلوك، بهاءُ الملوك، ميدَانُ الخلفاء، حُسْن الأمين، ليلة المتوكِّل، خلافة ابنِ المعتزّ، جوهرُ الخلافة.

الاسْتِشْهادُ

٢٥٤ ـ سيرة أزْدَشير: من حُسن سيرته أن له كتاباً في حُسن السِّيرة يُضرَب المَثَل به، وتَقتَبس الملوكُ من أنواره، فمن نكَته قولُه: إذا رغِب المَلِك عن العدل رغِبَت الرعيّة عن الطاعة. لا صلاحَ للخاصة مع فساد العامة، ولا نظام للدَّهْماء مع دولة الغَوْغاء. أوحش[1] الأشياء عند الملوك رأسٌ صار ذَنَباً وذَنَب صار رأساً. لا سلطانَ إلّا برجالٍ، ولا رجالَ إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عِمارَة إلّا بعَدْل وحُسنِ سياسة.

ومن كلامه: القَتْل أنفَى للقتل؛ وأجلّ منه في معناه قولُ اللّه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰأُوْلِي الْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٢٥٥ ـ عدْلُ أنوشِرْوان: لكم يكن في الأكاسرة بعد أزْدَشِير الذي له فضيلة السَّبْق أعدَل من أنوشِرْوان، ولذلك ضُرِب المثل به في العدل من بينهم. وهو الذي وُلدَ النبي ﷺ في زمانه لتسع سنينَ خلتْ من مُلكه، وافتخر عليه الصلاة والسلام بذلك فقال: وُلِدتُ في زمنِ الملكِ العادل. فأما سائر الأكاسرة فإنهم كانوا ظَلَمَةً فَجَرَةً، يستعبِدون الأحرار، ويُجرون الرَّعايا مَجرَى الأُجَراء والعبيد والإماء، فلا يقيمون لهم وزناً، ويَستأثرون عليهم حتّى بأطيب[2] الطعام والثياب الحَسَنة

(١) من الوحشة، ضد الأنس.
(٢) ط: «بأطايب الأطعمة».

والمراكب والنساء الحِسان والدُّور السرية ومحاسن الآداب، فلا يجترئ أحدٌ من الرعايا أن يَطبُخ سِكْباجاً أو يلبسَ ديباجاً، أو يركَب هِمْلاجاً، أو يَنكح امرأةً حسناء، أو يَبنيَ داراً قَوراء[1]، أو يؤدِّبَ ولدَه، أو يَمُدّ إلى مروءةٍ يدَه، وكانوا يبنون أمورَهم على معنى قولِ عمرو بن مَسعَدة للمأمون:

مِلْكُ ما يَصْلُح للمَوْ ... لَى على العبدِ حرامُ

إلّا أنهم كانوا يحبُّون العمارة أشدّ الحبّ، ويروْنها قِوام الدِّين والمُلك ولا يُقارّون أحدا على الإخلال بها، والتقصير فيها. ويُروَى أنّ بعض الأنبياء عليهم السلام، قال: يا ربّ لِمَ آتيتَ الأكاسرة ما آتيتَهم؟ فأوحَى إليه: لأنهم عمروا بلادي حتى عاش فيها عبادي. ومن كلام أنوشِرْوان الدالِّ على ما وراءه: كلُّ الناس أحِقّاء بالسجود للّه تعالى، وأحقُّهم بذلك من رَفَعه اللّه تعالى عن السجود لأحدٍ من خَلقه. وقوله: إن الملِك إذا كثرتْ أمواله مما يأخذ من رعيته، كان كمن يعمِّرُ سطحَ بيته بما يَقتلِع من قواعدِ بنيانِه. وقوله: وجَدْنا للعفو من اللذة ما لم نجدْه للعقوبة. وقوله: الإنعام لَقاح، والشكرُ نَتاج.

٢٥٦ ـ **رَميُ بَهْرام**: يُضرَب به المَثَل، لأنه لم يكن في العَجَم أرمَى منه، وهو بَهْرام جُور الملِك. ومن قصّته المصوَّرة في القصور أنه خرج ذات يوم إلى الصيد على جَمَل، وقد أردَفَ جاريةً له يتعشّقها، فعَرضتْ له ظِباء، فقال للجارية: في أيّ موضع تريدين أن أضعَ السهمَ من هذه الظِّباء؟ فقالت: أريد أن تشبِّه ذُكرانَها بالإناث وإناثها بالذُّكران، فرَمَى ظبياً ذَكَراً بنُشّابة ذاتِ شُعبتَين، فاقتَلَع قرنَيْه، ورَمى ظبيةً بنُشّابتين أثبتَهما في موضع القرنين؛ ثم سألتْه أن يَجمَع ظِلْف الظَّبْي وأُذنَه بنُشّابة واحدة، فرَمَى أصلَ أُذُن الظبي بقطعةِ سهم، فلما أهوَى بيَدِه إلى أُذُنه ليحتك رماه بنُشّابة، فوصل أُذنَه بظِلْفه. ثم أَهوى إلى الجارية مع هواه لها، فرَمى بها إلى الأرض، وأوطأها الجَمَل، وقال: لَشَدَّ ما شططتِ علَيّ، وأردتِ إظهارَ عَجْزِي! فلم تَلبَثْ أن ماتت.

٢٥٧ ـ **إيوان كِسرَى**: يُضرَب به المَثَل للبُنيان الرفيعِ العجيب الصنعة، المتناهِي الحصانة والوَثاقة، لأنّه من عجائب أبنية الدنيا، ومن أحسن آثارِ الملوك، وهو بالمدائن من بغدادَ على مرحلة، بَناه كسرَى أبرَوِيز في نَيّفٍ وعشرين سنةً،

(١) الدار القوراء: الواسعة.

وتأنّقَ في تأسيسه وتشييده وتحسينه، فلمّا ارتفعَ كان من خصائصه الثّماني عشرةَ التي لم يُعطَها مَلك قبلَه.

ويقال[١]: بل بناه أنوشِروان، وهو الذي بَنَى البابَ والإيوانَ أيضاً.

وأنشَدَني أبو نصر المرْزُبانيّ لنفسه يَذكُر ذلك:

قلتُ لمّا رأيتهُ في قصورٍ مُشرفاتِ الجُدْرانِ والبُنيانِ
هَبْكَ كِسرَى كِسرَى المُلوك أنوشِرْ وانَ باني الأبوابِ والإيوانِ
أيَّ شكرٍ ترجوه منّي إذا لمْ تقضِ لي حاجتي وترفع شاني!

وذكر ابنُ قتيبة في كتاب «المعارف» أنّ بانيه سابُور ذو الأكتاف[٢].

ومن وصفِه أنّ طولَه مائةُ ذراع في عَرض خمسين ذراعاً في سُمْك مائةِ ذراع، وهو متَّخَذ من الآجُر الكبار والجِصّ، وثُخْن الأزَج[٣] خمسُ آجُرات، وطُولُ الشُّرْفة[٤] خمسة عشر ذراعاً.

ولما بَنَى المنصورُ مدينةَ السلام أحَبّ أن ينقُض إيوانَ كسرَى ويبني بنقضه الأبنية؛ فاستشار خالد بنَ بَرْمَك في ذلك، فنهاه عن نقضِه، وقال: يا أميرَ المؤمنين، إنه آيةُ الإسلام، وإذا رآه الناس عَلِموا أنّ مَنْ هذا بناؤه لا يُزيلُ أمره إلا نَبِيّ[٥] وهو مع هذا مصلّى عليّ بن أبي طالب رضوان اللّه عليه، والمؤونة في هَدْمه ونَقْضِه أكثر من الارتفاق به. فقال المنصور: يا خالدُ أبيتَ إلا مَيْلاً إلى العَجَم! ثم أمَر بهدمِه، فهُدِمتْ منه ثُلْمة، فبلغَتِ النفقةُ عليها مالاً كثيراً، فأمر بالإضراب عن هدمه، وقال: يا خالد، قد صِرْنا إلى رأيك فيه، فقال: أنا الآن أشير[٦] بهدمه. قال: وكيف؟ قال: لئلّا يتحدّث الناس بأنك عَجزتَ عن هدمه؛ فلم يقبلْ قولَه، وتركَه على حاله. فكان المأمون يقول: قد حبّب إليَّ هذا الخبر ألّا أبنيَ إلا بناء جليلاً يَصعُب هدمُه.

قال الجاحظ: قال قاسم التّمّار: رأيتُ إيوانَ كسرَى كأنما رُفِعَتْ عنه الأيدي أوّلَ أمسِ.

---

(١) أ: «وقيل».
(٢) المعارف ٦٥٩.
(٣) في اللسان: «الأزج، البيت يبنى طولاً، ويُقال له بالفارسية: أوستان».
(٤) كذا في أ، ب، وفي ط: «المشرف».
(٥) كذا في ب، وفي ا، ط: «الأنبياء».
(٦) ط: «أشين»، تحريف.

قال المبرّد: تذاكر حذيفةُ بنُ اليَمانِ وسَلْمان أمرَ الدّنيا، فقال سلمان: ومن أعجب ما تذاكَرنا صُعود غُنيمات الغامِديّ سَريرَ كِسرَى. وكان أعرابيّ من غامد يَرعَى شُوَيْهاتٍ له، فإذا كان الليلُ صيّرها إلى عَرْصة إيوانِ كِسرَى، وفي العَرْصة سريرُ رَخام، فتَصعَد غُنَيْماتُه إلى ذلك السرير، وكان كِسرَى كثيراً ما يجلس على ذلك السرير.

وممن ضَرَب المثلَ بإيوان كسرَى ابن الروميّ في قوله وهو يهجو:

كان للكركَدَنِّ قرنٌ فأضحَى[(١)] وهْو اليومَ عند قَرنِك مِذْرَى[(٢)]
من يكن قَرنُه كقَرْنِك هٰذا فليكنْ بابُه كإيوان كسرَى

وممن وصفه البحتريّ في قصيدته التي منها:

حضَرتْ رَحْليَ الهمومُ فوجَّهْتُ إلى
أبيَضِ المَدائِن عَنْسِي[(٣)]
وكأنّ الإيوانَ من عَجَب الصَّنْعةِ جَوْبٌ
في جَنْب أرعَنَ جَلْسِ[(٤)]
لم يَعِبْهُ أن بُزّ من بُسُط الدِّيباجِ واستُلَّ
من ستُورِ الدِّمَقْسِ
مُشمَخِرٌ تَعلُو له شُرفاتٌ رُفِعت في رؤوسِ رَضْوَى وقُدْسِ[(٥)]
ليس يُدرَى أصنُعُ إنسٍ لجِنّ سكنوه أمْ صُنعُ جِنّ لإنْسِ!
غَيرَ أنّي أراه يَشْهد أنْ لم يَكُ بانيهِ في الملوك بِنكْسِ[(٦)]

٢٥٨ ـ نَديمَا جَذيمة: يُضرَب بهما المثَل في طول الصحبة، كما يُضرَب[(٧)]

---

(١) ط: «للكركند»، وما أثبته من أ، ب.
(٢) ط: «يزري».
(٣) ديوانه: ٢/ ٢٥٧/ ١١٥٤ ـ دار المعارف، وفي ط: «عيسى»، والصواب ما أثبته من أ، ب والديوان. والعنس: الناقة القوية.
(٤) الجوب: النحت في الجبل. والجلس: الجبل العالي.
(٥) مشمخر: عال. ورضوى وقدس: جبلان معروفان.
(٦) النكس: الضعيف الدنيء.
(٧) ط: «للفرقدين».

بالفَرْقَدَين وابنيْ شَمام(١) ونخلَتَيْ حُلوان(٢). وكان جَذيمةُ الوضّاح الملِك لا ينادِم أحداً ذهاباً بنفسه، وكان يقول: أنا أعظم من أن أنادِم إلا الفرقَدَين، وكان يشرَب كأساً ويَصُبّ لكلّ منهما كأساً، فلما أتاه مالكٌ وعَقيل بابن أخته عَمرو صاحبِ الطَّوْق الذي استهوَتْه الجِنّ، قال لهما: ما حاجتُكما؟ قالا: مُنادَمتك، فنادَمهما أربعين سنةً؛ كانا يحادثانه وما أعادَا عليه حديثاً قطّ حتى فرّق بينهما الدهر، وفيهما يقول الشاعر:

أَلَمْ تَعلَمَا أنْ قد تَفرَّقَ قبلَنا ... نَديما صَفاء: مالكٌ وعَقيلُ(٣)!

ويقول متمِّم بنُ نُوَيْرَة في أخيه مالك، وهو من الأمثال السائرة:

وكُنّا كَنَدْمانَيْ جَذيمةَ حِقْبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا(٤)

فلما تفرّقنا كأنّي ومالِكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعا

٢٥٩ ـ **ظُلْم الجُلُنْدَى**: هو الملك الذي ذكَره اللّه تعالى في كتابه فقال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، فجرى المَثَل، لا سيما على ألسنة أهلِ عُمَان بظُلْمه، فقالوا: أظلَم من الجُلُنْدى.

٢٦٠ ـ **شقائق النُّعمان**: يُحكى أن النعمان بن المنذر خرج يوماً إلى ظهر الحيرة متنزِّهاً وقد أخذت الأرضُ زُخْرُفها وازّيّنتْ بالشقائق، فاستحسنها وقال: احمُوها، فحُمِيتْ وسُمِّيَتْ شقائقَ النعمان بالنسبة إليه(٥).

وقال بعض أهل اللغة: النعمان [اسم](٦) من أسماء الدم، نُسبت الشقائقُ إليه تشبيهاً به، كما قال الشاعر:

كأنّ شقائقَ النعمانِ فيها ... ثيابٌ قد رَوِين من الدماءِ

٢٦١ ـ **خَرَزات الملك**: كان المَلِك من ملوك العرب كلما مضت سنةٌ من سِنيّ مُلكِه زيدتْ في تاجه خَرَزة. وكان يقال لتلك الخَرَزات: خَرَزات المُلْك.

---

(١) ابنا شمام: جبلان في ديار بني تميم.
(٢) الميداني ا، ٤٣٨، ولفظ المثل: «أطول صحبة من الفرقدين، ومن ابني شمام، ومن نخلتي حلوان».
(٣) لأبي خراش الهذلي، ديوان الهذليين ٢/١١٦.
(٤) من المفضلية ٦٧ ص ٢٦٣ ـ ٢٧٠.
(٥) كذا في ا، وفي ب، ط: «في النسبة».
(٦) تكملة من أ، ب.

ولما بلغتْ خَرَزات النعمان بن المنذر أربعين أشَخصَه كِسرَى أبْرَوِيز إلى حضرتِه، لِهَناتٍ نَقَمها عليه، ثم أمر بقتله. وإيّاه عَنَى لبيد بن ربيعةَ بقوله:

رَعَى خَرَزاتِ المُلْك عشرين حجَّةً ... وعشرين حتّى فاد والشَّيْبُ شامِلُ[١]

٢٦٢ ـ **رِدافة المُلوك**: كانت من العرب في بني عتّاب بن هَرْميّ[٢] بن رياح بن يربوع، فورِثها بنوهم كابراً عن كابر حتى قام الإسلام، وهي أن يُثني بصاحبها [في] الشراب، وإن غاب الملك خلفه في المجلس، ويقال: إنَّ أرداف الملوك في الجاهلية بمنزلة الوزراء في الإسلام، والرِّدافة كالوزارة، قال لَبيد من قصيدة:

وشَهِدتُ أنجيةَ الأُفاقة عالياً ... كَعْبِي وأردافُ المُلوك شُهودُ[٣]

٢٦٣ ـ **أخلاق الملوك**: توصف بالتلوّن والتغيّر، لأنّ الملوك لهم بَدَوات. وقد شبّه بها يوماً من أيام الربيع مَن قال:

ويومٍ كأخلاقِ الملوكِ ملوَّنٍ ... فشَمسٌ ودَجْنٌ ثم ظِلٌّ ووابِلُ[٤]

أشبِّهه إياكَ يا من صِفاتُه ... دنوٌّ وإعراض ومَنْعٌ ونائِلُ

وأحسَنُ منه في معناه قولُ عليّ بن الجَهْم:

أما ترى اليومَ ما أَحلَى شمائلَه ... صحوٌ وغَيْم وإبراقٌ وإرعادُ[٥]

كأنّه أنتَ يا مَن لستُ أذكُره[٦] ... وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعادُ

٢٦٤ ـ **دين الملوك**: كان المأمون يقول: الإرجاءُ دينُ المُلوك، وهو الذي تُنسَب إليه مذاهبُ المُرجِئة الذين يتركُون القَطْع على أهل الكبائر إذا ماتوا غيرَ تائِبين بعذابٍ أو عَفْو، ويقولون بإرجاء أمرِهم والحكمِ عليهم، وهم جميعاً سِوَى الحُشْوة الطَّغام منهم يقولون: إن اللّه تعالى إنْ عفا عن واحد فمن هوَ في مِثلِ

---

(١) ديوانه: ٢٦٦. فاد: مات، وفي ط: «حتى قيد»، وأثبت ما في أ، ب والديوان.
(٢) أ: «هوم»، تحريف. وانظر الاشتقاق ٢٣١.
(٣) ديوانه: ٣٥. أنجية الأفاقة: موضع. ويوم الأفاقة، يومه ويوم الربيع بن زياد (من شرح الديوان). وفي ط: «شهودي»، وهو خطأ.
(٤) الدجن: إلباس الغيم الأرض. وفي ط: «وروض» تحريف.
(٥) ملحق ديوانه: ١٢٣ وفي ١، ب: «وأحسن منه قول الآخر».
(٦) الديوان: «يا مَن لا شبيه له».

حالِه، وإن اللَّه تعالى لا يخلِّد أحداً من أهل التوحيد في النار بارتكاب الكبائر، وإنّه إنْ أدخَلَهم النارَ عذّبهم بقدرِ ذنوبِهم ثم أخرجَهم.

٢٦٥ ـ **داءُ الملوك**: قد نزّههم اللَّه ورَفعَ أقدارهم عما يرميهم به العامة وتنسبُه إليهم من الداء الذي لا دواء له إلا بعصمة اللَّه تعالى، وكأنّهم[١] اعتقدوا أن ذلك ربما يتولد من فرط الترفّه والتنعّم، فإضافته إليهم لتخصيصه بهم، قال الشاعر:

داءُ المُلوكِ يلوحُ فوقَ جَبينِهِ ... شهدتْ بذاكَ مواضعُ التّحديقِ

وقال أبو نصر الظريفيّ الأبيَوْرْديّ:

قد ردّنا إسحاق عن بابِهِ ... فلم يكن فيه لنا مِنْ سُلوكْ
وقال: بي داءٌ وعَهْدِي به[٢] ... كالشمس من قبلِ أوان الدُّلُوكْ
وليس ذاكَ الداء من دائِنا ... لكنّ ذاك الداءَ داءُ المُلوكْ

وقال آخر:

أحمَدُ اللَّهَ حَمد شاكرٍ نُعما ... هُ ولا أشتكي صُروفَ الزّمانِ
إنْ عَراني داءُ الكرام من الدَّيْـ ... ـنِ فَداءُ المُلوك مما عَداني[٣]

وقال آخر:

ما حِيلتي والزَّمانُ يجفوني[٤] ... وهو على الحُرّ غيرُ مأمونِ
والدَّيْن داء الكِرام ينحلُني[٥] ... وليس داء الكرامِ بالدُّونِ
أحمَدُ ربّي الكريمَ حمدَ فتىً ... في كَدَر العيشِ غير مَغْبونِ
إنْ كان داءُ الكرام يَعرُوني ... فإنّ داءَ الملوكِ يَعدُوني[٦]

٢٦٦ ـ **غضب الملوك**: كان يقال: اتّقوا غَضَبَ المُلوكَ ومَدَّ البحر ومن غرر مدائح بكر بن النطاح[٧] في أبي دُلَف قولُه:

ومقسِّمٍ بينَ القَواضبِ والقَنا ... غضبَ المُلوك وتيَّةَ العُبّادِ

---

(١) كذا في ا؛ وفي ب: «وكأنها اعتقدت».
(٢) أ، ب: «وعذري به».
(٣) أ، ب: «فداء الملوك».
(٤) ط: «والدهر».
(٥) ط: «أنحلني».
(٦) أ، ب: «فإن داء الكرام».
(٧) ط: «النظام»، تحريف.

فإذا أبو دُلَفٍ أمدَّ بذِكرِه جَيشاً كفاه مؤونةَ الإمدادِ

٢٦٧ ـ **بَهاء الملوك**: وَصَف أعرابيٌّ الحَسَن البَصري فقال: بَهاءُ المُلوك، وسيما العبّاد، وفي معناه قال الأخطل لعبدِ الملك بنِ مَرْوان:

تَسمو العُيونُ إلى إمامٍ عادلٍ مُعطَى المهابةِ نافعٍ ضَرّارِ[١]
ويُرَى عليه إذا العُيونُ رَمَقْنَهُ سيما التقيّ وهَيبةَ الجَبّارِ

وأخَذَه البحتري فقال في المهتدي بالله:

مَلِكٌ تحيِّيه الملوكُ وفوقَه سِيمَا التُّقَى وتَخَشُّعُ الزُّهّادِ[٢]
متهجِّدٌ يُخفي الصلاةَ وقد أبَى إخفاءَها أثرُ السجودِ البادِي

٢٦٨ ـ **مَيدان الخُلَفاء**: هو عند أصحاب الأخبار عشرون سنة إلى أربع وعشرين، وهي دَوَران المشتري، فكأنّها كناية عن أتمّ مدة للخلافة فممَّنْ بلغتْ مدة خلافته عشرين سنة إلى اثنتين وعشرين سنة معاوية وعبد الملك وهشام، والمنصور، والمأمون، والمعتمد، ولم يَستكمِل الأربعَ والعشرين غير الرشيد والمقتدِر.

حدّث أبو العَيْناء، قال: حدثنا محمد بن عباد المهلبي، قال: كنّا وقوفاً على باب الفَضْل بن الربيع وهو عليل في آخر أيام الرشيد، إذ أقبَلَ الرشيد عائداً له، فقال له عبد الملك بنُ هلال: الحمد للّه يا أمير المؤمنين إذْ خصَّك بطُول البقاء، وأجازك مَيْدَانَ الخُلَفاء. فتغيَّر وجه الرشيد ودخل، فخرج بعَقِب ذلك القاسمُ بنُ الربيع يَشتُم عبدَ الملك بن هلال ويقول له: مَن حَمَلك[٣] أن تَذكُر لأمير المؤمنين ما مضى من مدة خلافته! واللّهِ ليعيشنّ بعدها أربعين سنة، فما عاش بعدَها إلا أقلّ من سنة.

قال محمد بن عباد: وكان محمد بن عبد الرحمٰن السَّكوني[٤] واقفاً معنا، فأَقبَل عليّ يحدّثني بنحو هذا الحديث، وذلك أنّ المنصور انصرف من صلاة الفِطر سنة ثمانٍ وخمسين ومائة، فجلس وهنأه الناس، ودعَوا له، فقال عقال بن شَبْبة ـ

(١) ديوانه: ٨٠، وفيه أنه مدح بهما عبد الله بن معاوية.
(٢) ديوانه: ١/ ١٤٤.
(٣) ط: «من أخذك».
(٤) أ: «السلوكي».

وقد وُضِعت الموائدُ والمنصورُ يأكل: أحمَد اللّه يا أميرَ المؤمنين، فقد جزْتُ ميدان الخُلَفاء قبلك؛ فقبض المنصورُ يدَه عن الطعام، وقال: كبُرتَ واللّهِ يا عقال وكبرُ كلامُك! ففطِن عقال لذلك، وتلافى أمرَه، وقال: أجَلْ واللّهِ يا إميرَ المؤمنين، لقد أَحْزَنَ سَهْلي، واضطَرَبَ عَقْلي، وأنكرني[١] أهلي، ولا أقوم واللّه هذا المُقام بعد يومي. فسَكَن قولُه هذا من المنصور، ولم يَعِش بعد ذلك إلّا شهرين وأياماً.

قال مؤلف الكتاب: مِثلُ قولِ عبدِ الملك بنِ هلال للرشيد وعقال بن شَيْبة للمنصور سوء أدَب في مخاطبة المُلوك والكُبراء، لأن فيه نَعْياً لهم إلى أنفسهم، وإنذاراً إياهم لمجيء آجالهم؛ وقد حدّثني السيد أبو جعفر المُوسَوي، قال: أنشد العبّاس الأُرخسيُّ[٢] الأمير نصر بن أحمد ليلة السَّذَق[٣] الحادي والثلاثين من الأشذَاق التي أقامَ رسومَها قصيدة أولها:

مهتراً بار خدايا ملك بغدادا ... سذقِ ويكم برتو مبارك بادا

فقطّب نصر وجهَه وزَوَى ما بين عينيه وقال: إين شمرون ني جه بايست، وتنغّص تِلك الليلة ولم يَسمَع تمامَ القصيدة، ولم يُسذِقْ بعدَها؛ أي[٤] لم يَدُرْ عليه الحَوْلُ حتى مات.

٢٦٩ ـ حُسْنُ الأمين: كان يُقال لكل من محمد الأمين وأخيه أبي عيسى: يوسف الزمان، لفَرطِ جَمالهما، ويقال: إن جمالَ وُلْدِ الخلافة انتهى إليهما، فما رأى الناس مِثلَهما قطّ ألّا المعتزّ بعدهما، وفي أحدهما يقول أبو نُواس:

أصبحتُ ضبّاً ولا أقولُ بمَنْ ... أخافُ مَن لا يَخافُ مِن أَحدِ
إذا تفكّرتُ في هَوايَ له ... مسستُ رأسي هل طارَ عن جَسَدي![٥]

ويحكى أن الأمير نظر إلى أبي نُواس في بعض ليالي منادَمته إيّاه وهو ينظر إليه نَظْرةَ عَلِق، فقال له: يا حَسَنَ، هل تَشتهِيني؟ فقال: معاذَ اللّه، ومَن يحدِّث نفسَه بمثل ذلك! فقال: أقسمتُ عليك بحياتي إلا أخبرتَني! فقال: يا سيدي إن

(١) ط: «وأنكره».
(٢) الأرسخي، منسوب إلى أرخس من نواحي سمرقند، ذكره ياقوت.
(٣) السذق: ليلة معروفة عند الفرس تُسمّى ليلة الوقود.
(٤) أ: «إذا».
(٥) أ: «حست».

الأموات يَشْتَهونك، فكيف الأحياء! فأمرَ بقتلِه، فلما جيء بالنِّطَع والسَّيْف أنشدَ أبو نُواس يقول:

أمـيـرٌ غـيـرُ مـنـسـوبِ ... إلـى شـيءٍ مـن الـحَـيْـفِ
سَـقـانـي مـثـل مـا يَـشْـرَ ... بُ فـعـل الـضـيـفِ بـالـضـيـفِ
فـلـمـا دارت الـكـاسُ[١] ... دَعَـا بـالـنِّـطْـعِ والـسَّـيْـفِ
كـذا مَـن يَـشْـرَب الـرّاحَ[٢] ... مـع الـتِّـنِّـيـنِ فـي الـصَّـيْـفِ

فأَمَر بإعفائه ووَصلَه، ويقال: إن صاحب هذه القصّة[٣] هو أبو عيسى بن الرشيد.

ويُروَى أنّ رجلاً حدّق النظرَ إلى الأمين، فهمّ به بعضُ الخَدَم، فقال بعضُ الحاضرين: لا تلُمْه على النّظر إلى زينة اللّه تعالى في عبادِه.

وكان الرشيد يقول للمأمون: يا عبدَ اللّه، أُحِبّ المحاسنَ كلَّها لك حتّى لو أمكَنني أن أجعلَ وجه أبي عيسى لكَ لفعلتُ.

وقال يوماً لأبي عيسى وهو صبيّ: ليتَ جَمالَكَ لعبد اللّه ـ يعني المأمون؛ فقال: على أنّ حَظّه منكَ لي! فعَجِب من قوة جوابِه على صباه وضمّه إليه وقبّله.

وقرأتُ رسالةً لأبي إسحاق الصابي لا أذكرها[٤]، وقد ضرب المثل فيها بحُسن وجهِ الأمين، وغِناءِ إبراهيم بن المهديّ، وبلاغة جعفر بن يحيى، وحفظ الأصمعيّ، وطيب عِشرةِ ابن حَمْدون، وشعر البحتريّ.

وقال أبو الحَسَن المُوسويّ من قصيدةٍ يمدَح بها الطائعَ للّه:

وإذا أمـيـرُ الـمـؤمـنـيـن أضـافَ لـي ... أمَلِي نزلتُ على الجوادِ المُفضلِ[٥]
رأيُ الـرشـيـد وهَـيْـبـةُ الـمـنـصـورِ فـي ... حُـسـنِ الأمـيـنِ ونِـعـمـةُ الـمـتـوكِّـلِ

وقال أبو عبد اللّه المغلسيّ[٦] من قصيدة:

راحـةٌ تُـخـجِـل الـسَّـحـابَ ووجـهٌ ... يـتـلالا إشـراقُـهُ كـالـصَّـبـاحِ

---

(١) في أ، ب: «الكاسات».
(٢) ط: «الماء».
(٣) ط: «القصية».
(٤) انظر ص ١٥٥.
(٥) ديوانه: ٢/ ٥٩٩.
(٦) أ: «المغلبي».

ما جمال الأمينِ ما كَرَمُ المَهْـ ـدِيِّ ما أريحيَّةُ السَّفّاحِ!

ومثلُ هذا التمثيل قولُ الرّشيد في المأمون: واللَّهِ إنِّي لأعرِف في عبد اللَّه حَزْمَ المنصور، ونُسْكَ المهديّ، وعزّة نفسِ الهادي، ولو شئتُ أن أشبِّهه[١] في الرابعة بنفسي لفعلت. واللَّهِ إنِّي لأرضَى سِيرته، وأحمَد طريقتَه، وأستحسِن سياستَه، وأرَى قوّته وذِهْنَه، وآمَن ضعفَه ووَهنَه؛ ولولا أمُّ جَعْفرٍ ومَيلُ بني هاشم إلى محمد، لقدَّمتُ عبدَ اللَّه عليه.

وكان المكتفِي أيضاً موصوفاً بالجَمال، وبه ضربَ المثلَ عبدُ اللَّه بنُ المعتزّ:

واللَّهِ ما كلّمتُه ولَوَ انّهُ كالشمس أو كالبدرِ أو كالمكْتَفِي
قايَسْتُ بين جَمالِه وفعالِه فإذا المَلاحةُ بالخِيانة لا تَفِي

٢٧٠ ـ ليلة المتوكّل: هي الليلة التي قُتل فيها، وكانت ثُلْمَة الإسلام وعنوانَ سقوط الهَيبة، وتاريخَ تراجُع الخلافة. وكانت ليلةَ الأربعاءِ لثلاثٍ خَلتْ من شوّال سنة اثنتين وثلاثين ومائتين للهجرة، قتَله باغر التركي بمواطأة المنتصِر في مجلس أنسِه؛ وقد أحدَق به النُّدماء والمطربون، ودارت الكؤوس، وطابت النفوس، فانقلب مجلسُ اللّهوْ والطرب إلى مجلس الوَيْل والحَرَب، وأكثَر الشعراء في وَصْفِ هذه الوَقْعة؛ فمنهم أحمدُ بنُ إبراهيمَ الأسَديّ يقول من قصيدة:

هٰكذا فلْتكنْ مَنايَا الكِرام بين نايٍ ومِزْهَرٍ ومُدامِ
بين كاسَيْن أرْوَتاهُ جَميعاً كأس لذّاته وكأس الحِمامِ

ومنهم البُحتريّ، شَهِد القَتْل فقال من قصيدة:

لَنِعْمَ الدّمُ المسفوحُ ليلةَ جعفرٍ هرَقْتُمْ، وجنحُ الليلِ سُودٌ دَياجِرُهْ[٢]
كأنَّ وليَّ العَهدِ أضمَر غَدْرَةً فمِنْ عَجَبٍ أنْ وُلّيَ العهدَ غادِرُهْ
فلا مُلِّيَ الباقي تُراثَ الذّي مَضى ولا حَملتْ ذاكَ الدعاءَ مَنابِرُهْ

وممّن ضَرَب المثَلَ بليلة المتوكّل أبو القاسم الزّعفرانيّ حيث قال من قصيدة في فخر الدَّولة:

قد ألقَتِ الدنيا أزمَّتها إلى مَلِك المُلوك عليِّ بنِ أبي عَلِيّ[٣]

---

(١) أ: «شبهته».
(٢) ديوانه: ١/٢١٦.
(٣) يتيمة الدهر.

فاطرَبْ سُروراً بالزّمان وحُسْنِه ... واشرَبْ على إقبالِ دولَةِ مقبلِ
كمْ آمِنٍ متحصّنٍ في جَوْسَقٍ ... قد باتَ منه بليلةِ المتوكّلِ

٢٧١ ـ خلافة ابنِ المعتزّ: تُضرَب مَثلاً فيما لا تَطُول مدته ويُسرِع انقضاؤه، لأنه ولِيَ الخلافة يوماً وبعضَ يوم، وأدركَتْه حرفةُ الأدب، فَلم يلبثْ أمره أن انحَلّ في اليوم الثاني. وقد كان بايعَه أكثرُ الناس، وذلك لعشرٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ستٍّ وتسعين ومائتين للهجرة، ولقِّب بالمنتصر باللّه، فكان أوّل ما تكلّم به: قد حان للحق أن يتّضح، وللباطل أن يفتضِح.

وجرت عليه اتّفاقات سوء؛ منها أنّ مُؤنِساً الحاجبَ في دارِ المقتدِر كان بايَعَ ابنَ المعتزّ على أن يكون حاجبَه، وواطأه على أن ينفذ إليه أمر المقتدر، وصافياً الحُرَميّ، فبلغه أن يُمْناً غلام المكتفِي يَذْهب ويجيء قدّام ابن المعتزّ كالحاجب له، وكان عدوّاً له يناوئه، فرجع عن رأيه وعزمه في أمر ابنِ المعتزّ، وأخذ في إحكام أمر المقتدر، وأحضَرَ غِلمانَ الدار، ووعَدهم الزيادة في أرزاقهم، فلمّا أصبح ابنُ المعتزّ؛ وأراد الركوبَ إلى دار الخلافة، قال له وزيره محمد بنُ داودَ بن الجرّاح: ننتظر قليلاً إلى أن ينفضّ الطريقُ من عامةٍ تعرّضتْ[١] فيه، فقال له ابنُ المعتزّ: أهم معنا أم علينا؟ فقال: ليسوا معنا، قال ابن المعتزّ:

ليس يومي بواحدٍ من ظَلُوم

يريدُ أن أهلَ بغدادَ كانوا مع المستعين على ابن المعتزّ، وهم الآن مع المقتدر عليه؛ ثمَّ جدّ في الرّكوب، فقدّم أمامه الجيش إلى الشارع، فلقيَهم غلمان المُقتدِر والحَشَم، فرموهم ومنعوهم من النفوذ، وانكبّ العامة عليهم بالرجم، فلم يجدوا مخلصاً ولا مسلكاً، وبعث المقتدر بشذَواتٍ[٢] وطَيّاراتٍ فيها غِلمانٌ ومعهم خالُه غَريب، فتصاعَدوا، فلمّا قاربوا الدّار التي فيها ابن المعتز ومعهم المطارد ضجّوا وكبّروا، وكبّرت العامة حول الدار، فجعل الناس يتسللون لواذاً، ويَرمُون أنفسهم في السُّمَيْرِيّات[٣]، وهرب ابن المعتز وكان متلثماً، فعرفه خادم لابن الجصاص الجوهري، وسعى به حتى أخذ وحدر في طيار إلى باب الخاصة، قال الصوليّ: فوقفت حتى رأيته من حيث لم يرني، وقد أخرج من الطيّارة حافياً، وعليه غلالة

(١) ب: «تجمعت».
(٢) الشذوات: السفن القصار.
(٣) السميريات: جمع سميرة؛ وهي ضرب من السفن.

قصب فوقها مبطنة بملحم خراسانيّ، يضرب إلى الصفرة قليلاً، وعلى رأسه مجلسية، فلما صار إلى مؤنس الحاجب لطمه لطمة فانكبّ على وجهه، وأُدخل الحبس فمات، وقيل: بل أُميت بعد أيام، ولم يقدر أحد على رثائه سوى ابن بسام فإنه قال:

لِلَّهِ دَرُّكَ من ميتٍ بمَضْيَعةٍ ... ناهيكَ في العلم والآدابِ والحسبِ
ما فيه لوٌّ ولا لَيْتٌ فتَنْقُصَه ... وإنّما أدركَتْه حِرفةُ الأدبِ

وقال ابن علّاف النهرواني قصيدةً في رِثاء هِرٍّ، وَرَّى بها عن ابنِ المعتزّ فقَضى وَطَراً من حيثُ لم تَلزَمه حجّة، أوّلها:

يا هِرُّ فارَقْتَنا ولَمْ تَعُدِ ... وكنتَ مِنّا بمَنْزِلِ الوَلَدِ[1]
فكيفَ نَنْحَلُّ عن هَواكَ وقد ... كنتَ لنا عُدّةً من العُدَدِ

ومنها:

يا مَنْ لذيذُ الفراخ أوقعَهُ ... وَيْحَكَ هلّا قَنَعْتَ بالغُدَدِ!
أطعَمَك الغيُّ لحمَها فرأى ... قَتْلَك أربابُها من الرَّشَدِ
أَلَمْ تَخَفْ وثْبةَ الزمان كما ... وثبتَ في البُرجِ وَثْبةَ الأَسَدِ
تَدْخُلُ بُرْجَ الحمَام متّئِداً ... وتُخرِجُ الفرخَ غيرَ متّئدِ
وتَطرَح الرِّيشَ في الطريق لهمْ ... وتَبلَع اللحمَ بَلْعَ مُزْدَرِدِ
وكان قلبي عليكَ مُرتَعِداً ... وكنتَ تَنْسابُ غيرَ مرتعِدِ
عاقبةُ الظلم لا تَنامُ وإنْ ... تأخّرتْ مدّةً من المُدَدِ
لا بارَكَ اللَّهُ في الطعام إذا ... كان هَلاكُ النُّفوسِ في المِعَدِ
كم أَكْلةٍ خامَرَتْ حَشَا شَرِهٍ ... فأَخْرَجَتْ رُوحَه من الجَسَدِ
ما كان أغناكَ عن تسوُّرِك الـ ... ـبرْجَ ولو كان جَنّةَ الخُلدِ

ومنها:

ثم شَفَوا بالحَديدِ أنفسَهُمْ ... منكَ ولم يَربَعوا على أحَدِ[2]
كأنّهمْ يَذْبحون طاغِيةً ... كانوا لطاغُوتِها من العُبُدِ[3]

---

(١) نهاية الأرب ٩/ ٢٩٣، وابن خلكان ١/ ١٣٨.

(٢) لم يربعوا: لم ينتظروا.

(٣) العبد، بضمتين: جمع عبد.

لم يَرحَموا صَوْتَك الضعيفَ كما ... لم تَرْثِ منها لصَوْتِها الغَرِدِ(١)
أذاقَكَ الموتَ مَن أذاقَ كما ... أذَقْتَ أطيارَهُ يَداً بِيَدِ
كأنّ حَبْلاً حَوَى بجَوْدَتِه(٢) ... جِيدَكَ للذَّبْح كان مِنْ مَسَدِ
كأنّ عَيْني تراكَ مُضطَرِباً ... فيه وفي فيكَ رَغْوةُ الزَّبَدِ
وقد طلبتَ الخلاصَ منه فلَمْ ... تَقدِرْ على حيلةٍ ولم تجِدِ
فاذهبْ من البَيْت خيرَ مُفتقَدِ ... واذهبْ من البُرْج شَرَّ مفتقَدِ

ومنها(٣):

حتى اعتقَدْت الأذَى لجيرَتِنا ... ولم تكن للأذى بمعْتَقِدِ
وحُمْتَ حولَ الرَّدَى بظلمِهِمُ ... ومن يَحُمْ حولَ حوضِهِ يَرِدِ

ومنها:

إنّ الزمان استقادَ منكَ ومَنْ ... يسلَمْ لغيرِ الزمانِ يستقدِ
فإن رَماكَ الرّدَى بحادثةٍ ... فما على الحادثاتِ مِن قَوَدِ

ومنها:

من لم يَمُتْ يومَه يَمُت غدَه ... أوْ لم يَمُتْ في غَدٍ فبعدَ غَدِ

٢٧٢ ـ جَوْهر الخلافة: كانت جَواهر الأكاسرة وغيرهم من المُلوك صارتْ إلى خلفاء بني أميّة، ثم صارت إلى السَّفّاح، ثمّ إلى المنصور، فاتخذها عدّة للخلافة، وفيها كل فصّ ثمين، وعِقْد نفيس.

واشترى الربيع جوهراً بألفِ ألفِ دينار وضمّهُ إلى جوهر الخلافة، ثم اشترى المهديُّ الفَصَّ المعروف بالجبل بثلثمائة ألفِ دينار، وضمّهُ إلى جوهر الخلافة. ولم يزَل هو والخلفاء بعدَه يحفَظونه، ويزيدون فيه مَا يقدِرون عليه، ويُجلَب إليهم من الآفاق، وأفضت الخلافةُ إلى المقتدر، وفي خزانته من الجواهر ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعَتْ، وفيه المعروف بالمُنقاد وقيمتُه ما لا يُقدَّر قَدْرُه، والمعروفُ بالبحْرة(٤)، والدُّرَّة اليتيمة، وزَعَموا أن وَزنَها ثلاثة مثاقيل، فتبسَّط فيه المقتدر،

(١) الغرد بفتح فكسر: المطرب.
(٢) كذا في الأصول وابن خلكان، وفي نهاية الأرب: «بحوزته».
(٣) بقية الأبيات ساقطة من أ، ب.
(٤) أ، ب: «البحر».

وقسَّم بعضَه على الحَرَم، ووَهَب بعضَه لصافي الحرميّ، ووجَّه إلى وزيره العبّاس بن الحسن منه شيئاً كثيراً، فردّه العبّاس، وكتب إليه يُعلِمه أنّ هذا الجوهر زِينةُ الإسلام، وعدّة الخلافة، وأنه لا يصلُح أن يفرَّق، فكان ذلك أوّل ثقله على قَلْبه.

وكانت زيدان القهرمانة ممكَّنةً من خزانة الجَوْهر، فاتخذت سُبْحَةً لم يُرَ مِثلُها، ويُضرَب بها المثل في الارتفاع والنَّفاسة، فيقال: سُبحة زَيْدان، كما يقال: أشقَر مَرْوان، وجامع سُفْيان، وعُود بُنان، وقد ذكرتُها في باب الحُلِيّ من هذا الكتاب؛ ولمَّا ورد علِيّ بن عيسى من مكة إلى الوَزارة قال للمقتدر بعد كلامٍ جرى بينهما: ما فعلتَ بسُبْحة[1] جوْهر قيمتها ثلاثون ألفَ دينار، أُخذت مِن ابن الجصَّاص؟ قال: هي في الخزانة، فقال: إنْ رأى سيدنا أن يأمر بطلبها؛ فطلبتْ فلم تُوجَد، فأخرَجها من كُمّه، وقال: قد عُرِضتْ علَيّ بمصر فعرفتُها فاشتريتُها، فإذا كانت خِزانةُ الجوهر لا تُحفَظ فما الذي يُحفظ! فاشتد ذلك على المقتدر وعلى السيدة. واتُّهمتْ بالسُّبْحة زَيْدان؛ وقيل: ليس من يَصِل إلى خِزانةَ الجَوهر غيرها. ثم أفضت الخلافةُ إلى القاهر ثم إلى الراضي. وقد امتدّت إلى جوهر الخلافة أيدي الخَوَنة، وأَتَى عليه سوء السياسة، فلَمَ يَبقَ منه شيء، فكأنّه ذهب مع ذَهاب الخلافة، وتَلاشَى بتلاشِي المملكة؛ [والله سبحانه الفاعل لما يريد[2]].

---

(١) أ، ب: «سبحة».

(٢) تكملة من ب. وفي ا «والله سبحانه وتعالى أعلم».

فيما يُضافُ ويُنسَبُ إلى الكتّاب والوُزراء وَمَنْ يَجْري مجراهُم في الدولة العَبّاسيَّة

بلاغة عبد الحميد، يتيمة ابنِ المقفَّع، دُهن أبي أيّوب، تيه عُمارة، زمن البَرامِكة، جُود الفضل بنِ يحيى، بلاغة جعفر، عام ابنِ عمّار، فالج ابن أبي دُواد، ضَرطة وهب، خط ابن مُقلة، مُروءة ابن الفُرات.

الاسْتِشْهادُ

٢٧٣ ـ بلاغة عبد الحميد: هو عبدُ الحميد بنُ يحيى بن سعيد مولَى العَلاء بن وهب العامريّ. رَوى الميدانيّ أنه كان معلماً، ثم بلغ من البلاغة مبلغاً يُضرب به المثل، كما قال البحتريّ لمحمد بن عبد الملك:

وتفنّنتَ في البلاغة حتى ... عطّل الناسُ فنَّ عبدِ الحميدِ[1]

وقال ابن الرّوميّ لأبي الصَّقْر:

لو أنّ عبدَ الحميد اليومَ شَاهَدَهُ ... لكان بين يديه مُذْعِناً وَسِنَا

وقال عمرو بنُ عثمان بن إسفنديار[2] الكاتب:

وصديقٍ رقيقِ حاشيةِ الجِلـ ... ـسةِ صافي زُجاجة الآداب

شغلتْه الرِّقاع منه إليه ... فدعا نفسَه إلى الأصحاب[3]

وهو في الحِذْق والبلاغة والتّطـ ... ـويلِ عبدُ الحميد في الكُتّابِ

وقال بعضهم:

لستَ وهبَ بنَ سليما ... نَ بن وهبِ بنِ سعيدِ[4]

(١) ديوانه: ١/٢٠٦، وفي «التفننت».
(٢) ساقطة من أ، ب.
(٣) أ، ب: «عن الأصحاب».
(٤) هذه الأبيات ساقطة من ط.

قد تحدّثت برغْمِ منهُ عن أمرٍ سديدِ
أنتَ في معناكَ ذا أبلغُ من عبدِ الحميد

وقال أبو إسحاق الصابي من قصيدة:

أَنسيتُم كُتُباً شحنتُ فصولَها بفصولِ دُرٍّ عنكمُ منضودِ
ورسائلاً نفذتْ إلى أطرافكم عبدُ الحميد بهنَّ غيرُ حميدِ!

ويقال: إنّ عبد الحميد أول من نهج طرقَ الكتابة، وبسط من باعِ البلاغة، وشنّف الرسائل وقرَّظها[١]، ولخَّص فصولها وخلَّصها.

وكان مروان بنُ محمد يستكتبه ويكرمه ويقدِّمه، ولا يَرَى الدنيا إلّا به.

وكان عبدُ الحميد يقول: أكرموا الكتّاب فإنّ اللّه تعالى أجرى أرزاقَ الخلق على أيديهم. وكان يقول: إنْ[٢] كان الوحيُ ينزَّل على أحدٍ بعد الأنبياء فعَلى بُلَغاء الكُتّاب.

ومن غُررِ كلامه: العمل شجرة ثمرها الألفاظ، والفكر بحرٌ[٣] لؤلؤه الحكمة.

وقيل له: ما الذي خرّجك في البلاغة؟ فقال: حفظُ كلامِ الأصلع - يعني عليَّ بنَ أبي طالب.

وكان إبراهيم بنُ العبّاس الصولي يقول في رسالة له: ما تمنّيتُ كلامَ أحد أن يكون إلّا كلام عبد الحميد حيث يقول في رسالة له: الناس أصناف[٤] مختلفون، وأطوار متباينون، فمنهم عِلْقُ مَضِنّة[٥] لا يباع، ومنهم غُلّ ظِنةٍ[٦] لا يُبتاع.

ويُروَى أنّه مرّ بإبراهيم بن جبلة وهو يكتب خطّاً رديئاً، فقال: أتحبّ أن يجود خطك؟ قال: نعم، قال: أطِلْ جِلْفة قلمِك[٧] وأسمِنْها، وحَرِّف قَطّتَك وأيْمِنْها، قال: ففعلتُ ذلك فجاد خطّي.

---

(١) ب، ط: «قرظرا».
(٢) أ: «إذا»، ب: «لو».
(٣) ساقطة من ط.
(٤) ب: «أجناس».
(٥) علق مضنة، أي نفيس.
(٦) أ: «على مظنة».
(٧) الجلفة: موضع الكتابة من القلم.

وساير عبدُ الحميد يوماً مروانَ على دابّة قد طالت مدتها في مُلكه، فقال له مروان: قد طالت صحبة هذه الدابة لك! فقال: يا أمير المؤمنين، من بركة الدابة طول صحبتها، وقلّة علّتها؛ قال: فكيف سَيرُها؟ قال: همّها أمامها، وسَوْطها عِنانها، وما ضُربتْ قطّ إلّا ظلما.

وقد حُكيَ أنّ عبد اللّه بن طاهر خاطب المأمونَ في دابة رآها تحته بهذا الخطاب بعينه. ويجوز أن يكون حَكى كلامَ عبد الحميد.

ويُحكَى أن عاملاً لمروانَ أهدى إليه غلاماً أسوَد، فقال لعبد الحميد: أكتب إليه وذمّ فعلَه في هديته وأوْجِز؛ فكتب إليه: لو وجدتَ لوناً شرّاً من السّواد، وعدداً أقلّ من الوَاحِد، لأهديتَه.

وكتب إلى أهله وأقاربه عند هزيمة مروانَ كتاباً قال في فصل منه ـ وهو يشكو الدنيا ـ: باعدتْنا عن الأوطان، وفرّقت بيننا وبين الإخوان.

ولما أيس مروان من مُلكه قال لعبد الحميد: إنَّ الأمر زائل عنّا، وهؤلاء القوم ـ يعني بني العبّاس ـ يضطرون إليك، فسرّ إليهم فإنّي أرجو أن تتمكّن منهم فتنفعَني في محنتي، وفي كثير من أموري. فقال: وكيف لي والناس جميعاً يَعلَمون أنّ هذا عن رأيك، وكلّهم يقول: إني غدرتُ بك، وصرت إلى عدوّك! ثم أنشد:

وذنبي ظاهرٌ لا شكّ فيه لمُبصِرِه وعُذرِي بالمغَيبِ

ولما زال أمر مروان أُتيَ المنصور بخواصّ مروان، وفيهم عبدُ الحميد والبعلَبَكيّ المؤذّن، وسلّام الحادي، فهمّ بقتلهم جميعاً، فقال سلّام: استبْقني يا أمير المؤمنين فإني أُحسِن الحُداء، قال: وما بلغ مِن حُدائك؟ قال: تعمَد إلى إبل فتُظمِئها ثلاثة أيّام ثم تُورِدها الماءَ، فإذا بدأت تَشرَب رفعتُ صوتي بالحُداء فترفَع رؤوسها وتَدَع الشرب، ثم لا تشرب حتى أسكت؛ فأمر المنصورُ بإبلٍ ففُعِل بها ذلك، فكان الأمرُ كما قال، فاستبقاه وأجازه، وأجرَى عليه. وقال له البَعْلَبَكيّ: استبِقني يا أميرَ المؤمنين فإنّي مؤذّن منقطع القرين[1]، قال: ما بَلَغ من أذانِك؟ قال: تأمر جاريةً فتقدِّم إليك طَسْتاً، وتأخذ بيدها إبريقاً وتصبُّ الماءَ على يدك، فأبتدئ بالأذان، فتُدهش ويذهبُ عقلُها إذا سمعتْ أَذاني حتى تُلقِيَ الإبريق من يدها وهيَ لا تَعلم؛ فأمر المنصورُ جاريةً ففعلتْ ذلك، وأخذ البعلبكيُّ في الأذان،

(١) أ، ب: «النظير».

فكانت حالُها كما وصف. وقال عبد الحميد: يا أميرَ المؤمنين، استبْقني فإنّي فَرْد الزمان في الكتابة والبلاغة، فقال: ما أعرَفَني بك! أنت الذي فعلتَ بنا الأفاعيل، وعملتَ لنا الدّواهي! وأمر به فقُطعتْ يداه ورِجلاه وضُرِبَتْ عنقه.

ويُروَى أنه سلَّمه إلى عبد الجبّار، فكان يَحمِي له طَسْتاً وَيضعُه على بطنه حتى قتلَه.

٢٧٤ ـ يتيمة ابن المقفَّع: يُضرَب بها المثل لبلاغتها وبراعة تشبيهها[(١)]، وهي رسالة في نهاية الحُسن، تشتمل على محاسنَ من الآداب. فمنها هذا الفصل الذي[(٢)] في ذكر السلطان: مَثَلُ قليلِ مَضارِّ السلطان في جَنْب كثيرِ منافِعه كَمثل الغَيْث الذي هو سُقْيا اللّه وبَرَكةُ السماء وحياةُ الأرض ومَن عليها؛ وقد يتأذّى به السَّفْر، ويتداعَى له البنيان، وتدرُّ سيوله[(٣)] فيهلك الناس والدواب، ويموج له البحر، وتكون فيه الصَّواعق، فلا يمتنع الناس إذا نظروا إلى آثار رحمة اللّه في الأرض التي أحياها لهم، والنبات الذي أخرجه، والرزق الذي بَسَطه عن أن يعظِّموا نعمة ربِّهم ويشكروها، ويُلْغُوا ذكر خواصِّ البلايا التي دخلتْ على خواصّ الخلق وكمَثَلِ الرياح التي يرسلها اللّه بُشْراً بين يدَيْ رحمتِه فيسوق بها السّحاب، ويجعلها لِقاحاً للأشجار، ورَوْحاً للعباد، ويتنسّمون[(٤)] منها، ويتقلّبون فيها، وتجري مياههم وفُلْكهم، وتَقِد نيرانهم بها؛ وقد تضر بكثير من الناس في برّهم وبحرِهم فيشكوها الشاكي، ويتأذّى بها المتأذّى، فلا يزيلها ذلك عن منزِلها[(٥)] التي جعلها اللّه به، وقدَّرها سبباً لقوام عباده وتمام نِعمته. ومَثَلَ الشتاء والصيف والليل، والنهار وما فيهما من قليل المضارّ وكثير المنافع، ولو أنّ الدنيا كانت كلها سواء، وكانت نَعْماؤها من غير كَدّ، وميسورها من غير معسور، لكانت الدنيا إِذَنْ هي الجنة التي لا يَشُوب مسرّتها مكروه. وقد ذكر أبو تمام يتيمة ابن المقفّع وأجراها مَثَلاً في قوله للحسن بن وهب:

ولقد شهدتُكَ والكلامُ لآلئٌ تَوْمٌ فبِكرٌ في النِّظام وَثيِّبُ[(٦)]

---

(١) ب: «منشيها».
(٢) ساقطة من ط.
(٣) ب: «ويدوم سيله».
(٤) ط: «إذ يتنسمون».
(٥) ط: «نزلها».
(٦) ديوانه: ١/ ٨٤١. توم، أي عظيمة، وفي ط: «صرف»، وأثبت ما في أ، ب والديوان.

فكأنَّ قُسّاً في عُكاظٍ يَخْطُبُ ... وكأنَّ لَيْلَى الأخيليَّة تندُب
وكَثيرَ عزةَ يومَ بينٍ ينسبُ ... وابن المقفَّع في اليتيمة يُسهبُ

٢٧٥ ـ **دُهْن أبي أيّوب**: كان لأبي أيّوب المورياني[١] وزير المنصور دُهنٌ طَيِّب الريح يدّهن به إذا ركب إلى المنصور، فكان الناسُ إذا رأوا غَلَبته على المنصور وطاعة المنصور له[٢] فيما يريده يقولون: دُهن أبي أيّوب من عمل السَّحَرة، إلى أن ضَرَبوا به المَثَل فقالوا للذي يغلب على الإنسان: معه دُهن أبي أيوب.

٢٧٦ ـ **تِيه عُمارة**: هو عمارة بن حمزةَ بنُ ميمون مولَى بني العبّاس. وكان سخيًّا سريّاً جليل القدر، رفيع النفس تيّاهاً، وكان خاصاً بالمنصور وقبلَه بالسفّاح، يتولّى لهما الدواوين، وكان المثل يُضرَب بتيهه فيقال: أتيَهُ من عُمارة، قال ميمون بن مهران[٣]: حدثني مَن أثق به أن عمارة كان من تِيهه إذا أخطأ يمضي على خطئه تكبُّراً عن الرجوع، ويقول: نقضٌ وإبرامٌ في ساعة واحدة! الخطأ أهوَن من هذا.

وكان السَّفَّاح يعرفه بالكِبْر وعُلوّ القَدْر [وشدة التنزّه][٤]، فجرى بينه وبين أم سَلمة المخزوميّة امرأته في بعض الليالي كلامٌ فاخرَتْه فيه بأهلها، فقال لها السَّفّاح: أنا أُحضِر لك الساعةَ على غير أُهبة مولىً من مواليَّ ليس في أهلِك مِثله، ثم أمر بإحضار عُمارة على الحال التي يوجد عليها، فلما أتاه الرسول وجاء به إلى السفاح وأمّ سَلَمة خَلف السِّتر، وإذا بعُمارة في ثياب ممسَّكة، وقد غلّف لحيته حتى قامت، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت أحبّ أن تراني على هذه الحالة! فرمى السفاح إليه بمُدهُن ذهب كان بين يديه فيه غالية[٥] فقال: يا أميرَ المؤمنين، هل ترى في لحيتي موضعاً لها! فأخرجتْ أم سَلمة إليه عِقْداً له قيمة جليلة، وقالت للخادم: أخبِره أنّي أهديتُه له، فأَخَذه ووضعَه بين يديه، وشكَر للسفاح ودعا له،

(١) ط: «المرزباني»، تصحيف. والمورياني: منسوب إلى قرية من قرى الأهواز؛ ترجم له ابن خلكان في ١/ ٢١٥، ٢١٦.
(٢) أ، ب: «وطاعته له».
(٣) ط: «بهران».
(٤) تكملة من ط.
(٥) الغالية: نوع من الطيب.

وترك العِقْد ونَهَض. فقالت أم سَلَمة للسَّفّاح: قد أُنسيَه، فقال السفّاح للخادم: ألحِقْه به وقل له: هذا لك فلِمَ خلّفته؟ فاتبعه الخادم به، فلما وصل إليه قال: ما هوَ لي فاردُدْه، فلما أدّى إليه الرسالة قال: إن كنت صادقاً فهو لك. فانصرف الخادم بالعِقد، وعرّف السفاح بما جرى، وامتنع من ردّه على أمّ سَلَمة، وقال لها: قد وَهَبه لي؛ فلم تزل به حتى ابتاعتْه منه بعشرة آلافِ دينار، وأكثرَتِ التعجُّب من كِبر نفسِ عمارة.

وأراد المنصور يوماً أن يَعبَث به، فخرج عُمارة من عنده، فأمر المنصور الخَدَم أن يقطعوا حمائلَ سيفِه لينظر أيأخذه أم لا؟ ففعلوا ذلك، وسقَط السيف، فمضى عُمارة لوجهه ولم يلتفت إليه.

وكان يوماً يماشي المهديَّ في أيّام المنصور ويدُه في يده، فقال له رجل: مَن هذا أيّها الأمير؟ فقال: أخي وابنُ عمّي عُمارة بن حمزة، فلما ولّى الرجل ذكر المهديُّ ذلك لعُمارة كالممازِح له، فقال له عُمارة: إنّما انتظرت أن تقول: ومولاي، فأنفُض واللّهِ يدِي من يدِك؛ فضحك المهديُّ.

٢٧٧ ـ زمن البرامكة: يُضرَب لكل شيء حَسَن، كما قال الجمّاز: أيامنا كأنّها زمنُ البرامكةِ على العُفاة. وقد أكثر الناسُ في وصفهم وأيامهم، قال صالح بن طريف(١):

يا بني بَرْمكَ واهاً لكُمُ ... ولأيّامكُمُ المقتبَلَهْ
كانت الدنيا عَروساً بِكُم ... وهيَ اليومَ ثَكُولٌ أرمَلَهْ

وقال آخر:

وَلّى عن الدنيا بنو بَرْمَكٍ ... ولو تولّى الخَلْق مازادا(٢)
كأنّما أيامُهمْ كلّها ... كانت لأهل الأرضِ أعيادا

وممّن ضَرَب المثَل بذلك بعضُ أهل العصر في قوله لمولانا الملك المؤيَّد خَوارَزْم شاه:

رَعَى اللّهُ مأمون بن مأمون الذي ... رعاياه منه في زمانِ البَرامِكِ(٣)

---

(١) ط: «ظريف».
(٢) ط: «ما فادا».
(٣) ب: «رعى الله مولانا خوارزم الذي» وهي وجه أيضاً.

ولا برحتْ أيّامه بفِعاله وإنعامه المشهورِ غُرّ المَضاحِكِ

٢٧٨ ـ جُود الفضل: هو الفضل بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك، وذِكرُه أشهرُ وأسيَر من أن ينبّه عليه، وكان يُقال له: حاتم الإسلام، وحاتم الأجواد؛ ويقال: حدِّث عن البحر ولا حَرَج، وعن الفضل ولا حرج؛ وفيه يقول الشاعر:

ما لقينا كجود فضلِ بنِ يحيَى(1) تَركَ الناسَ كلَّهم شُعراءَ

ويقول يزيد بن خالد المعروف بابن حسبات(2):

ألم ترَ أنَّ الجُود من صُلْب آدم تحدّرَ حتى صار في راحة الفَضْل!
إذا ما أبو العبّاس جادت سماؤُهُ فيا لَكَ من طَلٍّ ويا لَكَ من وَبْلِ!(3)

ويقول أبو نواس [ما هو أمدح شعر للمحدَثين](4):

أنت الذي تأخذ الأيدي بحجزتِهِ إذا الزمانُ على أنيابه كَلَحا(5)
وَكَلْتَ بالدّهر عَيناً غيرَ غافلةٍ بِجُود كفِّك تأسُو كلَّ ما جَرَحا

٢٧٩ ـ بلاغة جعفر: كان يقال: ما رأى الناسُ مِثَل ابنَيْ يحيى: الفَضْل في سماحته، وجعفر في بلاغته.

قال الجاحظ: قال ثمامة: كان جعفر أبلغَ الناس لساناً وبياناً، قد جمع الهدوء(6)، والجَزالة والحَلاوة، إلى إفهام(7) يغني عن الإعادة؛ ولو كان في الأرض ناطق يستغني عن الإشارة لاستغنى عنها كما استغنى عن الإعادة؛ وما رأيت أحداً لا يتحبّس ولا يتوقّف ولا يتلَجلج، ولا يَرْقُب لفظاً قد استدعاه من بُعْده، ولا يلتمس التخلص إلى معنىً قد تعاصى عليه بعد طلبه إيّاه إلا جعفر بن يحيى.

٢٨٠ ـ عام ابن عمّار: هذا أحمد بن عمّار بن شاذي الساكنيّ البصريّ وزير المعتصم. كان من عِلْية الناس، فلما عزله المعتصم عن وزارته أمر بأن يولّي وزير

(١) ط: «ما رأينا».
(٢) أ، ب: «جناب».
(٣) أ، ب: «من هطل».
(٤) تكملة من ط.
(٥) ديوانه: ٨٥.
(٦) ط: «الهود». تحريف، صوابه من ا، والبيان والتبيين ١/١٠٦.
(٧) ط: «وإفهام».

الأزِمَّة[١] على الدواوين، فاستعفى وقال: إنّي نَويْتُ أن أجاورَ مكّة سنة، فوَصله المعتصم بعشرة آلافِ دينار، ودفع إليه عشرين ألفَ دينار ليفرِّقها بالحرَمَين على مَن يرى تفريقها عليهم، ولا يعطي إلا هاشمياً أو قرشياً أو أنصارياً، فقال: يا أميرَ المؤمنين ربّما كان من غيرهم مَن لهم التقدم في الزهد والعِلم، فإن منعتُه استُذمِمْتُ[٢] عليه، فقال: هذه خمسة آلاف دينار لهؤلاء الذين ذكرتهم. فحجّ ابن عمّار وفرق المال كله مع العشرة آلاف التي له، وجاور سنةً، ثم انصرف، فكان النّاس يَضربون به المثَل، ويقولون: ما رأينا مثلَ عام ابنِ عمّار.

قال مؤلّف الكتاب: ويَضرِبون المثل في زماننا هذا بعامِ جَميلة، وهي المَوْصليّة بنت ناصر الدّولة أبي محمد بن حمدان أخت أبي تَغْلِب، فإنها حجّت سنة ست وستين وثلثمائة للهجرة، وأبانت من المروءة، وفرّقتْ من الأموال، وأظهرتْ من المحاسن، ونشرت من المكارم، ما لا يُوصَف بعضُه عن زُبَيدة وعن غيرِها ممّن حجّت من بنات الخلفاء والملوك.

وأخبَرَني الثقات أنها سقت جميعَ أهل المَوْسم السَّوِيق بالسكّر الطَّبَرْزَد[٣] والثلَج[٤]. وكانت استصحَبَت البُقولَ المزروعة في مراكن الخَزَف على الجمال وأعدّت خمسائة راحلة للمنقطعين من رجَّالة الحج، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار، ولم تَستصبح فيها إلا بشموع العنبر، وأعتَقتْ ثلثمائة عبد ومائتي جارية، وأغْنت الفقراء والمجاورين بالصِّلات الجزيلة، فصارت حَجّتها تاريخاً مذكوراً، وصارت مَثَلاً مشهوراً؛ ومن قصتها أنها لما رجعتْ إلى بلدها وضربَ الدَّهر ضَرَباتِه[٥]، وكان ما كان من استيلاء عضُد الدولة على أموالها وحصونها وممالكِ أهلها، أفضت بها الحالُ إلى كلّ قِلّة وذلّة، وتكشّفت عن فقر مُدقِع، وكان عضد الدولة خطبها لنفسه، فامتنعت وترفَّعت عنه، واحتَقَدها عليها، فحين وقعتْ في يده تشفّى منها، وما زال يعنُف بها في المطالبة بالأموال حتى عرّاها وهتَكها، ثم ألزمها أحدَ أمرين: إما أن تؤدّي بقيّة ما وقعت عليه من

---

(١) الأزمة: جمع زمام.
(٢) أ، ب: «إليه».
(٣) الطبرزد: السكر.
(٤) ط: «والبلح».
(٥) أ، ب: «ضربانه».

المال، وإما أن تختلفَ إلى دُور العمل فتكتسبَ فيها ما تؤدِّيه في بقيَّة مصادرها، فانتهزت يوماً فرصةً من غفلةِ الموكلين بها، وغرّقت نفسَها في دِجْلة، رضى اللَّه عنها وأرضاها[١]، وجعل الجنّة مأواها.

٢٨١ ـ فالج ابن أبي دُؤاد: وهو أحمد بن أبي دُؤاد الإيادي قاضي قُضاةِ المعتصم والواثق. وكانَ من الشرف والكرم بالمنزلة العالية المشهورة، وكان مصروفَ الهمّة إلى استعباد الأحرار، وغرضاً لمدائح الشعراء، ولمَّا أصابته عينُ الكمال فَلِجَ فصار فالجه مَثلاً في أدواء الأشراف وعاهاتهم، كما قيل لَقْوة معاوية، وفالج أبان بن عثمان، وبَخَر عبدِ الملك بن مروان، وبَرَص أنَس بن مالك، وجُذام أبي قُلابة، وعَمى حسّان، وصَمَم ابن سيرين.

وكان أهل المدينة يقولون لمن يَدْعون عليه: أصابه اللَّه بفالج أبان.

قال أبو هِفّان ـ وقد نظر إلى رجل يَضرِب غلاماً له مليحاً:

أَلَا يا ضارباً قمرَ العبادِ　　قصَدتَ الحُسْنَ وَيْحَك بالفَسادِ
أَتَضرِب مثلَه بالسوط عَشْراً　　ضُرِبتَ بفالج ابنِ أبي دُؤادِ!

ومرّ في كتاب الأمير أدام اللَّه تأييده المترجَم بنزهة اللواحظ، من كلام الجاحظ فصل[٢] في أدْواء الأشراف، يليق بهذا المكان، وهو من رسالة إلى محمد بن عبد الملك في الشكر: نعَّمْتَني بتوطئة المطهَّمات حتى أصابني النِّقرسِ، وأتخمتني بأكل الطيبات حتى ضربني الفالج، ولولاكَ لكنتُ أبعد عن النِّقْرس من فَيْج[٣]، وأبعَد عن الفالج من مُكارٍ، فأين شرف أدْوائي من جَرَب الحَسَن بن وهب، وداء[٤] أحمد بن أبي خالد! وأين أدْواء الملوك والأنبياء، من أدواء السفلة والأغبياء، ممَّن كان داؤه أفضل من صحة غيره، وعيبه أجمَل من براءة ضده! وما ظنّك بغير ذلك من أمره!.

٢٨٢ ـ ضَرْطة وهب: هو وهب بن سليمان بن وهب بن سعيد صاحب بريد الحَضْرة، أفلتتْ منه ضَرْطة في مجلس الوزير عبيدِ اللَّه بنِ يحيى بن خاقان وهو غاصٌّ بأهله، فطار خبرُها بالآفاق، ووقَع في ألسن الشعراء، وصارت مَثلاً في

---

(١) أ، ب: «سامحها الله».
(٢) ساقطة من ط.
(٣) الفيج: رسول الملك.
(٤) ط: «ودود»، تحريف.

الشهرة حتى قالوا: أشهر من ضَرْطة وَهبْ، وأفضَح من ضَرْطة وهب. وعَمِل أحمدُ بنُ أبي طاهر كتاباً في ذكرها والاعتذار عنها بعد كلام كثير[١] قيل فيها، كقول ابنِ الرومي:

ما لقِينَا من ظرْف ضَرْطةِ وَهْبِ ... تركتْ أهلَ دهرِنا شُعراءَ
هي عندي كجود فضلِ بنِ يحيَى ... غيرَ أنْ ليسَ تُنعِش الفقراءَ

[وقال آخر][٢]:

يا وهبُ ذا الضرطةِ لا تبتئسْ ... فإنَّ للأستاهِ أنفاسا
واضرِطْ لنا أخرَى بلا كُلْفة ... كأنما مزّقتَ قِرطاسا

[وقال آخر][٣]:

يا آلَ وهبٍ حدِّثوني عنكمُ ... لِمْ لا تَروْن العدلَ والإقْساطا
ما بالُ ضَرْطتِكم يُحلُّ رِباطها ... عفواً ودِرْهَمُكم يشدّ رِباطا
صُرُّوا ضُراطكم المُبَذَّر صَرَّكُمْ[٤] ... عند السؤال الفَلْسَ والقِيراطا
أَوَفاسمحوا بنَوالِكم وضُراطكم ... هيهات لستمْ للنّوال نِشاطا
لو جُدْتُم بهما معاً لوجدْتُمُ ... فَرَشا لكمْ عند الرجال بساطا
لكنكم أفرطتُم في واحدٍ ... وهو الضراط فعدِّلوا الإفراطا

وقول أبي عليّ البصير:

قل لوهب البَغيض يا وَخِشَ الخِلْـ ... ـقةِ ناطقاً بغيرِ لِسانِ
كانت الضَّرْطة المشومة ناراً ... أضرمت في جوانب البلدانِ
قتلتْ مُفلِجاً وكان لَعمري ... عُدّةً في الحروب للسلطان

وقال عيسى بن القاشانيّ:

أقيكَ من حَرِّ حَزيرانِ[٥] ... بالأبعدِ الأقصَى وبالدَّاني

---

(١) أ، ب: «اقتصاص كثير مما قيل فيها».
(٢) من ا.
(٣) ب: «المنذر» تصحيف.
(٤) كذا في ب وهو الصواب والذي في ط: «أخبت النفوس وكانت لعمري»؛ ولا معنى له.
(٥) ط: «أفيل» تحريف.

كأنَّكَ مِنْ بيتِ صديقٍ لنا[١] مَنزلُه والحبسُ سِيّانِ
نبيذُه حُلوٌ ورَيْحانُهُ أَتَى له في السُّوق شَهْرانِ
وقَينةٌ شَمْطاءُ مضمومةٌ في سِنِّ نُمرودِ بنِ كَنْعانِ
إذا تُغَنِّينا حَكَى صَوْتُها ضَرْطةَ وهبِ بنِ سليمانِ

وقال أحمد بن يحيى البَلاذرِيّ:

ليتَ طُبولَ العيدِ تَحكِي لنا ضَرْطةَ وهبِ بنِ سليمانِ
فإنها كانت تَرُوع العِدا ما بين مِصرٍ وخُراسانِ
يا ضَرْطةً لو أنَّها شَرَّقَتْ أودَتْ بَصَنْعا وسِجِستانِ

وقال آخر:

أيا وهبُ لا تجزعْ لإفلاتِ ضَرْطةٍ نَعاها عليكَ العائبونَ وأَفرَطوا
ولا تعتذرْ منها وإنْ جَلَّ أمرُها فقد يَغلَط الحُرّ الكريمُ فيَضرِط

وقال آخر:

لقد قال وهبٌ إذ رأى الناسَ أشرَفوا لضَرْطتِه قولَ امرئٍ غيرِ ذي جَهْلِ
أيا عَجَبي للناس يَسْتشرِفُونني[٢] كأن لم يروا بَعدي ضَروطاً ولا قَبْلي!

وقال آخر:

إنَّ وهبَ بنَ سليما نَ بنِ وهب بن سعيدِ
حَمَلَ الضَّرْطةَ للرَّ يِّ على ظهرِ البريدِ[٣]
اِسْتُه يَنطِق يومَ الـ ـحفلِ بالقولِ الرّشيدِ
لم يُجِد في القَوْلِ فاحتا جَ إلى دُبْرٍ مُجيدِ

وقال آخر:

ومن الحوادث أنّ وَهْباً خانَه للحَيْن والقَدَر المُتاح حِذارُ![٤]

(١) ب: «كنت من بيت صديق لنا».
(٢) أ، ب: «أباعجي».
(٣) أ، ب: «حمل الضرط إلى الري».
(٤) أ، ب: «خيار».

فغدًا وَضَرْطتُه شَنارٌ شائعٌ ... شُغِلت بها عن غيرها الأشعارُ
ومن البليّة أنها بشهادةِ الـ ... قاضِي فليس يُزيلُها الإنكارُ

وقال أحمد بنِ أبي طاهر:

يا وهبُ إنَّ ناقةً ... أظمأتَها فوَرَدَتْ
ونَفَرَتْ شارِدَةً ... فأبرقت وأرعدت
لو كنت لمَّا وردتْ ... عَقَلْتَها ما شَرَدَتْ

وقال ابن بسّام:

سأذكُرُ عن بني وَهْبٍ أموراً ... وليس الغَمْرُ كالرَّجُلِ الخبيرِ[(١)]
وأخلاق البِغالِ إذا استُمِيحوا ... وضَرطٌ في المجالس كالحَميرِ
وُجوهٌ لا تَهشّ إلى المَعالي ... وأستاهٌ تَهَشّ إلى الأُيُورِ[(٢)]

وجَرى بين وهبٍ وبين ابن أبي عَوْن كلام في مجلس عبيد اللّه بنِ عبد اللّه ابن طاهر، فتعدّى وهب على ابن أبي عون، فقال له عليّ بنُ أبي يحيى - وكان في المجلس واحتَمَى لابن أبي عَوْن: كم هذا التوثبُ في مجالس الأمراء، والضُّراط في مجالس الوزراء!.

ويحكى أنه ما سُمعتْ للمهديّ مَزْحة سوى قولِهِ لسليمان بن وهب - وكان في رِجله خفّ واسع يصوِّت: يا سليمانُ، خفّك هذا ضرّاط، فقال: يا أميرَ المؤمنين ضَرْطة خيرٌ من ضَغْطة.

٢٨٣ - خطُّ ابنِ مُقْلة: يُضرَب مَثلاً في الحُسن، لأنه أحسن خطوط الدُّنيا؛ وما رأى الراؤون، بل ما روى الراوون مثلَه في ارتفاعه عن الوصف، وجَريِه مجرى السِّحْر.

وقال الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد:

خطُّ الوزيرِ ابنِ مُقْلَهْ ... بُستانُ قلبٍ ومُقْلَهْ

وقال مؤلّف الكتاب[(٣)]:

خَطّ ابنِ مُقلَةَ من أَرعَاهُ مُقْلَتَه ... ودّتْ جوارحُه لو حُوِّلَتْ مُقَلا

---

(١) في أ، ب: «وما الغمر المغفل كالحبير» وهو مستقيم أيضاً.
(٢) هذا البيت ساقط من أ، ب وهو في ط.
(٣) في أ، ب: «وقال بعض أهل العصر».

فالدرّ يصفرّ لاستحسانه حَسَداً والبدر يَحمرّ من أنوارِه خَجَلا[١]

وقال أيضاً:

سَقَى اللّه عَيْشاً مَضَى وَانقَضَى بلا رجعةٍ أرْتجيها ونُقْلَهْ
كوجهِ الحبيبِ وقلبِ الأديبِ وشعرِ الوَليد بخطّ ابنِ مُقْلَهْ

وكان ابن مقلة ـ وهو أبو عليّ محمد بن عليّ بن الحسين بن مقلة ـ كَتَب كتاب هُدْنة بين المسلمين والرُّوم بخطّه، فهو إلى اليوم عند الروم في كَنيسةِ قُسْطَنْطينية يبرزونه في الأعياد، ويعلّقونه في أخصّ بيوت العبادات، ويعجبون من فرْط حسْنِه، وكونه غايةً في فَنّه.

ومن خبر ابن مُقْلَة هذا أنه استوزر لثلاثة من الخلفاء: المقتدر، والقاهر، والراضي، وتنقّلت به أحوال ومِحَن، أدّتْ إلى قطع يَدِه؛ ومن نَكَدِ الدهر أنّ مثل تلك اليد النفيسة تُقطَع!

قال ثابت بن سِنان بن ثابت بن قُرّة: أمرني الراضي باللّه بالدخول إلى ابن مُقْلة آخر اليوم الذي قُطعتْ فيه يدُه، فدخلتُ إليه فعالجته، وسألني عن خبر ابنه أبي الحسين، فعرّفته خبرَ سلامته، فسَكَن إلى ذلك غايةَ السكون، ثم ناح على نفسه، وبكى على يده، وقال: يدٌ خدمْتُ بها الخلافةَ ثلاثَ دَفَعات، وكتبتُ بها القرآن دَفْعتين تُقطَع كما تُقطَع أيدي اللصوص[٢]! أتذكرُ وأنت تقول لي: إنك في آخر نكبة، والفرج قريب! قلت: بلى، قال: فقد ترى ما حلّ بي، فقلت: ما بقي بعد هذا شيء، والآن ينبغي أن تتوقع الفرج، فإنّه عُمِل بك ما لم يُعمَل بنظير لك، وهذا انتهاء المكروه، ولا يكون بعد الانتهاء إلا الانحطاط. فقال: لا تغفل، إنّ المحنة قد تشبَّثت بِي تشبّثاً تَنقُلُني بِهِ من حال إلى حال حتى تؤدِّيَني إلى التلف كما تَشبَّثُ حُمَّى الدِّق بالأعضاء، فلا تُفارِق صاحبَها حتى تؤدِّيه إلى الموت، ثم تمثّل بهذا البيت وهو لأبي يعقوب الخُرَيْمِيّ:

إذا ما ماتَ بعضُك فابكِ بعضاً فبعضُ الشيء من بعضٍ قريبُ

فكان الأمر على ما قال، فلما قدِم يحكمُ الماهانيّ من بغداد[٣]، نقل ابن

---

(١) في أ، ب: «والنور يحمر من نواره».
(٢) كذا في ط. وفي أ، ب: «تقطع مثل أيدي اللصوص».
(٣) كذا في أ، ب. وفي ط: «ولما قرب إتيان أمره». وانظر ابن خلكان ٢/ ٦٢.

مقلة من ذلك الموضع إلى موضع أغمَضَ منه، فلم يُوقَف له على خبر، وحُجبت عنه ثم قُطع لسانه، وبقي في الحبس مدة طويلة، ثم لحقه ذَرب[(١)]، ولم يكن له من يُعالجه ولا من يَخْدُمه، حتى بلغني أنّه كان يَستقي الماء بِيَده اليسرى وفمِه، ولحقه شقاءٌ شديد إلى أن مات ودُفِن في دار السلطان. ثم سأل أهلُه بعد مدة تسليمه إليهم، فنُبِش وسُلّم إليهم، فدفنه ابنُه أبو الحسين في داره، ثم نَبَشَتْه حُرّته المعروفة بالدينارية، ودفنته في دارها بقصر أم حبيب.

قال: ومن عجائبه[(٢)] أنه كان يراسل الراضي بالله من الحَبْس بعد قطع يده، وقَبْل أن يقطع لسانه، ويطمعه في المال الذي وعد تصحيحه له، ويقول: إنّ قطع يده ليس مما يمنعه[(٣)] أن يستوزره، لأنه يمكنه أن يوقّع بحيلة يحتال بها، أو يعمل بيده اليسرى، ولقد كانت تخرج من عنده له رقاع بعد قطع يده إلى ابنه أبي الحسين وقبل أن يضيَّق عليه؛ ويذكر ابنُه أنها كانت بخط جيد من خطّه، وأنه كان يكتب بيده اليسرى، ويسند القلم على ساعد يده[(٤)] اليمنى فيكتب به. ومن عجائبه أنه تقلّد الوزارة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات: اثنتين في النفي إلى شيراز، وواحدة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات.

٢٨٤ ـ مروءة ابن الفُرات: هو أبو الحسن علِيّ بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفُرات، استَوْزَر للمقتدر ثلاثَ مرّات، وكان يُضرَب بمروءته المَثَل؛ فممّا يُذكَر منها أنه كان كلَّما تقلّد الوزارة يزيد سِعرُ القراطيس والشمع والثلج والخَيْش زيادة وافرة؛ وكان ذلك متعارَفاً عند التجار، وكانت في داره حُجْرة شراب يوجِّهُ الناسُ من الكتّاب والقُوّاد غلمانَهم من المواضع البعيدة ليأخذوا لهم منها ما يريدون من السَّكَنْجَبين والجُلّاب والفُقّاع والثلْج وغيرها.

وكان رَسمُ دارِه أن يَصحَب كلُّ مَن يخرج منها عند غروب الشمس شمعتين، ولا يُسترجعان من خدمه.

قال الصُّولي: وحدّثني جماعة من أهل داره أنه لما استوزر في الكرَّة الثانية وخُلع عليه، وكان الزمان صيفاً، سقى الناس في داره يومَ ذلك وليلته أربعين ألفَ

(١) ذرب، أي فساد في معدته.

(٢) في ب: «ومن عجائب أمره».

(٣) في ب: «يمانعه»، وهو وجه.

(٤) في ب: «على ساعده الأيمن».

رطل من الثلجِ، ولما قُبِضَ عليه بعد وزارته الأولى نظر فإذا هو يجري على خمسة آلافِ من الناس، أقل جاري أحدهم خمسة دراهم في الشهر، ونصف قِفيز[١] دقيق إلى عشرة أقفزة ومائة دينار، وما بين ذلك. ومن خبر عاقبة أمره ـ فيما ذكر ثابتُ بن سِنان ـ أنه سلم في دولَتيه الأوليَيْن جميعاً، فسلم[٢] الناس منه، وشملَهُمْ إحسانُه، ولم يتعرض للنعم ولا للنفوس، واجتمع الناس على محبته والاغتمام لمحنته، واجتهدوا في خلاصه وعَوْد أيامه؛ وصلَحتِ الدنيا على يده، فلما ساعد ابنه المحسن[٣] في دولته الثالثة على ما اختار من التشفِّي من أعدائه، والسَّرف في القتل، وإزالة النعم، وإدخال الرُّعْب سائر القلوب، ولم يظهر منه إنكارٌ لذلك، لحقه من العقوبات في الدنيا إلى أن بلغ الآخرة ما لم يلحق أحداً من نُظَرائه، فإنّه نُصِب بين البيَّازين، وضُرِب بالقُلوس[٤]، وكان خاتمة أمره أن ضُرِبتْ عنقُ ابنِه بحضرته، ثم ضربتْ عنقُه بعد أن أزيلتْ نعمته، وتعفّى أثرُه[٥]، ولم تَبْقَ منه باقية.

---

(١) ب: «لما سلم».
(٢) أ: «وأجمع».
(٣) ط: «الحسن»، تصحيف. وانظر تحفة الأمراء ٦٣.
(٤) القلوس: الحبال الغليظة، جمع قلس، وفي ط: «بالفؤوس» تصحيف.
(٥) ط: «أمره».

فيما يُضافُ ويُنسَبُ إلى طبقات الشُّعَراءِ

حلّة امرىء القيس، يوم عَبيد، حُكمْ لَبيد، حوليّات زُهير، صحيفة المتلمِّس، قِدْح ابن مُقْبل، مِنديل عَبْدة، لسان حسّان، سيف الفرزدق، بنات نُصَيب، غَزل ابن أبي ربيعة، عين بشّار، طَبْع البحتري، أيرُ أبي حَكيمة، تشبيهات ابن المعتز، عِتاب جَحْظة، غلام الخالديّ.

الاسْتِشْهادُ

٢٨٥ ـ **حُلّة امرىء القيس**: تضرب مثلاً للشيء الحَسَن يكون له أثر قبيح، والمَبرّة يكون في ضمنها عُقوق، والكرامة يحصل منها إهلاك، وذلك أن امرأ القيس بن حُجْر لما خرج إلى قيصر يستعينه[١] على قَتَلةِ أبيه، ويستنجده[٢] في الاستيلاء على مُلْكه، أكرمه وأمدَّه بجيش، ثم لما صدر من عنده وَشَى الوشاة به إليه، وأخبروه بما يكره من شأنه، وخوَّفوه عاقبة أمره، فندم على تجهيزه، ثم أتبعه[٣] بحُلّة مسمومة عزم عليه أن يَلبسَها في طريقه؛ فلما لبسها تقرّح جِلْده، وتساقط لحمه، واشتدَّ سُقمه، ففي ذلك يقول:

وَبُدِّلْتُ قُرْحاً دامياً بعد صِحّةٍ ... وبُدِّلْتُ بالنَّعماء والخير أبْؤُسا[٤]
ولو أنَّ نوماً يُشترى لاشتريتُه ... قليلاً كتغميض القَطا حيث عرَّسا[٥]
فلو أنها نفسٌ تموت صحيحةً[٦] ... ولكنّها نَفْسٌ تَساقطُ أنْفُسَا

---

(١) أ، ب: «يستنجده».
(٢) ب: «ويستعينه».
(٣) ط: «وأتبعه».
(٤) ديوانه: ١٠٧، وروايته:
* لعلّ منايانا تحوَّلْنَ أبْؤُسَا *
(٥) لم يرد في رواية الديوان. والتعريس: الاستراحة آخر الليل.
(٦) الديوان: «جميعة».

ثم لما نزل أنقِرةَ مات بها. وإنما سُمِّيَ ذا القروح لهذه القصة.

٢٨٦ ـ **يوم عَبيد**: يضرب مثلاً لليوم المنحوس الطالع، وكان عَبيد بن الأبرص تصدى فيه للنعمان بن المنذر في يوم بُؤسِه الذي كان لا ينجو منه من لقيَه فيه كما كان لا يخيب مَن لقيه في يوم نعيمه، فقال له: يا عَبيد؛ إنك مقتول فأنشِدْني قولَك:

أقْفرَ من أهله مَلْحوبُ[١]

فأنشده:

أَقْفَرَ مِنْ أهْلِهِ عَبِيدُ ... فَالْيَوْمَ لا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

ثم أمر به فقُتل؛ فسار يوم عَبيد مثلاً كما قال أبو تمام:

لما أظلَّتْني سماؤكَ أَقبلَتْ ... تلك الشهود علَيّ وهي شُهودِي[٢]

من بعد ما ظنّ الأعادي أنّه ... سيكونُ لي يومٌ كيوم عَبيدِ[٣]

٢٨٧ ـ **حُكْم لَبيد**: يضرب مثلاً في الميت يُبكَى عليه، والغائب يُختَرم له سَنة واحدة، لأن لبيداً يقول:

إلَى الحَوْلِ ثم اسمُ السَّلام عَلَيْكُما ... ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فقد اعتذَرْ[٤]

وإلى هذا المثل يشير[٥] أبو تمام في قوله:

ظَعَنُوا فكان بكايَ حولاً بعدهمْ ... ثم ارعويتُ وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدِ[٦]

٢٨٨ ـ **حوليّات زُهير**: يُضرب بها المَثل في جيّد الشعر وبارعه: وهي أمّهات قصائده، وغُرر كلماته التي كان لا يعرض واحدة منها حتى يحولَ عليها الحوْل؛ وهو يجتهد في تصحيحها وتنقيحها وتهذيبها؛ وكان يقول: خير الشّعْر الحوليّ المنقّح المحكّك.

---

(١) ط: «عبيد»، وهو خطأ، ويعني القصيدة التي في ديوانه: ١٠ ـ ٢٠، وبقية البيت:
* فالقُطَبيّاتُ فالذَّنُوبُ *

(٢) ديوانه: ١/ ٤٠١، وروايته: «غمامك».

(٣) روايته في الديوان: «من بعد أن ظنوا بأن سيكون لي».

(٤) ديوانه: ٢١٤.

(٥) ب: «أشار».

(٦) ديوانه: ١/ ٣٩٢.

وعهدي بالخوارزمي يقول: مَن روَى حوليّات زُهير، واعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيئة، وهاشميات الكُمَيت، ونقائض جَرير والفرزدق، وخَمْريات أبي نواس، وزُهدِيّات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتزّ، وروْضيّات الصنوبريّ، ولطائف كُشاجم، وقلائد المتنبي؛ ولم يتخرج في الشعر فلا أشبّ اللَّه تعالى قرنه.

٢٨٩ ــ صحيفة المتلمّس: تُضرب مثلاً لمن يحمل كتاباً فيه حَتْفه. وكان طَرَفة بن العبد وخاله جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمِّس ينادمان عَمْرَ بن هند الملك؛ فبلغه أنهما هَجواه؛ فكتب لهما إلى عامله بالبحْرين كتابين أوْهمهما أنّه أمر لهما فيهما بجوائز؛ وقد كان أمره بقتلهما، فخرجا حتى إذا كانا بالنَّجَف إذا هما بشيخ في الطريق يُحدِّث ويأكل من خُبز في يده، ويتناول القَمْل من ثيابه فيقصعه؛ فقال له المتلمس: ما رأيتُ كاليوم شيخاً أحمق! فقال له الشيْخ: وما رأيتَ من حُمْقي! أخرج خبيثاً، وأُدخل طَيّباً، وأقتل عدوّاً؛ وأحمقُ منّي واللَّه مَن يتحمل حتفه بيده؛ فاستراب المتلمّس بقوله؛ وطلع عليه غلام من أهل الحيرة، فقال له: أتقرأ يا غلام؟ قال نعم، ففكّ صحيفته ودفعها إليه فإذا فيها:

أمَّا بعدُ، فإذا أتاك المتلمّس بكتابنا هذا فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيًّا، فأخذها المتلمس، وقذفها في نهر الحيرة، ثم قال لطرَفة: إنّ في صحيفتك واللَّه ما في صحيفتي؛ فقال طرَفة. كلاّ؛ لم يكن ليجترىء علَيّ. ثم أخذ الملتمس نحو الشام فنجا برأسه، وتوجه طرَفة نحو البحرين، وأوصل الكتاب إلى عاملها، فلما قرأه قال له: إنّ الملك قد أمرني بقتلك فاختر أيّ قتلة تريدها، فسُقِط في يده وقال: إن كان لا بدَّ من القتل فقطع الأكحل؛ فأمر به ففُصد من الأكحل؛ ولم تشد يدهُ حتى نزف دمه فمات، وفي ذلك يقول البحتريّ ويجريه مثلاً في اختيار خير الشرّين:

ولقد سكنت إلى الصدود من النوى والشَّرْيُ[1] أَرْيٌ عند طعم الحنظلِ
وكذاكَ طرْفة حينَ أوْجَسَ ضَرْبةً في الرأس هانَ عليه قطعُ الأكحل

وممن ضرب المثل بصحيفة المتلمّس مَنْ قال للفرزدق، وقد أخذ كتاباً

---

(١) الشري: الحنظل، وفي ب: «الصبر».

من بعض الملوك إلى عامله بصِلة له:

أَلْقِ الصَّحيفَةَ يا فرزدقُ لَا تَكُنْ نَكْدَاءَ مِثْلَ صحيفة المتلمِّسِ (١)

وكتب شريحٌ إلى مؤدِّب ابنه يشكوه، ويذكر لعبه بالكلاب، ويأمره بتعزيره:

تَرَكَ الصلَاة لأكلُبٍ يسعى بها نَحْوَ الهِراش مع الغُواةِ الرُّجَّسِ
فليأتينّك غادياً بصحيفةٍ نكْداءَ مثل صحيفةِ المتلمِّسِ
فإذا أتاك فخُصَّهُ بملامةٍ وأنله موعظةَ اللّبيبِ الأكيَسِ
فإذا هممت بضربه فبدِرّةٍ وإذا ضربتَ بها ثلاثاً فاحْبِسِ
واعلمْ بأنّك ما فعلت فنفسُه مع ما تجرّعني أعزّ الأنفسِ

وقال يعقوب بن الربيع في مرثيّة جاريته [مُلك]:

حتى إذا احتَبَس اللسان وأصْبحَتْ للموت قد ذَبُلَتْ ذبولَ النّرْجِسِ (٢)
وتكاءَبتْ منها محاسنُ وجهها وعلَا الأنين تحثُّهُ بتنفّسِ
رجعَ اليقين مطامِعِي يأساً كما رجعَ اليقينُ مطامع المتلمِّسِ

٢٩٠ ـ قِدْح ابن مقبل: يُضرب مثلاً في حسن الأثر، ويُروَى أنّ عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج: ما إنْ أرى لك مثلاً إلا قِدْح ابن مُقْبل؛ فلم يعرف معناه، واغتمّ لذلك حتى دخل عليه قُتيبة بن مسلم ـ وكان راوية للشعر، حافظاً له، عالماً به ـ فسأله عنه، فقال: أبشر أيها الأمير، فإنه قد مدحك، أما سمعت قول ابن مُقْبل وهو يصف قِدْحاً له:

غَدَا وهو مجدولٌ وراحَ كأنّهُ من الصَّكِّ والتقليب في الكفّ أفطحُ (٣)
خَرُوجٌ من الغُمَّى إذا صُكّ صَكّةً بَدا والعيون المستكِفّة تلمحُ (٤)

ويُحكى عنه أنه كتب إليه مرة أخرى: أما بعد، فإنك سالم والسلام. فلم يَدْرِ

---

(١) الصواب أن القائل هو الفرزدق يخاطب نفسه؛ كما في ديوانه: ٢/ ٤٨٣ والأغاني ١٩/ ٤٣ ـ ساسي.
(٢) الكامل ٤/ ٩٦.
(٣) ديوانه: ٢٨، ٢٩. مجدول: مدمج بعضه في بعض. والصك: الضرب بالقداح والأفطح العريض.
(٤) الغمَّى: الضيق والشدة. والعيون المستكفة: عيون الذين ينظرون إليه وإلى غيره من القداح؛ استكففت الشيء؛ إذا وضعت يدك على حاجبك تنظر هل تراه.

ما معناه، حتى نُبّه على أنه أراد قول عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما في ابنه سالم رضي اللّه عنه:

يُـديـرُونَـنـي عـن سـالـمٍ وأُديـرهُـمْ   وجـلْـدة بـيـن الـعـيـنِ والأنـف سـالـمُ

هكذا وجدته في غير كتاب واحد، ثم وجدت نسخة رقعة للصاحب إلى العامل بجرجان[١] في الوصية بأبي سعد الإسماعيلي أولها: أخبرني يا سيدي وخليلي أطال اللّه بقاءك الصقر، قال: أخبرني أبو العباس محمد بن يزيد، قال: قلتُ للعتبيّ: كنت أحبّ أن أعرف موقعي من قلبك، قال: موقع سالم ـ يعني سالم بن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهم وموقعه من أبيه، فقد كان يكلَفُ به حتى إنه كان يقبّله؛ وقد شاخ الابن، ويقول: شيخ يقبّل شيخاً! وسالم الآخر مولى هشام المقول فيه:

يُـديـرونَـنـي عَـنْ سـالـمٍ وأديـرُهُـمْ   وجـلـدةُ بـيـن الـعـيـن والأنـف سـالـمُ

والأخ الفقيه أبو سعد أدام اللّه عِزّه عندي كسالم وسالم، بل هو كالسلامة، فهي أخصّ موقعاً وأشرف موضعاً.

٢٩١ ـ مِنديل عَبْدة: قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه ـ وكان يتجنّب غير الأدباء: أيّ المناديل أفضل؟ فقال قائل منهم: مناديل اليمن كأنّها أنوار الربيع.

وقال آخر: مناديل مصر كأنها غرْقيء[٢] البيض، فقال عبد الملك: ما صنعتم شيئاً، أفضل المناديل منديل عَبْدة ـ يعني عَبْدة بن الطّبيب في قوله من قصيدة:

لَـمّـا نـزلْـنـا نَـصَـبـنـا ظـلّ أخـبـيَـةٍ   وفـارَ لـلـقـوم بـالـلـحـم الـمـراجـيـلُ[٣]

وَرْداً وأشْـقـرَ لَـمْ يُـهْـنِـئْـهُ طـابِـخُـهُ   مـا غـيّـر الـغَـلْـيُ مـنـه فـهـو مـأكـولُ[٤]

ثُـمّـتَ قُـمْـنـا إلـى جُـرْدٍ مُـسَـوّمَـةٍ   أعـرافـهـنّ لأيـديـنَـا مـنـادِيـلُ

والأصل في هذا المعنى قول امرىء القيس:

نَـمُـشُّ بـأعـرافِ الـجـيـادِ أكُـفَّـنَـا   إذا نـحـنُ قـمـنـا عـن شِـواءٍ مُـضَـهَّـبِ[٥]

---

(١) ساقط من ب، ط.
(٢) غرقيء البيض، أي قشره.
(٣) المفضلية ٢٦.
(٤) ديوانه: ٥٤.
(٥) نمش، أي تمسح. والمضهب. الذي لم ينضج.

٢٩٢ ـ لسان حسّان: يضرب به المثل في الذلاقة والطول والحدّة، ويقال: شكره شكر حسّان لآل غسان.

ولما هجا النبيَّ ﷺ شعراءُ المشركين، كابن الزِّبَعرَى وكعب بن مالك، قال ﷺ: ألا رجل يردّ عنا؟ فقال حسان: بلى يا رسول اللّه ـ وأشار إلى نفسه ـ فقال له: اهجُهم وروح القدس معك؛ فواللّه إن هجاءك أشد عليهم من وقْعِ السهام في غلَس الظَّلام، والق أبا بكر يعلمك تلك الهَنات؛ فلما قال ذلك النبي ﷺ أخرج حسان لسانه، ثمّ ضرب بطرفه أنفه، وقال: واللّه يا رسول اللّه ما يسرّني به مِقْوَلٌ من معدّ!.

واللّه إني لو وضعتُه على شَعْرٍ لحلقه، أو على صخر لفلقه[١]؛ قال الجاحظ: فلا ينبغي أن يكون ما قال حسان إلا حقاً، وكيف يقول باطلاً والنبي ﷺ يأمره، وجبريل يسدّده، والصدّيق يعلّمه، واللّه يوفّقه!

وقال غيره: من ظريف أمرِ حسّان أنه كان يقول الشعر في الجاهلية فيجيد جداً، ويغبّر في وجوه الفحول، ويدّعي أن له شيطاناً يقول الشعر على لسانه كعبارة الشعراء في ذلك؛ فلما أدرك الإسلام، وتبدل الشيطان بالملَك، تراجع شعرُه، وكاد يركُ قوله؛ هذا ليُعلم أن الشيطان أصلح للشاعر وأليَق به، وأذهب في طريقه من الرّكاكة. وأنا أستغفر اللّه من هذا القول فإني أكرهه[٢].

٢٩٣ ـ سيف الفرزدق: يضرب مثلاً للسيف الكليل بيد الجَبان، وقصّته أنّ جريراً والفرزدق وَفَدا على سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، وأمه ولّادة بنت العباس العبسية وأخواله بنو عبس، وكانوا يتعصبون على الفرزدق، ويُبغضونه لهجائِه قيس بن عَيلان، ويحبون جريراً لمدحه إيّاهم، فقرّظوا جريراً عند سليمان، وذمّوا الفرزدق، وكان سليمان عازماً على قتل أسْرى من أعلاج الروم، فجاء رجل من بني عَبْس إلى الفرزدق؛ وقال له: إن أمير المؤمنين سيأمرك غداً بضربْ عنق أسير من أسرى الروم، وقد علمت أنك وإن كنت تصف السيوف وتحسن، فإنك لم تمرن بها، وهذا سيفي إنما يكفيك أن تومِىء به، فيأتي على ضريبته ـ وأتاه بسيف مثلّم ـ فقال له الفرزدق: ممن أنت؟ فخشي أن يقول: من بني عبس فيتهمه، فقال: من بني ضبَّة أخوالك، فعمِل الفرزدق على ذلك، ووثق به. فلما كان من

(١) ط: «القلعه».
(٢) أ: «وأستغفر الله من هذا القول إذ ذكرته».

الغدِ وحضر الفرزدق والوفود دار سليمان، وجيء بالأسرى، أمر سليمان واحداً منهم هائل المنظر أن يروّع الفرزدق إذا أخذ السيف، ويلتفت إليه ويفزّعه، ووعده أن يطلقه إذا فعل ذلك، ثم قال للفرزدق: قم فاضرب عنقه، فسلّ سيف العبسيّ فضربه به فلم يؤثر فيه، وكلح الروميّ في وجهه، فارتاع الفرزدق، فضحك سليمان والقوم، فجاء جرير وقال يعيّره:

بِسيفِ أبي رَغوانَ سَيْفِ مجاشعٍ ... ضربتَ، ولم تضرِبْ بسيف ابن ظالِمِ[١]
ضربتَ به عند الإمام فأُرعِشَتْ ... يداك، وقالوا محدَثٌ غيرُ صارم

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها:

ولا نقتُل الأسرى ولكن نفكّهمْ ... إذا أثقَل الأعناقَ حملُ المغارِمِ[٢]
فهلْ ضربةُ الروميّ جاعلةٌ لكم ... أباً ككُلَيْبٍ أو أباً مثل دارِمِ!

وقال أيضاً في الاعتذار من بُنُوّ السيف:

أيعجبُ النّاس أن أضحكت سَيِّدَهمْ ... خليفةُ اللّهُ يُستسقَى به المطرُ[٣]
لم ينبُ سيفيَ من رُعْبٍ ولا دَهَشٍ ... من الأسير ولكن أخّرَ القَدَرُ
ولن يُقدِّمَ نفساً قبل مِيتتها ... جمعُ اليديْن ولا الصَّمْصامة الذَّكرُ

وقال أيضاً:

فإن يكُ سيفِي خان أو قَدَرٌ أَبَى ... لمقدار يومٍ حتفه غيرُ شاهِد[٤]
فسيف بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نَبَا بيديْ وَرْقاء عن رأسِ خالِد
كذاكَ سيوفُ الهِنْدِ تنبُو ظُباتها ... وتقطعُ أحياناً مناطَ القلائِد[٥]

وقرأت في رسالة لابن العميد إلى ابن سمكة: جَرِّب - جعلت فداءك - ما قلتُه، واختبرني فيما ادّعيته، فإن لم أفعل فدمِي حلال لك، فاقتلني بسيف الفرزدق، وكُلني بخلّ وخَرْدل. والسلام.

---

(١) ديوانه: ٥٦٣.
(٢) ديوانه: ٨٥٨.
(٣) ديوانه: ٣٦١.
(٤) ديوانه: ١٨٦.
(٥) الأغاني ١٦/١٦٢.

٢٩٤ ـ بنات نُصَيب: كان نُصَيب عبداً أسود لبني كعب بن ضمرة وكان شاعراً مفلقاً، ولشعره ديباجة، ولما سئل عنه جرير؛ قال: هو أشعر أهل جلدته، ولا يقال: أشعر أهل بلدته، وقد يقال لمثله: هو أشعر الناس، وإن كان فيهم من هو أشعر منه. وكان لنُصيب بنات نفضَ عليهنّ من لونه، فهنّ يشبهنه في الأدْمة والدمامة، وكان يحبّهن جداً، وفيهنّ يقول:

وَلـولا أنْ يُـقَـال صَـبَـا نُـصَـيـبٌ ... لـقـلـت بـنـفـسِـيَ الـنَّـشَـأ الـصِّـغـار[١]

بـنـفـسـي كـلّ مـهـضـومٍ حَـشَـاهـا ... إذا ظـلـمـت فـلـيـس لـهـا انـتـصـارُ

وكان يربأ بهنَّ عن العجم، ولا يرغَب فيهنّ العرب، فبقين معنّسات[٢]، وصرن مثلاً للبنت يَضَنّ بها أبوها، فلا يرضى من يخطبها، ولا يرغب فيها من يرضاه لها وقد ضَرُبَ بهن المثل أبو تمام في شعره حيث قال:

أمّـا الـقـوافِـي فـقـد حصّـنـت عُـذرتَـهـا ... فـمـا يـصـابُ دمٌ مـنـهـا ولا سَـلَـبُ[٣]

مـنـعـتَ إلّا مـن الأكـفـاء مـنـكـحَـهـا[٤] ... وكـان مـنـكَ عـلـيـهـا الـعَـطْـف والـحَـدَبُ

ولـو عَـضَـلْـتَ عـن الأكـفـاء أيِّـمَـهـا ... ولـم يـكـن لـك فـي إطـهـارهـا أرَبُ

كـانـت بـنـاتِ نُـصَـيْـبٍ حـيـن ضَـنّ بـهـا ... عـن الـمـوالِـي ولـم تـحـفِـلْ بـهـا الـعَـرَبُ

٢٩٥ ـ غزل ابن أبي ربيعة: هو عمر بن عبد اللّه بن أبي ربيعة المخزوميّ؛ أغزل خلق اللّه وأحلاهم شعراً في الغزل، وأرقهم طبعاً في النسيب. وليس له شعر في المدح والهجاء والفخر، وإنما قَصَر شعره كله على ذكْر النساء، وصرف معظم شعره إلى الشرائف وبنات الخلائف، لا سيما إذا حججْنَ واعتمرْن وظهر المستور من محاسنهنّ. وكان يذهب في طريق من قال: إنّي لأعشقُ الشرف كما يَعشق غيري الجمال.

ويُرْوَى أنه وُلِدَ في الليلة التي قُبِضَ فيها عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فسُمِّيَ باسمه؛ فكان الناس يقولون: أيّ حقّ رُفع، وأيّ باطل وُضِعَ!

وقال له عبد الملك بن مروان يوماً وقد سمع شعره: بئس جارُ الغَير أنت.

---

(١) الأغاني ١٦/ ١٦٢.

(٢) أ، ب: «منسياب». والمعنسة: التي حبسها أهلها في الزواج.

(٣) ديوانه: ١/ ٢٥٨.

(٤) الديوان: «ناكحها».

وكان طاووس يقول إذا سمع شعرَه: ما عُصِيَ اللّه تعالى بشعرٍ كما عُصِيَ بشِعر عمر[١].

ولما قال له هشام: ما يمنعك عن مَدْحنا؟ قال: إني أمدحُ النساء لا الرجال.

ومن ظريف ما حُكي عنه أنّ نُعمى إحدى صواحباته اغتسلتْ في غدير فأقام عليه يشرب منه حتى جفّ.

وكان أخوه الحارث بن عبد اللّه بن أبي ربيعة لا يقارّه على تغزّله ومجونه، فبينما هو ذات يوم في منزل عُمر قد استلقى في مقيلِه؛ إذ دخلت عليه صاحبته الثريّا، فألقت نفسها عليه، وهي تظنه عمر، فقام الحارث مغضباً يجرّ رداءه. وأراد أن يخرج، فتلقاه عمر وسأله عن حاله، فأخبره بحديث المرأة وإلقائها نفسها عليه، فقال: أبشر يا أخي؛ فلا تمسّك النار بعدها أبداً.

ولما أنشد عمر قوله:

ويوم كتنّورِ الطواهي سجرْنَه ... وألقَين فيه الجَزْلَ حتى تضرَّما[٢]
قذفتُ بنفسي في أجيج سَمومِه ... ولا زلتُ حتى ابتلّ مِشفرُها دما

فقال[٣] له أخوه: اللّه أكبر! قد أخذت في فَنٍّ آخر من الشعر؛ فلما أتبعهما بقوله:

أؤمّلُ أن ألقى منَ الناسِ عالماً ... بإخباركم أو أن ألمّ مسلّما

قال له: إنك لفي ضلالك القديم.

وقد ضرب به الصاحب المثل حيث قال في رسالة له: أنت أغزل من عُمَر، إذا حجّ واعتَمَر.

٢٩٦ ـ عين بشّار: كان بشّار بن بُرْد من عجائب الدنيا، وذلك أنّه كان أعمى أكْمَه[٤]، لم يبصر شيئاً قط، وهو القائل:

كأنّ مُثار النَّقْع فَوْق رؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كواكِبُه[٥]

---

(١) في أ، ب: نسب هذا القول إلى عبد الملك.
(٢) البيت الأول في ملحق ديوانه: ٥٠٠.
(٣) ديوانه: ب: «قال».
(٤) الأكمه: الذي وُلد أعمى.
(٥) ديوانه: ١/ ٣١٨.

وهو القائل في وصف ذكَرِه:

عـجِـلُ الـرّكـوبِ إذا اعـتـراه نـافـض وإذا أفـاق فـلـيـس بـالـرَّكّـابِ[١]
وتـراهُ بـعـد ثـلاثَ عَـشْـرةَ قـائـمـاً مـثـل الـمـؤذّن شـكّ يـومَ سـحـابِ

وفي عين بشّار يقول مخلد بن عليّ السَّلامِيّ، وهو يهجو إبراهيمَ بن المدبّر ويدعو عليه:

رأيـتُـك لا تـحِـبُّ الـودّ إلا إذا مـا كـان مـن عَـصَـبٍ وجِـلْـدِ
أرانـي الـلَّـه عِـزَّكَ فـي انـحـنـاءٍ وعـيـنُـك عـيـن بَـشَّـارِ بـن بُـرْدِ

٢٩٧ ـ طبع البحتريّ: يُضرب به المثل، لأنّ الإجماع واقع على أنه في الشعر أطبع المحدَثين والمولّدين، وأنّ كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة. ويقال: إن شعره كتابة معقودة بالقوافي؛ لأن فيه مثل قوله:

فـالـلّـه يـبـقـيـهِ لَـنـا ويـحـوطُـهُ ويـعـزّه ويـزيـد فـي تـأيـيـدهِ[٢]

وقوله:

بـقـيـتَ أمـيـر الـمـؤمـنـيـن فـإنـمـا بـقـاؤك حُـسْـنٌ لـلـزّمـانِ وطـيـبُ[٣]
ولا كـانَ لـلـمـكـروه نـحـوك مـذهـبٌ ولا لـصـروفِ الـدَّهـرِ فـيـك نـصـيـبُ

وقوله:

مـا ضَـيَّـعَ الـلَّـه فـي بَـدوٍ وَلَا حَـضَـرٍ رعـيَّـةً أنـت بـالإحـسـان راعـيـهـا[٤]
أُمّـةً كـان قـبـحُ الـجـوْر يُـسـخِـطُـهـا دهـراً فـأصـبـح حـسن الـعـدل يـرضـيـهـا

فانظر إلى شرف هذا الكلام وسهولته وصعوبته على من يقصد تعاطي مثله.

وممن ضرب بطبعه المثل السَّلاميّ، حيث قال:

وأُعـطِـيـتُ طـبـعَ الـبـحـتـريّ وشـعـرَه فـمـن لـي بـمـالِ الـبـحـتـريِّ وغَـمْـرِه!

وقال بعض العصريين:

يـا لابـسـاً لـنـقـابِ وردٍ أحـمـرٍ يـا فـارشـاً وجـهـي بـوردٍ أصـفـرِ

---

(١) ديوانه ١/ ٣٧٥.
(٢) ديوانه: ١/ ٦٩٦ (دار المعارف).
(٣) ديوانه: ٢/ ٥٥.
(٤) ديوانه: ٢/ ٣٢.

حتّامَ تُنْحِلني بخَصرٍ ناحلٍ ... وتعلّني بعليلِ طَرْف أحوَرِ!
يا واحداً في الحسن هأنا واحدٌ[1] ... في الحزن أصلَى نار وجدٍ مضمَرِ
وأظلّ بين تذلّل وتحيّرٍ ... إذ أنتَ بين تدلّل وتجبّرِ
ما لِي بوصفك سيّدي من طاقةٍ ... ولو أنّني استمليتُ طبع البحترِي

٢٩٨ ـ أيْرُ أبي حكيمة: ذِكْر الأعضاء لا يؤثِّم، وإنّما الإثم في ذكرها عند شتم الأعراض، وقول الرَّفَث في أكل لحوم الناس، وقذف المحصنات، قال النبي ﷺ: «مَنْ تعزّى بعزاء الجاهلية فأعضّوه بهنّ أبيه ولا تكنوا».

وقال أبو بكر رضي اللّه عنه لبديل بن وَرْقاء حين قال للنبي ﷺ: إنَّ هؤلاء إن مسهم حرّ السلاح أسلموك: اعضض ببَظْرِ أمِّك، أنحن نسلمه!

وقال عليّ رضي اللّه عنه: مَن يَطُلْ أيْرُ أبيه ينتطق به.

وأيْرُ أبي حكيمة راشد بن إسحاق في كثرة ما قال في مدحه سالفاً، وذمّه آنفاً، ووصفه بالضعف والوهَن والفشل يجري مجرى المثل، وينخرط في سلك طيلسان ابن حَرْب، وضَرْطة وهْب، وحمار طياب، وشاة سعيد. ولقد استفرغ شعره في ذلك، وأتى بالنوادر والمُلح والسوائر، ويقال: أنه كان يكتب لإسحق بن إبراهيم المصعبي فاتهمه بغلام له، فأخذ في هذا الفنِّ من الشعر، تنزيهاً لنفسه عن التهمة، حتى صار عادة له، فمن مُلحه قوله:

لم تكتحلْ عيناي مذْ شُقّتا ... بمثلِ أيْري بين رِجْلَيْ أحدْ
أيرٌ ضعيفُ المتن رثّ القُوَى ... لو شئت أن أعقده لانعقدْ
إنْ يمسِ كالبقلةِ في لِينِها ... فطالَما أصبحَ مثل الوَتَدْ

وقوله:

كأنّ أَيْرِي من لينِ مقبضهِ ... خريطةٌ قد خَلَتْ من الكُتُبِ
كأنّه حَيَّةٌ مطوَّقَةٌ ... قد جَعَلَتْ رأسَها مع الذَّنَبِ

وقوله:

أيْرٌ تعقَّد واسترخَتْ مفاصِلُه[2] ... مثلُ العجوز حناها شدَّة الكبرِ
يقوم حين يُريد البَوْل منحنياً ... كأنّه قوس نَدَّافٍ بلا وَتَرِ

---

(١) ط: «أوحد».
(٢) ط: «أير تعفف».

ولا يقومُ إذا نبّهتُه سَحراً ... كما تقومُ أيورُ الناسِ في السَّحرِ

وقوله:

ينامُ على كفّ الفتاة وتارةً ... له حركاتٌ ما تُحسُّ بها الكَفُّ
كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسهُ ... إلى أبويْه ثم يدركه الضَّعْفُ

وأراد كشاجم أن يتعاطى فنَّ أبي حكيمة، فما شقّ غباره، على ارتفاع مقداره في الشعر حيث قال:

أصبح أيْري للضعف منضمَّا ... كأنّما فيه نافضُ الحُمّى[1]
أصْفَى فأشفى على الرّدى وغدا ... أصمّ عمّا أرومُه أعمَى[2]
وكان كالزِّير في توتّره ... فانحطّ حتى حسبتُه بَمَّا[3]
لم يبقَ فيه حظٌّ تؤمِّله ... سُعدى ولا تستلذّه سَلْمَى

٢٩٩ ـ تشبيهات ابن المعتزّ: يُضرب المثل بها في الحسن والجودة، ويقال: إذا رأيتَ كاف التشبيه في شعر ابن المعتزّ فقد جاءك الحسن والإحسان.

ولما كان غذِيَّ النعمة، وربيب الخلافة، ومنقطع القرين في البراعة، تهيأ له من حُسن التشبيه ما لم يتهيَّأ لغيره؛ ممن لم يروا ما رآه، ولم يستحدثوا ما استحدثه من نفائس الأشياء وطرائف الآلات؛ ولهذا المعنى اعتذر ابن الرومي في قصوره عن شَأْو ابن المعتزّ في الأوصاف والتشبيهات، فمن أنمُوذج تشبيهاته الملوكية قوله في وصف الهلال:

وانظُرْ إليهِ كزورق من فضّة ... قد أَثقلَتْهُ حمولةٌ من عَنْبَرِ[4]

وقوله:

ونسيم يبشر الأرض بالقَطْـ ... ـرِ كذيلِ الغِلالة المبلولِ
ووجوهُ البلاد تنتظِرُ الغيْـ ... ـث انتظارَ المحبّ رَجْعَ الرسول

وقوله في الخمر:

وأمطرَ الكاسُ ماءً من أَبارِقِهِ ... فأنبتَ الدُّرَّ في أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ[5]

---

(١) ديوانه: ١٦٢.
(٢) الديوان: «عما أريده».
(٣) الزير والبَمُّ: من أوتاد العود.
(٤) ديوانه: ٤/ ٩٨ (الآستانة).
(٥) ديوانه: ٢/ ٣٠.

وسَبَّحَ القومُ لَما أنْ رَأوْا عجباً نَوْراً من الماء في نارٍ من العِنَبِ

وقوله في الآذَريون:

كأَنَّ آذَرْيُونَها والشمس فيها عاليهْ[١]

مَداهِنٌ من ذهبٍ فيها بَقَايا غاليَهْ

ومن تشبيهاته التي تفرد بها قوله:

والريح تجذِب أطرَافَ الرِّداء كَمَا أفضَى الشقيقُ إلى تنبيه وَسْنانِ[٢]

وقوله في المعتضد:

ما يحسن القطر أنْ يَنْهَلَّ عَارِضُهُ كما تَتابعُ أيامُ الفتوح لَهُ[٣]

وقوله:

أطال الدهر في بغداد هَمِّي وَقَدْ يَشْقَى المُسافِرُ أَوْ يَفُوزْ[٤]

ظلِلْتُ بها عَلى رَغْمِي مُقيماً كعِنِّينٍ تُضَاجِعُهُ عَجُوزْ

وقلائد[٥] تشبيهاته، ولطائف تمثيلاته أكثر من أن تحصَى.

٣٠٠ ـ عتاب جَحْظة: يشبَّه به كل ما رقّ ولطف، لقوله[٦]:

ورَقّ الجوُّ حَتى قِيلَ هَذَا عِتَابٌ بَيْنَ جَحْظَة والزَّمَانِ

وللبديع الهمذاني من رسالة له إخوانية: بيننا عتاب لَحْظة، كتاب جَحْظة، واعتذارات بالغة[٧]، كاعتذارات النابغة.

٣٠١ ـ غلام الخالديّ: يُضرَب به المثل في الكياسة والشهامة والنفاذ في حسن الخِدْمة وجمع محاسن المماليك ومناقب العبيد؛ وهو غلام أبي عثمان الخالديّ، أحد الأخوين الخالديين اللذين يَهجوهما السريّ الموصليّ، ويدَّعي عليهما سرقةَ شعره.

وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسيّ النحويّ أن اسمَ هذا الغلام

(١) ديوانه.
(٢) ديوانه: ٤/ ١٢٤(الآستانة).
(٣) أ، ب: «ما يحسن الراح».
(٤) ديوانه: ٢/ ١١٢، وفي ط: «في تعداد» تصحيف، وصوابه من أ، ب والديوان.
(٥) أ: «وتأمل» تحريف، وفي ب: «ولطائف تشبيهاته وتمثيلاته».
(٦) ب: «وهو قوله».
(٧) ب: «سائغة».

رشأ، وأنّه رآه بعد موت مولاه أبي عثمان في ناحية أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف. قال: وهو اليوم وزير قراد[١] العقيليّ والي[٢] البلد والجامعيْن والقصر.

قال مؤلف الكتاب: قرأت أنا بخطه (أي بخط الغلام) في مجموع من شعر الخالديين بخط أحد الأخوين في دفتر أعَارنيه أبو نصر سهل بن المرزبان: كتب ابن سكّرة الهاشمي إلى أبي عثمان يسأله عني، فكتب إليه:

مَا هُوَ عَبدٌ لكِنّهُ وَلَدُ ... خَوَّلنِيهِ المهيمِنُ الصَّمَدُ
وشَدّ أزْرِي بِحُسْنِ صُحْبَتِهِ ... فَهُوَ يَدِي والذِّرَاعُ والعَضُدُ
صغيرُ سِنّ كَبيرُ مَعْرِفةٍ ... تَمازَجَ الضَّعْفُ فيهِ والجَلَدُ
معشَّق الطرف طَرْفُه كَحِلٌ ... معطَّلُ الجيد حَلْيُه جَيَدُ
وغُصنُ بانٍ إذا بَدَا، وإذا ... شَدَا فقُمْريُّ بانةٍ غَرِدُ
ثقّفَهُ كَيْسُه فلا عوَجٌ ... في بعض أخلاقه ولا أوَدُ
ما غاظني ساعةً، فلا صَخبٌ ... يمرُّ في منزلي ولا حَرَد
مُسامِري إن دجا الظلامُ فلي ... منه حديثٌ كأنّه الشَّهَدُ
خازنُ ما في يدي وحافظُه ... فليس شيءٌ لديّ يُفتقَدُ
يَصُونُ كُتبِي فَكُلُّهَا حَسَنٌ ... يَطوِي ثيابي فَكُلُّها جُدَدُ
وحاجبي فالخفيفُ محتبَسٌ ... عندِي بهِ والثقيل مطّرَدُ
وَصَيْرَفيُّ القَريض وازن دِيـ ... ـنارَ المعاني الجِياد منتقِدُ
ويَعْرِفُ الشِّعْرَ مثْلَ مَعْرِفتي ... وهُوَ علَى أنْ يَزيدَ مُجتَهِدُ
وحافظُ الدار إن ركبتُ فما ... على غلام سواه أعتمِدُ[٣]
ومنفِقٌ مشفِقٌ إذا أنا أسـ ... ـرفتُ وبذّرتُ فهو مقتصِدُ
وأبصَرُ الناس بالطبيخ فكالـ ... ـمِسْكِ القلايا والعنبرُ الثَّرِد[٤]
وواجدٌ بي من المحبّة والرَّأ ... فةِ أضعاف ما بِهِ أجِدُ
إذا تبسّمتُ فهو مبتهجٌ ... وإن تنمّرت فهو مرتعِدُ
ذي بعضُ أوصافِه وقد بقِيَتْ ... له صفاتٌ لم يحوِها العَدَدُ

(١) أ: «فزاد»، ب: «وزاد».
(٢) ط: «حاكم».
(٣) أ، ب: «إن غفلت».
(٤) العنبر الثرد: المفتت.

فيما يُضافُ ويُنسَبُ إلى البلدان والأماكن

عزيز مصر، أسقف نجران، أبدال اللُّكام، مَلَكا بابِل، جنة عبقر، حَجّام ساباط، قاضي مِنىً، قاضي جَبُل، سَحَرة الهند، شيخ العراق، ظَرِيف العراق، صوفيّة الدِّينور، لصوص الرّيّ.

الاسْتِشْهادُ

٣٠٢ ـ عزيز مصر: في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٣٠]، وفيه أن إخوة يوسف قالوا له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

وكانت هذه تحية ملوكهم وعظمائهم وإلى الآن، قال بعض الظرفاء في الاقتباس من القرآن من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام:

أيُّهٰذَا العزِيزُ قد مسّنا الضرّ جميعاً وأهلُنا أشتاتُ
ولنا في الرِّحال شيخٌ كبيرٌ ولديْنا بِضَاعةٌ مُزْجاةُ

وقال أبو الحسن بن طَباطبا، وهو يهجو حرّة بني رستم[1]:

خليليّ اغتممت فعلِّلاني بصوتِ مطربٍ حسَنٍ وجيزِ
عزيزةٌ[2] رقّ حافرها[3] فأزرَتْ برقّةِ حافرِ امرأةِ العزيزِ

٣٠٣ ـ أسقف نجْران: هو قسّ بن ساعدة، أحد بل أوحد حكماء العرب وبلغائهم، وقد تقدّم ذكره، وضرب المثل بخطابته وبلاغته، وهو القائل:

مَنعَ البقاءَ تَقلُّبُ الشَّمْسِ وَغُدُوُّها مِنْ حَيْثُ لا تُمْسِي[4]

---

(١) ط: «مرة بن رستم».

(٢) ب: «عزيرة». (٣) ط: «خاطرها».

(٤) أوردها ابن هشام في كتابه شذور الذهب ١٠٣.

وطلوعُها بيضاءَ صافيةً ... وغروبُها صفراءَ كالوَرْسِ
اليَوْمَ أعْلَمُ ما يجيءُ بِهِ ... وَمَضَى بفصلِ قضائِهِ أمسي

٣٠٤ ـ **أبدال اللُّكَام**: يُضرب بهم[١] المثل في الزهد والعبادة ورفض الدنيا، وهم الزهّاد والعبّاد الذين وردت في حقهم الآثار[٢] بأنّ اللّه تعالى إنما يرحم العباد ويعفو عنهم، [وينظر لهم][٣] بدعائهم؛ لا يزيدون على السبعين[٤] ولا ينقصون عنها، فكلما توفِّيَ واحد منهم قام بَدَلٌ عنه يسدّ مكانه، وينوب منابه، ويكمل عِدّة الأبدال. ولا يسكنون مكاناً من أرض اللّه تعالى إلا جبل اللُّكام، وهو من الشام يتصل بحمص ودمشق، ويُسمّى هناكَ لبنان. ثم يمتد من دمشق، فيتَّصل بجبال أنطاكية والمِصّيصة، ويُسمّى هناك اللُّكَام؛ قال المتنبي أبو الطيّب:

بها الجبلَان من صَخْرٍ وفخرٍ ... أنافَا ذا المغيث وذَا اللُّكَامِ[٥]

فهؤلاء الأبدال، يضافون مرّة إلى لبنان، كما قال الشاعر:

وجاوِرْ جبالَ الشامِ لبنانَ إنّها[٦] ... معادنُ أبدالٍ إلى منتهى العرْجِ

وتارة يضافون إلى اللّكام، كما قال أبو دُلف الخزرجيّ وهو يصف مجاورته لأصحاب الغايات من الدنيا والدين:

وجاورتُ الملوكَ ومَنْ يَليهِمْ ... كما جاورتُ أبدالَ اللُّكَامِ

ويقال: إنّ تلك البلاد الشامية لم تزل على وجْه الأرض متعبَّدات الأنبياء والأولياء من عُبّاد بني إسرائيل وزهّادهم، ومواضع مناجاتهم، ومحال كراماتهم، لا سيما موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وهي الآن مواطن الأبدال، وفيها عيون عَذْبة وأشجار كثيرة، تشتمل على كل الثمرات، لا سيما التفاح اللبناني، فإن اللبناني منه موصوف بحسن اللون وطيب الرائحة، ولذاذة الطعم، يحمل منه في القرابات إلى الآفاق، وهؤلاء الأبدال يتقوّتون[٧] منها ومن السمك،

(١) ط: «به».
(٢) ط: «جاءت الآثار».
(٣) من ط.
(٤) ط: «سبعين».
(٥) ديوانه: ٤/ ٧٣. المغيث: الممدوح؛ وهو المغيث بن عليّ العجلي.
(٦) أ: «وحاذر».
(٧) ب: «يقتاتون».

ولا يفترُون آناء الليل وأطراف النهار عن ذكر اللَّه وعبادته، ولا عن اسمه والخلوة بمناجاته، إلى أن ينتقلوا إلى جواره، فطوبى لهم [وحسن مآب!](١).

٣٠٥ ـ مَلَكا بابِل: هما هاروت وماروت اللذان ذكرهما اللَّه تعالى فقال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يُضرب بهما المثل في السّحر والفتنة؛ كما قال بعض أهلِ العصر:

وسائلٍ عن دمعيَ السائلِ ... وحال لوني الكاسفِ الحائِل(٢)
قلتُ له والأرض في ناظِري ... أوسعُ منها كِفّة الحابِلِ
بُليتُ واللّه بمملوكةٍ ... في مُقْلَتَيْها مَلَكا بابِل
أو سيفُ مأمون بن مأمونِ الـ ... ـقرْمِ الهمام الملكِ العادِل

٣٠٦ ـ جنّة عبقر: قال الجاحظ: هو كما تقول العرب: أُسْد الشَّرَى، وذئاب الغَضَى، وبقر الجِواء، ووحْش وَجْرة، وظباء جاسم؛ فيفرقون بينها وبين ما ليس كذلك؛ إما في الخبث والقوة، وإما في السّمَن والحسن؛ فكذلك يفرقون أيضاً بين مواضع الجنّ، فإذا نسبوا الشكل منها إلى موضع معروف فقد خصّوه من الخبث والقوة والعرامة بما ليس لجملتهم؛ قال لَبِيد:

ومَنْ فادَ من إخوانهم وبنيهمُ ... كهولاً وشبّاناً كجنّة عبقرِ(٣)

وقال:

غُلْبٌ تشذّرُ بالذُّحولِ كأنّها ... جِنُّ البَدِيِّ رواسياً أقدامُها(٤)

وقال النابغة:

سَهِكينَ مِنْ صدإ الحديد عليهمُ ... تحت السوابغ جِنّة العَبْقَارِ(٥)

وقال حاتم:

عليهنّ فتيانٌ كجِنّة عَبْقَرٍ ... يهزّون بالأيدي الوشيجَ المقوّما

---

(١) من ط.
(٢) الحائل: المتغير.
(٣) ديوانه: ٥٤. فاد: مات.
(٤) ديوانه: ٣١٧. غلب: غلاظ الأعناق. تشذر: تهدد. الذحول: الأحقاد، البدي: موضع.
(٥) ديوانه: ٣٥. السهكة: الرائحة الكريهة. والسوابغ: السلاح. وروايته: «جنة البقار»، قال في شرحه: البقار: موضع كثير الجن.

وقال زهير:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عبقريَّةٌ ... جديرون يوماً أن ينالوا ويَسْتَعْلُوا[١]

قال ولذلك قالوا: لكل شيء فائق أو شديد: عبقريّ. وفي القرآن: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، وفي الحديث في صفة عمر رضوان اللّه عليه: «فلم أرَ عبقرياً يفرِي فريّه» وقال أعرابيّ: ظلمني واللّهِ ظلماً عبقرياً.

٣٠٧ ـ حجّام ساباط: يُضرب به المثل في الفَراغ، يقال: أفرغُ من حجّام ساباط، كما يُضرب المثل في الشغل بذات النِّحْيين، فيقال: أشغل من ذات النِّحَيين. ومن خبره أنه كان حجاماً ملازماً لساباط المدائن، فإذا مرّ به جند، وقد ضُرِب عليهم البعث حَجَمهم نسيئةً بدانق واحد إلى وقت قفولهم؛ وكان مع ذلك يمرّ به الأسبوع والأسبوعان ولا يدنو منه أحد؛ فعندها يخرِج أمه فيحجمها، ليرى الناس أنه غير فارغ، فما زال ذلك دأبَه حتى نزِف دم أمه، فماتت فجأة، وسار فراغ الحجّام مثلاً.

وسمعت الخوارزميّ يقول: إن هذا الحجّام حجَم مرةً كسرى أبرويز فأمر له بما أغناه عن الحِجامة؛ فكان لا يزال فارغاً مكتفياً، يُضرَب بفراغه المثل كما قال ابن بسام:

دارُ أبي جعفَرَ مفروشةٌ ... ما شئتَ من بُسْطٍ وأسماطِ
وبُعْدُ ما بَيْنَك من خُبزه ... كبُعدِ بَلْخٍ مِنْ سُمَيْسَاطِ
مَطْبَخُهُ قَفْرٌ وطبّاخُه[٢] ... أفرغُ من حَجّامِ ساباطِ

وكان ابن الروميّ إذا ذكر أبا حفص الورّاق في شعره يسمّيه ورّاق ساباط كما قال:

دعني وإيَّا أبا حفصٍ سأتركُهُ ... حَجّام ساباط بل ورّاق ساباطِ

٣٠٨ ـ قاضي مِنىً: يُضرب به المثل في احتمال المشقّة والتزام المؤونة معاً، وربّما يقال: أرخص من قاضي منىً؛ أنشدني أبو بكر الخوارزميّ لغيره:

قلت زوريني فقالت عجباً ... أتُراني يا فتى قاضي مِنَى!

---

(١) ديوانه: ١٠٣.

(٢) كذا في ط والميداني ٢/٨٦، وفي ١، ب: «مطبخه قر».

إذ يُصلّي وعليه زِيُّهم[(١)] أنت تهواني وآتيك أنا!

٣٠٩ ـ قاضي جَبُّل: يُضرب به المثل في الجهل، فيقال أجهل من قاضي جَبُّل. وجَبُّل: مدينة من طسّوج كَسْكَر، وكان قاضيها أغرّ محجّلاً في التخلُّف[(٢)]، فرفع إلى المأمون أنّه يعضّ الخصوم، فوقّع: «يُزْنق»[(٣)]، وكان هذا القاضي قضى لخصم جاءه وحده، ثم نقض حكمه لمَّا جاءه الخصم الآخر، ففيه يقول محمد بن عبد الملك:

قَضَى لمخاصمٍ يوماً فلمَّا أتاه خصمُه نَقَض القَضَاءَ
دنا منك العدوّ وغبت عنه فقال بحكمه ما كان شاءَ

فهذا المثل سائر بالعراق في قاضي جَبّل، كما أن المثل سائر بالحجاز في قاضي مِنىً، وقاض ثالث يُضرب به المثل فيما وصفه به أبو إسحاق الصابي، حيث قال:

يا ربَّ عِلْجٍ أعلَجِ مثلِ البَعيرِ الأهْوَجِ[(٤)]
رأيتُه مُطَّلِعا من خلْف بابٍ مُرتَجِ
وخَلْفَه دنيّةٌ تذهب طوْراً وتجي
فقلت قاضي إيذجِ فقال قاضي إيذجِ

وقاضٍ رابع يَضرب به المثل أهل جرجان وطبرستان في اضطراب الخِلْقة، وهو قاضي شَلَمْبَهْ[(٥)]، أنشدَني أبو نصر العميديّ، قال: أنشدني أبو الحسين[(٦)] بن الجوهري لنفسه:

رأيت رأساً كِدِبَّهْ ولحيةً كالمذبَّهْ[(٧)]
فقلتُ ذا التيسُ مَنْ هُو؟ فقال: قاضي شَلَمْبَهْ

---

(١) أ، ب: «زيتهم».
(٢) ساقط من ط.
(٣) يزنق، أي يعمل له زناق، وهو رباط من الجلد يشد به تحت الحنك.
(٤) يتيمة الدهر ٢/ ٢٦١.
(٥) ضبطها ياقوت: «بفتح أوله وميم ساكنة وباء موحدة»، وقال: «بلدة من نواحي دنباوند لها زروع وبساتين».
(٦) ط: «الحسن».
(٧) ياقوت ٥/ ٢٩٩.

٣١٠ ـ سَحَرة الهند: يُضرب بهم المثل، لأن للهند السّحر والرُّقَى والتدخين والحساب والشِّطْرنج وخَرْط التماثيل، كما أن للعرب البيان والشعر والفروسية والقيافة، وللروم الطب والتنجيم والقرسطون[١] واللحون والتصاوير والبناء، وللفرس السياسة والعمارة واستعمال علوم الأمم.

٣١١ ـ شيخ العراق: كان يقال ذلك بالإطلاق للمهلّب بن أبي صُفرَة. ولمّا وفد عليه زياد الأعجم وهو يقاتل الأزارقة بتوّج، أكرمه وأنزله على حبيب ابنه، وقال له: أحسن قِراه، فجلسا يوماً يشربان في بستان، فغنّت حمامة على فَنَن، فطرب لها زياد، فقال حبيب: إنها فاقدة إلْفٍ كنت أراه معها، فقال زياد: هو أشدّ لشوقها، وأنشأ يقول:

تَـغـنَّـيْ أنـتِ فـي ذِمَـمـي وعَـهْـدِي ... وذمّـــةِ والـــدي ألّا تُـــضـــارِي
فـــإنّــكِ كــلّــمـا غـرّدْتِ صـوتـاً ... ذكـرتُ أحـبّـتـي وذكـرت دارِي
فـإمّـا يـقـتـلـوك طـلـبـت ثـأراً ... لأنـكِ يـا حـمـامـةُ فـي جِـواري

فضحك حبيب، ودعا بقوس بندق ورماها ببندقة، فسقطت ميّتة. فنهض زياد مغضباً: وقال: أخفرتَ يا حبيب ذمتي، فقتلت جارتي! وسار إلى المهلب وشكاه إليه، فغضب له وقال لحبيب: أما علمت أن جار أبي أمامة جاري، وأن ذمته ذمتي! واللَّه لألُزِمَنّك دية الحرّ والعبد. فأخذ من ماله ألف دينار ودفعها إلى زياد، فقال من قصيدة له:

فـلـلّـهِ عَـيْـنـا مَـنْ رأى كـقـضـيَّـةٍ ... قضى لي بها شيخُ العراق المهلَّبُ
قـضـى ألـفَ ديـنـارٍ لـجـارٍ أجْـرتُـه ... من الطير إذ يبكي شجاه ويندُبُ

فرفع خبره إلى الحجاج فاستحسنه، وقال: لشيء ما سَوّدَتِ العرب المهلّب!

٣١٢ ـ ظريف العراق: هو شراعة بن الزندبور، يضرب به المثل في الظَّرْف. ولما بلغ الوليدَ بن يزيد خبره أمر بإحضاره إليه، فرأى به ما يزيد خُبْرُه على خبرَه؛ وكان مما دار بينهما أن قال له الوليد: ما تقول في الشراب؟ قال: عن أيِّهِ تسألني يا أمير المؤمنين؟ قال: ما تقول في الماء؟ قال: هو قِوام البدن، ويشاركني فيه الحمار، قال: ما تقول في اللبن؟ قال: ما نظرت إليه إلا استحْيَيْتُ من أمي لطول إرضاعها إياه لي، قال: ما تقول في الخمر؟ قال: آه صديقة روحي!

---

(١) القرسطون: ضرب من الموازين شبيه بالقبان. وانظر حواشي الحيوان ١/ ١١.

قال: فأنت أيضاً صديقي، فاقعد وانبسط، ثم سأله عن أصلح الأمكنة للشرب، فقال: عجبت ممن تحرقه الشمس ولم يغرِقه المطر، كيف لا يشرب إلا مصحراً! فواللّه ما شرب الناس على وجه أحسنَ من وجه السماء، وصفو الهواء، وخُضْرة الكلأ، وسعة الفضاء، وقمر الشتاء.

٣١٣ ـ صوفية الدِّينور: يضرب بهم المثل لكثرتهم بها، واستيطان أعيانهم إيّاها، ونفاق مذهبهم فيها، كما يقال: حكماء يونان، وصاغة حَرّان، وحاكَة اليمن، وكتّاب السواد، وفَعلة سجستان، ولصوص طُوس، وجرابزَة مَرْو، ومَلّاحو بخارَى، وصُنّاع الصين، ورُماة الترك، وقحاب الهند(١).

٣١٤ ـ لصوص الرّيّ: دخل أبو عبّاد ثابت بن يحيى إلى المأمون، وهو يختال في مِشيته، فقال المأمون:

رَهْوُ خراسانَ وتِيهُ النَّبطِ ونخوةُ الخُوذِ وغَدْرُ الشُّرَطِ
إجتمعتْ فيك ومِنْ بعد ذا أنَّك رازيٌّ كثيرُ الغَلَطِ

قال الصوليّ: أراد بقوله: «رازيّ كثير الغلط» أنه يرتفق، فنسبه إلى اللصوصية، لأن اللص الحاذق ينسب إلى الرّيّ.

ومثل بيتيْ المأمون ما أنشده الأصمعيّ:

إذا ما بدا عمرٌو بدت منه صورةٌ تدلّ على مكنونهِ حين يُقبلُ
بياضُ خُراسانٍ، ولُكنةُ فارس وجُثّةُ رُومِيٍّ، وشعْرٌ مفلفَلُ(٢)

---

(١) أ، ب: «وتحيار الهند».
(٢) شعر مفلفل: أسود.

فيما يُضافُ ويُنسَبُ إلى أهل الصِّناعاتِ

سُرَى القَيْن، راية بَيْطار، راحة صَبَّاغ، حِمَار القصّار، كلْب القصَّاب، بيت الإسكاف، حرْص النبّاش، تيه المغنِّي، جنون المعلم، رُغفان المعلم، كذِب الدلّال، كذب الصنّاع، قسوة الفدّادين.

الاسْتِشْهادُ

٣١٥ ـ **سُرَى القيْن**: يضرب مثلاً لمن يظهر الشخوص وهو مقيم، ويعرَف بالكذب فلا يصدق وإن صَدَق، وأصله أنّ القيْن ـ وهو الحدّاد بالبادية ـ ينتقل في مياه القوم، فإذا كسد عليه عمله قال لأهل الماء: إني راحلٌ عنكم الليلة ـ وإن لم يُرِد ذلك، ولكنّه يُشيعه ليستعمله من الناس مَنْ يريد استعماله ـ ولما كثر ذلك من قوله قالوا: إذا سمعت بِسُرَى القَيْن، فاعلم أنه مُصبح.

وللبديع الهمذانيّ من رقعة: شرّ الحمام الداجِن، ومقيم الماء ياجن[١]، وإنك لتؤذن بالبين، ثم تُصبح عن سُرى القين. ويلك ما هذه الرّعونة، والأخلاق الملعونة!

٣١٦ ـ **راية بيْطار**: يضرب مثلاً في الشهرة، فيقال: أشهر من راية بيْطار. قال الشاعر[٢] وهو يصف رجلاً بطول اللّحية:

فـــقـــدْ صـــارَ بـــهـــا أَشْـــهَــــ ـــرَ مـــن رايـــةِ بَـــيْـــطـــارِ[٣]

٣١٧ ـ **راحة صبّاغ**: يُضرب مثلاً لما يُسْتقبح، ويشبّه بها ما ليس يستنظَف، وأنشد الجاحظ لأبي المنهمر مولى تميم:

وصفت بجهدي وجه حفصٍ وخَلْقَهُ   فما قلتُ فيه واحداً من ثمانِيَهْ
لـهـازِمُ مـجـنـونٍ وخِـلْـقـة كـافـرٍ   وتقطيع كَشْخانٍ ورأسُ ابنِ زانيَهْ[٤]

---

(١) يا جن، أي يتغير.
(٢) هو آدم بن عبد العزيز.
(٣) الأغاني ١٥/ ٢٩٠.
(٤) اللهزمة: ما نتأ تحت الأذنين، وفي ط: «لها زي مجبون» والكشخان: الديُوث.

ولحيةُ قوّادٍ وعينُ مُخنَّثٍ وجبهةُ مأبونٍ يُناكُ عَلانِيَهْ
وراحةُ صبّاغٍ وصُدْرةُ حائكٍ ومرفق سِقْطٍ رُدَّ في الرَّحْم ثانيه[(١)]

٣١٨ ـ **حمار القصّار**: يضرب به المثل فيمن يصير إلى الخوف وسوء القِرى، فيقال: كان يوم فلان كحمار القصّار، إن جاع شرب، وإن عطش شَرِب[(٢)].

٣١٩ ـ **كلب القصّاب**: يضربُ مثلاً للفقير يجاور الغنيّ، فيَرى من نعيم جاره وبؤس نفسه، ممّا تتنغّص[(٣)] معه معيشته.

والعامة تقول: كلاب القصابين أسرع عمىً من غيرها بعشرين سنة[(٤)]؛ لأنها لا تزال ترى من اللحوم ما لا تصل إليه، فكأنّ رؤية ما تشتهيه وتُمنَع منه يورثها العمى.

٣٢٠ ـ **بيت الإسكاف**: يضرب به المثل، فيقال: بيت الإسكاف فيه من كل جلد رقعة، ومن كل أدَم قطعة؛ كما يقال: هم كبيت الأَدَم، إذا كانوا مختلفين، وفيهم الشريف والوضيع، قال الشاعر:

ألناسُ أصنافٌ وشتّى في الشِّيَمْ[(٥)] وكُلُّهم يجمعهم بيتُ الأدَمْ

قال بعضهم: يعني أديمَ الأرض الذي يجمعهم على اختلافهم.

٣٢١ ـ **حرْص النبّاش**: ذمّ رجل رجلاً فقال له: كياد مخنّث، ووقاحة نائحة، وشرَه قوّاد، وملق داية، وبخل كلْب، وحرْص نبّاش.

٣٢٢ ـ **تيه المغنّي**: يضرب به المثل؛ كما قال أبو نواس:

تيه مُغنٍّ وظَرْف زنديقِ[(٦)]

---

(١) الصدرة: أعلى الصدر. والسقط: الولد لغير تمام.
(٢) ب: «سرب»، تصحيف.
(٣) ب: «يتنقص».
(٤) ط: «بعشر سنين».
(٥) ط: «الناس أضياف»، تصحيف.
(٦) ديوانه: ٨٩، وصدره:
* تيه مغنٍّ مُحدَّثه مَلِك *

وكما قال الآخر:

جَمَعْتَ الذي لو كان يؤلَمُ من أذىً فيشكو لهانتْ عنده أمّ مِلْدَم[١]
غباوةُ أصحاب الحديث ونَوْكُهمْ[٢] وتيهُ المغَنّي في جنون المعلِّم

٣٢٣ ـ جنون المعلّم: قد جرى المثل بجنون المعلمين لفساد أدمغتهم؛ كما قال الشاعر:

مُعَلِّمُ صبيانٍ يروحُ ويغتدِي على أنفه ألوانُ ريح فِسَائِهِمْ
وقد أفسدوا منه الدِّماغ بفَسْوِهِمْ ورفعِهِمْ أصواتَهمْ في هجائِهمْ

وأبلغ ما قيل في ذمهم ما أنشده الجاحظ لصقلاب[٣] المعلِّم:

وكيف يرجَّى العقلُ والحزمُ عند مَنْ يروحُ إلى أنثى ويغدو إلى طفل![٤]

وأنشد لغيره في معناه:

متى يأتِ المعلِّمَ يومُ خيرٍ ولم يعرف سوى أنثى وطِفْل!

وأنشد:

فإنْ كنتُ قد بايعْتُ مَرْوان طائعاً فصرْتُ إذَنْ بعد المشيب مُعَلِّمَا
وفارقتُ قومي مؤثراً لعدّوهمْ وأصبحتُ فيهم ذاهل العقل مفحمَا

وفي كتاب «جراب الدولة» أن معلّماً مرّ في النظّارة إلى حرب، فأصاب رأسه سَهْم، فقال أصحابه: ينبغي أن ينزعه رفقاً به لئلا يفسد دماغه، فقال المعلّم: انزعوه كيف شئتم، فلو كان لي دماغ ما أتيت الحرْب.

٣٢٤ ـ رُغْفان المعلّم: يضرب بها المثل في الاختلاف وشدة التفاوت؛ لأن رغفان المعلم تختلف بحسب اختلاف آباء الصبيان في الغنى والفقر والجود والبخل، كما قال من هَجا الحجّاج وذكر أنه كان معلّماً:

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زماناً مضَى وتعليمَه سورة الكوثرِ[٥]

---

(١) أم ملدم، من أسماء الحمى.
(٢) ط: «عبارة»، تحريف.
(٣) ط: «صقلان»، تصحيف وصوابه من أ، ب.
(٤) البيان والتبيين ١/ ٢٤٨، وروايته: «يروح على أنثى ويغدو على طفل».
(٥) الكامل ٢/ ١٠٤، معجم البلدان ٧/ ٢٩١، سرح العيون ١٧٠.

رغيفاً له فَلْكَةٌ ما تُرَى وآخرَ كالقمر الأزهرِ

وأنشد الجاحظ للرقاشيّ في ذكر معلّم:

مختلفُ الخبْز خَفيفُ الرَّغيفِ منتشر الزّاد لئيم الوصيفِ

وأنشد لأبي الشمقمق:

خبز المعلم والبقّال متفقٌ واللَّونُ مختلفٌ والطَّعم والصُّوَرُ

وقال ابن الميساني[(١)]:

أَمَا رأيتَ بني زيدٍ قد اختلفوا كأنهمْ خبزُ بَقّالٍ وكُتّاب

هذا كريم وهذا حنبل جَحِدٌ يمشون خلف عُمَيرٍ صاحبِ الباب[(٢)]

وذكَر بعض البُلغاء قوماً مختلفين، فقال: قَزع[(٣)] الخريف، وإبل الصدقة ورُغفان المعلّم.

٣٢٥ ـ كذب الدّلال: يقال إنّ أمر الدّلال لا يتمشى بغير الكذب، فهو يثابر عليه؛ ويقال: لكلّ أحدٍ رأسُ مالٍ، ورأسُ مال الدّلال الكذب.

ويُروى أنه أوّل مَن دلّ إبليس حيث قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

٣٢٦ ـ كذب الصُّنّاع: قال ابن سمكة في كتابه: من أمثالهم: أكذب من صَنَع؛ وهو الصانع العامل بيده، وفي الحديث: «ويلٌ لعامل يدٍ من غدٍ، وبعد غد». وفيه أيضاً: «أكذب أمّتي الصَوّاغون والصبّاغون».

٣٢٧ ـ قسوة الفَدّادِين: هم الأكَرةَ الذين يرفعون أصواتهم في سياقة البقر والحمير. والفِديد: الصوت الشديد. وفي الخبر: «إن الجَفاء والقَسْوة في الفدّادين»؛ وجهل هؤلاء متعارَف مشهورٌ.

---

(١) أ، ب: «ابن الساني السعوبي».

(٢) هذا البيت ساقط من ط، وهو في أ، ب.

(٣) ط: «قرع»، تصحيف.

في الآباء والأمَّهات
الذين لَم يَلدُوا والبنين والبنات الذين لم يُولدُوا

الفصل الأول في الآباء

أبو الضّيفان، أبو مرّة، أبو يحيى، أبو الذبّان، أبو دِثار، أبو سريع، أبو براقش، أبو قَلَمون، أبو رياح، أبو عَمْرة، أبو مالك، أبو عُذْرة، أبو مثوَى، أبو العجَب، أبو البَيضاء، أبو طريف، أبو قبيس، أبو ضَوْطَرَى، أبو لَيلى، أبو أيّوب، أبو الأخطل، أبو زياد، أبو جَعْدة، أبو خالد.

الاسْتِشْهادُ

٣٢٨ ـ أبو الضّيفان: هو إبراهيم عليه السلام، لأنه أوّل من قَرَى الضيف، وسنّ لأبنائهِ العرب القِرى، وكان إذا أراد الأكل بعث أصحابه مِيلاً في ميل يطلبون ضيفاً يؤاكله. وقد تقدّم ذكر «ضيفِهِ المكرمين».

٣٢٩ ـ أبو مُرّة: هو إبليس، وإنما يُكنَى بهذه الكنية، لأن الشيخ النجدي الذي ظهر إبليسُ في صورته فأشار على قريش بأن يكونوا سيفاً واحداً على النبي ﷺ كان يُكنّى أبا مُرّة؛ أنشدني الخوارزميّ لنفسه من أبيات:

ويا مَنْ صَبْرُ يومٍ عَنْـ ـهُ في حُكْمِ الهوى كفرهْ
ويا مَنْ طرفُهُ جيشٌ كثيفٌ لأبي مرّهْ

ولابن الحجّاج:

فما تلاقينا سوى مَرّةٍ حتى أتى الشّيخُ أبو مُرّهْ

وللصاحب من رسالة مداعبةً: وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مُرّة، كما ساعده مَرّة، فنصلّي للقبلة التي صلّى عليها، ونخطب على الدرجة[١] التي خطب عليها.

---

(١) أ، ب: «للدرجة».

٣٣٠ ـ **أبو يحيى**: يقال لقابض الأرواح: أبو يحيى، كما يقال للحبشيّ: أبو البيضاء، وللأعمى: أبو البصير، أنشدني أبو بكر الخوارزميّ لنفسه من قصيدة:

سريعةُ موتِ العاشقين كأنما يغار عليها مَنْ هواهُم أبو يَحيى[١]

وله من قصيدة مرثيّة:

أعوِّذه من نَفْخَةِ الرِّيح خيفةً عليه، ورجْل الموت تطلبه عَجْلَى
وأدعو له بالعمرِ في كلّ مشهَدِ ويضحكُ منّي في الكَمين أبو يحيى

٣٣١ ـ **أبو الذِّبّان**: كُنِيَ بذلك عبد الملك بن مروان لشدّة بَخَره وموت الذّبان إذا دنتْ من فمه. ويُحكَى أنه عضّ يوماً تُفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه، فدعت بسكّين فقطعت موضع عَضّته، فقال لها: ما تصنعين؟ قالت: أميط عنها الأذى؛ فطلّقها من وقته[٢].

٣٣٢ ـ **أبو دِثار**: يقال للكِلّة التي يُتوقّى بها من البعوض، وهي على صورة بيت يُخاط من ثوب رقيق يستشفّ ما رواءه، ولا يجد البعوض متخلَّلاً فيه: أبو دِثار؛ قال الشاعر، وهو من ظريف القريض:

لَنِعْمَ البيتُ بيت أبي دِثارِ إذا ما خاف بعضُ القوم بَعْضاً

٣٣٣ ـ **أبو سريع**: هو النّار في العرْفج، وأنشد:

لا تعدِلَنَّ بأبي سريعِ إذا غدتْ نكْباء بالصّقيع[٣]

ونار العَرْفج أسرع النيران التهاماً، وهي نار الزّحفتيْن، وسيمرّ ذكرها في باب النيران.

٣٣٤ ـ **أبو بَراقِش**: طائر منقّش بألوان النقوش يتلوّن في اليوم ألواناً، وَيُضرَب به المثل للمتلوّن، قال الشاعر:

إنْ يغدِرُوا أو يجبُنُوا أو يبخلُوا لا يحفِلُوا
يغدوا عليك مُرَجَّلِيـ نَ كأنهمْ لم يفعلوا
كأبي براقشَ كلّ يو مِ لونه يتحوّل

(١) كنايات الجرجاني ٤٩.
(٢) في ب: «ساعته».
(٣) اللسان (سرع) من غير نسبة، وفي ط: «إذا عرت نوب الصقيع»، وأثبت ما في أ، ب، واللسان.

ويُروى: «يتخيّل» أي يصير كالأخيَل، قال الخليل: هو طائر من طيرِ البرّ يشبه القنفذ، أعلى ريشه أغبر، وأوسطه أسود وأحمر، فإذا أهيج انتفش وتغيَّر لونُه.

٣٣٥ ـ أبو قَلَمون: هو في الثياب كأبي براقش في الطير، فإنّ أبا قَلَمون يتلوّن وأبا براقش يتخيَّل، وأبو قلَمون: كنية لثياب[١] إبرَيْسَم وكتّان تنسج بالرّوم ومصر، يضرب بها المثل، يقال: أكثر تلوناً[٢] من أبي قَلَمون، كما قال الشاعر:

أنــا أبــو قَــلَــمُــونْ فــي كــلّ لــون أكــونْ

قال أبو بكر الخوارزميّ في أبي طاهر التِكْرمانيّ الكاتب:

واللَّهِ لا فارقتْ كفّي قفاه ولمْ يَنسِجْ أبو قَلَمون في نواحيهِ

٣٣٦ ـ أبو رِيَاح: تمثال فارس من نحاس بمدينة حِمْص على عمود حديد فوق قبّة كبيرة بباب الجامع، يدور مع الريح حيث هبَّت، ويمينه ممدودة وأصابعها مضمومة إلا السّبابة، فإذا أشكل على أهل حِمْص مهبّ الريح عرفوا ذلك به، فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه، ولذلك كُنِيَ بأبي رياح؛ وقد يقال للرجل الطائش الذي لا ثبات له: أبو رياح، تشبيها به، وقيل:

أُفٌّ لــقــاضٍ لــنــا وَقــاح أمــسى بــريـئـاً مــن الــصَّــلَاحِ
كــأنّــه قُــبّــةٌ عَــلَــيــهــا[٣] غــرابُ نــوحٍ بــلا جــنــاحِ
ولــيــس فــي الــرأس مــنــه شــيء يــدور إلّا أبــو ريــاحِ

ويُحْكَى[٤] أن أبا عبادة دَخَل على المتوكل، وبين يديه جامٌ من ذَهب فيه ألف دينار، فقال: يا أبا عبيدة، أسألك عن شيء، فإن أجبْتَني على البديهة من غير أن تفكر أو تتمتم فيه، فلك الجام بما يحويه، قال: سلْ يا أمير المؤمنين، قال: أيّ شيء له اسم وليست له كنية؟ وأيّ شيء له كنية وليس له اسم؟ قال: المنارة، وأبو رياح، ولم يفكر في الجواب؛ فعجِب المتوكّل من سرعة خاطره، وأعطاه الجامَ بما فيه.

---

(١) أ، ب: «ثياب».
(٢) كذا في ب وفي ا، ط: «تنقلا».
(٣) ط: «كأن دينه عليه».
(٤) أ، ب: «وحكى».

٣٣٧ ـ أبو عَمْرة: كُنية الإفلاس، وكُنية الجوع، قال أبو فرعون الشاشيّ[١]:

إنّ أبا عَمْرةَ حلّ حُجْرتي ... وحلّ نسجُ العنكبوت بُرْمَتِي[٢]

وقال آخر:

يا بنَ المحامينَ عن الأحْسابِ ... إنّ أبا عَمْرةَ في جِرابي
قد أَلصَقَ أُسْتَ بابِه ببابي

فقلبه كعادة الشعراء؛ وكان حقّه أن يقول: «ألزق باب أسته ببابي».

وأنشد أبو عمرو لبعضهم:

إنّ أبا عَمْرةَ شرُّ جارِ ... يجرّني في ظُلَمِ الصَّحَارِي
جرّ الذئاب جيفةَ الحمارِ

٣٣٨ ـ أبو مالك: كنية الجوع، وكنية الكبَر، قال الشاعر في كُنية الجوع:

أبو مالكٍ يعتادنا في الظهائرِ ... يلُمّ فيُلقِي رَحْلَهُ عند جابرِ

والعرب تسمي الخبز جابراً وعاصماً وعامراً.

وأنشد أبو عبيدة لبعض الأعراب في كنية الكِبَر:

أبا مالك إنّ الغواني هجرنَني ... أبا مالك إني أظنّك دائبَا[٣]

[أي غير زائل][٤]؛ وإنما كُنِيَ بهذه الكنية، لأنه يملك الرجل فيلزمه ولا يفارقه.

وأنشد أبو عبيدة أيضاً:

بئسَ قَرينا اليَفَنِ الهالكِ[٥] ... أمُّ عبيْدٍ وأبو مالِكِ

وأمّ عبيد كنية المفازة.

٣٣٩ ـ أبو عُذرة: يقال فلان أبو عُذْرة هذا الكلام، أي هو الذي اخترعه ولم يسبقه إليه أحد. وهو مستعار من قولهم: هو أبو عُذْرتها، أي هو الذي افتضّها، ويُقال: إنّ المرأة لا تنسى أبا عُذْرَتها.

---

(١) أ، ب: «أبو عون الشامي».
(٢) جمهرة الأمثال ١/ ٤٤، اللسان (عمر).
(٣) المخصص ١٣/ ١٧٦.
(٤) تكملة من ا.
(٥) المخصص ١٣/ ١٧٦.

٣٤٠ ـ **أبو مَثْوَى**: أبو مَثْواه، أي صاحب رَحْله الذي نزل به وضافَه، يقال: مَن أبو مثواك؟ أي على مَن نزلت؟ والمثوى: النُّزُل.

٣٤١ ـ **أبو العَجَب**: كُنية المشعبذ، وقد قيل: المشعوذ من الشعوذة؛ وهي السرعة والخِفّة، ولا أصل لها في العربية؛ وهي مخاريق، خِفَّةٌ في اليد، وتصويرٌ للباطل في صورة الحقّ، وقال أبو تمّام:

مَا الدَّهْرُ في فعله إلّا أبو العَجَبِ(١)

وقال ابن الروميّ في البحتريّ:

أَلبحتريُّ ذَنُوبُ الوجهِ نعلَمُه ... وما رأينا ذَنُوباً قطُّ ذَا أدبِ
أوْلَى بمن عظُمَتْ في الناسِ لحْيَتُه ... من حاكةِ الشعر أنّ يُدْعى أبا العَجَبِ

٣٤٢ ـ **أبو البيضاء**: كنية الحَبشيّ، كما يُكنى المكفوف أبو البَصَر، وقيل:

أبو غالب ضدٌّ اسمه واكتنائه ... كما قدْ نرى الزَّنجيَّ يدعَى بعنبرِ
ويُكنَى أبا البَيْضاءِ واللونُ أسودٌ ... ولكنَّهم جاؤوا بها للتطيُّر

٣٤٣ ـ **أبو طريف**: كنية الفَرْج، وأنشدَ لابن أحمر:

قالت فأهدِ لنا إزاراً مُعلَماً ... فأبو طِريف ما عليه إزارُ

ويُكنى أيضاً بأبي الجنيد، وأبي الزّردان، كما يُكنَى الذَّكَر بأبي جُمَيح، وأبي رُميح، وأبي عَوْف.

٣٤٤ ـ **أبو قُبَيس**: جبل بمكة، قال أبو الفتح البستيّ:

عَصَى السلطانَ فابتدرتْ إليْهِ ... جنودٌ يقلعون أبا قُبَيْسِ

٣٤٥ ـ **أبو ضَوْطَرَى**: إذا سبّتْ العربُ إنساناً قالت له: أبو ضَوْطرَى وأبو حُباحب وأبو جخادب، وأنشد:

أبا ضَوْطرَى جَدْعاً بأنفك كلما ... تشبّهتَ بالسادات والكُبَراء

٣٤٦ ـ **أبو ليلى**: كنية لمن يحمّق، وكذلك أبو أدْراص، وقالوا: أبو دَفار، كما قالوا في الكنية الأولى: أبو مرّة، وهما عن العرب.

---

(١) ديوانه: ٤٧٠ (بيروت)، وصدره:

وَحَادِثاتُ أعاجيبٌ خَساً وزكاً

٣٤٧ ـ **أبو أيّوب**: كنية الجمل، وكذلك أبو صفوان، قال ابنُ الروميّ، وهو يهجو أبا أيوب سليمان بن عبد اللَّه بن طاهر:

يا أبا أيُّوبَ هٰذي كنيةٌ ... من كُنَى الأنعام قِدْماً لم تَزَلْ
ولقد وُفِّقَ مَنْ كَنَّاكَها ... وأصابَ الحقَّ فيها وعَدَلْ
قد قضى قولُ لبيدٍ بيننا: ... «إنما يُجزى الفَتَى لَيْس الجَمَلْ»[١]

٣٤٨ ـ **أبو الأخطل**: كنية البغل، وكذلك أبو قمُوص. وقُدِّمَتْ بغلة إلى أعرابية لتركبها فقالت: لعلّها أبو حَبُوص، بغلة شحذوذ، أو كما يُكنَى به قموص. والشحذوذ: السَّيِّء الخُلُق، والحَبُوص: الشديد العدْو.

٣٤٩ ـ **أبو زياد**: كنية الحمار، وكذلك أبو نافع، قال الشاعر وهو يهجو زيادَ بن أبي زياد:

زيادٌ لستُ أدري مَنْ أبوه ... ولكنّ الحِمارَ أبُو زيادِ

وأبو زياد كنية الذّكَر أيضاً، قال الشاعر:

تحاولُ أنْ تُقِيم أبا زِيادٍ ... ودون قيامه شَيْبُ الغُرابِ

٣٥٠ ـ **أبو جَعْدة**: كُنية الذئب، قال عَبيد بن الأبرص:

هي الخمر لا شكّ تُكنَى الطِّلَا[٢] ... كَما الذئب يُكنَى أبا جَعْدهْ

يُضرب مثلاً لمن يبرّ باللِّسان وهو يريد لصاحبه[٣] الغوائل. ومعنى البيت أن الذئب وإن كان له كُنية حسنة، فإن فعله قبيح. وفي الحديث: إنَّ عبد اللَّه بن الزبير سئل عن المُتعة؟ فقال: الذئب يُكنَى أبا جَعْدة؛ يريد أن أبا جَعْدة كنية حَسنة للذئب؛ وهو خبيث، كذلك المُتْعة تحسُن باسم التزويج وهي فاسدة، وقال ابن شُبْرمة:

يا خَلِيلَيَّ إنّما الخمرُ ذِئْبٌ ... وأبو جَعْدةَ الطِّلاءُ المريبُ
ونبيذُ الزبيب ما اشتدّ منهُ ... فهو للخمر والطِّلاء نَسِيبُ

---

(١) نصف بيت للبيد، ديوانه: ١٧٩.

(٢) ديوانه: ٦٢، وروايته:

* هِيَ الخَمْرُ بالهزْل تُكنَى الطِّلا *

(٣) ط: «لصاحبه».

٣٥١ ـ أبو خالد: كنية الكلْبِ، قال ابنُ الروميّ:

أخالدُ لا تكذِبْ ولسْتَ بخالدِ ... هنالك بل أنت المُكنّى بخَالدِ
وَلَلْكلْبُ خيرٌ منك، لؤمُك شاهدٌ ... عليك، وما دهري بإبعاد شاهدِ!

وهذه قطعة مما اخترته من هذه الكنى بعد أن ألغيت منها الكثير، بعضها عن العرب، وبعضها عن المولّدين والصوفيّة:

الفَرس: أبو المَضاء، وكذلك أبو طالب.

الفيل: أبو الحجّاج، وبه يُكنى في بلاد الهند، وكانت كنية الفيل الذي جاءت به الحبشة إلى مكة أبا العباس، واسمه محمود.

الأسد: أبو الحارث.

الثعلب: أبو الحصين.

القِرْد: أبو زَنّة وأبو قيس.

الفهد: أبو الوثّاب.

الأرنب: أبو نبهان.

السّنّور: أبو خداش.

الديك: أبو يَقْظان.

الماء: أبو غياث.

السّفرة: أبو رجاء.

الخِوان: أبو جامع، وأبو الخير.

الرقاق: أبو حبيب.

الثريد: أبو رزين.

البَقْل: أبو جميل.

الخلّ: أبو نافع.

الجُوذاب[١]: أبو الفرج.

الجُبْن: أبو مُسافر.

اللحم: أبو الخصيب.

الخبيص: أبو الطيب.

---

(١) الجوذاب: طعام يُصنع من السكر.

التمرُ: أبو عون.

الحلوى: أبو ناجع.

الفالوذج: أبو سائغ.

السِّكْبَاج: أبو عاصم.

اللبن: أبو الأبيض.

الشراب: أبو المهنّأ.

النقل: أبو بِشر.

البَرْبط: أبو الشهيّ.

المِزمار: أبو الصَّخَب.

الطنبور: أبو اللهو.

الغناء: أبو شائق.

النوم: أبو راحة.

الشبع: أبو الأمن.

النّكاح: أبو الحركة.

الحمّام: أبو نظيف(١).

الفصل الثاني في الأمهات

أمّ الكتاب، أمّ القرى، أمّ النجوم، أمّ المؤمنين، أمّ الحروف، أمّ دَفر، أمّ الرأس، أمّ الطعام، أمّ سويْد، أمّ عامر، أمّ حُبَيْن، أمّ عوف، أمّ طلحة، أمّ ملدم، أمّ المنايا، أمّ قشعم، أمّ طبق، أمّ الخلّ، أمّ الصبيان، أمّ عبيد، أمّ غيلان، أمّ الجود، أمّ الصدق.

الاسْتِشْهادُ

٣٥٢ ـ أمّ الكتاب: جاء في بعض الأحاديث أن أمّ الكتاب هي فاتحة الكتاب، لأنها هي المقدمة أمام كلّ سورة تُقرأ في الصلاة، وهي أول القرآن، ولقد ألغز الشاعر فيها: فقال:

وَأُمٍّ لم تلِدْ ولداً وليْستْ   بأمّ الرّأسِ يعرفُها اللّبِيبُ

---

(١) أ: «الصيف».

وأما قول اللّه عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، فهو ما في اللوح المحفوظ؛ واللّه أعلم.

٣٥٣ ـ **أمّ القُرَى**: أما في جزيرة العرب فهي مكة، وأمّ كلّ أرض، أعظم[(١)] بلدانها وأكثرها أهلاً كالبصرة، فإنها تسمى أمّ العِراق. ومَرْوَ فإنها كانت تسمى أمّ خُراسان، ويقال [في كل قرية من][(٢)] أمهات القرى، إذا كانت كبيرة كثيرة الأهل. وأمُّ كلِّ شيء أصلُه، ومنه قيل للنبي ﷺ: أُمِّيٌّ، لأنه نسب إلى أمّ القُرى، وهي مكة، ويُقال: بل نُسب إلى العرب، أي أصلهم، وكانوا لا يقرأون ولا يكتبون، فقيل لكل مَن لا يقرأ ولا يكتب: أمّيّ.

٣٥٤ ـ **أمّ القِرَى**: هي النّار لأنَّ مِن أوصافها ما قال صاحب ذات الحلل:

لا بُدّ منهَا في الشتَا والصَّيْفِ ... لا سِيّما عِنْدَ نُزولِ الضيْفِ

وأنشدني أبو طالب المأمونيّ في وصف النار:

أمّ القِرى عندك أمْ يُوح[(٣)] ... فقد سرى بنورها اللُّوحُ
أم ذاتُ قُرْطٍ[(٤)] ذهبيّ بدا ... يُنيرها[(٥)] في الجوّ تَلْويحُ
فإنّني إخالها في دَنِّهَا ... جسم لها وهي له رُوحُ
كأنّها الشمسُ وما نفَضَتْ ... من شَرَرٍ عنها المصابيحُ

٣٥٥ ـ **أمّ النجوم**: هي المَجرّة، ويقال: بل هي السماء، قال تأبّط شراً:

يرى الوَحْشةَ الأنسَ الأنيس ويهتدِي ... بحيث اهتدتْ أمُّ النجوم الشوابِكِ[(٦)]

٣٥٦ ـ **أمّ المؤمنين**: هي عائشة رضي اللّه عنها، وكل واحدة من أزواج النبي ﷺ أمّ المؤمنين، لقول اللّه عز اسمه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٦]، ويرى أن أمّ أوْفى العبدية دخلت على عائشة رضي اللّه

---

(١) ط: «فأعظم».
(٢) تكملة من ط.
(٣) اليتيمة ٤/ ١٦١، ويوح من أسماء الشمس، واللوح: الهواء.
(٤) أ، ب: «برد».
(٥) ط: «بعثيرها».
(٦) أمالي القالي ٢/ ١٣٨.

تعالى عنها، فقالت لها: يا أمّ المؤمنين، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها [صغيراً[١]]؟ فقالت: قد استحقّت النارَ، قالت: إنه أصغر مما تظنين[٢]، قالت: قد استوجبت النار، قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أبنائها الكبار ألوفاً؟ تعرِّض بيوم الجَمَل، فقالت: خذوا بيد عدوّة اللّه.

٣٥٧ ـ **أمّ الحُروف**: سمّى النحويون حروف المدّ واللين أمّ الحروف، وأمهات الأفعال عندهم: فَعلَ وجَعلَ وأنشأ وأقبل، واللّه أعلم.

٣٥٨ ـ **أمّ دَفْر**: كُنية الدنيا، قال ابن الرومي في أبي الصقْر:

لم تُظلمِ الدنيا بأُمِّ دَفْرِ إذْ أنْتَ فيها من وُلاة الأمْرِ

وأم خِنَّوْر أيضاً كنية الدنيا، وهي من كُنَى الضبع، فكأنَّ الدنيا شُبِّهت بها لفسادها، وأهل الكوفة يقولونه على وزن قَيّوم وسَفّودٌ وأهل البصرة يقولونه على وزن عَجُول؛ قال المبرّد: وكلاهما فصيح.

ولما قال عبد الملك بن مروان: وقد تمكّنّا من أم خِنّور ـ يعني الدنيا ـ ونعمتها وغضارتها، لم يعش بعد قوله هذا إلّا أسبوعاً.

٣٥٩ ـ **أمّ الرأس**: هي أعلى الهامة وموضع الدماغ من الرأس وما أحاط به، قال أبو الطيّب المتنبي يصف القَلم:

نحيفُ الشَّوى يعدُو على أمّ رأسِه ويَخْفَى فيقوَى عَدْوُه حين يقطَعُ[٣]

٣٦٠ ـ **أمّ الطَّعام**: هي الحِنطة، لأن لها فضلاً على سائر الحبوب، ومن أبيات كتاب الحماسة:

ربَّيتُه وهو مثلُ الفرخ أُطعمه أمَّ الطعام ترى في جلده زَغَبا[٤]

أي أطعِمه أفضلَ الأطعمة، ويُروى: «أعظَمه أمّ الطعام»[٥]، يقول: أعظم شيء في جسده بطنه، وأمّ الطعام البَطْنَ أيضاً.

---

(١) من ط.
(٢) ب: «ما تظنين».
(٣) ديوانه: ٢/ ٢٤٤. الشوى: الأطراف؛ اليدان والرجلان والرأس.
(٤) ديوان الحماسة ٧٥٦ ـ بشرح المرزوقي، ونسبه إلى امرأة من بني هزّان يقال لها أم ثواب.
(٥) هي رواية المرزوقي.

٣٦١ ـ **أمّ سُويد**: كنية الأست؛ وكذلك أمّ سُكَيْن[١]، وأمّ تسعين. وسئل ابن الأعرابيّ عن هذا البيت:

أَبى علماءُ النَّاس لا يخبرونني[٢] بناطقةٍ خَرْساءَ مِسواكُها حَجَرْ

فقال: هي ما علمتُ أمّ سويد، يعني الأست.

٣٦٢ ـ **أمّ عامر**: هي الضبُع، يقال لها: خامِري أمَّ عامر، قال الشاعر:

ومَنْ يصنَعِ المعروف في غيرِ أهلِهِ يُلاقِ الذي لاقَى مجيرُ امِّ عامرِ[٣]

فقال آخر:

يا أمّ عمرو أبشري بالبُشْرَى موتٌ ذريعٌ وَجَرَادٌ عَظْلى

أراد يقول: «يا أمّ عامر» فلم يستقم له.

٣٦٣ ـ **أمّ حُبَيْن**: هي دُوَيْبة على قدر كف الإنسان تأكل الأعرابُ ما دبّ ودرج سواها، ولذلك قال فيها من قال:

لتهنِئنْ أمُّ حُبَيْنَ العافيهْ

٣٦٤ ـ **أمُّ عوْف**: هي الجرادة، وكانت في لسان زياد الأعجم لكنْة لا يقيم معها الرّاء، فألقى عليه بعض الشعراء هذا البيت:

فما صفرا تُكْنَى أمّ عَوْفٍ كأنَّ حُبَالتَيْها مِنْجَلانِ[٤]

فأجابه على البديهة:

عنيتَ جرادةً وأظنّ ظنّاً بأنّك إنّما تَبْلُو لسانِي[٥]

٣٦٥ ـ **أمّ طلحة**: هي القَمْلة، وزعموا أنّ أعرابيًا كان يأكل مع بعض الأمراء، فدبّت قملة على عنقه، فأخذها وقصَعها، فقيل له: ما فعلت؟ قال له: لم يبقَ من أمّ طلحة إلا خِرْشاؤها، أي جلدها المنسلخ.

٣٦٦ ـ **أمّ مِلْدم**: هي الحمّى، وفي رقْيَتِها، إلى أمّ مِلدم، التي تأكل اللحم

---

(١) كذا في ط وجمهرة الأمثال ١/ ٤٥، وفي ١، ب: «أم ستين».
(٢) في الأصول: «إلى علماء الناس».
(٣) من أبيات نقلها صاحب حياة الحيوان في ٢/ ٧٢، ونسبها إلى بعض الأعراب.
(٤) الشعر والشعراء، ٧٤٣، والأغاني ١٦/ ٨٠، وفيهما نسب الشعر إلى أبي عطاء السندي.
(٥) في الأغاني: أراد زرادة وأزن زنا»، قال: «يريد جرادة، وأظن ظنا».

وتشرب الدم؛ قال أصحاب الاشتقاق: هي مأخوذة من اللّدْم وهو ضرب الوجه حتى يحمرّ، وقال بعضهم: مِلذم، بالذال المعجمة، من قولهم: لذم به، إذا لزمه.

٣٦٧ ـ أمّ المنايا: كناية عن معظم المنيّة، قال الشاعر:

لأمّ المنايا علينا طريقُ   وللدَّهر فينا اتِّساع وضِيقُ

وجعل بعضهم الدَّواة أمَّ العطايا وأُمَّ المنايا، فقال:

قد بعثنا إليك أمَّ العطَايا   والمنايا زِنجيَّةَ الأحسابِ
في حَشاها من غير حَرْبٍ حِرابٌ   هنَّ أمْضَى من مرهَفَات الحِرابِ
لا كِفاءَ لَها ولا لك واللَّهِ   كِفاءٌ في سادةِ الكُتّابِ

وقال بعضهم في الدّواة:

قَدْ فَتَحَتْ فَاها وقَالَتْ لَنا   مَنْ مَسَّهُ الفَقْرُ فإنّي دواهُ

وأمّ كلّ شيء: معظمه: قال ابن عَنَمةَ:

لأمّ الأرض ويلٌ ما أجنَّتْ   بحيثُ أضرّ بالحَسنِ السبيلُ(١)

٣٦٨ ـ أمُّ قشعم: هي المنيّة والحرب والدّاهية الكبيرة والحرب أراد زهيرٌ في قوله:

لدى حَيْثُ ألقَتْ رَحْلَهَا أمُّ قَشْعمِ(٢)

ويقال للحرب أيضاً: أمّ قسطل.

٣٦٩ ـ أمّ طبَق: هي الداهية الكبيرة. قال الأصمعيّ: أول مَن نعى المنصور بالبصرة خلَف الأحمر، وكنّا في حلْقة يونس، فجاء خلَف الأحمر، فسلّم ولم يكن الخبر فشا، ثم قال:

قد طرقت ببَكْرها أمُّ طَبَقْ

فقال يونس: وما ذاك يا أبا محرز؟ فقال:

فنتجوها خبراً ضخَم العُنُقْ

---

(١) ديوان الحماسة ١٠٢١/٣ ـ بشرح المرزوقي.
(٢) ديوانه: ٢٢؛ وصدره:

* فشدَّ ولَمْ يُفزِعْ بيوتاً كثيرةً *

فقال: لم أدر بعد، فقال:

مَوْت الإمام فِلقةٌ من الفِلَقْ

فارتفعت الضجة بالبكاء والاسترجاع.

ومن كُنَى الدواهي أمّ حَبَوْكَر، ومَنْ كَنّاها أمّ الرُّبيق تقول العرب جاءت أمّ الرُّبيق على أُرَيْق؛ قال الأصمعي: تزعم العرب أنّه من قول رجل رأى الغُولَ على جمل أوْرَق.

ومن كنى الدواهي أمّ خَنْشَفِير، وأمّ أَدْراص، يقال: وقعوا في أم أدراص، أي في موضع استحكام أمّ البلايا، لأن أمّ أدراص جِحَرة للفأر لا يتخلصُ منها إذا ارتطم فيها إلا بعد جهد، فأمّا أمّ الدُّهَيم وأمّ اللُّهَيم فكنيتان من كُنى المنيّة.

٣٧٠ ـ **أمّ الخَلّ**: هي الخمر، لأن الخلّ منها يستحيل، وأول مَن كَنى الخمر أمّ الخلّ مِرداس بن خِداش، حيث قال:

رميتُ بأمّ الخل حَبّةَ قَلْبِهِ فلم يستفِقْ منها ثلاثَ ليالِ

٣٧١ ـ **أمّ الصِّبيان**: هي ريح تعتري الصبيان، وشيء يفزّع به الصبيان، قال ابن الروميّ:

شيخٌ إذا عَلَم الصِّبيان أفزعَهُمْ كأنه أمُّ غَيْلانٍ وصِبيانِ

٣٧٢ ـ **أم عُبَيد**: هي المفازة، أنشد أبو عبيدة:

بئس قرينا يَفَنٍ هالكِ أمّ عُبيدٍ وأبو مالكِ[١]

٣٧٣ ـ **أمّ غَيْلان**: شجرة كثيرة الشوك بالبادية، قال: من تأذى بها وخرقت ثيابه:

يا أمّ غَيْلانَ لقيتِ شرّاً لقد فجعتِ مقتّراً مغبَرّاً
يبرّ بيتَ اللّه فيمنْ بَرّاً لاقيتِ نجّاراً يجرّ جَرّاً
بالفأس لا يُبْقِي على ما اخْضَرّا

٣٧٤ ـ **أمّ الجُود**: أحسن كل الإحسان ابن الروميّ في قوله:

ألعَرفُ غيْثٌ وهو منك مؤمَّلٌ والبِشْر برقٌ وهو منك مَشِيمُ

(١) في المخصص ١٣/١٩١، وقال: أم غيلان: كنية الطلح.

ألقحتَ أمَّ الجود بعد حِيالها ونتجت بنتَ المجدِ وهي عقيم

٣٧٥ ـ أمّ الصدق: أنشدت للصاحب:

يا أبا القاسم قل لي لِمْ لماذا لا تزورُ
كنت قد قدَّمت وعداً فإذَنْ وعدُك زُورُ
ونحرت الودّ بالهجْر كما تُذكى الجَزُورُ
إنّ أمّ الصدق في الوُدّ لَمِقْلاَةٌ نَزُورُ

صدر من هذه الكُنى

أمّ شملة: كنية الشمس؛ لأنها تشمل الخلق بطلوعها.

أمّ جابر: كنية السنبلة.

أمّ الندامة: كنية العَجَلة.

أمّ الفضائل: كنية العلم.

أمّ الرذائل: كنية الجهل.

الفصل الثالث في البنين

إبنُ الماء، ابنُ الليالي، إبنُ ذُكاء، إبنُ الغَمام، إبنُ جَلا، إبن خلاوة، إبن حبَّة، إبن النعامة، إبن دأية، إبن آوى، إبنُ الأرض، إبنُ طاِب، إبنُ السبيل، إبنُ الخَصِيّ، إبنُ طامر، إبنُ بَجْدتِها، إبنُ الحرب، إبنُ الغِمْد، إبنُ ضُلّ، إبنُ الدهر، إبنا عِيان، إبنا شَمام، إبنا سَمير، بنو غَبْراء، أبناء الدهاليز، بنو الأيام، بنو الدنيا، بنو غبراء، أبناء الدهاليز، أبناء درزة.

الاسْتِشْهادُ

٣٧٦ ـ ابنُ الماء: كل طائر يألَف الماء فهو [ابنُ الماء](١)، قال ذو الرِّمّة:

وردْت اعتسافاً والثُّريّا كأنّها على قِمّة الرأس ابنُ ماءٍ محلِّقِ(٢)

وقال آخر:

ويُنذِرني بسَطْوته وأنَّى يَخاف بُرودةَ الماءِ ابنُ ماءِ!

---

(١) ساقط من ط.
(٢) ديوانه: ٤٩١، اعتسافاً: على غير اهتداء.

وقال إبو عيينة[١] المهلَّبيّ:

يـا عُـقـابَ الـدَّجْـن فـي الأمـ ـنِ وفـي الـخـوف ابـنُ مـاءِ

٣٧٧ ـ ابنُ الليالي: هو القَمَر، قال نُصَيْب:

بـدأنَ بـنـا وابـنُ الـلَّـيـالـي كـأنّـه حُـسامٌ جلَت عنه العُيونُ صقـيـلُ
فـمـا زلـتُ أُفـنـي كـلَّ يـومٍ شـبـابَـه إلـى أن أتـتـكَ الـعِـيـسُ وهـو ضـئـيـلُ

وابن الليلة هو الهلال، قال الشاعر:

كـأنّ ابـنَ لـيـلـتـهـا جـانـحـاً فَـسِـيـطٌ لَـدَى الأُفْـقِ مـن خِـنـصـرِ[٢]

ويُروَى: «كأنّ ابنَ مُزْنتِها»[٣]، معناه حين انقشعت عنه السحابة بدا كقُلامة الظُّفر، ومنه أَخذَ ابنُ المعتزّ قوله:

ولاحَ ضـوءُ هـلالٍ كـاد يَـفـضَـحُـنـا مِـثلَ الـقُـلامـة قـد قُـدَّتْ مـن الـظُّـفُـرِ[٤]

وقال بعض العصريين:

وأَرَى الـهـلالَ ابـنَ الـثَّـلاثِ مـطـرِّزاً ثـوبَ الدجى والجوُّ في زُرْق العُصَبْ
فـكـأنـمـا فـرسُ الأمـيـر الـمـرتـجَـى ألـقَـى بـرَوْض بـنـفـسَـجٍ نـعـلَ الـذّهـب

ومنه أخذ ابن حميدين[٥]:

كـأنـمـا أدهَـمُ الإظـلامِ حـيـن نـجـا مِـن أشـهَـب الـصـبـح ألـقَـى نـعـلَ حـافِـرِهِ

والعرب تقول لابن المفازات: ابنُ الليل، ولذلك قالت أمُّ تأبّطَ شَرّاً، وهي تَندُبه: وابناه، وابنَ الليل، ليس بُزمَّيْل![٦].

ويُرْوَى لعلِيّ بن أبي طالب رضوان اللّه عليه:

مـاذا يـريـنـي الـلـيـلُ مِـن أهـوالِـهِ أنـا ابـنُ عـمِّ الـلـيّـل وابـنُ خـالِـهِ
إذا دَجـا دخـلـتُ فـي سِـرْ بـالِـهِ

---

(١) أ، ب: «عبيدة»، تصحيف، وانظر الأغاني ١٨/ ٨.
(٢) الفسيط: قلامة الظفر، والبيت في اللسان (فسط) ونسبه إلى عمرو بن قميئة.
(٣) هي رواية اللسان.
(٤) جمهرة الأمثال ١/ ٤٠.
(٥) كذا في ط، والبيت ساقط من أ، ب.
(٦) الزميل: الجبان الضعيف.

٣٧٨ ـ ابنُ ذُكاء: هو الصّبح، وأبو ذُكاء: هو الشمس، قال الراجز:

فوردتْ قبلَ انبلاجِ الفجرِ وابنُ ذُكاءٍ كامِنٌ في كَفْرِ[١]

٣٧٩ ـ ابنُ الغَمام: هو البَرَد، وقد أحسن ابنُ الروميّ في قوله:

يُذْوِي الرجَال ويَشفيهِمْ بمبتسَمٍ كابن الغَمام وريقٍ كابنة العنبِ

٣٨٠ ـ ابنُ جَلا: هو الذي أمره منجلٍ منكشف، قال الشاعر[٢]:

أنا ابن جَلا وطلّاع الثنايا متى أضَعِ العمامةَ تعرفوني

ومعناه: أنا المشهور، وينوّن أيضاً فيقال: ابن جَلاً، قال الخارْزَنْجيّ: أي أنا المعروف، إفْتَح عينيك حتى تُبْصِرَني.

٣٨١ ـ ابن خَلاوة: في كلام العرب: هو[٣] البريء، يُقال: أنا من هذا الأمر فالجُ بنُ خَلاوة، أي أنا منه ذو فَلَج وتَخلٍّ.

٣٨٢ ـ ابن حبّة: هو الخبر، يقال له جابر بنُ حَبّة، قال بعض العصريين في سنةِ قَحْط:

لمّا رأيتُ زَماناً يفترُّ عن كلّ صَعبَهْ
والقَحطُ في أكلِهِ النّا سَ بالذئاب تَشَبَّهْ
والحُبُّ قد عَزَّ حتّى أنسَى المُحِبّ الأحبّهْ
في حَبّة القلب منّي زرعتُ حُبَّ ابنِ حَبّهْ

٣٨٣ ـ ابن نَعامة: هو المَحَجّة، وبُنَيّات الطريق، وصدْر القَدَم، وعرق تحتَ الأَخْمَص، وعَظْم الساق، وكلّ ذلك عن الأئمّة، وينشد لعَنترةَ العبسيّ وهو يخاطب امرأته:

إنّ الرجالَ لهمْ إليكِ وسيلةٌ إنْ يأخُذوكِ تَكحّلي وتخضَّبي[٤]
فيكونُ مركَبَكِ القَعودُ ورَحْله وابنُ النعامة عند ذلك مَركَبي

---

(١) اللسان (ذكا)، وفي ط: «كامن في وكر»، وأثبت ما في أ، ب واللسان.
(٢) هو سحيم بن وثيل الرياحي. الكامل ١/ ٣٨٤، جمهرة الأمثال ١/ ٢٥، خزانة الأدب ١/ ١٢٣.
(٣) ساقطة من ط، وفي جمهرة الأمثال ١/ ٣٦ «البريء من الشيء».
(٤) اللسان (نعم).

يقول: إذا أُسِرْتِ أُرْكِبتِ قَعوداً لموقعكِ من قلوب الرجال، وإذا أنا أُسِرتُ ركبتُ قَدَمي.

٣٨٤ ـ ابن آوى: يتمثّل به من وجهيْن: أحدهما ما قاله أبو نُواس في أنّ آوى، يُسمَع به ولا يُرَى، قال:

وما خبزُه إلا كآوَى يُرى ابنُه ... ولمْ يُرَ آوَى في الحُزون ولا السَّهلِ[١]

وآخِرُ ما قاله الآخر[٢] في صُعوبة صيده ورخصِ ثمنِه:

كابنِ آوَى وهو صعبٌ صيدُهْ ... فإذا صيدَ يساوِي خردلَهْ

وقال آخر:

إنَّ ابنَ آوَى لشديدُ المقتَنَصْ ... وهو إذا ما صِيدَ ريحٌ في قفصْ

٣٨٥ ـ ابنُ دأية: هو الغُراب لأنه يقع على دأية البَعير الدَّبِرِ[٣] فيَنقُرها، وقيل:

ولمّا رأيتُ النسرَ عَزَّ ابنَ دأيةٍ ... وَعَشّشَ في وَكْرَيْهِ جاشتْ له نَفسِي

عَنَى بالنسْر الشَّيب، وبابن دأية الشّباب.

٣٨٦ ـ ابنُ الأرض: نبتٌ يخرج في رؤوس الآكام، وله أصل ولا يَطُول، وهو سريع الخروج، سريع الهيْج، يُضرَب به المثل في سرعة الإدراك والفَناء.

٣٨٧ ـ ابنُ طاب: جنسٌ من تُمور المدينة، ويقول أهلها: إذا وافق الهَوَى الصّواب، فاللّبأ بابنِ طاب[٤].

٣٨٨ ـ ابنُ السبيل: إذا أريد المحتار قيل: ابن السبيل، وقد نَطَقَ به القرآن.

وقيل لأعرابيّ: أين تحبُّ أن يكون طعامُك؟ قال: في بطن أمّ طفل راضع وابن سبيل شاسع، أو أسير جائع، أو كبير كانعٍ[٥]. وإذا أريد ابن

(١) ديوانه: ١٧١.
(٢) كذا في ط، والرجز ساقط من أ، ب.
(٣) في جمهرة الأمثال ١/٣٧، قال: وهي عظام الصلب» وفي ط: «أي دبره».
(٤) اللبأ: أول الحلب، وفي ط: «فلا خوف من ابن طاب».
(٥) كانع، أي عاجز عن الاستطعام.

الزانية قيل: ابن الطريق، كما قال دِعبِل في أبي سعيد المخزوميّ:

عـدوٌّ راحَ في ثوبِ الصّديقِ شَريكٌ في الصَّبوحِ وفي الغَبوقِ[(١)]
لـه وَجهان ظاهِرُه ٱبنُ عَمٍّ وباطنُه ٱبن زانيةٍ عتيقِ
يسرُّك ظاهراً ويسوءُ سرّاً كذاك يكون أبناءُ الطريق

وأنشدت للفريانامي في البَرْسخيّ، وقد وقع الحريق في داره:

أقولُ ولا شماتةَ في الحريقِ أجيدي حرق دارِ ابنِ الطريقِ
فما أحرقتِ إلّا ما حواه بمسألةٍ وتدنيقٍ وضيقِ

وقولهم: ابن عَجِّل[(٢)]، كنايةٌ عن اللقيط، وعَجِّل عَجِّل قولُ الفاجرة تحتَ الفاجر تحثّه على سُرعة الفَراغ.

٣٨٩ ـ **ابنُ الخَصِيّ**: يُضرب مثلاً لما لا يجوز أن يكون، كما قال أبو تمام:

وذاك لـه إذا العَنْقاءُ صارتْ مربَّيةً وشَبَّ ابنُ الخَصِيّ[(٣)]

٣٩٠ ـ **ابنُ طامِر**: يقال لمن لا يُعرَف: طامرُ بنُ طامِر؛ وهو البرغوث أيضاً [لطُمورِه][(٤)].

٣٩١ ـ **ابنُ بَجْدَتِها**: الهاء راجعةٌ إلى الأرض، يَعنُون العالِمَ بها. قال أبو الطيّب المتنبي:

حتى أتى الدنيا ابنُ بَجْدتِها فشكا إليه السَّهلُ والجَبلُ[(٥)]

ويُحكَى أنَّ أعرابيًّا ضاف صديقاً له في الحَضَر، فقدم إليه عصيدةَ تمرٍ تنشُّ حرارةً، فضرَب بيدِه إليها، فامتنعتْ عليه، فقال بعدما تأمّلها: واللّه إني لأعلم أنكِ هَشّة المُزدَرد، وليّنةُ المستَرط[(٦)]، وإنك لتعلَمين أنيِّ ابنُ بَجْدة بلادِك في أهلك، وأنّي أخاف أنَّ العَوْد إلى مثلك ستطول مدَّته، ويتعذّر وجودُه، فما يمنعني أن أتلقّى حرارَتَك ببُلْعومٍ سِرْطِم، وحُلقومٍ لَحْجَم، وبطنٍ أكبَد، وجوفٍ أرحَب،

---

(١) ديوانه: ١٨٤، المنتخب من الكنايات للجرجاني ١٣، وفي الأغاني ٢٠/ ١٢٩ (أبو سعد).
(٢) عجل، بصيغة الأمر، وانظر كنايات الجرجاني ١٣.
(٣) ديوانه: ٣٤٦ (بيروت).
(٤) تكملة من ط.
(٥) ديوانه: ٢/ ٣٢.
(٦) الاستراط: البلع.

ويَقضي اللَّهُ قضاءَه بما أحببتُ أو كرهتُ.[١] السِرطِم: الذي يبلع كل شيء. واللحجم واللهجم على التعاقب: الواسع الجوف.

٣٩٢ ـ ابنُ الحرب: هو الشجاع الذي تعوّد الحرب وأَلِفَها. وقرأتُ من فصل من رسالةٍ للصاحب: أبناء الحرب الذين ذاقوا كؤوسَها حُلْوةً ومُرّة، والتحَفوا لِباسَها مَرّةً بعد مَرّة.

٣٩٣ ـ ابنُ ضُلّ: تقول العرب لمن لا يُدرى مَن هوَ ومَن أبوه: ضُلٌّ ابنُ ضُلّ، وقُلّ ابنُ قُلّ. ويقولون للمُفْلِس: صَلْمَعهْ ابنُ قَلْمعهْ: قال أبو سعيد: هو كقولك: الأحد ابنُ الأحَد.

٣٩٤ ـ ابنُ الغِمد: هو السيف لطول ملازَمته إيّاه وقراره فيه، قال الشاعر:

كأنّيَ وابنُ الغِمْد والطِّرْفُ أنجُمٌ ... على قَصْدها والنجمُ يسرِي على قَصْدِي[٢]

٣٩٥ ـ ابنُ الدّهر: هو النّهار، ومنه قول ابنِ الرّوميّ:

وما الدّهر إلّا كابنِه فيه بُكرةٌ ... وهاجِرةٌ مسمومةُ الجوّ قاتِلَهْ

٣٩٦ ـ ابنا عِيان: ضربٌ من الزجر، وهو أن يخطّ الناظر في أمرٍ بإصبَعِه ثمّ بإصبع أخرى، ويقول: ابنا عيان، أسرِعَا البَيان؛ ثمّ يُخبر بما يَرى. وهو مشتقّ من قولك: أرِياني ما أريد عِياناً.

وهذا معنى قول ذي الرِّمّة:

عشيّةَ ما لي حيلةٌ غيرَ أنّني ... بلَقْط الحَصَى والخطِّ في الدار مُولَعُ[٣]

٣٩٧ ـ ابنا شَمام: هُما هضْبتان في أصل جبلٍ يقال له شَمام، يُضرَب بهما المَثَل في الاقتران والاصطحاب، قال الشاعر:

فهل حدّثتَ عن أخوَيْن دامَا ... على الأيام إلّا ابنَيْ شَمامِ[٤]

٣٩٨ ـ ابنا سَمِير: العَرَب تقول: لا أفعَل ذلك ما سمر ابنا سَمِير، وهما الليل والنهار؛ وقيل: الغداة والعَشِيّ. قال ابن الروميّ:

لابنَيْ سَميرٍ صُروفٌ غيرُ غافلةٍ ... يُحسِنّ نَقْضا كما يُحسِنّ إمْراراً

---

(١) ساقطة من ط.
(٢) ط: «والنجم ليس على القصد»، وما أثبته من أ، ب.
(٣) ديوانه: ٣٤٣، وجمهرة الأمثال ١/ ٣٧.
(٤) البيت للبيد، ديوانه: ٢٠٨، وروايته: «فهل نبئت».

٣٩٩ ـ **بنو الأيام**: هم أهل العَصْر؛ قال المطراني[١] من قصيدة يَرثي بها أبا القاسم الإسكافي ويخاطب الدهر:

ما كان ضَرَّك لو أَبقيتَ ذا أدبٍ ... ألقَتْ إليه بنو أيّامِك السَّلَما
أعدمتَ مَن لستَ منه مُوجِداً بَدَلاً ... ما كرّرتْ يَدُك الوجدانَ والعدَما

٤٠٠ ـ **بنو الدنيا**: هم الناس، وقيل لعلِيّ بن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه: أما تَرَى حبَّ الناس للدنيا! فقالت: هُم بنُوها.

وسمعتُ الخُوارزميّ يقول: أحسنُ ما قيل في مدح النساء قولُ الشاعر:

ونحن بنو الدنيا وهُنّ بَناتُها ... وعيشُ بني الدنيا لقاءُ بَناتِها

وأبلغُ ما قيل في ذَمِّهِنَّ قولُ الآخرَ:

إنّ النساء شياطينٌ خُلِقنَ لنا ... فكلُّنا يتّقي شَرَّ الشياطينِ

على أنه نَقَضَ قولَ مَن قال:

إنّ النساء رَياحينٌ خُلِقنَ لنا ... فكلُّنا يَشتهي شَمَّ الرَّياحينِ

٤٠١ ـ **بنو غَبْراء**: هم اللصوص والصعاليك المُهتَدون في مجاهِل الأرض، والعالِمون بطُرقها. وقيل: بل هم الفُقراء اللاصقون بالغَبْراء من سوء الحال، على غير غِطاء ولا وِطاء، قال طَرَفة بنُ العبد:

رأيتُ بني غَبراءَ لا يُنكرونَني ... ولا أهلُ هٰذاكَ الطِّرافِ الممدَّدِ[٢]

يقول: أنا معروف عند الأخيار والأشرار، وعند اللّئام والكرام.

٤٠٢ ـ **أبناء الدهاليز**: كناية عن الأرذال الأنذال أبناء الزّواني، قال ابن بسام:

يا بنَ الدَّهاليز وأبناءِ السِّكَكْ ... ويا بنَ عَجّل لا يجي زَوْجي يَرَكْ
يا بنَ الزنا وحدَكَ لا شريكَ لك ... وابنَ البَغايا والفراشِ المشتركْ
ويا بنَ مَن لو نُوِّمَتْ فوقَ الحسَكْ ... تحتَ الزُّناة وجدتْه كالفَنَكْ[٣]

٤٠٣ ـ **أبناء دَرْزة**: كناية عن السفل والسُّقّاط، ويقال لهم: أولاد

---

(١) هو الحسن بن علي بن مطران، ترجم له المؤلف في اليتيمة ٤/١٠٨.
(٢) من معلقته ص ٨٠ ـ بشرح التبريزي.
(٣) الفَنَك: الجِلْد الذي يُتخذ منه الفرو.

دَرْزة، قال المبرّد: هم خَيّاطون من أهل الكوفة خرجوا مع زيد بن عليّ.

وقال بعض الشّراة وهو حبيبُ بنُ جَدرة الهلاليّ:

أأبـا حُـسَـيْـنٍ لـو شُـراة عِـصـابـةٍ   عـلِـقَـتْـكَ كـان لِـورْدِهِـمْ إصـدارُ[١]
أأبـا حُـسـيـنٍ والأمـور إلـى مَـدىً[٢]   أبـنـاءُ دَرْزة أسـلـمـوك وطـارُوا

الفصل الرابع في البنات

ابنةُ الجَبَل. ابنةُ الكَرْم. بنت المنيّة. بنت الفِكْر. بنت المَطَر. بنت نارَيْن. بَنات الدهر. بنات المَنايا. بنات البُطون. بنات الليل. بنات الصَّدْر. بنات الماء. بنات الفَلا. بنات بَخْر، بنات وردان، بنات الخدور، بنات التنانير، بنات اللهو، بنات العَين. بنات الأرض. بُنَيَّات الطريق.

الاسْتِشْهادُ

٤٠٤ ــ **ابنةُ الجَبَل**: من أمثال العرب: هو ابنة الجَبَل، ومعناه الصَّدَى يجيب المتكلِّمَ بين الجبال، هو مع كل صوت، كما أن الصدى يجيب كلّ ذي صَوْت بمثلِ كلامه. ويقال: كَبِنْت الجبل، مهما تَقُل تَقُلْ.

ويقال: إنّ ابنة الجبل الحيّة أيضاً، وقال أبو عُبيدة: إذا اشتد الأمرُ قيل: صُمِّي صَمَامِ، وصُمّي ابنةَ الجَبَل.

قال امرؤ القيس:

بُـدِّلْـتُ مِـن وائـلٍ وكِـنْـدَةَ عَـدْ   وانَ وفَـهْـمـاً صُـمِّـي ابـنـة الـجـبَـلِ[٣]

أراد حيَّة لا تُجيب الراقي، فشبّه الحربَ التي لا يُقبلُ فيها الصلح بهذه الحيّة.

٤٠٥ ــ **ابنة الكَرْم**: هي الخَمْر، قال أبو نُواس:

صِـفَـةُ الـطـلـول بـلاغـة الـقِـدَمِ   فـاجـعـل صـفـاتـك لابـنـة الـكـرْمِ[٤]

وقال آخر:

بَـنـاتُ الـكُـروم تُـسَـلِّـي الـهُـمـومَ   وتُـحـيِـي الـسـرورَ وتَـنـفـي الـعَـدَمْ

---

(١) الكامل ٤/ ١٢، وفيه: «صحبوك كان لوردهم».
(٢) الكامل: «والجديد إلى بلى».
(٣) ديوانه: ٣٤٨.
(٤) ديوانه: ٣٢٣.

وتَبسطُ بالجود كفَّ البخيلِ وتُذهبُ مِن حشمة المحتشِمْ

ويقال لها أيضاً: ابنة العُنْقود، قال أبو الفتح كُشاجم:

حُبِّيَ الحمدَ كان أكثرَ أسبا ب ذهابي بطارِفي وتَليدي[(١)]

واعتياضِي من الغِنى بالغَواني واعتقادي هوى ابنة العُنْقود

وقد ظَرف الصنَوْبَريّ في قوله وهو يصف الديك:

مغرِّدَ الليلِ ما يألوكَ تغريداً مَلَّ الكَرَى فهو يدعو الفِتْيَةَ الصِّيدا

مذكِّراً بابنةِ العُنقودِ حين حَكَتْ له الثّريّا قُبيْلَ الصبح عُنقوداً

وأحسنُ من هذا كلّه قولُ أبو محمد الفياضيّ:

نحن الشهودُ وخَفْقُ العُود خاطَبنا نُزَوِّج ابنَ سحابٍ بنتَ عُنقودِ

وليس بالبارد قول الآخر، وهو متنازعٌ فيه:

ما لابنِ همٍّ سوى شربِ ابنةِ العِنَبِ فهاتِها قهوةً فَرّاجةَ الكُرَبِ

٤٠٦ ـ **بنت المنية**: هي الحُمّى، ويقال: إن أبلغ ما قيل في وصْفها قولُ عبد الصمد بن المعذَّل من قصيدة أولها:

هجرتُ الهَوَى أيّما هَجْرَهْ وعِفتُ الغَوانِيَ والخَمرهْ

لوَتني[(٢)] عن وصلِها سكرةٌ بكأس الضنّا بعدها سكرهْ

وبنتُ المنيّه تنتابني هُدُوًّا وتَطرُقني سَحْرهْ[(٣)]

إذا وردتْ لم يزَع وِرْدَها عن القَلْب حُجْبٌ ولا سُترهْ

لها قُدرةٌ في جسم الأنام حباها بها اللّهُ ذو القدرهْ

فقد سَلَبَتْ أعظُمي نَحْضَها[(٤)] ولمْ تَترُكْ من دمي قَطْرهْ

وهي طويلة لا يسقط منها بيت.

وله أيضاً من قصيدة ضادية:

بنتُ المنيّةِ بي موكَّلةٌ عقبَ النهارِ كمقتضٍ قَرْضا

---

(١) ديوانه: ٤٠.

(٢) الأغاني ١٣/ ٢٥٣، الوساطة ١١٧، ديوان المعاني ٢/ ١٦٧.

(٣) الأغاني: «طوتي».

(٤) ب: «شخصها»، ط: «شربها».

أَلِفَتْ وفاءً ليس تسأمُه ... فَتَرى مواصَلَتي به فَرْضَا
عَرَقت بنافِضِها وصالِبِها ... لحمي وَرضّت أعظُمي رَضّا
ولو أنّها تَرمي بشكّتها ... نِيقاً أشمّ لذابَ وارفضّا[١]

ولم يزلْ شعرُ ابن المعذّل أميرَ ما قيلَ في الحمّى حتى جاءت ميميّة أبي الطيّب فأربتْ عليه، وقد جعلها بنتَ الدهر في قوله:

أبِنْتَ الدهر عندي كلُّ بنت ... فكيف وصلتِ أنتِ من الزّحام![٢]

يقول: عندي كل حادثة من حوادث الدهر ونوائبه، فكيف خلصت[٣] إلى جسمي من زَحْمة النوائب!.

ولبعض أهل العَصْر:

سئمتُ العيشَ حين رأيـ ... ـتُ صَرفَ الدّهر يُرهِقُني
صعوداً والصعودُ إليـ ... ـه يُعجِزُني فيُقلِقُني
وبنتُ الموتِ بالآلا ... م والأوجاعِ تَطْرقُني
تؤرّقني تحرّقني تعرّقني تُغرّقني

٤٠٧ ـ **بنت الفِكْر**: هي الرأي والشِّعر، قال بعض العصريين:

ودونَك البِكرَ بنت الفِكْر قد بَرَزتْ ... مِن خِدرِها تَخدُم الأستاذَ سيِّدَنا

٤٠٨ ـ **بنتُ المَطَر**: قال حمزة الأصبهاني: هي دُوَيْبةٌ حمراء تُرى غِبَّ المطر، والعَرَب تَضرِب بها المَثَل فتقول: أشدّ حُمرةً من بنت المطر.

٤٠٩ ـ **بنت نارَيْن**: هي المَرَقة المسخَّنة، لأنها قد عُرِضت على نارَيْن، وكان بعض المُترَفين يقول: جنِّبوا مائدتي بنتَ نارَيْن.

وأنشدني أبو طالب المأموني لنفسه قصيدةً في وصف مائدة تَجمَع أطايِبَ الطّعام وبدائعَ الألوان، فمنها:

لم يَرضَ طاهِيها بنَقْصٍ ولا ... شقَّقَ في شيء ولا مَوَّهْ
لا ابنةَ نارَيْن أرانا ولا ... مصنوعةً بالرفع مأسوَّهْ

---

(١) ط: «رضوى لذاب وانقضا» وهو غير مستقيم الوزن.
(٢) ديوانه: ١٤٧.
(٣) ب، ب: «وصلت».

٤١٠ ـ **بَنات الدهر**: حوادثُه ومَصائبه، قال الشاعر:

ألا مــا لــبــنــاتِ الــدّهْـــرِ تــرمــيــنــي ولا أرمِــي

وقال آخر:

رمتْني بَناتُ الدّهرِ من حيث لا أرى فكيف بمن يُرمَى وليس برامِ

وقال آخر:

نكحتُ بنات الدهرِ من غير خِطبةٍ فما برحتْ حتى سَلَبْن سَوادِيا[١]

والأخطل أراد ببنات الدهر الليالِيَ والأيام في قوله:

ومـا تَـبـقَـى عـلـى الأيـام إلّا بـنـاتُ الـدهـر والـكَـلِـمُ الـعـقـورُ[٢]

وأراد بالليالي والأيام والكَلِم العَقور الهجاءَ الموجِع. وأحسَن البحتري في قوله:

متى ما نَسَبْتَ الحادثاتِ وجدتَها بـنـاتِ زَمـانٍ أرصـدتْ لـبَـنِـيـهِ

٤١١ ـ **بنات المَنايا**: هي السِّهام، قال ابنُ الروميّ في وصف الأتراك:

لـهـم عُـدَّةٌ تـكـفـيـهـمُ كـلّ عـدّة بـنـاتُ الـمـنـايا والـقـسـيُّ الـموتَّـرُ

٤١٢ ـ **بنات البُطون**: هي الأمْعاء، يقال للجائع: سَكِّن بَنات بطنك، إذا أمِرَ بالأكل.

٤١٣ ـ **بنات الليل**: هي الأحلام، ويقال أيضاً: هي النساء، ويقال: بنات الليل: أهواله، ويقال: هي المنايا[٣]، وبكلّها جاء الشِّعر.

٤١٤ ـ **بنات الصَّدْر**: هي ما يُضمِره الإنسانُ من الخير والشرّ قال الشاعر:

أخـو ثـقـةٍ يُـسـرُّ بـحُـسـنِ حـالِـي وإن لـم تُـدنِـه مـنّـي قَـرابَـهْ

أحَـبُّ إلـيَّ مـن ألـفَـيْ قَـريـبِ بـنـاتُ صـدورهـمْ لـي مُـسـترابَـهْ

وقد ظرف من قال:

بـنـفـسـيَ مَـن هـواهُ أخِـي وتِـرْبـي لـه حُـبّـي رضـيـعُ بـنـاتِ قَـلْـبـي

---

(١) أ، ب: «حتى لبست».

(٢) ديوانه: ٢٠٥.

(٣) ط: «المنى».

وللصاحب من رسالة: زوّج بنات صدرِك من بني عِلمي، وأفرِغْ صَوْبَ عَقْلِك في قِمَعِ أذني.

٤١٥ ـ **بنات الماء**: هي ما يألف الماءَ من السَّمك والطير والضفادع. وقد أحسن سيدوك الواسطيّ في قوله:

أراحَ اللَّهُ نفسي من فؤادٍ أقامَ على اللَّجاجةِ والخِلافِ
ومن مملوكةٍ ملكتْ رُقاها[1] ذوي الألبابِ بالخدعِ اللِّطافِ
كأنّ جوانِحي شوقاً إليها بناتُ الماء تَرقُصُ في جَفافِ

وجعَل ابنُ الروميّ السمك بنات دِجْلةَ في قوله:

وبناتُ دِجْلَةَ في بُيوتِكُمُ مأسورةٌ في كلّ معتَركِ

٤١٦ ـ **بنات الفَلا**: هي الإبل يُقطَع بها الفلا، قال الشاعر:

إليكَ أمينَ اللَّه جابَتْ بنا الفَلَا بناتُ الفَلَا في كلّ بَرّ وفَدْفَدِ

فأما بَنات القفر فالوَحْش.

٤١٧ ـ **بنات بَخْر**: سحائب تَنشأ من بخار البَحْر فتجوز إلى البر؛ وبنات بحر سحائبُ لا تجوز إلى البرّ، ولذلك قيل: بنات بخْر خيرٌ من بناتِ بَحْر.

٤١٨ ـ **بَنات وَرْدان**: هي دُوَيْبات تَلزَم الكُنفَ. وأنشد الصاحب ليلةً في مجلس قد تأذى فيه برائحةٍ كريهة:

فما عَدِمْنا من الكَنيفِ كما قَعدْتَ إلا بناتُ وَرْدانِ

٤١٩ ـ **بنات الخُدُور**: هي العَذارَى، ويقال لهنّ أيضاً بناتُ الحِجال.

٤٢٠ ـ **بنات التَّنانير**: هي الرُّغْفان. وقيل لأعرابي قدِمَ الحضَر فأضافه بعضُ المَياسِير: أين كنتَ اليوم؟ وبمَ اشتغلتَ؟ فقال: كنتُ واللَّهِ عندَ كريم خطير، أطعَمَني بنات التَّنانِير، وأمهات الأبازِير، وحَلْواء الطَّناجير[2]، ثم سقاني رَغْناء القَوارِير، من يدِ غزالٍ غَرير.

---

(١) ط: «أرفا» تحريف.
(٢) الأبازير: التوابل. والطناجير: أواني النحاس.

٤٢١ ـ بنات اللهو: وهي الأوتار، قال البحتريّ:

تـلـقَّـيـنـا الـشـتـاء بـه وزُرْنـا بـنـاتِ الـلـهـو إذ قَـرُب الـمَـزارُ[١]

وقال ابنُ الروميّ:

يَـهـنـيـكَ أنّ الـفِـطْـر حـيـن أتـى نُـشِـرَ الـسـرورُ بـه مـن الـرَّمْـسِ
نـطـقـتْ بَـنـاتُ الـلـهـو فـيـه مـعـاً مـن بَـعـد بُـعـد الـصـوت والـهَـمْـسِ

٤٢٢ ـ بنات العين: هي الدموع، قال ابن الروميّ يرثي الشباب:

تـذكّـرتُـه والـشّـيـبُ قـد حـالَ دونَـه فـظـلّـت بـنـاتُ الـعَـيـن مِـنّـي تَـحـدَّرُ

٤٢٣ ـ بنات الأرض: هي الأجواف التي تَحتجِب عنك، وقيل: بل عُروق الأَرض منها الماء ويصير إليها الوَحْش في القيْظ فيترشّفها ويقتصر عليها دونَ وُرود الماء، قال ثعلب: بَناتُ الأرضِ هي الأنهار الصِّغار.

٤٢٤ ـ بُنَيّات الطريق: هي الصعاب والمَعاسِف، يقال للرجل إذا وُعِظ: الزَم الجادّة[٢]، ودَعْ بُنَيّاتِ الطريق.

وقال محمود الورّاق:

تـنـكّـبْ بُـنَـيّـاتِ الـطـريـق وجَـوْرَهـا فـإنّـك فـي الـدنـيـا غـريـبٌ مـسـافـرُ

(١) ديوانه: ٢/ ٤٦.
(٢) انظر اللسان (بني)، والبيان والتبيين ٢/ ٣٤٨.

فيما يُضَافُ إلى الأذواءِ والذوات

أذْواء اليَمَن، ذو الأوتاد، ذو القرنيْن، ذو الكِفلْ، ذو النُّورَيْن، ذو الشهادتيْن، ذو العَينيْن، ذو الرأي، ذو اليَديْن، ذو السَّيفَيْن، ذو المُشَهَّرة، ذو النُّور، ذو العمامة، ذو الثُّدَيَّة، ذو اليمينيْن، ذو الثَّفِنات، ذو القلميْن، ذو الرِّياستيْن، ذو الوَزارتيْن، ذو الكِفايتيْن، ذات النحييْن، ذات النِّطاقَيْن، ذات الخِمار، ذات الأنواط.

الاسْتِشْهادُ

٤٢٥ ـ أذواء اليَمَن: هم ملوكُها، وإياهم عَنَى أبو نُواس بقوله:

وَدَان أَذْواؤُنـــا الـــبَـــريـــةَ مِـــنْ ... مُـــعـــتَـــرِّهـــا رغـــبـــةً وراهِـــبِـــهـــا[1]

فمنهم ذو شناتِر، ولم يكن من أهل المُلك، ولكنه من أبناء المقاوِل، وكان فظّاً غليظَ القلب. وكان مع ذلك لا يَسمَع بغلام ينشأ من أبناء المقاوِل إلا بعث إليه واستحضره فعبث به وأفسَدَه. ويقال: إنه بعث إلى غلام منهم يقال له ذو نُواس، لأنه كانت له ذُؤابتان تَنُوسان على عاتِقَيْه، وبهما سُمّيَ ذا نُواس فأُدخِل عليه ومعه سكين لطيفة قد خبأها، فلما دنا منه وعلم أنه يريد منه الفاحشة شَقّ بها بطنه، واحتز رأسه، فلما بلغ حِمْيَر ما فعل ذو نُواس قالوا: ما نرى أحداً أحقَّ بالمُلك ممن أراحنا منه، فملّكوا ذا نُواس. وهو صاحب الأُخْدود الذي ذكره اللّه تعالى في كتابه العزيز، وهو الذي لمَّا تهوّد تهوَّد معه أمم من الناس.

ومنهم ذو المَنار، وقيل له ذو المَنار لأنّه أوّل من ضرب المَنارَ على طرقِهِ في غزَواته ليتهديَ بها في مَرجِعه.

ومنهم ذو رُعَيْن، يُضرَب به المَثَل في النِّعمة، كما قال العلَويّ الحِمّانيّ:

ويـوم قـد ظَـلِـلْـتُ قـريـرَ عَـيْـنٍ ... بـه فـي مِـثْـلِ نِـعـمـةِ ذي رُعَـيْـنِ

تُـفـكِّـهـنـي أحـاديـثُ الـنَّـدَامـى ... وتُـطـرِبـنـي مُـشَـقَّـقَـةُ الـيَـدَيْـن

(١) ديوانه: ١٥٥.

فلولا خوفُ ما تَجنِي الليالي قبضتُ على الفُتوّة باليدين

ومنهم ذو مَرْحب، سُمّيَ بذلك لأنه كان يرحِّب به كلُّ مَن رآه، وكان رحبَ الصدر والباع، هشّاً بشّاً.

ومنهم ذو يَزَن، وابنُه سَيف الذي انتزَعَ المُلك من الحَبَشة، وقد تمثّل به من قال لعبد اللّه بنِ طاهر:

إشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفِقاً بشاد مهر ودعْ غمدانَ لليَمَن[١]

وأنتَ أوْلى بتاجِ المُلك تَلْبسُهُ مِنْ هَوْذة بن عليّ وابن ذي يَزَنِ

٤٢٦ ـ ذو الأوتاد: هو مَن ذَكَره اللّه تعالى في كتابه العزيز[٢]، وكان يأمر بمن يَغضب عليه فيوَتَّد في الأرض بأربعة أوتاد، وهو أوّل مَن سَنَّ ذلك.

٤٢٧ ـ ذو القَرنيْن: قال الجاحظ في كتاب «التدوير والتربيع»[٣]: ولقد سألتُ عن ذي القرنين أهوَ الإسكندر؟ ومَن أبوه؟ ومَن قِيرَى ومَن عِيرَى! فقال القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجُرجانيّ في الجواب عن ذلك وشرحه، قال: أكثرُ مَن بحثَ عن سالف الأمور، وتصفَّح ما حدَثَ منها في متقادِم العصور، أنّ التسمية بذي القرنين لا تُعرَف في غير هذه اللغة، ولا يوجد منها عِلْم إلا عند هذه الأمّة؛ ومتى سمعنا غيرهم ينطق بها، ووجدْنا بعضَ الأمم يَذكُرها، فبحثنا عن أصلها ومأخَذِها، وسألناهم عن معناها وتأويلها، أصبناها راجعةً إليهم، وأحَلْنا في الإسناد عليهم.

قالوا: ولم نعثر على كثرة التفتيش والتكشيف وشدة الطلب والتنقير من ملوك الأمم وأولياءِ الدُّوَل وقادةِ الجيوش وساسةِ الجنود ممن ارتفع فشُهِر، أو خَمُل فغُمِر، بمن لزمه هذا الاسم أو حصَل له معناه، أو استحقه بلازم خلقة، أو مستجد صفة. فأمّا نحن فقد وجدنا في التواريخ القديمة المأخوذة عن السريانية واليونانية أن ضاميرس، وهو الثالث من ملوك بابل خرج عليه أطركسركس فحاربه وظفِر به، فقتله ونزع قرنَيْ رأسِه فجعلها إكْليلاً يلبَسه، فسُمِّيَ ذا القرنين؛ فهذا كما تراه تسميةٌ مأخوذة من الأمم السالفة، منقولةٌ عن تلك اللغة إلى هذه.

---

(١) هذا البيت ساقط من ط.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأوتادِ﴾.

(٣) ص ٢٧٠.

على أن العرب قد سمّت بها من ملوكهم نَفَراً، وخصّت بها هذا المَلِك السائح الذي ورد القرآن بذكره، واجتمعت الإنس على تفخيم قدره، وسنذكر ما حفظناه في سبب هذه التسمية، ونستوفي ما عندنا في صاحبها، وما انتهى إلينا في حقيقة المسمَّى بها، ونقول فيه على تفصيل الاختلاف والتمييز بين تلك الأقوال قولاً إن لم يكن شافياً، فعساه أن يكون كافياً، وما علينا إلّا الجَهْد، وفوق كلِّ ذي عَلْمٍ عَليم.

قال اللّه تعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٣٨]، الآية المتضمِّنة خبرَه، فوصف هذه الجملة من أحواله، في تقلّبه وانتقاله، ومنتهى مسيره في الشرق ظاعناً، وغاية مبلغه من الغرب واغلاً، ودلّ على عظم مُلكه، وشدّة وطأتِهِ، وعلوِّ كلمته، وانبساط قدرته، بما عدَّ من آثاره، وقصّ علينا من أخباره، وأكد ذلك وحقَّقه بقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤].

وحَسْبُك بمن شهد اللّه له بالتمكين والاقتدار، وناهيكَ بمن آتاه اللّه جوامعَ الأسباب، ووطّأ له أباعدَ الأقطار!.

قد رُوِيَ في تفسير هذه الآية أنّ المشركين من قريش أَوْفَدوا وفداً إلى يهود يَثْرب يستمدُّونهم مسائلَ يَمْتحنون بها النبي ﷺ، واعتَمَدوا من المسائل على قِصَص الأنبياء وأخبارِ الملوك، لعلمهم بأنه لاحظَّ للعقل والذكاء وحدَّة الفطنة وقوة الفكر وتمثيل الاعتبار والمقايسَة وإنعام النظر والتأمّل في استدراكِ خبرٍ تقدّم زمانه بساعة، بل سبق وقته بلحظة؛ وإنما هي أمور تؤخذ روايةً وسَماعاً، وتُدرَك قراءةً وكتابة؛ وقد رأَوْه عليه السلام وُلد بمكة في أمّة أُمِّيَّة، وبين قبائل جاهلية، فعرفوه طفلاً رضيعاً، وناشئاً ويافعاً، وشاهَدوه غلاماً ومجتمعاً، وكَهْلاً ومحتنِكاً، يَدْرُج بين أبياتهم، ويتصرف نُصُبَ ألحاظِهم؛ ويتكلم بما عرفوه من ألفاظهم، وأن هذه أحوال تحجُز بينه وبين التُّهمة، وتباعِده عن مواقع الظِّنّة، وتحقَّق عند من له من العقل بُلْغة، وفيه من التحصيل مُسْكة، أنه عليه الصلاة والسلام عَرَف ذلك على حقّه، وأَخبَر عما عَلِمت الرُّواة من غَيْبه، فإنما تلقّاه عن اللّه وحياً، أو ألقاه المَلَك في روعه نَفْثاً، وذلك علامة النبوة التي لا تُجهَل، وأمارة الرسالة التي لا تُنْكَر، فزوّدَتْهم يهودُ يثربَ بمسائل منها خبرُ رجلٍ صار مُشرِّقاً حتى بلغ مطلع الشمس حيث تبزُغ، وتوجه مغرِّباً

حتى بلغ مغربَها حيث تجِب[١] وتسقُط؛ هكذا ذكره الرواة، وإنما المراد بها مُنتَهى العمارة مِن طرَفيْ الأرض. وسألوه عن قصّة يوسفَ، وعن فتيةٍ أوَوْا إلى كَهْف فأُميتوا ثم أُحيُوا، فأتاه الجواب من قِبَل اللّه تعالى في كلّ ذلك بما أقام به عَلَمَ صِدْقه، وردّ الكائدَ بأخيَب ظنّه.

وقد روى المفسّرون والقصّاص في تأويل هذه الآيات أخباراً لم نجد في نقلِها طائلاً، إذ كانت النفس لا تثِق بخبرهم، ولا تَسكُن إلى صحّة نقلِهم، وكان اختلافُهم يدل على اختلاطهم، وهي على ذلك مشهورة، يُمْكِن أخذُها عن قُرْب. وقد رَوَى المحدِّثون عن النبي ﷺ أنه قال: «لا أدري أذو القرنين كان نبيًا أم لا»!.

ورَووا عنه أنه مَلَك الأرضَ أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسُليمان وذو القرنين، وأما الكافران فنُمروذ وبُخْتُ نَصّر.

ورَووا عن عليّ وقد سئل عن ذي القرنين فقال: ذلك المَلِك الأمرَط[٢]، بلغَ قرن الشمس مِن مطلَعها وقرنَها من مغرِبها.

وعن عمر رضي اللّه عنه أنه سمع رجلاً ينادِي: يا ذا القرنين، فقال: فرغتم من أسماء الأنبياء، وارتفعتم إلى أسماء الملائكة! فتناوله قوم وزعموا أن ذا القرنين كان من نِتاج ما بين الملائكة والإنس، وأن أباه عِبْرَى مَلَك أُهبط إلى الأرض فسُلِخ جَناحُه وأُعيدَ في صورة ولد ابن آدم، فنَكح امرأةً من الآدميات تُدعَى قيرى فأولدها ذا القرنين[٣]، وقد ادَّعوا مثلَ ذلك في هاروتَ وماروتَ وأبي جُرْهم. وهي من حماقات العوام غير مستنكر[٤].

ورُوِيَ عن الحسن أنه قال: كان له غديرتان من شعر، وعليهما[٥] سُمِّيَ ذا القرنين.

وعن محمد بن عليّ بن الحسين رضي اللّه عنهم قال: الأنبياء الملوك أربعة: يوسف مَلَك مِصر، وداوُد وسليمانُ مَلَكا ما بين الشام إلى إصْطَخْر وذو القرنين مَلَك ما بين المغرب والمشرق.

---

(١) تجب، أي تغرب.
(٢) الأمرط: صاحب المرط.
(٣) انظر الحيوان ١/ ١٨٨.
(٤) ب: «منكر».
(٥) ب: «ربهما».

ورُوِيَ عن ابن عبَّاس رضي اللَّه عنهما أنه قال: حجَّ ذو القرنين فلقي إبراهيم؛ وهذا يدل على تَقادُم عهدِه.

وقد رُوِيَ من جهاتٍ كثيرة أنَّ ذا القرنين كان في زمن إبراهيم عليه السلام في عصر أَفْرِيدُون؛ وتلك تواريخُ لا يوثَق بها؛ والذي نُقِل إلينا في التواريخ اليونانية والسريانية وهي أقرب إلى الثقة يقتضي أنَّ بينهما زماناً طويلاً يزيد على ألف سنة.

ورُوِيَ عن ابنِ عباس رضي اللَّه تعالى عنه أن ذا القرنين هو عبد اللَّه بن الضَّحَّاك، وهذه رواية مهجورة لا يَلتفت العقلاء إليها؛ ولسنا ننكر أن عبد اللَّه بن الضَّحَّاك هذا يُدعَى ذا القرنين، فهو اسم مشترَك ولقبٌ منقول، وقد سُمِّيَ أحدُ ملوكِ الحيرة من بني نَصْر ذا القرنين لضفيرتين من شَعْر كانتا له، وهو المُنذر بنُ ماء السماء؛ وفي ملوك حِمْيَر مَلِكان كانا يُدعَى كلٌّ واحد منهما ذا القرنين، وإنما ننكر أن يكون مَلِكاً سُلْطاناً، إذ كنا نجد أخبارَ الأمم تكذِّبه. وكان هذا الأمر البيِّن لا يَخمُل فيَخفَى على العرب شأنُه، وهي ألهَجُ أمَّة بحفظ المآثر، وأحرصُها على إحصاء المفاخِر.

وزَعَمَ بعضُ الفُرْس أن ذا القرنين هو الضحّاك المسمَّى بيُوراسف، وأنّ قرنَيْه هما السِّلعتان اللتان تسميهما العامة حيتين، وكانتا ناشِزتيْنِ في فروع كَتفيه؛ وهذا أبعد شيءٍ عن الصَّواب، ولكنّ الآراء والألسُن واللغات والفِرَق مطبِقةٌ على أنّ ذا القرنين هذا هو الإسكندرُ الرُّوميّ قاتلُ دَارَا. وقد نقل إلينا من أخباره المطابقة لما اقتصّ اللَّه تعالى في كتابه، والذي يقوِّي هذا الرأيَ إجماعُ رُواة الأمم على أنّ السَّدَّ الذي يُدعَى رَدْمَ يأجوجَ ومأجوج من صُنع الإسكندَر، وأنه لم ينقل إلينا خبر مَلِك جَمَع بين الإيغال في المشرق والإبعاد في المغرب سواه.

وهذه جملةٌ من سِيَره، مأخوذةٌ من تواريخ يونانَ وفارسَ؛ وأمّا روايات القُصّاص وأهلِ المبتدأ فمرفوضة عند أهل التحصيل؛ زعَمتْ يونانُ أنّه لما وُلد الإسكندر عُرِض مَولِدهُ على المنجِّمين، فحَكَموا له بما آلَ إليه أمره، وترعرع الإسكندر، فهجس في نفسه صِدقُ ما حَكَموا له به، وهلك أبوه فيليبس وللإسكندر عشرون سنة، فخلفه على مُلْكه، فركب البحرَ يؤمّ المغرب، فوطىء أرضَه حتى انتهى إلى المشرق حتى قتل دَارَا، واستولَى على ممالِكه، وسار حتى أوغَل في المشرق فقتلَ فوراً ملِك الهند، وأقام ببلاده مدة، ثم سار حتى أتى تُبَّت فدَان له مَلِكُها، وأهدَى له شيئاً كثيراً من الذهب والمسْك، ثم سار حتى أتى الصين، فتلقَّاه

مَلِكها بالطاعة، وأهدَى له هدايا عظيمة من الذهب والحرير والوَبَر وأنواعِ العِطْر وآلات الصين، وعدل إلى نواحي يأجوجَ ومأجوجَ فبنى السد، ودخل الظُّلُمات من ناحية القطب الشمالي في أربعمائة رجل، فسار فيها ثمانية عشر يوماً، وخرج إلى طريق خُراسان، ولما انتهى إلى نهر بَلْخ عَقَد عليه جِسْراً من ثلثمائة سفينة، وبنى على غربيِّه قصراً، فاغتاله بعض أصحابه فسقاه سُمّاً، فمرض بقومَس، وتحامل حتى أتى شهرَزور، وثقلُ بها وهلك ببابل العتيقة، وكان أشقَر أبرَش، قصيراً أحنَف[١]، وابتدأ اليونانيون تاريخ مُلكه من أول سنة سبعٍ وعشرين من عمره، وهو وقت ابتداء جولانه. وكانت مدته في ذلك الوقت أحَد عشر وثلاثمائة وستة وعشرين يوماً، ولم يكن يدعو إلى دين وإنما كان يأمر بالتناصف وترك التظالم.

إلى هنا كلام القاضي.

وقال حمزة الاصبهاني في كتابه «تواريخ الأمم»: ومما ولّده[٢] القُصّاص من الأخبار أن الإسكندر بنى بإيران شهر مدنا، منها أصبهان، وهَراة، وسَمرْقَند، وليس للحديث أصل، لأن الرجل كان مخرِّباً لا عامراً.

قال مؤلف الكتاب: وفي أصبهان وكونها من بناء ذي القرنين يقول ابن طَباطبا لأبي عليّ بنِ رُستَم وقد هدم سُورَ أصبهان ليزيد به في داره:

وقد كان ذو القرنينِ يَبنِي مدينةً ... فأصبح ذا القرنَيْن يَهدِمُ سُورَها
على أنّه لو كان في صحنِ دارِه ... بقَرْنٍ له سَيْناء زعْزَعَ طُورَها

وقال آخر:

أيُّها الهادم سُوراً ... هدْمُه عينُ المَنونِ
ليس يُوهِي سورَ ذي القَرْ ... نَيْن إلا ذو قُرونِ

وقد ضرب المثل بمسير ذي القرنين في الظلمات ابن لَنْكك حيث قال:

تولّى شبابٌ كنتَ فيه منعَّماً ... تَروحُ وتَغْدو دائمَ الفَرَحاتِ
فلستَ تُلاقيه ولو سِرْتَ خَلْفَه ... كما سار ذو القرنين في الظُّلماتِ

٤٢٨ ـ ذو الكِفْل: هو الذي نطق القرآنُ بذكر نبوّته، وهو من بني إسرائيل؛

---

(١) الأبرص: الذي فيه بياض. والأحنف؛ الذي برجله اعوجاج.

(٢) ولده: رواه.

بُعِث إلى مَلِك منهم يقال له كَنْعان، فدعاه إلى الإيمان، وكفَل له الجنّة، وكتب له كتاباً بالكَفالة، فآمن به المَلِك، وسُمِّيَ ذا الكِفْل بالكَفالة.

٤٢٩ ـ ذو النُّورَيْن: هو عثمان بنُ عفّان رضي اللّه تعالى عنه. سُمِّيَ بذلك لأنّ النبي ﷺ زوّجه ابنتَه رقيّة، فكانا أحسنَ زوجين في الإسلام، ويُروَى أنه بعث عليه السلام بلَطَفٍ[١] مع رجلٍ إلى عثمانَ، فاحتبس، فلما رجع قال له رسول اللّه ﷺ: إن شئتَ أخبرتُك ما حَبَسك؛ قال: نعم يا رسول اللّه، قال: كنتَ تنظُر إلى عثمانَ ورقيّة تعجُّباً من حُسنهما، قال: صدقتَ يا رسول اللّه. ولما تُوفيت رقيّة زوّجه عليه السلام أمَّ كُلْثوم، ثم لما تُوفيت قال: لو كانت لنا ثالثةٌ لزوّجْناكَها؛ فهو ذو النُّورين لهذه القصة.

ودخل يوماً أبو الحسن بنُ طَباطَبا دارَ أبي عليّ بن رُسْتم فرأى على بابه عثمانيَّيْن أسودَيْن قد لبِسا عمامتين حَمراوَيْن، فامتحنَهما فوجدهما من الأدب خاليَيْن، فلما تمكن في مجلس ابن رستم دعا بالدواة والقِرْطاس وكتب:

أرى ببابِ الدارِ أسوَدَينِ ... ذَوَي عِمامتَيْنِ حمراوَيْنِ
كجمرتَيْن فوقَ فَحْمَتَيْنِ ... قد غادرا الرفْض قَريرَ العَيْنِ
جدُّكما عثمانُ ذو النُّورَيْن ... فما لَه أنسَل ظُلمتَيْنِ!
يا قُبْحَ شَيْنٍ صادرٍ عن زَيْنِ ... حدائدٌ تُطبَع من لُجيْنِ
ما أنتما إلّا غُرابا بَيْنِ ... طِيرا فقد وقَعتُما للحَيْنِ
ألمُظهرَيْن الحبّ للشيْخيْنِ ... ذرَا ذَوي السُّنَّةِ في المِصْرَيْنِ
وخلِّياً الشيعة للسِّبْطَيْنِ ... للحَسَن الطيّب والحُسَيْنِ
ستُعطَيان في مَدَى عامَيْنِ ... صَكّاً بِخُفَّينِ إلى حُنَيْنِ

فاستظرَفَها ابنُ رُسْتَم وحفظها الناس[٢].

٤٣٠ ـ ذو الشهادتيْن: خزيمة بنُ ثابت الأنصاري، سمّاه رسول اللّه ﷺ ذا الشَّهادتين، وذلك أن يهوديًا أتاه فقال: يا محمد اقضني دَيْني، فقال عليه السلام: أوَ لَم أقضِكَ! قال: لا، فقال: إن كانت لك بيّنةٌ فهاتِها، وقال لأصحابه: أيّكمْ يَشهَد أني قضيتُ اليهوديَّ مالَه؟ فأَمسَكوا جميعاً؟ فقال خزيمة: أنا يا رسولَ اللّه

(١) اللطف: البّر والهدية.
(٢) أ: «وسارت وحفظها الناس»: وفي ب: «فسارت هذه الأبيات وحفظها الناس».

أُشهِدك أنك قضيتَه، قال: وكيف تَشهد بذلك ولم تَحضُره ولم تَعلَمه؟ فقال: يا رسول اللّه، نحن نصدِّقك على الوَحْي من السماء، فكيف لا نصدِّقك على أنّك قضيتَه، فأنفَذَ عليهِ السلام شهادته، وسمّاه ذا الشّهادتين لأنّه عليه السلام صيّرَ شهادتَه شهادةَ رجلَين.

٤٣١ ـ **ذو العَيْنيْن**: قَتادة بنُ النُّعمان الأنصاري، شهدَ بَدْراً والعَقَبة، وأَصِيبتْ عينُه يومَ أُحُد فردّها رسول اللّه ﷺ بيَدِه بعدما سقَطتْ على خدّه، فكانت أحسنَ وأصحّ من عينِه الأخرى، وكان لا يشتكيها إذا اشتكى أختَها، وليس(١) هكذا عيون الناس.

٤٣٢ ـ **ذو الرأي**: هو حُباب بنُ المنذر بن الجَموح صاحب المشورة يومَ بَدْر، أخذَ رسولُ اللّه ﷺ برأيه، ونَزَل جبريلُ عليه السلام فقال: الرأيُ ما قال حُباب، وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة.

٤٣٣ ـ **ذو اليدين**: هو عُميْر بن عبد عمرو من خزاعة؛ وكان يعمل بيديه جميعاً فقيل له: ذو اليدين. وكان يدعى ذا الشّمالين. وهو الذي ذُكِر في الحديث الذي يَروُونَ فيه أنّ رسول اللّه ﷺ صلّى بهم الظهر فسلّم في الركعة الثانية، فقال ذو اليدين: يا رسولَ اللّه، أقَصَرْتَ الصلاة أم نَسيتَ؟ فقال: ما كان ذاك. فقال: بلى يا رسول اللّه، فالتفت إلى أصحابه فقال: أحقٌّ ما يقول ذو اليَدَين؟ قالوا: صَدَقَ يا رسولَ اللّه، فنهَضَ فأتَمَّ، ثم قال: إنّي لأَنْسَى، أو أُنَسَى لأَسُنّ».

قال ابن قتيبة: هو ذو اليَدَين، وليس هو بذي الشمالين الذي استُشهِد يومَ بدر(٢).

وقال الجاحظ: كان يقال له ذو الشمالين فسماه النبي ﷺ ذا اليَمينين.

٤٣٤ ـ **ذو المشهَّرة**: هو أبو دُجانَةَ الأنصاريّ وكانت له مُشهَّرة؛ إذا لَبِسها وبرَزَ يتمايل بين الصفين لم يُبقِ ولم يذَر، وأَرضى اللّه ورسوله.

٤٣٥ ـ **ذو النور**: هو عبد اللّه بن الطُّفَيل الأزديّ أو الدَّوْسيّ. ويقال: بل طُفَيل بن عمرو بن طُفَيل، أعطاه رسول اللّه ﷺ نُوراً في جبينه ليدعوَ به قومَه، فقال: يا رسول اللّه، هذه مُثْلة ـ أو قال شُهْرة ـ فجعله في طَرَف سَوْطه، فكان

(١) ب: «وما هكذا».
(٢) المعارف ٣٢٢.

كالمصباح يضيء لَهُ الطريقَ بالليل، ولما رجع إلى قومه دَوْس ليُعلمَهم جعلوا يقولون: إنّ الجبل ليَلتَهب. وكان أبو هريرة رضيَ اللّه عنه ممن اهتدى بذلك النُّور في بعض الحديث.

٤٣٦ ـ ذو العِمامة: هو سعيد بنُ العاص بن أميّة، أبو أُحَيحة، كان يقال له ذو العمامة لأنه كان في الجاهلية إذا لبس عمامتَه لم يلبس قرشيّ عمامةً حتى ينْزعها، كما أنّ حرب بنَ أميّة إذا حضر ميتاً لم يَبكِه أهلُه حتى يقوم، وكما أن أبا طالب كان[١] إذا أطعم لم يطعم أحد يؤمّه غيره، وكما أنّ سعيد بن العاص[٢] إذا شرب الخمر لم يشربها أحد حتى يتركها. وزعَم بعض أصحاب المعاني أنّ هذا اللقب إنما لزم سعيداً كناية عن السُّؤدَد، وذلك أنّ العرب تقول للسيد: فلان معمَّم؛ يريدون أنّ كل جناية يَجنيها الجاني من تلك القبيلة أو العشيرة فهي معصوبة برأسِه، وإلى هذا المعنى ذهبوا في تسمِيتِهم سعيد بنَ العاص: ذا العِمامة وذا العصابة.

ولما طلَّق خالدُ بن يزيد بن معاوية[٣] آمنة بنتَ سعيد بنِ العاص وتزوجها الوليد بن عبد الملك قال في ذلك خالد:

فتاةٌ أبوها ذو العِصابةِ وابنُه ... أخوها فما أكفاؤُها بكثيرِ

وكان خالد شريفَ المَنكح، تزوج أم كلثوم بنت عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب، وآمنة بنتَ سعيد بن العاص، ورَمْلَة بنت الزبير؛ ففي ذلك يقول بعض الشعراء يُغْرِي به عبد الملك بن مروان:

عليك أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ ... ففي خالدٍ عمّا تُحِبُّ صُدودُ
إذا ما نظرْنا في مَناكِح خالدٍ ... عرَفْنا الذي يَنوِي وأين يُريدُ

٤٣٧ ـ ذو الثُّدَيَّة: ويقال له ذو اليُديّة؛ لأن إحدَى يديْه كانت مُخدَجة؛ وذو الثُّدَيَّة؛ لأن تلك اليدَ المُخدَجة[٤] كانت كالثدي، وعليها شَعَرات كشارب السِّنَّور، وهو شيخُ الخوارج وكبيرُهم الذي علّمهم الضلال. وكان النبي ﷺ أمر بقتله وهو

(١) المعارف ٣٢٢.
(٢) ط: «أسيد بن أبي العيص»، وأثبت ما في أ، ب.
(٣) وَرَدَ الاسم في الأصول محرفاً وصوابه من المعارف لابن قتيبة ٢٢١.
(٤) المخدجة: الناقصة الخلق.
(٥) كع عنه: جبن وضعف.

في الصلاة، فكَعَّ(١) عنه أبو بكر وعمرُ رضي اللّه عنهما، فلما قصده عليٌّ رضيَ اللّه عنه لم يرَه، فقال له النبيّ ﷺ: «أما إنك لو قتلتَه لكان أوّل فتنة وآخرها». ولما كان يوم النَّهْرَوَان وُجِد بين القَتلَى، فقال عليّ رضي اللّه عنه: إيتُوني بِيَدِهِ المُخدَجة، فأتِيَ بها، فأمر بنَصْبِها.

٤٣٨ ـ ذو اليَمِينَيْن: هو أبو الطيّب طاهر بن الحسين بنُ مُصعَب الذي يُنسَب إليه الطاهريّون، كتب إليه بعضُ أصحابه كتاباً عَنْوَنَه بهذين البيتين:

لـلأمـيـرِ الـمـهـذَّبِ الـمـكـنَّـى بـطَـيِّـبِ
ذي الـيَـمِـيـنَـيْـنِ طـاهـرِ بْـ ـنِ الـحُـسـيـنِ بـنِ مُـصـعَـبِ

وسأل المعتصمَ جماعةٌ من خواصّه عن معنى سببِ تسمية طاهرٍ ذا اليمينين فلم يعلَموا، فقال محمد بنُ عبد الملك: ذو الاستحقاقين؛ استحقاق ما لجدّه زُرَيق في الدولة، واستحقال مالَه في دولة المأمون؛ قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]، أي بالاستحقاق، وقال الشّمّاخ:

إذا مـا رايَـةٌ رُفِـعَـتْ لِـمَـجْـدٍ تَـلـقَّـاهـا عَـرابَـةُ بـالـيـمِـيـنِ(٢)

أي بالاستحقاق، واليمين بمعنى الاستحقاق.

وقال غيره: إنّما سُمِّيَ ذا اليَمِينَيْن لأنَّ المأمون كتب إليه لما فرغ من أمر المخلوع: يا أبا الطَّيِّب؛ يمينُك يمينُ أمير المؤمنين، وشمالُك يمينٌ؛ فبايِعْ بيمينِكَ يمينَ أميرِ المؤمنين. فَفَعل، فلَزِمه هذا الاسم.

٤٣٩ ـ ذو الثِّفِنات: كان يقال لكلٍّ من علِيّ بن الحسين بن علِيّ، وعلِيّ بن عبد اللّه بن العباس: ذو الثّفِناتِ، لمَا على أعضاء السجود منهما من السّجّاداتِ الشبيهة بثَفِنات الإبِل، وذلك لكَثْرة صلاتِهما، قال دِعْبِل:

مَـدَارِسُ آيـاتٍ خَـلَـتْ مـن تِـلاوةٍ ومَـنْـزِلُ وَحْـيٍ مُـقْـفـرِ الـعَـرَصـاتِ(٣)
وبـابـن عـلـيّ والـحـسـيـنِ وجـعـفـرٍ وحـمـزةَ والـسّـجّـادِ ذي الـثَّـفِـنـاتِ

قال المبرّد: وكانت لعلِيّ بن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهم خمسمائة أصل زيتون، يصلّي كل يومٍ عند كل أصلٍ ركعتين(٤).

---

(١) ديوانه: ٩٧.
(٢) ديوانه: ٣٦.
(٣) الكامل ٢/٢١٧.

٤٤٠ ـ **ذو القَلَمين**: عليّ بن [أبي][١] سعيد بن كنداجيق[٢]؛ كان يُسمَّى ذا القَلَمين لأنه كان يتولى ديوانيْ الخراج والجيش للمأمون بن الرشيد.

٤٤١ ـ **ذو الرِّياستيْن**: هو الفضل بن سَهْل، سمَّاه المأمون ذا الرياستين لأنه دبّر له أمر السيف والقلم، ووَلِيَ رياسةَ الجيوش والدواوين. وقد أوردتُ نِكَتَ أخبارِه في كتاب: «فضل مَن اسمُه الفَضْل».

٤٤٢ ـ **ذو الوَزارتَيْن**: كانوا قد عزموا على أن يسمُّوا صاعدَ بنَ مَخْلَد ذا التَّدبِيرَين؛ فقال لهم عُبيد اللّه بنُ عبدِ اللّه بنِ طاهر: لا تسمّوه بشيء ينفرد به عنكم، فسمّوه ذا الوزارتين، يَعْنُون وزارة المعتمد ووزارة الموفّق.

ومدح ابن الروميّ بني نوبخت، وكانوا مختصّين بصاعد، فأراد أن يذكر ذا الوزارتين واجتباءه إياهم: فلم يستقِم له ذِكر ذي الوزارتين، فسمّاه ذا الفِناءَين حيث قال:

ولمّا اجتباهمْ ذو الفِناءَين صاعِدٌ غَدَا وهو مسرورٌ بهمْ غير نادِمِ

٤٤٣ ـ **ذو الكِفَايتيْن**: هو أبو الفَتْح بن أبي الفضل بن العَميد سُمِّيَ ذا الكِفايتين لكفايته ركن الدولة أبا عليّ أمورَ الدواوين والجيوش وقد أوردتُ نِكَتَ أخبارِه وغُررَ أشعارِه في كتاب «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»[٣].

٤٤٤ ـ **ذات النِّحْيَيْن**: هذليّة[٤] جرى بها المَثَل في الشغل والشحّ فقيل: أشغل من ذات النِّحيَيْن، ومن حديثها أنّ خوّات بن جُبَير الأنصاريّ في الجاهلية حضر سوق عُكاظ، فانتهى إلى هذه المرأة وهي تبيع السمن، فأخذَ نِحْياً[٥] من أنحائها، ففَتحه ثم ذَاقَه ودفعَ النِّحيَ في إحدى يديْها، ثم فتح نحياً آخر ودفع فمَه في يدها الأخرى، ثم كشفَ ذيلَها وواقَعها وهي غيرُ ممانعتِه لحفظ فم النِّحْيَين، ولم تدفعه خوفاً على السَّمْن حتّى قضى حاجتَه، فلما قام عنها قالت له: لا هنَّاك اللّه، فرفع خوّات عقيرتَه وقال[٦]:

وأمِّ عيالٍ واثِقين بكَسْبِها[٧] خَلَجتُ لها جارَ استِها خَلَجاتِ

---

(١) زيادة من الجهشياري ٣٠٥.
(٢) أ، ب: «كنداحين».
(٣) في الجزء الثالث ١٣٧ ـ ١٦٢.
(٤) أ، ب: «هي اسم امرأة تُسمى هداية».
(٥) النحي: زق السمن.
(٦) الميداني أ: ٣٧٦.
(٧) الميداني: «بعقلها».

وأخـرجـتـه رَيَّـانَ يـقـطـرُ رأسُـه من الرامَكِ المخلوطِ بالمَغَراتِ[١]
شَغَلـتُ يَدَيْـهـا إذ أردتُ خِلاطَـهـا بنِحْيَيْـنِ من سَمْـن ذوي عَـجَـواتِ
فكان لـهـا الوَيْلات من تَرْك نحيـهـا وويـلٌ لـهـا مـن شـدّة الـطَّـعـنَـات
فشدّت على النِّحْيين كَفّاً شحيحةً علـى سَمْنِها والفَتْكُ من فَعَلاتي

فضرَبَتِ العرب بها المَثَل فقالوا: أنكَح وأغلَم من خَوّات، وأشغل[٢] وأشحَ من ذاتِ النِّحْيَيْن.

والرامَك: ضربٌ من الطيب: والمُغْرة من الطِّين تتضايقُ بها نساءُ العَرَب كما يتضايَقْنَ بعَجَم الزبيب.

٤٤٥ ـ ذات النِّطاقين: هي أسماءُ بنتُ أبي بكر الصِّديق رضي اللَّه عنه، وكانت تحت الزبير رضي اللَّه عنه، ومنها عبدُ اللَّه والمنذر وعُروة وعاصم، وإنما سُمّيتْ ذاتَ النِّطاقيْن لأن رسول اللَّه ﷺ لما تجهز مهاجراً ومعه أبو بكر، أتاهما عبدُ اللَّه بنُ أبي بكر وهما في الغار ليلاً بسُفرتِهما[٣] ومعه أسماء، وليس للسُّفرة شِناق[٤] فشقّت له أسماء مِنْ نِطاقِها فشنقتْها به، فقال لها رسولُ اللَّه ﷺ: قد أبدلك اللَّه بنطاقِك هذا نطاقَيْن في الجنة فقيل لها: ذاتُ النِّطاقين.

ولما قاتل أهلُ الشام عبدَ اللَّه بنَ الزبير بمكة كانوا يصيحون به يا بن ذاتِ النِّطاقين. وهو يقول: ابنُها أنا واللَّهِ، ثم يُنشد.

وعَـيَّـرهـا الـواشُـون أنّـي أُحِـبُّـهـا وتـلْـكَ شَـكَـاةٌ ظـاهـرٌ عـنـكَ عـارُهـا[٥]
فـإن أَعـتـذِرْ عـنـهـا فـإنّـي مـكـذَّبٌ وإن تـعـتـذِرْ يُـردَد عـلـيـهـا اعـتـذارُهـا[٦]

وكان يُقال: لو كان أبناء أبي بكرٍ كبناته لعزّ على عمرَ نَيْل الخلافة، لأنّ عائشة صاحبةُ يوم الجمل، وأسماء هي التي حَضَّتْ ابنَها عبدَ اللَّه بنَ الزبير على صدق القتال والجدّ في المكافحة والتحصّن بالكعبة. ولما قال لها عبد اللَّه وقد اشتد به الأمر في محاصرة الحجاج إيّاه: يا أُمّ، إني لا أخاف القتلَ ولكن أخافُ

---

(١) المَغرات: جمع مغرة بفتح فسكون، وهي صبغ أحمر.
(٢) ط: «أسفل» تحريف.
(٣) السفرة: جلد يوضع فيه الطعام ويُتخذ للمسافر.
(٤) ب: «سناق»، تصحيف، والشناق: الخيط الذي يعلق به الشيء.
(٥) لأبي ذؤيب الهذلي، ديوان الهذليين ١/ ٢١، ٢٢.
(٦) في، ب: «عليك».

المثلة، فقالت: يا بُنَي إن الشاة المذبوحة لا تألّم للسَّلخ، فسارقولُها مثلا. ولما قُتِل عبدُ اللَّه وصُلب تقدَّمت أسماء إلى الحجاج فقالت له: يا حجّاج أما آن لراكبك أن ينزِل! فأمر بإنزاله [وكان آلى على نفسه ألّا ينزله أو تتكلم أمه في شأنه][1]، وكان عبدُ اللَّه يسمَّى العائذ، لأنه عاذَ بالبيت، ولما حبسَ عبدُ اللَّه ابنَ الحنفية في خمسة عشر رجلاً من بني هاشم وقال: لتبايِعنِّي، أو لأحرِّقنّكم قال كُثيِّر فيه:

تُخبِّر مَن تَلقاهُ أنَّك عائذٌ ... بل العائذُ المحبوسُ في سجنِ عارِمِ

وإنَّك آلُ المصطفَى وابنُ عمّه ... وفكّاكُ أغلالٍ وقاضي مغارِمِ

وسجن عارم الذي حبَسهم فيه سُمّيَ بذلك. وقال ابن الرُّقيات في مكة:

بلدٌ يأمَنُ الحمائمُ فيه ... حيث عاذَ الخليفةُ المظلومُ[2]

وكان عبدُ اللَّه يُدعَى المُحِلّ، لإحلاله القتال في الحَرَم، وقال شاعر في رثاء صاحبه:

ألا مِنْ لقلبٍ مُعَنَّى غَزِلْ ... بحُبِّ المُحِلَّةِ أُخْتِ المُحِلّْ

٤٤٦ ـ **ذات الخِمار**: هُنَيدة بنتُ صعصعة وعمّة الفرزدق. وكانت تقول: مَن جاءت من نساء العرب بأربعة يحِلّ لها أن تضع خِمارَها عندَهم كأربعتي فصِرمتي لها[3]: أبي صعصعة، وأخي غالب، وخالي الأقرع بن حابس، وزوجي الزِّبْرِقان بن بَدْر، فسمّيتْ ذاتَ الخِمار لذلك.

قال الزبير بنُ بكّار: كان هندُ بن أبي هالةَ رَبيب النبي ﷺ يقول: أنا أكرم الناس بأربعة: أبي رسول اللَّه ﷺ، وأميّ خديجة وأختي فاطمة، وأخي القاسم. قال الزبير: فهؤلاء الأربعة لا أَرْبَعتُها.

٤٤٧ ـ **ذاتُ الأنْواط**: شجرة عظيمة خضراء كانت قريشٌ ومَن سواهم من الكفار من العرب يأتونها كل سنة، فيعلِّقون عليها أسلحتَهم ويذْبحون عندَها، ويقومون عندها يوماً. حدّث وهبُ بنُ جُبير بإسناده عن أبي واقد الليثي قال: لما فَصَلْنا مع رسول اللَّه ﷺ إلى حُنَين مَرِرْنا بها، فلمّا رأينا السِّدْرة[4] ونحن

---

(١) تكملة من ب.

(٢) ديوانه: ١٩٣.

(٣) الصرمة: جماعة الإبل.

(٤) السدرة: شجرة النبق.

يومئذ حديثُو عهدٍ بالجاهلية، فسار بنا من جانِب الطريق، فقلنا: يا رسول اللّه، إجعَل لنا ذات أَنْواط كمالَهم[١]، فقال لهم رسول اللّه ﷺ: «اللَّه أكبر، أرَى هذا واللَّهِ كما قال قومُ موسَى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]؛ أمّا إنّكم لتَركَبُنّ سَنَنَ من كان قبلَكم حَذْوَ النَّعلِ بالنَّعْل». ومَضَى على وجهِه[٢].

---

(١) الأنواط: المعاليق.

(٢) لم يذكر المؤلف «ذا السيفين»، وقد أشار إليه في أول الباب.

في ذِكر النِّساء المضافاتِ والمنسوبات يُتَمَثّلُ بهنّ

بنات طارِق، بنات الحارث بنِ هشام، بنات نُصَيب، بنت الحارث بن عبّاد، زَرْقاء اليمامة، عجائز الجنّة، عجوزُ اليَمَن، حمّالة الحَطَب، خَضْراء الدِّمَن، زوانِي الهِند، صَواحِب يوسف، ضرائرُ الحسناء.

الاسْتِشْهادُ

٤٤٨ ـ **بنات طارق**: ذَكَر الزبير بنُ بكّار بإسناد له أنّهنّ بنات العَلاء بنِ طارق بن الحارث بن أميّة بن عبد شمس بن المرقّع؛ من كنانة يُضرَب بهنّ المثل في الحُسن والشّرف.

وعن محمد بن يحيى، عن غسّان بن عبد الحميد، قال: رأتْ عائشةُ رضي اللّه عنها بنات طارق اللاتي يقلن:

نحنُ بناتُ طارِقِ ... نَمشِي على النَّمارِقِ

فقالت: أخطأ من يقول: إن الخيل أحسنُ من النساء.

وقالت هند بنتُ عُتْبة لمُشرِكِي قريشٍ يومَ أُحُد:

نحن بناتُ طارِقِ ... نمشي على النَّمارِقِ

والدُّرُّ في المخانِقِ ... والمِسْك في المَفارِقِ

إنْ تُقبلوا نُعانِقِ ... أو تُدبِروا نُفارِقِ

فِراقَ غيرِ وامِقِ

وعن يحيى بنِ عبد الملك: جلستُ ليلةً وراء الضحّاك بن عثمانَ المخرْوميّ في مسجد رسول اللّه ﷺ وأنا متقنّع، فذكَر الضحّاكُ وأصحابُه قولَ هندٍ يومَ أُحُد: «نحن بَنات طارِقِ»، فقالوا: ما طارق؟ فقلت لهم: النجم، فالتفت الضحّاك فقال: يا أبا زكريّا، وكيف بذلك؟ فقلت: قال اللّه تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ ـ ٣]، وإنما قالت: نحنُ بنات النجم، لشرفِه وعلوّه، فقال: أحسنت.

٤٤٩ ـ بنات الحارث بنِ هشام: يُضرَب بهنّ المثل في الحُسن والشرف وغلاء المهر، وأبوهنّ الحارثُ بنُ هشام بن المغيرة المخزوميّ؛ قال الجاحظ: بنو مخزوم ضُربَ بهم المثَل، ووُصِفوا في كل غاية، فقيل: أنْبَه من مخزوميٍّ وكانت قريشٌ وكنانة ومَن والاهم يؤرِّخون بثلاثة أشياء: كانوا يقولون:

كان ذلك زمن(١) بناء الكعبة. وكان ذلك عام الفيل، وكان ذلك عامَ موتِ هشام، قال عبد اللّه بن ثور الخفاجيّ:

فأصبحَ بطنُ مكّةَ مقشعرّاً كأنّ الأرضَ ليس بها هشامُ(٢)

قال الجاحظ: وهذا مَثَل وفوقَ المثَل، وقال مسافر(٣) بن عمرو:

تقول لنا الرُّكبانُ في كلّ منزلِ أماتَ هشامٌ أم أصابكُمُ الجَدْبُ

فجعل موتَه وفقدَ الغيثِ سواء. وكانت بنو مخزوم تسمَّى ريحانةَ قريش لحُظوة نسائها عند الرّجال، وكانت الجارية تُولَد لأحدِ آلِ الحارث بن هشام فتتباشر النساءُ بها، ويُرِينَ أهلَها أنهم أغنياء لرغبة الخُطّاب فيها، ولذلك قال ابن هَرْمة من قصيدة:

ومَن لم يُرِد مدحي فإنّ قصائدي نَوافِقُ عند الأكرمينَ سَوامِ(٤)
نَوافِقُ عند المشتري الحمدَ بالنَّدَى نَفاقَ بناتِ الحارث بنِ هشامِ(٥)

ولما زوّج الوليدُ بنُ عبدِ الملك ابنَه عبدَ العزيز بأمّ حكيم بنت يحيى بن الحَكَم، وأمّها بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان يقال لها: الواصلة، لأنّها وصلت الشرف بالجمال، أمهَرَها بأربعين ألفَ دينار. وقال لجَريرٍ وعَدِيّ بنِ الرقاع: أغدُوا علَيّ فقولَا في عبد العزيز وأمّ حكيم، فَغَدَوَا عليه، وأنشدَه جرير قصيدة منها:

ضَمّ الإمامُ إليه أكرمَ حُرّةٍ في كل حالاتٍ من الأحوالِ

(١) ط: «من»، وما أثبته من أ، ب.
(٢) الكامل ٢/ ١٤٢.
(٣) ط: «مساخر» تصحيف.
(٤) أ، ب: «نوافذ».
(٥) النفاق: الرواج.

حكمِيَّة عَلَت الحرائرَ كلّها ... بمفاخر الأعمام والأخوالِ
فإذا النساء تفاضلَتْ ببُعولةٍ ... فضَلَتْهمُ بالسَّيِّد المِفضالِ

ثم قام عَدِيٌّ فأنشَد:

قمرُ السماء وشمسُها اجتَمَعَا ... بالسعد ما غابَا وما طَلَعا
ما وارتِ الأستارُ مثلهما ... فيمن رأى منهمْ ومَن سمعَا
دامَ السرورُ له بها ولها ... وتهنَّيَا طولَ الحياةِ معَا

فقال له الوليد: لئن أقللتَ فلقد أحسنتَ، وأمَر له بضعف ما أَمَر لجرير.

وعَدِيٌّ هذا أوّل من شَبّه الزوجين بالشمس والقمر، ومنه أخذ الشعراء هذا التشبيه وأكثَروا.

٤٥٠ ـ **بنات نُصَيْب**: قد تقدم ذكرُهن في الباب الخامس عشر، وضَرَب الناسُ المثَلَ بهنّ للبنت يَضِنّ بها أبوها على مَن يَخطُبها، ولا يُرَغِّب فيها مَن يرضاه لها فتبقَى معنَّسة[١].

٤٥١ ـ **بنت الحارث بن عُبَاد**: ممن يُتمثل بها من النساء في الشرف والجمال بنت الحارث بن عباد، وأنشد الجاحظ لامرأة من بني مُرّة:

جاؤوا بحارثة الضّباب كأنّما ... جاؤوا ببنت الحارثِ بنِ عُبادِ

٤٥٢ ـ **زَرقاء اليَمامة**: العَرَب تضرِب المثلَ بها في جَوْدة البَصَر وحِدّة النظر، ويُقال: إنّ اليمامة اسمُها، وبها سُمِّيتْ بلدُها اليمامة، ثم أضيفت[٢] إلى البلدة فقيل: زَرْقاء اليمامة. واسمُ البلدة جَوّ، وربّما قيل زَرْقاء الجوّ، كما قال أبو الطيّب المتنبي:

وأَبصرُ من زرقاء جَوٍّ لأنني ... إذا نظرتْ عينايَ شاءهما عِلْمي[٣]

وهي امرأة من جَديس كانت تُبْصِر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلما قَتَلَتْ جَديس طسماً خرج رجلٌ من طسْم إلى حسّان بن تُبّع فاستجاشه وأرغبَه، فخرج في جيش جرّار، فلما كانوا من جوٍّ على مسافة ثلاثة أيام صعدت الزرقاء السطح

---

(١) أ، ب: «منسية».
(٢) إلى هنا آخر الموجود من نسخة ا.
(٣) ديوانه: ٤/ ٥٢. شاءهما، أي سبقهما.

فنظرتْ إلى الجيش، وقد أُمروا أن يَحمِل كلّ رجل منهم شجرةً يستتر بِها ليلبسوا عليها، فقالت [الزرقاء(١)]: يا قوم، قد أتتكم الشجر، أو أتتكم حِمْير، قد أخذت أشياء تجرَّر(٢) فلم يصدّقوها، ولم يستعدُّوا؛ أحلِف باللّه لقد أرى رجلاً ينهَش كَتِفاً، أو يَخصِف نَعْلاً، فلم يصدِّقوها، حتى صبّحهم حسّان فاجتاحهم، وأخذ الزرقاء فشقّ عينيها، فإذا فيهما عروقٌ سودٌ من الإِثْمِد، وقد ذكَرَها الأعشى فقال:

ما نظرتْ ذاتُ أشفارٍ كما نظرتْ ... حقّاً كما نَظَر الدُّبْسِيُّ إذ سَجَعا(٣)
قالت أرَى رجلاً في كفّه كتِفٌ ... أو يَخصِفُ النّعلَ لَهفِي أيةً صَنَعا

وإيّاها عَنِي النابغة بقوله:

واحكُمْ كحُكم فَتاةِ الحيّ إذ نظرتْ ... إلى حَمام سراعٍ واردِ الثَّمَدِ(٤)
قالت ألا لَيْتما هذا الحَمامُ لنا ... إلى حمامتِنا أو نِصْفُه فَقَدِ(٥)

ولها قصة معروفة سائرة، ويضرب بها الناس المثل(٦).

٤٥٣ ـ عجائز الجنّة: روى الزبيرُ بنُ بكّار بإسناد له قال: كان عروة بنُ الزبير عند عبد الملك(٧) بن مروان، فذكر أخاه عبد اللّه، فقال: قال أبو بكر كذا وكذا، وفعل أبو بكر كذا كذا، فقال له بعضُ الحاضرين: أتكنّيه عندَ أمير المؤمنين! لا أمَّ لك! فقال له عروة: إليَّ يقال: لا أُمّ لك وأنا ابن عجائز الجنة! يعني صَفِيّة بنتَ عبد المطلب عمّةَ رسول اللّه ﷺ، وهي أمّ الزبير، وخديجة بنت خُوَيْلِد سيدة نساء العالمين، وهي عمّة الزبير، وعائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، وهي خالة ابنِ الزبير، وأسماء ذات النِّطاقَين [بنت أبي بكر الصديق(٨)] وهي أمّه.

٤٥٤ ـ عجوز اليَمَن: قال وهب بنُ منبِّه: استعمل علينا عبدُ اللّه بن الزبير رجلاً مِنّا، وكان دميماً يلقب بعجوز اليَمَن، فقدمتُ على ابن الزبير في وفد اليمن

(١) من ب.
(٢) تجرّر، أي تتجرّر وتتسحّب.
(٣) الدبسي: ضرب من الحمَام.
(٤) ديوانه: ٢٣.
(٥) هذا البيت ساقط من ط.
(٦) ساقط من ط.
(٧) ط: «عبد الله» وهو خطأ.
(٨) ساقط من ط.

وعنده عبد اللّه بنُ خالد بن أسَيد، فقال لي: يا عبدَ اللّه، كيف عجوزُ اليَمَن؟ فلَم أُجبْه؛ فأعادَها مراراً، فلما أكثَرَ قلتُ: أَسلمتْ مع سليمانَ للّه ربِّ العالمين، قال: فما فعلتْ عجوزُ قريش؟ قال: وما عجوزُ قريش؟ قلت: أم جميل[١] حمّالة الحطب، في جيدها حبلٌ من مَسَد، فضحك ابنُ الزبير وقال لابن خالد: أسأْتَ المسألة، وأحْسَنَ الجواب.

٤٥٥ ـ حمّالة الحَطَب: هي أم جميل[٢] بنت حرب، وأخت أبي سفيان التي ذكرها اللّه تعالى في سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، يُضرَب بها المثل في الخُسْران، فيقال أخسر من حمّالة الحَطَب، قال الشاعر:

جمعتَ شيئاً ولم تُحرِزْ له بدَلاً لأنتَ أخسَرُ مِن حمّالة الحَطَبِ

ولقِيَ الفضلَ بن عبّاس بن أبي لهب الأحوَصُ الأنصاريُّ الشاعر، فأنشدَه الأحوَص مِن شعرِه، فقال له الفضل: إنك لشاعر، ولكنك لا تُحسِن أنْ تُؤبِدَ، فقال: بلى، واللّهِ إنّي لأحسِن أن أُوبِدَ حيث[٣] أقول:

ما ذاتُ حبلٍ يراها الناسُ كلُّهم وسطَ الجحيم ولا تَخفَى على أحدِ
ترى حبالَ جميعِ الناسِ من شَعَرٍ وحبلُها وسْطَ أهلِ النارِ من مَسَدِ

فأجابه الفضلُ بن عباس فقال:

ماذا تريدُ إلى شَتْمي وَمنقَصتي[٤] أم ما تعيِّر من حَمّالة الحطبِ
غرّاءُ سائلةٌ في المجد غُرّتَها كانت سلالةَ شيخٍ ثاقبِ الحَسَبِ

٤٥٦ ـ خضراء الدِّمَن: هذه من جَوامِع كَلِم النبيّ ﷺ القليلة الألفاظ، الكثيرةِ المعاني، التي لم تَسبقه العربُ إليها، ولمّا قال عليه السلام: إيّاكم وخَضْراء الدِّمَن، قيل يا رسولَ اللّه، وما خَضْراء الدِّمن؟ قال: المرأة الحَسناء في منبِت السَّوْء. وحَكَى الهَمذاني عن أبي الفتح الإسكندريِ[٥] في إحدى مقاماته:

عُلِقتُ خَضْراءَ دِمْنَهْ شَقِيتُ منها بإبْنَهْ

---

(١) ط: «جبل».
(٢) تؤبد: «تأتي بالأوابد.
(٣) ط: «حين».
(٤) ب: «ماذا ترى لي من».
(٥) ط: «الإسكندراني».

٤٥٧ ـ زَواني الهند: قال الجاحظ: إنما سارَ الزِّنا وطلب الرجال في نساء الهند أعمّ لأن شهوَتَهنّ للرجال أشدُّ، فلذلك اتخذ الهنود[١] دورا للزواني. قال: ومن إحدى عِلل حبهن للزنا ورغبتهن وفارة البَظْر والقَلَفة فإنّ البظْراء تجد من اللذة ما لا تجده المختونة، وأصلُ خِتان النساء لم يحاوَل به الحُسن دونَ التماسِ نُقصانِ الشهوة، ليكون العفافُ مقصوراً عليهن؛ ولذلك قال النبي ﷺ لأم عطيّة الخاتنة: «أشمّيه ولا تَنْهَكيه؛ فإنه أسرَى للوجه، وأَحْظَى عند البَعْلِ»[٢]، كأنَّه أراد أنه ينقُص من شهوَتها بقدر ما يردها إلى الاعتدال، فإن شهوتها إذا قلّت ذهب التَّمتع، ونَقَصَ حبُّ الأزواج، وحبّ الزوج قيدٌ دونَ الفجور.

وذكر صاحب كتاب «المسالك والمَمالِك» أن عامة ملوك الهند يَرَوْن الزنا حلالا[٣] خَلَا ملِك قَمار. قال: وقد دخلتُ مدينتَه وأقمتُ بها سنتين فلم أرَ ملكاً أغيَر في الأشربة منه، فإنه يُعاقِب على الزنا والشُّرب بالقتل، فأما غيرُه من ملوك الهند فإنهم جميعاً يرَوْن الزنا مباحاً، ولا يتحاشَوْن عنه، غير أن من أحصَن منهم امرأةً فعرَض لها عارض فزَنيا جميعاً قُتِل الرجلُ والمرأةُ قَتلاً ذريعاً.

٤٥٨ ـ صواحب يوسف: يقال للنساء عند شكايتهن وذم أخلاقهن، قال النّبيُّ ﷺ لبعض نسائه وهو يعاتبُها: «إنكنّ صواحبات يوسف» وقال أبو تمام:

فهنَّ عَوادي يوسفَ وصواحبُهْ[٤]

٤٥٩ ـ ضرائر الحَسناء: يُضرب مثَلاً لحسَّاد[٥] الأفاضل، قال الشاعر:

حسَدوا الفَتَى إذ لم ينالوا سعيَهُ ... فالقومُ أعداءٌ له وخُصُومُ[٦]
كضرائر الحَسْناء قُلْنَ لوجهها ... حسداً وبُغْضاً إنه لَدَميمُ

---

(١) ط: «الهند».
(٢) نهاية ابن الأثير ٢/ ٢٣٧، «شبه القطع اليسير بإشمام الحرف، والنهك بالمبالغة فيه، أي اقطعي بعض النواة ولا تستأصليها».
(٣) ط: «مباحاً».
(٤) ديوانه: ١/ ٢٢٣ وبقيته:
* فعَزماً فقِدْماً أَدْرَكَ السُّؤلَ طالِبُهْ *
(٥) في ب: «لحاسد»؛ وهو وجه أيضاً.
(٦) لأبي الأسود الدؤلي، ديوانه: ٥١.

فيما يُضَاف ويُنسَبُ إلى النساء

كَيْد النساء، رأيُ النساء، نَخْلة مريم، عَرْش بلْقيس، ذنب صُحْر، شُؤْم البَسُوس، عِطْر مَنْشم، حمق دُغَة، رغيف الحَوْلاء، عزَّة أم قِرْفة، قوة الزبّاء، يوم حليمة، نكاح أم خارجة، بَرْد العجوز، غُلْمةَ سجاح، بيت عاتكة، حمّام مِنْجاب، سوق العَرُوس، مرآة الغريبة، سوداء العروس، بكاء الثَّكلَى، ليلة العروس، أصابع زينب، فحش مومسة، داء الضرائر.

الاسْتِشْهادُ

٤٦٠ ـ **كيد النساء**: يُضرَب به المثَل في كل زمان ومكان، قال بعض السَّلَف: إن كيد النساء أعظمُ من كَيْد الشيطان، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وقال[1]: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]، فإن قيل: إن هذا الكلام لم يحكِه اللَّه عن نفسه، وإنما حكاه عن غيره حيث قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]، قيل: قد صَدَقتم، والصفة على ما ذكرتم، إلا أن الكلام لو كان منكراً لأنكره اللَّه تعالى، ولو كان مَعيباً لعابَه تعالى، وقد حكاه اللَّه تعالى ولم يَعبْه، وجعله قرآناً وعظَّمه بذلك، والمعنى مما لا يُنْكَر في العقل ولا في اللغة ولا في الكلام، إذا كان على هذه الصفة فهو مثله[2] إذا كان هو المنشىء له.

ومما قيل في كيد النساء:

كادَني المازنيُّ عند أبي الـ ... ـعبّاس والفَضْلُ ما علمت كريمُ
شُبِّهها بالنساء في كل أمرٍ ... إنّ كيدَ النساءِ كيدٌ عظيمُ

وقال يحيى بن علي المنجّم:

رب يومٍ عاشرتُه فتقضَّى ... بعد حمدٍ عن آخرٍ مذمومِ

---

(١) ط: «ويقول».

(٢) ط: «فهو كما».

يا لقومي لضعفه ولكيد مثلِ كيدِ النساءِ منه عظيمِ!

٤٦١ ـ **رأي النساء**: يُضرب به المثل في الوَهَن والخطأ؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «شاوِرُوهنّ وخالفُوهُنّ». وقال: «ذَلَّ من أسندَ أمرَه إلى رأيِ امرأة».

وقال الشاعر:

شيئانَ يعجزُ ذو الرصانة عنهما[1] رأيُ النِّساء وإمرةُ الصِّبيان
أما النساء فميلهنّ إلى الهوى وأخو الصِّبا يَجري بغير عِنانِ

٤٦٢ ـ **نخلة مريم**: قال ابن سمكة: من أمثالهم: أعظمُ بركةً من نخلةِ مريم، قال: وكانت نخلةُ مريمَ العَجْوة، وقال اللّه تعالى في قصتها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

وقال صاحب كتاب المسالِك والممالك: هي في بيت لحم[2]، ويقال: إنّها غُرِستْ منذ أكثر من ألفيْ سنة، وهي منحنِيَة.

ومن بارع التمثُّل بها قولُ الشاعر:

ألم ترَ أنّ اللّه أوْحى لمريم[3] وهُزِّي إليكِ الجِذْعَ يسّاقَطُ الرُّطَبْ
ولو شاء أن تَجنيهِ من غيرِ هَزِّهِ جَنَتْه ولكنْ كلُّ شيء له سَبَبْ

٤٦٣ ـ **عرش بِلْقيس**: يُضرَب به المثل، كما قال الشاعر:

مَطبخُ دَاود في نظافَتِه أشبَهُ شيءٍ بعرشِ بِلْقيسِ
ثيابُ طبّاخِه إذا اتَّسختْ أنقى بياضاً مِنَ القراطيسِ

وكما قال السريّ الموصليّ في وصف قوّادٍ حاذق:

من ذَمّ إدريسَ في قيادتِه فإنّني حامدٌ لإدريسِ[4]
كلّم لي عاصِياً فكان له أطوَعَ من آدم لإبليس
وكان في سُرعة المجيءِ به آصَفُ في حَمْلِ عرشِ بِلْقيس

٤٦٤ ـ **ذَنبُ صُحْر**: صحر امرأة وهي بنتُ لقمانَ[5] بن عاد، وكان أبوها

(١) ب: «ذو الرياضة».
(٢) ط: «بيت القدس».
(٣) ط: «قال لمريم».
(٤) ديوانه: ١٥٥.
(٥) في القاموس: «أخت لقمان».

لُقمان وأخوها لُقَيم خرجا مغيرَيْن، فأصابا إبلا كثيرةً فسَبق لُقَيم إلى منزله، وعمدتْ صُحْر إلى جَذور[١] مما قدِم به لُقَيم، وصنعتْ منه طعاماً يكون مُعداً لأبيها لقمان إذا قدِم، وقد كان لقمان حَسَد لُقيماً في تبريزِه عليه، فلما قدَّمتْ صُحْرٌ إليه الطعام وعلِم أنه من غنيمة لُقَيم، لَطَمها لطمةً قضت عليها، فصارت عقوبتها مثلاً لكلّ من لا ذَنْب له ويُعاقَب، وفيها يقول خُفاف بن نُدْبة:

وعباسٌ يدِبُّ لي المنايا[٢] … وما أذنبْتُ إلّا ذَنْبَ صُحْرِ

٤٦٥ ـ **شؤم البَسُوس**: هي بنت مُنقذ التميمية، زارت أختها أم جَسّاس بن مرّة ومع البَسوس جارٌ لها من جَرْم، يُقال له سعد بن شمس، ومعه ناقة له، فرماها كُلَيب وائل لمّا رآها في مَرعىً قد حَماه، فأقبلت الناقةُ إلى صاحبها وهي تَرغو وضَرْعها يَشخب لبناً ودَماً، فلما رأى ما بها انطلقَ إلى البَسُوس فأخبَرها بالقصة، فقالت: وا ذلّاه! وا غُرْبتاه! وأنشأتْ تقول [أبياتاً تسميها العربُ أبياتَ الفَناء، وهي][٣]:

لَعَمريَ لو أصبحتُ في دارِ مُنْقِذٍ … لما ضِيمَ سعدٌ وهو جارٌ لأبياتِي

ولكنّني أصبحتُ في دارِ غُربةٍ … متى يَعْدُ فيها الذئبُ يعدُو على شاتي

فيا سعدُ لا تغررْ بنفسِك وارتحِلْ … فإنك في قوم عن الجارِ أمواتِ

ودُونَك أَذْوادِي فخُذْها وآتني … براحلةٍ لا تَغْدِرنْ ببُنَيّاتي[٤]

فسمعها ابنُ أختِها جسّاس فقال لها: أيتها الحرّة، اهدَئي فواللّه لأقتلنّ بلِقحة[٥] جارِك كُلَيباً، ثم ركب فخرج إلى كليب فطعنه طعنةً أثقلتْهُ فمات منها. ووقعت الحربُ بين بكرٍ وتغلبَ فدامت أربعين سنة، وجرَتْ خطوبٌ يطولُ بذكرها الخِطاب. وسار شؤمُ البَسوس مَثَلاً، ونُسبت الحرب إليها لكونها سببها، فقيل: حربُ البَسوس، وهي من أشهر حُروب العَرَب، والمَثَل بها سائر جداً[٦].

---

(١) ط: «حذور»، تصحيف.
(٢) ط: «يمهد» وأثبت ما في ب، والميداني ٢/ ٢٦٤.
(٣) تكملة من ط.
(٤) الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر، والكثير أذواد.
(٥) اللقحة: الناقة الحلوب.
(٦) الميداني ١/ ٣٧٢.

ومن أملح ما قيل فيها قولُ المغلّسي من قصيدة:

وكأنّ بين يمينه وتراثه حَربَ البسوسِ
وكأنَّه في زُهدِه وعَفافِه بِشْرُ المريسي

٤٦٦ ـ **عِطرُ مَنْشِم**: الأقاويل فيه كثيرة. قال ابن قُتَيبة: أحسنُ ما سمعتُ فيه أن مَنشِم امرأةٌ كانت تبيع العِطْر والحَنُوط، فقيل للقوم إذا تحاربوا وتفانوا: دَقُّوا بينهمْ عِطر مَنْشِم(١).

وقال حمزة بنُ الحسن: كانت مَنشِم عطّارةً تبيع الطِّيب، فكانوا إذا قصدوا حَرباً غَمَسوا أيديهم في طيبها، وتحالفَوا عليه بأن يستَميتُوا في الحرب ولا يولُّوا أو يُقْتَلوا؛ فكانوا إذا دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس: قد دَقُّوا بينهم عِطرَ مَنْشم؛ فلما كثُر منهم هذا القولُ صار مَثَلاً؛ فممن تمثّل به زُهير حيث قال:

تَداركْتُما عَبساً وذُبْيَان بعدَما تفانَوْا ودقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِم(٢)

٤٦٧ ـ **حمق دُغَة**: هي بنت(٣) منعِج، زُوّجت وهي صغيرة في بني العَنْبر، فَحملتْ، فلما ضربَها المَخاضُ ظنّت أنها تحتاج إلى الخَلاء، فبرزتْ إلى بعض الغِيطان ووضعتْ ذا بطنِها، فاستهلّ الوليدُ، فجاءت منصرِفةً وهي لا تظنّ إلا أنها أحدثت فقالت لأمها: يا أمّاه، هل يَفتَح الجَعْرُفاهُ؟ قالت: نعم ويَدْعو أباه؛ فسُبَّ بها بنو العَنبر، فسُمُّوا بني الجَعْراء.

ولها حماقات كثيرة، والمَثَل بحُمقِها مشهور سائر، أنشَدَني الخُوارَزميّ لبعض أهل عصرِه في أبي منصور الأزهريّ الهَرَويّ:

الأزهريُّ وَزَغَهْ وحُمْقُه حُمْقُ دُغَهْ
وَيدَّعِي من جَهْلِه كتابَ تهذيبِ اللُّغَهْ
وهو كتابُ العَيْن إلّا أنّه قد صَبَغَهْ

قال: وإنما نسجَ على مِنوالِ من قال في ابن دُرَيد:

ابنُ دُرَيدٍ بَقَرَهْ وفيه غَيٌّ وَشَرَهْ(٤)

---

(١) المعارف ٦١٣.
(٢) ديوانه: ١٥.
(٣) في أمثال الميداني: «ماريه بنت منعج».
(٤) إبراهيم بن محمد المعروف بنفطوبة؛ معجم الأدباء ١/ ٢٦٤.

وَيـــدَّعِـــي مـــن قِـــحـــةٍ وضـعَ كـتـابِ الـجـمْـهـرهْ
وهـــو كـتـابُ الـعَـيْـن إلّا أنـــه قـــد غَـــيَّـــرَهْ

٤٦٨ ـ رغيفُ الحَوْلاء: من أمثال العَرَب، أشأم من رغيفِ الحَوْلاء، وكانت خبَّازةً في بني سَعْد بن زيدِ مَناة، فمرّت وعلى رأسها كارة خُبْز، فتناوَل رجلٌ من رأسها رغيفاً، فقالت: ما لَكَ عليَّ حق، ولا استطعَمتَني، فلِمَ أخذتَ رَغيفي! أما إنك ما أردت بهذا إلا فلاناً ـ تَعنِي رجلاً كانت في جواره ـ فمرت إليه شاكيةً، فثارَ وثارَ معه قومُه إلى الرجل الذي أخذ الرغيف وقومه فقَتل بينهم ألف نفس، وسار[١] رغيف الحَوْلاء مَثَلاً في الشيء اليسير يجلِب الخطْبَ الكبير.

وفي رسالة ابن العَميد إلى أبي العَلاء السرويّ التي ينكر فيها تَعصُّبه للعَجَم على العَرَب: اقبَلْ وصية خليلك، وامتثِل مشورة[٢] نصيحك، ولا تَتمادَ في مَيْدان الجَهْل يُنْضك[٣]، ولا تتهافت في لجاج يغريك[٤]، واخشَ يا سيدي أن يقال: التحمتْ حربُ البَسوس من ضَرْع دَمِيَ، واشتبكت حربُ غَطَفان من أجلِ بعير قُرِع، وقُتِل ألفُ فارس برغيفِ الَحولاء، وصَبَّ اللَّهُ على العَجَم سَوْطَ عذاب بمزاح[٥] أبي العلاء.

٤٦٩ ـ عزّة أم قِرْفة: قال الأصمعي: من أمثالهم إذا أرادوا العزّ والمَنعة قالوا: إنه لأمنع من أم قِرْفة، وهي بنتُ مالك بن حُذيفة بن بدر، وكان يحرُس بيتَها خمسون سيفاً بخمسين فارساً[٦]، كلهم لها محرَم[٧].

وقال غيرُ الأصمعيّ: هي بنتُ ربيعة بن بدر.

٤٧٠ ـ قوة الزبّاء: هي امرأةٌ من العماليق، وأمُّها من الرُّوم، مَلَكت الجزيرةَ وعَظُم شأنُها؛ فكانت تَغزو بالجيوش، وهي التي غَزَت ماردا والأبلَق ـ وهما حِصْنان في نهاية الوَثاقة ـ فاستصعبَا عليها، فقالت: تمرّدَ مارِدٌ وعَزَّ الأبلق، فذهبتْ

---

(١) ط: «وصار».
(٢) ط: «شور»، تصحيف.
(٣) ينضك: يهزلك.
(٤) ط: «إلحاح يغرك».
(٥) ب: «بمدح».
(٦) أ: «وكان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين فارسا».
(٧) أي أنها لا تحل لواحد منهم؛ كأن يكون أخاها أو عمها، ممن لا تحل لهم.

مَثَلاً[١]، وهي التي فتكتْ بجذيمة الأبرش حتى أخذ ثأره منها قَصير وقَتَلها، والقصة معروفة سائرة[٢].

٤٧١ ـ **يوم حليمة**: هو من أشهر أيام العرب، ولذلك قيل: ما يومُ حليمةَ بسرّ[٣]، وفيه يقول النابغة:

تُخُيِّرْنَ من أزمانِ يومِ حليمةٍ ... إلى اليوم قَدْ جُرِّبن كُلَّ التجارِبِ[٤]

وحليمة بنت الحارث بن أبي شَمِر، وإنما نُسِبَ اليوم إليها لأن أباها وجّه جيشاً إلى المنذر بن ماء السماء، فحضرتْ حليمةُ المعركة محرِّضة لعسكر أبيها على القتال، وأخرجتْ لهم طيباً في مَرْكنٍ[٥] تطيّبهم به. ويَزْعُم العرب أن الغبار ارتفع في ذلك اليوم حتى غَطّى عين الشمس، فظهرت الكواكب، فسار المَثَلُ بذلك، وقيل: لأُرِيَنَّك الكواكبَ ظُهْراً، كما قال طَرَفه:

إنْ تُنَوِّلْهُ فقد تَمْنَعُهُ ... وتُريهِ النَّجمَ يجري بالظُّهُرْ[٦]

٤٧٢ ـ **نكاح أمّ خارجة**: يُضرَب به المَثَل في السرعة، فيقال: أسْرع من نِكاح أمّ خارجة؛ وهي عَمْرة بنت سعد بن عبد اللّه بن بَجِيلة[٧]، كان يأتيها الخاطب فيقول: خِطْب، فتقول: نِكْح[٨].

ويُروَى أنها كانت تسير يوماً ومعها ابنٌ لها يقود جَمَلها، فرفِع لها شخص فقالت لابنها: من ترى ذلك الشخص؟ قال: أراه خاطباً، فقالت: يا بُنيّ تراه يُعجِلنا عن أن نُحلّ، ما له أُلّ وغُلّ[٩].

قال المبرّد: ولدتْ أم خارجة للعرب في نيّف وعشرين حَياً من آباء متفرقين، وكانت هي إحدى النساء اللاتي إذا تزوج منهنّ الرجل فأصبحت عنده كان أمرُها

---

(١) انظر الميداني ١/ ١٢٦، وما ورد: حصن دومة الجندل، والأبلق: حصن للسموأل بن عادياء.
(٢) وفي ط: «عزة الزباء»، وأثبت ما في ب.
(٣) الميداني ٢/ ٢٧٢.
(٤) ديوانه: ٦.
(٥) المركن: آنية.
(٦) ديوانه: ٧١.
(٧) في الميداني ١/ ٣٤٨ «عمرو بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة».
(٨) بعدها في الميداني: «فيقول: انزلي، فتقول: أنخ».
(٩) ماله أل وغل...

إليها، إن شاءت أقامت، وإن شاءت ذهبتْ؛ وكانت علامة ارتضائها للزوج أن تضع له طعاماً كلما تصبح.

ورَوَى الصُّولي عن مشايخه، عن إسماعيل الساحر، قال: خرجتُ مع السيد الحميري وقتَ المغرب، وقد شربنا عند نصر بن مسعود، فلقينا فرحة بنت الفجاءة بن عَمرو بن قَطَري بن الفُجاءة الخارجي راكبة فَرساً، وكانت ظريفةً جميلةً فصيحة جَزْلَة فهمة، فرافقَها السيد وأحسنَ خِطابها وهي لا تعرِفه، فتحاوَرَا أحسن حوار؛ إلى أن خطب إليها نفسَها، فقالت: أعَلى ظَهْر الطريق! فقال: ألم يكن نكاح أمّ خارجة أسرعَ من هذا! فاستضحكتْ وقالت: نصبح وننظر مَن الرجل وممن؟ فأنشد:

إنْ تسأليني بقومي تسألِي رجُلاً ... في ذِروة العز من أحياءِ ذي يَمَنِ
إنّي امرؤٌ حِمْيَرِيٌّ حين تَنسبُني ... جَدِّي رُعَيْنٌ وأخوالي ذَوُو يزَنِ

فعرفته فقالت: يماني وتميمية، ورافِضِيّ وحَرورية، كيف يجتمعان! قال: على ألا نذكر سلفاً ولا مذهباً، فتزوجته سراً، فأقاما معاً في عيشةٍ راضية، ولم ينكر أحدُهما من صاحبه شيئاً حتى فرّق بينهما الموت.

قال مؤلف الكتاب: وممن جمعتهم الصداقة على اختلاف المذاهب الكُمَيت والطِّرِماح، فإنّ الكُمَيت كان رافضياً غالياً، والطرماح كان خارجياً حَرورياً، وكان بينهما أحسَن وألطَف ما يكون بين صديقين شقيقين، فإذا قيل لهما في ذلك قالا: اجتمعنا على بُغْضِ العامة.

ومما ينخرط في سِلْك هذه الحكاية ـ والحديث شُجُون ـ ما حدَّث به ابنُ عائشة، قال: كان للحسن بن قيسِ بنِ حُصين ابنٌ شيعي وابنةٌ حَرورية وامرأة معتزلية[١]، وأخت مرجئية[٢]، وهو سنّيّ جماعي[٣]، فقال لهم ذات يوم: أراني وإياكم طرائِقَ قِدَداً!

مضى الحديث كما يقول إسحاق الموصلي في كتاب الأغاني[٤].

---

(١) ط: «معتزلة» تحريف، صوابه في ب.
(٢) ط: «مرجئة»، تحريف صوابه في ب.
(٣) جماعي، منسوب إلى الجماعة وهم أهل السنة.
(٤) ب: «معنى الحديث».

٤٧٣ ـ بَرْد العَجوز: فيه أقاويلُ مختلفة، فمنها أنْ عجوزاً دُهرية كاهنة من العرب كانت تخبر قومَها ببرْدٍ يَقع في أواخر الشتاء وأوائلِ الربيع فيسوء أثرُه على المَواشي، فلم يكترثوا بقولها وجزّوا أغنامهم واثقين بإقبال الربيع، فلم يلبثوا إلا مُدَيْدة حتى وقع بردٌ شديد أهلكَ الزرع والضَّرع، فقالوا: هذا بَرْد العَجوز ـ يَعنون العجوز التي كانت تُنذر به.

ومنها أن عجوزاً كانت بالجاهلية ولها ثمانية بنينَ فسألتْهم أن يزوِّجوها، وألحّت عليهم، فتآمروا بينهم، وقالوا: إنْ قتلناها لم نأمَنْ عشيرتها، ولكن نُكلِّفها البروز للهواء ثمانيَ ليالٍ، لكل واحد منا ليلة؛ فقالوا لها: إنْ كنت تزعمين أنك شابة فابرُزي للهواء ثمانيَ ليال، فإننانزوجك بعدها، فوعدت بذلك، وتعرّت تلك الليلة والزمان شتاء كلب، وبرزت للهواء فلما أصبحت قالت:

إيــهــاً بَــنِــيَّ إنــنــي لــنــاكِــحَــهْ ... وإن أبــيــتــم إنّــنــي لــجــامِــحَــهْ

هــانَ عــلــيــكــم مــا لــقــيــتُ الــبــارِحَــهْ

فقالوا لها: لا بد أن تنجزي وعدَك في الليالي السبع[1]، ففعلت وماتت في الليلة السابعة.

ونسب العرب إليها برد الأيام الثمانية، وأسماؤها: الصِّنّ الصَّنبر والوبْر وآمر ومؤتمر ومعلل ومطفِىء الجمر، ومكفىء الظعن، وفيها شعر مصنوع:

كُــسِــعَ الــشــتــاء بــســبــعــةٍ غُــبْــرِ ... أيــام شَــهْــلــتِــنــا مــن الــشَّــهْــرِ[2]

فــإذا انــقــضَــت أيــامُ شَــهْــلــتِــنــا ... بــالــصِّــنِّ والــصّــنّــبــر والــوبْــرِ[3]

وبــآمــرٍ وبــأخــيــه مــؤتــمــر ... ومــعــلّــل وبــمــطــفــىءِ الــجَــمْــر

ذهــب الــشــتــاء مــولّــيــاً عــجِــلاً[4] ... وأتــتْــك وافــدة مــن الــحــرّ[5]

وزعم بعض المفسرين أنها الأيام التي أهلك اللّه تعالى فيها عاداً، فقال:

---

(١) ط: «الثمان».

(٢) اللسان (كسع)، ونسبها إلى أبي شبل الأعرابي، وفي (عجز) نسبها إلى ابن أحمر. الكسع: شدة المر. والشهلة: العجوز.

(٣) اللسان:

* صِــنٌّ وصِــنّــبْــرٌ مــع الــوَبْــرِ *

(٤) اللسان: «هربا».

(٥) اللسان: «من النجر».

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٨].

وقد ظرُف ابن المعتزّ في هجاء عجوز نسب إليها البَرْد وأوهم أنه يريد بَرْد العجوز المذكورة، وهو يعني برد عجوز أخرى هجاها، فقال:

جمّدَ بردُ العجوز في كوزها المـ ... ـاءَ وأطفا نيران مجمرِها
فليتَ بَرْدَ العجوز في فَمِها ... وحَرَّها يكونُ في جِرِّها

وقال ابن الرومي وهو يضرب المثل ببرد العجوز:

كنتُ عند الأمير أيّده اللـ ... ـه لأمرٍ وذاك في تمُّوزِ
فتغنّى فهزّني البَرْدُ حتى ... خلتُ أني في وسْط بَرْدِ العجُوز

٤٧٤ ـ **غُلْمة سَجَاح**: بنت عقفان التميمية، أوقح امرأة وأكذبها وذلك أنها كانت كاهنة زمانها، تزعم أن رِئيَّها ورئيّ سطيح واحد، ثم جعلت ذلك الرِئيّ ملكاً حتى ادّعت النبوّة بعد موت النبي ﷺ، ثم تجهّزت في قومها إلى مسيلمة الكذاب، فقال قيس بن عاصم:

أضْحت نبِيَّتُنا أنثى نُطيفُ بها[(١)] ... وأصبحت أنبياءُ اللّهُ ذُكْرانا[(٢)]
يا لعنةَ اللّه والأقوام كلِّهِمُ ... على سَجَاح ومَنْ بالإفك أغْرَانا
أعني مسيلمةَ الكذَّابَ لاسقيتْ ... أصداؤه ماءَ مُزن حيثما كانا[(٣)]

ولما آمنت به[(٤)] بعد جَحدها لنبوّته وبعد مناقضتها إياه وهبت نفسها له، فقال لها:

ألا قومي إلى المخدعْ ... فقد هُيّي لك المضجعْ[(٥)]
فإن شئتِ سلقناكِ ... وإن شِئتِ على أَرْبَعْ[(٦)]
وإن شئتِ بثلثيْه ... وإن شئتِ به أجمَعْ

---

(١) ط: «نطوف».
(٢) البيت الأول في تاريخ الطبري ٢/ ٢٧٤ (المعارف)، والأغاني ١٨/ ١٦٦ (ساسي).
(٣) ط: «ماء حزن» تصحيف.
(٤) ساقطة من ط.
(٥) الطبري ٣/ ٢٧٣، الأغاني ١٨/ ١٦٦.
(٦) سَلَق المرأة: ألقاها على قفاها.

فقالت: بل به أجمع؛ فهو أجمع للشمل، فجرى المثل بغُلمتِها حتى قيل: أغلم من سَجَاح.

قال الجاحظ: لم نعلم أحداً قط ادعى أن اللّه أرسله إلى قوم وآمنوا به ثم زعم أنه كاذب سوى طُلَيْحة وسَجَاح؛ فإنهما تنبّآ ثم أظهرا التوبة، وجلسا يحدثان مَن كان مؤمناً بهما وصدقهما، ويخبرانهم بأنهما كانا فيما يدَّعيان مبطلين كاذبين، وإذا لم تستح فاصنَعْ ما شئت!.

٤٧٥ ـ بيت عاتكة: يُضرب مثلاً في الموضع الذي تعرض عنه بوجهك، وتميل إليه بقلبك، وهو من قول الأحوص:

يا بَيْتَ عاتِكَةَ الذي أتَعزَّلُ ... حَذَرَ العِدَا وبه الفؤاد موكَّل[(١)]
إني لأمنحكِ الصُّدود وإنَّني ... قسماً إليك مع الصدود لأمْيَلُ

ويُحكى أن كلّا من يحيى بن خالد وابن المقفع[(٢)]، مر ببيت النار، فأنشد البيتين، وهما من قصيدة طويلة أنشدنيها[(٣)] الأمير السيد أدام اللّه تأييده يوماً من أولها إلى آخرها، وأنا أسايره، وهو يكسوها أحسن معرض من عبارته، وجودة إنشاده، فسقط سَوْطي من يدي وأنا لا أشعر به، لاشتغال خاطري بها، وانصراف فكري كله إلى جزالتها وبراعتها وشرف منشدها، فلما انتهى إلى هذا البيت:

وأَرَاكَ تَفْعَلُ ما تقُول وبعضُهم ... مذِقُ الحديثِ يَقُولُ ما لا يَفْعَلُ

قال لي: إن لهذا البيت قصة مع المنصور، واستمر في إنشاء تمام القصيدة، فانتهت مسافة الطريق قبل أن أسأله عن تلك القصة؛ وعرضت موانع عن مذاكرته فيها عند النزول والتمكن، ثم وجدتها في أخبار المنصور؛ وهي أنه لما توفيت امرأة أبي بكر الهُذَلي ـ وكانت أمّ ولده والقيّمة بأمور منزله ـ جزع عليها جزعاً شديداً، وبلغ ذلك المنصور، فأمر الربيع بأن يأتيَه ويعزّيه[(٤)]، ثم يقول له: إن أمير المؤمنين موجِّه إليك بجارية نفيسة، لها أدب وظرف، تسليك عن زوجك، وتقوم بأمور دارك، وأمر لك معها بفراش وكُسوة وصِلة. فلم يزل الهذليّ يتوقعها ونسيَها

---

(١) الأغاني ١٨/ ١٩٦ (ساسي)، خزانة الأدب ١/ ٢٤٨ وعاتكة هي بنت يزيد بن معاوية، كما في الأغاني. وأتعزل: أتجنب وأكون بمعزل. والعدا: جمع عدو؛ يُقال بالضم وبالكسر.

(٢) في أمالي المرتضى ١/ ١٣٥ «مع ابن المقفع».

(٣) ط: «أنشد منها» صوابه من ب.

(٤) كذا في ب، وفي ط: «يقربه».

المنصور. ثم إنّ المنصور حجّ ومعه الهذليّ، فقال له وهو بالمدينة: إني أحبّ أن أطوف الليلة في المدينة، فاطلب لي رجلاً يعرف منازلَها ومساكنها وربوعها، وطرقها وأخبارها وأحوالها، ليكون معي فيعرّفني جميعها، فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، فلما أرخَى الليلُ سدوله خرج المنصور على حمارٍ يطوف مع الهذليّ في سكك المدينة، وهو يسأل عن رَبع ربْع، وسكة سكة، وموضع موضع، فيخبره لمن هو، ولمن كان، ويقُصّ عليه قصّته والحال فيه، ثم قال: وهذا يا أمير المؤمنين بيت عاتِكة الذي يقول فيه الأحوص:

يا بَيْتَ عاتكةَ الذي أتعزّلُ ... حذَر العِدا وبه الفؤاد موكّلُ

فأنكر المنصور ابتداءه بذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه، فلما رجع إلى منزله أمرّ القصيدة كلها على قلبه فإذا فيها:

وأراكَ تفعلُ ما تقول وبعضُهمْ ... مَذِقُ الحديث يقول ما لا يفعلُ

فعلم المنصور أنه لم يصِلْ إلى الهذليّ ما وعده إياه من الجارية والكسوة والفراش، فحمل إليه واعتذر له(١).

٤٧٦ ـ **حمّام منجاب**: منجاب امرأة كان لها حمّام بالبصرة لم يُرَ مثله، وكان يُغِلّ غلة كثيرة، وكانت تأتي إليه وجوه الناس، [وفيه يقول](٢):

يا ربّ قائلةٍ يوماً وقد تَعِبتْ ... كيفَ الطريق إلى حمّام منجابِ!

وكان بالبصرة حمّام آخر لامرأة تدعى طيبة، فكسد عليها فقال لها شاعر(٣): ما الذي تجعلينه لي(٤) إن حولت وجوه الناس إلى حمّامك ونفقته لك وتركت حمام منجاب مهجوراً لا يغشى؟ قالت: ألف دِرْهم، قال: فعدّليه وأنا أوفِي لك(٥) بما ضمنته، فعدّلت الألف(٦)، فقال الشاعر:

حمّام طيبَة لا حمّامُ منجابِ ... حمّامُ طيبةَ سخنٌ واسعُ البابِ

(١) الخبر في رواية مخالفة في اللآلي ٢٥٩، ٢٦٠ وابن خلكان ١/ ١٨٥، ١٨٦.
(٢) تكملة من ط.
(٣) ط: «فقال الشاعر لطيبة»؛ وأثبت ما في ب.
(٤) ب: «ماذا عليك إن جعلته نافقارايحا».
(٥) ساقطة من ط.
(٦) عدلته، أي جعلت له عدلاً يساويه.

فترك الناس حمّام منجاب، وأَقبلوا على حمام طيبة، فوفت للشاعر بالألف. وحمّام بُوران[(١)] ببغداد كحمّام منجاب بالبصرة.

٤٧٧ ـ **سوق العروس**: يُضرب به المثل في الحسن، فيقال: أحسن من سوق العروس، وهو مجمع الطرائف ببغداد؛ وما ظنّك بأحسن الأسواق في أحسن البلاد! وكان الخُوارزمي إذا وصف جارية بالحُسْن قال: كأنها سوق العروس، وكأنها العافية في البدن، وكأنها مائة ألف دينار.

وسمعت السيد أبا جعفر الموسوي، يقول: إنما يُضاف إلى العروس كلُّ شيء يجمع المحاسن، كما يُقال: سفينةَ العروس للسفينة الكبيرة التي تشتمل على نفائس الأمتعة للتجارة، وخزانة العروس للخزانة الخاصة من خزائن الملوك، وسوق العروس لأحسن الأسواق وأجمعها لأحاسن الطرائف؛ لأن العادة جارية باحتفال الناس لتجهيز العَرائس بالطرائف والنفائس.

٤٧٨ ـ **مرآة الغريبة**: يُضرب بها المثل، فيقال: أنْقَى من مرآة الغريبة، لأن المرأة الغريبة تتعهد مرآتها من الجلاء بما لا يتعهد غيرها، وتتفقّد من محاسن وجهها ما لا يتفقده سواها، فمرآتها أبداً مجلوّة نقية، قال ذو الرمّة:

وخَدٌّ كمِرآةِ الغريبة أسجحُ[(٢)]

٤٧٩ ـ **سَوداء العَرُوس**: هي جارية سوداء تبرز أمام العروس الحسناء، وتوقف بإزائها[(٣)] لتكون أظهرَ لمحاسنها:

فأحسنُ مرأى للكواكب أنْ تُرَى ... طوالعَ في داجِ من الليل غَيْهَبِ

والشيء يظهر حسنه الضدّ.

ولتكون كالعوذة لجمالها وكمالها، وإياها عنى أبو إسحاق الصابي بقوله في غلام حسن الوجه بيده نبيذ أسود:

بنفسي مقبلٌ يهدي فتوناً ... إلى الشَّرْب الكرام بحسن قَدِّهْ
وفي يده من التَمريّ كأسٌ ... كسوداء العروس أمام خَدِّهْ

---

(١) ط: «بدران» تحريف.

(٢) ديوانه: ٨٨، وصدره:

* لها أُذُنٌ حَشْرٌ وذِفرى أصيلةٌ *

(٣) ب: وتقتفي أثرها.

٤٨٠ ـ **بكاء الثّكْلَى**: يشبّه به البكاء الشديد، كما قال الشاعر:

ولأبكينّ على الحسينِ بدمعٍ جمّ الدمع ساهرْ
ولأبكينّ بكاء ثكلـ ـلَى تسعةً فُجِعَتْ بعاشرْ

٤٨١ ـ **ليلة العروس**: يشبَّه بها ما يوصف بالحسن، كما قال الصاحب:

وشادنٍ في الحسن كالطاووسِ أخلاقُه كليلةِ العَرُوسِ
قد نالَ بالحظّ مِنَ النُّفوسِ ما لمْ تنلْهُ الرومُ من طَرْسُوسِ

٤٨٢ ـ **أصابع زينب**: ضَرْبٌ من الحلْواء ببغداد يدعى أصابع زينب، وفيه يقول أبو طالب المأمونيّ:

وضرب من الحلوى أكني عن اسمِه لوجدي بمن يُعزَى إليه وينسبُ
يصدِّق معناه اسمَه فكأنه بنانٌ وأطرافُ البنان مخضَّبُ

وفيها أيضاً يقول:

أُحِبُّ من الحلواء ما كان مشبهاً بنانَ عَروس في حُبَيْرٍ مَعَصِّبِ(١)
فما حملتْ كفُّ الفَتى متطعّماً ألذّ وأشهى من أصابع زينبِ

وكان، ابن المطرّز شاعر العصر ببغداد عند صديق فأحضر له أصابع زينب، فأهوى إلى واحدة منها ليأخذها، فقبض الصديق على يده وغمزها غمزة آلمته، فقال:

يا مسكري بمدامِهِ ومن الحلاوة مانِعي
حاولْتُ إصبعَ زينبٍ فكسرتَ خمسَ أصابع

٤٨٣ ـ **فُحش مُومسة**: أنشد الجاحظ:

أقسمتُ أنك أنتَ ألأَمُ مَنْ مشى في فُحْش مُومسةٍ وزَهْوِ غُرَابِ(٢)

٤٨٤ ـ **داء الضرائر**: من أمثال العرب قولهم: بينهم داء الضرائر، إذا كان بينهم شرّ دائم وحسد وبغض، لأن الضرائر ببغض بعضهنّ بعضاً ولا يكدْن يخلُون من مُشاجرة(٣).

---

(١) حُبير: مصغّر حبر؛ بُرد يماني، ومعصب: مُفوَّفٌ.
(٢) لحسان بن ثابت، ديوانه: ٦٠، من أبيات يهجو بها الحارث بن هشام بن المغيرة، ونقلها الجاحظ في الحيوان ٣/ ٤٢٤، وابن سيده في المخصص ٣/ ١٠٣. ورواية الديوان «وزوك غراب»، والزوك: المشي المتقارب الخطو.
(٣) ط: «ولا يفرغن من مماحكة ومشاجرة».

في أعضاء الحيوان
وما يُضاف ويُنسب إليها ويُستعار منها

رأسُ لقمان، رأسُ الجالوت، رأسُ المال، رأس العصا، وجه النهار، عين الرِّضا، عين العقل، عين الكمال، عين العُلا، عين القلب، إنسان العين، عَبْد العين، أنف الكرم، فم الفتنة، لسان الحال، جُرح اللسان، أسنان المُشط، سنّ القلم، سنّ النادم، نابُ النوائب، أُذنا عَناق: أذنا الحائط، أذن العود، جُرَيْعاء الذقن، أعناق الرياح، أيدي سبأ، أنامل الحُسّاب، أصابع الأيتام، ظُفر الزمان، كَلْكَل الدهر، صدر الأمر وعَجزُه، ثِمار النحور، ثَدْي اللؤم، سُوَيْداء القلب، ثمرة القلب، قلب العسكر، طلائع القلوب، كبِد السماء، داء البَطْن، ذَكَر الخَصِيّ، شِرْيان الغَمام، حَبْل الوريد، عِرْق الخال.

الاسْتِشْهادُ

٤٨٥ ـ **رأس لقمان**: العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر، كذلك تصف رأسه بالعظم، وتضرب به المثل، كما قال الشاعر:

تـراه يُطَوِّفُ الآفاقَ حِرْصاً ... لـيأكُلَ رأسَ لقمانِ بن عادِ[(١)]

٤٨٦ ـ **رأس الجالوت**: الجالوت[(٢)] رئيس اليهود، كما أنّ الأسقف رئيس النصارى، والموْبذ رئيس المجوس.

٤٨٧ ـ **رأس المال**: العرب تستعير الرأس لكثير من الأشياء، فتقول: رأس المال: ورأس الليل، ورأس الجبل، ورأس الزمان، ورأس القوم، ورأس الجريدة، ورأس الأمر، ورأس العقل، ورأس الدين، ورأس كذا وكذا؛ قال الخليل بن أحمد: اجعل ما في كُتبك رأسَ المال، وما في قلبك

(١) الجاحظ في البيان ٣/ ٣٢١، والقول في البغال ٦٨، ونسبه إلى أبي المهوش الأسدي، وفي الاقتضاب ٢٨٨ ونسبه إلى يزيد بن الصعق.
(٢) ط: «رأس الجالوت».

للنفقة. ومن أمثال التجار: رأس المال أحد الرِّبْحَين، قال ابن الرومي:

كطالب ربحٍ في سبيلٍ مَخوفةٍ فأهلك رأس المالِ والحرصُ قد يُردِي[1]

وقال أبو الشِّيص في رأس الليل:

سقاني بها والليل قد شاب رأسهُ غزالٌ بحنّاء الزجاجة مختضِبْ

وقال ابن المعتز وهو يصف ناقته:

وباتت تُفلِّي هامةَ الليل مثلَما تَغلغَلَ مِدْرًى في قُرونِ كَعابِ

وقال أبو محمد الخازن الأصبهاني:

ورِكابي تَطوِي البسيطةَ بالوَخْـ ـد وتَفْرِي مَفارق الفَلَواتِ[2]

وقال الخزرجيّ في رأس الزمان:

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهرُ وأثوابُ عُمْرِه جددُ

وقال الأعشى في رأس الناس:

لمَّا رأيتُ زماني كالحاً سَمِجاً قد صار فيه رؤوس الناس أذنابا
يَمَّمْتُ خيرَ فتىً في الناس أَعلَمُه للشاهدين به أعنِي ومَن غابا

وقال إبراهيم بن المهدي في رأس الحرْص:

قد شاب رأسي ورأسُ الحرصِ لم يَشِبِ إنّ الحريص على الدنيا لَفِي تَعبِ

وقال أبو تمَّام في رأس الروض وهو يصف دِيمةً:

كَشَفَ الروضُ رأسَه واستَسَرّ الـ ـمَحْلُ منها كما استَسرّ المُريبُ[3]

وقال ابن المعتز في رأس الخمر:

معتقة صاغ المِزاجُ لرأسها أكاليلَ دُرٍّ ما لمنظومها سِلْكُ

وقال الصاحب لفخر الدولة:

يا بانياً للقصر بل للعُلا همُّك والفرقدُ تِربانِ
لم تبْنِ هذا القصر بل صُغتَهُ تاجاً على مفرقِ جُرجانِ

---

(١) في ب: «فأودى ورأس المال» والمعنى عليه يستقيم أيضاً.
(٢) فريت الأرض، أي قطعتها.
(٣) ديوانه: ١/٢٩٦.

وقال بعض السلف: رأس العقل بعد الإيمان بالله مُداراةُ الناس.

وقال آخر: رأس الدِّين، صحّة اليقين. وقال آخر: رأسُ المآثم الكذبُ. وعمودُ الكذِبِ البهتان. وقال ابن المعتز: رأس السخاء أداءُ الأمانة.

٤٨٨ ـ **رأس العصا**: يقال لصغير الرأس: رأس العصا. وكان عمر بنُ هُبيرة صغير الرأس جداً، فقال فيه سُوَيد بن الحارث:

فَمَنْ مبلِغٌ رأسَ العصا أنَّ بيننا ضغائنَ لا تُنْسَى وإن هي سُلّتِ[١]

رضيتَ لقيسٍ بالقليلِ ولم تكنْ أخاً راضياً لو أنّ نعلَك زلّتِ

٤٨٩ ـ **وجه النهار**: وجه النهار: أوله، وقد نطق القرآن بذلك[٢]، ويقال: بدا وجهُ النهار وطَرَّ شاربُه، إذا ابتدأت الظلمةُ فيه[٣].

ومن استعارات الوجه قولهم: وجهُ الدهر، ووجه الأرض، ووجه الأمر، ووجه القوم للرئيس، ووجه التخت للثوب النفيس. ومن استعارت أبي العتاهية للوجه قوله:

يا عاشقَ الدنيا يغرّك وجهُها ولَتندَمَنّ إذا رأيتَ قَفاهَا

ومن استعارات أبي تمام لذلك قوله وهو يعاتب:

فما بالُ وجهِ الشعر أغبَرَ قاتِماً وأنفُ العُلا من عُطلة الشعرِ راغمُ[٤]

وقوله:

كم ماجدٍ سَمْحٍ تناوَل جودَه مَطْلٌ فأصبَح وجهُ آملِهِ قَفَا[٥]

وقولُه وهو يمدح بدراً:

بدرٌ إذا الإحسان قُنِّع لم يزلْ وجهُ الصَّنيعة عنده مكشوفا[٦]

---

(١) البيان ٣/ ٤١.

(٢) وهو قوله تعالى في سورة آل عمران ٧٢ **﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾**.

(٣) طرّ شاربه: نبت.

(٤) ديوانه: ٣/ ١٨٢.

(٥) ديوانه: ٤٠١ (بيروت).

(٦) البيت في ديوانه: ٢/ ٣٨٥ من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف، وروايته «واف إذا الإحسان قنع لم يزل».

وإذا غَدا المعروفُ مجهولاً غَدا معروفُ كفّك عندَه معروفا

ومن استعارات أبي الفتح كُشاجم للوجه قوله:

يا مُعرِضاً عني بوجهٍ مدبِرٍ ووجوهُ دنياه عليه مُقبِلَهْ[1]
هل بعدَ حالِكَ هذه من حالةٍ أو غايةٍ إلا انحطاطُ المنزِلَهْ!

ولم أجد في الشعراء أحسن تصرُّفاً في استعارة الوجه من ابن المعتز، فإنه جاء بالسحر الحلال حيث قال:

تَفَقّدْ مساقِطَ لحظِ المُريبِ فإن العيونَ وجوهُ القلوبِ
وطالِعْ بوادِرَهُ في الكلام فإنك تَجني ثمارَ الغُيوبِ

وقال آخر:

ألم تستَحْيِ من وجه المَشيبِ وقد ناداك بالوَعْظ المُصيبِ
أراكَ تُعِدُّ للآمالِ ذُخْراً فما أعدَدْتَ للأجل القريبِ!

وقال:

قد لَعَمري أطال عنّا صُدوداً وجهُ دهرٍ قاسٍ قليلِ الحياءِ
وضعَ الجهلَ ثم قال اجهدوا جَهْـ ـدَكُمْ يا معاشرَ العُقلاءِ[2]

وقال:

دعِ الناسَ قد طالما أَتْعَبوكَ ورُدَّ إلى اللَّه وجهَ الأملْ
ولا تَطْلُبِ الرزقَ مِن طالِبيـ ـهِ واطلُبْهُ مِمَّن به قد كَفَلْ

وقال:

ولقد أخضِبُ سيفي ورُمْحي ووجوهُ الموتِ سودٌ وحُمْرُ

وقال في الخيل:

زيّنَتْها غُرَرٌ ضاحِكاتٌ كبُدُورٍ في وجوهِ الليالي

وقال في فصوله القِصار: لا تَشِنْ وجهَ العفو بالتأنيب.

وقال: ما أبيَنَ وجوهَ الخيرِ والشر في مرآة إن لم يُصدِئها الهوى!

---

(١) ديوانه: ١٤٤.
(٢) ط: «رفع الجهل».

فأما قول البحتري:

فسلامٌ على جَنابِك والمَنْـ ... ـهَل فيه ورَبْعِكَ المأنوسِ[(١)]
حيث فعلُ الأيام ليس بمَذْمو ... مٍ ووجهُ الزمان غيرُ عَبُوسِ

فهو من أحسن هذه الوجوه كلِّها وآخذِها بمجامع القلوب. ولم يقصّر من قال:

لا تألَمَنّ شحُوبَ وجهِكَ بعدما ... بيَّضْتَ للسلطان وجهَ المَشرِقِ

٤٩٠ ـ **عين الرّضا**: أول من ذكر عينَ الرضا في شعره عبدُ اللّه بنُ معاوية عند جعفر بن أبي طالب حيث قال في الفُضَيل بن السائب، وأرسَل البيتَ الرابع مثلا:

رأيتُ فُضَيْلاً كان شيئاً ملفّقاً ... فكشَّفه التمحيصُ حتى بدالِيا[(٢)]
وأنتَ أخي ما لم تكن ليَ حاجةٌ ... فإن عَرَضَتْ أيقنتُ أن لا أخاليَا
ولستُ براءٍ عيبَ ذي الوُدّ كلَّهُ ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتُ راضياً[(٣)]
فعينُ الرضا عن كل عيبٍ كَليلةٌ ... ولكنّ عينَ السخطِ تُبْدِي المَساويا

ثمّ تَبعه من قال:

وعينُ البُغْض تُبرِز كلَّ عيبٍ ... وعينُ الحُبّ لا تَجدُ العُيُوبا

٤٩١ ـ **عين العقل**: رأى المأمونُ في يد بعضِ ولده دِفْترا، فقال: ما هذا يا بُني؟ فقال: ما يشحذ الفِطْنة، ويؤنِس الوَحْدة؛ فقال: الحمد للّه الذي أراني من وَلَدي مَن يَنْظُر بعينِ عقلِه.

ولابن المعتز من فصوله القِصار: من لم يتأمل الأمرَ بعينِ عقلِه، لم يقع سيفُ حيلتِه إلا على مقتلِه[(٤)].

---

(١) ديوانه: ٢/ ٦٢.

(٢) الأبيات في الأغاني ١٢/ ٢١٤، قال: «يقول للحسين بن عبد الله بن عبد الله بن العباس»، وقال أيضاً عن مؤرج: «الصحيح أن عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديق له يُقال له قُصي بن ذكوان، وكان قد عتب عليه»، ورواه: «رأيت قصياً».

(٣) ساقط من رواية الأغاني، وموضعه هناك:

فَلَا زادَ ما بيني وبينَك بعدَما ... بلوتُكَ في الحاجاتِ إلّا تمادِيَا

(٤) ط: «مقاتله»، وأثبت ما في ب.

وله: الأمانيُّ تُعمِي أعيُنَ البصائر.

٤٩٢ ـ عين الكمال: إذا انتهى الشيء إلى منتهاه، وبلغ غايته، ووافَق ذلك إعجاب من يراه، ثم عرض له بعضُ أعراض الدنيا قيل: قد أصابتْه عينُ الكمال.

وفي الدعاء: صَرَف اللّه عنك عينَ الكمال.

قال مؤلّف الكتاب:

أقول لمولانا خُوارَزْمَ شاهِ لا ... تَزَلْ بنَداك الغَمْرِ للناس مالِكاً
هلِ المجدُ إلا خَلّةٌ من خِلالكا ... أو البدرُ إلاّ نقطةٌ من جَمالكا
جمعتَ المعالي والمحاسنَ كلَّها ... وقاك إلّهُ الناس عينَ كمالِكا

٤٩٣ ـ عين العُلا: أحسنُ ما سمعتُ في استعارة العين للعُلا قولُ أبي تمام يَرثي[١]، وهو من أحسن مَراثيه، ومَراثيه خيرُ شِعرِه:

ألا إن في ظُفرِ المنيّةِ مُهجةً ... تظَلُّ لها عينُ العُلا وهي تَدمَعُ[٢]
هي النفسُ إن تَبكِ المكارمُ فَقدَها ... فمِن بين أحشاءِ المكارِم تُنزَعُ

كما أن أحسن ما سمعتُ في عين القصائد قولُ القاضي أبي الحسن عليّ بن عبد العزيز من قصيدة في الصاحب:

ولي فيك ما لو أُنصِفَ الشِّعرُ صُيّرت ... قَوافِيه كُحلاً في عيونِ القَصائِدِ

ومن العيون المستعارة: عين الشمس، وعين السماء، وعين الماء، وعين الميزان، وعين المتاع، وعين النّرجس، وعين الزمان، وعين المنيّة، وبكلّها نطقتِ الأشعار[٣].

٤٩٤ ـ عين القلب: من ألطَف ما قيل فيها قولُ أبي عُثمَان الناجم:

لئِنْ راحَ عن عيْنيّ أحمدُ غائباً ... فما هوَ عن عينِ الفؤادِ بغائِبِ

ومن أشهرِ ما في ذلك قولُ أبي تمام:

ولذاك قيل من الظنون جليّةٌ ... صِدقٌ وفي بعض القلوبِ عيونُ[٤]

---

(١) يرثي إدريس بن بدر السلمي.
(٢) ديوانه: ٣٧٤ (بيروت).
(٣) ب: «الشعر».
(٤) كذا في ب: والديوان ٣/ ٣٢٦، وفي ط: «وفي بعض العيون قلوب»، وهو خطأ.

ولأبي فراس الحمداني في معناه:

مــن الــسـلـوانِ فــي عــيـنـيـك آيـــاتٌ وآثـــارُ[١]
أراهـا مـنـك بـالـقـلـب ولـي بـالـقـلـب إبـصـارُ[٢]
إذا مـا بَـرَدَ الـقـلـبُ فـمـا تُـسـخـنُـه الـنـارُ

٤٩٥ ـ **إنسان العين**: هو ناظر العين الذي به يُبصِر الإنسان، وإنما سُمِّيَ إنسانَ العين لأن الإنسان يتراءى فيه، قال ذو الرمة:

وإنـسـانُ عَـيْـنـي يَـحـسِـرُ الـمـاءَ تـارة فـيَـبْـدو، وتـاراتٍ يَـجِـمُّ فـيُـغـرِقُ[٣]

وقد ظرف ابن الحجّاج في قوله:

إنَّـك إنـسـانٌ لـه مَـوْقِـعٌ مِـن نـاظِـري فـي جـوفِ إنـسـانِـهِ

وقد ظرُف أبو الفضل الميكاليّ في قوله:

أعـددتُ مـحـتـفـلاً لـيـومِ فَـراغِـي رَوْضـاً غَـدا إنـسـانَ عـيـن الـبـاغِـي
روضٌ يـروضُ هُـمـومَ قـلـبي حُـسْـنُـهُ فـيـه لـكـأسِ الأنـس أيُّ مَـسـاغِ
وإذا بـدتْ قُـضْـبـانُ رَيْـحـانٍ بـه حـيَّـتْ بِـمـثـلِ سَـلاسـلِ الأصـداغِ

وفي ناظر العين يقول منصور الفقيه:

قـالـوا خُـذِ الـعـينَ من كلٍّ فقلتُ لهـمْ فـي الـعَـيْـنِ فضلٌ ولـكـنْ نـاظـرُ الـعـينِ
حَـرْفـان مـن ألـفِ طُـومـارٍ مـسـوّدَةٍ وربّـمـا لـم تـجـد فـي الألـف حَـرْفـيـنِ

٤٩٦ ـ **عبد العين**: هو الذي يَخدمُك ما دامت عينُك تراه، فإذا زال عن عينك زال عن خدمتِك.

قال الجاحظ: يقال للمُرائي ـ وهو الذي إذا رأى صاحبه تحرّك له وأراه السرعة في طاعته، فإذا غاب عن عينه خالف ذلك: عَبْد عين، قال الشاعر:

ومَـولَـى كـعـبـد الـعَـيْـن أما لِـقـاؤه فـيُـرْضِـي وأمّـا غـيـبُـه فـظُـنـونُ[٤]

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٤٤.
(٢) اليتيمة: «وفي الأضلاع أبصار».
(٣) ديوانه: ٢٧٣.
(٤) الحيوان ٣/ ٨٥.

٤٩٧ ـ أنف الكَرَم: قد تصرف الناس في استعارة الأنف بين الإصابة والمقاربة، وأحسَن وأبلَغ ما سمعتُ فيها قولُ النبي ﷺ: «جَدَع الحلالُ أنفَ الغَيْرة».

فأما أنفُ الكَرَم فأحسَبُ أنّ أوّل من قاله بشار بن برد في افتخاره ببيته في العَجَم، وكان يدّعي أنه من نَسْلِ بَهْمن بن دارا، وهو يقول[١]:

ألا أيُّها السائلي جاهِلاً[٢] ... لِيخبرَني أنا أنفُ الكَرَمْ[٣]
نَمَتْ في الكِرام بني عامرٍ ... فروعي وأصلي قريشُ العَجَمْ[٤]

وقال لأبي عمرو[٥] بن العلاء:

أنت أنفُ الجودِ إن زايَلْتَه ... عَطِسَ الجودُ بأنفٍ مُصْطَلَمْ

ثم تبِعه ابنُ الروميّ وزاد عليه وأحسَن في قوله:

لو كنتَ عينَ المجدِ كنتَ سوادَها ... أو كنتَ أنفَ الجود كنتَ المارنا

ومن استعارات الأنف قولُهم: أنف الجبل، وأنف الباب، وخَيْشوم الرَّبْوة، وليس يُعجِبني قولُ سَهْل بن هارون: القلم أنفُ الضمير: إذا رَعُف أعلن أسرارَه وأبان آثارَه، ولا قولُ بعضهم في وصف القَلَم:

أنفُ البلاغة في البياضِ رُعافُه ... أحوَى وأحمَرُ من سوادِ الجَحْفل
يُمسِي ويصبحُ لاقحاً من فكرِهِ ... وضُمورُه أبداً ضُمورُ الحُيّلِ[٦]

ولا قولُ بعض المؤدِّبين حيث قال:

لأنتَ أبرَدُ من ثَلجٍ على جَمَدٍ ... ومن خسيفٍ على خَيْشومِ مِزرابِ[٧]

ولا قول أبي تمام:

لنا أيامُ لم تُذمِ الليالي ... بذكر البَيْن عِرْنينَ الصفاء

(١) الأغاني ٣/ ٢٣٨.
(٢) في ط: «السائل»، وما أثبته من ب والديوان.
(٣) الأغاني: «ليعرفني»، وفي ط: «ليخبراني» تصحيف.
(٤) ط: «فرش العجم»، والصواب ما أثبته من ب والأغاني.
(٥) ط: «عمرو» تصحيف، والبيت ساقط من ب.
(٦) ط: «الحفل».
(٧) المزراب والمرزاب كلاهما بمعنى واحد.

بل يُعجِبُني قولُ أبي الحسَن الموسوي النقيب في الطائع:

مَلِكٌ سَمَا حتَّى تحلّقَ في العُلا ... وأذَلَّ عِرْنينَ الزَّمانِ السَّامِي[1]

٤٩٨ ـ فم الفتنة: قال بعض الحكماء: من سَدّ فم الفتنة كُفِيَ شرَّها، ومن أَضرَم نارَها صار طعاماً لها[2].

وفي الكتاب المبهج: إذا كانت البلدةُ شاغرةً، كانت أفواهُ الفِتَن فاغرة واستعارات الفم أكثرُ من أن تُحصَى.

ووصَفَ أعرابي قوماً[3] فقال: كانوا إذا اصطفُّوا سَفَرتْ بينهم السِّهام، وإذا تصافحوا بالسيوف فغَرتْ المنايا أفواهَها:

وقال بعض شعراء الرشيد يرثيه:

يا ساكناً جدَثا في غير منزله ... ويا فَريسةَ دهرٍ غيرِ مَفروسِ
لا يومَ أولَى بتخريق الجيوبِ ولَا ... لَطْمِ الخدود ولا جَذْعِ المعاطيسِ
من يومِ طوسَ الذي نادت بمَصرعِه[4] ... على المنابِر أفواهُ القَراطيس

وقال ابنُ المعتز:

حَلَوْتُ بأفواهِ النوائب بعدَه ... فما تشبعُ الأيامُ والدهرُ مِن أَكْلِي

وقال أيضاً:

وأَلسنةٍ من العَذَباتِ حُمْرٍ ... تُخاطِبُنا بأفواهِ الرِّماحِ
فجادَتْ ليلَها سَحّاً وهَطْلاً ... وتَسْكابا كأفواهِ الجِراح

وقال أبو فراس الحَمْداني:

رأى الثَّغْر مَثْغورا فسَدَّ بسَيْفِه ... فَمَ الدهر عنه وهو ثُعبانُ فاغِرُ

وقال أبو الطيب المتنبي[5]:

لقد حَسُنتْ بك الأيامُ حتى ... كأنَّك في فم الدنيا ٱبتسامُ[6]

---

(١) ديوانه: ٧٧٣.
(٢) ب: «طعامها».
(٣) ط: يوماً» تصحيف صوابه من ب.
(٤) ط: «من يوم موت»، صوابه من ب.
(٥) ديوانه: ٤/ ٨٠.
(٦) رواية الديوان: «حسنت بك الأوقات».

وقال السّلامي[١]:

يحلو بأفواه الأصابع صَفْعُه ... حتى كأنَّ قَذالَه من سُكَّرِ

٤٩٩ ـ لسانُ الحال: قال بعضُ بُلَغاء الحكماء: لسان الحال، أنْطَقُ مِن لسان المعقال. وإلى هذا المعنى أشار البحتري بقوله:

هل تُصْغِيَنْ لأخ يقولُ بحالِه ... مستَغنياً عن قوله بلسانِه[٢]

زلَّتْ بعَقوته الخُطوبُ طَوارِقاً[٣] ... فتخوّنَتْه وأنتَ من إخوانِه

وأنشَدَني أبو نصر محمد بن عبد الجبّار العتبيّ[٤] لنفسه:

لا تَحسَبنّ بشاشتي لك عن رِضاً ... فَوَحقِّ فضلِك إنّني أتملّقُ[٥]

وإذا نطقتُ يشكر بِرّكَ مفصِحاً ... فلسانُ حالي بالشِّكايةَ أنْطَقُ

ومن الاستعارات الحسنة للِّسان قولُ بعضهم: لكلّ شيء لسان، ولسانُ الزمان الشِّعر، وقول الآخر: الاستطالةُ لِسان الجَهْل، وقولُ بعضُ الفلاسفة: الخط لِسانُ اليَد.

وكان يُقال لابن العميد: لسانُ المَشرَفيّ.

ولابن المعتز من رسالة: يَعزّ علَيّ أن يَكثُر دونَ تلاقينا عددُ الأيام، وتعبِّر عن ضمائرنا ألسُن الأقلام.

وللصاحب: وقفتِ الشمسُ للغُبار، وشافَه الليلَ لسانُ النهار.

ولأبي نصر العُتْبي: لسانُ التقصير قصير.

وقال بعض الشعراء في وصف الميزان:

ولقد نظرتُ إلى حكومةِ حاكمٍ[٦] ... بلسانِه يَقْضي ولا يتكلّمُ

وقال آخر:

لسانُ الدمع أفصَح من لساني ... فلا تسألْ سواهُ بعلم شاني

---

(١) ب: «العلائي».

(٢) ديوانه: ٢/ ٣١٥، وروايته: «مستعتباً إذ لم يقل بلسانه».

(٣) ط: «نزلت به بعض الخطوب»، وأثبت ما في ب والديوان.

(٤) ساقطة من ط.

(٥) اليتيمة ٤/ ٣٧١.

(٦) ب: «ولقد جلبت».

وقال آخرُ في وصف شمعة:

إذا غازَلَتْها الصَّبا حرّكتْ لساناً من الذهب الأملَسِ

وقال السَّريُّ في وصف ليلةٍ باردة:

وقد سَفَر البرقُ عن شدّةٍ لسانُ السماء بها ناطِقُ[١]

وقال بعضُهم في وصف الفُقّاع:

شيخٌ يسيلُ له لسانٌ طارِدٌ بالبَرْدِ حَرَّ خمارِهِ المتوهِّجِ

٥٠٠ ـ **جُرح اللسان**: قال امرؤ القيس:

وجُرحُ اللسان كجُرحِ اليَدِ[٢]

وقال بعض الحكماء: جُرح اليد يُجبَر، وجُرح اللسان لا يُبقِي ولا يَذَر.

وقال الشاعر في معناه:

جراحاتُ السيوف لها التئامٌ ولا يَلْتامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ[٣]

وفي الحديث: «وهل يُكِبُّ الناس في النَّارِ على مناخِرِهم إلا حصائِدُ ألسنتِهم».

٥٠١ ـ **أسنان المُشْط**: يُضرَب بها المَثَل في التساوي والتشاكل. وفي الحديث: «الناسُ كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية».

وقال كُشاجِم أبو الفَتْح:

تَشاكَلُوا فأَشكَلُوا فهمْ كأسنانِ المُشْطْ[٤]

وقال ابن المعتز:

ونحنُ بنو عمٍّ كما انفَرَجَ المُشْطُ

وقال الصَّنوبَري وأحسَن:

أُناسٌ هُمُ المُشطُ استواءً لَدَى الوغَى إذا اختلفَ الناسُ اختلافَ المشاجِبِ[٥]

---

(١) ديوان: ١٩٩.

(٢) ديوانه: ١٨٥، وصدره:

* وَلَوْ عَنْ نَثَا غيره جاءَني *

(٣) ط: «جراحات السنان».

(٤) ديوانه: ١١٣.

(٥) المشاجب: جمع مشجب، وهي خشبات منصوبة توضع عليها الثياب.

٥٠٢ ـ **سِنُّ القلم**: قال بعض البُلَغاء: في إحدى سِنَّيِ القلم أَرْيٌ، وفي الأُخْرى شَرْيٌ[١]؛ وهو معنى قول القائل:

وبين ثلاثٍ من أَناملِ كفِّه قضيبٌ به تَحيَا النفوسُ وتُقتلُ[٢]

٥٠٣ ـ **سِنّ النادم**: من أمثال العرب في الندامة قولُهم: قَرَعَ فلان سِنَّ نادِم. وقال جرير:

إذا رِكبتْ قيسٌ خُيولاً مغيرةً على القيْنِ يَقرعْ سِنَّ خَزْيانَ نادم[٣]

وقال آخرَ:

لَتَقرَعَنّ عليَّ السِّنَّ من نَدَمٍ إذا تذكّرتَ يوماً بعضَ أخلاقِي[٤]

٥٠٤ ـ **نابُ النوائب**: قال ابن المعتز:

قد عَضّني نابُ النوائبْ ورأيتُ آمالي كَواذِبْ
والمرءُ يعشَقُ لذّة الـ ـدُّنيا فيغتفِرُ المصائبْ

وسمعتُ الخُوارَزمي يقول في ذكر بعض المنكوبين: قد عَضّه نابُ النائبة العُظْمى، ورُمِيَ بسهم الحادثة الجُلّى، وحَصَل في أسر الطامة الكبرى. وأحسنُ ما سمعتُ في ناب الدهر قولَ الأمير أبي الفضل الميكاليّ في أبيه:

ولمّا تَتابعَ صَرْفُ الزمانِ فزِعْنا إلى سيِّدٍ نابِهِ
إذ كَشَرَ الدهرُ عن نابِهِ كشفْنا الحوادثَ عنّا بِهِ

٥٠٥ ـ **أذن الحائط**: من أمثالِهم: للحيطان آذان، أي خَلْفَها من يَسمع ما تقول: قال الطرائفيّ الأبيوَرْدي:

سِرُّ الفَتَى من دمِه إنْ فَشَا فأَوْلِهِ حفظاً وكِتمانا[٥]
فاحتطْ على السرّ بكتمانِه فإنّ للحيطانِ آذانَا

---

(١) الأري: العسل. والشري: الحنظل أو شجره.
(٢) في ب: «قضيب به يحيا الأنام ويُقتل».
(٣) ديوانه: ٥٦١.
(٤) لتأبط شراً، من المفضلية الأولى ص ٣١.
(٥) يتيمة الدهر ٤/١٢٦.

وأنشَدَ أبو حفص عمرَ بن عليّ لنفسه:

وبـــاردِ الـــطـــلـــعـــةِ حـــاذَانَـــا   واســـتَـــرَقَ الـــســـمـــع فـــآذانَـــا
فـقـلـتُ لـلـجُلّاسِ لا تَـنـبِـسـوا   فـــإنّ لـــلـــحـــيـــطـــان آذانَـــا

ومن الآذان المُستعارة قولُ أبي عليّ البصير:

إذا مـــا شـــالَ شَـــوّالٌ عـــكـــفْـــنَـــا   عـــلـــى زِقّ وبـــاطـــيَـــةٍ رَزُومِ[1]
وإنْ هَـــمٌّ أَطـــافَ بـــنـــا عَـــرَكْـــنـــا   بـــأيـــدي الـــكـــأسِ آذانَ الـــهُـــمـــومِ

وقال آخرَ في أُذُن العُود:

وكـــأنَّـــه فـــي حِـــجْـــرهـــا وَلَـــدٌ لـــهـــا   ضـــمّـــتْـــه بـــيـــن تـــرائـــبٍ ولَـــبَـــانِ[2]
طَـــوْراً تُـــدغـــدِغُ بـــطـــنَـــه فـــإذا هَـــفَـــا   عـــرَكَـــتْ لـــه أُذنـــاً مـــن الآذانِ

ولم أسمع في استعارةِ الآذانِ أحسنَ وأبلغَ من قول السيد الأمير أدامَ اللَّه علوَّه في رسالة له: واللَّهُ يمتِّعه بما يَمنَحه من خصائصَ هيَ في آذانِ الزمان شُنُوف، وفي جيدِه عِقدٌ مرصوف.

٥٠٦ ـ **أذنا عَناق**: من أمثال العَرَب: جاء بأُذُنيْ عَناق[3]؛ إذا جاء بالكذِب والباطل. ويُقال أيضاً: إنها من أوصاف الدواهي نعوذ باللَّه منها!.

٥٠٧ ـ **جُرَيْعاء الذَّقَن**: من أمثال العرب عن أبي عبيدة والأصمعي: أفلَتَ فلانٌ بجُرَيْعة الذَّقَن وجُرَيْعاءِ الذَّقن[4] أي أفلت وقد بلغتْ نفسُه موضَع الذقن، وهذا مثل للمُفلِت من الهلاك بعد قُربِه منه؛ وأنشَدَ:

مِـــلْـــنـــا عـــلـــى وائـــلٍ وأَفْـــلَـــتَـــنـــا   أَخُـــو عِـــدِيٍّ جُـــرَيْـــعَـــةَ الـــذقَـــنِ[5]

٥٠٨ ـ **أعناق الرياح**: يُضرب مثلاً للمسرِع المجدّ، فيقال: ركب أعناق الرِّياح، أي من سرعة سَيْرِه، قال أبو فِراس:

عَـــدَتْـــنـــي عـــن زيـــادتِـــهِ عَـــوادٍ   أقـــلُّ مَـــخـــوفِـــهـــا سُـــمْـــرُ الـــرِّمـــاحِ[6]

---

(١) رزم الشيء: جمعه. وفي ب: «ردوم».
(٢) الترائب: عظام الصدر. واللبان: الصدر.
(٣) الميداني ١/ ١٦٣.
(٤) الميداني ٢/ ٦٥، قال: وهو تصغير جرعة، وهي كناية عما بقي من روحه».
(٥) من أبيات للمهلهل، ذكرها الجاحظ في الحيوان ٣/ ١٣٤، وانظر اللسان (جرع).
(٦) يتيمة الدهر ١/ ٤٣.

ولـو أنّـي أطـعـتُ رَسـيـسَ شَـوْقِـي ركـبـتُ إلـيـه أعـنـاقَ الـرِّيـاحِ

٥٠٩ ـ أيدِي سَبَأ: من أمثال العرَب في التفرق: ذهبوا أَيْدي سَبَأْ، أي متفرِّقين؛ وأصلُه من قصة سبأ والسيل العَرِم الذي خَرّبها وفرّق أهلَها، ولهم يقول اللَّه عزّ ذِكرُه: ﴿ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبأ: ١٩].

ومن أمثالِهم: يد الدهر، أي الأبَد. وللشعراء في استعارة اليد تصرُّف كثير، ومن أحسن ذلك قولُ لَبيد:

وغـداةِ ريـحٍ قـد كـشـفـتُ وقـرّةٍ قد أصبحتْ بيدِ الشَّمالِ زِمامُها(١)

وقول ابن المعتزّ:

سـقـاهـا بِـعـانـاتٍ خَـلـيـجٌ كـأنـه إذا صـافَـحَـتْـهُ راحـةُ الـرِّيـح مِـبْـرِدُ

وقوله:

كـيـفَ يَـبـقـى عـلـى الـحـوادث حَـيٌّ بـيَـدِ الـدهـرِ عُـودُه مـنـحـوتُ!

وقال سعيد بن حُميد:

كـلَّـمـا أحـرَزتْ يـدايَ نَـفـيـسـاً أسـرعـتْ نـحـوَه يـدُ الـحـدثـانِ(٢)

وقال السّريّ:

مـقـدودةٌ خَـرَطـتْ أيدِي الـشـبـابِ لـهـا حُـقَّـيْنِ دونَ مـجـالِ العِـقْـدِ مِن عاجِ(٣)

وقوله:

يقول خُذْها فكفُّ الصبح قد أَخذتْ في حَلِّ جيْبٍ من الظَّلماء مَزْرورِ(٤)

٥١٠ ـ أنامل الحُسَّاب: يُشبَّهُ بها ما يُوصَف بالسرعة، كما قال ابن المعتز في وصف فرسٍ له:

ولـه أربَـعٌ تـراهـا إذا هَـمْـ(٥) لَـجَ تَـحـكِـي أنـامِـل الـحُـسّـابِ

وقال غيره في وصف البرق:

أرِقْـتُ لـبـرْقٍ سَـرَى مُـوْهِـنـاً خـفـيًّـا كـغَـمْـزِكَ بـالـحَـاجِـبِ

(١) ديوانه: ٣١٥، وروايته: «قد وزعت».
(٢) كلمة «كلما» سقطت من ط.
(٣) ديوانه: ٦٧.
(٤) ديوانه: ١٤٥.
(٥) ب: «تراه».

كأنّ تألّقه في السّماءِ يَدا كاتبٍ أو يَدا حاسِبِ

٥١١ ـ أصابع الأيتام: قال بعض السلف: احذَروا أصابعَ الأيتام ـ يعني رفعَهم إياها في الدعاء على الظالم ـ وهذا كما قيل: احذَروا مجانيق[١] الضعفاء، أي دعواتهم[٢]. وفي أصابعِ الأيتام يقول أبو فِراس:

أبذُل الحقَّ للخُصومِ إذا ما عَجزتْ عنه قدرةُ الحُكّامِ[٣]
رُبَّ أمرٍ عَففَتُ عنه اختياراً حذراً من أصابعِ الأيتامِ

٥١٢ ـ ظُفْر الزمان: قد أكثَروا في ذلك، ومن محاسنِه قولُ ابن الروميّ:

أنا بين أظفارِ الزمانِ وخائفٌ منه شَبَا الأنياب والأضراسِ

٥١٣ ـ كَلْكَل الدهر: يُستعار كَلْكَل البعير للدّهر إذا أَخْنى على الإنسان، فيُقال: قد أَلقَى عليه الدهر كَلْكَلَه؛ كما قال ابنُ الرّومي:

أما ترَى الدهر قد أَلقَى كَلاكِلَهُ على فَتىً بينكمْ مُلْقٍ كَلاكِلهُ!

وكما قال الآخرَ:

إذا ما الدهرُ جَرَّ على أُناسٍ كَلاكِلَه أَناخَ بآخَرِينَا[٤]
فقلْ للشامِتينَ بنا أَفِيقوا سَيَلقَى الشامتُونَ كما لَقِينا

٥١٤ ـ صدْرُ الأمر وعَجُزُه: قال أبو تمّام:

لأَمرٍ عليهمْ أنْ تتِمَّ صُدورُهُ وليسَ عليهمْ أن تتِمَّ عَواقِبُهْ[٥]

وقال الشاعر:

لو أنَّ صدورَ الأمر تَبدو إلى الفَتَى كأعجازِه لمَ تَلْقَه متندِّما[٦]

وقال ابن الروميّ:

كنْ في مَدَى المجدِ للأمجادِ كلِّهمُ صدراً وكُنْ في مَدَى أعمارِهمْ كَفَلا

---

(١) ب: «مخانيق».
(٢) ب: «أي دعاءهم».
(٣) ديوانه: ١٢٧ برواية مختلفة، وهما أيضاً في يتيمة الدهر ١/ ٤٧، وفي ب «أترك الحق الخ».
(٤) رسائل البديع ٢١٢ بدون نسبة.
(٥) ديوانه: ١/ ٢٢٩.
(٦) كذا في ب، وفي ط: «يتندم».

ومن الصدور المستعارة: صَدْرُ النهار، وصَدْر المجلس، وصَدْر الإسلام.

٥١٥ ـ ثِمار النُحور: هي الثُدِيُّ، مِن قولُ مسلِم بنِ الوليد ـ وهو من استعاراتهِ الحَسَنَة:

فغطَّتْ بأيديها ثِمارَ نُحورِها كأَيْدي الأُسارَى أثقلَتْها الجوامعُ[١]

وأخذَه ديكُ الجِنّ الحمصي فقال:

ظَلِلتُ بها أجْنِي ثمارَ نُحورِها فتُوسِعني سَبّاً وأوسِعُها صَبْرا

وأخذَه كُشاجم فقال:

غَذَتْها نعمةٌ ولذيذُ عَيْشٍ فأنبَتَ صَدْرُها ثَمَرَ الشَّبابِ[٢]

وما أملَح قولَ ابن المعتز:

لا ورُمّانُ النُّهودِ فوقَ أغصانِ القدُودِ

وقول الصابي من أبيات:

وقال شِفاؤهُ الرُّمّانُ مِمَّا تَضمّنَه حَشاهُ من السَّعيرِ

فقلتُ له أَصَبْتَ بغيْرِ قَصْدٍ[٣] ولكنْ ذاكَ رُمّانُ الصدورِ

٥١٦ ـ ثدي اللّؤم: أول من استعار ذلك أَوْس بنُ مغراء[٤] حيث قال:

يشِيبُ على لؤمِ الفعالِ كبيرُها ويُغذَى بثَدْيِ اللؤمِ منها وليدُهَا

وأخذ القاضي أبو الحسن [عليّ بن عبد العزيز] هذه الاستعارة، فنقلَها إلى المدْح، وزاد فيها أحسَنَ زيادة، فقال للصاحب:

مُسترضَعٌ بثُدِيِّ المَجْدِ مفترِشٌ حِجْرَ المكارِمِ مَفْطومٌ عن البَخَلِ

٥١٧ ـ سُوَيداء القَلب: يُضرَب مَثَلاً لتفضيل بعض الشيء على كُلّه، فيقال: سُويداء القلب، وإنسان العَيْن، وبَيْت القصيدة، وواسطة القلادة. ويُضرب أيضاً مثَلاً لمن يَعِزّ ويَلطُفُ موقِعُه فيُقال: هو منّي في سَوْداءِ عيني، وسُوَيْداء قلبي؛ وربما قيل: هو في سوادَيْ عَيْني وقلبي.

---

(١) ديوانه: ٢٧٣، وفي ط: «أثقلتها السلاسل»، وهو خطأ.

(٢) ديوانه: ٩.

(٣) ب: «أصاب بغير قصد».

(٤) ط: «مقراء» تصحيف.

٥١٨ ـ ثمرة القلب: كلّ ما يحبه الإنسان فهو ثَمَرة قلبه على طريق الاستعارة؛ ويقال للولد: ثَمرة القلب. وفي الخَبَر: «ثمرة القلب الوَلَد». ولمَّا غضب معاوية[١] على ابنه[٢] يزيد فهجره قال له الأحنف: يا أميرَ المؤمنين، أولادُنا ثَمَرة قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماءٌ ظَليلة، وأرض ذَليلة، إن غضِبوا فأرضِهم، وإن سَألوا فأعْطِهِمْ، ولا تكُن عليهم قُفْلاً فيَملّوا حياتَك، ويتمنّوا مَوْتَك.

ودخل عَمرو بنُ العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة، فقال: مَن هذه يا أميرَ المؤمنين؟ قال: هذه تُفاحة القلب؛ قال: ابنذْها عنك، فإنهنّ يلدن الأعداء[٣]، ويقرِّبن البُعَداء، ويُورِثن الضغائن. قال: لا تقُل هذا يا عمرو، فواللّه ما مرَّض المرْضَى، ولا ندَب الموتَى، ولا أعان على الأحزان إلا هُنّ، وإنك لواجدٌ خالاً قد نفعه بنو أُختِه. فقال عَمرو: ما أراكَ يا أميرَ المؤمنين إلا وقد حَبَّبْتَهُنَّ إليّ بعد بُغضي لهنّ.

٥١٩ ـ قلب العسكر: من القلوب المستعارة قلبُ العَسْكر وقلبُ النخلة، وقلب الشتاء، واستعارة بشّار القلب للدنّ حيث قال:

شَرِبْنا من فؤادِ الدَّنِّ حتّى … تركنا الدَّنَّ ليسَ له فُؤادُ[٤]

واستعار اللحام[٥] القلبَ للسماحة، فقال:

يا مُهجةَ المجدِ يا قلبَ السماحةِ يا … روحَ المعالي وعينَ الظرفِ والأدبِ
اليومَ يَرهَبُني من كنتُ أرهَبُه … واليومَ أطلُب دَهراً كان في طَلَبي[٦]

٥٢٠ ـ طلائعُ القلوب: قال ابن المعتز في الفُصول القِصار: العيون طلائعُ القلوب. وقال فيها: اللحظ طَرْف الضمير.

وجَعَل أبو تمام القلوبَ طلائعَ الأجساد، فقال:

شابَ رأسِي وما رأيتُ مَشيبَ الـ … ـرّأسِ إلّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الفُؤادِ[٧]

---

(١) ط: «حارثة»، تصحيف صوابه في ب.
(٢) ط: «أخيه»، تصحيف، صوابه في ب.
(٣) كذا في ب، وفي ط: «يدنين الأعزاء».
(٤) ديوانه: ٢/ ٥٢.
(٥) ط: «اللجام»، تحريف.
(٦) ب: «واليوم يطلبني مَن كان في طلبي».
(٧) ديوانه: ١/ ٣٦٠.

وكـذاكَ الـقـلـوبُ فـي كـلّ بـؤسٍ ونـعـيـمٍ طـلائـعُ الأجـسـادِ

٥٢١ ـ داء البطن: يُضرَب مَثَلاً للشر المستور الذي لا يُقدَر على مُداواته؛ قال بعض السلف في فتنة عثمان بن عفّان رضيَ اللّه عنه: إنّ هذه الفتنة كداءِ البَطْن الذي لا يُدرَى من أين يُؤتَى له!

وقال الأسود بن الهَيْثم النَّخَعيّ:

بَـنِـي عَـمِّـنـا إنّ الـعـداوةَ شَـرُّهـا ضَـغـائـنُ تَـبـقَـى في صُـدورِ الأقـاربِ
تـكـونُ كـداء الـبـطـنِ لـيس بـظـاهـرٍ فـيُـشـفَى وداءُ البَطْنِ مِن شرِّ صاحـبِ

وقال آخرَ:

وبـعـضُ خـلائـقِ الأقـوامِ داءٌ كـداءِ الـبَـطْـنِ لـيـسَ لـه دَواءُ

ومن البطون المستعارة: بَطنُ الوادي، وبَطنُ القرطاس، وبَطن الكفّ، وظَهْر الأمر وبَطنه.

٥٢٢ ـ كَبِد السماء: يُستَعار الكَبد للسماء، فيقال: كَبِد السماء، كما يُقال: عَيْن السماء، وأَدِيم السماء، وجِلْدة السماء، ودَمع السماء، كما قال الشاعر:

كـالشمس في كَبِد السَّماء مَحَلُّها[١] وشُـعـاعُـهـا فـي سـائـرِ الآفـاقِ

٥٢٣ ـ ذَكَر الخَصِيّ: يُضرَب مَثلاً للضعيف الفاتر، كما قال الشاعر:

أَوَ مـا رأيـت الـحـادِثـاتِ بـأسْـرِهـا أخْـنَـتْ عـلـيَّ بِـكَـلْـكَـلٍ وجِـرانِ
وفـتَـرتُ بـعـدَ مُـرُونـةٍ فـكـأنّـنـي ذَكَـرُ الـخَـصِـيِّ وَفَـقْـحـةُ الـسَّـكْـرانِ

وقد استعار ابن المعتز للسحاب زُبّاً، ولا أعرِف[٢] له أرْدأ من هذه الاستعارة حيث قال:

أنـا لا أَشـتـهِـي سـمـاءً كـبَـطْـنِ الـ ـعَـيْـرِ والـشَّـرْبُ تـحـتَـهـا في خَـرابِ
تـحـت مـاءِ الـطُّـوفـانِ أو بـحـرِ مـوسـى كـلَّ يَـوْم يَـبُـول زُبُّ الـسَّـحـابِ

٥٢٤ ـ شِرْيان الغَمام: كَتَب جَحْظة إلى ابن المعتزّ: كنتُ عزمتُ على المصيرِ إلى الأمير أيّده اللّه، فانقَطَع شِرْيان الغَمام، فَقَطَعني عن خِدْمته.

---

(١) ب: «في أفق السماء»، وعلى هذه الرواية يكون لا شاهد فيه.
(٢) ب: «وما أعرف».

فكتبَ إليه: لئن فاتَني السرورُ بك، لم يَفُتْني بكلامِك. والسلام.

٥٢٥ ـ حَبْل الوَريد: يُضرَب به المَثَل في القُرْب، وهو مِن قول اللَّه تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؛ ويُقال للمُحكّم[١] في مناه: ما تُريد، أقرب مِن حَبْلِ الوَريد.

٥٢٦ ـ عِرْق الخال: العَرَب تقول: عِرْق الخال لا يَنام. قال الجاحظ: زعم كثيرٌ من العُلماء أنّ عِرْق الخال أَنزَعُ من عِرْق العَمّ. قالوا: والدليل على أن نَصيبَ الأمهات في الأولاد أكثرُ، وأنّها على الشَّبَه أغلَب، أنّ أكثر ما تلد الأمهات الإناث، وكذلك الناس وجميع الحيوانات، فإذا أردْت أن تعرف حق ذلك من باطلِه، فأَحْصِ سُكان عَشْر دُورٍ من يمينك، وعَشرٍ من شِمالك، وعشرٍ من خلفِك، وعَشرٍ من أمامك، فانظر أيُّها أكثر، رجالُهم أو نسائهم؟ واعتَبر ذلك في الإِبل والبقر والشِّياه. والعَرَب تَكرَه الأذكار، لأن الهَجْمة[٢] يكفيها فحلٌ أو فحلان، والناقة تقوم مَقامَ الجَمل، والجَمل لا يسقي اللبن، وإذا احتيج منه إلى لحم أو سفر كانا سواء. وكذلك الحُجور[٣] في المُروج، وعانات[٤] الحمير في الفَيافي، ليس في كل عانة إلا فحل واحد، وكذلك الدَّجاج إنَّما فيها ديكٌ واحد. والأم والخال عند العَرَب أنزَع وأشد جذْباً للولَد، لأن الأم والأبَ قد يستويان في وجوهٍ، ثم تَفْضُل الأم الأبَ في وجوه بعد ذلك؛ لأن الولَد ليس يُخلَق من ماء الأب دونَ ماءِ الأم، قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٦، ٧]، والأبُ إنما يقذِف مثل المخطة[٥] أو البَصْقة ثم يَعتزِل أو يَغيبُ أو يموت أو يكون حاضراً والأم منها الرَّحِم، وهو القالَب الذي ينطبع عليه الولَد[٦] وتُفرِّغ فيه النُّطْفَة كما يُفرَّغ الرَّصاص المُذاب في القالَب، فإذا وقَع ماءُ الرجل وماءُ المرأة في القالَب وفي قرارِ الرَّحِم فامتزَجا تشعَّبَ خَلْقُ الوَلَد على قَدْرِ تشعُّب الرَّحِم، ثم لا يغتذِي إلا من دم الأم، ولا يَمتَصّ إلّا من قُواها، ولا يَجذِب إلّا من الأجزاء التي فيها لطائف

---

(١) ب: «الحكم».
(٢) الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت، أو ما بين السبعين والمائة. وفي ب «النعجة»، تحريف.
(٣) الحجور: جمع حجر؛ وهي الأنثى من الخيل.
(٤) العانات: جمع عانة، وهي القطيع من حمر الوحش.
(٥) ب: «المخاط».
(٦) ط: «الذي يطبع على الولد».

الأغذية، وله ذلك ما دامَ في جَوْفِها، فإذا ظهر غَذَتْه بلَبَنها؛ ولا يَشُكّ الأطبّاء أن اللبن دمٌ استحالَ عند خروجه، فهي تَغْذوه بِدَمِها مرّتين، وتزيد في خَلْقه من أجزائها دَفعتين، ولذلك صار حُبُّ النساء للأولاد أشدّ من حبّ الرجال.

ومن الدليل على غَلبة عِرْق الخال قول عبيد اللّه بن قيس يهجو حبيب بن المهلَّب بن أبي صفرة:

غـلـبـتْ أمُّـه عـلـيـه أَبـاهُ ... فـهـو كـالـكـابُـلِـيِّ أشبَـهَ خَـالَـهْ[١]

وقول الآخر:

وأدركَـه خـالاتُـه فـخـذلْـنَـه ... ألا إنّ عِـرْق الـسَّـوْءِ لا بـدّ مُـدرِكُ

وأنشدَ الأصمعي لبعض الشعراء:

سَرَى عِرقُه في القوم حتى أصابَهمْ ... ولـلـخـال عِـرقٌ لا يَـنـامُ ولا يَـكْـدْ

وأنشدَ أبو عُبيدةَ لمكي بن سوادة:

وخـالُـك أصـهـبُ الـسَّـبَـلات عِـلْـجٌ ... وعِـرْقُ الـخـالِ يَـنـمـى بـعـدَ دَهْـرِ

وأنشدَ أبو اليقظان لرجلٍ من كنانةَ، وذكَر امرأتَه وولَدَه:

تـخـيَّـرتُـهـا لـلـنَّـسـل وهـي غـريـبـةٌ ... فـجاءت بـه كـالـبدرِ خِرْقاً مُعـمَّـما[٢]

فلو شاتَمَ الفِتْيان في الحَيّ ظالماً[٣] ... لـمـا وَجَـدوا غـيـرَ الـتـكـذّبِ مَـشْـتَـمـا

وقال الأبَيرْد وهو يهجو طلبة بن قيسِ بن عاصم:

قضَى اللّهُ حقّاً يا بنَ قيسِ بن عاصمٍ ... وكـان قـضـاءُ الـلّـه لا يـتـبـدّلُ

بـأنّك يا طلبَ بنَ قيس بنِ عاصم ... مـقـيـمٌ بـدارِ الـذلّ لا تـتـرحّـلُ[٤]

أبـت لـك أَعـراقٌ وأمٌّ لَـئـيـمـةٌ[٥] ... وخالٌ قصيرُ الباعِ وَغْدٌ مُفَسْكَلُ[٦]

---

(١) ديوانه: ١٨٨، وفي معجم البكري ٨ ـ ١١/ «يعني يزيد بن المهلب، وكانت أمه من سبي كابل، وقد زعم قوم أن أهل كابل مخصوصون من بين سائر ولد آدم بأذناب تكون لهم».

(٢) الخرق: السيد الكريم.

(٣) ب: «فلو تشمُّ الأيام في الحي ظالماً».

(٤) ط: «مصخ بدار الذل».

(٥) ب: «أبى لك».

(٦) المفسكل: المتأخر البطيء.

قالوا: ورأينا الناس يتباهَوْن بأخْوالهم، قال رسولُ اللّه ﷺ وقد أخذَ بيدِ سعدِ بنِ أبي وقّاص رضيَ اللّه عنه: «هذا خالي، فليأتِ كلّ امرئٍ بخاله».

وقال عَمرو بنُ الأهتمِ حين سَبّ الزِّبرِقان:

«لئيم الخال، ضَيّق العَطَن، زمِرُ المُروءة[١]، حديثُ الغِنى»[٢].

وافتخرَ امرؤ القيس بن حُجْر بخاله حيث قال:

خالي ابنُ كَبْشةَ لو علمتُ مكانَه وأبو يزيدَ ورَهْطُهُ أعمامِي[٣]

وقال رسول اللّه ﷺ: «الخالُ والد»[٤].

والعَرَب إذا مَدَحت رجلاً قالت: ذاك المُعِمّ المُخْولُ.

وقال اللّه تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، وإنّما كان أَبُوه وخاله.

(١) زمر المروءة: قليلها.
(٢) جمهرة الأمثال ١/ ١٣.
(٣) ديوانه: ١١٩.
(٤) ب: «الخالة الوالدة».

في الإِبل وما يُضاف ويُنْسَبُ إليها

حُمْرُ النعم، حَنينُ الإبل، غرائبُ الإِبل، أسلحةُ الإبل، يومُ الجمل، بولُ الجَمل، صَوْلةُ الجَمل، سَلَا الجمل، رُكْبتا البعير، غُدّةُ البعير، ناقةُ صالح، راغِيَةُ البَكْر، بكرُ هَبنّقة، حِمْلُ الدّهَيْم، أنفُ الناقة، خَبْطُ عَشْواء، لَطْمُ المنتقش، جملُ السِّقاية، سَيْرُ السّقاية، سُفُن البرّ.

الاسْتِشْهادُ

٥٢٧ ـ **حُمْر النّعم**: هي كرائمُ الإبل، يُضرَب بها المَثَل في الرغائب والنفائس، فيقال: ما يَسُرّني به حُمْر النعم، قال أبو الطيب المتنبي:

حُمْر الحُلَى والمَطايا والجَلابِيبِ[1]

فوصَفهنّ بالأخذ بأطراف الحُسْن، لأن الذهب أحمر وهو حُلِيُّهنّ، ومطاياهنّ حُمْر وهي كرائم الإبل، وأثوابهنّ حُمْر والحُسن أحمَر، قال بشّار:

وإذا دَخَلْتَ تَقَنَّعي ... بالحُسْنِ إنّ الحُسْنَ أحمَرْ

وقلتُ في كتاب المُبهِج: قولُ نَعَم، أحسنُ من حُمْر النّعَم، تَحمِل بيضَ النِّعَمْ.

٥٢٨ ـ **حنين الإبل**: العَرَب تقول: لا أفعلُ ذلك ما حنّت الإِبل، وما أَطّتِ الإبلُ بالرقّة والحنين، كما قال متمّم بنُ نُوَيرة:

فما وَجْدُ أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ ... رأيْنَ مجرًّا من حُوارٍ ومَصرعا[2]

(١) ديوانه: ١/ ١٥٩، وصدره:

* مَنِ الجآذر في زِيِّ الأعاريبِ *

(٢) من المفضلية ٦٧ ص ٢٧٠. الأظآر: جمع ظئر؛ وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له من الناس والإبل. والروائم: جمع رائم، وهن المحبات اللائي يعطفن على الرضيع. الحوار: ولد الناقة. المجر والمصرع: مصدران، من الجر والصرع.

يـذكِّـرْن ذا الـبَـثِّ الـحـزيـنِ بـبـثِّـهِ إذا حَنَّت الأولَى سَجَعْن لـهـا مَـعـا[١]
بـأوجَـعَ مـنِّـي يـومَ فـارقـتُ مـالـكـاً وقـامَ بـه الـنـاعـي الـرفـيـعُ فـأسـمَـعـا

ومنهم من يَصِفها بالحِقْد وغِلَظ الأكباد، كما قال بلعاء بن قيس الكِنانيّ:

يُبْكَى عـلـيـنـا ولا نـبـكـي عـلـى أحدِ لَـنَـحـنُ أَغْـلَـظُ أكـبـاداً مـن الإِبِـلِ

ومن أمثالهم: أحقَد من جَمَل.

وللبديع الهَمَذانيّ من فصل: إن الإبلَ على غِلَظ أكبادها لَتَحنّ إلى أعطانها، وإن الطير لتقطع عرض النهر إلى أوطانها[٢].

٥٢٩ ـ غرائب الإبل: من أمثال العرب: ضَرَبَ ضَرْبَ غرائب الإبل، وذلك أن ربّ الإبل إذا أورَدَها ذادَ عنها الغرائب بالضَّرب، فيُضرب مَثَلاً للرجل يُظلَم فيقال: ارفع عنك الظلمَ بالضرّب وبأشَدِّ ما تَقدرُ عليه، قال الكُميت:

وَرَدْتُ مـيـاهَـهُـمُ صـائـمـاً كـحـائـمـةٍ وِرْدَ مـسـتـعـذَبِ[٣]
فـمـا خَـلأتْـنـيَ غـضّ الـسُّـقـاء ولا قـيـل أَبـعِـدْ ولا أَغْـرِبِ

وقال الحجّاج على مِنبَر الكوفة: واللّه لأعصِبَنّكم عَصْب السلمَة، ولألحُوَنّكم لَحْوَ العُود، ولأضرِبنّكم ضربَ غرائبِ الإبل، ولآخُذَنّ البريءَ بالسقيم، والمطيعَ بالعاصي، والبعيد بالقريب، حتى تَستقيمَ لي قَناتُكم[٤].

٥٣٠ ـ أسلحة الإبل: من أمثال العَرَب عن أبي عَمرو والأصمعيّ قولُهم: أخذَت الإبلُ أسلحتَها وتترَّستْ بتُروسها ـ ويُقال رِماحها، وذلك أن يأتيها الرجل فيريد أن ينحرَها أو يَحلبُها فترُوقه، فلا تُنحرَ ولا تُحلَب، فكأنّ سِمنَها وحُسْنَها أسلحةٌ لها تَحولُ بينها وبين مَن يريد أن ينحرَها أو يَحلبَها، قالت ليلى الأخيَلِيّة:

ولا تـأخُـذ الـبُـدْن الـصَّـفـايـا سِـلاحَـهـا لـتـوبـة فـي نَـحـسِ الـشّـتـاء الـصَّـنـابِـرِ[٥]

---

(١) بعده في المفضليات:
إذا شـارفٌ مـنـهـنّ قـامَـتْ فـرجّـعَـتْ حنيناً فـأبـكـى شجْـوُهَـا البَـرْكَ أجْـمَـعـا

(٢) ط: «حيطانها».

(٣) كذا في ب، وهو في ط غير واضح.

(٤) من خطبة له في الكامل ١/ ٣٨٦.

(٥) هذا البيت ساقط من ب، وهو في ط والأغاني ١١/ ٢٢٧.

وقال النَّمر بنُ تَوْلَب:

أيّامَ لم تأخذْ إليَّ سلاحَها ... إبلي بحَلْبتِها ولا أَعشارِها[١]

٥٣١ ـ يوم الجَمل: حَكَى الجاحظ في كتاب البغال، قال: وقع شرٌّ بينَ قوم بالمدينة، فقالت عائشة رضيَ اللَّه عنها: أسرِجوا لي بَغْلي، فقال ابن أبي عَتيق: يا أمَّ المؤمنين، نحن لم نَغسِل بعدُ رؤوسَنا من يومِ الجمل، أفتريدينَ أن يُقال: يوم البَغْل! قَرِّي في بَيْتِكَ رحمكِ اللَّه[٢].

وأنشد الصُّوليّ لابن مهرانَ الدقّاف[٣]:

إذا نزلتَ منزلاً ... للطالبين لهمْ فَقُلْ
يا رائِدين للنَّدَى ... حيَّ على خيرِ العَمَلْ
والضاربين أمَّهمْ ... بالسّيف في يوم الجَمَلْ
فِعالُكمْ من صَبِرٍ ... وقولُكم مِثلُ العَسَلْ
ما إن رأيْنا أحداً ... منكمْ تولَّى فعَدَلْ
وَلَا نَهَى عَنْ نَفَل ... إلّا رَعَى ذاكَ النَّفَلْ

٥٣٢ ـ بَوْل الجمل: يُضرَب به المثلُ في الإدبار، لأنه من بين الأبوال إلى وراء، والعَرَب تقول: أَخلَف من بولِ الجمل، لأنه يبوّل إلى خَلْف، قال الشاعر:

وأخلَفُ من بولِ البعيرِ لأنّه ... إذا هو للإقبال وُجِّه أَدْبَرا

وقال ابن الحجّاج:

أنتَ كما قلتَ ولكنْ كما ... قد يُرزق البُختِي إلى خَلْفِ[٤]

٥٣٣ ـ صَوْلة الجَمَل: تقول العرب في أمثالها: أصولُ من جَمَل؛ ومعناه أعَضّ، يقال: صالَ الجملُ، وعَضّ الكلْب وعقَر أفصَح. وفي الحديث: «إنَّ العرف[٥] لينفع عند الجملِ الصَّوَّال[٦] والكَلْب العَقور».

---

(١) ب: «أعتادها».
(٢) القول في البغال ١٣، واستنكر الجاحظ هناك هذا الخبر، وقال: إنه مصنوع.
(٣) ط: «الأفاف».
(٤) البختية من الإبل: الخراسانية.
(٥) ب: «المعرفة».
(٦) ب: «الصئول».

قال الجاحظ: أوَ ما علمتَ أنّ الإنسان الذي خُلِق له ما في السَّمٰوات والأرض وما بينهما ـ كمال قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] ـ أنّما سمّوه العالَم الصغير، سليلَ العالم الكبير، حينَ وَجَدوا فيه من جميع أشكالِ ما في العالَم الكبير، ووجَدوا له الحواس الخمس، ووجدوه يأكل اللحم والحَبّ، ويجمع بين ما يقتاته السَّبُع والبهيمة، ووجدوا له صولةَ الجَمَل ووُثوبَ الأسد، وغدر الذئب، ورَوَغان الثعلب، وجُبْن الصَّقْر، وجمْع الذَّرَّة، وصنعة الزرافة[1]، وجودَ الديك، وإلْف الكَلْب، واهتداء الحمام؛ وربما وجدوا فيه من كل نوع من البهائم والسباع خلتين أو ثلاثاً، ولا يَبلغُ أن يكون جملاً بأن يكون فيه اهتداؤه وغَيْرته وصَوْله وحِقدُه وصبرُه على حَمل الثِّقل، ولا يلزمُه شَبه الذئب بقدر ما يتهيأ فيه من مثل مكرِه وغدره واسترواحِه وتوحُّشِه وشدة قلبِه، كما أنّ الرجل يصيبُ الرأيَ الغامضَ المرة والمرتين والثلاث، ولا يبلغُ بذلك المقدارِ أن يقال له داهية وذو مكر وصاحبُ خذْعة، كما يُخطِىء الرجل فيَفحُش خَطؤه في المرة والمرتين والثلاث، ولا يَبلُغ الأمر به أن يقال: غبيّ وأبْلَه ومَنْقوص.

٥٣٤ ـ **سَلا الجمل**: العرب تقول في بلوغ الشدة مُنتَهى غايتِها: وقع القومُ في سَلَا جَمَل: وهو شيء لا مِثل له، لأنّ السّلَا إنما يكون للناقة ولا يكون للجمل.

قال اللحياني: السلا: ما تلقيه الناقة إذا وضعت. والوليد يتشحط في السَّلَا، أي يضطرب، قال النابغة:

ويقذِفْنَ بالأولادِ في كلِّ منزِلٍ ... تشحَّطُ في أسْلائها كالوَصائلِ[2]

الوَصائل: البُرود الحُمر: وقال غيرُه؛ سَلا الجمل، كما يقال: لَبَن الطير، ومخّ الذَّرّ، وحُلْم العُصفور، وأيرُ[3] الخَصِيّ: كلّ هذا يُضرَب مَثَلاً لما لا يكون ولا يُوجَد.

٥٣٥ ـ **رُكبتا البعير**[4]: يضرب بهما المثل في الشيئين المتساويَين، والرَّجلَين المتكافِئين اللذَين لا يفضَّل أحدُهما على الآخر.

---

(١) كذا في ط، وهو ساقط من ب.
(٢) ديوانه: ٦٤.
(٣) ط: «وابن».
(٤) ب: «الجمل».

ولما تنافر عَامرُ بن الطُّفيل وعَلْقمة بن عُلاثة إلى هَرِم بن قطْبة لم يرد أن ينفِّر أحدَهما على الآخر، فقال لهما: أنتما كركبتيْ البعير، تقعان على الأرض جميعاً، وما منكما إلّا سيدٌ كريم؛ فانصرَفَا راضيَيْن.

٥٣٦ ـ ناقة صالح: هي ناقة الله التي سبق ذكرُها في الباب الأوَّل[1]، ويقال لها: ناقة صالح، ويقولُ من ينبِّه على براءة ساحتِه: إني لم أعقر ناقةَ صالح.

٥٣٧ ـ غُدّة البعير: غُدّة البعير بمنزلة طاعون الإنسان. ولما انصرف عامر بنُ الطُّفَيل من عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد آذاه بلسانه، وانطوى له على غير الجميل، نزل ديارَ بني سَلول بن صَعْصعة فغُدّ، فجعل يقول: أغدّةٌ كغدّة البعير وموتٌ في بيْتِ سَلُوليّة! حتى مات؛ فصار قولُه مَثَلا في اجتماع خلّتيْن مكروهتين.

٥٣٨ ـ راغيةُ البَكْر: من أمثال العرب، عن أبي عمرو قولهم: كانت عليهم كراغِيَة البَكْر، أي استؤصِلوا استئصالاً. ويُقال أيضاً كنت عليهم كراغية السَّقْب ـ يعنون رُغاء بَكْرِ ثمودَ حين عَقرَ الناقةَ قُدار، وهو أحمرُ ثمود، قال علقمةُ بنُ عَبَدة في السّقْب:

رغَا فوقهمْ سَقْبُ السماء فداحصٌ[2]

والداحصُ، والفاحصُ، والماحص سواء، يقال للشاة: إذا ذُبِحتْ: دَحَصتْ برجلها، أي ضَربتْ بها.

وقال الجعدي:

رأيتُ البَكْرَ بكرَ بني ثمودِ وأنت أراك بكْرَ الأشعَرِيّا[3]

قاله لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقال أيضاً:

وَرَغَا لهمْ سَقْبُ السماءِ وخُنِّقتْ مُهجُ النُّفوس بكارِبٍ متزلِّفِ

كارِب: يَملأ النفوس كَرْبا. ومتزلِّف: دانٍ.

---

(١) ص ٤٥.

(٢) ديوانه ١٧، الكامل ١/ ٥ السقب: ولد الناقة وبقيته:

* بشكّتهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وسليبُ *

(٣) ط: «الأشعرينا».

وقال أوسُ بنُ حَجَر:

رَغَا البَكْرُ فيهمْ رَغوةً حين أدبَرُوا فما كان عنهمْ رغوةُ البكرِ تُقلِعُ

وإنّما ضَرَب البَكْرَ مَثَلاً للحَرْب.

٥٣٩ ـ بَكْر هَبَنَّقة: من أمثالهم: هو أروَى من بَكْر هَبَنّقة. وهو يزيد بن ثروان[١] المضروب به المَثَل في الحمق، كان له بَكر يَصدُر مع الصادر وقد رَوِيَ، ثم يَرِد مع الوارد قبل أن يصل إلى الكَلأ، فسار ذكرُه مَثَلا في الحمق.

٥٤٠ ـ جِمْل الدُّهَيم: يُضرَب به المَثَل فيُقال: أثقل من جِمْل الدّهيم والدُّهَيْم: الناقة التي حَمل عليها كثيف التغلبيّ رؤوس أبناء زبّان الذُّهليّ[٢] حين قتَلهم، فجعلَتِ العرب حِمْل الدُّهَيْم مَثَلاً في الدواهي العظام، قال الشاعر:

يقودهمُ سعدٌ إلى بيت أمِّهِ إلا إنّما تُزجَى الدُّهَيْمُ وما تَدرِي[٣]

٥٤١ ـ أنف الناقة: هو جعفر بن قُرَيع، وإنما سمّى أنفَ الناقة لأن قريعاً نحر جزوراً فقمسه بين نسائه، فأدخَل جعفر وهو غلام يدَه في أنف الناقة، وجرّ الرأسَ إلى أمّه، فسُمِّيَ به، ومن ولدِه بغيضُ بنُ عامر بن شمّاس بن لأي بن أَنْف الناقة الذي مَدَحه وقومَه الحُطيئةُ فقال:

قومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُم ومَن يُسوِّي بأنفِ الناقةِ الذَّنَبا؟![٤]

وكانوا يَغْضَبُون إذا نُودوا بهذا اللقب، فلمّا قال فيهم الحطيئة هذا البيتَ جعلوا يَتَبَجّحون به، ومنه أخَذَ ابنُ الرومي قولَه:

لا بلْ هُم الأنفُ والأذنابُ غيرُهمُ ومَن يمثِّلُ بينَ الأنفِ والذنبِ!

٥٤٢ ـ خَبْط عَشْواء: يُضرَب مَثَلا لمن أصحابُه منه بين مُعافيً ومُبْتَلىً، ولمن يصيب مرة ويخطىء أخرى. والعشواء[٥] الناقةُ التي لا تُبصِر ليلاً، وهي تطأ كل شيء، قال زُهير:

رأيتُ المنايا خَبْطَ عشواءَ من تُصِبْ تُمِتْه ومن تُخطىءْ يُعمَّرْ فيهَرَمِ[٦]

---

(١) ط: «شروان» تحريف.

(٢) هو عمرو بن زبان، وانظر تفصيل الخبر في الميداني ١/ ٣٧٧.

(٣) تزجي: تساق.

(٤) ديوانه: ٦.

(٥) ط: «والعشو».

(٦) ديوانه: ٢٩.

ومن كلام الجاحظ: يَخبِط خَبْط العشْواء، ويَحكمُ حُكمَ الوَرْهاء، ويناسِب أخلاقَ النساء.

٥٤٣ ـ لَطْم المُنتَقِش: من أمثال العَرَب: لَطَمه لطمَ المنتقِش، وهو البعير إذا شاكَتْه الشَّوْكة لا يزال يَضرِب بيَدِهِ الأرض يرُوم انتقاشَها[١].

٥٤٤ ـ جمل السِّقاية: يُضرَب مَثلاً في الامتهان، فيقال: ما هو إلّا جَمَل السُّقْيا، وحمارُ الحوائج، وقال نصر الخبز أرزيّ:

ولـو جَـمَـلُ الـسِّـقـايـة لـقَـبُـوه ... بـمَـعْـشـوقٍ تـحـرَّى أخْـذَرُوحِـي

٥٤٥ ـ سَيْر السَّواني: يُضرَب مثلاً فيما يَدوم ولا يكاد يَنقُص، فيقال: سَيْر السواني سَفَر لا ينقطع. والسَّواني: اسم الساقية بآلاتها وأدواتها، والسواني: الإبل التي يُسقى عليها بالسَّواني، سُمّيت بأسمائها؛ ومن أمثالهم: أذلّ من بعيرِ سانيَة، وهو الذي يدير السانية، قال الطِّرماح:

قـبـيـلـتُـه أذلُّ مـن الـسَّـوانـي ... وأعـرَفُ لـلـهـوانِ مـن الـخِـصـافِ[٢]

وقال بعضُ المحدثين:

أَقِـلَّا مـن الـلـومِ يـا عـاذلاتِـي ... فـحُـبُّ الـغَـوانِـي كـبـيـرُ الـسَّـوانـي

٥٤٦ ـ سُفُن البرّ: يقال للجِمال: سُفُن البرّ، وهي من قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: ٤١، ٤٢].

وقال بعض العَرَب في وصف ناقة: ما هي إلّا سفينة بَرية.

وقال آخر في فصل: الإبل سُفُن البرّ، وجلودُها قِرَب، ولحومُها نَشَب[٣]، وبَعْرُها حَطَب، وأثمانُها ذهَب.

---

(١) انتقاشها: استخراجها.

(٢) الخصاف: جمع خاصف؛ وهو الذي يخصف النعل، ويُسمّى الإسكاف.

(٣) النشب: المال الأصيل من الناطق والصامت.

في الخيل والبغال

نَواصِي الخيل، خُيَلاء الخَيْل، جَرْي المُذَكِّيات، طَلْق الجَمُوح، خاصي خصاف، شبديز كسرى، أشقَر مَرْوان، فارس الأبْلق، شؤم داحِس، فَرَسَا رِهان، فريق الخيل، فَحْل السوء، بغلة أبي دُلامة، أخلاق البِغال.

الاسْتِشْهادُ

٥٤٧ ـ **نواصِي الخيل**: تُضرَب مثلاً للعِزّ والرّفعة، فقد يقال: العِزّ في نَواصِي الخَيْل، والذُلّ في أذناب البَقَر.

قال بعض أهل العَصْر:

قلتُ لمّا أَذْنتِ الدّنيا لنا ... نَفَرا ذُقْنا بهم حَرَّ سَقَرْ
فاتَنا عِزُّ نَواصي الخيل فلْـ ... ـيَبْقَ فينا ذلُّ أذنابِ البَقَرْ

٥٤٨ ـ **خُيلاء الخَيْل**: عبّر بعضهم بركوب البغل فقال: هذا مركَب تطأطأ عن خُيَلاء الخَيْل، وارْتَفَعَ عن ذِلّة العَيْر، وخيرُ الأمور أوسَطُها.

وقال بعض البُلَغاء: الخيل للاخْتيال، والبَغْل للإيغال، والجمل للأَثقال، قال السريّ لسيف الدولة:

للّهِ سيفٌ تَمنّى السيفُ شِيمَتَه ... ودولةٌ حسَدَتْها فخرَها الدُّوَلُ[1]
وعاشِقٌ خيلاءَ الخيل مبتذلٌ ... نفساً تُصانُ المعالي حين تُبتذلُ[2]

٥٤٩ ـ **جَرْيُ المُذَكّيات**: من أمثال العَرَب: جَرْي المُذَكّيات غِلاب. قال الأصمعيّ: قيل في الخَيْل المسانّ لأنها أقوى من الجِذاع[3] لأنها تحتمِل أن تُغالِب الجريَ غِلاباً.

ومن أمثالهم: جريُ المُذَكّي حسَرَتْ عنه الحُمُر؛ يُضْرَب مثلاً للرجل المتقدم

---

(١) ديوانه: ٢٠٧.
(٢) هذا البيت ساقط من الأصول، وأثبته من الديوان، وهو موضع الشاهد.
(٣) الجذاع: جمع جذع، اسم الجمل في سن الخامسة.

المفضَّل على غيره ممن قَصر سعيُه ولم يُدرِك مناه، والمُذَكِّي: هو الذي جاوَز سنَّ الفتى ولم يبلغ سنَّ الهَرَم، وقد تكامل فيه نَشاطُه[١].

٥٥٠ ـ طَلَقُ الجَمُوح: يُضرَبُ مثلاً للشاب يُمعِن في التّصابي والخلاعة فيشبه الفرَس الجموحَ إذا عدا في حاجةٍ لم يُنَهْنِهْهُ شيء، قال أبو نُواس:

جرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجَموحِ   وهانَ عليَّ مأثورُ القَبيحِ[٢]

٥٥١ ـ خاصِي خِصَاف: من أمثال العرب، عن أبي عَمْرو: وهو أجرَأُ مِن خاصِي خِصاف، وخِصَاف: اسم فرسٍ كان لرجلٍ من باهلةَ، فطلبه منه بعضُ الملوك لِلْفحلة، فَخصاه، فضُرِب به المثَل في الجرأة على الملوك.

٥٥٢ ـ شَبْديز كِسرَى: مِن خصائص كسرى بن أبْرَويز، أنّ الناس لم يَروا أحداً قط في زمانه أمدَّ قامة ولا أتمّ خِلقةً[٣]، ولا أوفرَ جسامةً ولا أبرَعَ جَمالاً منه، فكان لا يَحمِله إلّا فرسه شبديز، وكان في الأفراس كهُوَ في الناس، يُضرَب به المَثَل في عظم الخَلْق وكَرَم الخُلُق، وجَمْع شَرائط العِتْق[٤].

ولمّا مات شبديز لم يَجْسُر أحد على نعيِه إليه، فضَمِن صاحب الدواب للفلهيد المغنّي مالاً، وسأله أن يعرِّض لأبرَويز بموتِ شبديز، فقال وهو يغنِّيه في مجلسِه:

شبديز لا يسعَى ولا   يَرعى ولا يَنامُ

فقال أبرويز: قد مات إذاً! فقال الفلهيد: من الملِك سمعتُ. ثم كان أبرويز بعدُ لا يَحمِله إلّا فيل من أفيلَتِه، [كان يجمع وطاءة ظهر الفيل وثبات قوائمه من الوحل، وأمِنَ راكبه من العثار، ولين مشيه، وبعد خطوته][٥]. وكان ألطفَها بدناً، وأعدَلها جسماً.

٥٥٣ ـ أشقَر مَرْوان: هذا فرسٌ مشهور كان لمَرْوان بن محمد آخِر ملوك بني مروان، وكان يعدل شبديز أبرَويز في الحُسْن والكَرَم واستيفاء أقسام الجودة والعِتْق، ثم في اشتهار الذِّكر، حتى صار مثلاً لكل طِرْف عتيق، وفرسٍ كريم.

---

(١) بعدها في ب: «وشره».
(٢) ديوانه: ٣٩٨.
(٣) ب: «الواحا».
(٤) العتق: الكرم والحرية والجمال.
(٥) من ب.

وأخبرني أبو النصر المرْزُبان، قال: سمعتُ أبا حاتم الورّاق، يقول: قرأتُ في بعض الكُتُب أنّ مروانَ كان يبتهج به كابتهاجه بعبدِ الحميد الكاتب والبعلبكي المؤذن، وسلّام الحادي، وكوثر الخادم؛ وكل واحد منهم في فنّه فردٌ في جنسه، لم يُرَ مثلُه، وكان يباهي بالأشقر فيقول: كالأشقر؛ ويقرّب مربَطه، ويُبالِغ في إكرامه. والعَرَب تتشاءم بالأشقر فتقول، كالأشقر، إن تقدَّم نُحِر، وإن تأخّر عُقِر. ويُقال: إنّ مروان أدركَه شؤمُ الأشقر، كما أدرَك لَقيط بن زُرارة يومَ جَبلة شؤمَ أشقر كان تحته. وكان يقول: أشقرَ، إنْ تتقدم تُنْحَر، وإنْ تتأخر تُعقَر.

ولما زال أمْرُ مروانَ صار الأشقر إلى السَّفّاح، فحمل يحيى بن جعفر بن تمّام بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب عليه وقد تحطم وهَرم، وكان يَركَبه ويُعجَب به، وكان قد استفحل، فبلغ من كَرمِه على هِرَمه أنه كان يُحمل في محفّة عاج[1] ويُنقَل من مَرْج إلى مَرْج، ولم يُسمَع له بنَسْل، وقد ذكره أبو نخيلة حين دخل على السَّفّاح في قوله:

أصـبَـحـتِ الأنـبـارُ داراً تَـعْـمَـرُ وخُـرِّبـتْ مـن الـنِّـفـاق أدؤُرُ[2]
حِـمْـصٌ وقِـنَّـسْـريـنُـهـا فـتَـدْمُـرُ أيـن أبـو الـوَرْد وأيـن كَـوْثَـرُ!
وأيـن مَـرْوانُ وأيـن الأشـقـرُ

٥٥٤ ـ **فارس الأبلَق**: يُضرَب به المثل في الشهرة، فيقال: أشهَر من فارِس الأبلَق، ومن الفرس الأبلَق، وكان الرئيس من رؤساء العساكر إذا أراد أن يَشتهِر في المَعركة رَكِب فرساً أبلَق، ولبس مشهَّرةً.

٥٥٥ ـ **شؤم داحِس**: كان داحِس فرساً لقيسِ بن زُهير، جَرَى به المثل في الشؤم، لأن الحرب من أجلِه دامت بين ذُبْيانَ وعَبْس أربعين سنة.

٥٥٦ ـ **فَرَسا رِهان**: من أمثال العرب في الاثنين يستَبِقان إلى غاية، فيقال لهما: كفَرَسَيْ رِهان. وقال يحيى بنُ خالد للمَوْصليّ: بَكِّرْ إليَّ غداً، فقال: أنا والصُّبح كفَرَسَيْ رِهان. وممن أحسَن التمثل[3] بهما ابن طَباطَبا حيث قال:

أتـانـي مـنـكَ يـا خِـلِّـي كـتـابٌ ألَـذُّ إلـيَّ مـن نَـيْـلِ الأمـانِـي

(١) المحفة: مركب من مراكب النساء كالهودج.
(٢) أدؤر: جمع دار. وحمص وقنسرين وتدمر: أسماء مواضع مشهورة.
(٣) ب: «التمثيل».

كـتـابٌ حَـشْـوُهُ شِـعـرٌ مُـوَشَّـى بـألـفـاظٍ تُـسـابِـقُـهـا الـمـعـانـي
إذا أَصـغَـى لـهـا سـمـعٌ وفَـهـمٌ حـسـبْـتُـهُـمـا مـعـاً فَـرَسَـيْ رِهـانِ

٥٥٧ ـ فَريق الخَيْل: من أمثال العرب: هو أسرَع من فريق الخيل[١]، وهو السابق، لأنه يُفارِقها فينفِر عنها.

٥٥٨ ـ فَحْل السوء: يُضرَب مثلاً لمن يَجسُر على الأقرباء فيُؤذيهِم ويَجْبُن عن الأجانب فلا يتعرض لهم. قال عيسى بن إدريس والد أبي دُلَف لأخيه يحيى بن إدريس:

تَصُول على الأَدنَى وتَجتنِب العِدَا وما هكذا تُبنَى المكارِمُ يا يَحيَى!
فأنتَ كفَحلِ السوء يبذُل أُمَّه ويترُك باقي الخَيْل سائمةً تَرعَى

٥٥٩ ـ بَغلة أبي دُلامة: كان لأبي دُلامَة بغلةٌ مشهورةٌ يُضرَب بها المثل في كَثرة العيوب، لأنه قال فيها قصيدةً طويلةً تشتمل على ذِكر عُيوبِها، فيُقال: ما هو إلّا كبغلةِ أبي دلامة، وطَيْلسانِ ابن حَرْب، وأَيْرِ أبي حكيم، وحمارِ طيّاب، وشاة سعيد. والقصيدة هذه:

أبـعـدَ الـخـيـلِ أركـبُـهـا كِـرامـاً وبـعـد الـغُـرِّ مِـن حُـضْـرِ الـبِـغـالِ[٢]
رُزِئـتُ بـبـغـلـةٍ فـيـهـا وِكـالٌ[٣] ولَـيْـت ولـمْ يَـكُـنْ غـيـرُ الـوكـال
رأيـتُ عـيـوبَـهـا وعَـيـيـتُ فـيـهـا ولـو أفـنـيـتُ مـجـتـهـداً مَـقـالـي
لَـيَـحْـصُـرُ مَـنـطِـقـي، وكـلامُ غـيـري فـخـيْـرُ خـصـالـهـا شـرُّ الـخِـصـال
فـأهـوَنُ عـيـبـهـا أنّـي إذا مـا نـزلـتُ فـقـلـتُ إِمـشـي لا تُـبـالِـي
تـقـوم فـمـا تـسـيـرُ هـنـاك سـيـراً وتَـرمَـحُـنـي وتـأخُـذ فـي قِـتـالـي
وحـيـنَ رِكِـبـتُـهـا آذيـتُ نـفـسـي بـضـربٍ بـالـيَـمـيـنِ وبـالـشِّـمـالِ
وبـالـرِّجْـلَـيـن أركـزُهـا جـمـيـعـاً فـيـا لـك فـي الـشـقـاءِ وفـي الـكَـلالِ[٤]
أتـيـتُ بـهـا الـكُـنـاسـة مـسـتـبـيـعـاً[٥] أفـكّـر دائـبـاً كـيـف احـتـيـالـي!

---

(١) الميداني ١/ ٣٤٩ «هذا فعيل بمعنى مفاعل».
(٢) القول في البغال للجاحظ ١٠٠ ـ ١٠٥، مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات.
(٣) الوكال: الكسل.
(٤) أركزها: أستحثها، وفي الجاحظ: «أركضها».
(٥) الجاحظ: «مستغيثاً».

فبَينَا فكرتي في السَّوْم تَسرِي[١] إذا ما سُمْتُ: أُرخِصُ أم أُغالي!
أتاني خائبٌ حمِقٌ شَقِيٌّ قديمٌ في الخَسارة والضَّلالِ
فلما ابتاعَها مني وصارتْ له في البَيْع غيرِ المُستقالِ
أخذتُ بثَوْبه وبرِئتُ مما أعُدّ عليك من شَنِع الخِصالِ
برئتُ إليك من مَششٍ قديم[٢] ومن جردٍ ومن بلَل المَخالي[٣]
ومن فَرْط الحِرانِ ومن جِماح ومن ضعف الأسافلِ والأعالي
ومِن عَضّ اللسان ومن خراطٍ إذا ما هَمّ صَحبُكِ بارتحالِ
ومن كَدْم الغُلام ومن بياض بناظِرها ومن حلّ الحبالِ
تُقطِّع جِلْدَها جرَباً وحَكّاً إذا هَزُلتْ وفي غيرِ الهُزالِ
وألطَفُ من فُرَيْخ الذَّرّ مَشْياً بها عَرَنٌ وداءٌ من سُلالِ[٤]
وتَكسِر سَرْجها أبداً شِماساً وتَسقُط في الرِّمال وفي الوِحال
ويهزِلها الجمامُ إذا خَصِبنا ويُدمِي ظَهرَها مسّ الجِلالِ[٥]
وتَحفَى إن بسطتُ لها الحَشايا ولو تَمشِي على دَمِثِ الرِّمالِ[٦]
وتفزَعُ من صياح الدِّيك شَهْراً[٧] وتَنفِر للصَّغير وللخَيالِ[٨]
إذا استعجلتُها عثَرتْ وبالت وقامت ساعةً عند المَبالِ
وتَضرِط أربعين إذا وقَفْنا على أهلِ المجالس للسؤالِ
فتَقطَعُ مَنطِقي وتَحُول بَيْني وبين حديثِهمْ مما تُوالي
حَرُونٌ حين تَركبُها لحُضر جَموحٌ حين تعزِم للنِّزالِ
وألفُ عصاً وسَوْطِ أَصْبحيٍّ[٩] ألذُّلها من الشُّرب الزُّلالِ

(١) الجاحظ: «تمري».
(٢) المشش: شيء يشخص في وظيف الدابة حتى يشتد دون اشتداد العظم.
(٣) الجرد: تورم في عرقوب الدابة. وفي الجاحظ: «وتخريق الجلال».
(٤) الجاحظ: «وتنحط من متابعة السؤال»، والعرن: داء يأخذ الدابة في آخر رجلها.
(٥) الجاحظ: «مسد الجلال».
(٦) كذا في ب، والدمث: السهل اللين.
(٧) الجاحظ: «وتصعق».
(٨) الجاحظ: «وتذعر».
(٩) الأصبحي: ضرب من السياط، تُنسب إلى ذي أصبح ملك اليمن.

وأمَّا الـقِـتُّ فـأتِ بـألـفِ وِقْـرٍ كـأعـظَـم حَـمْـلِ أو سـاقِ الـجِـمـالِ
فـإنـك لـسـتَ عـالِـفَـهـا ثـلاثـاً وعـنـدَك مـنـه عـودٌ لـلـخِـلالِ
وإنْ عـطِـشـتْ فـأوْرِدْهـا دُجَـيْـلاً إذا أوْرَدْتَ أو نَـهْـرَيْ بِـلالِ[1]
فـذاكَ لـريِّهـا ـ سُـقِـيتْ حَـمـيـمـاً ـ وإنْ مـدّ الـفُـراتُ فـلـلـنـهـالِ
وكـانـت قـارِحـاً أيـامَ كِـسْـرَى وتـذكُـر تُـبَّـعـاً عـنـد الـفـعـالِ
وتـذكـر إذْ تَـشَـا بَـهْـرَامَ جُـورٍ وذا الأكْـتـافِ في الحِـقَـبِ الخَـوالِي[2]
فـقـد مـرَّت بـقَـرْن بـعـد قَـرْنٍ[3] وأُخِّـرَ عـهـدُهـا لـهَـلاكِ مـالـي[4]
فـأَبـدِلْـنـي بـهـا يـا رَبِّ طِـرْفـاً يَـزِيـن بـحُـسـن مَـرْكَـبـه جـمـالِـي

وقد أورد الجاحظُ قصيدةَ أبي دُلامة هذه في قصائد البغال، قال: والمَثَل في البغال بَغْلة أبي دلامة؛ وفي الحَمير حمار العِباديّ، وفي الغنم شاةُ مَنِيع؛ وفي الكلاب كلبة أُمِّ حَوْمَل[5].

٥٦٠ ـ **أخلاق البغال**: قال الجاحظ: لما كان البغل من الخَلْق المركب، والطبائع المؤلَّفة، والأخلاق المختلفة، تكون في أخلاقه العُيوب الكثيرةُ المتولِّدة من مِزاجه شر الطباع مما تجاذَبَتْه الأعراقُ المتضادة، والأخلاق المتفاوِته، والعناصِر المتباعدة.

وقال في موضع آخرَ: البغل كثيرُ التلوّن، وبه يُضرَب المَثَل، قال ابن حازم الباهليّ في تلون البغل:

مـا لـي رأيـتـك لا تـدو مُ عـلـى الـمـودّة لـلـرجـالِ[6]
مـتـبـرِّمـاً أبـداً بـمـن آخـيـتَ وُدُّك فـي سـفـالِ

(١) في الأصلين: «هلال» تحريف؛ صوابه من الجاحظ، وبلال هو ابن أبي بردة. حفر نهرا بالبصرة؛ والتثنية للمبالغة.
(٢) الجاحظ: «وعامله على خرج الحوالي».
(٣) الجاحظ: «وقد أبلى بها قرن وقرن».
(٤) ب، ط: «وآخره عهدها بهلاك مالي»، وما أثبته من الجاحظ.
(٥) القول في البغال ١٠٠ ـ ١٠٥، والشريشي ٢: ٢٣٧، ونهاية الأرب ١٠: ٨٩.
(٦) سقط هذان البيتان من ط، وهما في ب والجاحظ ٤٨، وبعدهما هناك:
خُـلُـق جـديـدٌ كـلّ يَـوْ مِ مـثـلُ أخلاق الـبـغـالِ

[وقال آخر][(١)]:

ومتى سَبَرْتَ أبا العَلاء وجدْتَه[(٢)] متلوِّناً كتلوُّن الأبغالِ

وقال البُحتري يهجو قوماً:

وأخلاقُ البغالِ فكل يومٍ يعنّ لبعضهمْ خُلُقٌ جديدُ

وقال ابن بسّام:

وجوهٌ لا تَهَشّ إلى المعالي وأستاهٌ تَهَشّ إلى الأُيورِ
وأخلاقُ البغال إذا استجمّوا وضَرْطٌ في المجالِس كالحَميرِ

---

(١) تكملة من ب، وبعدها في الجاحظ: «في تلوّن أخلاقه».

(٢) كذا في الجاحظ ٤٨، وفي الأصول: «سددت»، تصحيف.

في الحمير

حِمار العُزَير، حمارُ أبي الهُذَيل، حمارُ العِباديّ، حمار الحوائج، حمار القصّار، حمار طيّاب، حمار قبّان، عَيْر أبي سيَّارة، أسنان الحِمار، ظِمء الحِمار، صَبر الحمار، ولد الحمار، ذَنب الحمار، سنة الحمار، صُوف الحمار، خاصِي العَيْر، عِكْما العَيْر.

الاسْتِشْهادُ

٥٦١ ـ **حمار العُزَير**: قد تقدّم(١).

٥٦٢ ـ **حمار أبي الهذيل**: يُضرَب مثلاً في الأمر الصغير يتكلم فيه الرجل؛ ومن قصّته أن أبا الهذيل دخل على المأمون فاحتبسه ليأكلَ معه، فلما وُضعت المائدة وأخذوا في الأكل قال أبو الهُذَيل: يا أميرَ المؤمنين، إن اللّه لا يستحي من الحق، غلامي وحماري بالباب، فقال: صدقتَ يا أبا الهُذَيل، ودعا بالحاجب، فقال له: أخرج إلى غلامِ أبي الهُذَيل وحمارِه فتقدمْ بما يُصلِحهما، فخرج وفعل.

وكان محمد بنُ الجَهم إذا تعذّر عليه أمرٌ يقول: إن الذي سخّر المأمون لحمار أبي الهُذَيل وغلامِه قادرٌ على أن يسهِّل لنا هذا الأمر.

وفعل أبو الهُذَيل مِثلَ ذلك على مائدة المُعتصِم، فقال: يا غلام، إمضِ حتى تَطرَح لحمار أبي الهُذَيل عَلَفا، وأمر بإطعام غلامِه، فقال أحمد بن أبي دؤاد: يا أميرَ المؤمنين: أما تَرَى لجلالةِ هذا الشيخ وتفقُّده ما يَلزَمه من خواصّ أمره، لم يمْنعه جلالة مجلسِك عمّا يجب للّه ورسولِه في غلامِه وحمارِه! فجعل أحمَد ما قدَّره بعض مَنْ حضر من الحاجة إلى الاعتذار منه الشهادةَ بالفَضْل له.

٥٦٣ ـ **حِمارُ العِباديّ**: من أمثال العرب في الشيئين الرديئين: ما أحدُهما بأمثَل من الآخر؛ هما كحمارَي العِبادي، وهو الذي قيل له: أيُّ حِمارَيك شرّ؟ فقال: ذا ثمّ ذا.

---

(١) رقم ٧٤.

وتحاكَم نفرٌ إلى الرقاشيّ في أيِّهما أنذَل وأسفَل؟ الكنّاس أو الحجّام؟ فأنشَدَ قولَ الشاعر:

حِمارُ العِباديِّ الذي سِيلَ فيهمَا ... وكانا على حالٍ من الشرّ واحدِ

٥٦٤ ـ **حمار الحوائج**: يُضرب مثلاً لمن يُمتهَن. ومن أمثال العَرَب: اتخذوا فلاناً حمار الحوائج[١].

ومن أمثال العامة: فلان قوّاد القَرْية، وجَمَل السِّقاية، وكلْب الجماعة، وحمار الحوائج.

٥٦٥ ـ **حِمار طيّاب**: كان لِطيَّاب السقّاء حمار قديم الصحبة ضعيف الحملة، شديد الهزال، ظاهر الانخذال، كاسف البال، يُسقى عليه، ويرفُق به، ويرتزق منه مدة مديدة من الدهر؛ وكان عُرْضة لشعر أبي غلالة المخزومي، كما أن شاة سعيد كانت عُرضة لشعر الحمدونيّ. ولأبي غلالة في وصفه بالضعف، والتوجّع له من الخَسْف، نيّف وعشرون مقطوعة مضمَّنة، أوردها كلها حمزة الأصبهاني في كتابه: «مَضاحك الأشعار» على حروف الهجاء.

وحكى محمد بن داود الجرّاح، عن جعفر رفيق طيّاب، أن حمار طيَّاب نَفَق فمات طيّاب على أثره بأسبوع، ثم مات أبو غلالة على أثر حمار طيّاب، وكان ذلك من عجيب الاتفاقات، وسار حمار طيّاب مثلاً كبغلة أبي دُلامة في الضعف وكثرة العيب، وطيْلسان ابن حرب، وشاة سعيد في كثرة ما قيل في كلّ منهما؛ فمن ملح أبي غلالةَ ما أورده ابن أبي عَوْن في كتاب التشبيهات ـ ولم يورد سوى المختار ـ قوله:

يا سائِلي عن حمار طيّاب ... ذاك حمارٌ حليفُ أوْصابِ
كأنّه والذبابُ يأخذُه ... من وجهِ نقّار ووشّابِ[٢]

ومما أورده حمزة قوله:

وحمارٍ بكت عليه الحميرُ ... دقّ حتى به الذباب يطيرُ
كان فيما مضى يقوم بضَعْفٍ ... فهوَ اليوم واقفٌ لا يسيرُ
كيفَ يمشي وليس يُعلَفُ شيئاً ... وهو شيخٌ من الحمير كَبيرُ

---

(١) الميداني ١/١٥٣.

(٢) كذا في ب. وفي ط «من وجه ذو جنة متصابي» وكلاهما غير واضح.

يأكل التبن في الزمان ولكنْ أبعدُ الأبعدين عنه الشعيرُ
عاينَ القَتَّ مرةً من بعيدِ فتغنّى وفي الفؤاد سميرُ[1]:
ليس لي منك يا ظَلومُ نصيرٌ أنا عبد الهوى وأنت أميرُ

وقوله:

أقسمتُ بالكاس والمُدامِ وصحبةِ الفِتْيَةِ الكِرَامِ
أن لستُ أبكي على رسومٍ غيّرها هاطلُ الغمامِ
لكنْ بكائي على حمارٍ موكّلِ الجسم بالسَّقامِ
قد ذابَ ضُرّاً ومات هَزْلاً فصار جِلداً على عظامِ
ومرّ يوماً به شعيرٌ مقدارَ كَفَّيْن للحَمَامِ
وحَمْلُ قَتٍّ لشاةِ قومٍ كلاهما في يَدَيْ غلامِ
فظَلَّ من فرحةٍ يُغنِّي وقال: قد جاءني طعامِي
يا زائرينا من الخيامِ حيَّاكُمُ اللَّه بالسَّلامِ
لم تطرقاني وبي حَراكٌ إلى حلالٍ ولا حرامِ

وقوله:

حِمارٌ أتاحَ به ضُرُّهُ ودارَ عليه بذاكَ الفَلَكْ
يميلُ من الضعفِ في مشيِه ويسقُط في كل دَرْبٍ سَلَكْ
فأمَّا الشعير فما ذاقَه كما لا يذوق الطعامَ المَلَكْ
يُغنِّي على القتّ لمَّا يراهُ وقد هزّه الجوعُ حتى هَلَكْ:
أخذتَ فؤادي فعذبتَه وأسهرتَ عيني فما حلَّ لك؟

وقوله:

لَمْ أبكِ شَجْواً لفقدِ حِبٍّ وَلا ابتلاني بذاك رَبِّي
لكنني قد بكيتُ حزناً على حمارٍ لجارِ جَنْبِ
لو شمَّ ريحَ الشعير شَمّاً من غير أكلٍ لقالَ: حَسْبي
أو عاين القتّ من بعيدِ يوماً لغَنَّى بصوتِ صَبٍّ:

(١) القت: قُضُب النبات الطرية.

لـيـس يـزولُ الـذي بـقـلـبـي ... يـا مَـنْ جـفـانـي بـغـيـرِ ذنـبِ

وقوله:

حمـارُ طيّابٍ لا تُحصَى معايِبهُ ... ما فيه أكثرُ ممّا قلتُه فيهِ
قد دَقّ حتى رأيتُ الخيطَ يشبهُهُ ... من الهُزالِ وعَيْنُ الضرّ تَبكيهِ
أقسمتُ باللّه لولا التبنُ يأكلُه ... في كلّ شهرٍ لكان الجوعُ يُفنيه
ما زال يطلبُ وَصْلَ القتّ مجتهداً ... والقَتُّ يقتلُه بالصدِّ والتيهِ
حتى تغنّى له من طول جَفوتِه ... صوتاً يبوح بما قد كان يُخفيهِ:
ألنجم يرحمُني مما أكابده[1] ... وأنتَ في غفْلةٍ عَمّا أقاسيه

٥٦٦ ـ **حمار قبّان**: من أمثال العرب: هو أذلّ من حمار قبّان[2]؛ وهو ضرْب من الخنافس بين مكة والمدينة، قال الراجز:

يا عجباً لقد رأيتُ عُجَبا ... حمارَ قَبَّانٍ يسوق أرْنَبا

٥٦٧ ـ **عَيْر أبي سيَّارة**: هذا عَيْرٌ مشهور يُتمثّل به، فيقال: أصحّ من عَيْر أبي سيَّارة؛ للرجل الصحيح في بدنه؛ وأبو سيَّارة رجل من عَدْوان، واسمه عُمَيلة بن خالد بن أعزل؛ وكان له حمار أسود، أجاز الناسَ عليه من مُزدَلِفة، إلى مِنَى أربعين سنة، وكان يقف فيقول شعراً:

خلّوا الطريق عن أبي سيّارهْ ... وعن مواليه بني فَزَارَهْ[3]
حتى يُجيزَ سالماً حِمَارَهْ ... مستقبلَ القِبْلة يدعُو جارَهْ

قال الجاحظ: أعمار حُمُر الوحش تزيد على أعمار الحُمر الأهلية، ولا يُعرَف حمار أهليٌّ عاش أكثر وعمّر أطول من عَيْر أبي سيّارة؛ فإنهم لا يَشكُّون أنه دفع عليه أهل الموسم أربعين عاماً[4].

وكان يقول: اللهمّ حبّبْ بين نسائنا، وبغّض بين رِعائنا، واجعل الماء في سمائنا[5].

---

(١) في ب «أراعيه»؛ وهو وجه أيضاً.
(٢) الميداني ١/ ٢٨٣.
(٣) اللسان «قبن».
(٤) الاشتقاق ٢٦٨، قال: «واسمه عميلة بن الأعزل».
(٥) ابن هشام ١/ ١٣٤. وفيه: «حتى أجاز».

قال حَمْزة(١): وكان الفضْل بن عليّ الرقاشيّ وخالد بن صفوان يختاران ركوب الحمير على البَرَاذين، ويجعلان حمار أبي سيّارة قدوة لهما.

فأما الفضل فإنه سئل عن ركوب الحمار، فقال: لأنه أقل الدواب مئونة وأكثرها معونة، وأسهلها جماحاً وصَرعاً، وأخفَضُها مهوى، وأقربها مرتقى، يُزهَى راكبه وقد تواضع بركوبه؛ ويدعى مقتصداً وقد أسرف في ثمنه، ولو شاء أبو سيارة أن يركب جملاً [مهريًا](٢)، أو فرساً عربياً، لفعل؛ ولكنه امتَطى عَيْره أربعين سنة.

فأمّا خالد، فإن بعض أشراف البَصْرة لقيه فرآه على حمار، فقال: ما هذا المركب؟ فقال: عَيْر من أصل الكدار(٣)، أصحر السربال، محملج القوائم، مفتول الأجلاد، يحمل الرحلة، ويبلغ العقبة، ويقل داؤه، ويخف دواؤه؛ ويمنعني أن أكون جباراً في الأرض، أو أكون من المفسدين، ولولا ما في الحمار من المنفعة لما امتطى أبو سيارة عَيْرَه أربعين سنة.

فسمع كلامه أعرابيّ، فعارضه، بأن قال: الحمار إذا أوقفته أدلَى، وإن تركته ولّى، كثير الرَّوْث، قليل الغَوْث، سريع إلى القَرارة، بطيء إلى الغارة، لا تُرقأ به الدماء، ولا تُمهَر به النِّساء، ولا يُحلب في الإناء.

٥٦٨ ـ **أسنان الحمار**: يُضرب بها المثل في التماثل والتساوي؛ ومن أمثال العرب:

سَواسية كأسنان الحمار

يقال هو سِيُّك [بتشديد الياء](٤)، أي هو مثلُك، وهما سَواء وسواسية وسَواسٍ، إذا كانا متساويين؛ قال بعضهم: لا تكون السواسية إلا في الشر، قال ابن أحمر:

سَواسٍ كأسنانِ الحِمار فلا تَرَى ... لذي شيْبةٍ منهمُ على ناشىء فَضْلا(٥)

وقال ذو الرمّة:

لَهُمْ زُمرةٌ شُهْبُ السِّبال أذِلّةٌ ... سواسيةٌ أحرارُها وعبيدُها(٦)

---

(١) الحيوان ١/١٣٩.
(٢) تكملة من ب.
(٣) في اللسان: «حمار كدر: غليظ».
(٤) من ط.
(٥) اللسان (سوي)، ونسبة إلى كثير.
(٦) ديوان ١٦٧، وفيه: «لهم مجلس صهب السيال».

وقال:

سَبَيْنا منهمُ سبعين خَوْداً سواسٍ لم يُفَضّ لها ختامُ[١]

وقال آخر:

شَبَابُهُمُ وشيبهمُ سواءٌ همُ في اللؤم أسنان الحمارِ[٢]

٥٦٩ ـ ظِمْء الحمار: من أمثال العرب قولهم: أقصر من ظِمْء الحمار، لأنه لا يصبر على العطش أكثر من يوم، والظِمْء: ما بين الشربتين؛ طويلاً كان أو قصيراً؛ وأقصر الأظماء ما تقول به العرب لمن أدبر وتولّى، ولم يبق من عمره إلا اليسير: ما بَقِيَ منه إلا قدر ظِمْء الحمار.

ويُروى أن مرْوان الحمار قال في الفتنة: الآن نفد عمري، ولم يبق منه إلّا مثل ظِمْء الحمار، صرت أضرب الجيوش بعضاً ببعض!

وقال سعيد بن العاص لعمّار بن ياسر رضي اللّه عنهما: كنا نعدُّك من أفاضل الصحابة حتى إذا لم يبقَ من عمرك إلا ظمء الحمار فعلت وفعلت! فقال: أيّمَا أحبّ إليك؟ مودة على جميلة، أو مصارعة ثقيلة، فقال: للّه عليّ ألا أكلمك أبداً.

٥٧٠ ـ صَبْر الحمار: قيل لبزرجُمْهِر: بم أدركتَ ما أدركت؟ قال: ببكورٍ كبكور الغراب، وصبرٍ كصبر الحمار، وحرصٍ كحرص الخنزير، وإنما ضرِبَ المثل في الصبر بالحمار لصبره على الخسْف، وقلة التفقّد، وهذا من أمثال العجم، وأما العرب فإنها تقول: أصبر من ذي حاجة، [وأصْبر من عَوْدٍ سنةَ جُلِب][٣].

٥٧١ ـ ولَد الحمار: من أمثال العرب عن أبي عمرو: أخلف من ولد الحمار؛ يريدون به البغْل، لأنه لا يشبِه أبَاه ولا أمّه.

٥٧٢ ـ ذَنب الحمار: يُضرب مثلاً لما يزيد ولا ينقص، فيُقال: ما هو إلا ذَنَب الحمار.

وكان أبو بكر الخوارزميّ يقول: فلان كإيمان[٤] المرجىء وذَنَب الحمار.

---

(١) اللسان (سوي) من غير نسبة.

(٢) اللسان (سوي) من غير نسبة، وروايته هناك: «سواسية كأسنان الحمار».

(٣) من ب، وفي الميداني ١/ ٤٠٨ «واصبر من عود يدفيه جلب».

(٤) ط: «كأعيان»، تحريف.

٥٧٣ ـ **سَنَة الحمار**: العرب تقول لسنة المائة من التاريخ: سَنة الحمار. وأصلها من حديث حمار عُزير وموته مع صاحبه مائة سنة، وأحيا اللّه إياهما، كما قال اللّه تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وإنما قيل لمروان بن محمد: مرْوان الحِمار، لأنْ على رأسه استُكمل مُلْك بني مروان مائة سنة، فصارت سنَة الحمار اسماً لكل مائة سنة.

وسمعت أبا نصر العُتَبيّ يقول: عُرِض على بعض الأدباء حمار أراد ابتياعه فوجده مسنّاً، فقال: أرى هذا الحمار وُلِدَ قبلَ سَنَة الحمار.

٥٧٤ ـ **صوف الحمار**: يُضرب به المثل في العُسْرة والنكد، فيُقال: أَنْكَد من صوف الحمار، كما يُذكر صوف الكلب في القلة والعسرة: فيُقال: أعسر من صوف الكلْب.

٥٧٥ ـ **خاصِي العَيْر**: من أمثال العرب: جاء فلان كخاصي العَيْر، إذا جاء مخيّباً؛ لأن خاصي العَيْر تقع يداه على مذاكيره، وقد ضرب أبو خِراش[1] مثلاً في شعر له لست أستحضره[2].

٥٧٦ ـ **عِكْمَا العَيْر**: من أمثال العرب: وقعا كعِكْمَيْ عَيْر، إذا وقعا متساويين[3]، قال ذلك الأصمعي، وأصله أن يحلّ عن العَيْر حباله فيسقط عِكْماه معاً، ويقال: هما عِكْما عَيْرٍ مثلان، كما يُقال: كركبتي البعير.

---

(١) في الأصول: «أبو فراس»، تصحيف، صوابه من الميداني ٢/ ٢٦٥.

(٢) هو قوله:

فجاءَتْ كخاصِي العيْرِ لمْ تحلَ جاجةً ... ولا عاجَة منها تلوح على وشمِ

وانظر ديوان الهذليين ١/ ١٢٩.

(٣) الميداني ٢/ ٣٦٤، وفي اللسان: العكم: العدل ما دام فيه المتاع، والعكمان: عدلان يشتملان على جانبي الهودج.

في البَقَر والغنمِ

بقرة بني إسرائيل، أذناب البقر، كعبا البقر، لسان الثور، شاة سعيد، شاة أشعب، عنز الأخفش، تَيس بني حِمّان، لحية التيس، صُنان التيس، حالب التّيس، ضَرطة عنز، يوم العنز، ذلّ النَّقَد.

الاسْتِشْهادُ

٥٧٧ ـ بقرة بني إسرائيل: يُضرب بها المثل في الشيء يأمر به السيّد أو الرئيس، فيبلغ المسود والمرؤوس، ويجنح فيه، ويسدّ الأمر فيه على نفسه، فيُشدد عليه، كنحو أصحاب البقرة الذين قال لهم اللّه تعالى على لسان موسى عليه السلام: إذبحوا البقرة، واضربوا القتيل، فإني أحْييهما جميعاً؛ فلو اعتاضُوا من جميع البقر بقرة واحدة فذبحوها كانوا غير مخالفين؛ فلما ذهبوا مذهب الشك[1] والتعلّل، ثم التعرّض والتعنت، صار ذلك سبب تغليظ الفرض.

وقيل لأبي العيناء: ما تقول في مالك بن طوْق؟ فقال: لو كان في زمن بني إسرائيل، ونزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره.

وكتب أبو نصر العتبيّ إلى بعض مَن استماحه من أهل الأدب: قد بعثت إليك بمثل بقرة بني إسرائيل في الصّفة، ولو ملكتُ ملء مَسْكها[2] ذهباً أو مِسْكاً لما نفستْ به نفسي عليك. والسلام، [يريد قوله تعالى: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]][3].

٥٧٨ ـ كعب البقر: كان داود بن عيسى بن موسى يلقّب بأترجّة، وعبد السميع[4] بن محمد بن المنصور بشحم الحزين، ومحمد بن أحمد بن

---

(١) ب: «الشاك».
(٢) المسك بالفتح: الجلد.
(٣) من ب، ولم يذكر المؤلف استشهاداً لأذناب البقر.
(٤) ط: «عبد الملك السميع».

عيسى الهاشمي بكعب البقر، وكانوا كلهم مع المستعين، فلما صاروا إلى المعتز قال المعتز:

أتاني أترجّةٌ في الأمان ... وعبدُ السميع وكعبُ البقرْ
فأهلاً وسهلاً بمن جاءنا ... ويا ليت من لَمْ يَجِيءْ في سَقَرْ

فقالوا: قد شرّفنا أمير المؤمنين بذكره لنا، ولكنه ذكرَنا باللقب؛ ولم يذكر عبد السميع بلقبه، فقال:

أتاني أترجّةٌ في الأمانِ ... وشحم الحزين وكَعْب البقرْ

٥٧٩ ـ لسان الثور: يشبّه به اللسان الطويل العريض، أنشد الصوليّ لبعض الشعراء في هجاء محمد بن أحمد بن الحسين بن حرب ـ وكان وكّل ببيع الغلّات ببغداد بأمر المعتمد:

ألَا تَعْساً ونكْساً لابنِ حربِ ... وضرباً بالمقامع بعد صَلْبِ[١]
لقد مُلِئتْ به بغدادُ جَوْراً ... وأفرِغَ بُغضُه في كلّ قلبِ
تبارك مَنْ حباه بوجه قردٍ ... ونكهةِ ضَيْغَم وطباعِ كَلْبِ
وعينيْ فأرة ولسانِ ثورٍ ... وخِلقةِ قُنفُذٍ وجبينِ دُبِّ

ولابن الرومي في هجاء عجوز:

أدنتْ إلى شدقه لساناً ... ما هو إلا لسانُ ثَوْرِ

٥٨٠ ـ شاة سعيد: كان المثل يُضرب بشاة منيع؛ ثم تحوَّل المثل إلى شاة سعيد لكثرة ما قال الحمدوني فيها، وتسييره المِلَح في وصف هُزَالها:

ما أرى إن ذبحتُ شاةَ سعيدِ ... حاصلاً في يديّ غيرَ الإهابِ
ليس إلا عظامُها لو تراها ... قلتَ هٰذي أدرانٌ في جرابِ
كم تغنّت بحرقةٍ ونَحيبِ ... لم تذقْ غير سفّ مَحْضِ التراب
ربّ لا صبرَ لي على ذا العذابِ ... بُلِيَتْ مهجتي وأوْدَى شبابي!

وقوله:

صاح بي إبنُ سعيدِ ... من وراء الحُجُراتِ

---

(١) ط: «بالمقارع».

قــرّب الــنــاسُ الأضــاحــيِ وأنــا قــرّبــتْ شــاتــي
شــاةِ سَــوْء مــن جــلــودِ وعــظــامِ نَــخِــرَاتِ
كــلــمــا أَضــجــعــتُــهــا لــلــذّ بْــح قــالــت: بــحــيــاتــي

وقوله:

جــاد ســعــيــدٌ لــي بــشــا ةِ ذاتِ سُــقْــم ودَنَــفْ
نــاحــلــةُ الــجــســم إذا مــا هــيَ مــرّت بــالَــجــيَــفْ
صــاحــت عــلــيــهــا هٰــهُــنــا يــا أخــتَــنــا ذات الــعــجَــفْ
تــخــنُــقُــهــا الــعَــبــرةُ إنْ مــرّت بــأصــحــاب الــعــلَــفْ
كــم قــد تــغــنّــى ولــهــا شــوقٌ إلــيــه ولَــهَــفْ
وقــد تــقــطَّــعــت إلــى وجــهــك شــوقــاً وأسَــفْ

وقوله:

بشاة سعيدٍ وهي روحٌ بلا جسم تمثّلتِ الأمثالُ في شدة السُّقْمِ
يقولُ ليَ الإخوان حين طبختُها أتطبخُ شطرنجاً عظاما بلا لحْمِ!
فقلت كُلوا منها فقالوا تهزُّؤاً أتطعمُنا ناووسَ قَوْم من العُجْم![1]
فقلت لهم كانتْ لديهم أسيرةً ترى القتَّ من شأوٍ بعيدٍ وفي الحُلْمِ
وكم قد تغنّت إذ تطاول جوعُها ولم ترَ عند القوم شيئاً من الطُّعْمِ
ألا أيّها الغضبانُ باللّه ما جَرى إليك فقد أبليت جلْدي على عَظْمِي!

٥٨١ ـ **شاة أشعب**: يُضرب بها المثل في الطمع، قيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة لي صعِدت في السطح، فنظرت إلى قوس قُزَح، فظَنّته حبل قَتّ، فسقطت فاندقت عنقها.

وإلى هذا التمثيل أشار ابن الحجاج في قوله ـ وقد سقطت زوجتُه من سطح فماتت ـ وهي من قصيدة:

عفا اللّه عنها إنها يوم ودَّعَتْ أجلّ فقيدٍ في التراب مغيَّبِ
ولو أنها اعتلّت لكان مصابُها أخفَّ على قلب الحزين المعذّبِ

---

(١) ط: «ملبوس قوم».

ولكن رأت في الأرض أفعى مجندلاً على قدْرِ غُرمول الحمار المشعّبِ
فظنّته أيْراً والظّنون كواذبٌ إذا أخبَرت عن علم ما في المغيّبِ
وأهوتْ إليهِ من يفاعٍ ودونَهُ ثمانون باعاً من علوّ مصوّبِ
فصارت حديثاً شاع بين مصدّق يحققُه علماً وبين مكذّبِ
سوى الطمع المُردي إليها بحتفها ومن يمتثلْ أمر المطامع يعطَبِ
فأعظِمْ يا هذا لَك اللّهُ ربُّها وربُّك أجرَ الثُّكل في شاة أشعبِ

٥٨٢ ـ **تيس بني حِمّان**: العرب تضرب به المثل في الغُلْمة، فتقول: أغلم من تيس بني حِمّان، وتزعم أنه نزا على سبعين عنزاً بعدما فُريت أوداجه[١].

ويُروَى أن مالك بن مِسْمع هازل الأحنف بن قيس: فقال: واللّه لأحمق بكر وائل ـ يعني هبنّقة القيسيّ ـ أشهرُ من سيّد بني تميم ـ يعني الأحنف ـ قال وكان لُقّاعة حاضرَ الجواب، فقال: واللّه لَتيس بني تميم أشهر من سيّد بكر بن وائل؛ يعني تيس بني حِمّان لأنهم من تميم، وعَنَى بسيّد بكر بنَ مِسْمَع.

٥٨٣ ـ **لحية التيس**: يشبّه بها اللحية الطويلة المشدّقة[٢]، قال الشاعر:

ليسَ بطولِ اللّحى يستوجبون القَضَا
إن كان هذا كَذَا فالتَّيْسُ عدلُ رِضا

وقال [ابن][٣] بسّام في مغنّ يُقال له لحية التيس:

أقول إذْ غَنّى بما ساءني أقصِرْ قليلاً لحيَةَ التَّيْسِ
ودع قِفا نبك وقوفاً بها لا رحم اللّه امرأ القيسِ!

٥٨٤ ـ **صُنان التّيس**: قال الشاعر:

نكهْتُ المدينيّ إذ جاءني[٤] فيا لكَ من نكهة عالِيَهْ
له دَفَرٌ كصُنان التّيو س أغنى عن المسك والغالِيَهْ[٥]

(١) الحيوان ٥/ ٥٠٢.
(٢) المشدقة: الكاسية على الشدقين.
(٣) من ب.
(٤) نكهت، أي شمس.
(٥) الدفر: شدة ذكاء الريح.

وقال بعض العصريين:

لـي صـاحـب لا يـسـمّـى   بـيـن الـورى إنـسـانـا
لأنـه الـتَّـيـس قـرْنـاً   ولـحـيـةً وصُـنـانـا

٥٨٥ ـ **حالب التيس**: يُضرب مثَلاً لمن يطمع في غير مطمع، ومَنْ يرجو مَنْ لا يجدي، قال والبة بنُ الحُباب:

أصبحتَ لا تعرف الجميلَ ولَا   تَفرقُ بين القَبيحِ والحسَنِ
إنَّ الذي يرتجي نداك كمَن   يحلب تيساً من شهوة اللّبنِ

وقال البحتريّ:

أيا صالحاً لا يَجْزِك اللّهُ صالحاً   فإنك مثلُ التّيس أخفقَ حالبُهْ[١]

٥٨٦ ـ **ضَرْطة عنز**: يُضرب مثلاً لما يهون من الأمور. ولما قتَل ابنُ جُرموز الزبير بن العوام، وجاء برأسه إلى عليّ بن أبي طالب كرم اللّه وجهه قال له: أبشر بالنار، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «بشّروا قاتل ابن صفية بالنار»، فانصرف ابن جرموز وهو يقول:

أتيتُ عليًّا برأس الزُّبَيْرِ   وكُنت أرجّي به الزُّلْفَهْ
فبُشِّرْتُ بالنار قبل العِبادِ   وبِئسَتْ بشارةُ ذي التُّحْفَهْ
فسِيّانَ عنديَ قتلُ الزُّبَيْر   وضرطةُ عَنْزٍ بذي جُحْفَهْ

ومما يشبه هذا من أمثالهم: لا تحبق في هذا الأمر عَناق حوليّة[٢]، أي لا يكون له تغيير، ولا يدرك له ثأر، قاله عديّ بن حاتم حين قُتِل عثمان بن عفان رضي اللّه عنه، فلما فقئت عينه يوم الجمل، وقُتِل بنوه بصفين، قيل له: يا أبا طريف، ألم تزعم أنه لا تَحبِق في هذا الأمر عناق حوليّة! قال: بلى واللّه، إن التيس الأعظم قد حَبَق فيه.

٥٨٧ ـ **يوم العَنز**: يُضرب مثلاً لمن يلقى ما يهلكه، فيقال: لقي فلان يوم العنز، فكأنّ يومَها يومُ ذبحها، كما قيل: يوم عَبِيد ليوم قتله، قال الفرزدق:

لقيتُ ٱبنَ دينارٍ يَزيدَ رمى به   إلى الشام يومُ العنز واللّهُ خاذلُهْ[٣]

---

(١) ديوانه: ١/ ٢٤.
(٢) العناق: الأنثى من المعز. والحولية: نعت للعناق.
(٣) البيت في اللسان والأساس من غير نسبة.

يعني به المثل: «كالباحث عن المدية»، يقول: كالعنز التي بحثت عن المدية فذبحت بها.

٥٨٨ ـ ذلّ النَّقَدْ: يُضرب بها المثل؛ أذلّ من النَّقَد، وهي[١] صغار الغنم.

قال رجل من بني تميم:

لـو كُـنْـتُـمُ مـاء لَـكُـنْـتُـمْ زبَـدا[٢] أو كُـنْـتُـمُ لـحـمـاً لـكُـنـتـم غُـدَدا

أو كـنـتُـمُ صـوفـاً لـكـنـتُـمْ قِـرَدا[٣] أو كـنـتُـمُ شـاءً لـكُـنْـتُـمْ نَـقَـدا

وقال جحظة البرمكيّ:

رُبّ فـقـيـر أعـزُّ مـن أسـدِ وربّ مُـثْـرِ أذلُّ مـن نَـقَـدِ

(١) بعدها في ط: «بفتح القاف».

(٢) الرجز في الحيوان ٣/ ٤٨٤، ونسبة إلى الكذاب الحرمازي، وهو أيضاً في الأضاد ٤٠٥، والميداني ٢/ ٢٨١ بروايات مخالفة.

(٣) القرد: ما تمعط من الوبر والصوف وتبلد.

في الأسد

أسد اللَّه، ليث عِرّيسة، ليث عِفِرّين، ليث الغاب، جرأة الأسد، عِرّيسة الأسد، زأر الأسد، خاصِي الأسد، نكهة الأسد، راكب الأسد، داء الأسد، شَرَه الأسد، فم الأسد، بُرثن الأسد، أخذ سَبُعة، وثبة الأسد.

الاسْتِشْهادُ

٥٨٩ ـ أسد اللَّه: حمزة بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه، تقدّم[(١)].

٥٩٠ ـ ليث عِرّيسة: من أمثال العرب عن أبي عمرو: هو ليث عِرّيسة، وأنشد لحمزة الحنفِيّ:

لَيْثُ عِرّيسةٍ أخو غمراتٍ   دُونه في العَرِين عِيصٌ ودارُ

٥٩١ ـ ليث عِفِرّين: من أمثالهم: أشجع من ليث عِفرّين[(٢)]؛ كذا قال أبو عمرو والأصمعيّ، واختلفا في التفسير، فقال أبو عمرو: هو الأسد، وقال الأصمعيّ: هو دويّبة كالحِرْباء تنفر من الكواكب وتضرب بذنبها.

وزعم الجاحظ: أنه ضربٌ من العناكب يصيد الذباب صَيْد الفهود، وله ست عيون، فإذا رأى الذباب لطىء بالأرض، [و][(٣)] سكّن أطرافه، فمتى سكن ووثب لم يخطىء[(٤)].

قال ابن سمكة: وهو دويّبة مأواها التراب السهل في أصول الحيطان تدور دوارة ثم يندسّ في جوفها، فإذا هِيجَتْ رمتْ بالتراب صُعدا؛ ويُقال للرجل ابن الخمسين: ليث عِفرّين، إذا كان كاملاً.

٥٩٢ ـ ليث الغاب: يُضرب مثلاً للشجاع الذي يُهاب وهو في منزله، وأنشد الفتح البستي لنفسه:

وليس يعدم كِنّاً يستكنّ بِهِ   ومنعه بين أهليه وأصحابهْ

---

(١) ص ٣٠.

(٢) وفي ياقوت: «عفرين: اسم بلد».

(٣) من الحيوان.

(٤) الحيوان ٥/ ٤١٢.

ومَنْ نأى منهمُ قلّت مهابتُه كالليث يحقر مهما غاب عن غَابِهْ

٥٩٣ ــ جرأة الأسد: يتمثل بها حتى النسوان والصبيان، لأن الأسد سيّد السّباع، كما أن العُقاب سيّد الطيور، والفرس سيّد الدواب، كما قال أبو الحسين المدائنيّ: قال نصر بن سيار: كان عظماء الترك يقولون: ينبغي أن يكون في القائد العظيم القيادة عشر خصال من أخلاق الحيوان: جُرأة الأسد، وخَتْل الذئب، ورَوَغان الثعلب، وحملة الخنزير، وصبر الكلب على الجراحة، وتَحَنُّن الدجاجة، وسخاء الديك، وحذَر الغراب، وحراسة الكُرْكيّ، وهداية الحمام.

٥٩٤ ــ عِرّيسة الأسد: يُضرب مثلاً للمكان الرفيع المنيع، قال الشاعر:

كمبتغي الصَّيدِ في عرِيّسة الأسدِ[١]

وفي أمثال الصاحب: لم يدر أن عِرّيسة الأسد، ليست مرابِضَ النَّقَد.

وفيها: إن الثعالب لا تجسر على أخياس[٢] الأسود، والأرانب لا تحوم حول عيال الأسود.

٥٩٥ ــ زأر الأسد: يضرب مثلاً لوعيد السلطان، وهو قول النابغة للنعمان:

نُبئت أنّ أبا قابُوس يُوعدني ولا قَرار عَلَى زأرٍ من الأسَدِ[٣]

٥٩٦ ــ خاصِي الأسد: يُضرب مثلاً لمن يقدم على الأمر العظيم ويمدّ يده إلى الرجل الكبير، فيقال: أجرأُ كم خاصي الأسد، وهكذا قال محمد بن حبيب وعن أبي عمرو: أجرأ من خاصي الأسد، وهو الذي يقول لللأسد: اخسأ، من قوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

٥٩٧ ــ راكب الأسد: يُضرب مثلاً لمن يُهاب، قال بعض الحكماء: صاحب السلطان كراكب الأسد يهابُهُ الناس، وهو لمركبه أهيَب.

---

(١) نسبة المبرد في الكامل ١/ ١٨ إلى الطرماح؛ والبيت بتمامه هناك:

يَا طَيِّء السَّهْلِ والأجبالِ موعِدُكمْ كمبتَغِي الصَّيْد أعلى زُبيةِ الأسدِ

(٢) الأخياس: جمع خيس؛ وهو بيت الأسد.

(٣) ديوانه: ١٦، وروايته: «أنبئت أن أبا قابوس أوعدني».

٥٩٨ ـ **داء الأسد**: هي الحمّى لأنها كثيراً ما تغزو الأسد حتى إنه قلّما يخلو منها ساعة، قال أبو تمام:

فإن يكُ قد نالتْك أطرافُ وَعْكةٍ فلا عجبٌ أن يوعَك الأسد الوَرْدُ[١]

وكتبت إلى عمر بن عليّ المطوعيّ رقعة فيها: انصرفت البارحة بقلب مهموم، وجسم محموم، فما الظنّ بعلة الحسد، فإن منها علّة الجسد، وداء الذئب خالطه داء الأسد.

وهذا سجع تطفّل عليّ من غير بدون قَصْد. وقد كفاني اللّه داء الذئب، وسيكفيني داء الأسد.

٥٩٩ ـ **نكْهة الأسد**: الأسد موصوف بالبَخَر وكذلك الصَّقْر، قال الشاعر:

قد وَلِيَ فارسَ والأهـ وازَ داودُ بنُ بِشْرِ
وله لحية تَيْسٍ وله منقارُ نَسْرِ
وله نَكْهة ليثٍ خالطت نكهة صَقْرِ

قال سعيد بن حميد لأبي هِفّان يوماً: أنا الأسد، فقال: ليس فيك من الأسد إلا النكهة.

٦٠٠ ـ **شَرَه الأسد**: تقول العرب في أمثالها: أشرَه من الأسد[٢]، وذلك أنه يبتلع البَضْعَة[٣] العظيمة من غير مضغٍ، وكذلك الحيّة؛ لأنهما واثقان بسهولة المدخل وسعة المجرَى.

٦٠١ ـ **فم الأسد**: يضرب مثلاً للشيء الصعب المرام، قال الشاعر:

ومن يحاولُ شيئاً من فمِ الأسدِ

٦٠٢ ـ **بُرْثُن الأسد**: دخل أبو العميثَل[٤] على عبد اللّه طاهر، فقبّل يده، فقال عبد اللّه: قد آذت خشونة شاربك يدي! فقال: كلّا أيها الأمير، إن شوك القنفذ لا يضرّ بُرثُن الأسد.

---

(١) ديوانه: ٢/ ٩٩.
(٢) الميداني ١/ ٣٨٦.
(٣) البضعة: القطعة.
(٤) ط: «العميل»، تحريف، صوابه من ب.

وفي كتاب المبهج: مَنْ تخلّل بناب الأسد، وبُرثن الأسد، فقد سخنت عينه، وحان حَيْنُه[١].

٦٠٣ ـ **أخْذ سَبُعة**: من أمثال العرب: أخذه أخذ سَبُعة[٢]، بضمّ الباء والسَّبْعة بتسكين الباء الموحّدة: اللَّبؤة، قال ابن الكلبيّ: سبُعة رجل وهو سَبُعة بن عوف بن [ثعلبة بن][٣] سلامان، وكان شديداً، فضرب به المثل.

ومن الدليل على أنّ القول هو الأول قولهم: إيّاك والسلطان فإنه يغضب غضب الصبيّ، ويأخذ أخذ الأسَد.

٦٠٤ ـ **وَثْبة الأسد**: قال عبد اللّه بن المعتز للمعتضد:

هَـنّـتْـكَ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـن سـلامـةٌ   بـرغـم عـدوّ فـي الـحـديـد كَـظِـيـم[٤]
وثـبـتَ إلـيـه وثـبـة أسـديـةً   وصُـلْـتَ بـه صَـوْل الـظِّـبـا فـي الـرّيـمِ[٥]

---

(١) الحين: الهلاك.
(٢) الميداني ١/ ٢٦.
(٣) من الميداني.
(٤) ديوان ١٢٦ (المحروسة).
(٥) رواية الشطر الثاني في الديوان:
* طَـوَتْ خـبـراً واسـتـأثـرتْ بـنـجـوم *

في الذئب

ذئب يوسف، ذئب أُهبان، ذئب الغَضى، داء الذئب، بقلة الذئب، لؤم الذئب، خفّة رأس الذئب، نوم الذئب، ظلم الذئب، مسترعِي الذئب، ختْل الذئب، حمق جَهِيزة.

الاسْتِشْهادُ

٦٠٥ ـ ذئب يوسف: قد تقدم في الباب الثاني ذكره[١].

٦٠٦ ـ ذئب أُهبان: يُضرب مثلاً للشيء العجيب وكلام ما لا يتكلّم. ومن قصة أُهبان بن أوس السُّلَميّ أنه كان في غنم له فعدا الذئب على شاة منها، فصاح فيه أُهبان، فأقعى الذئب، وقال له: أتنزعُ مني رزقاً رزقنيه اللَّه! قال أُهبان: فصفقت بيدِي تعجباً، وقلت: واللَّه ما رأيت ولا سمعت أعجب من هذا! فقال: أتعجب من هذا ورسول اللَّه ﷺ بين هذه النّخلات ـ وأومأ بيده إلى أبيات المدينة ـ يحدِّث بما كان ويكون، ويدعو إلى اللَّه عبادَه! قال: فجئت إلى النبي ﷺ وأخبرته بالقصّة وأسلمت. فكان يُقال لأُهبان: مكلّم الذئب، ولولده: بنو مكلّم الذئب[٢]، قال الشاعر:

إلى ابن مكلّم الذئب ابنِ أوسٍ ... رحلتُ غداً فكنتُ على أمانِ

وقال رَزين العروضيّ يهجو بعض ولد أُهبان[٣]:

فكيف لو كَلّم الليثَ الغضوبَ، إذاً[٤] ... تركتُمُ الناسَ مأكولاً ومشروبا

(١) ص ٤٦.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ١١٥، الإصابة ١/ ٩١.

(٣) في الحيوان ٧: ٢١٧ «ورزين العروضي، وهو أبو زهير، لم أرقطْ أطيب منه احتجاجاً، ولا أطيب عبارة، قال في شعر له يهجو ولد عقبة بن جعفر، فكان في احتجاجه عليهم، وتقريعه لهم أن قال:

تهتُمْ عَلَيْنا بأنّ الذئبَ كلّمَكُمْ ... فَقَدْ لَعَمْرِي أبوكُمْ كَلّمَ الذِّيبَا

ثم أورد البيتين.

(٤) الحيوان: «الليث الهصور».

هذا السُّنيديّ لا أصلٌ ولا طَرَفٌ[١]   يكلّم الفيلَ تصعيداً وتصويبَا

قال الجاحظ في نقد شعر رَزين هذا يهجو ولد أهبان: لو كان ولد أُهبان ادَّعوا أن أباهم كلّم الذئبَ [كانوا مجانين][٢]، وإنّما ادَّعوا أنّ الذئب كلَّم أباهم، حتى سُمِّيَ مكلّم الذئب، وإنه ذكر للنبي ﷺ ذلك وأنّه صدقه؛ والفيل ليس الذي يكلّم السّنديُّ، ولم يدَّعِ ذلك سنديٌّ قط، وإنما[٣] السنديّ هو المكلّم له، والفيل هو الفَهِم عنه، فذهب رَزين العروضيّ من التغليط[٤] كلّ مذهب. والناس قد يكلّمون الطير والبهائم والكلاب والسنانير والمراكب[٥] وكل ما تحت أيديهم من أصناف الحيوان التي قد خُوّلوها وسُخّرت لهم؛ وربّما رأيت القرّاد يكلّم القرد [بكلّ ضرب من الكلام، ويطيعه القرد في جميع ذلك][٦]، وكذلك ربما رأيت الإنسان يلقّن الببغاء ضروباً من الكلام [والببغاء تحكيه][٦]، [٧]وإنما الشأن في تكليم ما لا يكلّم الإنسان[٧].

٦٠٧ ـ **ذئب الغضى**: من أمثال العرب: ذئب الغضى، وتيس حُلّب[٨]، وأرنب الحِلّة، وضبّ السّحا، وقنفذ برقة، وشيطان الحَماطة؛ قال الجاحظ: يزعمون أن مَنْ دخل تُبَّتْ لم يزل مسروراً ضاحكاً من غير عجب حتى يخرج منها؛ ومَنْ أقام بالأهواز وكان ذا فِراسة وجد النقصان في عقله، ومَنْ أقام فيها حَوْلاً ثم تفقّد قوته وجد فيها نقصاً![٩].

٦٠٨ ـ **داء الذئب**: هو الجوع، فالعرب تقول في الدعاء على العدو: رَماه الإله بداء الذئب، لأنه دهرَهُ جائع؛ قال ابن الروميّ:

وشاعرٍ أجوعُ من ذئبِ   معشّشٍ بيْن أعاريبِ

---

(١) ط: «لا يخشى مقربه»، وأثبت ما في الحيوان.
(٢) من ب الحيوان.
(٣) الحيوان: «وربما كان السندي».
(٤) ط: كذا في ب وفي بعض أصول الجعوان، وفي ط: «الغلط».
(٥) المراكب، أي ما يركب من الدواب.
(٦) زيادة من الحيوان.
(٧ ـ ٧) العبارة في الحيوان: «وإن في غراب البين لعجبا، وكذلك كلامهم للدب والكلب والشاة المكية، وهذه الأصناف التي تلقن وتحكى».
(٨) في اللسان: «يقال تيس حلب، والحلب بقلة جعداء غبراء في خضرة تنبسط على الأرض، يسيل منها اللبن إذا قطع منها شيء».
(٩) الحيوان ٤/ ١٣٤، ١٣٥.

والأسد والذئب يختلفان في الجوع والصبر عليه، لأن الأسد رغيب حريص، وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً، فلا يأكل شيئاً، والذئب وإن كان أقفرَ منزلاً، وأقلّ خِضْباً، وأكثر كدّاً وإخفاقاً، فلا بدّ له من شيء يلقيه في جوفه، فربّما استفّ التراب.

٦٠٩ ـ **بقلة الذئب**: هي اللحم، لأن الذئب لا يحوم حول شيء من البُقول والنبات، وإنما بقلة اللحم لا غير. وقيل لأبي الحارث: أي البقول أحبُّ إليك؟ قال: بقلة الذئب، قال الشاعر:

الخبزُ أفضلُ شيء أنتَ آكلُهُ وأفضلُ البَقْل بقلُ الذئبِ يا صاحِ

٦١٠ ـ **لؤم الذئب**: من تمام لؤم الذئب أنّه لا يقتصر من الغنم على ما يشبعه، بل يعبث بها فلا يبقي ولا يَذر؛ ومن ذلك أنه ربما تعرض للإنسان ذئبان فيتساندان ويقبلان عليه إقبالاً واحداً، فإذا أدمى الإنسان أحدَهما وثب الآخر على الذئب المدَمّى ومزّقه، وربما تكون الذئبة مع ذئبها فيدمَى الذئب، فإذا رأته قد دمِيَ شدّت عليه فأكلته، قال رؤبة:

ولا تكوني يا ابنةَ الأشمِّ حمقاء أدمتْ ذئبها المُدَمِّي[1]

يقول: قد أثّر الوهن فِيَّ أثراً فلا يحملنّكِ ما ترين من أثره فيّ على أن تأكليني معه كما أكلني.

ويُقال: إنه ليس في خلق اللّه تعالى أَلأَمْ من الذئب؛ إذ يحدُث له عند رؤية الدم على[2] مجانسِهِ الطمع فيه، فيُحدث له ذلك الطمع قوة يعدو بها على الآخر. ومن أمثال العرب: هو أعقُّ من ذئبه، قال الفرزدق:

وكنتَ كذئبِ السوءِ لما رأى دماً بصاحبِهِ يوماً أحالَ على الدَّمِ[3]

وقال طرفه:

فتىً ليس بابن العمّ كالذئب إن رأى بصاحبِهِ يوماً دماً فهو آكلُهْ

ولما سردت العرب أخلاق ما عاينوا من السباع وغيرها، وعرفوا ما عابوا من عاداتها، وصفوا الشيء الواحد منها بضروب من الأخلاق المختلفة، فقالوا في تعداد

(١) الحيوان ٦/ ٢٩٨، اللسان ١٢/ ٢٥٧، ١٨/ ٢٩٤.
(٢) ساقطة من ط.
(٣) الحيوان ٦/ ٢٩٨، اللسان ١٣/ ٢٠٤.

أخلاق الذئب: ختْل الذئب، خيانة بالذئب، خبث الذئب، عَدْو الذئب، جوع الذئب، صيحة الذئب، وقاحة الذئب، حدّة الذئب؛ وبكلّ ذلك نطقَت الأشعار.

٦١١ ـ **خفّة رأس الذئب**: من أمثال العرب عن أبي عمرو: أخفّ رأساً من الذئب، ومعناه خِفّة النوم، لأنه لا ينام كلّ نومه لشدة حذَره، ويبالغ من شدة احترازه واحتراسه.

٦١٢ ـ **نوم الذئب**: أنه يراوح بين عينيه إذا نام، فيجعل إحداهما مطبقة نائمة، والأخرى مفتوحة حارسة، قال الشاعر وهو يصفه:

ينَامُ بإحدى مقلتيْه ويتّقي بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ[(١)]

والأرنب وإن كان ينام مفتوح العينين، فليس من احتراز، ولكن خلقه اللّه كذا، قال المتنبي:

أرانبُ غير أنّهمُ ملوكٌ مفتّحةٌ عيونهُمُ نِيامْ[(٢)]

٦١٣ ـ **ظلم الذئب**: المثل سائر بظلم الذئب، والعرب تقول: أظلم من الذئب، قال الشاعر:

وأنت كَجَرْوِ الذئب ليس بآلفٍ أبى الذئبُ إلا أن يجورَ ويظلِما[(٣)]

وربّى أعرابيٌّ ذئباً على نعجة له، فلما شبّ افترسها، فقال الأعرابيُّ:

فريتَ شُويهتِي وفجعت طِفلاً ونِسواناً وأنت لهم رَبيبُ[(٤)]

نشأت مع السِّخال وأنت جَرْوٌ فمن أنباك أن أباك ذئبُ!

إذا كان الطبّاع طباعَ سوءٍ فلا أدبٌ يفيد ولا أديبُ

٦١٤ ـ **عَدْو الذئب**: تقول العرب: أعدى من الذئب؛ من العَدْو والعدوان؛ ومن أمثالهم: هو أبغى عَدْواً من الذئب، وعَدْو الذئب مِشية له يختصّ بها، قال بعض البلغاء في وصف إنسان مسرِع: مرّ بنا كأنه ظلُّ ذئب.

---

(١) البيت لحميد بن ثور، من قصيدة له في ديوانه: ١٠٣ ـ ١٠٦، وهو أيضاً في الحيوان ٦/ ٤٦٧، وفي ط: «يقظان نائم».

(٢) ديوانه: ٤/ ٧٠.

(٣) الميداني ١/ ٤٤٦.

(٤) الحيوان ٤/ ٤٨ الميداني ١/ ٤٦.

وقال امرؤ القيس:

وإرخاء سِرْحانٍ وتَقْريبُ تَتْفُلِ[١]

٦١٥ ـ **مسترعِي الذئب**: يضرب مثلاً لمن يضع الشيء في غير موضعه، ويأتمن الخائن ويستعين بمن هو عليه، فيقال: مسترعِي الذئبِ ظالم، ومستودِعُ الذئب أظلَم.

٦١٦ ـ **خَتْل الذئب**: من أمثالهم: هو أختل من الذئب، يُقال: ختلَ الذئب [الصيدَ][٢] إذا تخفّى [له][٢]؛ وكلّ خادع خاتل، وإنما يريدون أنه يَخْتِل ليُدرك صيدَه.

٦١٧ ـ **حُمق جَهِيزَة**: من أمثالهم: أحمق من جَهِيزة، وهي عِرْس الذئب، أي أليفته؛ ومن حُمقها أنها تَدَع ولدها وتُرضِع ولدَ الضّبع، كفعل النعامة ببيض غيرها. قالوا: ومن هذا قولُ ابن جِذْل الطِّعان[٣]:

كمرضعةٍ أولادَ أخرى وضَيّعتْ   بنيها فلم تَرقَع بذلك مَرقَعا[٤]

قالوا: ويَشهد لما بين الضّبع والذئب من الإلفة أن الضبع إذا صيدتْ أو قُتلتْ فإن الذئب يتكفّل بأولادها ويأتيها[٥] باللحم، وأنشَدوا قولَ الكُميتْ:

كما خامرتْ في حِضْنِها أمُّ عامرٍ   لدَى الخَتْل حتى عالَ أوْسٌ عيالَها[٦]

---

(١) ديوانه: ٢١ وصدره:

* لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وَساقا نعامَةٍ *

(٢) من ب.

(٣) ط: «الضان» تحريف، صوابه من ب.

(٤) كذا في ب والحيوان ١/١٩٧، وفي ط: «فلم تحسن بما فعلت صنعا».

(٥) ط: «وابنها»، تحريف وصوابه من ب.

(٦) البيت في الحيوان ١/١٩٨ وروايته: «لذي الحيل»، وهو أيضاً في اللسان (أوس)، وعيون الأخبار ٧٩/٢، وروايته فيهما: «لدى الحيل» وفي ط: «حتى عال ذئب»، وما أثبته من ب.

في الكلْب

كلب أصحاب الكهف، كلب طَسْم، كلبة حَوْمَل، كلاب الناس، كلاب النار، كلب الرُّفْقة، كلب الحارس، مَزجَرُ الكلب، نُعاس الكلب، صُوف الكلب، رِيح الكلب، بُخل الكلب، حِرص الكلب، إلف الكلْب، لؤم الكلب، غسل الكلب، واقية الكلاب، قتيل الكلاب.

الاسْتِشْهادُ

٦١٨ ـ **كلبْ أصحاب الكهف**: يُضرَب ذلك مثلاً لمن يلازم ولا يفارق، كتب أبو دُلامةَ إلى سعيد بن سالم يشكو غريماً له قد لازَمه:

إذا جئتَ الأميرَ فقل سلامٌ ... عليكَ ورحمةُ اللَّهِ الرحيمِ
وأمّا بعدَ ذاكَ فلي غريمٌ ... من الأعراب قُبِّح مِن غريمِ
غريمٌ لازِمٌ لِفناء داري ... لزوم الكلب أصحابَ الرَّقيمِ
له مائة عليَّ ونصفُ هٰذا ... ونِصفُ النِّصف في صَكٍ قديمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولٰكنْ ... وصلتُ بها شيوخَ بني تَميمِ

وقد ضربه دِعبل مثلاً في هِجاء المعتصم لما كان ثامنَ بني العبّاس من الخلفاء:

ملوكُ بني العبّاس في الكُتْب سبعةٌ ... ولم تأتِنا في ثامنٍ لهمُ كُتُبُ[1]
كذلك أهلُ الكهف في الكهف سبعةٌ ... كرامٌ إذا عُدُّوا وثامنُهمْ كلبُ

٦١٩ ـ **كلب طَسْم**: يُضرَب به المثل في مكافأة المُحسن بالإساءة. كما لَطْسم كلب يُحسِنون إليه، فدلّ بنُباحه العدوَّ عليهم، فاستباحوهم وقتلوهم كما دلّت بَراقِش، وهي كلبة كانت لقوم من العرب هربوا من عدوّ لهم ومعهم بَراقِش، فاتَّبع العدو أثرَهم بنُباح بَراقِش، وهمّ عليهم فحطمهم، وصار

---

(١) ديوانه: ٣١٤.

قولُهم: على أهلها دلّت بَراقِش[1] مَثَلاً، كما قال حمزةُ بن بَيض:

لـم تـكـن عـن خـيـانـةٍ لـحِـقَـتْـنـي[2] لا يَـسـارِي ولا يـمـيـنـي جـنَـتْـنـي[3]
بـل جَـنـاهـا أخٌ عـلـيَّ كـريـمٌ وعـلـى أهـلِـهـا بَـراقـشُ تَـجْـنِـي

ورُوِيَ في قصّة طَسْم؛ أنّ رجلاً منهم ارتَبَط كلباً، فكان يُطعِمه ويسقيه رجاءَ أن يصيدَ به، فأبطأ عليه يوماً، ودخل عليه صاحبه، فوَثَبَ عليه وافترسه، فصار مثلاً في كفران النعمة، وفيه قيل: سمِّن كلبَك يأكلك[4]، قال الشاعر[5]:

كـكَـلْـبِ طَـسْـمٍ وقـد تـربَّـبَـهُ[6] يَـعُـلُّـهُ بـالـحـلـيـبِ فـي الـغَـلَـس
ظـلّ عـلـيـه يـومـاً يُـفـرفِـرُه إلا يَـلَـغْ فـي الـدمـاء يـنـتـهـسِ[7]

وقال مالك بنُ أسماء:

هُـمُ سـمّـنـوا كـلـبـاً لـيـأكـلَ بـعـضَـهـمْ ولـو ظفِروا بـالـحَـزْم لَـمْ يَـسمَن الكلبُ

وقال آخر:

أرانـي وعَـوفـاً كـالـمـسـمّـن كـلـبَـهُ فـخـدّشـه أنـيـابُـه وأظـافـرُهْ[8]

٦٢٠ ـ كلبة حَوْمَل: يضرب بها المثل، فيُقال: أجوع من كلبة حَومل. وحَومل امرأةٌ من العرب كانت تربِّي كلبةً لها للحراسة، وتجيعها وتطردها بالنهار، فرأت ليلةً القمرَ طالعاً، فنَبحتْ عليه تظنّه رغيفاً لاستدارته، ولما طالت الشدة عليها أكلتْ ذنَبها من شدة الجوع. قال الشاعر:

كـمـا رضِـيَـتْ جـوعـاً ولـم تَـرْعَ ذِمّـةً لـكـلـبـتـهـا فـي سـالـفِ الـدهـرِ حَـوْمَـلُ[9]

---

(١) الميداني ٢/ ١٤.
(٢) ط: «عن خيانتي»، الميداني: «عن جناية».
(٣) الميداني: «رفقتي».
(٤) الميداني ١/ ٣٣٣.
(٥) هو طرفة بن العبد، ديوانه: ١٩٥.
(٦) ط: «غدا وصاحبه».
(٧) يفرفره: يصيح به. ينتهس اللحم: يأخذه بمقدم أسنانه.
(٨) هو عوف بن الأحوص. الحيوان ١/ ١٩١.
(٩) الميداني ١/ ١٨٦، ونسبه إلى الكميت، قال: يذكر بني أمية، ويذكر أن رعايتهم للأمة كرعاية حومل لكلبتها وذكر بعده:

نُـبـاحـاً إذا مـا الـلـيـل أظـلـم دونـهـا وغُـنْـمـاً وتـجـويـعـاً، ضـلالُ مـضـلّـلُ

٦٢١ ـ **كلاب الناس**: هم الأنذال والسفهاء، قال بعض السّلف: الغِيبة إدام كلابِ الناس، وفاكهة الجُبَناء، قال الشاعر:

كـكَـلْـب الإنـسِ إن فـكّـرتَ فـيـه أشـدُّ عـلـيـك مـن كَـلْـب الـكِـلَابِ

قال منصور الفقيه: ما الكلابُ الكلاب، بل هم الناس، إذا أُسمِنوا كانوا شرّاً من الكلاب[١].

٦٢٢ ـ **كلاب النار**: قال الجاحظ: يُقال للخوارج والنوائح: كلابُ النار[٢].

٦٢٣ ـ **كلب الرفقة**: قال هشام أخو ذي الرّمّة: إعلم أنّ لكلّ رفقة كلباً يَشركهم في فضل الزاد، ويميِّز دونَهم، فإن قدَرتَ ألا تكونَ كلبَ الرُّفقة فافعل.

٦٢٤ ـ **كلب الحارس**: يُضرَب مثلاً للساقط ينتسب إلى الساقط فيزداد ضعةً.

قال الشاعر:

هـذا ربـيـعـةُ فـاعـرفـوه بـاسـمِـهِ كـان الأمـيـرَ فـصـار كـلـبَ الـحـارسِ
مَـن لـم يـذقْ مـرَّ الـزمـان وصَـرْفَـه فـلـيـمُـسِ مـعـتـبِـراً بـهـذا الـبـائـسِ

٦٢٥ ـ **مزجَر الكلب**: يُقال: فلان بمزجر الكلب، وفي صَفّ النّعال؛ إذا كان بالبعد من مَجلس الناس، قال أبو سفيان بنُ حرب:

ومـا زال مَـهـوَى مَزجَـر الـكـلـبِ مـنـهـمُ لَـدُنْ غُـدوةً حـتـى دنـتْ لـغـروبِ

وفي كتاب المبهج: الكريم في مركز القلب، واللئيم بمزجر[٣] الكلب.

٦٢٦ ـ **نُعاس الكلب**: العرب تضرِب المثَل بنُعاس الكلب، كما قالَ رؤبة:

لاقـيـتُ مـطـلاً كـنُـعـاس الـكـلـبِ[٤] وعِـدَّةً عُـجْـت عـلـيـهـا صَـحـبـي
كـالـشـهـد بـالـمـاء الـزلالِ الـعَـذْبِ[٥]

قال الجاحظ: الكلب أيقَظ الحيوان عيناً وقتَ حاجة أصحابه إلى النوم، وإنما نومه نهاراً عند استغنائهم عن حِراسته، ثم لا ينام إلا غِراراً وإلا غِشاشاً[٦]

(١) ب: «بل هم الناس إذا استحسنوا صنع الكلاب».
(٢) الميداني ٢/ ١٣٤.
(٣) ط: «بمركز» تحريف.
(٤) ط: «لاقمت» تحريف، صوابه في ب والحيوان ١/ ٣١٧، والميداني ٢/ ٣٥٥.
(٥) ط: «ماء الزلال».
(٦) الغشاش: النوم القليل.

وأغلب ما يكون النوم عليه وأشدّ ما يكون إسكاراً له أن يكون كما قال رؤبة:

لاقيتُ مَطْلاً كنُعاس الكَلْب

يعني بذلك القرمَطة[١] في المواعيد، وكذلك الكلب فإنه أنومُ ما يكون أن يفتح من عينِه بقدر ما يَكفيه للحراسة، وذلك ساعة فساعة، وهو في هذا كله أيقَظ من ذئب، وأسمَع من فرَس، وأحذَر من عَقْعَق[٢].

وفي نُعاس الكلب نَهاراً وسهِره ليلاً يقول أحمد النسفيّ يهجو رجلاً:

ينامُ إذا ما استيقَظ الناسُ للعُلا ... فإنّ جنّ ليلٌ فهو يَقظانُ حارسُ
كذلك كلب الناس ينعَسُ يومَه ... ويَسهَرُ طُول الليل والليلُ دامسُ

٦٢٧ ـ **صوف الكلب**: يُضرَب مثلاً في العُسْرة والنّكد، كما يُقال: مُخّ الذرّ، ولبن الطير. ويقال: احتاج إلى الصوف مَن جَزَّ كلبه، قال الشاعر:

مَن جزّ كلباً لما في الكلب مِن وَبَرٍ ... أمسَى لَعمرُك محتاجاً إلى الصوفِ

٦٢٨ ـ **ريح الكلب**: يُضرَب مثلاً في النّتْن، قال الشاعر يهجو امرأة:

ريحُها ريحُ كلابٍ ... هارَشَتْ في يوم طلٍّ
ولها ريحٌ كَريهٌ ... مثل صَحْناةٍ بخَلٍّ[٣]

وقال آخَر:

يزداد لؤماً على المَديحِ كما ... يزدادُ نتنُ الكِلاب في المَطرِ

وقالت المرأة التي سألها امرؤ القيس عما يكرَه النساء منه؛ وكان مفرّكا[٤]: يَكرَهن منك أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العَجز، سريع الإراقة، بطيء الإفاقة، وأنك إذا عرقتَ عرقت بريح كلبة. فقال امرؤ القيس: صدقتِ، إنّ أهلي كانوا أرضعوني لبنَ كلبة.

٦٢٩ ـ **بخل الكلب**: يُضرَب مثلاً للبخيل، لأنّ الكلب إذا نال شيئاً لم يَطعَم منه، وإن رامَ إنسانٌ انتزاعَ شيءٍ من يده هرَشه[٥]، قال الشاعر:

وأبخَل من كلبٍ عَقورٍ على عَرْقِ[٦]

---

(١) أصل القرمطة مقاربة الخطو.
(٢) الحيوان ٢/ ١٧٤.
(٣) ط: «صحفاة» تحريف. والصحناة: إدام يتخذ من السمك.
(٤) ط: «مغرما» تحريف والمفرك: الذي لا يحظى عند النساء.
(٥) ط: «هاش».
(٦) العرق: القددة من اللحم.

٦٣٠ ـ **حِرص الكلب**: تقول العرب: فلان أحرَص من كلب على جِيفة، ومن كلب على عَرْق.

ومما يُتمثّل به من أخلاقه: حراسة الكلب، لؤم الكلب، نُباح الكلب، حِفاظ الكلب، إلْف الكلب. ويقال: إنّ الكلب آلفُ من الهِرّ، لأنّ الكلب يألفَ الإنسان، والهرّ يألف المكان. وقال الشاعر يهجو رجلاً:

هو الكلبُ إلّا أنّ فيه ملالةً ... وسوءَ مراعاةٍ وما ذاكَ في الكلبِ

٦٣١ ـ **غَسْل الكلب**: يُضرَب مثلاً للئيم يتضع فلا يزداد إلا لؤماً، قال ابن لَنْكَك:

قل للوضيعِ أبي رِياشٍ لا تُدِلّ ... تِهْ كلَّ تِيهكَ بالوِلاية والعملْ

ما ازددتَ إذ وُلِّيتَ إلا خِسّةً ... كالكلب أنجَس ما يكونُ إذا اغتَسَلْ

٦٣٢ ـ **واقية الكلاب**: يُضرَب مَثلاً للخسيس إذا يكونُ مُوَقًّى، قال دُرَيد بن الصِّمّة لما ضَرب امرأته بالسيف:

أقرّ العينَ أن عُصِبتْ يَدَاها ... وما إن يُعصَبان على خِضابِ[(١)]

وأبقاهنّ أنّ لهنّ لؤماً[(٢)] ... وواقيةً كواقيةِ الكلابِ

٦٣٣ ـ **قَتيل الكلاب**: هو مِسمَع بنُ سنان[(٣)]، أبو مالك بن مسمع، سُمِّيَ بذلك لأنه لجأ في الردة إلى قوم من بين عبد القيس، فكان كلبهم يَنبَح عليه، فخاف أن يَدُلّ على مكانه، فقَتله فقُتِل به. وكان مالك بنُ مِسمَع إذا نُسب قيل له: ابن قتيل الكلاب[(٤)].

---

(١) الحيوان ٢/ ١٩٥، الأغاني ١٩/ ١٩.

(٢) الحيوان والأغاني: «لهن جداً»، بمعنى «خطا».

(٣) الحيوان: «شيبان».

(٤) الحيوان ١/ ٢٧٠.

في سائرِ السِّباع والوُحُوشِ

جِلد النَّمِر، أسْت النَّمر، وثبة النَّمِر، نوم الفهد، عيْث الضبع، مجير أم عامر، خَصلتا الضبُع، حمق الضبُع، حرص الخنزير، قبح الخنزير، رَوَغَان الثعلب، صيدُ ابنِ آوَى، قبح القِرد، حكاية القرد، كُرَاع الأرنب، ظِباء مكة، جآذِر جاسِم، داء الظَّبِي، عين الظَّبْي.

الاسْتِشْهادُ

٦٣٤ ـ جِلد النمر: من أمثال العرب في المكاشفَة وإبراز صَفْحة العداوة قولُهم: لبِس لهم جِلد النمر، قال الشاعر:

إنّ إخـــوانـــيَ مِـــنْ كِـــنـــدَة قـــد لـبِسُـوا لـي خَـمـسـاً جِـلـدَ الـنَّـمِـرْ

وكتبتُ إلى أبي نَصْر بن سهل بن المرزُبان قصيدة في الشكوى أولها:

كـــتـبــتُ مـــن صَـــوْمـــعـــةٍ تَـــسـمَـح بـــالـــقُـوت الـــعَـــسِـــرْ
والـــدهـــرُ مـــن جَـــفـــائِـــه يَـــلـــبَس لـــي جـــلـــدَ الـــنَّـــمِـــرْ
فـــمـــاءُ عـــيْـــشِـــي كَـــدِرٌ ونـــجـــمُ حـــالِـــي مـــنـــكـــدِرْ

٦٣٥ ـ أسْت النَّمِر: يُضرَب مثلاً للرجل المَنيع، فيقال: أمنَع من أستِ النّمر، وأعزّ من أست النمر، ومعناه أن النمر لا يُتعرّض له لأنه مكروه القتال مصمّم. ويقال: إنه لا يَرَى شيئاً إلا طلبه ورام الاستعلاء عليه. وهو أشدّ السباع جرأة إذا هِيجَ. وراودَ رجل غلاماً بدوياً فقال له الغلام: أما سمعتَ: أستَ النمر!.

٦٣٦ ـ وَثْبة النمر: من كلام أبي العَيْناء الذي نَحله الأعرابي[1] في وصف رجال الحضرة، قال: فما تقول: في صالح بن شيرازاد؟ قال: يتغدّى بخروف، ويتعشّى بفصيل، ويَثِب على فريسته وَثْبَة النّمِر، ويَروغُ من خَصْمه رَوَغانَ الثّعلب.

٦٣٧ ـ نَوْم الفَهد: قال الجاحظ: الفَهْد[2] أنوَم الخلق، وليس نومُه كنَوم

(١) كذا في ط، وبعدها هناك: «وقد سأله».
(٢) الحيوان ٦/ ٤٧٢.

الكلب، لأن الكلب نومه نُعاس واختلاس، والفهد نومُه صَمْت[١]. [وليس شيء في مثل جسم الفهد إلا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة][٢].

ومِمن ضَرَب المثلَ بنوم الفهد[٣] حُمَيد بن ثَور في قوله:

ونمتُ كنوم الفهدِ عن ذِي حفيظةٍ[٤] أكلتُ طعاماً دونَه وهو جائعُ[٥]

وابن الروميّ في قوله:

وأمّا نَوْمُكُمْ عن كلِّ خَيْرٍ كنَوْم الفهدِ لا يخشى دفاعا[٦]

وقالت المرأة السابعة[٧] في حديث أم زَرْع تصف زوجَها: زوجي إن دخل فَهِد، وإن خرج أسِد، يأكل ما وَجَد، ولا يسأل عمّا عهِد[٨]، ولا يتفقّد ما ذهب من البيت لطيبةِ نفسه بذلك، قال الراجز:

ليس بنوّامٍ كنوم الفَهْدِ[٩] ولا بأكّالٍ كأكلِ العَبْدِ[١٠]

٦٣٨ ـ **عَيْث الضَّبُع**: يقال ذلك لأن الضبُع إذا وقعت في الغنم عاثتْ فيها ولم تكتفِ بما يُشبِعها، ولم تُبْقِ ولم تَذَر منها؛ ومن عَيثِها وإفراطِها في الفساد استعارت العربُ اسمَها للسنة المجدِبة، فيقال: أكلتْنا الضَّبُع، قال ابنُ الأعرابي: لا يريدون[١١] بالضبع السّنة، وإنما هو أن الناس إذا أجدَبوا ضَعُفوا عن الانبعاث وسقطتْ قُواهم، فعاثت فيهم الضباع وأكلتهم، قال الشاعر:

أبا خُراشَةَ أمَّا أنتَ ذا نفرٍ فإنّ قوميَ لم تأكلهمُ الضبُعُ[١٢]

---

(١) الحيوان: «مصمت».
(٢) من ب.
(٣) ط: «جميل» تحريف.
(٤) في الأصول: «في ذي حفيظة»، خطأ صوابه من الحيوان والديوان.
(٥) ديوانه: ١٠٥، الحيوان ٦/ ٤٧٢.
(٦) ب: «لا يقضي كراه».
(٧) ط: «السابقة» تحريف؛ وما أثبته من ب؛ وهي المرأة الخامسة في الخبر الذي ورد في صحيح مسلم ١٥/ ٢١٢ ـ ٢٢٢.
(٨) ليس في رواية مسلم.
(٩) ط: «ليس ينام» ولا يستقيم معه الوزن.
(١٠) ط: «ولا يأكل» ولا يستقيم به الوزن أيضاً.
(١١) ب: «ليس يريدون».
(١٢) للعباس بن مرداس السلمي يخاطب خفاف بن ندبة؛ والبيت من شواهد سيبويه ١/ ١٤٨.

٦٣٩ ـ **مُجير أمّ عامر**: يُضرَب مثلاً للمُحسِن يكافأ بالإساءة. وأصل هذا المثل أنَّ قوماً خرجوا للصيّد في يوم حارّ، فطردوا ضبُعاً حتى ألجأوها إلى خباءِ أعرابيّ، فاقتحمتْه، فأجارها الأعرابي، وحالَ بينها وبينهم، وجعل يُطعِمها ويسقيها اللبن، وبقيتْ عنده بخيْر حال، فبينما هو نائم إذ وَثَبتْ عليه فبَقَرتْ بطنَه، وشربتْ دَمه، ومضت هاربة. وجاء ابنُ عمّ له يطلبه، فإذا هو بَقِير[١]، والتفت إلى موضع الضبع فلم يَرَها، فقال: هي التي فعلتْ فَعلتها، واللّه لأجدنّها؛ وأخذَ كنانتَه، واقتفى أثرها حتى أدركها ورماها فقتلها، وقال:

ومَن يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِه ... يُلاقِ الذي لاقَى مجيرُ امِّ عامرِ[٢]
أَعَدَّ لها لَما استجارت ببَيْتِه ... أحاليبَ ألبانِ اللّقاحِ الدرائرِ
وأسمَنها حتى إذا ما تمكّنتْ ... فَرَتْهُ بأنياب لها وأظافرِ
فقل لذوي المعروف: هذا جزاءُ مَنْ ... يجود بمعروفٍ إلى غير شاكرِ

٦٤٠ ـ **خَصْلَتا الضّبُع**: يُضر بان مثلاً في الأمرين المكروهين ليس فيهما حظ للمختار، بل هما شيء واحد في الشرّ، والعَرَب تقول في أحاديثها: إن الضبع صادتْ ثعلباً، فقال لها الثعلب وهو بين أنيابها: مُنِّي عليَّ أمَّ عامر[٣]، فقالت: أُخيِّرك خَصلتين: [إمّا أن أكلِمَك، وإما أن آكلك][٤]، فقال الثعلب: أما تذكرين يومَ نكحتُكِ؟ قالت: مَتَى؟ وفتحت فاها، فأفلَت الثعلب، وضربت العربُ المثلَ بخَصْلتي الضبع لما لا اختيارَ فيه.

٦٤١ ـ **حُمْق الضبع**: يضرَب مثلاً فيقال: أحْمَق من ضَبُع[٥]، ومن حمقها أنّ صائدَها يقول لها وهي في وَكْرِها: خامري أمَّ عامِر، أبشِري بجرادِ عِظال، وكَمَر رجال؛ فلا يزال يقول لها ذلك وهي تَسكُن وتنقاد حتى يَدخُل عليها ويربط فمَها ورجلَيْها ثم يسحبها[٦]. [والجراد العظال: الذي قدْ ركب بعضه بعضا، وأما كَمَر الرجال فإن الضبع إذا وجدت قَتيلاً قد

---

(١) بقير: مبقور البطن، فعيل بمعنى مفعول، وفي ط «قتيل».
(٢) حياة الحيوان للدميري ٢/ ٧٢.
(٣) ب: «إن الضبع صادت ثعلباً، فقال لها الثعلب: مني عليَّ أم عامر».
(٤) من ب.
(٥) الميداني ١/ ٢٢٥.
(٦) في ب: «يردها».

انتفخ جوفه ألقته على قفاه وركبتْهُ][1]، قال العباس بن مِرداس:

ولو ماتَ منهمْ مَن جرحنا لأصبحتْ ضِباعٌ بأعلى الرَّقْمتَين عرائسا[2]

ويُقال للرجل يأتي بما يُستنكَر: واللّهِ ما يَخفَى هذا على الضَّبُع ـ يحمّقها. ويُروَى أنّ عليًا رضي اللّه عنه قال في كلام له: لا أكون مثلَ الضبع يُخضِعها القول فتخرج فتصاد[3].

٦٤٢ ـ **حرص الخِنزير**: يُضرَب المثل بحرص الخنزير وقبحِه وقذَرِه وحملتِه، وصعوبة صيده، وشدة الخطر في طردِه.

وكان ابن المقفّع يقول: أخذتُ من كل شيء أحسنَ ما فيه، حتى من الخنزير والكلب والفهد، أخذتُ من الخنزير حرصَه على ما يصلحه وبُكورَه في حوائجه، ومن الكلب نُصحه لأهله وحُسن محافظته على أوامر صاحبه، ومن الهرّة لطفَ نَغْمتها، وحُسْنَ مسألَتها، وانتهازَها الفرصة في صَيْدها.

٦٤٣ ـ **قبح الخنزير**: قال الجاحظ: لو أنّ الكفر والإفلاس والغدر والكذب تجسّدتْ ثمّ تصورت لما زادت على قبح الخنزير، وكان ذلك بعض الأسباب التي مُسِخَ بها الإنسانُ خِنزيراً، فإنّ القرد سمِجُ الوَجْه، قبيحٌ في كل شيء، وكفاك به جَرْيُ المثل المضروب به، ولكنه من وجهٍ آخر مليح، فمِلحه[4] يعترض على قُبحه فيُمازجه ويُصلِح منه، والخنزير أقبَح منه، إلا أنّ قبحَه مصمَت بَهيم، فصار أسمَجَ منه كثيراً[5].

ولما قال حمّاد عَجْرَد في بشّار بن بُرْد:

واللّهِ ما الخنزيرُ في نَتْنِهِ بِرُبْعِهِ في النَّتْن أو خُمسِهِ[6]

بل ريحُه أطيَبُ مِن ريحِه ومَسُّه ألْيَنُ مِنْ مَسِّهُ

ووجهُه أحسَنُ مِن وَجهِهِ ونفسُه أفضلُ مِن نفسِهِ

---

(١) من ب، وفي الميداني: «يزعمون أن الضبع إذا وجدت قتيلاً قد انتفخ جردانه فألقته على قفاه ثم ركبته».

(٢) الميداني ١/ ٢٣٩.

(٣) في ب: «لا أكون مثل الضبع تسمع كلام اللدم حتى تصاد». وفي الميداني: «لا أكون مثل الضبع تسمع اللدم فتبرز طمعاً في الحية حتى تصاد».

(٤) ملحه، أي ملاحته.

(٥) الحيوان ٤/ ٥٠، ٥١.

(٦) سرح العيون ٣٠٥.

وعُودُه أكرَمُ من عُودِه وجِنسُه أكرَمُ من جِنسِه

قال بشّار: وَيْلاه لابن الزِّنْدِيق![1] لقد نَفَثَ بما في صدره؛ قيل: وكيف ذاك؟ قال: ما أراد إلا قول اللّه تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، فأخرَجَ الجُحود به مخرجَ الهِجاء.

وقال الجمّاز:

لو يُمسَخُ الخِنزيرُ مسخاً ثانياً ما كان يُمسَخُ فوقَ قبحِ الجاحظِ

وإذا المِرآة حَبَلَتْ لَهُ بمثالِه[2] لم تَخلُ مقلتهُ بها مِن واعِظ

٦٤٤ ـ **رَوغان الثّعلب**: يُضرَب المثل بخُبثه ومكرِه وحيلته ودهائه، قال طَرَفه:

كم مَن خليلٍ كنتُ خالَلْتُهُ لا تَركَ اللَّهُ لهُ واضحَهْ[3]

كلُّهُمْ أروَغُ من ثعلبٍ ما أشبَهَ الليلَةَ بالبارحهْ!

وللصابي من رسالة في وصف الصيد والمتصيّد: ومعنا فُهودٌ أخطَفُ من البُروق، وأثقَفُ من اللُّيوث، وأجرَى من الغُيوث، وأمكَر من الثعالب، وأدَبُّ من العقارب، وأنزَى من الجَنادب.

قال الجاحظ: الثعلب: جَبان جداً مستضعَف، ولكنه مفرِط الخُبْث والحيلة، يَجري مَجرَى كبار السباع. قال: ومِن خُبثه ودهائِه أنّ له حيلةً عجيبةً في طلب مَقتَل القُنفُذ، فإنه إذا مدّ شوكَ فرْوتِه واستدار كأنّه كُرَة، قرُبَ[4] من ظهره فبال عليه، فإذا فعل ذلك انبَسط القنفذ، فعندها يَقبِض على مَراقِّ بطنه[5].

قال: ومن العجب في قسمة الأرزاق أنّ الذئب يصيد الثعلبَ فيأكلُه، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيدُ الأفعي فيأكلها، والحيّة تصيد الفأرة فتأكلها، والفأرة تصيد الفراخَ وبيض كل شيء في أُفحوصَته[6] فتأكله، والعصفور يصيد الزُّنبور [فيأكُله، والزُّنبور يصيدُ النَّحلة][7] فيأكُلها، والنحلة تصيد الذُّبابة

(١) ب: «على ابن الزنديق».
(٢) ط: «وإذا المرأة أجلت وجهها». وهو غير مستقيم الوزن، وما أثبته من ب.
(٣) الشعر والشعراء ١٤٧.
(٤) في ب: «وأمكنه من ظهره».
(٥) مراق البطن: أسفله وما حوله مما استرق منه.
(٦) أفحوصة الطير: مجثمه.
(٧) من ب.

فتأكلها، والذبابة تصيد البعوضة؛ ولا بد للصائد من أن يُصاد؛ وكلّ صغير فهو يأكل ما هو أصغَر منه، وكلّ قويّ فهو يأكل ما هو أقلّ منه، والناس في بعضهم بعضاً على شبه بذلك، وإن قصّروا عن ذلك المقدار، وقد جعل اللّه بعضَها حياةً لبعض، وبعضَها موتاً لبعض.

وذمّ رجلٌ رجلاً فقال: اجتمعتْ فيه ثلاث: طبيعةُ العَقْعق ـ [يعني السرقة][(١)] ـ وَروَغان الثعلب ـ [يعني الخبث][(١)] ـ ولمَعَان البَرْق الخُلّب ـ [يعني الكَذِب][(١)].

٦٤٥ ـ **صيد ابن آوَى**: يُضرَب مثلاً لما يشُق طلبُه، ويصعُب الظّفَر به، فإذا وُجد لم يكن له طائل، قال الشاعر:

كان ابنُ آوَى وهو صعبٌ فإذا ما صيدَ يوماً لا يُساوِي خَرْدَلهْ

ومثله ـ وفي زيادة ـ لابن الرومي في الخنزير:

أصبحتَ كالخنزير في الطرائِد ليس لمن يطْلبُه من صائدِ[(٢)]
وربّما أتلفَ نفسَ الطاردِ

٦٤٦ ـ **قُبْح القِرد**: يُضرَب به المثل، يقال: القرد قبيح ولكنّه مليح. ورُوِيَ أنّ بشاراً لم يجزع من هجاءٍ قطّ كجزعِه من بيت حمّاد عَجْرد فيه حيث قال:

ويا أَقبحَ من قِردِ إذا ما عَمِيَ القِرْدُ

ويُحكَى أنّ رجلاً قبيحَ الصورة قال لمنصور بن الحُسين الحلّاج رحمه اللّه: إن كنتَ صادقاً فيما تدّعيه فامسَخْني قِرْداً، فقال: أما لو هَمَمتُ بذلك لكان نصف العمل مفروغاً منه.

وقال بعضُ الخلفاء لبعض نُدمائه: عرفتَ أنّ في وجه بَخْتيشوع قرديّة؟ فقال: الغَلَط من غيرك يا أميرَ المؤمنين، بل في وَجْهِ القِرْد بختيشوعيّة.

٦٤٧ ـ **حكاية القِرْد**: قال الجاحظ: وقد عرفت شبه ظاهر القِرْد بظاهر الإنسان؛ يُرَى ذلك في طَرْفه، وتغميضِ عينهِ[(٣)] وضَحكِه وحركته وحكايته، وفي كفّه وأصابعه، وفي رَفْعها ووضعِها، وكيف يتناول بها، وكيف يجهّز اللقمة إلى فيه، وكيف يَكسر الجوز، ويَستخرج ما فيه، وكيف يتقِن كلَّ ما أُخِذَ به وأُعيدَ عليه.

---

(١) من ب.
(٢) في ب: «لمن يقتله».
(٣) ب: «عينيه».

وقال القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز: نحن نجد القرد أكثر شَبَهاً بالإنسان من سائر الحيوان، ولذلك سمّاه القائلون بالتناسخ[١] بالصورة المكشوفة. ويزعُم أهل الشرع أنهم لم يجدوا في ضروب الحيوان أشبَه بالإنسان تركيباً وأعضاء وجوارح، ولم يَروْا أقرب منه خِلقة وصورةً وأدنى إليه شبهاً ومُشاكَلة من القرد، وإن من تقدم جالِينوس من الأطباء لم يفصّلوا قطّ إنسيًّا ولم يُشرِّحوا آدمياً، وإنما عرفوا تلك الأمورَ الغامضة، والسرائر الكامنة، بما فصلوا من أجسام القرود، وبعض من وَجَد من القتلى على نُدْرة في بعض معارك الملوك، فلم[٢] يهدهم من الاختلاف إلّا على اليسير الذي لا يُعتَدّ به.

وقال غيرُه: لمّا أشبَه القِرد الإنسان أرْبى عليه في الحكاية، وضرِب به المثل، وقيل أَحْكَى من قرد؛ وقيل: أولَع من قرد، لولوعه بحكاية مَنْ يَراه.

وقد أحسن ابنُ الروميّ في قوله يهجو قوماً:

ليتَهمْ كانوا قروداً فحكَوْا ... شِيَم النّاسِ كما تحكي القرودُ

والتفت يوماً إلى أبي الحسن الأخفش وهو يختال في مشيته فأنشد يقول:

هنيئاً يا أبا حسنٍ هنيئاً ... بلغتَ من الفضائل كلَّ غايهْ
شَرِكتَ القِردَ في قبحٍ وسُخْفٍ ... وما قصّرتَ عنه في الحكايهْ

٦٤٨ ـ **كُراع الأرنب**: يُضرب مثلاً فيما قَلّ وذَلّ، ويشبه ما صَغُر وهان؛ قال الشاعر يهجو حارثة بن بَدْر الغُداني[٣]:

زعمتْ غُدانةُ أنّ فيهمْ سيِّداً[٤] ... ضَخْماً يوارِيه جَناحُ الجُندبِ[٥]
يُروِيه ما يُروي الذباب وينتشِي ... سُكرا ويُشبِعه كُراعُ الأرنبِ[٦]

قال الجاحظ: إنما ذكر كُراع الأرنب؛ لأنّ يد الأرنب قصيرة، ولذلك يسرِع في الصعود فلا يَلْحقُه من الكلاب إلّا كلبٌ قصيرُ اليد، وذلك محمودٌ في الكلب[٧].

---

(١) ي: «للتناسخ».
(٢) ب: «يهجم».
(٣) ط: «الفداني»، تحريف.
(٤) ط: «عداتي».
(٥) الحيوان ٣/٣٩٨، ٣٩٩. غدانة: قبيلة: والجندب: ضرب من الجراد. يواريه: يستره.
(٦) الكراع بالضم: قائم الدابة.
(٧) الحيوان ٣/٣٩٩.

٦٤٩ ـ ظباء مَكّة: يُضرَب بها المثل في الأمن، لأنها لا تُهاج[١] ولا تُصاد في الحرم لمجاورتِها الحَرَم، فهي ترتَعُ وتَلعَب آمنة، وقد ضَرَب بها المثلَ عبدُ اللّه بن حسَن بن حسن، فأحسن في قوله يصف نسوةً:

أَنَسٌ حرائرُ ما هَمَمنَ بريبةٍ كظِباء مكةَ صيدُهن حَرامُ
يُحسَبْن من لين الكلامِ زَوانياً ويَصدُّهنَّ عن الخَنا الإسلامُ

٦٥٠ ـ جآذِر جاسم: يقال: جآذر جاسم، كما يقال: وَحْش وجَرْة. وللقاضي أبي الحسن فصلٌ في ذكرِهما لم أرَ أحسنَ وأبلغَ، ولا أكفَى وأشفَى منه وهو: قد علمتَ أعزَّك اللّه، أنَّ الشعراء قد تداركوا عيونَ الجآذِر، ونواظرَ الغِزْلان، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدةَ نسيبٍ[٢] تخلو منه إلّا النادرَ والفَذَّ ومتى جمعتَ ذلك ثم قَرنتَ إليه قول امرىء القيس:

تَصُدّ فَتُبدِي عن أَسِيلٍ وتتّقي بناظرةٍ من وحشِ وَجرَةَ مُطفِلِ[٣]

وقابلتَه بقول عديّ بن الرقاع:

فكأنها بين النساءِ أعارَها عينَيْه أحورُ من جآذر جاسِم[٤]

رأيتَ إسراعَ القَلْب إلى قَبول هذين البيتين، وتبيَّنْتَ قربهما منه[٥]، والمعنى واحد، وكلاهُما خالٍ من الصنعة، بديعٌ من البديع، إلّا ما حَسُن من الاستعارة اللطيفة التي كسَتْه هذه البهجة. هذا وقد تخلل كل واحد منهما من حَشْو الكلام ما لو حُذِفَ لاستُغنِيَ عنه، وما لا فائدةَ في ذكره، لأن امرأ القيس قال: «مِن وَحْش وَجْرة» وَعديّاً قال: «مِنْ جآذِرِ جاسم»، ولم يذكُرا هذين الموضعين إلا استعانةً بهما في إتمام النظم وإقامة القافية، ولا تلتفت إلى ما يقال في وجرة وجاسِم[٦]، فإنما يطلب بعضهم الإغْراب [على بعض، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها. وسألت من لا أحصي من الأعراب][٧]، عن وَحْش وَجْرة فلم يَروْا لها

---

(١) ط: «لا تهاجر».
(٢) ط: «تشبيب».
(٣) ديوانه: ١٦.
(٤) الكامل ١/١٤٨.
(٥) كذا في ب والوساطة، وفي ط: «فريهما».
(٦) ب والوساطة: «ولا تلتفت إلى ما يقوله المعنويون في وجرة وجاسم».
(٧) من ب.

فَضلاً على وَحْش صَريمة، وغزلان بُسيطة. وقد يختلف خَلْق الظِّباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتَع، وأما العيون فقلّ أن تختلف لذلك؛ وأما ما أتمّ به عديّ الوصف وأضافه إلى المعنى المبتدإ به بقوله:

وَسْنَان أقصَدَه النُّعَاسُ فرنّقَتْ ... في عينِهِ سِنةٌ وليس بنائِم

فقد زاد به على كلّ من تقدم، وسَبَق بفضله من تأخّر، ولو قلتُ: إنه اقتطع على هذا المعنى فصار له، وحَظَر على الشعراء الشركة فيه، لم أرَنِي بعُدْتُ عن الحقِّ، ولا جانَبتُ الصدق فيما قلتُه[١].

٦٥١ ـ داء الظبْي: من أمثال العرب عن أبي عَمرو الشيباني في صحة الجسم قولهم: داء الظَّبْي؛ قال: ومعناه ليس به داء كما أنّه لا داء بالظبي، قال أبو عبيدة: وهذا نحو قولِ النابغة:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنّ سيوفَهمْ ... بهنّ فُلولٌ من قِراعِ الكَتائبِ[٢]

٦٥٢ ـ عين الظبي: تُشبَّه بها العيون المستحسنة، ويشبّه بها ما يوصَف بشدة السواد، كما قال المتنبي:

لَقِي لَيْلٍ كعَيْن الظبْي لوناً ... وهمٌّ كالحُمَيّا في المُشاشِ[٣]

وقال بعضُ أهل العصر في الجَمْع بين عَيْن الظبي وعين الدِّيك ـ ولعله لم يُسبَق إليه ـ في بيتٍ واحدٍ، فقال:

وليلٍ كعينِ الظَّبْي غيّرتُ لونَه ... بكأسٍ كعَيْن الديك بل هي ألمَعُ

فلما مزجتُ الرُّوح منّي بِراحِها ... تَرحَّل عنّي الغمُّ والهمُّ أجمَعُ

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣٠، ٣١.

(٢) ديوانه: ٦.

(٣) ديوانه: ٢/ ٢٠٧. لقي، أي ملقى في ليل. ونصب «لونا» على التمييز، والحميا من أسماء الخمر. والمشاش: رؤوس العظام الرخوة.

في السنّورِ والفأرِ

سِنّور عبد اللَّه، فأرة العَرِم، فأرَةُ المِسك، فأرة البِيش، فأرة الإبل.

الاسْتِشْهادُ

٦٥٣ ـ **سِنّور عبدِ اللَّه**: يُضرب مَثَلا لمن يكون مرجوّاً في صِغَره؛ فإذا كَبِر تراجَع ولم يُفلِح، وفيه يقول بشار بن برد الأعمى[١]:

أبا مَخلَدٍ ما زلتَ سَبّاحَ غَمرةٍ ... صغيراً فلما شبت خَيّمتَ بالشاطِي[٢]

كسِنَّورِ عبدِ اللَّه بِيعَ بدرهمٍ ... صغيرا فلما شَبَّ بِيعَ بقيراطِ

وقال قبله الفَرزْدَق:

رأيتُ الناسَ يَزْدادون يوماً ... فيوماً في الجَميل وأنتَ تَنقُصْ[٣]

كمِثلِ الهِرِّ في صِغَرٍ يغالَى ... به حتى إذا ما شَبَّ يَرخُصْ

٦٥٤ ـ **فأرة العَرِم**: تُضرَب مثلاً في الضعيف يَقوَى على الأمر الكبير، وفي المَهين يجرّ الخَطْبَ الجليل، ويضر الضرر الكبير. قال الجاحظ: لا يشكّ الناسُ في أنّ أرضَ سبأ وجنّتَها إنما خُرّبتْ حين دخلَها سيلُ العَرِم وأن الذي فجّر المِياهَ فأرة، وكانت سبباً لدخول الماء الذي إذا دخل خَرّبَ بقدرِ قوّتِه. قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]، والعَرِم: المسنّاة[٤] التي كانوا أحكموا عملها لتكون حاجزاً بين ضياعهم وبين السَّيْل، ففجّرته فأرةٌ ليكون أظهر في الأعجوبة؛ كما أفارَ اللَّهُ ماءَ الطوفان من جَوْف تَنّور ليكون ذلك أثبَت في العِبْرة، وأعجَب في

(١) في الأصول: «بشار بن مخلد»، والصواب ما أثبته من حياة الحيوان للدميري ٢/ ٣٢.
(٢) ط: «ثبت» والصواب ما أثبت من ب والدميري.
(٣) نقل الدميري عن ابن خلكان: «ولقد كشفت عن سنور عبد الله بالمظان، وسألت عنه أهل المعرفة بهذا الشأن. فما عرفت له خبرا، ولا عثرت له على أثر؛ ثم إني ظفرت بقول الفرزدق. وأورد البيتين ثم قال: «من هنا أخذ بشار قوله، وليس المراد منه هرا بعينه بل كل هر قيمته في صغره أكبر منها في كبره».
(٤) ط: «المباني» تحريف. والمسناة: ضفيرة تُبنى للسيل لترد الماء.

الآية؛ ولذلك قال خالدُ بن صَفْوانَ لليمانيّ الذي فَخَر عند المهديّ وهو ساكت، فقال له المهديّ: ما لَكَ لا تقول؟ قال: وما أقول في قوم ليس منهم إلّا دابغُ جِلْد، أو ناسِجُ بُرْد، أو قائدُ قِرْد، أو راكب عَرْد[١]؛ أغرقَتْهم فأرة، ومَلَكَتْهم امرأة، ودَلّ عليهم هُدْهُد[٢].

وفي هذه الفأرة يقول الحكم بن عمرو البهْرَانيّ:

خَرَقَتْ فأرةٌ بأنفٍ ضَئيلٍ عَرِماً مُحكَم الأساس بصخرِ
فجَّرتْهُ وكان جِيلانُ عنه عاجزاً لو يَرُومه بعد دهرِ

وجِيلان: فَعَلة الملوك [وكانوا من أهل الجَبَل][٣]، يقول: فجّرته فأرة ولو أنّ جِيلان أرادتْ ذلك لامتنع عليها، لأن الفأرة انما خرّقَتْه لما سخّر اللّه تعالى لها من ذلك العَرِم.

وأنشَدَني الخُوارَزمي لنفسه من قصيدة له في ماس الحاجب الذي سعى في قتل أبي الحسن المَرزُبانيّ:

لا تَعجَبوا من صَيْدِ صَعْوٍ بازياً إنّ الأسودَ تُصادُ بالخِرفانِ[٤]
قد غرّقَتْ أملاكَ حِمْيَر فأرة وبَعوضةٌ قَتلتْ بني كَنْعانِ

[يعني فأرة العرِم والبعوضة التي يُروَى أنها دخلت في أنفِ نمروذ بن كنعان وكان بها حتفه][٥].

٦٥٥ ـ فأرة المسْك: قال الجاحظ: الناس يجدون ريح المسك في بيوتهم في بعض الأحايين، وهي ريحُ فأرة يُقال لها فأرةُ المسك. قال: والتّي تكون في ناحية خُراسانَ، ويُقال لها فأرة المِسك ليست بالفَأرة، وهي بالخِشْف[٦] حين تضعُه الظبية أشبه منه بالفأرة، وإنّما يأخذون سُرّة فأرة وهي مَلأى من دمِ عَبيط، فإذا يبس طاب، وإياها عَنَى الراجز بقوله:

كأنّ بين فَكّها والفَكّ فأْرةَ مِسكٍ ذُبحتْ في مَسْكِ

---

(١) العرد: الحمار.
(٢) الحيوان ٦/ ١٥٢.
(٣) من ب والحيوان.
(٤) اليتيمة ٤/ ٢٢٢، والصعوة: طائر من صغار العصافير أحمر الرأس.
(٥) من ب.
(٦) ٤/ ٣٠١، والخشف: ولد الظبي، والدم العبيط: الطري.

وربما وَجد الناسُ في بيوتهم الجُرَذ يضرب إلى السواد، ويجدون من بدنه إذا عَدا إلى جُحْره رائحةً تُشبِه المسكَ: وبعضُ الناس زعم أنّ هذا الجنس هو الذي يخبأ الدراهم والدنانير والحُلّي كما يَصنع العَقعَق(١).

وقال غيرُه: وربّما قيل للنوافج فأْرة المِسك، على طريق التشبيه والمقاربة.

٦٥٦ ـ **فأْرة البِيش**: قال الجاحظ: فأرة البيش دُويّبةٌ تَغتذِي السمومَ فلا تضرُّها، وحُكمُها حكمُ الطائر الذي يقال له السَّمنْدَل، فإنّه يدخل في التنّور ولا يَحترق ريشه(٢)؛ قال بِشر بنُ المعتمر في هذه الفأرة:

وفأرة البِيشِ على بيشِها أحرَصُ من ضَبٍّ على جُحْرِ

٦٥٧ ـ **فأرة الإبل**: قال الجاحظ: تقول العرب في فأرة الإبل صادرةً: إنَّ أرَجَ تلك الفِئَرة أطيَبُ من المسك الأذفر [في ذلك الزمان، ذلك الوقت من الليل والنهار](٣). قال الشاعر وهو يصف إبلا:

كأنّ فأرةَ مِسكٍ في مباءَتِها إذا بدا من ضياء الصبح تبشيرُ

وقال الراعي:

لها فأرةٌ ذَفْراءُ كلَّ عشيّةٍ كما فَتَقَ الكافورَ بالمِسك فاتِقُهُ(٤)

---

(١) الحيوان ٥، ٧/ ٢١٠.
(٢) الحيوان ٥/ ٣٠٩.
(٣) من ب.
(٤) الحيوان ٥/ ٣٠٩، ٧/ ٢١٠.

في الضبّ والظّربان والقنفذ والسَّرطان

ضبّ الكُدْية، ضبّ السّحا، إبهام الضبّ، درج الضبّ، ذماء الضب، رِيّ الضبّ، عُقوق الضبّ، سنّ الحِسْل، فَسْو الظَّرِبان، سُرَى أنقَد، ليلة أَنْقَد، خُشونة القُنفُذ، مِشْية السَّرَطان، أنامل السَّرَطان.

الاسْتِشْهادُ

٦٥٨ ـ **ضَبّ الكُدْية**: من أمثال العرب: ما هو إلا ضَبُّ كُدْية[١] أي لا يُقدَر عليه، والكُدْية: قطعةٌ من الأرض غليظة، وإنما نُسب الضبّ إليها لأنه لا يَحفِر أبداً إلّا في صلابة خوفاً من انهيار الجُحْر عليه، قال كثيّر:

فإن شئتُ قلتُ له صادقا   وجدتُك بالقُفّ ضَبّاً حَجُولَا[٢]
من اللّاءِ يَحفِرن تحتَ الكُدَى   ولا يَبْتَغِينَ الدّماثَ السهولا[٣]

وقال الحصين[٤] بنُ قَعقاع:

ترى الشر قد أفنى دوابرَ وجهِه   كضَبِّ الكُدَى أَفنَى بَراثنَه الحَفْرُ[٥]

٦٥٩ ـ **ضَبّ السَّحَا**: قال الجاحظ: العرب تقول: ضَبّ السّحَا[٦] كما تقول: تَيْسَ الرّبْل[٧]، وقُنفُذ برقة[٨]، وأرنب الحِلّة[٩]، وشيطان الحَماطة[١٠]،

---

(١) الميداني ٢/ ٢٧١.

(٢) الحيوان ٦/ ٤٠. القف: ما غلظ من الأرض وارتفع. وفي المعاجم: الحجل: الضَّبُّ المسن الكبير أو الضخم، وورد البيت في الأصول محرَّفاً، وأثبت ما في الحيوان.

(٣) الدماث: جمع دمث، وهو السهل من الأرض.

(٤) ط: «الحصن» تحريف.

(٥) الدوابر: جمع دابرة، وهي أصل الشيء. وهو من أبيات في الحيوان ٦/ ٣٩، ٤٠ منسوبة إلى خالد بن الطيفان.

(٦) السحا بالفتح: جمع سحاة، وهي شجرة شاكة.

(٧) المراد بالتيس: الذكر من الظباء والوعول.

(٨) البرقة: غلظ من الأرض فيه حجارة ورمل وطين.

(٩) الحلة: شجرة شاكة، وفي الحيوان: «الخلة»، بالخاء وهي شجرة شاكة أيضاً.

(١٠) الحماط: شجر التين الجبلي.

فيَفرقون بينها وبين غيرها؛ إما في السِّمَن، وإما في الخُبْث، وإمّا في القوّة[١]. واللَّه أعلم.

٦٦٠ ـ **إبهام الضّبّ**: يُضرَب به المثَل في القِصَر، فيقال: أقصَر من إبهام الضّبّ، كما يُقال: أقصَر من إبهام القَطَا، وأقصَر من إبهام الحُبارَى، قال الشاعر:

وكفٌّ ككَفِّ الضَّبّ بل هي أقصَرُ

والعرب تَحمَد سعةَ الكفّ وتذُمّ ضيقَها، وضيقَ الراحة. وفي صفة[٢] النبي ﷺ: إنّه كان رَحْبَ الرَّاحة.

٦٦١ ـ **دَرْجُ الضّبّ**: من أمثال العرب: خَلّه دَرْجَ الضّبّ، أي خلّ سبيله يذهبْ حيث شاء، ويُضرَب لمن يُستغنَى عنه. ودَرْج الرياح: طريقُها، ومَدرَجَة الطريق: قارِعته.

٦٦٢ ـ **ذَماء الضّبّ**: يُضرب المثل في الطُّول[٣] بذَماء الضّبّ، كما يُضرَب بذَماء الأفعَى، والذَّماء: ما بين القتل وخروج النفس.

وقال آخَر: الذَّماء حركة القتيل إلى أن يسكن.

وقال آخر: الذَّماء بقيّة النَّفس، وشدة النَّزع بعد الذّبح، أو هَشْم الرأس.

وقال آخر: هو دم القلب الذي يَبقَى في الإنسان.

قال الجاحظ: العرب تقول: الضّبّ أطوَل شيء ذَماءً، والكَلْب في ذلك أعجَب منه، وإنما عجبوا من الضبّ لأنه يصير ليلتَه[٤] مذبوحاً مَفرِيَّ الأوداج، ساكنَ الحركة، حتى إذا قَرُب من النار تحرّك فيُظَنّ حيّا وإن كان ميتا، والأفاعي تُذبح فتبقى أياماً وهي تتحرك[٥].

قال: وقال لي أبو الفضل العنْبري: يقولون الضبّ أطوَل شيء ذَماء، والخُنْفساء أطوَل ذَماء منه، وذاك أنه يُغرَزُ في ظهرها شوكةٌ نافذةٌ[٦] وفيها ذُبالة،

---

(١) الحيوان ٤/ ١٣٤.
(٢) ط: «وصف» وما أثبت من ب.
(٣) ط: «الطبول» تحريف.
(٤) ب: «ليله» وفي الحيوان: «يغير ليلته».
(٥) الحيوان ٢/ ١٧٥.
(٦) الحيوان: «ثاقبة».

تُستوقدَ [وتُصْبحُ][(١)] لأهل الدار، وهي تدِبّ بها وتَجول حتى الصباح[(٢)]. فأما الأفعى فربما قطع منها الثلثُ من قِبَل ذَنبَها فتعيش إن سلِمتْ من الذَّرّ.

٦٦٣ ـ **رِيّ الضَّبّ**: يُضرب به المثل، فيقال: أَروَى من الضبّ، لأنه لا يشرب الماء أَصْلاً، وذلك إذا عطِش استقبل الريحَ فاتحاً فاهُ، فيكون ذلك رِيُّه. والعرب تقول في الشيء الممتنع: لا يكون ذلك حتى يَرد الضَّبّ، وفي تبعيد ما بين الجِنسين:

حتى يؤلَّفَ بين الضّبّ والنُّونِ

لأن الضّبَّ لا يريد الماء ولا يَرِده، والنُّون[(٣)] لا يَصبر عنه، ولا يعيش إلا فيه.

٦٦٤ ـ **عُقوق الضبّ**: من عقوقها أنها تأكل أولادَها، وذلك أن الضبّة إذا باضت حرَستْ بيضَها، فإذا أخرجتْ أولادَها ظنّتْها شيئاً يريد بيضها، فوثبتْ عليها فقتلتْها وأكلتْها.

ومن العجائب أنّ الهِرّة تأكل أولادها فتُنسَب إلى البِرّ، فيقال: أَبَرُّ من هِرّة، والضبّة تأكل أولادها فتُنسَب إلى العُقوق، فيقال: أعَقّ من ضَبَّة، ولا يُقال: أعَقّ من هِرّة[(٤)].

٦٦٥ ـ **سِنّ الحِسْل**: من أمثالهم في التأبيد، لا أفعل ذلك أو يسقط سِنُّ الحِسْل، وهو ولد الضبّ، وهو لا يسقط له سنٌّ، أي لا أفعل ذلك أبدا، قال الشاعر:

إنّك لو عُمِّرتَ سِنَّ الحِسْلِ ... أو عُمْرَ نوح زَمَن الفِطَحْلِ[(٥)]
والصّخرُ مبتلٌّ كطِين الوَحْلِ ... كنتَ رهينَ هَرَمٍ أو قتلِ

(١) من الحيوان، وتصبح، أي تنير.
(٢) إلى هنا في الحيوان ٣/ ٥٠٨، ٥٠٩، وبعدها هناك: «وربما كانت في تضاعيف حبل قت أو في بعض الحشيش والعشب والخلا، فتصير في فم الجمل فيبتلعها من غير أن يمضغ الخنفساء، فإذا وصلت إلى جوفه وهي حية جالت فيه فلا تموت حتى تقتله».
(٣) النون: الحوت من السمك.
(٤) الميداني ٢/ ٤٨، قال: فحين سئلوا عن الفرق وحسبوا أكل الهرة أولادها إلى شدة الحب لها، فلم يأتوا في ذلك بحجة مقنعة، قال الشاعر:
أمَا ترى الدهرَ وهذا الورَى ... كهِرّةٍ تأكُلُ أولادَها!
(٥) لرؤبة، الحيوان: ٤/ ٢٣، ٦/ ١٣٨، الكامل ٢/ ١٩٩.

قال الأصمعيّ: سمعت خَلفا الأحمرَ، يقول: كنت أسأل الأعرابَ عن زمن الفِطَحْلِ، فتقول: هو أيام كان السِّلام[١] رَطْبة. والعرب تَضرِب المثل في الطول بعُمْر الضبّ وتعدّه من الحيوانات الطويلة الأعمار كالحيّة والنَسْرِ، فتقول: لا أفعل ذلك ولا يكون هذا عُمرَ الضّبّ وسِنّ الحِسْل. وتقول: فلان أَعْمَرُ مِنَ الضّبّ.

وحكى الزيّاديّ عن الأصمعي أنه قال: يبلغ الحِسْل مائةَ سنة ثمّ يَسقُط سنّه، فحينئذ يسمى ضَبّاً.

٦٦٦ ـ **فَسْو الظَّربان**: يُضرَب به المثل في النَّتْن، والظَّرِبان: دُوَيْبة فوق جَرْو الكلب، كريهةُ النَّتْن، وأنتَن خلق اللّه فَسْوا، وقد عَرَف ذلك من نفسه فجعله سلاحَه، كما عَرَفت الحُبارَى ما في برازها من السلاح على الصَّقْر، كذلك الظَّربان يَدخُل على الضبّ جُحره وفيه بيضه وحسوله، فيأتي أضيَقَ موضع في الجُحْر فيسدّه بيده، ويحوّل دبره إليه، فما يفسو ثلاث فَسَوات حتَّى يصرع الضبّ فيخرّ مغشياً عليها، فيأكله، ثم يقيم في جُحْره حتى يأتيَ على آخر حسوله.

وتقول الأعراب: ربما أنه دخل في خلال الهَجْمة[٢] فيفسو فلا يتم له ثلاثُ فَسَوات حتى تتفرّق الإبل وتَنْفِر، كما تنفر عن مَبرك فيه قِرْدان، فلا يردّها الراعي إلا بالجَهد الشديد؛ فمن أجل هذا سمّت العربُ الظَّرِبانَ مُفرِّق النَّعَم.

ويقال للرجلين يتشاتمان ويتفاحشان: إنهما ليتجاذبان جِلْدَ الظَّرِبان، وإنهما ليتماشنان [جِلْد الظَّرِبان][٣]، وقالوا للقوم إذا وقع بينهم فتفارقوا: فَسَا بينهم الظَّرِبان، فلا يَلتقِي منهم إثنان[٤].

وقال الربيع بن أبي الحُقَيْق يهجو قوماً:

وأنتمْ ظَرابينُ إذ تَجلِسُونَ ... وما إنْ لنا فيكمُ من نَديدِ
وأنتمْ نفوسٌ وقد تُعرَفونَ ... بريح التّيُوسِ ونتْنِ الجلودِ

[وقال الحكم بن عَبْدل:

لا تُدْنِ فاكَ من الأمير ونحّهِ ... حتى يداوِي ما بأنفك أهرَنُ

(١) السلام: جمع سلمة، وهي الحجارة الرطبة.
(٢) الهجمة: الجماعة من الإبل، أولها أربعون إلى ما زادت.
(٣) من اللسان (مشن)، ويتماشنان، أي يستبان، وفي ط، «يتماسنان» تحريف.
(٤) ط: «إنسان» تصحيف، صوابه من ب.

إن كـان لـلـظَّـرِبـان جُـحْـرٌ مـنـتـنٌ فَـلـجُـحْـر أنفِك يا محـمـد أنتنُ][1]

ونظر صديقُنا أبو عبد اللَّه الغوّاص إلى قوم جيِّدي الأكْل، خبيثي الرِّيح، فقال:

أنـــاسٌ أكـــلُـــهـــم يُـــرْبِـــي عـــلـــى أكـــل الـــثـــعـــابـــيـــنِ[2]
ونَـــتـــنُ رِيـــاحـــهـــمْ يُـــرْبـــي عـــلـــى نَـــتْـــن الـــظَّـــرابِـــيـــنِ

٦٦٧ ـ **سُرَى أَنقَد**: أنقَد هو القُنفُذ، يُضرَب به المثل في السُّرَى والسَّهَر؛ لأنه لا ينام الليل كله، بل يجول طولَ الليل، كما وصفه الصاحب في رسالة مقصورة عليه فقال: هو أَمضَى من الأجل، وأَرمَى من بني ثُعَل، إن رأتْه الأراقم رأت حَنينَها، أو عاينتْه الآسادُ رأت حَتْفَها[3]، صكوك ليل لا يحجم عن دامسه، وفارسُ ظلامٍ لا يَجبُن عن حِنادسه.

[فـأتَـتْ بـه حُـوشُ الـفـؤادِ مـبـطّـنـاً سُـهُـداً إذا مـا نـام لـيـلُ الـهَـوْجـلِ][4]

٦٦٨ ـ **ليلة أنقدَ**: من أمثال العرب في مَن لم يذق غمضاً: بات بليلة أنقد؛ أيْ ساهراً لم ينم، وقالوا: اجعلوا ليلتكم ليلة أنقد، في السُّرَى والسَّهر، قال الطرمّاح:

فـبـات يـقـاسـي لـيـلَ أنـقـدَ دائـبَـا

وأنشَدني إسماعيلُ بنُ محمد من قصيدة الهَمَذاني:

وظَـلّـت تـصـيـحُ الـبـومُ مـنـه مـهـابـةً وبـتُّ لـه وَغْـيـاً بـلـيـلـةِ أَنـقَـدِ
فكان كصُنعِ النارِ في يابس الغَضا[5] شددتُ على الأحشاء من حَرِّه يدِي

وأحسنُ ما سمعتُ في ليلة أنقَد قول الأمير السيّد:

يـــا مَـــنْ يَـــبـــيـــتُ مـــحـــبُّـــهُ[6] مـــنـــه بـــلـــيـــلـــةِ أَنْـــقَـــدِ

---

(١) من ب والحيوان ١/ ٢٣٧، وهو أهرن القس، طبيب ذكره القفطي في طبقات الحكماء ص ٨٠.
(٢) يتيمة الدهر ٤/ ٤٠٢.
(٣) كذا في ب: وفي ط: «صلول ليل لا يحجم عن أمسه، وفارس ظلام لا يجبن في حندسه».
(٤) من ب، والبيت لأبي كبير الهذلي، ديوان الحماسة ١/ ٨٦ ـ بشرح التبريزي. حوش الفؤاد: ذكي الفؤاد. والمبطن: الخميص البطن. والسهد، من السهاد، وهو السهر. والهوجل: الثقيل الكسلان.
(٥) ب: «وعيد كصنع النار».
(٦) كذا في ب، وفي ط: «يا مَن بليت محبة».

إنْ غـبْـتَ عـنِّـي سُـمـتَـنِـي وَشْـكَ الـرَّدَى وكَـأَنْ قَـدِ

فانظر إلى رَشاقة هذا الكلام وكثرةِ رونقِه وأخذِه بطرَفَي الحُسن والجَودة!.

٦٦٩ ـ **خُشونة القنفذ**: يُضرَب بها المثل، فيُقال: أخشَن من قُنفُذ وللصاحب في وصفه: يلقاك بأحسنَ من حدّ السيف، ويستتر [بألين][1] من متنِه، متى جدّ وجمع أطرافَه.

ولكشاجِم في وصف البِطيخ:

وطـيِّـبٍ أهـدَى لـنـا طَـيِّـبـاً فـدلّـنـا الـمُـهـدَى عـلـى الـمـهـدِي[2]

لـم يـأتِـنـا حـتـى أتَـتْـنـا لـه روائـحُ أغـنـتْ عـن الـنَّـدِّ

بـظـاهـرٍ أخـشَـنَ مـن قُـنـفـذٍ وبـاطـنٍ ألـيَـنَ مـن زُبْـدِ

كـأنـمـا تَـكـشِـف مـنـه الـمُـدَى عـن زعـفـرانٍ شِـيـبَ بـالـشَّـهْـدِ

٦٧٠ ـ **مِشْية السَّرَطان**: يُضرَب به المثل في الإدبار ورجوعِ القَهقرى. وكان الخُوارَزمي إذا وصف راجعاً إلى وراء قال: مِشْية السَّرَطان، وكبَوْل الجمل إذْ يَرجع إلى خَلْف.

وأنشدتُ لأبي منصور العبدونيّ [في أبي أحمد بن أبي بكر بن حامد][3] الكاتب ـ وكان يُلقّب بالعَطَوانيّ لفرطِ مَيلهِ إلى شعرِ العَطَوِيّ وحفظِه إياه وكثرةِ تمثُّلِه به وذكرِه له:

أبـا أحـمـدٍ ضَـيّـعـتَ بـالـخُـرْق نِـعـمـةً أفـادَكَـهـا الـسـلـطـانُ والأَبَـوانِ[4]

فـقـد صـرتَ مـهـتـوكَ الـجـوانـبِ كـلّـهـا ولُـقِّـبـتَ لـلإدْبـار بـالـعَـطَـوانـي

وأَفْـكـرت فـي عَـوْدٍ إلـى مـا أضـعـتَـه وقـد حِـيـلَ بـيـن الـعَـيْـرِ والـنَّـزَوانِ

فـرأيُـك فـي الإدبـار رأيٌ أخـذتَـه وعُـلِّـمـتَـه مـن مِـشْـيـة الـسَّـرَطـانِ

٦٧١ ـ **أنامل السرطان**: قرأت لبعض ظُرفاء الكتّاب فصلاً استملحتُه في وصف خطّ رديء، وهو: نظرتُ في خطّ منحَطّ، كأرجُل البَطّ، على الشطّ، أو أنامل[5] السَّرَطان، على الحِيطان.

---

(١) من ب.

(٢) ديوانه: ٥٠.

(٣) الزيادة من يتيمة الدهر ٤/ ٦٣.

(٤) يتيمة الدهر ٤/ ٤٣.

(٥) ب: «وأنامل».

في الحيَّةِ والعَقرب

حيّة الوادي، شيطان الحَماطَة، صِلُّ أَصْلال، ابنة الجبَل، صماء الغَبَر، شُجاع البَطْن، أفاعي سِجِستان، ثعابين مصر، ظلم الحية، عُرْي الحيّة، رِجْلا الحيّة، رُقْية الحيّة، لسان الحيّة، إطراق الشُّجاع، رداء الشجاع، ضحك الأفاعي، عقارب شَهْرَ زُور، خبث العقرب، ليلة العقرب، رُقية العقرب، دَبيب العقرب.

الاسْتِشْهادُ

٦٧٢ ـ **حيّة الوادي**: يقال: حية الوادي قد حَمَتْه فلا يَقرَبه شيء، يُضرَب مثلا للرجل المنيع الجانب، قال الشاعر:

إذا وَجدتَ بوادٍ حيّةً ذَكَراً فاذهبْ ودَعْني أُمارِسْ حيّة الوادي[(١)]

وقال أبو تمّام:

مُلِّئْتَ الأحسابُ أيّ حياء وحيَا أزْمَةٍ وحيّةِ واد[(٢)]

٦٧٣ ـ **شيطان الحَماطة**: قال الجاحظ: من أمثال العرب: ما هو إلا شيطان الحَمَاطَة، إذا رأت منظراً قبيحاً. والشيطان: الحيّة، والحماطة من الشجر ومن العشب، يريدون حيّة تأوِي الحَماطَة، كما يقولون: أمم الضلال، وذِئْب الغضى، وتَيْس الرمل، قال الراجز:

عَنْجَرِدٌ تَحلِف حينَ أَحلِفُ كمِثل شيطانِ الحَماطِ أعْرَفُ[(٣)]

٦٧٤ ـ **صِلّ أصلال**: من أمثال العرب عن أبي زيد: إنهُ لصِلّ أصلال، قال: وأصله من الحيات، يشبّه بها الرجل المنيع الداهية، وفيه يقول الشاعر:

ماذا رُزِئْنا به من حيّة ذَكَرٍ نَضْناضةٍ بالرَّزَايا صِلُّ أَصلالِ![(٤)]

---

(١) الحيوان ٤/ ٢٣٥، والمخصص ١٦/ ١٠١، من غير نسبة.
(٢) ديوانه: ١/ ٣٦٨، والبيت ساقط من ط.
(٣) ورد الرجز محرفاً في الأصول؛ وصوابه من اللسان (حمط)، «شبه المرأة بحية له عرف».
(٤) نسبه صاحب اللسان (١٣/ ٤٠٨) إلى النابغة الذبياني.

٦٧٥ ـ **ابنة الجَبَل**: هي الحيّة الصَّمّاء التي لا يَقرُب أحدٌ جبلَها من خوفها؛ تُنسبُ إلى الجبل، فيقال: ابنة الجبل، [أي صاحبته، لأنه لا يقربه شيء غيرها، كما يقال: حيّة الوادي][١]، يُضرَب مثلاً للداهية، ويقال: صَمّي صَمام ابنة الجبل، إذا أبَى الفريقان الصلح وأرادوا الحرب واختلف ما بينهم[٢]، كما قال الكميت:

فإيَّاكُمُ إيّاكُمُ وملمَّةً[٣] يقول لها الكانونُ صَمّي ابنةَ الجبلْ[٤]

والكانون هو الذي يُكنَى عنه. وابنة الجبل أيضاً، هي الصِّلّ[٥]، وقد تقدم ذكرُه آنفاً.

٦٧٦ ـ **صَمّاء الغَبَر**: هي الحيّة، يُضرَب مثلاً للداهية العظيمة الشديدة[٦]، قال الشاعر:

يا بن المعلَّى نزلتْ إحدَى الكُبَرْ داهيةُ الدّهر وصَمّاء الغَبَرْ[٧]

وكثيراً ما يُستعار اسمُ الحيّة للدواهي. وقولُهم: «إحدَى بناتِ طبق» منها.

٦٧٧ ـ **شُجاع البطن**: كناية عن الجوع، لأن أذاه يُشبّه بمضرّة الحيّة، والعَرَب تزعم أنّ في بطن الإنسان حيةً يُقال لها الصَّفَر، وأنّها تؤذيه إذا جاع، وإياها عَنَى من قال:

ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ[٨]

---

(١) تكملة من ب.
(٢) كذا في ب، وفي ط: «بعد الحرب فاختلف بينهم».
(٣) ط: «وحوية»، صواب من ب واللسان.
(٤) البيت في اللسان (جبل).
(٥) ب: «الصدى».
(٦) في اللسان: «الغبر، بالتحريك: داهية عظيمة لا يُهتدى لمثلها».
(٧) كذا في الحيوان ٤/ ١٤٦، ونبسه إلى الحرمازي. وفي اللسان (غبر)، «قال الحرمازي يمدح المنذر بن الجارود:
أَنتَ لها منذرُ من بَين البَشَرْ داهيةُ الدَّهرِ وَصمّاءُ الغَبَرْ
يريد: يا منذر.
(٨) لأعشى باهلة، من قصيدة يرثي المنتشر بن وهب، وهي الكامل ٤/ ٦٤ ـ ٦٦، وصدره:
* لَا يغمز السَّاقَ من أينٍ ولا وَصَبٍ *

وقال أبو خِراش الهُذليّ[١]:

أَرُدّ شُجاعَ البطن قد تعلمينَهُ[٢] وأوثِر غيري من عِيالك بالطُّعمِ

أي أصبِر على أذَى الجوعِ وأَحْمِل مَضَضَه.

٦٧٨ ـ **أفاعي سِجِستان**: يُضرَب بها المثل في الخُبث وسوء الأثر، كما يُضرب المثل بثعابين مصرَ، وجرارات الأهواز، وعَقارب شَهْرَ زُور.

ووصَف شَبيب بن شبّة أفاعيَ سجستانَ، فقال: كبارُها حُتوف، وصغارُها سُيوف.

وجاء في عهد أهل سِجستانَ على العرب حين افتتحوها: ألّا يقتلوا قُنفُذاً، ولا يصيدوه، لأنها بلادُ أفاعي[٣].

قال الجاحظ: وأكثر ما يَجلبُ أهلُ صنعةِ[٤] التِّرْياقِ والحواؤن الأفاعيَ من سجستان؛ وذلك كسبٌ لهم وحِرفة ومتجر، ولولا كثرة قنافذِها لما كان لهم بها قرارٌ ولا إقامة. والقنفذ لا يبالي أي موضع قَبضَ من الأفعى، وذلك أنّه إن قَبَض على رأسها أو قفاها فهي مأكولة على أسهل الوجوه، وإن قَبَض على وسطها أو على ذَنَبها جذَب ما قَبَض عليه فاستدار، [وتجمع ومنحه سائر بدنه][٥]، فمتى فتحتْ فاها لتقبِض على شيء منه لم تصل إلى جِلده مع شوكِه النابتِ فيه. والأفعَى تَهْرُب منه، وطلبُه لها وجرأتُه عليها على قدْر[٦] هَربِها منه وضعفِها عنه[٧].

وقال في موضع، وهو يصف إنساناً بالطمع: لو أُعطِيَ أفاعيَ سِجِسْتانَ وجرارات[٨] الأهواز، وثعابين مصر، لأخذها، إذ كان الأخذ واقعاً عليها.

٦٧٩ ـ **ثعابين مِصر**: قال الجاحظ: الثعابين لا تكون إلّا بمصر وإليها حوّل اللّه تعالى عَصَا موسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ

---

(١) في الأصول: «أوس بن حجر»، وهو خطأ، والبيت من قصيدة لأبي خراش من قصيدة له في ديوان الهذليين ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٨، وهو أيضاً بهذه النسبة في اللسان (شجع).

(٢) ط: «كي تعلمينه».

(٣) الحيوان ٤/ ١٦٩.

(٤) كذا في ب، وفي ط «أهلها»، وفي الحيوان: «وأكثر ما يجتلب أصحاب صنعته الترياق».

(٥) من الحيوان.

(٦) الحيوان: «على حسب».

(٧) الحيوان ٤/ ١٦٩.

(٨) ط: «جراد» والجرارة: ضرب من العقارب الصغار تجرر أذيالها.

مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢]، يعني أنه حوّلها ثعباناً، والثعبان عجيب الشأن في إهلاك بني آدم، فليس له عدوّ إلا النِّمس[١]، وهي إحدى عجائب الدنيا؛ وذلك أنّها دويبّة متحركة، فإذا رأت الثعبان دنت منه، فينطوي الثعبانُ عليها يريد أن يعضّها ويأكلها فتحْتبِس في بطنِها رِيحا، وتَزفِر زفرةً فتقُدّ الثعبانَ قطعتين، ولولا النِّمْس لأكَلَت الثعابينُ أهلَ مصر، وهي هناك أنفَع لأهلها من القنافذِ لأهلِ سِجسْتان[٢].

٦٨٠ ـ **ظلم الحيّة**: تقول ليس شيء أظلَم من الحيّة، لأن الحية لا تتّخذ لنفسها بيتاً، وكل بيت قصدتْ نحوه هَرَب منه أهلُه وخلَّوه لها فدخلتْه؛ واثقةً أن ذلك الساكن بين أمرَين: فإما أقام فصار طعاماً لها، وإمّا هرب فصار البيتُ لها، فأقامت فيه ساعةً أو ليلةً، قال الراجز:

فأنتَ كالأفعَى التي لا تَحتقِرْ ... ثم تَجِي سائرةً فتنجَحرْ

٦٨١ ـ **عُرْي الحيّة**: يُقال: أَعْرى من الحيّة، كما يُقال: أكسَى من الكعبة؛ ويقال: أَعْدى من الحيّة، لأنّها تمشي على بطنها، قال ابن الحجاج يمدح مَن وَهَب له دابة:

فديتُ من صيّرني راكباً ... وكنتُ أعدَى قبلُ مِن حَيّهْ
فديتُه إنّ فِدائي له ... في قلب مَن يَحْسُدُني كَيَّهْ

٦٨٢ ـ **رُقْيَة الحيّة**: يضرب مثلاً في شيئين متضادَّين: أحدهما الكلام الطويل الذي لا يُفهَم، كما قال عليّ بنُ الجَهْم في وصف توقيعات محمد بنِ عبد الملك الزيات:

عَلَى ابنِ عبدِ الملِك الزيَّاتِ ... لعائنُ اللَّهِ مُوَفَّراتِ[٣]
يَرمي الدَّواوينَ بتوقيعاتِ ... مطوَّلاتٍ ومقصّراتِ
أشبَه شيء بُرقَى الحيَّاتِ

والآخر الكلام الذي يزيل السَّخيمة ويُصلِحُ ذاتَ البَيْن، وهو اللَّيِّن اللطيف؛ كما قال أبو تمام في وصف قصيدة له:

خذْها مثقَّفَةَ القوافِي رَبُّها ... لسَوابغِ النَّعماءِ غيرُ كَنودِ[٤]

---

(١) ط: «التمس»، تحريف.
(٢) انظر الحيوان ٤/ ١٢٠، ١٢١.
(٣) من أرجوزة له في ديوانه: ١١٨، ١١٩.
(٤) ديوانه: ١/ ٤٠٢، ٤٠٤، مثقفة: مقومة.

كـالـدُّرّ والـمَـرْجـانِ أُلِّـفَ نـظـمُـه ... بـالـشَّـذْر في عُـنُـق الـفـتـاةِ الـرُّودِ[(١)]
كـشـقـيـقـة الـبُـرْد الـمُـنَـمْـنَـم وشـيُـهُ ... فـي أرض مَـهْـرَةَ أو بـلادِ تـزيـدِ[(٢)]
كـرُقَـى الأسـاودِ والأراقـم طَـالَـمـا ... نـزعـتْ حُـمـاتِ سَـخـائـم وحُـقـودِ

رَوَى أبو حاتم عن الأصمعي عن خَلَف الأحمر، قال: كنت أرَى أنه ليس في الدنيا رُقْيَة أطول من رُقْية الحيّة، فإذا رُقْية الخبز أطول منها ـ يعني ما يتكلّفه الإنسان من النظم والنثر والتآليف والخُطب لطلَب المال.

٦٨٣ ـ **لسان الحيّة**: يُشبَّه به القَدَم اللطيفة، كما قال بعض البُلَغاء في وصف امرأة حسناء: لها صُدْغ كالعقرب، وعُنُق كالإبريق الفضة، وسُرّة كمدْهن العاج، وقَدَم كِلسان الحيّة، ويشبِّه به السِّنان، كما قال دِعْبِل:

وأســمَــرَ فــي رأسِــه أزرَقٌ ... مِـثـلُ لـسـانِ الـحـيّـة الـصـادِي[(٣)]

٦٨٤ ـ **إطراق الشُّجاع**: من أمثال العرب: أطرَق إطراقَ الشُّجاع، إذا سَكَن وسَكتَ. قال المتلمّس:

فـأطـرَقَ إطـراقَ الـشـجـاعُ ولـو يـرى ... مساغاً لِـنـابَـيْـهِ الـشـجـاعُ لَـصَـمّـمـا[(٤)]

٦٨٥ ـ **رداء الشُّجاع**[(٥)]: هو قشر الحية، يُضربُ مَثَلاً في الرقّة؛ ويشبّه به الثوب الناعم الرقيق، كما قال أبو تمّام في وصف خِلْعة خَلَعها عليه الحسنُ بنُ سهل، وهي أحسنُ ما قيل:

قـد كَـسـانـي مـن كـسـوة الـصـيـف خِـرْقٌ ... مـكـتَـسٍ مـن مـكـارم ومَـسـاعِ[(٦)]
حُـلّـةً سـابِـريّـةً ورداءً ... كَـسَـحـا الـقَـيْـض أو رداءَ الـشـجـاعِ[(٧)]
كـالـسَّـراب الـرَّقـراقِ في الـحُـسن إلا[(٨)] ... أنّـه لـيـس مِـثـلَـهُ فـي الـخِـداعِ

(١) الشذر: ما يصاغ من الذهب والفضة. والرود: الناعمة.
(٢) مهرة: قبيلة تسكن بلاد اليمن، والعصب تعمل هناك، وبنو تزيد من قضاعة.
(٣) ديوانه: ٧٥.
(٤) الأصمعيات ٢٨٧.
(٥) ط: «برد».
(٦) ديوانه: ٢/ ٣٤١. والخرق: الرجل الكريم.
(٧) السابرية: الرقيقة. وسحا القيض، يعني ما تحت القشر الأعلى من البيضة، والسحام تحته. وورد البيت محرفا في الأصول، وصوابه من الديوان.
(٨) الديوان: «في النعت».

يَطرُد اليومَ ذا الهجيرِ ولو شُبِّهَ   في حَرِّه بيَوْم الوَداعِ
سوف أكسُوكَ ما يفوق عليه   من ثناء كالبُرْد بُردِ الصَّناعِ
حُسنُ هاتيكَ في العيون وهذا   حُسْنُه في القلوب والأسْماعِ

قال الجاحظ: الحية لا تَسْلخ جلدَها، وإنَّما يُخْلَق لها كلّ عام قِشْر وغلاف، فهي تَسْلُخ القشورَ الناعمة والغلاف الذي على مقدار أجسادها، وإنما تستبدل القشور؛ فأما الجلود فإن أبدانها لا تفارقها إلا بسلْخ السكين.

قال: وليس في الأرض قِشر ولا وَرقةٌ ولا ثوب ولا جناح ولا ستر عنكبوتٍ إلا وقشر الحية أحسَن منه وأرقّ وأتقَن، وأعجَب تضليعاً وصنعة؛ والحية تَسْلُخ قِشْرَها كما يسلخ الجنين المَشيمةَ، وكذلك أكثر الحيوان، أما الطير فسلخُها تغييرها، وأما الحوافر فسلخها زيادتها، وسلخ الإبل طرد أوبارها وانجراد جلودها، وسَلخ الأيايل نصولُ قُرونها، وسلْخ الأشجار إلقاء ورِقَها، والسراطين تُسلَخ فتَضعُف عند ذلك عن المَشي. والأسْرُوع: دُوَيْبة تُسلخ فتصير فَراشة، والدُّعْموص تُسلَخ فتصير إمّا بعَوضا وإمّا فراشةً، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقد شبّه محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي سَلْخ الحية حيث قال:

نهنَهتُ أوّلها بضَربة صادقٍ(١)   كانتَ كما شُقّ الرداء المُعَلمُ(٢)
وعَليّ مَسبوغُ الحَديد كأنه   سلخُ كَسانِيهِ الشُّجاعُ الأرقَمُ

٦٨٦ ـ **ضحك الأفاعي**: قال أبو مزعون(٣):

إن أبا فرعَوْن زينُ الكُورَهْ   أحسنُ شيء طَلَلاً وصُورَهْ
يَضْحَك إن مرّت به ممكورَهْ   ضِحْكَ الأفاعي في جَريب النورَهْ

وذلك مِثْلُ قولِ أهلِ بَغداد: ضِحْك الجوزة بين حجرين(٤).

٦٨٧ ـ **عقارب شَهْر زُور**: قال الجاحظ: العقارب القتّالة تكون بموضعين: بشَهْرَ زور وقُرَى الأهواز، إلّا أن القواتل(٥) بالأهْواز [جرارات](٦).

ولم يذكر عقارب نَصيبين لأنَّ أصلها فيما يشكون فيه من شَهْرَ زور حين حوصر

(١) ط: «تهشهت».
(٢) ب: «هبركما».
(٣) ط: «فرعون».
(٤) ط: «جمرتين».
(٥) ط: «الغوائل».
(٦) من ب.

أصلُها ورُموا بالمجَانيق بِكيزان محشوّة من عقارب شَهْرَ زُور حتّى توالدت هناك، فأعطى القوم بأيديهم.

وقال ابن الرّوميّ في عقارب شَهْرَ زُور يهجو فتاةً اسمُها شنطَف:

إذا ما شَنْطَفُ نكَهَتْ أماتَتْ ... فمِن نَكْهاتها قَتْلَى وصَرْعَى
يُلاقي الأنفُ من فمِها عَذاباً ... وتَرعَى العينُ منها شرَّ مَرعَى
وإنّ سكوتَها عندي لَبُشرَى ... وإنْ مَنّت عددتُ المَنّ مَنْعا[1]
فَقرْطقُها كعَقْربِ شَهْرَزُورٍ ... إذا غنّتْ مطوّقةٌ بِأَفْعَى

وممَّا يتمثّل به من عقارب قاشان ـ فإنّها معروفة بالخُبث ـ ما كَتَب به الصاحب: كتبتُ من قاشانَ وقد قاسيتُ من خوف عقاربها ما يُقاسيه شيخُنا أبو عبد اللّه من عقارب الأصداغ.

وعلى ذكر عقارب الأصداغ قد كنتُ أظنّ الصاحب أبا عُذْرَة قوله:

إذا لم يكن يَكفُفْ عقاربَ صُدغه ... فقولوا له يَسْمَح بتِرْياقِ رِيقِه

حتى أنشدتُه يوماً للأمير السيد أدام اللّه تأييده، فقال: إنما أخذه ممن قال[2]:

ضرَبَتْ عينُك قلبي ... إنما عَيْنُك عقرَبْ
لكنِ المَصّةُ من ريـ ... ـقكَ تِرْياقٌ مُجرَّبْ

٦٨٨ ـ **خبْث العقرب**: يُضرَب به المثل، لأن العقرب يتعرض لمن لا يتعرض له، ولا كذلك الحية. وفي الحديث: إنّ عقرباً لسعتْ النبي ﷺ فقال: «لعن اللّه العقرب، ما أخبثَها! تلسع المؤمنَ والمشركَ والنبيَّ والذِّمّي».

٦٨٩ ـ **ليلة العقرب**: يُضرَب بها المثل في الطول، لأن صاحبها لا ينامها، فهي تَطُول عليه جدّاً. ويقال: إن أطول الليالي ثلاث: ليلة العقرب، وليلة الصّدّ، وليلة الهريسة، وفي رواية: مكان «ليلة الصدّ» ليلة العاشق.

وأنشَدَني أبو الفتح كُشاجِم في كتابه:

ما ليلةُ المهجورِ با ... عَدَتِ النَّوى عنه أنيسَهْ
أو ليلةُ المَلْدوغ حا ... ذَرَ ميتةَ النَّفْسِ النفيسَهْ

---

(١) ب: «وإن غناءها عندي لمنعا».

(٢) ط: «إنما أحسن مَن قال»، وما أثبته من ب.

بـــأمـــرَّ مـــن لـــيـــل الـــظـــر يـــف إذا تـــجـــوّعَ لـــلـــهَـــريـــسَـــهْ

٦٩٠ ـ **رُقْية العقرب**: يشبّه بها ما لا يُفهم من الكلام، كما تقدم ذكره في أحد وجهَي ضرب المثل بُرقْية الحيّة، قال ابنُ الرومي في ذمّ شعر البحتريّ:

كـنـافِـضٍ حُـمَّ حـمَّـى الـخـيـبـرِيِّ لـه بَـردٌ وكَـرْب فـمـن يـرويـه مـن كُـرَبِ
كـأنّـه حـيـن يُـصْـغَـي الـسـامـعـون لـه مِـمَّـن يُـمَـيِّـزُ بـيـن الـنَّـبْـع والـغَـرَبِ[1]
رُقـى الـعـقـارب أو هـدرُ الـقِـطـاط إذا أضحَوا على سُقُف الجُدْرانِ في صَخَبِ

٦٩١ ـ **دبيب العقرب**: يُستعار للنمّام وما يجري مجراه من الشر، فيقال: دَبّت عقارب فلان، إذا دنتْ طلائعُ شَرّه، قال الشاعر:

مَـنْ نَـمّ فـي الـنـاس لـم تـؤمـن عـقـاربُـهُ عـلـى الـصـديـق ولـم تـؤمـن أفـاعـيـهِ
كـالـسـيـل بـالـلـيـل لا يَـدرِي بـه أحـدٌ مـن أيـنَ جـاء ولا مِـن أيـن يَـأتِـيـهِ!

ومن فصل للصاحب: أخذتْ عواصفُ شرّه تَهُبّ، وعقاربُ ضرّه تَدِبّ.

(١) ط: «العز» تصحيف صوابه من ب. والنبع والغرب. نوعان من الشجر.

في سائِر الحشرات وَالهَوام

بيت العنكبوت، نَسج العنكبوت، دُودَة الخلّ، دودةُ القَزّ، صنعة السُّرْفة، لجاج الخُنْفساء، وادي النمل، أنمل النمل، قرية النمل، عضّ النملة، جناح النملة، كسب النملة، خيط النملة، جمع الذرّ، مخّ الذرّ، مثقال ذرّة، عِلم الحُكْل.

الاسْتِشْهادُ

٦٩٢ ـ **بيت العنكبوت**: يُضرَب [به][(١)] المثل في الوَهَن والضعف، قال اللّه تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾ [العنكبوت: ٤١]، فدلّ بِوَهَن بيته على وَهَن خلقه، ولا أوهَنَ مما ذَكر اللّه أنه أوْهَن البيوت! وقد أشار الفرزدق إلى هذا المثل الذي نطق به القرآن حيث قال لجرير:

ضَربتْ عليك العنكبوتُ بنَسْجِها ... وقَضَى عليك به الكتابُ المُنْزَلُ[(٢)]

وقال الأحنف:

العنكبوتُ بَنَتْ بيتاً على وَهَنٍ ... تأوي إليه وما لي مثلُها وطنُ
والخُنفُساءُ لها من جنسِها سَكَنٌ ... وليس لي مِثلُها إلفٌ ولا سَكَنُ

وقال آخر:

إنما الدنيا عَناءٌ ... ليس للدنيا ثُبوتُ
إنما الدنيا كبيتٍ ... نسجَتْهُ العَنكبوتُ

٦٩٣ ـ **نَسْج العنكبوت**: قال الحَمْدونيّ في طَيْلسان ابنِ حرب، وهو يضرِب المَثَل بنسج العناكب:

يا بن حَرْبٍ كسوْتَني طَيْلساناً ... مَلَّ من صُحبةِ الزمان وصدَّا
فحسِبْنا نسجَ العناكبِ إنْ قِيـ ... ـسَ إلى نسج طَيْلسانِك قِدّا[(٣)]

(١) من ب.
(٢) ديوانه: ٧١٥.
(٣) القد، بالكسر: السير يقد من جلد غير مدبوغ.

ثم قال:

طالَ تَرداذُه إلى الرَّفْوِ حتَّى ... لو بعثْناه وحدَه لتهدَّى[(١)]

وقال بعضُ أهلِ العصر:

صديقٌ لنا مذ ذقتُ طعمَ إخائِه ... غَصصتُ وقد أَربَى على المُرْشهْدُه[(٢)]

فأَضعَفُ من نَسْج العَناكِب عهدُه ... وأضيَعُ من نارِ الحباحِبِ وُدّه

٦٩٤ ـ دُودة الخَلّ: تُضرَب مَثَلاً للرجل الساقط يعيش مكانَ السوء في حالةِ رَذْلة راضياً بهما، إذ لم يَعرِف سواهما، ولم يتعوّد غيرَهما.

وفي الحديث: «يعيشون كدُود الخلّ [في الخَلْ]»[(٣)]. ومن أمثال العرَب: لا يَصبِر على الخَلّ إلّا دُودُه.

قال الجاحظ: كأنَّك لا تَرَى أن في دِيدان الخَلّ، والدِّيدان التي تتولّد في السّموم إذا عتقتْ وعَرَض لها العَفَن ـ وهي تُعَدّ قَواتِل ـ عِبرةَ وأعجوبة، وأن التذكّر فيها مُوقِظ للأذهان، ومنبِّه لذوي الفطنة[(٤)]، وتحليلٌ لعُقدة البَلادة[(٥)]، وسببٌ لاعتياد الروِيّة[(٥)]، وانفساحٌ في الصدور، وعزٌّ في النفوس، وحلاوةٌ تقتاتُها الرُّوح، وثمرةٌ تَغذُو العقل، وتَرَقّ في الشريعة[(٦)]، وتشوّقٌ إلى معرفة الغايات [البعيدة][(٧)].

٦٩٥ ـ دودة القَزّ: تُضرب مثلاً فيمن يضر نفسه وينفع غيره، فيقال: ما فلان إلّا دودة القز، وفتيلة المصباح، وعودُ الدُّخنة.

٦٩٦ ـ صنعة السُّرفة: يُضرَبُ بها المَثَل في عجيب نَظْمها، وبديع تركيبها، وصنعة كِنِّها، ونظرِها في عواقب أمرِها؛ ومن أظرف ما قرأتُه في ذلك قولُ محمد بن حبيب: هي دُودة تَنسِج على نفسها بيتاً، فهو ناوُوسها حقاً، والدليل على ذلك أنه إذا نُقِض هذا البيتُ لم تُوجَد الدّودةُ فيه حيّةً أصلاً.

---

(١) ط: «لتبدي»، تصحيف.
(٢) ب: «شهدت وقد أربى على الصاب شهده».
(٣) من ب.
(٤) ب: «ومنبهة لذوي الغفلة».
(٥) في الحيوان: البلدة، وهما سواء.
(٦) في الحيوان: «في الغايات الشريفة».
(٧) الحيوان ٢/ ١١١.

وقال غيرُه: كان الناس يتعلمون الحِيلَ من أفعال البهائم وصُنوفِ الحيوان (١فتعلَّموا الحَذَر من السُّرْفة١)، وتعلموا الحقنة من الطائر الذي إذا تُخِم من كثرة أكل السَّمَك جاء البحر فأخذ منه بمنقاره تراباً، ثم أدخَله في دبره قليلاً، فإذا فَعَل ذلك استَطلق بطنُه من ساعته، واستخرَجوا آلاتِ الحَرْب فأخذوا الرمحَ من قرن الكَرْكدنّ، والسيفَ من ناب الخنزِير، والسهمَ من شَوْك القُنفُذ، والتُّرس من ظهر السُّلَحفَاة.

٦٩٧ ـ **لَجاج الخنفساء**: يُضرَب به المثَل، لأنّ الخُنفُساء إذا نُحِّيَتْ عادت، وكلّما رُمي بها رجعتْ مستمرة في أدراجها، ولَمْ تُبق ولم تذرْ في اللّجاج.

قال الشاعر:

لـنـا صـاحـبٌ مـولَـعٌ بـالـخِـلافِ كـثـيـرُ الـمِـراء قـلـيـلُ الـصـوابِ
أشـدّ لـجـاجـاً مِـن الـخُـنـفُـسـاءِ وأزهَـى إذا مـا مَـشَـى مـن غُـرابِ

٦٩٨ ـ **وادي النَّمل**: يُضرَب مثلاً للمكان الكثير السكان. قال الجاحظ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]: أخبر بأنهم بأجمعهم وقفوا على ذلك الوادي، وأن ذلك الوادي معروف بوادي النمل، فكأنه كان حِمى، والنمل ربما أجلَى أمةً من الأمم عن بلادهم(٢).

٦٩٩ ـ **قرية النمل**: يشبّه بها المحل أو الدار الكثيرة الأهل، وغيرَ هذا المعنى أراد أبو تمام بقوله في وصف الخمر:

وكـأسٍ لِـمـعـسـولِ الأمـانـي شـربـتُـهـا ولـكـنّـهـا أَجْـلَـتْ وقـد شـربـتْ عـقِـلي(٣)
إذا مـا تـحـسّـاهـا الـفـتـى ظَـنّ قـلـبَـه لِـمـا دبّ فـيـه قـريـةً مـن قُـرَى الـنّـمـلِ

فأما مدَبّ النمل فإن فِرنْد السيف يُشبّه به، كما قال امرؤ القيس:

مـتـوسّـداً عَـضْـبـاً مَـضـارِبُـه فـي مَـتـنِـه كـمَـدبّـةِ الـنـمـلِ(٤)
يُـدعَـى صَـقـيـلاً وهـوَ لـيـس لـه عـهـدٌ بـتـمـويـهِ ولا صَـقْـلِ

(١ ـ ١) ب: «فتعلموا من السرفة أحوال النواويس لموتاهم».
(٢) الحيوان: ٤/ ١٥.
(٣) ديوانه: ٤٣٠ (بيروت).
(٤) ديوانه: ٢٣٧.

ثم اتَّبعه الشعراء فأكثَروا من هذا التمثيل، قال أبو فراس في وصف البازِي:

كــأنّ فَــوْقَ صَــدْرِه الــهــادي[١] آثــارَ مَــشْــيِ الــذَّرّ فــي الــرَّمــادِ

ووصفَ بعضُهم الخبزَ، فقال: رُغْفانٌ كأنّ في خللها مدابَّ أرجُل النَّمْل.

قال أبو الفتح بن العميد: والشعراء يشبِّهون الشيءَ الصغيرَ القصيرَ بإبهام القَطَا والحُبارَى وأظفور العصفور.

وأراد أن يبتدع[٢] عليهم في اللفظ والمعنى، فكتَبَ إلى أبي الحسين بن فارس رُقعةً صدرها: وصلتْ رقعةُ الشيخِ، فكانت أقصرَ من أنملِ الرَّمْل، [وأقصر من منفقة بقّةٍ][٣].

٧٠٠ ــ **عضّ النملة**: قال بعض العلماءُ وهو يضرب المثلَ بما يُستهَانُ ولا يُبالى به، فيُقال: ما عسى أن يكون عضُّ النملة، وقَرْصُ القَمْلة، ولَسْعُ النحلة، ووُقوع البقّة على النخلة، ونُباح الكلاب على السحاب! ومَا موقع الذُّباب مِن ذي ناب[٤]!.

٧٠١ ــ **جَناح النملة**: يُضرَب مثلاً لارتياش الضعيف واستغناء الفقير بما فيه هلاكُه، إذ مِن أقوى أسباب هَلاكِ النمل نَباتُ أجنحتِه. ويُقال: لم يُرِد اللّه بالنملة صَلاحاً؛ إذا أنبَتَ لها جناحاً. وقال أبو العتاهية:

أَحــبــبْــتُ داراً هَــمُّــهــا قَــدرٌ جَــمُّ الــعُــروج كــثــيــرةٌ شُــعَــبُــهْ[٥]
إنَّ اســتــهــانــتَــهــا بــمَــن صــرَعــت لَــبِــقــدْرِ مــا تَــعــلُــو بــه رُتَــبُــهْ[٦]
وإذا اســتــوتْ لــلــنــمــل أجــنِــحــةٌ حــتّــى يــطــيــرَ، فــقــد دنــا عَــطَــبُــهُ

وأنشدَني الأميرُ السيد أدام اللّهُ تأييدَه:

إرضَ مــن دنــيــاكَ بــالــقُــو تِ وإن كــان يــســيَــرا

---

(١) كذا في ب. والهادي: مقدم العنق.
(٢) ط: «يتبدع»، وما أثبته من ب.
(٣) تكملة من ب.
(٤) كذا في ط، وفي ب. «وما الذباب وما موقعه!».
(٥) ديوانه: ٣٤، بهذه الرواية:
أَضــلَــحْــتَ داراً هــمْــلُــهَــا أَسَــفٌ جَــمُّ الــفــروعِ كــثــيــرةٌ شُــعَــبُــهْ
وورد البيت محرفاً في ط، وما أثبته من ب.
(٦) الديوان: تسمو به رتبه».

فهلاكُ النَّملِ أن يُكْسَى جناحاً فيَطيرا

٧٠٢ ـ **كَسْب النّمل**: يُضرَب به المَثَل، لأنّ النمل والذرّ والفَأْر من الحيوانات الدائبة[(١)] في الكَسْب والجَمع.

٧٠٣ ـ **قوّة النمل**: يُضرَب بها المَثَل، لأنّ النملة تجرّ نَواةَ التمرة وهي أضعافها وَزْنا.

ودعا رجل لبعض الملوك فقال: جعل اللّه جُرأتك جرأة ذُباب، وقوّتَك قوة نَمْلة، وكيدَك كيدَ امرأة؛ فغضِب الملك من قوله، فقال له: على رِسْلِك أيُّها الملِك، إنه يَبْلغ من جُرأة الذباب أن يقع على أنف المَلِك، ويَبلغ من قوة النملة أن تَحمِل أضعافَ وَزْنها، والفيلُ لا يستقلّ[(٢)] ببعض ذلك، ويبلغ من كيد المرأة ما لا يبلغه دُهاةُ الرجال.

٧٠٤ ـ **شمّ الذرّة**: قال الجاحظ: للذرة مع لطافة شخصِها وخفّة وزنِها من الشمّ والاسترواح ما ليس لشيء، وربما أكل الإنسان الجراد أو ما يشبههُ فتسقُط من يده واحدةٌ أو رِجل واحدةٍ منها، وليس يَرَى بقُربه ذَرّة ولا له بالذرّ عَهْد في ذلك المنزل، فلا يَلبث أن يَرَى الذرّة قد أقبلتْ إلى تلك الجرادة فترومها، وربما نقلتْها وسحبتها وجرّتها، فإذا أعجزتْها بعد أن تُبلِي عُذراً مضت إلى جُحْرها راجعةً، فلا يَلبَث الإنسان أن يراها قد أقبلتْ وخلْفها كالخَيط الممدود من الذرّ حتى يتعاونّ عليها فيحملنها[(٣)]. فأوّل ذلك صِدْق الشمّ لما يَشَمُّهُ الإنسان الجائع، ثم بُعد الهمّة، والجُرأة، على مُحاولة نَقْل شيء في وزن جسمِها مائةَ مرة أو أكثر، وليس شيء من الحيوان يَحمِل ضِعفَ وزنه مراراً غيرها، على أنها لا تَرضَى بأضعاف الأضعاف إلا بعد انقطاع الأنفاس[(٤)].

٧٠٥ ـ **جَمْع الذرّة**: قال الجاحظ: أما تَرَوْن إلى خَلْق الذرّة وما فيها من بديع التأليف، ومن الإحساس الصادق، والتدابير الحسنة، ومن الروية والنظرِ في العاقبة، والاختيار لكل ما فيه صلاحُ المعيشة، ومع ما فيها من البراهين النيّرة، والحُجَج الظاهرة!.

---

(١) ط: «الدابة».
(٢) ط: «يشتغل»، والصواب ما أثبته من ب.
(٣) ط: «فيحتملوها».
(٤) الحيوان ٢/ ٧.

وقال في موضع آخر: قد علمنا أنّ الذرة تدّخر في الصيف للشتاء، وتتقدم في حالة المُهْلة، ولا تضيِّع أوقات الفرصة، ثم تبلغ من نقدها[١]، وصحة تمييزها[٢] والنظرِ في عواقبها أنها تخاف على الحبوب التي تدخرها للشتاء أن تعفّن وتسوّس فتنقُلها من بطن الأرض إلى ظهرِها لتعيدَ إليها جفافها[٣]، وليضربَها النسيم ويَنفِي عنها الفسَاد، ثُمَّ ربما ـ بل في أكثر الأوقات ـ اختارت ذلك ليلاً، لأنّه أَخفى، وفي القَمر لأنها فيه أبصَر، فإن كان مكانُها ندِياً وخافت أن ينبت نَقَرتْ[٤] موضع القِطمير من وسط الحبة، وهي تعلم أنها من ذلك الموضع تبتدىء تَنبُت، وهي تَفلِقُ الحبَّ كلّه أنصافاً، وإذا كان الحَبّ مِن حَبّ الكُزْبُرة فلقته أرباعاً، لأن أنصاف حبّ الكزبرة تَنبُت من جميع جِهاته، فهي من هذا الوجه مجاوزةٌ لِفطنة جميعِ الحيوانات[٥].

وفي وصيةِ لقمان لابنه: يا بُنيّ لا تكن الذرّة أكيَسَ منك، تجمع في صيفها لشتائها.

وقال بعضُ الشعراء:

تــركْــتُ والــلّــهِ لــه عِــرْضَــهُ ... كــرامــةً لــلــشــعــر لا لــلــتُّــقــى
لأنّــــه أحـــــرَصُ مـــــن ذَرَّةٍ ... عــلــى الــذي تــجــمَــعُــه لــلــشِّــتَــا

وفي حديث عَمرو بن مَعدي كرِب حين سأله عمرُ بنُ الخطاب رضي اللّه عنه عن سعد بن أبي وقّاص قال: أَسَدٌ في خيسِهِ[٦]، أعرابيٌّ في شَمْلَته، نَبَطِيٌّ في حَبْوَته، ينقل إلينا نقل الذرة إلى جُحْرها.

قوله: «نَبطيّ في حَبْوتَه»، لم يُرِد احتباءَ النبطيِّ، لأن الاحتباءَ للعرَب كما يقال: حِباء العَرَب [حيطانها] ولكنْ أراد أنّه في حبوة العرب كالنبطيّ في علمه بالخَراج وعِمارةِ الأرض.

(١) ط: «حذرها».
(٢) الحيوان: ثم يبلغ من تفقدها ومن خبرها».
(٣) ب: والحيوان: «جفوفها».
(٤) ط: «فتضرب».
(٥) الحيوان ٤/ ٥، ٦.
(٦) الخيس: بيت الأسد.

وقد يجمع بين النمل والذَّرّ في الوصف بالجمع[١]، قال الجُمحيّ[٢]:

ولها بالماطرون إذا أكَل النملُ الذي جَمعَا[٣]

وقال الكُميت وهو يصف محلاً:

وأنفَدَ حتى النمل ما في بيوتِهمْ وعلّل بالسَّوْفِ الوليدُ المهذَّبُ

وقال آخَر:

يَجمَعُ للوارث جمعاً كما تَجمعُ في قريتِها النَّمْلُ

وذكر عُمر بنُ عبد العزيز رضي اللّه عنه زياداً فقال: قاتلَ اللّه زيادا! جمع لهم كما تَجمَع الذَّرَّة، وحاطَهم كما تَحوط الأمّ البرّة، وحَبَا[٤] العراق مائة ألف ألف درهم وثمانية عشرَ ألف ألف.

٧٠٦ ـ **مُخ الذَّرّ**: يُضرَب به المثل في العُسر والنَّكد، فيقال: أنكد من مُخ الذرّ، أنكدَ من صُوف الكَلْب، وأعزُّ من لَبَن الطيّر، قال ابن الرومي في سليمان بن عبدِ اللّه بنِ طاهر:

رُمتُ نَداكمْ يا بنِي طاهرٍ فرُمتُ مُخَّ الذَّرّ في عُسْرتِهْ

أمَّلْتُ مِن رِفدِ سُليمانِكمْ ما أمَّل المعتزّ من نُصْرَتِهْ

٧٠٧ ـ **مثقال ذرة**: يُضرَب مَثلاً في القلّة والخِفّة، قال الجاحظ: قد ذكر اللّه تعالى ذلك فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فكان في ذلك دليل على أنه في الغاية من الصِّغَر والخفّة وعَدَم الرُّجْحان، قال شاعر في بعض المعلِّمين:

معلِّمُ صِبيانٍ وحاملُ دِرّةٍ وليس له عِلمٌ بمقدار ذَرَّةِ

٧٠٨ ـ **عِلم الحُكْل**: الحُكْل من الحيوان ما لم يكن له صوت [يستبان باختلاف مخارجه عند جزعه وضجَره وطلبِه ما يَغْدوه][٥]، يُضرَب مثَلاً لإعظام

---

(١) ط: «الجميع» وما أثبته من ب.
(٢) في الأصول: «الجهني» تحريف، صوابه من الحيوان ٤/ ١٠، وهو أبو دهيل الجمحي.
(٣) الماطرون: موضع بالشام قرب دمشق، والبيت من أبيات نسبها الجاحظ إلى أبي دهيل، ونسبها ياقوت إلى يزيد بن معاوية.
(٤) ب: «وجبي».
(٥) من ب.

التفرّس وسُمُوّ التفكر، كما يتمثل به عند الجَزَع والضجَر وطلبِ الأمر العزيز المَنال، قال رؤبة:

لو أنني عُلِّمتُ عِلمَ الحُكْلِ[١] عِلمَ سليمانَ وعِلمَ النَّمْلِ

وقال العُماني[٢]:

ويَفهَم قولَ الحُكْل لو أنّ ذَرّةً تُساوِدُ أخرى لَم يفُتْهُ سِوادُها[٣]

يقول: الذَّرّ الذي لا يُسمَع لمناجاتِه صوت لو كان بينَه وبين صاحبه سِرار لفَهمه، والسِّرار والسِّواد واحد؛ والله أعلَم بالصواب.

(١) كذا في الحيوان ٤/٨، والصحاح (حكل)، ونقل صاحب اللسان عن ابن برى أن الرجز للعجاج.

(٢) هو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي العماني.

(٣) الحيوان ٤/ ٢٣. وفي الأصول: «سرارها»، صوابه من الحيوان والبيان والتبيين ١/ ٤٠، ٣٢٥.

في النّعام

بَيض النعام، عَدْو النّعام، شِراد النعام، ظِلّ النعامة، جَناحَا النعامة، رِجْلا النعامة، شَمّ النعامة، مُوقُ النعامة، صحّة الظَّلِيم.

الاسْتِشْهادُ

٧٠٩ ـ **بَيضُ النّعام**: يُضرَب مثلاً في الضياع، لأن النعامة تترُك بيضَها وتَحْضُنُ بيضَ غيرها، وتُشبّه بها النساء في البَياض والبضاضة[١]، والعَذارَى في الصحّة والسَّلامة من الافتِضاض، كما قال الفرزدق:

خرجنَ إليّ لَم يُطمَثْنَ قَبْلي وهنّ أَغَضّ من بَيْضِ النّعام

وللبيض بابٌ في هذا الكتاب، أَخذَ بطرفي الصواب، إن شاء اللّه تعالى.

٧١٠ ـ **عَدْوُ النّعام**: يضرب به المثل، فيقال: أَعدَى من النعامة، وأعدى من ظَليم، لأنه إذا عدا مَدَّ جناحَه، وكأنه يجمع في حُضْرِه[٢] بين العَدْو والطَّيران، لا سيَّما إذا نَفَر من شيء يخافُه فإنه يَسبِق الريح. ومن خفَّة النعام وسرعةِ هرَبها وطيرَانها على وجهها وذهابها قالوا في المَثَل: شالَتْ نَعامتُهم، وخَفّت رأسُهم، وللمنهزمين: أضحَوْا نَعاما.

وكَتَب أبو إسحاق الصابي في وصف قوم هارِبين: أَجْفَلُوا إجفال النعام، وأَقشَعوا إقشاعَ الغَمام.

٧١١ ـ **شِراد النعام**: قال الجاحظ: من أعاجيب النعام أنها لا تأنَس بالطير المجانسة لها[٣]، ولا بالإبل لمشاكلة الإبل إياها، فهي نوافرُ شواردُ أبداً ويُضرَب بنفارها وشِرادها المَثَل، قال الشاعر:

وهمْ تركُوك أحْيَرَ من حُبارَى رأتْ صَقْراً وأشْرَدَ من نَعامِ[٤]

---

(١) ط: «الغضاضة» وما أثبته من ب.

(٢) ط: «جريه» وهما بمعنى.

(٣) ب: «لمشاكلتها».

(٤) البيت لأوس بن غلفاء، الكامل ٢/ ٧٩.

وقال عمرانُ بنُ حِطّان للحجّاج:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نَعامةٌ ... رَبْداءُ تنفرُ من صَفيرِ الصافِرِ

٧١٢ ـ ظِل النعامة: يقال للمُفرط في الطُّول: ظِلّ النعامة، كما يقال للضخم المتكبر: ظل الشيطان، قال جرير في هجائه شبّة[١] بن عِقال:

فَضَحَ المنابرَ يوم يَسْلَخُ قائماً ... ظِلُّ النعامةِ شَبّةُ بنُ عِقالِ[٢]

وقال بشّار بنُ بُرد:

وأعرجُ يأتينا كظِلِّ نعامةٍ ... يقوم على الأبواب في السَّبَراتِ

٧١٣ ـ جَناحا النعامة: يقال لمن شمّر عن ساق الجد في أمرِه: قد ركبَ جَناحَيْ نعامة، قال الشَّمّاخ في مَرثِيَة عمرَ بنِ الخَطّاب رضي اللّه عنه:

فمن يَسْعَ أو يركبْ جناحَيْ نَعامةٍ ... ليُدرِكَ ما قدَّمْتَ بالأمسِ يُسبَقِ

٧١٤ ـ رِجْلا النعامة: يُضرَب مثلاً للاثنين لا يَستغني أحدُهما عن الآخر بحالٍ من الأحوال، قال الجاحظ: كل ذي رِجْلين وكلُّ ذي أرْبع إذا اندقَّت إحدى قائمتَيه أو إحدى قوائِمه ظَلَع وتحامَل، ومَشى مَشْياً إذا استكره نفسَه، واحتاجَ أن يستعين بالصحيحة فَعَل، إلا النعامةَ فإنها متى انكسرتْ إحدى رجليها عَمَدتْ إلى السقوط وفُقْدان الاستعانة[٣] بالصحيحة، وعدم التقرّب بها إلى ما دنا من بعض[٤] الحاجة، وليس في الأرض ذو أربع ولا ذو رِجلين كذلك.

وأنشَدَ بعضُ الأعراب يخاطبُ امرأته:

قفي لا تَزِلِّي زَلّةً ليس بعدَها ... جُبورٌ وزَلّاتُ النساء كثيرُ

أَدِحْيَةُ عني تَطرُدِينَ تبدّدتْ ... بلحمِك طيرٌ طِرْن كلَّ مَطيرِ!

وإنِّي وإيّاه كرِجْلَيْ نَعامةٍ ... على كلِّ حالٍ من غِنىً وفَقيرِ

وكانت امرأتُه تجفو أخاه دِحْيَةَ وتَطرُده، فأخبرَ أنه وأخاه كرِجْلَيْ نعامة إن أصاب أحدَهما شيء بَطلَت الأخرى.

---

(١) ط: «شيبة».

(٢) ديوانه: ٤٧١، وروايته:

فَضَحَ الكتيبةَ يومَ يفرِط قائماً ... سَلْخُ النعامة شبّة بن عقير

(٣) ط: «الاستقامة» تحريف.

(٤) ط: «بض» تحريف.

ويقال للفَرَس: له ساقَا نَعامة، وذلك لقِصَر ساقَيْها، كما قال امرؤ القيس:

لَهُ أيْطَلَا ظَبْيٍ وَساقَا نَعامةٍ[(١)]

وكما قال الآخر:

لـه سـاقُ ظـليـمٍ خـاضِـبٍ فـوجـىءَ بـالـذّعـرِ

ويقال: جُؤجؤُ نعامة، وذلك لارتفاع جُؤجُئِها[(٢)].

٧١٥ ـ شَمّ النعامة: هي موصوفةٌ بصدق حاسة الشمّ وجودةِ الاسترواح، مضروبٌ بها المثَل كالذئب والذَّرّ، ويقال: إنَّ الهَيْق يشتَم ريح أبوَيه وريح السبع والإنسان من مكان بعيد؛ ولذلك قال الراجز:

أشَـمُّ مـن هَـيْـقٍ وأهـدَى مِـن جَـمَـل

وزَعَم أبو عمرو الشيباني أنه سأل الأعراب عن الظَّليم: هل يَسمَع؟ فقالوا: لا، ولكنّه يَعرِف بأنفه ما لا يحتاج معه إلى سَمْع، قال: وإنما لُقبَ بَيْهَس بنعامةٍ لأنه كان شديدَ الصمم، وإذا دعا الرجل من العرب على صاحبه بالصَّمَم قال: اللهمّ أَصنِجْهُ صَنْجاً كصَنْج النعامة. والصّنج: أشدّ الصَّمَم.

٧١٦ ـ مُوق النعامة: قال الجاحظ: النعام موصوف بالمُوق[(٣)] وفي المَثَل: أَمْوَق من نعامة، ومن مُوقِها أنها تخرج للطُّعْم[(٤)] فربّما رأت بيضَ نعامةٍ أخرى قد خرجتْ لمِثل ما خرجت له فتحضُنَ بيضَها وتدعَ نفسها، وإياها أراد ابن هرْمَةَ بقوله:

كـتـاركـةٍ بَـيْـضَـهـا بـالـعَـراءِ ومُـلـبِـسـةٍ بـيـضَ أُخـرَى جَـنـاحَـا

٧١٧ ـ صحة الظليم: يقال في المَثَل: أصحّ من ظَليم، لأنه لا يشتكي؛ فإذا اشتكَى لا يَلبَث أن يموت.

ويقال: إن الظَّبيَ أيضاً كذلك.

وفي فَصْلٍ للصاحب من كتابٍ صدر جواباً عن كتابٍ عبارتُه: تركَني كتابُك ـ والظليم يُنسَب إلى صحّةٍ ـ بعد أمراض اكتَنفَتْ، وأسقامٍ اختلفتْ.

---

(١) ديوانه: ٢١، وبقيته:

* وإرخـاءُ سِـرْحـانٍ وتَـقـريـبُ تَـتْـفُـلِ *

(٢) جؤجؤ الطائرة والسفينة: صدرها.

(٣) الموق: الحمق أو البلَه.

(٤) ط: «للمطعم».

في الطّيْر

عِتاق الطير، بُغاث الطير، قواطع الطير، خُطباء الطير، لَبَن الطير، غناء الطير، مجير الطير، مخالب طائر، حَسْو طائر، جناحُ طائر، قادِمة الجناح، عَنْقاء مُغرِب، طَيْر النار، طير العَراقيب.

الاسْتِشْهادُ

٧١٨ ـ عِتاق الطير: أحرارُها، وهي تَصِيد ولا تُصاد ولا تُملَك، قال الشاعر:

ولا عيبَ فيها غيرَ زُرقةِ عينِها كذاكَ عِتاقُ الطيرِ زُرقٌ عُيونُها

وقال معاوية رضي اللّه عنه لصعصعة: يا أحمر، فقال: الذهب أحمر، قال: يا أزرق، قال: البازِي أزرق.

وقال خلف الأحمر:[1] عِتاق الطير هي الجوارح، وعتاق الخيل هي التي تفوت إذا طُلِبت، وتُدرِك إذا طَلَبتْ.

وقال الجاحظ: عِتاق الطير كالعِقبان والبُزاة والصقور والشواهين، لا سيما العِقبان؛ فإنها تبيت حيث لا ينالها سبُعٌ ولا ذو أربع، وتَحيد عنها سِباع الطير ولا تُعاني الصيد إلّا في الضرورة، لأنها تَسلُب كلّ ذي صيدٍ صَيدَه، وإذا اجتمع صاحب الصقر وصاحبُ الشاهين وصاحب البازي وصاحب العُقاب لم يُرسلوا أطيارَهم خوفاً من العُقاب. وهي طويلةُ العمر، عاقّة بولدِها، وإن شاءت كانت فوق كل شيء، وإن شاءت تفُوق كل شيء، لأنها تتغذّى بالعِراق، وتتعشّى باليَمن، وريشُها الذي عليها هو فَرْوَتُها في الشتاء.

٧١٩ ـ بُغاث الطير: قال بعض اللغويين: بُغاث الطير ما لا مِخلَب له، كما أن البُزاة والصقور والعِقبان من عِتاقها وسِباعها، فالرَّخَم والحِدأ والغِربان من بُغائِها.

---

(١) كذا في ب، وفي ط: «خلق الأحمر».

قال الجاحظ: بغاث الطير ضِعافها وسفِلتها من العظام الأبدان والخِشاش مثلها، إلا أنَّها من صِغار الطير، قال الشاعر:

بغاثُ الطيرِ أكثرُها فِراخاً   وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاةٌ نَزُورُ(١)

٧٢٠ ـ **قواطع الطير**: قال الجاحظ: قال أبو زيد الأنصاري: إذا كان الشتاء قطعت إلينا الطير والغِرْبان أي جاءت من بلادها، فهي قواطع، وإذا كان الصيف رَجعت فهي رَواجِع، والطير التي تقيم بأرضنا صيفاً وشتاء أوابِد.

٧٢١ ـ **خُطَباء الطَير**: هي الفَواخِت والقَماريّ والرَّواشِين والعَنادِب وما أشبهها، وأظنّ أول من اخترع هذه الاستعارة المليحةَ أبو العلاء السرويّ في قوله:

أما تَرى قُضُبَ الأشجارِ لابسةً   حُسْناً يُبيح دَم العُنقودِ للحاسِي
وغرَّدتْ خُطباء الطير ساجعةً   على مَنابرَ من وَردٍ ومن آسِ

٧٢٢ ـ **لَبن الطَّيرِ**: تَضْرِب به العَجَم مَثلا لما لا يفيد الأمَل به، كما يُضرب المثل في ذلك بالأبلق العقوق ومخّ البعوض، وسَلَا الجَمَل، وحلم العصفور.

٧٢٣ ـ **غِناء الطير**: يُضرَب به المثل في الطيب، ومن أحسن ما قيل في ذلك ما حكاه الجاحظ عن إبراهيمَ بن السنديّ بن شاهَك قال: قلتُ في أيام ولايتي الكوفةَ لرجل من وجوهها كانت لا تجفّ كَبِدُه ولا يستريح قلبُه، ولا تَسكُن حركتُه في طلب حوائج الناس وإدخالِ السرور على الضعفاء، وكان عفيفَ الطعمة، وجيهاً مفوّها(٢): خبِّرني عن الشيء الذي هوَّن عليك النَّصَب، وقوّاك على هذا التعب، ما هو؟ ومن أيّ شَكْل هو؟ فقال: سمعتُ غِناء الأطيار، بالأسحار على الأشجار، وسمعْتُ خَفْق الأوتار، وتَجاوُب العُود والمِزْمَار؛ وما طرِبتُ من صوتٍ حسنٍ كطَربي من ثناء حسنٍ على رجلٍ قد أحسَن، فقلتُ: للّه درّك! لقد أحسنت كَرَماً.

٧٢٤ ـ **مُجير الطير**: كان ثور بن شجنة سيداً شريفاً قد أجار الطيرَ، فكان لا يُثارُ، ولا يُصادُ بأرضِه، فسُمِّيَ مُجيرَ الكير،[كما أجار مدلج بن مَرْثَد بن خيبرَى الجراد فسُمِّيّ مُجير الجراد(٣)].

٧٢٥ ـ **مخالب طائر**: يُضرَب مثلاً للمكان الذي يقلق(٤) فيه ساكنُه، قال الشاعر:

كأنّ فؤادي في مَخالِب طائرٍ   إذا ذكرتْك النفسُ شدَّ بها قبْضا

(١) للعباس بن مرداس، الحيوان ٧/ ٦٠، ٦١ والمقلاة: قليلة الولد.
(٢) ط: «مفقها». (٣) من ب. (٤) ط: «يعلق».

وقد يُضرَب مثَلاً لما لا يُرجَى، فيُقال: هو في مَخالِب الطَّير.

٧٢٦ ـ **حَسْوة طائر**: يُضرَب مثلاً في الخِفّة، فيُقال: أخفّ من حَسْوة طائر، كما يُقال: أخفّ من لَمْعةِ بارِق، ومن كلام أبي العَيْناء وقد[1] سأله أعرابيّ عن نجاح بن سَلمة، قال: للّه درُّه من ناقض أوتار، ومُدرك ثار، ومُوقِد نار، يتلهّب كأنه شعلة [باتت على مدرجة الجائين][2]؛ ينتظر إلى أن يردنا قدمُه، فيحكمُ في ماله قلمه، له في الغيبة بعد الغيبة جلسةٌ عند الخليفة كحَسوة طائر، أو خَلْسة سارق، فيقوم وقد أفاد نِعما، أو دَفَع نِقما.

وذكر ابنِ الروميّ عبّة[3] الطائر، فضربها مثلاً في القلّة حيث قال في محمد بن عبد اللّه بن طاهر:

وما كانت الدنيا وأنتَ أميرُها لِتَعدلَ عند اللّه عبَّةَ طائرِ

٧٢٧ ـ **جَناح الطائر**: يقال: كأنه في جناح طائر، إذا كان قلِقاً دَهِشاً، كما يُقال: كأنه على قَرْن أعفَر، وكأنّه في كفّ مصاب. ويقال: هو في جَناح طائر.

وقلتُ في باب الضِّباع من كتاب المُبهِج: ارتفاع الضبُعة العادية، كالعِقْيان، في أجنحة العِقْبان[4].

ويُقال في الإسراعِ: استعارَ جناحَ نَسْر، وترك الصبا في عِقال أسْر. ومن الأجنحة المستعارة: جَناح الرجل، وجَناح الحائط، وجَناح الطريق، وجَناح النّجاح.

وقد أحسن ابن المعتزّ في قوله:

شربْنا بالصغير وبالكبيرِ ولم نَحفِل بأحداث الدهورِ
وقد رَكَضتْ بنا خَيْلُ المَلاهِي وقد طِرْنا بأجنحة السُّرورِ

٧٢٨ ـ **قادِمة الجَناح**: يُضرَب مثلاً في تفضيل بعض الشَّيء، على كلِّه، كما يقال: وجه الخير، وأول الرِّزمة[5]، وواسطة العِقد، ودُرّة التاج.

---

(١) ب: «الذي نحله الأعرابي في وصف رجال الحضرة: ما تقول في نجاح بن سلمة».
(٢) من ب.
(٣) ط: «عيبة» تحريف.
(٤) المبهج ص ٢٥.
(٥) الرزمة: الكارة من الثياب.

قال ابن هَرْمة لعبد الواحد بن سليمان بنِ عبد الملك من قصيدة:

أعبدَ الواحدِ المرجوّ إنّي أَغصّ حِذار سُخطك بالقَراحِ
وجدْنا غالباً كانت جناحا وكان أبوك قادمةَ الجناح

وأنشدْ إياها، وكان عنده عبد اللّه بن حسن، فلما فرغ قال له: قبّحك اللّه إذ قلتَ لعبد الواحد:

وكان أبوك قادمة الجناح

فما الذي تركتَ لنا! قال: يا بن رسول اللّه، أما سمعت قولي:

وبعض القول يذهبُ في الرياحِ

فضحك منه، ورضِيَ عنه.

٧٢٩ ـ عَنْقاء مُغْرب: يقال: أعزّ مَن عنقاء مغرِب، قال الجاحظ: الأمم كلها تضرب المثل بالعَنْقاء في الشيء الذي يُسمع به ولا يُرَى، كما قال أبو نُواس:

وما خُبزُهُ إلّا كعَنْقاءِ مُغْرِبِ يصوَّر في بُسْط المُلوك وفي المُثلِ(١)
يُحدِّث عنها الناسُ من غير رؤيةٍ سِوَى صورةٍ ما إن تُمِرّ ولا تُحلِي

وما أكثر مَن يُنكر أن يكون في الدنيا حيوانٌ يُسمّى كَرْكَدنّ [ويزعمون أن هذا](٢)، وعَنْقاء مُغرب سواء، وإن كانوا يَرَون صورةَ العَنقاء مصوَّرة في بُسط الملوك، وحيطان قصورهم، واسمها عندهم مسموع؛ [واسمها عنده بالفارسية «سيمرك»](٢)، كأنّهم قالوا: هو وحده عندهم ثلاثون طائراً [لأن قولهم بالفارسية «سي» هو ثلاثون، ومرغ بالفارسية اسم لطائر بالعربية](٢) والعرب إذا أخبرتْ عن هلاك شيء وبُطلانه قالت: حلّقتْ به في الجوّ عَنْقاء مُغرِب؛ كما قال الكُمَيت:

محاسنُ من دنيا ودينٍ كأنّما بها حلَّقتْ في الجوّ عَنقاءُ مُغرِبُ(٣)

وحَكَى الصوليّ عن بعض مشايخه، قال: عُبيد اللّه بنُ سليمان يقول: سمعتُ سيدنا المعتضدَ باللّه يقول: عجائبُ الدنيا ثلاث: اثنتان لا تُرَيان، وواحدةٌ تُرَى، فأما اللتان لا تُرَيان فعَنْقاء مُغرِب والكِبْريت الأحمر؛ وأما التي تُرَى فابن

(١) ديوانه: ١٧١.
(٢) من الحيوان ٧/ ١٢٠.
(٣) الهاشميات ٤٩.

الجَصّاص؛ وهو أبو عبد اللّه بن الحسين بن الجَصّاص الجوهريّ؛ كان يقال له قارُون الأمة، لفَرْط يَسارِه، وكثرةِ أمواله، وكان أجهل الناس إلّا في الجوهر، فإنه كان باقعةً في التبصّر به، ولما عرضتْ للمقتدِر الضِّيقة التي كادت تَهتِك سِتْرَه لم يتَّسعْ إلّا بما أخذ من أمواله.

قال الصُّوليّ: سمعتُ أبا الحسن بنَ عبد الحميد كاتبَ السر يقول: الذي صحَّ مما قُبِض من مال ابن الجصّاص من العَيْن والوَرِق والآنية والفُرُش والكِراع والخدَم ـ ولا ضَيْعة في ذلك ولا عَقار ـ ما قيمتُه ستة آلاف دينار.

٧٣٠ ـ طير النار: هو طائر هنديّ يُسمَّى السَّمَنْدَل: قال بعضهم: هو ناريّ، يعيش في النار، كما يعيش طيرُ الماء في الماء.

وقال آخرون: هو طير إذا هَرِم دخل نارَ الأَتّون أو ناراً جاحمةً، فيَمكث ساعاتٍ فيعود شاباً، وإيّاه عَنَى البَهرانيّ بقوله:

وطائرٍ يَسبَح في جاحِم كأنَّهُ يسبُح في غَمْرِ

قال الجاحظ: وفي السَّمَنْدل آيةٌ غريبة، وصفةٌ عجيبةٌ، وداعية إلى التفكر، وسببٌ للتعجب، وذلك أنه يَدخل أتُّون النار فلا تَحترِق له ريشة[١].

وقال في مكان آخر: خُبِّرتُ عن فأرة البِيش واغتذائها السُّمومَ، وعن الطائر الذي يُدعَى السَّمَنْدَل وطيرانِه في جاحم الأتُّون، فلا السم المُجهِز يضرّ[٢] بتلك الفأرة، ولا النار المُضرَمة تُحرِق من ذلك الطائر زَغَبة[٣].

وقال في مكان آخر: هذا الطائر في طباعه وفي طباع ريشه مِزاجٌ من طلاء النَّفّاطين، وأظن هذا الطلاء من طَلَقٍ[٣] وخَطْمِيّ[٤] ومُغْرة، وقد كنتُ رأيتُ عوداً يؤتَى به من ناحية كِرْمان لا يحترق. وكان عندنا نَصرانيّ في عُنقه صليب منه، وكان يقول لضعفاء الناس: هذا العود من الخشبة التي كان المسيحُ صُلِبَ عليها، والنار لا تعمَل فيه؛ فكان يكتسب بذلك حتى فُطن له، وعورِضَ بهذا العود. وزَعَم ثُمامة أن الإنسان إذا أخذ من هذا الطُّحْلب الذي يكون على وجه الماء في مناقع المياه فجفّفه في الظّلّ وأحرَقه فإنّه لا يَحترق[٥].

---

(١) الحيوان ٦/ ٤٣٤. (٢) انظر الحيوان ٥/ ٣٠٩.
(٣) الطلق: حجر يتشظى إذا دُقَّ. ومسحوقه تُطلى به البشرة فيحفظها.
(٤) الخطمي: نبات يُتداوى به.
(٥) الحيوان ٥/ ٣١٠، بتصرف.

٧٣١ ـ **طير العراقيب**: كلّ طير يُتطيّر منه للإبل فهو طَيْر العراقيب، كأنه يَعقِرها ويُعرقِبها، قال الفرزدق وهو يخاطب ناقته:

إذا قَطَناً بلَّغتنيه ابنَ مُدرِكٍ … فلاقيتِ من طير العراقيبِ أخيَلَا[1]

ومن أمثالهم إذا دَعوا على المسافر: رأيتَ أخْيَلا، وهو شِقِرّاق يَتطيّر منه العرب للظُّهور، ولا تتطيّر منه لأنفُسِها، وإذا لَقِيَ المسافرُ منهم الأخيَلَ أيقَن بالعقْرِ إن لم يك موتٌ في الظُّهور.

---

(١) ديوانه: ٧٠١.

في عِتاقِ الطّيْر

عُقاب الجو، عُقاب مَلاع، قاب العُقاب، شَأْو العُقاب، فرخ العُقاب، خَوافِي العُقاب، بازي البَرّ، بازي جُحَا، صدرُ البازي، بَخَرَ الصَّقْر.

الاسْتِشْهادُ

٧٣٢ ـ **عُقابُ الجَوّ**: يُضرَب به المثل في الرّفعة والمَنعة، ولما حثَّ قَصيرٌ عمْرَ بنَ عديّ على الطلب بثأر خالِه جَذيمة من الزبّاء وقال له: تهيّأ واستعدّ ولا تُطِلَّنَّ دَم خالك، قال له عَمرو: وكيف لي بها، وهي أمنَع من عُقاب الجو! فصار قوله مثلاً.

٧٣٣ ـ **عُقاب مَلاع**: العَرَب تقول في أمثالها: أبصَر من عُقاب مَلاعٍ[1]، قال محمد بن[بن حبيب][2]، مَلاع اسمُ هَضبة. وقال غيرُه: مَلاع اسم للصحراء، لأن عُقاب الصحراء أبصَر وأسرَع من عُقاب الجبال، قال امرؤ القيس:

كأنّ دِثاراً حلّقَتْ بلَبونِه ... عُقابُ ملاعٍ لا عُقابُ القَواعِلِ[3]

والقَواعِلِ: الجبال الصّغَار.

٧٣٤ ـ **قابُ العُقاب**: مقدار مَطارِها في الهواء علوّاً وارتفاعاً، قال ابن الروميّ:

طار قومٌ بخِفّة العقل حتى ... لَحِقوا رفعةً بقابِ العُقابِ
ورَسا الرَّاجحون من جِلّة النا ... سِ رُسُوَّ الجبالِ ذاتِ الهِضابِ
هٰكذا الصخرُ راجحُ الوزن راسٍ ... وكذا الذَّرُّ شائلُ الوزْن هابِ

ومن فصل للبديع الهَمَذانيّ: قبَلْتُ من يمناه مفتاحَ الأرزاق، ومفتاحَ الآفاقِ، ولحقتُ منه بقابِ العُقاب.

---

(١) الميداني ١/ ١١٥.
(٢) من الميداني.
(٣) ديوانه: ٩٤. ودثار راعي إبل امرىء القيس. ورواية الديوان: «عقاب تنوفى»، وفي ب: «كأن عقاباً».

٧٣٥ ـ شَأْو العُقاب: شَأْوُ العقاب: مَدَى طَيَرانِها، وهي تتغَدّى بالعِراق، وتتعشّى باليَمَن.

وفي كتاب المبهج: أحسن الخيلِ ما كان بين الشهاريّ[(١)] والعِراب، وجمع مشية الغراب إلى شَأْوِ العُقاب[(٢)].

٧٣٦ ـ فرخ العُقاب: العرب تَضرِب به المثلَ في الحزم، وكانت تقول: سِنانٌ أحسَن من فَرْخ العُقاب ـ يَعنُون سِنان بن أبي حارثة ـ وذلك أن العُقاب تتخذ وكرها في رؤوس الجبال، فلو تحرك الفرخُ إذا طلب الطُّعم وقد أقبَل إليه أبواه، أو زاد في حركته شيئاً من موضع مَجثَمه لَهَوى من رأس الجبل إلى الحضيض، فهو يَعرِف مع صغِره وضعفِه وقلّة تجربته أنّ الصواب له في ترْك الحركة.

وقال مسرور مولَى حفصويه الكاتب المروزيّ وهو يرثي ابنه نصرا:

يا دارُ بالقَفْرِ الخرابِ والمنزلِ الوَحشِ اليَبابِ
بِيَدَيَّ فيكِ دفنتُ نَصْراً بين أطباقِ التراب
كشَبَا المهنَّدِ أو كجَرْوِ الفهدِ أو فرخ العُقابِ[(٣)]

٧٣٧ ـ خَوافِي العُقاب: يُضرَب بها المثل في السرعة، كما كتب الصاحب: المنهزمون نكصوا على الأعقاب، وطاروا[في الجو][(٤)] بأجنحة العُقاب.

وفي كتاب المبهج: [إذا نبتْ بك][(٥)] بلدُك فاستَعِرْ قادمةَ الغراب، في الاغتراب، وخافيةَ العُقاب، في اقتحام العِقاب، فربما أسفر السّفَر، عن الظفر، وتعذّر في الوطن قضاء الوَطَر.

ومن فصل لأبي محمد الخازن الأصفهاني: هذا ولو كنتُ عاقلاً ـ وهيهات ـ لكنتُ اليومَ في أعلى الدرجات، فقد وردتُ ورأيت[(٦)] جماعةً ـ لم أكن يومئذ دونها ـ قد صارت في منزلةٍ أحتاج إلى خافيةٍ حتى أَلحقَ بها.

---

(١) في اللسان: «الشهرية: ضرب من البراذين».
(٢) المبهج ص ١٥.
(٣) كذا في ب وورد البيت في ط محرفاً.
(٤) من ب.
(٥) من كتاب المبهج ص ٣٦.
(٦) ط: «وراتب».

٧٣٨ ـ **بازي البَرّ**: يُقال بازي البرّ كما يُقال: عُقاب مَلاع[1]، لأن بازي البَرّ أبصَر وأطيَر وأصيَد من بازي الجبل، قال الشاعر:

وكنتَ كبازِي الجوِّ قُصّ جناحُه ... يَرَى حَسَراتٍ كلَّما طار طائرُ
يَرى طائراتِ الجوِّ يصفقنَ حولَه ... فيذكُر إذ ريشُ الجَناحَيْن طائرُ

٧٣٩ ـ **بازي جُحا**: كثيراً ما يسمع العامّة يتمثّلون ببازي جُحا وكنتُ أحفَظ قصّةً أنسَانِيها الشيطان، فلم أذْكرْها في هذا المكان.

٧٤٠ ـ **صدر البازي**: يشبَّه به كلُّ حَسَن التخطيط، بديع التحسين؛ ويذكر في الحسن والمَلاحةِ مع سالفة الغزال، وطَوْق الحمامة، وجَناح الطاووس؛ قال بعض أهل العصر في وصف الربيع:

ويوم عبيريّ النّسيمِ سَبَى طَرْفي ... وقلبِي بما أبدَى من الحُسنِ والظَّرْفِ
كأنّ مُوَشَّى الغَيْمِ فيه مُقابِلا ... موشَّى الرُّبا والشّمسُ تَنظُر من سِجفِ
صدورُ البُزاةِ البيضِ صُفّت وقابلتْ ... صدورَ طواويسٍ تَفوتُ مَدَى الوَصفُ

ومنها:

ولمّا وَهَى من صَيِّبِ المُزْن عِقدُهُ ... وأقبلَ يُروِي غُلّة النّبتِ بل يَشفِي
رأيتُ به في الرَّوض أعجبَ مَنظَرٍ ... يَدلُّ على صُنعِ المهيمنِ ذي اللُّطفِ
فضِحْكٌ بلا ثَغرٍ، ونَسجٌ بلا يَدٍ ... وحَلْيٌ بلا صَوْغٍ، ودمعٌ بلا طَرْفِ

ولأبي نصر سهيل بن المَرزُبان في معناه:

ألستَ ترى يا غُرّةَ الشهرِ والدهرِ ... محاسنَ هذا الفصلِ ذا النَّوْرِ والزَّهْرِ
سماءٌ كصدر البازِ والأرضُ تحتَها ... كأجنحةِ الطاووسِ فاشربْ أبا نصرِ
عُقارٌ كِعَينِ الدِّيكِ يحلو بِمسمَع ... يُغنّي غِناءَ العَنْدليبِ على قَدْرِ
ولا زِلتَ بين السُّمر والبِيض ناعماً ... يَروقُك غَضُّ العيشِ في الوَرَقِ الخُضْرِ

٧٤١ ـ **بَخَر الصّقر**: الصقر والأسد بمنزلةٍ في البَخَر، والمَثَل سائر بذلك، قال الشاعر:

ولهُ نَكْهةُ لَيثٍ ... خالطتْ نَكهةَ صَقْرِ

(١) عقاب ملاع، على الإضافة، أي خفيفة الضرب والاختطاف. وأصل الملع العدو الشديد، أو السرعة والخفة.

ووَصَف بعضُهم رجلاً فردَّ إليه: شملت من المحاسن أخشنها، ومن الماء زبده، ومن الباز شوكته، ومن الصَّقْر بَخَره، ومن النار دُخانها، ومن الخمر خُمارها، ومن الدار كَنيفها.

ومن كلام البديع الهَمَذانيّ في حكاية [مقامة][1]: واللّه لقد صادفت من فمه صَقْراً، ومن يدِه صَخْراً، ومن صدره سُمَّ خِياط، [لا يرشح بقيراط][1].

(١) من ب.

في الغُراب

غرابُ عُقْدةٍ، غرابُ البَيْن، غرابُ الليل، غرابُ الشباب، بُكورُ الغراب، حَذَرُ الغراب، ثمرةُ الغراب، بازيارُ الغراب.

الاسْتِشْهادُ

٧٤٢ ـ **غرابُ عُقْدة**: من أمثال العرب قولُهم: آلَف من غُرابِ عُقْدةٍ. إذا كَثُر النّخل والخِصْب فهي عُقْدَةٌ يألفُها الغُراب ولا يبرحها[١] لأنه يجد فيها كل ما يريد، فهو لا يفارقها. قال ابن الأعرابيّ: كلّ أرض ذاتِ خِصْب عُقْدة، وعُقْدة الدُّور والأرضين[٢] من ذلك؛ وغرابُ عقْدة يُضرَب مثلاً للرجل يألَف الأرض الخِصْبَ ومواطنَ الخير فلا يَختار عليهما، ولا يَبغِي حِوَلاً عنهما.

٧٤٣ ـ **غرابُ البَيْن**: قال الجاحظ: غراب البين نوعان: أحدُهما غِرْبان صغار معروفة بالضَّعف واللؤم، والآخرُ كل غراب يُتشاءم به، وإنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بانَ أهلُ الدار وقع في مواضع[٣] بيوتهم يلتمس[٤] ما تركوا، فتشاءموا به، وتطيّروا منه؛ إذ كان لا يَعترِي منازلَهم إلا إذا بانوا، فسمّوْه غرابَ البيْن[٥]، واشتقوا من اسمه الغُرْبة والاغتراب، وليس في الأرض بارحٌ ولا قَعيدٌ ولا شيء مما يتشاءم به إلّا والغراب عندهم أنكد منه.

وللبديع الهمذانيّ فصل في ذكره يليق بهذا الموضع وهو: ما أعرف لفلان مثلاً إلّا الغراب، لا يقَع إلّا مذموماً على أي جَنْب وَقَع، إن طار فمقسّم[٦]

---

(١) ط: «يرخيها».

(٢) ط: «الأرض».

(٣) الحيوان: «مرابض».

(٤) ب: «وسقهم».

(٥) بعدها في الحيوان ٢/ ٣١٥ «ثم كرهوا إطلاق ذلك الإسم له مخافة الزجر والطيرة وعلموا أنه نافذ البصر؛ صافي العين، حتى قالوا: أصفى من عين الغراب، كما قالوا: أصفى من عين الديك، فسمّوه الأعور كناية».

(٦) ب: «فقسيم».

الضمير، وإن وقع فمروِّع بالنذير، وإن حَجلَ فمشية الأمير، وإن شحج[١] فصوتُ الحمير، وإن أكل فدَبْرة البعير.

قال مؤلِّف الكتاب: قد أكثر الشعراء في ذكر غُراب البَيْن؛ فمن ذلك قولُ الشاعر:

يا غرابَ البَيْن في الشؤ ... م وميزابَ الجَنابَهْ

يا كتاباً بطلاقٍ ... وعَزاءً بمُصابَهْ

وقال آخر:

بتُّ على رَغْم غرابِ البينِ ... أنا ومَن أُحِبُّ ناعمَيْنِ

قريرَ عينٍ بقريرِ عينِ ... فظُنَّ ما شئتَ بعاشقَيْنِ

وقال أبو عثمان في وصف السمك والصياد:

أنْعتُهُ أبيضَ كاللُّجَيْنِ ... سَمَّاكُهُ أشعَثُ ذو طِمْرَيْنِ

في اللونِ لا الطيِّب ممسَّكَيْنِ ... أشدُّ شؤماً من غرابِ البَيْنِ

٧٤٤ ـ غرابُ الليل: يُضرَب مثلاً لمن لا يُؤنس بأشكاله، قال الجاحظ: غراب الليل هو الذي تَرَك أخلاقَ الغِربان وتَشبَّه بالبُوم وأَخَذَ أخلاقَها[٢]؛ فأما قولُ ابن المعتزّ:

وكابَدْنا السُّرَى حتّى رأينا ... غرابَ الليلِ مقصوصَ الجناحِ

فإنّما هو على الاستعارة لا الحقيقة، وليس هو غراب بعينه.

٧٤٥ ـ غُراب الشَّباب: يُذكَر ذلك على وجه الاستعارة؛ وهو كثيرٌ في الألسنة نَظْماً ونثراً، كما يقال: بُرْد الشباب، رِداء الشباب، قال مسلم بن الوليد:

وليلٍ كغِرْبان الشَّباب وصلتُه ... بيوم كأنّ الشمس تَقبِسُهُ جَمْرا[٣]

وأنشد حمزةُ الأصبَهاني لابن المعتز هذه الأبيات ـ ولم أجدْها في النُّسَخ العراقية من شِعره:

شَعَراتٌ في الرأس بِيضٌ ودُعْجٌ ... حَلَّ فيها جَيْشانِ رُومٌ وزَنْجُ

(١) الشحيج: صوت الحمار أو البغل، وفي ط: «وإن صاح».

(٢) الحيوان ٢/ ٣١٥.

(٣) ملحق ديوانه: ٣١٨، ونقله عن ثمار القلوب.

أيُّها الشَّيْب لِمْ حَلَلْتَ برأسي إنَّ عُمري عَشرٌ وعشرٌ وبنجُ!
طارَ عن مَفْرِقي غُرابُ شبابي وَعلاني من بعدِه شَاهَمَرْجُ

٧٤٦ ـ **حَنَك الغُراب**: من أمثال العرب: حنكٌ أشدُّ سواداً من حَنَكِ الغراب، وحَلَكِ الغراب، فحنك الغراب منقاره، وحلكُهُ سواده.

٧٤٧ ـ **عين الغراب**: يُضرب بها المثل في الصفاء وحدة البصر؛ فيقال: أَصفَى من عين غراب، وأبصَر من غراب، كما يُقال: أبصَر من عُقاب، وأنشد الجاحظ لابن مَيّادة:

ألا طرقَتْنا أمُّ أَوْسٍ ودونَها حِراجٌ من الظَّلْماء يَعْشَى غُرابُها

يقول: إذا كان الغراب لا يَرَى في حِراج الظَّلْماء مع حِدَّة بَصرِه فما ظنُّك بغيره! وواحدة الحِراج حرْجة، وهي هٰهُنا مَثَل، حيث جَعل كلَّ شيء التفّ وكَثُف من الظَلام حِرَاجاً، قال أبو الطمحان القينيّ:

إذا شاء راعيها استَقَى من وَقيعةٍ كعَيْن غرابٍ صفوُها لَمْ يُكدَّرِ

والوقيعة: كلّ مكان صُلْب يُمسِك الماء، والجمع وقائع[١].

وإنما يُقال للغراب: أعوَر لأنه يُغمِّض إحدى عينيه مقتصراً على إحداهما من قوّة بصرِه. ويُقال: إنما سمّوه أعور على طريقِ التثاقل عليه، قال الشاعر:

لقَّبوني الشحيحَ من سوء حالي مثلَ ما سُمّيَ الشَّواحجُ عُورا[٢]
أنا في ضِدّه كمأسُورِ قوم ظلّ يُدعَى بضدّه كافورا

٧٤٨ ـ **زَهْو الغراب**: يضرب به المثل، فيقال: أزهَى من غراب، لأنه إذا مشى اختال ونظر في عِطْفه، قال حسّان:

في فُحشِ مومسةٍ وزَهْوِ غرابِ[٣]

وقال آخر:

وأزهَى إذا ما مَشَى من غُرابِ

---

(١) الحيوان ٣/ ٤٢١.
(٢) الشواحج: الغربان.
(٣) ديوانه: ٦٠، وروايته: «وزوك غراب»، والزوك: المشي المتقارب الخطو مع تحرك الجسد، وصدره:

* أجْمَعْتُ أنّكَ ألأم مَنْ مَشَى *

٧٤٩ ـ صحّة الغُراب: يُضرَب به المثل، كما يضرب بصحة الظَّليم؛ فيُقال: أصحّ بدناً من الغراب، وكأنّه من الحيوان الذي لا يشتكي، ولا يَعرِف من الأسقام إلا شكايةَ الموت.

٧٥٠ ـ شَيْب الغراب: يُضرَب مثلاً لما لا يكون، فيقال: لا يكون ذلك حتى يشيبَ الغراب، كما يقال: حتّى يَبْيَضّ القار ويَؤوبَ القارِظ، ويَلِجَ الجَمَل في سَمّ الخِياط، أي لا يكون ذلك أبداً، وهذه من أمثال التأبيد، قال الجعديّ:

فإنك سوفَ تَحلُم أو تَناهَى إذا ما شِبتَ أو شابَ الغرابُ

وقال ساعدةُ بنُ جُؤيّةَ:

شابَ الغرابُ ولا فُؤادُكَ تاركٌ ذِكرَى الغَضوبِ ولا عتابُكَ يُعتِبُ[١]

٧٥١ ـ بُكور الغراب: المثَل سائرٌ بذلك معروف، قال بعض العلماء: تعلّموا من الغراب بُكورَه وحَذَره [وإخفاءه للسِّفاد][٢].

وقيل لِبُزرْجُمِهْر: بم أدركت ما أدركت؟ قال: ببُكور كبُكور الغراب، وصَبرٍ كصبرِ الحمار، وحرصٍ كحِرص الخنزير. قال الشاعر:

لبسوا الدُّجى لِبْسَ الغُراب لريشِه وغدَوْا لحاجتِهم بُكورَ غُرابِ

٧٥٢ ـ حَذَر الغراب: تقول العَرَب: أحذَر من غراب؛ قال الشاعر:

يَحذَر ممّا قَضاه خالِقُه وليس يَنْجو الغُرابُ مِن حِذرِهْ

وفي رُموز الأعراب: إنّ الغراب قال لابنه: إذا رَميتَ فتلوَّص[٣]؛ قال: يا أبتِ إنِّي أتلوّص قَبلَ أنْ أرمِي.

٧٥٣ ـ ثمرة الغُراب: إذا أصاب الرجل عند صاحِبه أفضلَ ما يريد من الخير والخِصب قالوا: وجد ثَمَرَة الغراب، وذلك أنّ الغراب إنّما يبتغي من الثمر أجوَده وأنضَجه لقربِ تناوله عليه [في رؤوس النخل][٤].

ومن كلام السيد الأمير ـ أدام اللّه تأييده ـ من كتابه، كتاب المخزون في

---

(١) اللسان (شيب)، قال في شرحه: «أراد طال عليك الأمر حتى كان ما لا يكون أبداً؛ وهو شيب الغراب».
(٢) من ب.
(٣) في اللسان: «اللوص، من الملاوصة؛ وهو النظر كأن يختل ليروم أمراً».
(٤) من ب.

وصف الكتّاب: كتابُك شُهْدة النَّحْل، وثَمَرة الغُراب، وثَمَرَة الفؤاد، وبَيْضة العُقْر، وزُبْدة الأحباب؛ فانظر إلى حُسن هذه التشبيهات وجودة هذه التلفيقات [من محاسن المطعومات][١].

٧٥٤ ـ بازِيارُ الغراب: يُشبَّه به الكريمُ يُلابِس ما يَصغُر عن قدره[٢] ويَتعاطَى عند الضرورة ما لا يليق به، قال ابن المعتزّ في وصف نبيذٍ أسوَد سَئِمَ شُربَه:

عَلّمَنِي أحمدُ مِنَ الدّوشابِ ... شربةً نَغّصتْ سوادَ الشبابِ

لو تَرانِي أعُلُّ من قَدَح الدّو ... شابِ أبصرتَ بازِيارَ غرابِ

---

(١) من ب.

(٢) ط: «قده».

في الحَمَام

حمامةُ نوح، حمام الحَرَم، طَوْق الحمامة، حِذق الحمامة، غِناء الحَمام، سجعُ الحمام، هِداية الحَمام.

الاسْتِشْهادُ

٧٥٥ ـ **حمامةُ نوح**: ويُقال لها أيضاً: حمامةُ السفينة، وسيمر ذكرها قريباً، وهي التي أرسلَها نوحٌ عليه السلام مكانَ الغُراب الذي لم يَعُد إليه لينظر: هل غاضَ الماءُ وبدا من الأرض شيء؟ فرجعتْ إليه بالبِشارة.

٧٥٦ ـ **حمام الحَرَم**: يُضرَب به المَثَل في الأمن والصيانة، كما يُضرَب بظِباء مكة، وقد تقدم ذكرُها، ويقال لها أيضاً: حمام مكّة، قال الشاعر:

وأيّـةُ أرضٍ أنـتَ فـيـهـا ابـنَ مَـعـمَـرٍ ... كـمَـكّـةَ لـم يُـطْـرَق بـشـرّ حَـمـامُـهـا
إذا اخْـتـرتَ أرضـاً لـلـمُـقـام رَضـيـتُـهـا ... لـنـفـسـي ولَـم يَـغـلُـظ عـلـيَّ مُـقـامُـهـا

وقال كُثيِّر في أَمْن الظَّبْي والحَمام بمكة:

لـعـنَ الـلَّـهُ مَـنْ يَـسُـبّ عـلـيّـاً ... وحُـسَـيـنـاً مِـن سُـوقـةٍ وإمـام
يـأمَـنُ الـظَّـبـيُ والـحَـمـامُ ولا يـأ ... مَـنُ آلُ الـرسـولِ عـنـد الـمَـقـامِ!

وقال آخر:

لَـيـالِ تَـمـنّـى أن تـكـونَ حـمـامـةً ... بـمـكّـةَ يـأويـكَ الـسِّـتـارُ الـمـحـرَّمُ

وقال ابن قيس:

بـلـدٌ تَـأمَـنُ الـحـمـائـمُ فـيـه ... حيث عـاذَ الـخـلـيـفـةُ الـمـظـلـومُ(١)

يَعنِي به عبدَ اللّه بنَ الزبير. ومن أمثال العرب: هو آمَن من حَمام مكّة. ومن أمثَلِ وأبلَغ ما سمعتُ في التمثيل بحمامِ الحَرَم قولُ عَبْدان الأصبَهانيّ ـ وقد أحسن على إساءته:

رَغـيـفُـكَ فـي الأمـن يـا سـيّـدي ... يَـحُـلّ مَـحَـلّ حَـمـامِ الـحَـرَمْ

(١) ديوانه: ١٩٣.

فللّهِ دَرُّك من سَيِّدٍ حرامِ الرَّغيفِ حلالِ الحُرَمْ

٧٥٧ ـ طَوْق الحمامة: يُضرَب مثلاً لما يَلزَم ولا يَبرَح، ويُقيم ويستديم، قال الجاحظ: قد أَطبَق العربُ والأعراب والشعراء على أن الحمامة هي التي كانت دليلَ نُوح ورائدَه، وهي التي استَجْعلتْ[(١)] عليه الطّوقَ الذي في عُنقِها، وعند ذلك أعطاها اللّه تلك الزّينة، ومَنَحها تلك الحِلْية، بدعاء نوحٍ عليه السلام، حين رجعتْ إليه ومعها من الكرْم ما معها، وفي رِجْلَيها من الطِّين والحَمْأة ما فيها، فعوِّضتْ من ذلك خِضابَ الرِّجْلين، ومن حُسن الدِّلالة والطاعة طَوْق العُنُق، وفيها يقول ابن أبي الصِّلْت:

وأُرسلَتِ الحمامةُ بعد سَبعٍ تدلّ على المهالِك لا تَهابُ[(٢)]
فعادتْ بعدما رَكَضتْ بشيءٍ من الأمواهِ والطينُ الكُبابُ[(٣)]
فلما فتّشوا الآياتِ صاغوا لها طَوْقاً كما عُقِدَ السِّخابُ[(٤)]
إذا ماتتْ تُورِّثُه بنِيها وإن قُتِلَتْ فليس له استلابُ

وهذا من أحسن ما وُصف به الطَّوْق.

وقال جَهْم بن خَلَف:

وقد شاقَني صوتُ قُمْريّةٍ طَروبِ الغِناء هَتوفِ الضّحَى
مطوَّقةٍ كُسِيتْ زينةً بدعْوةِ مُرسِلها إذْ دَعَا[(٥)]

والعَرَب تُسَمِّي القمارِيّ واليَمام والفَواخت والدَّباسِيّ والشفانين والوراشين وما جانسها كلها حماماً، فجمعوها بالاسم العام، وفرّقوها بالاسم الخاص، ورأيْنا صُوَرَها متشابهةً من جهة الزواج، ومن طريق الغِناء والدعاء والنَّوْح، وكذلك هي في القدورِ وصُوَر الأعناق وقَصَب الرّيش وصِيغة الرؤوس والأرجل والسُّوق والبَرائِن[(٦)].

إلى هنا كلام الجاحظ. وقد أكثر الشعراء في طَوْق الحمام والتمثيل به، قال الفرزدق:

ومَنْ يَكُ خائفاً لأَذاةِ شِعْرِي فقد أَمِنَ الهِجاءَ بَنُو حَرَامِ

---

(١) استجعلت: طلبت جعلاً.
(٢) الحيوان ٢/ ٣٢٠.
(٣) الكباب: الطين اللازب.
(٤) السخاب: القلادة، وفي الحيوان: «فلما فرسوا».
(٥) في الحيوان «بدعوة نوح».
(٦) الحيوان ٣/ ١٩٩، ٢٠٢.

هُمُ مَنعوا سفيهَهُمُ وخافوا قلائدَ مِثلَ أطواقِ الحمامِ

وقال ابن هَرْمة:

إنّي امرُؤٌ لا أَصوغُ الحَلْيَ تَعمَلُهُ كفّايَ لكنْ لساني صائغُ الكَلِمِ
إنّي إذا ما امرُؤٌ خَفّتْ نَعامتُهُ في الجَهْل واستحصَدَتْ منه قُوَى الأدَمِ
عَقَدتُ في مُلتَوي أوداجِ لَبَّتِهِ طوقَ الحمامةِ لا يَبلَى على القِدَمِ

وقال الباهليّ:

نَهاني أن أُطيلَ الشّعرَ قَصْدِي إلى المعنَى وعِلمِي بالصّوابِ
وأبْعَثُهنّ أربعةً وخَمساً بألفاظٍ مثقّفةٍ عِذابِ
وهُنّ إذا وسمتُ بهنّ قوماً كأطواقِ الحمامةِ في الرِّقابِ

وقال أبو الطيِّب:

أقامت في الرِّقاب له أيادٍ هيَ الأطواقُ والناسُ الحَمَامُ

ومن أمثال العَرَب: طُوِّق طَوْقَ الحمامة، أي تقلّدها تقليداً باقياً بقاء طَوْق الحمامة، إلى يوم القيامة.

٧٥٨ ـ **خرْق الحمامة**: يُتمثَّل بذلك لأنها لا تُحكِم عُشها، وربما جاءت إلى الغصن في الشجرة فتَبني عليه عُشَّها في الموضع الذي تهبّ فيه الرِّيح؛ فبَيضُها أضيَعُ شيء وما يَنكسِر منه أكثر مما يَسلم، قال عَبيد بن الأبرص:

عِيبُوا بأمرِهِمُ كما عِيبَتْ بَبَيْضتِها الحمامَهْ(١)
جَعلَتْ لها عُودَيْن مِنْ نَشَمٍ وآخرَ من ثُمامَهْ(٢)

٧٥٩ ـ **سَجْع الحَمام**: العرب تجعل صوتَ الحمام مرّة سَجْعاً، ومرَّةً غِناء، وأخرى نَوْحاً؛ وتَضرِب به المَثَل في الإطراب والشَّجَى، وبجميعه جاءَ الشعرُ، قال البحتريّ:

إذا سجعَ الحمامُ هناكَ قالوا لفَرْط الشوق أين ثَوَى الوَليدُ!

(١) الحيوان ٣/ ١٩٦.
(٢) ديوانه: ٤/ ٧٦.
(٣) ديوانه: ١٢٦، وروايته:
بَرِمَتْ بَنُو أَسَدٍ كما بَرِمَتْ ببيضتِها الحمامَهْ
(٤) النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسي. وفي ط: «تشب»، تحريف.

وقال ابنُ الرومي:

رأيتُ الشِّعرَ حين يُقال فيكُمْ يعودُ أرَقَّ من سَجْعِ الحمامِ

ومن ألفاظ الصاحب: كلامٌ كصَوب الغَمام، وسَجْعٌ كسجْعِ الحمام، وقال ابن القاشانيّ في غِناء الحمامة:

يا ليلةً جَمَعَتْني والمدام ومَن أهواهُ في رَوْضةٍ تَحكِي الجنانَ لَنا[١]

لأشكرنّكِ ما غَنّت مطَوَّقةٌ على الغصون كما طوَّقْتِني مِنَنا

وقال أبو فِراس في نَوْحِها:

أقولُ وقد ناحت بقُربِي حمَامةٌ أيا جارتا هل تَشْعُرين بحالِي

٧٦٠ ـ هِداية الحمام: يُضرَب بها المثل، والحمام الهُدّي[٢]، معروفٌ بأرض الشام والعراق، يُشرَى بالأثمان الغالية، ويُرسَل من الغايات البعيدة، وتُكتَبُ الأخبار فيؤدّيها ويعود بالأجوبة عنها.

قال الجاحظ: لولا الحمام الهُدّي التي تُجعَل بُرُداً لَما جاز أن يَعلَم أهلُ الرقّة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبَصْرة وحدث بالكُوفة في يوم واحد؛ حتى إن الحادثة لتكون بالكوفة غُدوةً فيَعلَمها أهلُ البصرة عشيّةَ ذلك اليوم، وهذا مشهورٌ متعارَف.

(١) في ط: «جمعتني والمراد»، والصواب ما أثبته من ب.

(٢) الحمام الهدّي؛ هو المعروف بالحمام الزاجل، وانظر الحيوان وحواشيه ٢/ ٧٩.

في سائر أصناف الطير

دِيك العَرْش، ديكُ الجِنّ، ديك مُزَبِّد، حُسن الديك، سِفاد الديك، سماحة الديك، بيضة الديك، عينُ الديك، دجاجة هلال، دجاجة أبي الهُذيل، دُرَّاجة الحَكَم، نَسْرُ لقمان، مطمح النسر، حُسن الطاووس، جَناح الطاووس، رِجل الطاووس، جيش الطاووس، حُسْنُ التدرُج، سرَق العَقعَق، صدق القَطا، هداية القَطا، إبهام القطا، وعِيد الحُبارَى، سلاحُ الحُبارَى، كمدُ الحُبارَى، طَيَران الحبارى، جُبْن الصِّفْرد، هُدهُد سليمان، سجودُ الهدهُد، عذابُ الهُدهد، نَتْن الهدهد، كلام البَبَّغاء، قهقهة القُمْرِيّ، غِناء العندَليب، مِشيةُ القَبَج، كذب الفاختة، حِلم العصفور، شؤم البُوم، شؤم القَزّ، حزم القِرلّي، اختطاف الخُطّاف.

الاسْتِشْهادُ

٧٦١ ـ ديك العَرْش: رَوَى الجاحظ، عن الحسن بن عمارة[١] [عن عمرو بن مرة][٢]، عن سالم بن[أبي][٣] الجعْد، يرفعه إلى رسول اللَّه ﷺ قال: «إنّ مما خلق اللَّه لَدِيكاً عُرفه تحتَ العرش، وبَراثنُه تحتَ الأرض السفلى، وجَناحُه في الهواء، فإذا مضى[٤] ثُلثَا الليل وبقيَ ثُلثُه ضرب بجناحِه قائلاً: سبحانَ[٥] الملِك القُدّوس، سُبّوحٌ قُدّوس، ربّ الملائكة والرُّوح؛ فعند ذلك تَضرِب الدِّيَكَةُ وتصيح»[٦].

وعن كعب[٧]: «إنّ للَّه دِيكاً عنقُه تحت العرش، وبراثنُه في أسفل الأرضين،

(١) في الأصول: «عمار»، وصوابه من الحيوان.
(٢) من الحيوان.
(٣) من لسان الميزان: ١٠٩.
(٤) في الحيوان: «ذهب».
(٥) الحيوان: «سبحوا».
(٦) الحيوان: «تضرب الطير بأجنحتها وتصيح الديكة».
(٧) الحيوان: «أبو العلاء عن كعب».

فإذا صاح صاحتِ الدِّيَكة، يقول: سبحان [الملك][١] القُدّوس؛ لا إله غيرُه».

وقد ضَرَب ابن طَباطَبا المثلَ في قوله لأبي عمرو بن جعفر بن شريك يعاتبه على منعه إيّاه شعرَ ديك الجِنّ:

يا جَواداً يُمسي ويُصبِح فينا ... واحداً في النَّدَى بغيرِ شَريكِ[٢]
أنتَ من أَسمَحِ الأنامِ بِشعر النَّـ ... ـاسِ ماذا اللَّجاجُ في شِعرِ ديكِ!
يا حليفَ السَّماحِ لو أنّ ديكَ الـ ... ـجِنِّ من نسلِ ديك عرشِ المَليكِ
لم يكن فيه طائلٌ بعد أن يُد ... خِلَه الذِّكْر في عِداد الدُّيوكِ

٧٦٢ ـ **ديك الجِنّ**: يُضرَب مثلاً للديك النجيب الحاذق الكثير السِّفاد، ومنه سُمّيَ دِيك الجنّ الشاعر المشهور، وهو أحد شعراء سيفِ الدولة بن حَمْدان، وقد تقدّم بعضُ ذلك في الباب الثالث.

٧٦٣ ـ **ديكُ مُزَبِّد**: يضرب مثلاً للحقير يَجلِب النفعَ الكثير، والوضيع له شأن كبير، وقصّته أنه كان لمُزبِّد[٣] ديكٌ قديم الصحبة، نشأ في داره، وعُرِف بجواره، فأَقبل عيدُ الأَضْحى؛ ووافق من مُزَبِّد رِقّة الحال، وخلوَّ بيته من كلِّ خير ومَيْر، فلما أراد أن يغدوَ إلى المصلَّى، أَوصَى امرأته بذَبْح الدِّيك، واتخاذ الطعام لإقامة رسم العيد، فعمَدَتِ المرأةُ لتُمسِكه، فجعل يصيحُ وَيثِب من جدار إلى جدار، ومن دار إلى دار؛ حتى أسقَط على هذا من الجِيران لَبِنة، وكَسَر لذلك غَضّارةً، وقَلبَ للآخَر قارورة، فسألوا المرأة عن القصة في تعرّضها له، فأخبرتْهم، فقالوا: واللّه ما نرضَى أن يبلُغ حال أبي إسحاقَ إلى ما نرى ـ وكانوا هاشميِّين مياسير أجواداً ـ فبعث بعضُهم إلى داره بشاةٍ وبعضُهم بشاتَين، وأنفَذَ بعضُهم بقرةً، وتغالَوا في الإهداء حتى غَصّت الدار بالشيّاه والبقر، وذَبَحت المرأةُ ما شاءت، ونصَبَت القِدْر، وسَجَرت التّنور، وكَرَّ مُزَبِّد راجعاً إلى منزله، فرأى روائحَ الشِّواء، قد امتزجت بالهواء، فقال للمَرأة: أنَّى لكِ هذا الخير؟ فقصّت عليه قصّة الديك، وما ساقَ اللّه إليهم ببركته من الخيرات، فامتلأ سروراً، وقال لها: احتفِظي بهذا العِلْق النّفيس، وأكرِمي مَثْواه؛ فإنه أكرَم على اللّه من نبيِّه إسماعيل عليه السلام! قالت: وكيف؟

---

(١) من ب والحيوان.
(٢) الحيوان ٢/ ٢٥٩.
(٣) في تاج العروس ٢/ ٣٦١ «ومزبد، كمحدث اسم رجل، صاحب نوادر». وانظر الحيوان ٥/ ١٨٤، ١٩٢، ١٩٣.

قال: لأن اللّه تعالى لم يَفْدِ إسماعيلَ إلا بذِبحِ واحد، قال اللّه تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، وقد فُدِيَ هذا الديكُ بكلّ هذه الشِّياه والبَقر.

٧٦٤ ـ حُسن الدّيك: يُضرَب به المثل كما يُضرب بحُسن الطاووس. قال الجاحظ: كان جعفر بن سعيد يزعم أن الديك أحسنُ من الطاووس، وأنه مع حُسنه وانتصابه واعتداله وتقلّعه[(١)] إذا مَشى، سَليمٌ من مَقابح الطاووس، ومن مُوقِه وقُبح صورتِه، و[من][(٢)] تَشاؤم أهلِ الدار به، ومن قُبح رجليه، ومن نَذالتِه[(٣)]، وكان يزعم أنّه لو مَلَكَ طاووساً لألبسه خُفّاً.

وكان يقول: وإنما يُفخر له بالتلاوينِ وبتلك التّعاريج[(٤)] والتهاويل التي لألوانِ ريشه، ولربما رأيتَ الديكَ النَبَطيّ وفيه شبَه بذلك، إلا أن الديك أجهل من الدُّرّاج[(٥)] لمكان الاعتدال والانتصاب والإشراف، وأسلَم من العيوب من الطاووس.

وكان يقول: ولو كان الطاووس أحسنَ من الديك النبَطيّ في تلاوين ريشِه فقط لكان فَضْلُ الدِّيكِ عليه باعتدال القَدّ والخَرْط وبفضل حُسن الانتصاب، وجودة الإشراف أكثر من فضلِ حُسن ألوانه على ألوان الديك، ولكان السليم من العيوب في العين أجمَل، لاعتراضِ تلك الخصال القبيحة على حُسن الطاووسِ في عين الناظر إليه، وأوّل مَنازِل الحمد السلامة من الذمّ.

وكان يزعم أنّ قولَ الناس: فلانةُ أحسنُ من الطاووس، وما فلان إلّا كالطاووس، وأن قول الشاعر:

خدودُها مِثلُ طواويسِ الذّهبْ[(٦)]

(١) يُقال: تقلع في مشيته، إذا مشى كأنه ينحدر.
(٢) من الحيوان.
(٣) الحيوان: «ومن نذالة مرآته».
(٤) ط: «التفاريج».
(٥) الحيوان: «التدرج»، والدَّرَّاج والتدرج: طائر شبيه بالحمام، حسَن الصوت، مبارك كثير النباح، يبشر بالربيع.
(٦) وقبله:

* ما ذمَّ إبِلي عُجمٌ ولا عَرَبْ *

ورواه في الحيوان ١/ ١٥٥ عن أبي العميثل.

(١)إنما قال ذلك لأن العامة لا تُبصر الجمال(١)؛ ولفَرسٌ رائع كريم أحسَن من كلّ طاووس في الدنيا، وكذلك الرجل والمرأة. وإنما ذهبوا من حُسنه إلى حسن رِيشِه [فقط](٢)، ولم يَذهبوا إلى حسن تركيبه، وتنصّبه كحُسن البازي وانتصابه، ولم يذهبوا إلى أعضائه وجوارِحِه [وإلى الثياب والوجه الذي فيه](٣).

٧٦٥ ـ **سِفاد الدِّيك**: يُضرَب به المثل، كما قال الشاعر:

صـيّـرنـي الـدهـرُ إلـى تَـذْلـيـكِ بـعـد سِـفـادٍ كـسِـفـادِ الـدِّيـكِ

٧٦٦ ـ **سَماحة الديك**: قولهم: أسمحُ من اللاقطة، مختلَف فيه، فبعضُهم يقول: هي الحمامة، لأنها تُخرِج ما في حَواصِلها لفراخها، وبعضُهم يقول: هو الديك، لأنه يأخذ الحبّة بمنقاره فلا يأكلُها بل يلقيها للدَّجاج، والهاء فيها للمبالغة. وبعضهم يقول: هي الرَّحا، لأنها تَلقُط ما تَطحَنه، أي تَقذِف به، وبعضُهم يقول: هو البحر، لأنه يَلقُط الدّرّة التي لا قيمة لها، قال الشاعر:

تـجـودُ فـتُـجـزِلُ قـبـلَ الـسُّـؤَالِ وكـفُّـكَ أسـمَـحُ مِـن لاقِـطَـهْ(٤)

٧٦٧ ـ **عَين الديك**: يُضرَب بها المثل في الصفاء، ويشبَّه بها الشَّراب الصافي، كما قال الأخطل:

عُـقـارٌ كَـعـيـن الـديـك صِـرْفـا كـأنـهـا لُـعـابُ جَـرادٍ فـي الـفَـلاةِ يَـطـيـرُ

وحَكَى المَوْصليّ قال: سمعتْني أعرابية وأنا أُنْشِد:

وكـأسِ مُـدامٍ يَـحـلِـف الـدِّيـكُ أنـهـا لَدى المزجِ من عَيْنيْه أَصفَى وأَنْوَرُ

فقالت: يا أبا محمد، بلغني أَن الديك من صالح طيوركم، وما كان ليحلفَ باللَّه كاذباً.

وقال بعضُ المُحدَثين:

هـاتِ مُـدامـاً كـأنّ فـيـهـا تَـصُـبُّ أحـداقَـهـا الـدُّيـوكُ

٧٦٨ ـ **دجاجة هِلال**: هي كديكِ مُزَبِّد في البركة وحُسن الأثر على صاحبها؛

(١ ـ ١) عبارة الحيوان: «وأنهم لما سموا جيش ابن الأشعث الطواويس لكثرة من كان يجتمع فيه من الفتيان المنعوتين بالجمال؛ إنما قالوا ذلك لأن العامة لا تبصر الجمال».

(٢) من الحيوان.

(٣) الحيوان ٢/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٤) الميداني ١/ ٣٥٣.

ومن قصتها أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، بينما يتعشّى على مائدته، إذ قُدِّمتْ له دجاجة فائقة مشوِيَّة، فاستطابها، وسأل عنها، فقالوا له: إن هلالاً أهداها للأمير، فقال: يا غلام، أخرِج كتاباً من ثِنْي فِراشي، فأَخرَجَه، فإذا هو كتاب الحجّاج إليه يأمره بقَتْلِ هلال، والبعثِ إليه برأسه، فلما قرأه هلال تغيّر وارتعد، فقال له ابن الأشعث: لا عليكَ يا هلال! أَقبِل على طعامك أترانا نأكل دجاجتَك ونَبعث إليه برأسك! والله لا يُوصَل إليك حتى يُوصَل إليّ. وأنشد هلال:

وبنفسي دجاجةٌ لم تَخُنِّي ... وضَعتْ لي نفسي مكانَ الأَنُوقِ
فرّجتْ كُربَةَ المنيَّةِ عَنِّي ... بعدما كِدْتُ أنْ أغَصَّ بِريقِي
يا بن قيسٍ ويا بن خَيْرِ كِنْـ ... ـدَة بين الأشجِّ بل والصَّديقِ
إنَّ شكري شكرُ الطَّليق من القَتْـ ... ـلِ ووَجْدي عليكَ وجدُ الشَّفيقِ

٧٦٩ ـ دجاجة أبي الهُذَيل: تُضرب مثلاً للشيء اليسير يستعظمه مُهدِيه فيَكْثر ذِكرهُ. قال الجاحظ: ومن البخلاء المذكورين أبو الهُذيل، أهدَى مرة إلى مويس[١] بن عمرانَ دجاجة، وكانت دونَ ما يُتّخذ لمويس، إلا أنه لكرمه وحُسن خُلقِهِ أظهَر التعجّب من سِمنها وطيب لحمها، فقال له: كيف رأيت يا أبا عمرانَ تلك الدِّجاجة؟ قال: كانت عجَباً من العجاب، قال: أوَتدري ما حُسنُها، وتَدرِي ما سِمنُها[٢]؟ فإنّ الدجاجة إنما تَطيب بالسمن والحُسْن، أتَدرِي بأي شيء كنا نسمّنُها؟ وفي أي مكانٍ كنّا نَعلِفُها؟ ولا يزال في هذا ومويس يضحك ضحكاً نعرفه نحن ولا يعرفه أبو الهُذَيل، [٣]وصار بعد ذلك إن ذكروا[٣] دجاجة قال: أين كانت يا أبا عِمْران من تلك الدَّجاجة! وإن ذكروا بطة أو عناقاً أو جزوراً أو بقرة قال: فأين كانت هذه الجَزورة في الجُزر من تلك الدجاجة في الدجاج! وإن استسمَنوا[٤] شيئاً من الطير أو البهائم أو الدجاج قال: لا والله ولا تلك الدجاجة! وإن ذكَروا عذوبة الشحم قال: عذوبة الشحم تصاب في البقر والبط وبطون السمك والدجاج، ولا

(١) في الأصول «يونس» تصحيف؛ وصوابه من البخلاء، والحيوان ٢/٥٨. وفي القاموس: «وكان مويس من المتكلمين».
(٢) البخلاء: «وتدري ما جنسها وتدري ما سنّها».
(٣ ـ ٣) البخلاء: «وكان أبو الهذيل أسلم الناس صدراً، وأرسلهم خلقاً، وأسهلهم سهولة، فإن ذكروا دجاجة».
(٤) البخلاء: «وإن استسمن أبو الهذيل».

سيما ذلك الجنس من الدجاج، وإن ذكروا ميلادَ شيء أو قدومَ إنسان قال: كان ذلك قبلَ أن أهدَى إليكَ تلك الدجاجة بشهر، وكان بعد أن أهديتُها لك بسنة، وما كان بين فلان وبين البعث بتلك الدَّجاجة إلّا يوم، وكانت مثَلاً في كلِّ شيء، وتاريخاً[١] لكل شيء[٢].

٧٧٠ ـ **دُرّاجة الحَكَم**: أمرُها على الضِّدِّ من دجاجة هلال، لأن تلك الدجاجة مثَلٌ في الشيء اليسير يجر النفعَ الكثير، وهذه الدُّرَّاجةَ[٣] مثَل في النفع القليل يَجلِب الضررَ العظيم، ومن قصتها أنّ بعضَ عمال الحَكَم بنِ أيوبَ الثَّقفيِّ تغدَّى معه يوماً، فتناول من بين يديه دُرَّاجةً مشوِيّة، فحَقَدها عليه الحَكَم، فعزَلَه عن عمله. فقال فيه الفرزدق:

قد كان بالعِرْق صَيْدٌ لو قَنِعتَ به[٤] فيه غِنىً لكَ عن دُرّاجةِ الحَكَمِ
وفي عَوارضَ لا تنفكّ تأكلُها لو كان يَشفِيكَ لحمُ الإبلِ من قَرَمِ

العوارض من الإبل: التي تعرِض لها الآفات فتُنحر[٥] من أجلها. والعُبُط التي تُعتَبط اعتباطاً؛ وكان الشريف من العرب يأتي القومَ وقد نَحَروا فيقول: أعبِيط[٦] أم عارضة؟ فإن قالوا: عبيطاً أصابَ معهم من لحمِه، وإن قالوا: عارِضة أَنِف من أكلِها.

٧٧١ ـ **نَسْر لُقمان**: العَرَب تضرب المثل بطول عُمر النَّسْر، وتزعم أنه يعيش خمسمائة سنة، وأنَّ لقمان بنَ عاد خُيِّر فاختار عمرَ سبعة أنسُر، فأُوتِيَ سؤلَه، فكان يأخذ فرخَ النسر فيجعله في خَرِبة من الجبل الذي هو في أصله، فإذا استوفى عمْره أخذ فرخاً آخر فوضعه مكانَ الآخَر، إلى آخر النُّسور. وأطوَلها عمراً لُبَد الذي يُقال له نَسْر لقمان، ويُضرَب مثلاً في طُولِ العمر والبقاء، فيقال: أتى أبَدٌ على لُبَد:

أخنَى عليه الذي أخنَى على لُبَدِ

(١) ط: «وتاريخها»، وصوابه من ب والبخلاء.
(٢) البخلاء ١٣٥.
(٣) الدراجة: طير أرقط بسواد وبياض، قصير المنقار.
(٤) في الأصول «بالعرض»، وصوابه من الديوان ٧٤٧، والعرق: موضع قريب من البصرة.
(٥) ط: «فتخر»، صوابه من ب.
(٦) ط: «أعبط».

قال لَبيد:

ولـقـد جَـرَى لُـبَـدٌ فـأدرَك جَـرْيُـهُ رَيْـبَ الـمـنـونِ وكـان غـيـرَ مـثـقَّـلِ[١]
لـمّـا رأى لَـبَـدُ الـنـسـورَ تـطـايـرتْ رَفْـعَ الـقـوادِمَ كـالـكـسـيـر الأعـزلِ[٢]
مِـن تـحـتـه لـقـمـانُ يـرجـو نـهـضـةً ولـقـد رأى لـقـمـانُ ألّا يـأتَـلِـي[٣]

قال الجاحظ: إن أحسنَتِ الأوائل[٤] في ذكر نَسْر لقمان[٥] فقد أحسن بعض المحدَثين [وهو الخزرجي][٦]، وذكَره وضرب المثل به وبصحّة بَدَن الغراب حين ذكر طُولَ عمر مُعاذ بن مسلم [بن رجاء][٦]، مولَى القَعقاع بن شَوْر، وكان من المعمَّرين، طَعَن في السِّنِّ مائةً وعشرين سنةً، وهو قوله[٧]:

إنّ مُـعـاذَ بـنَ مـسـلـم رجـلٌ لـيـس لـمـيـقـاتِ عـمـرِه أمَـدُ[٨]
قـد شـاب رأسُ الـزمـانِ واكْـتَـهَـلَ الـدهـرُ وأثـوابُ عـمـرِه جُـدَدُ
قـل لِـمُـعـاذٍ إذا مـررتَ بـه قـد ضَـجّ مـن طـول عـمـرِك الأبَـدُ
يـا نَـسـرَ لُـقـمـانَ كـم تـعـيـشُ وكـمْ تُـخـلِـق ثـوبَ الـحـيـاةِ يـا لُـبَـدُ!
قـد أصـبـحـتْ دارُ دارم خـا وِيـةً وأنـتَ فـيـهـا كـأنـك الـوَتِـدُ
تَـسـألُ غِـربـانَـهـا إذا نَـعَـقَـتْ كـيـف يـكـون الـصُّـداعُ والـرَّمـدُ؟
مُـصَـحَّـحـاً كـالـظَّـلـيـم تَـرفُـل فـي بُـرديْـكَ مـنـك الـجـبـيـنُ يـتّـقـدُ
صـاحـبـتَ نُـوحـاً ورضـتَ بـغـلـةَ ذي الـ ـقـرنَـيـن شـيـخـاً لـولـدِك الـولـدُ
مـا قـصّـر الـمـجـدُ يـا مُـعـاذ ولا زَحـزَح مـنـك الـثّـراءُ والـعـددُ

(١) ديوانه: ٢٧٤.
(٢) الأعزل: المائل الذنب، وفي الديوان: كالفقير»، والفقير الذي كسرت فقراته.
(٣) يأتلي: يقصر ويبطىء.
(٤) ط: «الأولون»، وما أثبته من ب والحيوان ٦/ ٣٢٧.
(٥) الحيوان «في ذلك».
(٦) من الحيوان.
(٧) في الأصول: «القائل» والصواب ما أثبته من الحيوان.
(٨) الشعر بهذه النسبة في الحيوان ٦/ ٣٢٧، ٧/ ٥١، وفي ابن خلكان ٢/ ٩٩ «إن صاحب هذا الشعر هو أبو السري سهل بن أبي غالب الخزرجي. ثم قال: إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد وابنه الأمين وزبيدة، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالي» وهي في العقد ٣/ ٥٥ منسوبة إلى محمد بن مناذر. وفي عيون الأخبار ٤/ ٥٩ وإنباه الرواة ٣/ ٢٩٠ بدون نسبة.

فاشخَصْ ودَعْنا فإنّ غايتك المـ ... وتُ وإنْ شَدَّ رُكنَك الجَلَدُ

وقد أحسن ابنُ طَباطَبا في قوله:

بأبي الذي أنا في لذاذةِ عمرِه ... مستقرِضٌ أعمارَ سبعةِ أَنسُرِ

مَدّ الهوى بيني وبينك غايةً ... أدنى مَداها خلقُ يومِ المَحشَرِ

٧٧٢ ـ **مَطمَح النَّسر**: ما أحسن ما جمع ابن الرومي بين مطمح النسر وبين سَبْح النُّون بقوله:

أنظرْ إلى الدهر هل فاتَتْهُ بُغيتُهُ ... في مَطمَحِ النسرِ أو في مَسبح النُّونِ

وذلك أن سلطان النسر في الهوا، وسلطان الحُوت في الماء، ولا يكادان ينجُوان من غِيَر الدهر.

٧٧٣ ـ **حُسن الطاووس**: يضرَب به المثل، فيقال: أحسن من الطاووس، وأزهَى من الطاووس، ويقال للإنسان الحَسَن: طاووس الحُسْن، كما يقال: يوسُف الحسْن؛ ومن أحسن ما سمعتُ في ذلك قولَ البحتريّ في إسرائيل النحاس النصراني الأعور، وقد قوّم غلاماً له فارسياً بثمن بخسٍ[١]، فقال فيه:

متى أَرضَى ودَجّالُ النصارى ... يقوّم ما أبيعُ بفَرْدِ عَينِ[٢]

وأعجبُ ما ترى طاووسَ حُسْنٍ ... يُحكَّم في شِراهُ غُرابُ بَيْنِ!

فانظر إلى حسن ما جمع بين الطاووس والغراب في بيت واحد! ولما كان المهجوّ أعورَ شبهه بغراب البَين، والغراب يقال له الأعور [التغميض إحدى عينيه][٣]. وما أحسن قول الخبز أرزيّ:

طاووسُ حُسنٍ بل أتمُّ محاسناً ... جمعَ المَلاحةَ بل أعزُّ وألطفُ[٤]

ما ضَرّه ألّا يكونَ مقلَّداً ... سيفاً وفي عينيْه سيفٌ مُرهَفُ

سلْ وردَ خدِّك أيُّ وردٍ جنسُهُ ... إني أراهُ يعودُ ساعةَ يُقطَفُ

وقال غيره:

أيا طاووسةَ الحُسنِ ... ويا عُصفورةَ الجنّهْ

---

(١) في الديوان: «وكان يقوم بثلاثمائة».
(٢) ديوانه ٢/٣١٦.
(٣) من ب.
(٤) ب: «ضم المُلاحة».

ويــا مــن قُــبــلــةٌ مِــن فــيـــ ـــهِ لــي أحــلَــى مــن الــمِــنّــهْ[١]

ومن بارع أوصاف الطاووس قولُ القائل:

سبحان مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطاووسُ طيرٌ على أشكالِه رئيسُ
كأنَّهُ في نفسِهِ عروسٌ كأنما يَحلُو به التّعريسُ[٢]
ديباجةٌ تُنشَر أو سدوسٌ في الريش منه رُكِّبتْ فُلوسُ
تُشرِقُ من داراتِها شُموسٌ في الرأس منه شجرٌ مغروسُ
كأنّه بنفسَجٌ يَميسُ أو زَهَرٌ من حُزَمٍ يَنوسُ[٣]

ووَصف عليّ بن عُبيد الريحاني الطاووسَ بكلام طويل، ثم قال في أواخره: والعينُ من كثرة ما يروقُها منه، أكثر مما يَحكِي اللسانُ عنه.

٧٧٤ ـ جَناح الطاووس: بلغني عن الصاحب أنه كان إذا نظر في خطّ الأمير شمس المعالي، وهو نهايةٌ في استيفاء أقسام الحُسن، قال: هذا جَناح طاووس.

وأنشَدني أبو طالب المأموني لنفسه من قصيدة وَصف فيها دارَ أبي نصر بن أبي زيد ببُخارَى:

وكأنّ الأبوابَ صَحْبٌ تَلاقَيْـ ـنَ انقِفالاً ثم افترقْنَ انفتاحا[٤]
وكأن السُّتورَ قد نَشَر الطا ووسُ منها في كلِّ بابٍ جَناحا

وقد استعار للطاووس حُلّةً من قال:

طالعُ يومي غيرُ منحوسِ فسَقِّني يا طاردَ البُوسِ
كأساً كعَينِ الدِّيكِ في روضةٍ قد أُلْبِسَتْ حُلّةَ طاووسِ

٧٧٥ ـ رِجْلا الطاووس: يُضرَب مثلاً لما يُستقبَح من جملة حسنة، وللعُوذة فيمن تَكثُر محاسنه، لأنَّ رِجْليْ الطاووس قبيحتان جداً، والطاووس هو ما هوَ في الحسن، قال الصاحب:

أبوكَ أبو عليّ ذو عَلاءٍ إذا عُدَّ الكرامُ وأنتَ نَجلُهْ

---

(١) ط: «منه أتت أحلى».
(٢) ط: «إذ أنه يحلو به».
(٣) ينوس: يضطرب ويتموج.
(٤) من قصيدة له في اليتيمة ٤/١٥٧ ـ ١٥٩ وفيها «تلاقين انغلاقاً».

وإنّ أَبـــاك إذ تُـــعـــزَى إلـــيـــه   لـكـالـطـاووسِ تـقـبُـحُ مـنـه رِجـلُـهْ

كأنَّه قَلَب قول أبي الطيّب:

فــإن تَـفُـقِ الأنـامَ وأنـتَ مـنـهـمْ   فـإنَّ الـمِسـكَ بـعـضُ دمِ الـغـزالِ(١)

ووصف عليّ بن أبي عُبيدةَ الطاووسَ ثم قال في آخر كلامه: وإنه ليُفضِي إلى رِجْلٍ حَمِشة، وَصَيْحة وَحشِة، وصوتٍ هائل، وجسمٍ غيرِ طائل.

وقال مؤلّف الكتابِ: قد يُذكر في مَقابح المحاسن وعَوذ المناقب رِجْل الطاووس، وكلَف البَدْر، وأنف الظبيّ، وشَوْك الورد، ودُخان النّار، وخُمار الخمر:

وأيُّ نـعـيـم لا يـكـدِّره الـدّهْـرُ

وللبديع الهَمَذاني من فصل إلى صديق من طُوس: لك يا سيدي دَلال، وفضلُ خِصال، لا يدفعك عنها أحد، وذلك في أكثر المطارِح، لسان صائح، ويَدٌ لائح، معها من تَوْرِية طُوَيْسية، ورِجْل طاوُوسية، لو خلوت عنها لكنت الإمام الذي تدّعيه الشيعة، وتُنكره الشريعة.

٧٧٦ ـ **جيش الطواويس**: كان يقال لجيش عبد الرحمٰن بنِ محمد الأشعث الخارج على الحجاج: جيشُ الطواويس؛ لكثرة مَن كان فيه من الحِسان الوُجوه [الموصوفين](٢).

٧٧٧ ـ **حُسْن التُّدرُج**: ذكر أبو الحسن بن الناصر العَلَويّ حُسْن التَدْرُج في قوله وهو يصفه:

صـدورٌ مـن الـدِّيـبـاج نُـمِّـق وَشْـيُـهـا   وُصِـلْـن بـأحـنـاء الـلُّـجَـيـن السّـوارِجِ
وأحـداقُ تِـبْـر فـي خُـدود شـقـائـقٍ   تـلألأ حُـسْـنـاً كـاشـتـعـال الـمـسـارِجِ
وأذنـابُ طـلـعٍ فـي ظُـهـورٍ كَـسَـوْنَـهـا   مـجزَّعـةُ الأعـطـافِ صُـهْـبُ الـدَّمـالـج
فـإنْ فَـخَـرَ الـطّـاووس يـومـاً بـحُـسـنِـه   فـلا حُـسـنَ إلا دونَ حُـسـنِ الـتَّـدارُجِ(٣)

ولم يقصّر المأمونيّ في وصفها حيث يقول:

قـــد بـــعـــثْـــنـــا بـــذاتِ لـــونِ بـــديـــعِ   كـبـنَـاتِ الـربـيـعِ أو هِـيَ أحـسَـنْ(٤)
فـــي قِـــنـــاعٍ مـــن جُـــلّـــنـــارٍ وآسٍ   وقـمـيـصٍ مـن يـاسَـمـيـنٍ وسَـوْسَـنْ

---

(١) ديوانه: ٣/ ٢٠.
(٢) من ب.
(٣) ط: «الدواج».
(٤) يتيمة الدهر ٤ ـ ٥.

دُبِّجَتْ وهيَ بنتُ دُرّةِ بحرٍ كَلَّ عن وَصفِ حُسنِها كلُّ مُلْسِنْ

٧٧٨ ـ **سَرَق العَقْعَق**: يُضرب به المثل؛ فيقال: أسرَق من عَقْعق، لأن له حِذْقاً بالاستلاب وسرعة الخَطْف؛ ومن حِذْقه أنه لا يستعمل ذلك فيما ينتفع به، فكم من عِقد ثمينٍ خطيرٍ، وكم من قُرْط شريف نفيس، قد اختطفه من بين أيدي قوم، فإما رَمَى به بعد تحليقه في الهواء؛ وإما جَرَّه ثم لا يلتفت إليه أبداً. وقد أحسن مَن قال يصف خَلْقَهُ وخُلُقَهُ:

إذا باركَ اللَّهُ في طائرٍ فلا باركَ اللَّهُ في العَقعقِ
طويلُ الذُّنابَى قصيرُ الجناحِ متى ما يَجِدْ غفلةً يَسْرِقِ
يقلّب عينيْن في رأسِه كأنهما قَطْرتا زِئبَقِ

وهو مما يُضرب به المثل من أخلاقه حذرُه ولَفْتُه ومُوقُه[1] في تضييعه بيضَه وفراخه، مع حياطته أشدّ الحياطة. قال: ومن الحيوان الذي يدرَّب فيستجيب ويكيس ويَملح العقعق، فإنه يستجيب من حيث يستجيب العصفور، ويَدجِن[2] ويعرف ما يراد منه، ويَخْبَأُ الحَلْي ويُسأل عنه، ويُصاح به، فيَمْضي حتى يقفَ بصاحبه على المكان الذي خبأه فيه، ولكنّه لا يتولّى البحث عنه، وهو مع هذا كلِّه كثيراً ما يضَيِّع بيضه وفِراخَه.

٧٧٩ ـ **صِدْقُ القَطاة**: يُضرَب بها المثل فيقال: أصدَق من قَطاة لأن لها صوتاً واحداً لا تغيِّره، وصوتُها حكاية لاسمها، تقول: قَطَا قَطَا، قال الشاعر:

يا صِدْقَها حين تَدْعوها فتَنْتَسِبُ

ويقال: أَنْسَب من قَطاة، لأنّها تَنتَسب حين تصوِّت باسم نفسِها.

٧٨٠ ـ **هِداية القَطا**: يُضرب المثل بهداية القَطا في المجاهل، قال الشاعر:

وما القَطَا الكُدْرُ إلى القفر أهدى من الفقر إلى الحرِّ

وقال الطِّرِمّاح:

تميمٌ بِطُرْقِ اللؤم أَهدَى من القَطَا ولو سلكتْ طُرْقَ المَكارِمِ ضَلّتِ

وقال ابن لنكك:

نشأتمْ جميعاً من وجوهِ سحيقةٍ تكنَّفهُمْ جهلٌ ولؤمٌ فأفرَطا

---

(١) موقه: حمقه.

(٢) يدجن: يألف البيوت.

وإنّ زمـانـاً أنـتـمُ رؤسـاؤه ... لأَهـلٌ بـأن يُـخـرَى عـلـيـه ويُـضـرَطـا
إلـى كـم تَـعـيـبُـون الـلـئـامَ وإنّـنـي ... أراكـمْ بطُرق اللؤم أهـدَى من القَـطـا!

٧٨١ ـ **إبهام القطا**: من أمثالهم، أقصَر من إبهام القَطا، ومن إبهام الحُبارَى، قال جرير:

ويـومٍ كـإبـهـام الـقَـطـاةِ مُـزَيّـنٍ ... إلـيَّ صِـبـاهُ غـالـبٌ لـيَ بـاطـلُـهْ(١)

وفي رسالة للصاحب: أقصَر من أباهيم القطا، وأنامِل الحُبارَى. وفي رسائل الخُوارَزميّ: أقصَر من ليلِ السُّكارَى، وإبهامِ الحُبَارَى. وفي بعض شعر المولدين:

أقـصَـرُ مـن أُظـفـورِ عُـصـفـور

٧٨٢ ـ **وعيدُ الحُبارَى**: يُضرب مثلاً للضعيف يتوعّد القويّ. ومن أمثال العرب: وعيدُ الحُبارَى الصّقر؛ وذلك أنها تقف وتحاربُه، قال الشاعر:

أقـلَّ عـنـاءً عـنـك إيـعـادُ بـارقٍ ... وعيدُ الحُبارى الصقرَ من شدة الرُّعبِ

٧٨٣ ـ **سِلاحُ الحُبارَى**: يُضرب مثلاً للضعيف يستعين بالآلة اللئيمة على مُقاومة مَن هو أقوَى منه، فربّما يَغلِبه بها، وذلك أنّ الحُبارَى سِلاحُها سُلاحُها، إذا أراد الصقر أن يصيدها تَرميه بذرقِهَا فيَدْبق(٢) جناحَيه، ويعطِّل طيرانَه؛ حتى تجتمع عليه الحُباريَات، فينتِفن ريشَهُ طاقةً طاقة، فيموت الصقر، وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله:

فـلا تَـنَـلْـكَ الـلـيـالـي إنّ أيـديَـهـا ... إذا ضَـرَبْـنَ كـسَـرْنَ الـنَّـبْـعَ بـالـغَـرَبِ(٣)
ولا تُـعِـنَّ عـدوّاً أنـتَ قـاهِـرُه ... فـإنـهُـنَّ يَـصِـدن الـصـقـرَ بـالـخَـرَبِ(٤)

وما أحسنَ ما قال أبو فِراس في المعنى:

ولا خـيـرَ فـي دَفْـع الـرّدى بـمَـذَلّـةٍ ... كـمـا ردّهـا يـومـاً بـسَـوْأتِـهِ عَـمـرُو(٥)

---

(١) ديوانه: ٤٧٨.
(٢) يدبق، أي يلصق.
(٣) ديوانه: ١/ ٩٤، ٩٥ والنبع: شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال، تُتخذ منه القسِيُّ. والغرب: نبت ضعيف ينبت على الأنهار.
(٤) الخرب: ذكر الحبارى.
(٥) ديوانه: ٩٢.

٧٨٤ ـ كَمَد الحُبارَى: يُضرب مثلاً لمن يموت كَمَدا، فيقال: مات فلانٌ كَمَد الحُبارَى.

[قال أبو الأسود:

وزُبّـةَ مـيِّـتٍ كَـمَـدَ الـحُـبَـارى إذا ظـعـنـتْ هُـنـيـدَةُ أو تُـلِـمٌّ][1]

وذلك أنّ الحُبارَى تُلقِي ريشها كله مرةً واحدةً، وغيرُها من الطيرِ يلقي الواحدة بعد الواحدة، فليست تُلقي واحدةً إلا بعد نبات الأخرى، والحُبَارى إذا تحسّرتْ[2] فَترتْ همّتها، فإذا نظرتْ إلى صُوَيْحِباتها[3] يَطِرن ولا نُهوضَ لها فرُبّما ماتت كمَدا[4].

٧٨٥ ـ طَيَران الحُبَارى: يُضرَب بها المثل، فيقال: أطيرُ من حُبارَى، وليس في الطيّر أسرَع طَيَراناً منها، لأنّها تُصاد بظاهر البَصْرة فتُوجَد في حواصلها الحبة الخضراء غَضّة طرية، وبينها وبين بلادها بعد[5]. وقد يُضرَب أيضاً بطَيَران العُقاب المَثَل لأنّه يتغدّى بالعِراق، ويتعشّى باليَمَن.

٧٨٦ ـ جُبْن الصِّفْرِد: يُضرَب مثلاً في جُبن الضعيف. وزعم أبو عبيدة أنّ هذا المثَل مولَّد، والصِّفْرِد طائرٌ من خَشاش الطيّر، قال الشاعر:

تـراه كـالـلّـيـث لَـدَى أَمْـنِـهِ وفـي الـوغَـى أجـبَـنَ مـن صِـفْـرِدِ

٧٨٧ ـ هُدهُد سليمانَ: يُضرَب مثلاً للإنسان الحقير[6] يدلّ على الملك الخطير، قال بعض العلماء: للعلم دالّة يعتزّ[7] بها الصغير على الكبير، والمملوكُ على الممالك، ألَا ترى أنّ الهدهد وهو من مُحقرَات الطير قال لسليمان عليه السلام وهو الذي أُوتِيَ مُلْكاً لا يَنبغي لأحدٍ من بعدِه: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

قال الجاحظ: هُدهد سليمان هو الذي كان يدل سليمانَ على مواضع المياه

---

(١) من ب والحيوان ٥/ ٤٤٥.
(٢) تحسّرت، أي تخرج الريش من العتيق إلى الحديث.
(٣) في الحيوان: «فإذا طار صو يحباتها».
(٤) الحيوان ٥/ ٤٤٥، ٤٤٦.
(٥) كذا في ط، وفي ب: «وبينها وبينه بلاد».
(٦) ط: «الحقر».
(٧) ب: «يتسحب».

في قُعور الأرضين[١] إذا أراد استنباطَ شيء منها. ويُروَى أنّ نَجْدة الحَروريَّ[٢] قال لابن عباس: إنك تقول: إنّ هُدهد سليمان كان إذا نَقَر الأرضَ عَرَف مسافةَ ما بينه وبين الماء، [وهو] لا يُبصِرُ الفخ دون التراب حتى إذا نقر الحيَّة[٣] انضم عليه الفخ! قال: أجل، إذا جاء القَدَر، عَمِيَ البَصر. وفي رواية أخرى: [إذا جاء][٤]: الحَيْن، غَطَّى العَيْنَ[٥]. قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠]؛ لما دخلت على الاسم الألف واللام جعلتْه معرفةً، فدلّ بذلك على أنه لم يكن هدهداً من عُرْض الهَداهد، بل كان هدهداً بعينِه مخصوصاً بما لا يختصّ به غيرُه.

وقال: ولو أنكم حَمَلتم جميعَ الهَداهد على حُكم هُدهُد سليمانَ، وجميع الغربان على حكم غراب نوح، وجميع الحمام على حكم حمامة السفينة، وجميع الذئاب على حُكم ذئب أهْبان بن أَوْس، وجميع الحمير على حكم حِمار العُزَير، لكان ذلك حُكماً مردوداً[٦].

وقد تَعرِض لخصائص الأمور أسبابٌ في دَهْر الأنبياء ونُزولِ الوَحْيِ لا يَعرِض مِثلُها في غير زمانِهم، عليهم الصلاة والسلام.

٧٨٨ ـ **سجود الهدهد**: يُضرب مثلاً لمن يُكثِر السُّجود قال ابن المعتز:

وصَلّتْ هَداهِدةٌ كالمَجوسِ ... متى تَرَ نِيرانَها تَسجُدِ

وقال ابن الرومي [في ضرب المثل][٧] وهو يهجو الأخفش:

أسْجَدُ من هُدهدٍ إذا بَرزَتْ ... [فَيْشَةُ فحلٍ عظيمة العَسكَرِ][٧]

وسمعتُ البديعَ الهَمَذانيّ يقول: لما أدخلني أبي على الصاحب وأنا صبيّ أقمتُ رسمَ خدمته بتقبيل الأرض مراراً؛ فقال لي: يا بُنَيّ اقعد، لمَ[٨] تَسجُد كأنَّك هُدْهد!.

(١) ط: «الأرض»، وما أثبته من ب والحيوان.
(٢) بعدها في الحيوان: «أو نافع بن الأزرق».
(٣) الحيوان: «الثمرة».
(٤) من ب والحيوان.
(٥) الحيوان ٣/ ٥١٢.
(٦) الحيوان ١/ ٢٩٨.
(٧) من ب.
(٨) ط: «كم» تحريف.

وقال بعضُ أهل الفضل في وَصْفِ فَتىً حَسَن الصورة، مسترخِي التّكّة:

قد جِرْتُ في وصفِ صديقٍ لنا ... مطرَّزِ التِّكّةِ بالعَسْجدِ
في الحُسن طاووسٌ ولكنّه ... أسجَدُ في الخَلْوة من هُدهُدُ

٧٨٩ ـ **عذابُ الهُدهُد**: يُضرَب مثلاً لمن يُسام سوءَ العذاب، لأن اللَّه تعالى حَكَى عن سليمانَ قوله في الهدهد: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١].

وعن بعض المفسرين، أي لأنتِفَنّ ريشَه وألقينّه في مدارج[1] النّمل.

وعن بعضهم: لأفرّقنّ بينه وبين إلفِه.

وعن آخر: لأحشرنّه مع غير أبناءِ جنسِه.

٧٩٠ ـ **نَتْن الهُدهد**: الهدهد طيرٌ مُنتِن البَدَن من جوهره وذاتِه، ورُبَّ حيوانٍ يكون منتِناً من نفسه من غير عرَض كالتّيوس والحيّات والظَّربان، قال الشاعر:

تشاغلْتَ عنّا أبا الطَّيّبِ ... بغيرِ شهيّ ولا طيّبِ
بأنتنَ من هُدهُدٍ ميّتٍ ... أُصيبَ فكُفِّن في جَوْرَبِ

فجعله نهايةً في النتن، لأنّ الهدهد منتِن في حال حياته، فإذا مات ازداد نَتْناً بمماته؛ فإذا كُفّن في الجَوْرب الذي سارَ المَثَل بنَتْن رائحته ازداد نَتْناً على نَتْنِه، قال الشاعر:

أُثني عليكَ بما علمتُ فإنني ... أثنِي عليكَ بِمثلِ ريحِ الجَوْربِ

وما على ذلك مَزيدٌ في النَّتْن، ولَعَمري إنّ هذا لَهو المبالَغة[2] في التشبيه.

٧٩١ ـ **كلام البَبَّغاء**: يُضرب مثلاً لمن يقول ما يقول بغير عِلم[3] ولا معرفة، وإنّما يؤدّي شيئاً سمِعَه ويَحكي ما يُلَقَّنُه. ولما غلب وَصيفٌ وبُغَا على أمر المُستعين كُلِّه حتى كان لا يَصدُر إلا عن رأيهما قال في ذلك جنبذ[4] الكاتب:

خلافةٌ جائرةٌ[5] ... فاسدة ما تُبتغى

(١) ب: «مدرجة».
(٢) ب: «الإبلاغ».
(٣) ب: «من غير علم».
(٤) كذا في ب، وفي ط: «بعضهم».
(٥) ب: «بائدة».

صاحبُها مختجبٌ يَفرَق من حرّ الوَغَى[١]
مقتسمٌ معتبدٌ بين وَصيفٍ وبُغا
يقولُ ما قالَا له كما تقول البَبَّغا

ومن ملح أوصاف البَبّغاء:

أنعتُها صبيحةً مليحَهْ ناطقةً باللغة الفصيحهْ
عُدّت من الأطيار، واللسانُ يُوهِمُني بأنّها إنسانُ
تُنهي إلى صاحبها الأخبارَا وتَكشِف الأستارَ والأسرارَا
سَكّاءُ إلا أنّها سميعَهْ[٢] تُعيد ما تَسمَعه مُطيعَهْ

٧٩٢ ـ **قَهقهةُ القُمْريّ**: لم أسمعْ مَن ضَرَبَ بها المثل إلا أبا عبد اللَّه بنِ الحَجاج فإنه طَرُف ومَلُح حيث قال:

وقَينةٍ تَنغيمُها الفِنا أملَحُ من قَهْقَهةِ القُمْرِي
غناؤُها الممدودُ بي فاعلٌ فعلَ الغِنَى المقصورِ بالعُسرِ

٧٩٣ ـ **غناء العَنْدَليب**: يُضرَب به المثل في المَلاحة والطِّيب، قال بعض العصريّين:

سماءٌ كصدْر البازِ والأرضُ تحتَهُ كأجنحةِ الطاوُوس فاشربْ أبا نصرِ
عُقاراً كعَيْن الديك تَحْلو بِمسْمِعٍ يؤدّي غِناءَ العَنْدَليبِ على قَدْرِ

وقال أيضاً في غلام:

فديتُك يا أتَمَّ الناسِ ظَرْفاً وأصلَحَهمْ لمتّخِذٍ حبيبا
فوجهُكَ نزهةُ الألحاظ حُسْناً وصوتُكَ مُتعةُ الأسماعِ طِيبَا
وسائلةٍ تُسائل عنكَ قُلْنا لها في وَصْفِكَ العَجَبَ العجيبا
رَنا ظبياً وغَنَّى عَنْدَلِيباً ولاحَ شقائقاً ومَضَى قَضيبَا

وفي الكتاب المُبهِج: ليس للبَلابِل، كخَمْر بابِل[٣].

---

(١) كذا في ب، وفي ط: «من وصف الوغى».
(٢) ط: «في الطير إلا أنها»، والسكك: الصمم.
(٣) المبهج: ٤٤.

٧٩٤ ـ بيضة الدِّيك: يُضرَب بها المثل للشيء يقع نادراً ويحدث مرّة، فيقال: هذا بَيضَة الدِّيك، أي لم يَجرِ أكثرَ من مرّة، قال الشاعر ـ وقد تلطّف وبَرَّ بمحبوبته:

يا أحسنَ الناسِ ريقاً غيرَ مختبَرٍ … إلّا شهادةَ أطرافِ المساويكِ[١]
قد زُرْتِني مرّةً في العمر واحدةً … ثَنّي ولا تَجْعَليها بَيضةَ الدِّيكِ

وقد تقدّم في غير هذا الباب ضمناً، وإن كان أخصّ به الباب الآتي.

٧٩٥ ـ مِشْية القَبَج: تُشبَّه بها كلُّ مِشيةٍ ظريفة، قال الشاعر:

وكَم عَقْعقٍ قد رام مِشيةَ قَبْجةٍ … فأُنْسِيَ مَمْشاه ولم يَمشِ كالحَجَلْ

وقال بعضُ أهل العصر:

لقاؤك يَحكِي قضاءَ الحوائجْ … ووجهُكَ للغمّ والهمِّ فارِجْ
وفيكَ لنا فِتَنٌ أربَعٌ … تَسُلُّ علينا سيوفَ الخَوارجْ
لحاظُ الظِّباءِ ومشيُ القَباجِ … وطوقُ الحَمامَ وزِيّ التّدارجْ[٢]

٧٩٦ ـ كذب الفاختة: يُضرَب بها المثل، كما قال الشاعر:

أكذَبُ من فاختةٍ … تقولُ وَسْطَ الكَرَبْ[٣]
والطَّلعُ لَم يَبْدُ لَها … هذا أوانُ الرُّطَبِ

وكما قال الشاعر:

وقولُ أبي جعفرٍ كلُّه … كقولِ الفَواخِت جاءَ الرُّطَبْ
وهنّ وإنْ كنّ أشبَهْنَهُ … فلَسْنَ يُدانِينَه في الكَذِبْ

وكما قال آخرَ:

وقد كنتَ تَصدُق صِدقَ القَطا … فأصبحتَ أكذبَ من فاخِتَهْ

٧٩٧ ـ حِلْم العُصفور: قال الجاحظ: العرَب تَضرِب المثلَ بحِلْمِ العُصفور لأحلام السُّخَفاء، قال دُرَيد بنُ الصِّمّة:

يا آلَ شَيبانَ ما بالِي وبالُكُمُ … أنتمْ كثيرون في أحلامِ عُصفورِ[٤]

---

(١) لبشار، أمالي القالي ١/ ٢٢٨.
(٢) كذا في ب، وفي ط: «وحسن الدوارج».
(٣) الميداني ١/ ١٦٧، الدميري ٢/ ١٧١، وقد ورد البيت محرفاً في الأصول، والصواب ما أثبته منهما.
(٤) الحيوان ٥/ ٢٢٩، وفيه: «يا آل سفيان».

وقول حسان بنُ ثابت:

لا بأس بالقوم من طُولٍ ومن قِصَرٍ ... جِسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[(١)]

وقال ابن الرُّومي:

أرَى رجالاً قد خُوِّلوا نِعَماً ... في خِفّة الحِلم كالعصافيرِ
تبارك اللّهُ كيف يَرزُقُهُمْ! ... لكنّهُ رازقُ الخنازيرِ

٧٩٨ ـ سِفاد العُصفور: ليس في الطير أكثر سِفاداً من العصافير، ولذلك قالوا: إنّها أقصرُ الطَّيْرِ أعمارا، ويقال: إنه ليس شيء مما يألف الناسَ ويُعايشُهم في دُورِهم أقصَرَ عُمرا منها ـ يَعْنون الخيلَ البغالَ والحميرَ والإبلَ والبقرَ والغنم والكلاب والسّنانيرَ والخَطاطيفَ والحمام والدَّجاج ـ ويقال في المَثَل: أسفَد من عُصفور، قال بعض أهل العصر:

سَقْياً لأيام الصِّبا إذ أنا ... في طَلَب اللذّةِ عِفريتُ
أصيدُ كالبازي ولكنّني ... أسفِدُ كالعُصفورِ ما شِيتُ

شؤم البُوم: البُوم يُضرَب به المَثَل في النّكد والشؤم[(٢)]. لأنه يأوي الخراب ولا يأنسُ بأشكاله من ذوات الأجنحة، وإيّاه عَنَى أبو الطَّيّب بقوله في المِصراع الثاني:

خيرُ الطيور على القُصور وشَرُّها ... يأوِي الخرابَ ويسكنُ الناووسا[(٣)]

وقال أبو عثمانَ الخالديّ:

ولي صاحبٌ نحسٌ على كل صاحِب ... هو الداءُ أعْيَا أن يصيبَ دَواءَ
أخفُّ الورى عَقْلاً وأثقَلُ طلعةً ... وأقحَمُ إلا أن يقولَ خِطاءَ

٧٩٩ ـ شؤم القَزّ: قال ابن الحجّاج: القَزّ طائرٌ يُتشاءم منه[(٤)] وإذا رآه أهلُ السفينة لم يشُكوا في الغَرَق. وكثيراً ما يذكره ابنُ حَجّاج متمثِّلاً به، كقوله:

يا سيّدي دعوةُ ذي حُرقةٍ ... أقدَمُ في الشُّؤم من القَزِّ

---

(١) ديوانه: ٢١٤.
(٢) بعدها في ب: «واللؤم».
(٣) ديوانه: ٢/ ٢٠٢.
(٤) ب: «القز طائر إذا رأى البوم تشاءم».

عِـمـامَـتِـي كـانـت أمـيـريّـةً مـلـيـحـةَ الـشَّـرْبَـشِ والـطَّـرْزِ[١]
ولـسـتُ بـالـبـاكـي عـلـى فَـقْـدِهـا فـالـخِـزيُّ أولَـى بـي مـن الـخَـزّ

٨٠٠ ـ **حَزمُ القِرِلَّى وخَطْفُ القِرِلّى**: قال حمزة بنُ الحسن الأصفهاني: القِرِلَّى طير [من بنات] الماء[٢]، صغيرُ الجرم، شديد[٣] الغَوْص، سريع الخطف، لا يُرَى إلّا مُرفرِفاً على وجه الماء على جانب كَطيرَان الحِدَأة يُهوي بإحدى عَيْنيه إلى قعر الماء طمعاً، ويرفع الأخرى إلى الهواء حَذَراً؛ فإنْ أبصَرَ في الماء ما يستقلّ بحمْله من سَمكَ وغيره انقضّ عليه كالسهم المرسَل، فأخرَجه من قعر الماء، وإن أبصرَ في الهواء جارِحاً أهوَى إلى الأرض[٤]. فضربوا به المثلَ في الخَطْف، وكذلك ضربوا به المثَل في الحَزْم والحَذَر.

وفي أسجاع ابن الحَسَن: كنْ حَذِرا كالقِرِلَّى، إن رأى خيراً تَدلى، وإن رأى شَرّاً تولّى.

وقد خالف هذا رُواة النَّسب فقالوا: قِرِلَّى هو اسم رجلٍ من العَرَب كان لا يتخلف عن طعام أحد، ولا يترك موضعاً إلّا قصد إليه، فإن صادفَ في طريقٍ يسلُكه خُصومةً ترك ذلك الطريق ولم يمرّ فيه، فقالوا: أَطمَع من قِرِلَّى.

وأقول أنا: خليق أن يكون هذا الرجل شُبّه بذلك الطّير، وسُمّيَ باسمه، قال الشاعر:

يـا مَـن جَـفـانِـي ومَـلَّا أُنْـسِـيـتَ أهـلاً وسَـهْـلا
ومـاتَ مَـرْحَـبُ لـمّـا رأيـتَ مـا لـيَ قَـلَّا
إنِّـي أظـنّـك تَـحـكِـي بـمـا فـعـلـتَ قِـرِلَّـى

٨٠١ ـ **اختطاف الخُطّاف**: يضرَب المثلُ باختطاف الخُطّاف كما يُضرَب باستلاب الحِدَأة، وفيه يقول الصَّنَوْبَرِيّ:

ومُـؤاتِـي الـعِـتـاقِ غـيـرُ مـؤاتِ مُطمِعُ اللَّحظِ مُؤنسُ اللَّفَظَاتِ[٥]
لا يُـنـيـلُ الـتـقـبـيـلَ إلّا اخـتـطـافـاً كـاختـطـافِ الـخُـطّـافِ مـاءَ الـفُـراتِ

---

(١) ط: «مليحة الزي».
(٢) من ب.
(٣) ب: «حديد».
(٤) ب: «مر في الأرض».
(٥) ط: «اللقطات».

في البَيْض

بَيْض الأَنوق، بَيْض السَّماسِم، بيضُ النَّعام، بَيضة البَلد، بَيضة العُقْر، بَيْضة الديك، بَيْضة الإسلام، بيْضة البُقيلة، بَيْضة الذَّهب.

الاسْتِشْهادُ

٨٠٢ ـ **بَيْضُ الأَنُوق**: العربِ تَضرب المثلَ ببَيْض الأَنُوق في الشيء الذي لا يُوجد، فتقول: أعزُّ من بَيْض الأَنوقِ، وأبعَد من بَيْض الأَنوق. والأَنوق: الرَّخَم الذَّكر؛ وإنّما البيضة للأنثى. هذا قولُ أبي عَمرو. وأمّا غيرُه من اللّغويين والمعنويّين فإنهم أجمعوا على أنّ الأَنوقَ تَلتَمِس لبَيْضها الأوكارَ البعيدةَ، والأماكِنَ الوحشية، والجبال الشامخة، وصُدُوع الصَّخر الغامضة، فلا يصل إليها سَبُعٌ ولا آدميّ، كما قال الشاعر:

وكنتَ إذا استُودَعْتَ سِرّاً كتَمْتَهُ ... كبَيْضِ أنوقٍ لا يُنالُ له وَكْرُ

ويُرْوَى أنّ رجلاً من أهل الشأم طلب إلى معاوية حاجةً فأبَى، وسأله أخرى، فتمثّل معاويةُ بهذا البيت:

طَلَبَ الأبلقُ العَقوقَ فلمّا ... فاتَه ذاك رامَ بيضَ الأَنُوقِ[1]

وقال بعضُ وُلْدِ عُيينَة بن حِصن لعمرَ بن عبد العزيز:

إنَّ أوْلى بالحقّ في كلّ حقّ ... ثمّ أحرَى بأن يكون حَقيقَا

مَن أبوهُ عبدُ العزيز بنُ مَرْوا ... نَ ومن كان جدُّه الفاروقا

ردّ أموالَنا علينا وكانت ... في ذُرا شاهقٍ يَفوقُ الأَنُوقا[2]

وأنشَدَني الخُوارَ زميّ لنفسه:

تغرّبْتُ أَسألُ مَن عَنَّ لي ... من الناس هل مِنْ صديقٍ صَدُوقِ!

فقالوا عَزيزَانِ لا يُوجدانِ ... صَديقٌ صَدوقٌ وبَيضُ الأَنوقِ

(١) الحيران ٣/ ٥٢٢، والكامل ٢/ ٢٧١، وروايته: «لم ينله أراد بيض الأنوق».
(٢) الحيوان ٣/ ٥٢١، والكامل ٢/ ٢٧١، ونسبة الشعر فيهما إلى عتبة بن شماس.

وقرأتُ للصاحب من رسالة له إلى أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيليّ هذا الفصل: وهل غايةُ من أفنى الطّوامير[١] واستَقْصَى الأضابير[٢] وكَتَب الكُتُب الطّوال، وشَحَن الصُّحُف العِراض، يحاول أن يدلّ على حالِك، حتّى يخطِر ببالِه أن يكشِفَ عن بَلبالِك، إلا أن يُقال له: أردتَ بيضَ الأنوق، كلّا بل بَيْض النُّوق؛ وقد أبعَدَ النجْعة، [ولم يطبِّق المِفْصَل][٣] وأراد أن يجيء بعائدة[٤]، فجاء بآبدة، ولكلِّ جَواد كبْوة، كما أنّ لكلِّ صارِم نَبْوة.

٨٠٣ ـ **بَيْض السَّماسم**: من أمثال العرب عن اللِّحيانيّ: كلَّفَني بيضَ السَّماسم، وواحدة السَّماسم سمامة، والسَّماسم: طيرٌ مِثل الخُطاف لا يُقدَر على بَيْضِه.

٨٠٤ ـ **بَيْض النّعام**: قد تقدم القولُ في أن العرب تَضرب المثَل للعَذارى به في الصحة والسلامة، كما قال الفرزدق:

وهـنّ أصـحُّ مـن بَـيـضِ الـنَّـعـامِ

٨٠٥ ـ **بَيْضة البلد**: من أمثال العرب: فلانٌ بَيضةُ البلد، فيضعونها مرة في موضع المدْح، وتارةً في موضع الذمّ، فأمّا التي يُراد بها المدح فكما قال عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: أنا بَيْضة البلد. وكما قالت عَمْرة ابنة عَمرو بنِ عَبْد ودّ تَرثِي أباها وتذكر قتلَ عليّ إيّاه:

لـو كـان قـاتِـلُ عَـمـروٍ غـيـرَ قـاتِـلِهِ بكيْتُه ما أَقامَ الرُّوحُ في جسدي[٥]
لـكـنّ قـاتِـلَـه مَـنْ لا يُـعـابُ بـه وكـان يُـدْعَـى قـديـماً بَـيْـضـةَ الـبَـلَـدِ

وإنما يُراد ببَيضة البلد واحدها الذي تجتمع إليه وتَقبَل قوله.

وأَما التي يُراد بها الذمّ فهي كما قال الراعي:

تـأبى قُـضـاعـةُ لـمْ تـعـرفْ لـكُـمْ نـسـبـاً وابـنـا نـزارٍ فـأنـتـمْ بَـيْـضـةُ الـبَـلَـدِ[٦]

---

(١) الحيوان ٣/ ٥٢١، والكامل ٢/ ٢٧١، ونسبة الشعر فيهما إلى عتبة بن شماس.
(٢) ط: «الأحافير».
(٣) من ب.
(٤) ب: «بفائدة».
(٥) اللسان (بيض).
(٦) اللسان (بيض)، من بيتين له يهجو بهما ابن الرقاع العاملي وأولهما:
لَـوْ كُـنـتَ مـن أحـدٍ يُـهـجَـى هـجـوتُـكُـمُ يـا بـن الـرِّقـاعِ ولـكـنْ لـسـتَ مـن أحـدِ

وإنما نسبهم إلى غير نسب، وشبّهَهم ببيضة النعام التي يَحضُنها غيرُ صاحبها، فقد يُراد ببيضة البلد الانفراد والذلّ والضياع، لأن النعامة تقوم عنها وتتركها منفردةً بدارِ مَضْيَعة، كما تقدم ذِكرُه، ولهذا المعنى أراد من قال:

لـكـنّـه حَـوْضُ مـن أَودَى بـإخـوتِـه ... رَيْبُ المَنونِ فأمسَى بَيْضةَ البلَدِ[١]

٨٠٦ ـ **بيضة الديك**: يضرب المثل ببيضة الديك في الشيء يكون مرة واحدة لا ثانية لها، والذي يُعطى عطية لا يعود لمثلها؛ وذلك أن الديك يبيض في عمره مرة واحدة لا يكون لها أخت، وقد تمثل بها بشار حيث قال:

قـد زُرْتِـنَـا مَـرّةً فـي الـدَّهْـرِ واحـدةً ... ثَـنِّي ولا تَـجْـعَـلِـيهـا بَـيْـضَـةَ الـدِّيـكِ

٨٠٧ ـ **بيضة العُقْر**: اختلفوا فيها؛ فمِن قائل إنّها البيضة التي تُسْتَبرأ بها المرأةُ؛ أبِكر هي أم ثيّب؛ ومن قائل: إنها بَيضة الديك ولا ثانيةَ لها قطّ، ومن قائل: إنها آخر بيضة للدجاجة[٢]، ولا بَيضة لها بعدَها، فتُضرَب مثَلاً للشيء لا يكون بعدَه شيء من جنسِه؛ وهذا أسدُّ الأقاويل وأقرَبُها من الصّواب.

ويُحكَى أن رجلاً أخذ من بين يدي بعض الملوك البُخلاءِ بَيْضةً، فقال: خُذْها فإنها بيضة العُقْر، ثم لم يَدْعُه بعد ذلك إلى مائدته.

٨٠٨ ـ **بَيضَة البُقَيلة**: تُذكَر في عيون الأطعمة ولا يُستحسَن المبادرة إليها.

وهجا الحَمْدوني طُفَيليًا فقال:

وَيـبـدُرهـمْ إلـى بَـيـضِ الـبُـقَـيـلَـهْ

ويُقال: ثلاثةٌ يَنتهي الحُمق إليها، وهي أن يَستظِلّ الرجل بمِظَلّته وهو في الظل، وأن يُسابِق إلى بيضة البُقَيلة، وأن يَحتجِم في غيرِ دارِه.

وحكَى الجاحظ عن الحارثيّ أنه قال: الوَحْدة خيرٌ من جَليس السوء وجليسُ السوء خيرٌ من أكيل السوء، وكل أكيل جليس، وليس كلُّ جليسٍ أكيلا، فإن كان لا بدّ من المؤاكلة فمع مَن لا يستأثِر بالمُخ، ولا ينتهِز بيضة البُقَيلة، ولا يلتهم كَبدَ الدجاجة، ولا يُبادر إلى دِماغ، ولا يَختطِف[٣] كُلَى الجدي، ولا يَنزع خاصرةَ الحَمَل، ولا يزدرد قانصة الكُرْكيّ، ولا يتعرض لعيون

---

(١) اللسان (بيض)، من ثلاثة أبيات نسبها إلى صثان بن عباد اليشكري.

(٢) ط: «من الدجاجة».

(٣) ط: «يخطف».

الرؤوس، ولا يَستولي على صُدور الدُّرّاج، ولا يُسابِق إلى أسقاط[١] الفِراخ.

وحُكِيَ عن محمد بن أبي المؤمَّل، أنه قال في كلام: ولقد كانوا متحامين بيضة البُقَيلة، ويدفعُها كل امرىء لصاحبه، وأنتَ اليومَ إن لو أردتَ أن تُمتِّع عينيك بنظرة واحدة إليها لم تَقدِر عليها.

وسمعتُ السيد أبا جعفر الموسويَّ يقول: عاتَبَ بعضُ الناس صديقاً له على إخلالِه بإضافته[٢] بعد أن كان يدعوه كثيراً، فقال: ما الذي أنكرتَ مني؟ هل نبشتُ وسادَتَك؟ هل قَلبتُ حِمْلَك؟ هل بعثرتُ أبزارَك؟ هل أكلْتُ بَيضةَ بُقْلَتِك؟ هل تفلت في طَسْتِك؟.

٨٠٩ ـ بيضة الإسلام: هي مجتمَعُه وحَوزتُه، ويقال للجند: حُماة الحَوْزة ورُعاة البَيضة، قال الشاعر يهجو بعضَ الحُكّام:

أبكي وأندُبُ بيضةَ الإسلامِ إذْ صرتَ تَقعدُ مَقعدَ الحُكّامِ
إنّ الحوادثَ ما علمْتَ كثيرةٌ وأراكَ بعضَ حوادثِ الأيامِ

ويقال أيضاً: بيضَةُ العشيرة؛ ومنها قولُ أبي بكر الصدّيق رضي اللّه تعالى عنه: نحن عشيرةُ رسولِ اللّه وبيضَتُها التي انفقأت[٣] عنها؛ وإنما دارت العرب عنها كما دارت الرّحَا عن قُطْبها.

ومن البيضة المستعارة: بيضَة الحديد، وبيضة العنبر.

٨١٠ ـ بيضة الذهب: تُضرَب للشيء النفيس تَنقطِع مادته بعد أن تكون العادةُ جاريةً بها، وأصلها أنّ الرُّوم كانوا يُنفِذون إلى الأكاسرة في الإتاوة كلَّ عام ألفَ بيضة ذهبٍ، كل واحدة زنتُها مائةُ مثقال، فلمّا وُلّيَ الإسكندر أتاه من قِبَلِ دَارَا بن دَارَا من يتقاضاه الإتاوة، فقال: قلْ له إنّ الدجاجة التي كانت تبيض الذهب قد ماتت؛ فسار قولُه مثلاً، وكان ذلك سبباً لالتحام الشرّ بين دَارَا والإسكندر حتى قُتِل دَارَا؛ وفي هذا المثَل قال الشاعر يهجو بعضَ الحُكّام:

مَن كانَ ينفعُه الأدبْ ويُحِلُّه أعلى الرُّتَبْ
فلقد خَسِرتُ عليهِ ما وُرِّثْتُ مِن أمّ وأَبْ

(١) كذا في ب، وفي ط: «استعاط».
(٢) ط: «بضيافته».
(٣) ط: «انفرجت».

كـم ضَـيـعـةٍ كـانـت تَـصـو ن الـوجـهَ عـن ذُلّ الـطَّـلَـبْ
أَتْـلَـفْـتُـهـا لا فـي الـقِـيـا نِ ولا هَـوَى بـنـتِ الـعِـنَـبْ
بـل فـي الـحـوادثِ والـجـوا ئـحِ والـشـوائـبِ والـنُّـوَبْ
كـم قـلـتُ لـمّـا بـعـتُـهـا وحَـصُـلـتُ فـي أسْـر الـكُـرَبْ:
ضـاعـتْ دَجـاجـتُـنـا الـتـي كـانـت تَـبـيـضُ لـنـا الـذّهـبْ

في الذُّباب والبَعُوض

طَيْش الذُّباب، جُرأة الذّباب، زَهْوَ الذُّباب، لَجاج الذباب، طَنين الذباب، أيْر الذباب، مَنجَى الذباب، بَقّ البطائح، ضَعْفُ البَقّة، مُخّ البعوض، فَراش النار، جَهْل الفراشة، خفّة الفراشة، حلم الفراشة، لُعاب النحل، كَيْس النَّحْل، إبَر النحل، آنية النحل، نحل السُّكّر، خَضْر زُنْبُور.

الاسْتِشْهادُ

٨١١ ـ طَيْش الذباب: يُضرَب مثلاً فيقال: أطيَش من ذباب، وأنشَد الأصمعيّ:

وأَنتَ أطيَشُ حينَ تَغدُو شارداً ... رَعِشَ الجنانِ من القَدوحِ الأقرَحِ(١)

قال: وكل ذُبابٍ أقدح يقْدَح بيديه، كما قال عنترة:

هَزِجاً يَحُكّ ذِراعَه بذراعِه ... حكَّ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ(٢)

٨١٢ ـ جُرأة الذباب: يُضرَب بها المثل، لأن الذباب يقع على فَم الأسد، وهو لا يُبقِي شيئاً، وهو مع ذلك يُذاد ويعودُ(٣).

٨١٣ ـ زَهو الذباب: قال الجاحظ: يُقال: أزهَى من ذُباب، لأنه يسقُطُ على أنف المَلِك الجبّار وعلى مُوقِ عينيه ليأكلَه ثم يُطرَد فلا ينطرِد(٤).

وحُكِيَ أن ذباباً وقع على أنف المنصور وهو يخطب، فحرّك رأسه ليطرُده ـ وكان الخلفاء لا يحرِّكون أيديَهُم على المنابر ـ فطار حتى سقط على رأسه، فحرّكها فطار حتى وقع على عينه، فحرك رأسَه فطار حتى وقع على عينه الأخرى؛ حتى أضجَره، فذبّه بيده، فلمّا نزل سأل عمرَو بنَ عُبيد: لِمَ خلقَ اللّهُ الذباب؟ فقال:

(١) الحيوان ٣/ ٣٢١، الميداني ١/ ٤٣٧، اللسان (قدح). والأقرح: الذي في وجهه قرحة.
(٢) من المعلقة ص١٨٢ ـ بشرح التبريزي.
(٣) ب: «يُذاد ويُذب».
(٤) الحيوان ٣/ ٣٠٥.

لِيُذِلَّ به الجبابرة! ثمّ قرأ قولَه تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

٨١٤ ـ **لَجاج الذباب**: حَكى الجاحظ في لَجاج الذباب ما هو نهاية الفَصاحة والاتساع قال: كان عندنا بالبَصرة قاضٍ يُقال له عبدُ اللَّه بن سَوّار، لم يَرَ الناس حاكماً ذكياً ولا وَقوراً رزيناً ضَبَط من نفسِه، ومَلَك من حركتِه مثل الذي ضبط ومَلَك. وكان يصلّي الغداةَ في منزله، ودارُه قريبةٌ من مسجده، ثم يأتي مجلسَه فيحتبي ولا يتّكىء، ويَبقَى منتصباً لا يتحرك له عُضو، ولا يلتفت، ولا يحلُّ[١] حَبْوَتَه؛ ولا يحوِّل رِجْلاً عن رِجْل، ولا يعتمد على أحدِ شقّيه، حتى كأنه بناءٌ مبنيّ، وصخرةٌ منصوبة، فلا يزال كذلك حتى يقومَ لصلاة [الظهر، ثم يعود إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة][٢] العصر، ثمَّ يرجع إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتَّى يقومَ لصلاة المغرب، ثم ربما عاد إلى مجلسه؛ بل كثيراً ما يكون ذلك[٣] إذا بقي عليه شيء من قراءة [العهود] والسجلات، ثم يصلّي العِشاء الأخيرة ويَنصرِف. [فالحق يُقال][٢] لم يَقُم طُولَ تلك [المدة و][٢] الولاية مرةً واحدةً من مجلسه إلى وُضوء، ولا احتاج إليه، ولا شربَ ماءً، ولا غيره من الشراب، كذلك كان شأنُه في طِوال الأيام وقِصارِها، وصَيفها وشتائِها، وكان مع ذلك لا يُحرِّك [له][٤] يداً ولا عُضواً، ولا يشير برأسه، وليس إلا أن يتكلم ثم يُوجِز، ويبلغُ باليسير من الكلام إلى المعاني الكثيرة. فبينما هو ذاتَ يوم في مجلسه وأصحابه حَوالَيه والسمّاط[٥] بين يدَيه إذ سقَط على أنفه ذُبابٌ، فأطال المُكث، ثم تحوّل إلى مؤق عينه، فرام الصبر في سقوطه على المؤق، وصبر على عضَّته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أَنْفِهِ من غير أن يحرِّك أرنبتَه أو بعض وجهِه، أو يذبّ بأصابعه[٦]؛ فلما طال ذلك عليه من الذباب، وشغلَه وأوجعَه وأحرقَه وقصد مكاناً لا يَحتمِل التغافل، أطبَق جفنَه الأعلى على جَفنِه الأسفل، فلم يَنهض؛ فدعاه ذلك إلى أن والَى بين الإطباق والفَتْح فتنحّى، فلما

---

(١) ط: «يمل»، وصوابه من ب والحيوان.
(٢) من الحيوان.
(٣) كذا في ب والحيوان، وفي ط: «كذلك».
(٤) من ب، وفي الحيوان: «يده».
(٥) الحيوان: «وفي السماطين بين يديه».
(٦) الحيوان: «بإصبعه».

سكن جفنُه عاد إلى مُؤقِه بأشدَّ من مرته الأولى، فغَمس خُرطومَه في مكانٍ كان قد آذاه فيه قبل ذلك، وكان احتمالُه أقلّ، وعجزه عن[1] الصبر على الثانية أقوَى، فحرك أجفانه، وزاد في شدة الحركة وفي فتح العَين ومتابَعة الفَتْح والإطباق، فتنحّى عنه بقَدْر ما سكنتْ حركتُه، ثم عاد إلى موضعه، فما زال[2] يلحّ عليه حتى استفرغ صبره، وبلغ مجهوده، فلم يجد بداً من أن يذُبّ عن عينه بيَدِه، ففعل ـ وعيونُ القوم ترمُقه، وكأنهم لا يرَوْنه ـ فتنحّى عنه بقدر ما سكنتْ حركتُه، ثم عاد إلى موضعه، فألجأه إلى أن ذَبّ على وجهه بطَرف كُمّه، ثم ألجأه إلى أن تابع ذلك، وعلم أنه كان بعَين مَن حضَر من أمنائه وجُلسائه، فلما نظروا إليه قالوا: نَشْهد أنّ الذباب ألجّ من الخُنفساء، وأزهى من الغُراب؛ قال: أستغفر اللّه! فما أكثرَ مَنْ أعجبتْه نفسُه فأراد اللّه أن يعرِّفه من ضَعْفه ما كان مستوراً عنه؛ قد علمتم أنّي عند الناس مِن أرْزن[3] الناس، فقد غلبَني وفضَحَني أضعَف خَلْق اللّه؛ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

٨١٥ ـ **طَنِين الذُّباب**: يُضرَب المثَل به للكلام يُستَهان ولا يُبالَى به، قال حَضْرميّ بنُ عامر:

ما زال إهداءُ القصائِد بيننا ... شتْمَ الصّديقِ وكثرةَ الألقابِ[4]
حتى تُرِكتَ كأنّ أمرَك بينهمْ ... في كلّ مجتمعٍ طنينُ ذبابِ[5]

وقل ابن عروس:

يا مَن يروِّعه طَنينُ ذُبابِ ... ويفُلُّ عزمتَه صريرُ البابِ

فجعله يرتاع مما لا يُرتاع منه.

٨١٦ ـ **منجَى الذباب**: يُضرَب مثلاً للئيم[6] الذليل يكون عليه واقية من لؤمه وذُلّه، كما قال إبراهيم بنُ العباس:

كنْ كيفَ شئتَ وقلْ ما تَشَا ... وأَبْرِقْ يميناً وأرعِدْ شِمالا[7]

---

(١) كذا في الحيوان، وفي الأصول: «في».
(٢) الحيوان: «أزمت الناس». (٣) الحيوان ٣/ ٣٤٣ ـ ٣٤٥.
(٤) الحيوان ٣/ ٣١٥، ابن الحديد ٦/ ٢٢٩، ورواية البيت فيه:
ما زالَ إهداء الصغائر بيننا ... نثُّ الحديث وكثرة الألقاب
(٥) ب «في كل مجمعة»، وفي ابن أبي الحديد: «في كل نائبة».
(٦) ط: «لليتيم»، والصواب ما أثبتناه من ب.
(٧) ديوانه: ١٦٣.

نَجا بِكَ لؤمُكَ منجى الذبابِ حَمَتْهُ مقاذيرُهُ أن يُنالا

وقال مسلم بنُ الوليد:

فاذهبْ فأنتَ طَليقُ عِرضكَ إنّه عِرضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذليلُ[(١)]

٨١٧ ـ **أيرُ الذباب**: يُضرَب مثلاً لما قلّ وذَلّ، وأنشَد الجاحظ:

لما رأيتَ القصرَ أُغلِقَ بابُهُ وتعلّقَتْ هَمْدانُ بالأسبابِ[(٢)]

أيقنْتَ أنّ إمارة ابنِ مقرّبٍ[(٣)] لم يبقَ منها قِيسُ أَيْرِ ذُبابِ[(٤)]

قالوا: ولم يُرِد مقدارَ أيْرِه، إنما ذهب إلى مِثل قول ابن أحمر[(٥)] في مُخّ البعوض، وقد تقدّم ذكرُه، وسيأتي قريباً.

٨١٨ ـ **بَق البَطائح**: يُضرَب به المثَل في الكثرة وسوء الأثر[(٦)]؛ يذكر مع جرّارات[(٧)] الأهواز، وعَقارِب شَهرَ زُور، وبلغني أنها رُبَّما ظِفرتْ بالإنسان السْكرانِ النائم، فأكلتْ لحمَه وشربتْ دمَه ولم تُبقِ منه إلّا عظاماً عارية.

٨١٩ ـ **ضَعْف بقّة**: يُضرَب به المثَل، كما قال الشاعر في رجل اسمُه ليث:

أيا مَن إسمُه ليثٌ وهُو أضعفُ من بَقَّهْ

لقد باعَدَ ربُّ النا سِ بين الإسمِ والخِلْقهْ

ويُضرَب المَثَل بصغَر البقّة، قال الخُوارَزميّ:

ضَنيتُ فلو أُدْخِلْتُ في حَلْق بَقّةٍ خريفيةٍ من دِقّتي لم تغصَّ بي[(٨)]

وأصبَح قلبي في يد الهمّ واغتدتْ أمانيَّ في أظفارِ عنْقاء مُغرِبِ

٨٢٠ ـ **جَناح بَعوضة**: يُضرَب به المثل في القلّة والصغَر والخِفَّة، كما

---

(١) ديوانه: ٣٣٤.
(٢) الحيوان ٣/ ٣١٧، ٦/ ٧٦، وتُنسب إلى عبد الله بن همام السلولي.
(٣) الحيوان: «ابن مضارب».
(٤) ط «قيس»، أي قدر.
(٥) ط: «قولهم»، وما أثبته من ب.
(٦) ط: «الأمر».
(٧) ط: «جراد»، والصواب ما أثبته من ب.
(٨) ب: «لم يغص»!.

يُضرَب بمثقال ذَرة؛ وفي الحديث: «لو كانت الدنيا تَعدِل عند اللَّهِ جَناحَ بَعوضةٍ ما سقَى كافراً منها شربةَ ماء».

٨٢١ ـ **مخّ البعوض**: من أمثال العرب: كلفتني مخّ البعوضة، أي كلّفتني ما لا أطيق ولا يوجد ولا يكون؛ ولم يَذكر ذلك أحدٌ من الشعراء إلا ابنُ أحمرَ إذ قال:

كلَّفتَنِي مخَّ البعوضِ فقدْ   أقصَرْتَ لا نُجحٌ ولا عُذرُ

ثم تبعه ابنُ عَروس فقال:

ولو أيقنتُ أنْ سيموتُ قلبي   صغيرَ السِّنّ كالرشإ الغَضِيضِ
أبحتُك كُلَّ ما يحويه كفّي   ولو كلّفتَني مخَّ البعوضِ

٨٢٢ ـ **فَراش النار**: قال الجاحظ: يُقال في موضع الذم والهجاء بالطيش والجهل والتهور: ما هوَ إلّا فَراش نار وذُباب طمع، كما قال الشاعر:

كأنّ بني طهيَّةَ رهطُ سَلْمَى   فَراشٌ حولَ نارِ مُصطلينا[1]
يَطُفْنَ بِحرّها ويَقَعْنَ فيها   ولا يدرين ماذا يتّقينا!

قال: والفَراش وأصناف الذباب أجهَل خلقِ اللَّه، لأنها تَغشَى النارَ من ذواتِ أنفسها حتّى تحترق؛ وقال الشاعر:

خَتمتُ الفؤادَ على حبِّها   كذاك الصّحيفةُ بالخاتَم[2]
هوَت بي إلى حبّها نظرةٌ   هُوِيَّ الفَراشةِ في الجاحِمِ[3]

٨٢٣ ـ **جهل الفراشة**: يُضرب بها المثل، لأن الفَراشة تطلب النار لتُلقي نفسها فيها، قال الشاعر:

إذا ما دنا حَتفُ الفراشةِ أَقبلتْ   إلى وَهَجانِ النارِ تَطلُب مَخلَصا

وهذا كما يقال: إذا جاء أجل البعير، حام حول البِير.

وكتَب أبو إسحاق الصابي: تَهافت الفَراش في الشِّهاب، وولُوع الذباب بالشراب. وكتب مثله في مخالفة طرائق الحُصَفاء، وخلائق الخُرَماء: مِثل الفَراش المتهافت في الشهاب، والنَّقَد المتهجِّم على لُيوث الغاب.

---

(١) الحيوان ٣/ ٣٠٥ من غير نسبة؛ وفيه: «كأن بني ذويبة».
(٢) الحيوان ٣/ ٣٩٨.
(٣) الحيوان: «للجاحم».

٨٢٤ ـ خفّة الفَراشة: يُضرب بها المثل، لأن الفراشة أكبر من الذباب الضخم، فإذا أخذتَها بيَدك صارت بين أصابعك كالدقيق. وتقول العامة لمن تستخفّ رُوحَه: ما أنت إلّا [من][1] فَراش الجنة.

٨٢٥ ـ حِلْم الفَراشة: يقال ذلك كما يقال: حِلْم عُصفور، قال الشاعر:

سَفاهةُ سِنَّوْرٍ وحِلْمُ فَراشةٍ ... وإنّك من كَلْب المُهارِش أجهَلُ

٨٢٦ ـ لُعاب النحل: هو العسل يُضرَب المثل بحلاوته، ويقال أيضاً: ريق النحل. وعابَ بعض الفقراء الفالوذج عند الحسن، فقال الحسن: لُعاب النحل بلُباب البُرّ بخالص السمن، ما عابَ هذا مسلم؛ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ومن كلام السيد الأمير أدام اللّه تأييدَه في تشبيه الكلام بريق النحل: وصل كتابُك فأذعنَتِ القلوبُ لفضله بالاعتراف، واختلفت الألسُن في تشبيهه ببديع الأوصاف، فمن مدّعٍ أنه رُقْية الفضل وريق النحل، ومُنتحلٍ أنهُ سُلاف العُنقود ونظم العقود، وقائلٍ: إنه نظمُ خَمائل وسحرُ بابل، فأما أنا فتركتُ التمثيل، وتركت التحصيل، وقلت: هو سَماءُ فضلٍ جادتْ بِصَوْب الحِكَم، ووَشْي طبع حاكَته سنّ القلم، ونسيم خلق تنفّستْ عنه رَوْضة الكَرَم.

٨٢٧ ـ كَيْس النحل: قال الجاحظ: مَنْ يقدر على نَعْت النحل وكيسها ووَصْف ما فيها من غريب الحكم وعَجيب التدبير، ومن التقدم فيما ما يقوتها والادخار ليوم العجز عن كسبها، وشمِّها ما لا يُشَمّ، ورؤيتها ما لا يُرَى، وحُسن هدايتها والتدبير، والتأمير عليها، وطاعة سادتها، وتقسيط أجناس الأعمال على أقدار معارفها، وقوّة أبدانها ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]!.

وكتب أبو الفرج يعقوبُ بنُ إبراهيمَ إلى ابنه أبي سعيد مع غلام تركيّ بعث به إليه من بُخارَى: قد أهديتُ إليك غلاماً يجمعُ أشغالَ الناس، وكَيْسَ النحل، ونموَّ الهِلال، بُورِك لك فيه!.

٨٢٨ ـ إبَر النَّحْل: تُضرَب مثلاً في الوصل إلى المحبوب بمقاساة المكروه، وهو يَجري مَجرى شوك التّمر، قال المتنبي:

ذَرِيني أنلْ ما لا يُنالُ من العُلا ... فصعبُ العُلا في الصعب والسهلُ في السهلِ

---

(١) من ب.

تريدين لُقْيانَ المعالِي رخيصةً ... ولا بدّ دونَ الشّهد من إِبَرِ النَّحْلِ!

٨٢٩ ـ **آنية النحل**: ذكَر الزبير بنُ بكار بإسناد له أنّ مصعبَ بنَ الزبير كان يقال له آنية النحل من كرمِه وجودِه، وكان من أجملِ الناس وأشجعِهم وأجوَدهم، وذَكَره عبدُ الملك بنُ مروان فقال: كان رئيساً نفيساً. وقال بعض الأشراف في قتله:

فلا تَحسَبِ السلطانَ عاراً عِقابُه ... ولا ذُلُّه عند الحفائظِ والأصلِ
فقد قَتَل السلطانُ عَمراً ومُصعباً ... قريعيْ قريش واللذَيْن هما مِثلي
عِمادُ بني العاصِ الرفيعِ عمادُه ... وقَرْمُ بني العوّام آنيةُ النّحْلِ

٨٣٠ ـ **نحل السكّر**: سمعت أبا الفتح البُستيَّ يقول: الحرُّ كنحلِ السكرِ إن أجناه المرء من برّه شكراً أجناه من شُكرِهِ شُهْداً؛ ثم أنشدني لنفسه:

لا تحقرِ المرءَ إن رأيتَ به ... دَمامةً أو رَثاثةَ الحُللِ
فالنحلُ لا شيءَ في طُبولتِه ... يَنالُ منه الفَتَى جَنَى العسلِ

٨٣١ ـ **خَصْر زنْبور**: يشبّه به خَصْر المعشوق من الجواري والغِلمان كما قال عمر بنُ أبي ربيعة:

وثلاثٍ لقيتُ في الحَجّ يوماً ... كظِباءِ المَهَا مِلاحٍ ظِرافِ
يتقابلن كالبدور على الأغـ ... ـصانِ في مُثقَلٍ من الأردافِ
بخُصورٍ تَحكِي خُصورَ الزّنابيـ ... ـرِ دِقاقٍ هَممْنَ للإنتصافِ

في الأرض وما يُضَاف إليْها

خبايا الأرض، شَحْمة الأرض، سَمعُ الأرض وبصرُها، دابة الأرض، جنّة الأرض، أمانة الأرض، كتمان الأرض، أوتاد الأرض، حلية الأرض، نبات الأرض، أديم الأرض، خدّ الأرض، سرّة الأرض، ظهر الأرض وبطنُها، ابنُ الأرض، جُدَرِيّ الأرض، بعلُ الأرض، سَنام الأرض، حيّة الأرض.

الاسْتِشْهادُ

٨٣٢ ـ **خبايا الأرض**: هي الزرع، يُروَى عن النبي ﷺ أنه قال: «التمسوا الرزقَ في خبايا الأرض».

وعن مصعبَ بن الزبير، عن عبيدِ بن شهاب قال: كان عُروة بنُ الزبير يقول لي: ازرَعْ، أما لَكَ أرضٌ! أما سمعتَ قولَ الشاعر:

أقولُ لعبدِ اللّه لمّا لقيتُه يسيرُ بأعلى الرَّقْمتَيْن مشرِّقا
تَتبَّعْ خبايا الأرضِ وادعُ مَليكَها لعلك يوماً أن تُجابَ فتُرزَقا

٨٣٣ ـ **شَحمة الأرض**: هي الموضع المَريع منها؛ قيل لعمر رضي اللّه عنه: إن نازلةَ البَصْرة اتخذوا الضِّياع وعَمَروا الأرض، فكتب إليهم: لا تنهكوا وجهَ الأرض، فإن شحمتَها في وجهها. قال الجاحظ: شَحمة الأرض هي ما يِغوص في الرَّمل ويسبَح فيها سِباحة السمك في الماء، وهي دودٌ صِغار، يشبه بها كفُّ المرأة، قال ذو الرمّة في تشبيه بَنان النساء بها:

كَواعبُ أُملودٍ كأنّ بَنانَها بَناتُ النَّقا تَخفَى مرارا وتَظهَرُ[(١)]

قال أبو سليمان [الغنويّ][(٢)]: هي أعرَض من العَظاية[(٣)]، بيضاء حسنة متقطعة بحُمرة وصُفرة، وهي أحسن دوابِّ الأرض[(٤)].

(١) ديوانه: ٢٢٦، وروايته: «خراعيب أملود».
(٢) من الحيوان.
(٣) ط: «العضاية»، تحريف، صوابه من ب والحيوان.
(٤) الحيوان ٦/ ٣٦١.

٨٣٤ ـ **سمعُ الأرض وبصرُها**: من أمثال العرب: لقيتُه بين سمع الأرضِ وبصرِها، قال الأصمعي: كأنَّ ذلك بالفَلاة بموضعٍ لا أحدَ فيه. وقال غيرُه: أي بين طول الأرض وعَرْضها، وقال: ووجه ذلك أنَّه في موضعٍ لا يراه أحد ولا يَسمع كلامَه إلا الأرض.

وكتب الصاحب في وصف منهزِم: طار بين سمعِ الأرض وبصرِها، لا يدرِي ما يَطأ من حَجَرِها ومَدَرِها.

٨٣٥ ـ **دابة الأَرض**: هي التي ذكرها اللّه تعالى في قصَّة سليمانَ عليه السلام في قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤].

وإياها عَنَى ابنُ المعتزّ بقوله وهو يشكرها ويذمُّها ويصف إفسادها:

كنتُ آمرأً دونَ الأنام مُعتزِلْ عليّ سِترٌ دون ديني مُنسَدِل
لا راجياً لدولةٍ من الدُّوَل ولا أخافُ آجِلاً على أَمَل
شُغلي إذا ما كان للناس شُغُلْ دفترُ فقهٍ أو حديثٍ أو غَزَلْ
لا عائبي ولا يرى منِّي زَلَلْ فإن مَلِلتُ قُرْبَه منِّي اعتزَلْ
أرقطُ ذو لَوْنٍ كئيبِ المكتَهِلْ راكبُ كفٍّ أينما شئتَ رَحلْ
ولا أُحِلّ موضعاً حتَّى يَحُلّ ولا يَمَلّ صاحباً حتى يملّ
فدَبَّ فيهنَّ دبيبٌ قد أَكَلْ عصا سليمانَ فظَلَّ يَنجدِلْ
يَبنِي أنابيبَ له فيها سُبُلْ بالماء والطِّين وما فيها بَلَلْ
مِثلَ العروق لا يُرَى فيها خَلَلْ يأكل أثمار القلوبِ لا أَكَلْ
حتَّى يرى العالَمَ مجهولَ المحَلّ يعودُ وِفاقاً وقد كان بَطَلْ

وشَتَم رجلٌ الأرضةَ في مجلسِ بكر بن عبد اللّه المزنيّ فقال بكر: مَهْ! هي التي أكلَتْ الصحيفةَ التي تَعاقدَ المشركون فيها على رسول اللّه ﷺ؛ أكلتْها إلا ذِكر رسول اللّه ﷺ، وبها: ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، فبها كُشِف أمرُهم عند العوام بعد الفتنةِ العظيمة عليهم، وكانت على الخاصَّة منهم أعظم المِحَن. فهذه دابّة الأرض التي هي الأَرَضة.

وأما دابّة الأرض التي ذكرها اللّه تعالى فقال: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]؛ فهي تُضرَب مثلاً للمنتظر البطيء الحضور، وتذكَر مع ظهور مَهْديّ الشيعة ونُزول عيسى وطلوع

الشَّمس من مَغربها. وقد ذكرها أبو الفتح البُسْتيُّ في معنى آخَر، فقال وهو يذمُّ بعض الحكّام:

صَحّ بالحاكم ما أو عَدَه اللّهُ يقينا
وَقَع القولُ علينا إذ تولَّى الحُكمَ فينا

٨٣٦ ـ جنّة الأرض: يقال لبغدادَ: جنة الأرض ومجتمع الرافدين: دجلة والفرات وواسِطة الدنيا ومدينة السَّلام وقبَّة الإسلام، لأنها غُرة البلاد ودارُ الخلافة، ومَجمَع المحاسن والطيِّبات، ومَعدِن الظَّرائف واللطائف؛ وبها أرباب النهّايات في كلِّ فنّ، وآحاد الدهر في كلِّ نوع.

وكان أبو إسحاق الزَّجّاج يقول: بغداد حاضرة الدنيا، وما عداها بادية.

وكان أبو الفَرَج الببَّغاءُ يقول: هي مدينة السَّلام، بل مدينة الإسلام، فإن الدولة النبوية، والخلافة الإسلاميَّة، بها عشَّشَتَا وفرَّخَتَا، وضَرَبتا بعُروقِها وسمَتا بفروعِها، وإنَّ هواءها أعدَل من كلِّ هواءٍ، وماءَها أعذَب من كل ماء، ونسيمَها أرقّ من كل نسيم، وهي من الإقليم الاعتداليّ بمنزلة المركز من الدَّائرة، ولم تزل مَوْطنَ الأكاسرة في سالف الأزمان، ومنزلَ الخلفاءَ في دولة الإسلام.

وكان أبو الفضل بنُ العَميد إذا طرأ عليه أحد من منتحِلي العِلم وأراد امتحانَ عقلِه، سأله عن بغداد، فإن فَطِن عن خواصِّها، ونبَّه على محاسنها، وأثنى عليها خيراً، جعل ذلك مقدِّمةَ فضلِه، وعنوانَ عقلِه، ثم سأله عن الجاحظ، فإن وجد عندَه أثراً بمطالعة كتبِه، والاقتباس من ألفاظه، وبعضِ القياسِ بمسائِله، قضى بأنَّه غُرة شادخة في العِلم، وإن وجده ذامّاً لبغداد، غافلاً عما يجب أن يكون موسوماً به من الانتساب إلى المعارف التي يختصّ بها الجاحظ، لم ينتفع بعد ذلك عنده بشيء من المحاسن.

ولما رجع الصاحب من بغدادَ وسأله ابنُ العميد عنها قال: بغداد في البلاد، كالأستاذ في العِباد، فجعَلها مثلا في الغاية من الفضل والكمال.

وأنشدَني ابنُ زُرَيْق الكوفيّ الكاتب:

سافرتُ أبغِي لبَغْدادٍ وساكِنِها مثلاً قد اخترتُ شيئاً دونَه الياسُ
هيهاتَ بَغداد الدُّنيا بأجمعِها عندي وسكانُ بغدادِ همُ النَّاسُ

قال: وأنشدَني لغيره:

سَقَى اللّهُ بغدادَ من جنَّةٍ حَوَتْ كُلَّ ما تَشْتهِي الأنفسُ

علـى أنَّهـا جَنَّـةُ الـمـوسِـريـنَ ولـكـنَّـهـا حـسـرةُ الـمُـفـلِـسِ

ومن عجيبِ شأنها على أنَّها كونها الحضرة الكبرى لاستيطان الخلفاء إيّاها لا يموت بها خليفة، كما قال عُمارة بنُ عُقيل بن جرير بن بلال:

أعاينْتَ في طُولٍ من الأرضِ والعَرْضِ كـبَـغـدادَ داراً إنـهـا جـنَّـةُ الأرضِ
قـضـى ربُّـهـا ألّا يـمـوتَ خـلـيـفـةٌ بـهـا إنَّـه مـا شـاء فـي خَـلْـقـه يَـقـضِـي

ولما فرغ المنصور من بنائها في سنة ست وأربعين ومائتين للهجرة أمر نُوبخْت المنجِّم ـ وكان متقدِّماً في علم النجوم ـ بأن يأخذَ المطالع ويتعرَّفَ أحوالَها، ففعل، ووجد المشتري في القوس ـ والقوس طالعها ـ فأخبره بما تدل عليه النُّجوم من طول ثباتها، وكثرة عِمارتها، وانصباب الدُّنيا عليها، وفقرِ الملوك والسوقة إليها، فسرّ المنصور، وقرأ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]. ثم قال له نوبخْت: وخصلة أخرى يا أميرَ المؤمنين هي من أعجب خصائصها، قال: ما هيَ؟ قال: لا يموت بها خليفة أبداً؛ فجرى الأمر فيه على حُكمِه إلى زماننا هذا بإذن اللّه تعالى؛ وذلك أنّ المنصور مات بمكّة، والمهديّ بما سبَذان، والهادي بعيسا آباد، والرشيد بطُوس، وقتل الأمين، ومات المأمون بطَرَسوس والمعتصم بُسرَّ مَنْ رأى والواثق بها، وقُتل المتوكّل، ومات المنتصر بُسرَّ مَن رأى، وخُلع المستعين وكذلك المعتزّ، وقُتل المهتدي، ومات المعتمد بالحسنيّة، وكذلك المعتضد والمكتفِي، وقتِل المقتدر، وقتل القاهر، ومات الراضي بالحسنيّة، وقتِل المتَّقي والمستكفِي، ومات المطيع بدَيْر العاقول، وخُلِعَ الطائع.

٨٣٧ ـ **عَرْض الأرض**: من أمثالهم: أوسَع من عَرض الأرض، والعرب إذا ذكَرتْ عَرض الشيء أرادت به الطُّول والعرض، كما قال اللّه تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، فأراد الطول والعرض. وقال الشاعر:

كـأنَّ بـلادَ الـلَّـه وهـيَ عـريـضـةٌ على الخائف المذعورِ كفّةُ حابِلِ(١)

٨٣٨ ـ **أمانة الأرض**: يُتمثّل بها فيُقال: آمَنُ من الأرض، لأنها تؤدِّي ما تُستَودَع.

٨٣٩ ـ **كِتمان الأرْض**: يُضرَب به المثل، كما قال ابن المعتزّ في الفصول القِصار: لا تذكر المَيّت بسُوء فتكونَ الأرض أكتَم عليه منك.

---

(١) بعده في ب: «أي طويلة عريضة».

٨٤٠ ـ **أوتاد الأرض**: هي الجبال، من قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧].

وفي الخبر إنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لما خلق الأرض مادَتْ فأوتدَها بالجبال فسكنت. قال الفرزدق يمدح سليمانَ بنَ عبد الملك:

وما أصبحتْ في الأرضِ نفسٌ فقيرةٌ   ولا غيرُها إلّا سُليمانُ مالُها[1]
وَجدْنا بني مروانَ أوتادَ دِينِنا   كما الأرضِ أوتاداً عليها جبالُها

٨٤١ ـ **حِلْية الأرض**: ذكر أبو عبد اللَّه المرزُباني بإسناد له عن بعض الرواة أنه قال: أدركتُ طبقةً بالكوفة يقال لهم: حِلية الأرض، ونَقْش الزَّمان، وهم حمَّادُ عَجْرد، ووالبة بنُ الحُباب، ومطيعُ بنُ إياس، ويحيى بنُ زياد، وشُراعة بنُ الزَّنْدَبُود.

٨٤٢ ـ **نبات الأرض**: يُضرَب به المثل، الكثرة، كما قال ابن المعتزّ في فصوله القصار: مصائب الدُّنيا أكثر من نبات الأرض.

٨٤٣ ـ **أديمُ الأرض**: يَدخُل من باب الاستعارة، كما يقال: أديمُ السَّماء، وأديمُ الأرضِ لِمَا حَسُن؛ وذكر الأعشى في أديم الأرض قوله:

والأرضُ حمَّالةٌ لما حَمّل الـ   لـهُ وما إنْ تَرُدُّ ما فعلَا[2]
يوماً تراها اكتَستْ بأرْدِيَةِ الـ   عَصْبِ ويوماً أديمُها نَغِلَا

وفي استعارة الأديم لغير الأرض يقول بعضُ الكتّاب: كثرة العتاب تُنْغِل[3] أديمَ المودَّة.

٨٤٤ ـ **خَدّ الأرض**: لمّا استعير لها الوجه، استعار لها الخدّ ابنُ المعتزِّ حيث قال:

ومُزْنةٍ حارَ في أجفانِها المَطَرُ   فالروْضُ منتظمٌ والقَطْرُ منتشِرُ
ما زالَ يَلطِمُ وجهَ الأرضِ وابلُها   حتّى وقت خَدَّها الغُدرانُ والخُضَرُ

٨٤٥ ـ **سُرّة الأرض**: يُقال للإقليم الرابع وفارسيّة إيران شَهْر ـ وهو ما بين نهر بَلْخ إلى مُنتَهى أذربيجان وأَرْمِينية إلى القادسية إلى الفرات إلى بحر اليَمَن وبحر فارسَ إلى مُكْران إلى كابل وطبَرِسْتان: سرّة الأرض، إذ هي واسطة الأرض وفي

---

(١) ديوانه: ٦٢٣.
(٢) ديوانه: ٢٣٣ (المطبعة النموذجية).
(٣) نغل الأديم، أي فسد.

خط الاعتدال منها لاعتدال أهلها، واستواء أجسامهم، أما تراهم قد سَلِموا من شُقْرة الرُّوم والصَّقالبة وسوَاد الحبشة، واحتراقِ الزَّنْج وقطافة التُّرْك وقِصَر الصين.

قال الجاحظ: إقليم بابل موضعُ التَّمِيمة، وواسطة القِلادة، ومكان السُّرَّة من الجَسَد، واللَّبَة من المرأة، ومكان العِذار من خَدّ الفَرَس، والمُحّة من البيضة والغُرّة من القِرطاس.

٨٤٦ ـ **ظهر الأرض وبطنُها**: هما من الاستعارات المشهورة، قال ابن الرومي لأبي الصقر:

لاقيتُ أكرَمَ من خَبَّ المَطِيُّ به ... ومَن مَشى فوقَ ظهرِ الأرضِ مُذ سُطِحَا

وكتب الصاحب في وصف قَتْلَى معركة: بطون الأرض أعمَر بهم من ظهورها، وبطون السّباع والطير أحصَر من قبورها.

٨٤٧ ـ **جُدَرِيّ الأرض**: عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنَّ النبيّ ﷺ خرج على الصحابة رضوانُ اللَّه عليهم وهم يذكرون الكَمْأة، وبعضهم يقول: هي جُدَرِيّ الأرض، فقال: الكَمْأة من المَنّ، وماؤُها شِفاءُ العَيْن، والعَجْوة من الجَنة، وهي شِفاءٌ من السّمّ.

٨٤٨ ـ **بعل الأرض**: هو المطر، قال ابنُ عباس رضي اللَّه عنهما: المَطَر بعلُ الأرض، أي يُلِقحها، قال ابن المعتزّ:

ومُزْنةٍ مُشعَلةِ البارقِ ... تَبكِي على الأرضِ بكاءَ العاشِقِ
تُلقِحَ بالقَطْر بُطونَ الثَّرَى ... والقطرُ بَعْلُ التربةِ العاتِقِ

٨٤٩ ـ **سَنام الأرض**: يُستعار لما ارتفع منها، أنشَدَني أبو الفضل بديعُ الزمان الهمَذانيّ لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك:

ألامُ وأتَّقي وَلَعَ المَلامِ ... بحُلم شابَ في بُردِيْ غُلامِ
أجرُّ على لسانِ الأرضِ ذَيْلي ... وأعقِدُ بُرْدتيَّ على شَمامِ

٨٥٠ ـ **حيّة الأرض**: العرب تقول للرجل المَنيع الجانب: حيّة الأرض، كما تقول: حيّة الوادي، وقد تقدم ذكرُها، قال ذو الإصبع العُدوانيّ:

عذيرُ الحيّ مِن عَدْوا ... نَ كانوا حيّةَ الأرْضِ(١)

(١) الأغاني ٣/ ٨٩.

في الدُّورِ والأبنيةِ والأمكِنَة

دار الندوة، دار سُفيان، دار البطيخ، حصْن تَيْماء، كعبة نَجْران، قَصْر غُمْدان، قبّة أزْدَشير، إيوان كسرى، أهرامُ مِصر، مَنارة الإسكندرية، كنيسة الرُّها، مسجد دِمشق، غُوطة دمشق، وادي القصر، دَيْر هِزْقل، جانِبا هَرْشَى، قنطرة سنجة.

الاسْتِشْهادُ

٨٥١ ـ دار النَّدْوة: مشتقّة من النّدى والنادي وهو المجلس، يُضرَب بها المثل في انتياب الناس إياها واجتماعهم بها، وهي دار قُصَيّ بن كلاب بمكة، كانت توضع فيهاالرِّفادة، ولا تزوَّج قرشيّة ولا قرشيّ إلا بها، ولا يُعقَد لواءُ الحَرْبِ إلّا فيها. ثم تنقَّلت بها الأملاك بعدَه حتى صارت في يد أسَد بنِ عبد العُزّى بنِ قُصَيّ وولدِه؛ وآخِر من وَليها منهم حكيمُ بنُ حِزام، وكان وُلِد في الكعبة، وذلك أنّ أمّه دخلتِ الكعبةَ مع نِسوةٍ من قُريش وهي حاملٌ به؛ فضَربها المخَاض في الكعبة وأعجَلها عن الخروج، فأُتيتْ بنِطْع فُوضِع تحتَها، فوضعتْ حَكيماً على النِّطْع؛ ولم يكن يدخل دارَ الندوة أحد من قريش لِمَشُورة حتى يبلُغَ أربعين سنةً، إلّا حَكيمَ بنَ حزام فإنّه دخلَها وهو ابن خمسَ عشرةَ سنة. وجاء الإسلام ودار الندوة بيَد حكيم، فباعها بعدُ من معاوية بمائة ألف درهم، فقال له عبد اللّه بنُ الزبير: بعت مَكرمة قريش! فقال حكيم: ذهبَتِ المَكارمُ إلّا من التقوى يا بن أخي، إني اشتريتُ بها بيتاً في الجنّة، أُشهدك أنّي جَعلتُ ثمنَها في سبيل اللّه.

وكان حكيم أحدَ الأربعة الذين قال فيهم رسولُ اللّه ﷺ: إن بمكة أربعةً من قريش أرغَب بهم عن الشِّرك، وأرغب لهم في الإسلام، قيل: ومَن هم يا رسول اللّه؟ قال: عَتّاب بن أَسِيد، وجُبَير بن مُطعِم، وحَكيم بنُ حِزام، وسُهَيل بن عمرو، فرزقوا كلّهم الإسلام.

وكان حكيم يَفعل المعروف، ويَصل الرحِم، ويحضّ على البِرّ، عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين سنة.

٨٥٢ ـ دار أبي سُفْيان: يُضرَب بها المثل في الأمن والأمان. وذلك أنّ النبيّ ﷺ لما فتح مكة ودخل دار أبي سُفيان أحبّ أن يتألف أبا سُفيان ويُرِيَهُ كرمَ القُدرة فقال: «مَنْ دخل دار أبي سُفيانَ فهو آمن» فقال أبو سفيان: أداري يا رسول اللّه! أداري يا رسول اللّه! قال: نعم دارك يا أبا سُفيان، فاستمرّ الأمر على ذلك.

ولما فتح الأميرُ الجليل صاحبُ الجيش أبو المظفّر نصر بن ناصر الدين ـ أدام اللّه تأييده ـ سَرَخْس ودخلها قال: مَنْ دخل دار أبي سُفْيان فهو آمن ـ يعني دار أبي سُفيان السرخسيّ القاضي ـ فاستحسن الناسُ هذه المقالة.

٨٥٣ ـ دار البِطّيخ: يُباع فيها جميعُ الفواكِه والرياحين، وتُنسَب إلى البِطّيخ وحدَه، وقد ضَرَب بها ابنُ لَنْكَك مَثَلاً فأحسَن حيث قال يهجو أبا الهِنْدام كلاب بنُ حمزَة الشاعر المقيم بديار ربيعة:

أنتَ ابنُ كلِّ البَرايا لكِن اقتَصَروا ... على ابن حمزةَ وَصْفاً غيرَ تشميخِ
كدارِ بِطِّيخَ تَحوِي كلَّ فاكهةٍ ... وما اسمُها الدهرَ إلا دَارَ بِطِّيخِ

قال الجاحظ في كتاب الأمصارِ: أكثر الدُّور غَلّة ثلاث: دار البِطّيخ بُسرَّ مَن رأى، ودارُ الزُّبير بالبَصْرة، ودار القُطْن ببَغْداد.

وقال الصوليّ: كنت يوماً عند عبد اللّه بن طاهر، فجرى بين يديه ذِكْر قصيدة ابنِ الرومي النونيّة التي في أبي الصقر، فقال عبد اللّه: هي دار البِطِّيخ، فضحك الجماعة، فقال: إقرأوا نسيبها فانظروا أهيَ كما قلت أم لا! وقد ظرُفَ عُبيدُ اللّه فإنّ نسيبها قوله:

أَجْنَتْ لك الوجدَ أغصانٌ وكُثْبانُ ... فيهنّ نوعانِ: تُفّاحٌ ورُمّانُ
وفوق ذَيْنِك أعنابٌ مهدَّلةٌ ... سودٌ لهنّ من الظّلْماء ألوانُ
وتحت هاتيكَ عُنّابٌ تَلُوح به ... أطرافُهنّ قلوبُ القوم قِنْوانُ
غصونُ بانٍ عليها الدهرَ فاكهةٌ ... وما الفواكهُ مما يَحمِل البانُ
ونرجسٌ باتَ كسرُ الطّلّ يَضربُهُ ... وأُقْحُوانٌ منيرُ النَّوْرِ رَيّانُ
أَلِفنٌ من كل شيء طيّبٌ حسنٌ ... فهنّ فاكهةٌ شتّى وَرَيْحانُ
ثِمارُ صِدْقٍ إذا عاينْتَ ظاهرَها ... لكنّها حين تبلُو الطّعمَ خطّانُ
بل حُلوةٌ مُرّةٌ طَوْراً يُقالُ لها ... أَرْيٌ وطَوْراً يقولُ الناسُ ذِيفانُ

وذكر أبو نصر سَهْل بن المَرزُبان في كتابه «كتاب أخبار الوزراء»: أنّ ابنَ الرومي عمل قصيدته في أبي الصّقر التي أوّلها:

أجنَتْ لكَ الوجدَ أغصانٌ وكثبانُ

فبَلَغت الأخفشَ، فقال: إذاً يكون الوزير ملازماً لدار البِطّيخ؛ فحُكيتْ كلمتُه لابن الروميّ، فهجاه بقصيدة، ثم عاود رعونته، فمزّق عِرضَه بالهجاء في عدّة قصائد.

٨٥٤ ـ **حِصْن تَيماء**: بلدة بين الشام والحِجاز، لها حصنٌ يُتمثّل به في الحَصانَة؛ يُقال إنّ سليمان عليه السلام بناه بالحجارة والكِلْس؛ فسمّته العرب الأبلَق لما يَشُوبه من البياض والسّواد، وكان ملكه عادِيا اليهوديّ ثم ابنه السموأل، وفيه يقول الأعشى:

ولا عادِيا لم يَمنَعِ الموتَ مالُهُ ... وفردٌ بتَيْماءَ اليهودِيّ أبلَقُ[1]
بَناهُ سليمانُ بنُ داودَ حِقبةً ... لهُ أزَجٌ صُمٌّ وَطِيءٌ مُوَثَّقُ
يُوازِي كُبَيداءَ السماءِ ودونَه ... مِلاطٌ وداراتٌ وكِلْسٌ وخَنْدَقُ

قوله: «أزج صُمّ»، كما يقال: دارَ بَلاقِع، أي مكبوسة الجوانب بالحجارة وغيرها حتى استوت بالسطوح، وإنما قال: أزَج صمّ، كما يقال: دارَ بَلاقع، وبُرْمة أعشار، وثوب أسْمال.

ومن أمثال العرب في العز والمَنعَة: تمرّدَ ماردٌ وعزّ الأبْلَق[2] ـ يَعني حِصْن تَيْماء، ويُقال له الأبلَق والفَرْد، كما مرَّ ذكرُه في شعر الأعشى.

٨٥٥ ـ **كَعْبَة نَجْران**: نجران: أقدَم بلاد اليمن، وكانت لها كعبة تَحجّ، فخربت وضُرِب بها المَثَل في الخراب وزوالِ الدولة، قال الجاحظ: قال أبو عبيدة: أحبّت العربُ أن تُشارِكَ العجمَ بالبُنيان، وتنفردَ بالشعر، فبنَوا غِمْدان، وكَعْبة نَجْران، وحِصن مارِد، والأبلَق الفَرد؛ وغير ذلك من البنيان.

٨٥٦ ـ **قَصْر غِمدان**: أحد الأبنية الوثيقة للعرب، يُتمثّل به في الحَصانة والوَثاقة، وكان بصَنعاءَ اليَمن تسكنُهُ ملوكُ حِمْيَر، ثمَّ تنقّلتْ به أحوالٌ أدّت إلى خرابه، وتحوّل الملك عنه إلى قلعة كحْلان، ويُقال: إنّهُ بُنِيَ قبلَ غِمدان،

(١) ديوانه: ٢١٧ (المطبعة النموذجية).
(٢) الميداني ١/١٢٦؛ ونسبه إلى الزباء.

وأول بناء بُنِيَ بعد الطوفان، قال الشاعر لعبد اللَّه بن طاهر:

إشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفعاً ... بشاذ مهرِ ودَعْ غمدانَ لليَمَنِ

فأنت أَوْلى بتاجِ المُلْكِ تَلَبَسُهُ ... من هَوذةِ بنِ عليّ وابنِ ذي يَزَنِ

٨٥٧ ـ قبّة أزدشير: بجوار فارس قبّة عظيمة مشرفة على سائر البلاد يتمثّل بها في العُلوّ والإشراف والوثاقة، بناها أزدشير من الحجارة، وقدّر فيها من الصخر ما تجاوز الحدّ في العدّ، وفي الصَّخرة منها نحو ألفَيْ مَنٍّ[١] وأَرجَح.

ويحكَى أن أَزْدَشير بعث بعد الفراغ من بنائها مَنْ يأتيه بخبرها، فأخبره أنّ فيها صبياناً يتلاعبون ويتحاربون ويتضاربون، فتطيّر من ذلك، وقال: اجعَلوها دارَ الاستخراج[٢]، فبقيَتْ على ذلك إلى اليوم.

٨٥٨ ـ أهرام مِصر: زعم أبو مَعشَر المنجِّم البَلْخيّ أنّ الأوائل من الأمم السالفة قبل الطوفان لما علموا أنّ آفةً سَماوية تصيب الناسَ مِن الغرق والنِّيرانِ فتأتي على كل شيء من الحيوان والنبات بنَوْا في ناحية صعيد مصرَ أهراماً كثيرة بالحجارة على رؤوس الجبال والمواضعِ المرتفعة، يتحرَّزون بها من الماء والنار، وجعلوا هَرَمين منها أرفعَها، كل هرم منها ارتفاعه أربعمائة ذِراع في الهواء، مبنيّ بحجارة المَرمَر والرخام، غِلَظُ كلِّ حَجَر وطولُه وعَرضُه ما بين عَشرة أذرع إلى ثمانٍ، منهدَم لا يتبيّن هِنْدامه إلا الحاد البصر، عليه منقور في الحجر بالكتابة المُسنَد، يقرؤه كلّ من يقرأ القَلَم المُسنَد فيقرأ كل سِحْر وكل عَجَب.

وقرِىء على بعض الهَرَمَيْن: إنّي بنيتُهما فمن كَان يَدّعي قوّة في مُلكه فليَهدِمْهما، فإنّ الهَدْم أيسرُ من البِناء. فأراد المأمون هدمهما؛ فإذا خَراجُ الدنيا لا يقوم به، فترَكَهما، ويُرْوَى أنّ الطعام كان يُجمَع فيهما أيام يوسفَ عليه السلام.

وقد خرج المَثَل في هرَميْ مصرَ في الثبات والقِدَم والحَصانة. وذكَرَهما أعرابيٌّ مع جبليْ طيء، فقال وهو يهجو امرأتَه بالقُبْح والبُرودة والثِّقَل:

أُلامُ على بُغضِي لما بينَ حَيَّةٍ ... وضَبعٍ وتمساحٍ أتاكَ من البحرِ

تُحاكي نعيماً زالَ من قُبح وجهِها ... وصفحَتُها لمّا بَدت سطوةُ الدهرِ

هي الضّربَانُ في المفاصل دائباً ... وشُعبةُ بِرسامٍ ضممْتُ إلى صدري[٣]

---

(١) المن؛ من الموازين: رطلان أو أرجح.

(٢) الاستخراج؛ أي الخراج.

(٣) البرسام: علة معروفة.

إذا سَفَرتْ كانت لعَينِك محنةً وإنْ برقتْ فالفقرُ في غاية الفَقْرِ
حديثٌ كقلْعِ الضِّرس أو نَتْفِ شاربٍ وغُنْجٌ كَهشْمِ الأنْفِ عيلَ به صَبْري
وتفترُ عن ثَلْجٍ عدِمْتُ حديثَها وعن جبَليْ طيٍّ وعن هَرَمَيْ مِصرِ

٨٥٩ ـ **مَنارة الإسكندرية**: إحدى عجائب الدنيا، وأصلها مبني على زجاج، والزجاجُ منصوب في ظهرِ سرطانٍ من نُحاسٍ في بطن أرض البحر، وبين المنارة إلى يابسِ الأرض قناطرُ من زُجاج، وفي المنارة ثلاثمائة وخمسة وستون بيتاً، وكان في أعلاها مرآة كبيرة ينظر الناظر فيها فيُبصِر مراكبَ الروم إذا أراد مِلكُهم أن يجهز جيشاً فيها إلى مصرَ(١)، فإذا دُفعتْ تلك المراكب في البحر ورُفِع الشِّراع أبصَرَها هذا الناظر في المرآة فيُنذِر المسلمين حتى يستعدّوا ويأخذوا حِذْرَهم، فاشتَد ذلك على مَلِك الروم، فلما صار بعضُ الخُلفاء إلى الإسكندرية وجّه إليه ملك الروم جاسوساً يُعلمه أن في تلك المنارة كنوزاً لذي القرْنَيْن، فأمر بهَدْمها، فلما هُدِمت وقُلعت المرآةُ بَطَل الطِّلسْم ولم يَجدوا الكُنوز، فتقرّر عندهم أنها حيلة لقَلْع المرآة؛ وطُلب الجاسوسُ فلم يُوجَد، فأمر الخليفة ببناء ما هُدم بالجِصّ والآجُرّ وهو ثُلث المنارة. وكان طُول هذه المنارة ثلاثمائة ذراع بذراع الملكيّ، فيكون أربعمائة وخمسين ذراعاً، وهي غاية ما يُرفع في الهواء من البناء.

وكان عبد اللّه بنُ عَمرو بن العاص يقول: عجائبُ الدنيا أربع: منارة الإسكندرية، عليها مِرآة إذا جلس الجالس تحتَها رأى مَن بالقُسْطَنطينية وبينهما عرض البحر، وفرس من نحاس بأرض الأندلس عليه رجل من نُحاس قائلاً بيَدَيه كذا، باسطاً يدَيه ـ أي ليس خَلْفي مَسلَك ـ فلا يطأ ما خلفَه أحد إلا ابتلعه الرمل، ومنارة من نُحاس عليها فارس بأرض عاد، فإذا كانت الأشهر الحُرُم هطل منها الماء فشَرب منه الناس وسقَوا دوابَّهم وصَبُّوا في الحياض، فإذا انقضَت الأشهُر انقطع ذلك الماء، وشجرة من نُحاس عليها زُرزُورة من نُحاس بأرض أرمينية روميَّة، إذا كان أوان الزيتون صَفَرَت الزُّرزُورة النحاس فتجيء كل زُرزورة من الطيارات بثلاثِ زيتونات: ثنتان في رِجْلَيْها وواحدة في مِنقارها، فتُلقِيها عند تلك الزُّرزُورة فيجتمع من الزيتون ما يعصِر أهلُ الروم فيَكفيهم لإدامهم وسُرُجِهم إلى قابل.

ومن الشائع المستفيض أنّ عجائب الدنيا أربع: منارة الإسكندرية، وكَنيسة

---

(١) في ب: «المسلمين».

الرّها، ومسجد دمشق، وقنطرة سَنْجة، وقد ضَرَب الصاحب المَثَل بمنارة الإسكندرية حيث قال:

زادتْ قُرونُكَ يا عُمَيْـ ـرُ على مَساوِيكَ الجَلِيّهْ
وأقلُّ قَرْنِ حُزْتَهُ كَمنارةِ الإسكندريَّهْ

٨٦٠ ـ **كَنيسة الرُها**: إحدى عجائب الدنيا الأربع، والرُها بلد من عمل حَرّان، والكنيسة منسوبةٌ إليه، وهي في جُرُبّان من الأرض متَّخذة على رؤوس أعمِدةٍ أربعة من الرخام، بطيقان معقودةٍ بينها، وفيها من العجائب والتصاوير والتزاويق والطِّلَّسْمات والقناديل التي تتقد من غير اتقاد ما يطول ذِكرُه، وقد تقدّم كلام الجاحظ في تلك القناديل.

٨٦١ ـ **مسجد دِمشق**: هو أثر بني أميّة المضروبُ به المَثَل في الحُسن، وكان كل من خلفائهم يزيد فيه زيادةً، ويؤثر أثراً حتى تَناهَى حُسنُه وتكاملتْ جلالتُه، فصار من عجائبِ أبنيةِ الدنيا الأربع، وما رأى الراؤون، ولا سَمِع[1] السامعون بأحسنَ ولا أجلَّ منه، وهو[2] منقوشُ الحيطان والسُّقوف والأعمدة، مرصَّعة كلُّها بالجواهر، ملتهِبة بالذهب، مشرقة بألوان الفُصوص.

وقال الجاحظ وهو يمدح بعضَ الرؤساء: وأما قول الشاعر:

يزيدُكَ وجهُهَا حُسْناً إذا ما زِدْتَه نَظَرَا[3]

وقول الدِّمشقِيِّين: ما تأملنا قط تأليفَ مسجِدنا وتركيبَ محرابنا وفيه مُصلَّانا إلا أثار لنا التأمّل، وأخرج لنا التفرّس غرائبَ حُسْن لم نَعرفها، وعجائبَ صنعةٍ لم نقف عليها، وما ندري أجوهر مقطَّعاته أكرَم [في الجواهر][4]، أم تنضيد أجزائه في الأجزاء؛ فإنّ ذلك معنَى مَسْروق منّي في وصفك، ومأخوذ من كُتُبي في مَدْحك.

وحَكَى السَّلَامي قال: سمعت اللحام يقولُ: سمعتُ بعضَ مشايخ جيران مسجد دمشقَ يقول: لم تَفُتْنِي فيه صَلاة منذ عَقَلْت، ولم أَدْخُله في وقت من الأوقات إلا وقعت عيني من نُقوشه وتحاسِينِه وتزاوِيقِه على شيء لم تَقَعْ عليه فيما تقدم. وهذه جملة كافية.

---

(١) ب: «يسمع».
(٢) ب: «منقس».
(٣) لأبي نواس، ديوانه: ١٦٤.
(٤) من ب.

٨٦٢ ـ **قنطرة سَنْجة**: سَنْجة: نهرٌ عظيم لا يتهيّأ خَوْضه، لأنّ قرارَه رمل سيّال كلما وَطِئه إنسانٌ برجله سال به فَغرّقه، وهو يَجرِي بين حِصْن منصور وكَيسوم ـ وهما من ديار مُضَر ـ وعلى النهّر القنطرة العجيبة التي هي إحدى العجائب الأربع، وهو طاقٌ واحدٌ من الشط إلى الشط، والطاق يشتمل على مائتي خُطْوة، وهو متّخذَ من حَجَر منهدَم، طول الحَجَر عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أَذرُع، وله فَرْجان، وهما طاقان صغيران في جَنْب الطاق الكبير، إلا أنهما كبيران إذا أضيفَا إلى غيره.

٨٦٣ ـ **غُوطَة دِمشق**: إحدى نُزَه الدنيا وهي الأربع: غُوطَة دِمشق، ونَهْر الأُبُلّة وشِعْبُ بَوّان، وصُغْدُ سَمَرْقَنْد، يُضرَب بكلٍ منها المثَل في الطِّيب.

وكان الخُوارزميّ يقول: قد رأيتُها كلها، فكانت غُوطة دمشق أطيَبها وأحسنها، ولم أميّز بين رِياضها المُزَخرَفة بالأنوار والأزاهر، وبين غُدْرَانها المعمورة بطيور الماء التي هي أحسن من الدّوارج[١] والطواويس، ولِمَ أشبهها بالجنَّة وصورتها منقوشة على وجه الأرض! وأما نَهر الأبلّة فهو بالبصرة، وحَوالَيْه من مَيادين النخل والأتْرُجّ والنارَنج وسائر الأشجار، وفيها من أصناف الزرع[٢] وأنواع الخَضْراوات ما لا يُنظَر أحسَن منه وعليه من القصور المتناظرة، والأبنية الرائقة ما تَحار فيه العيون، وتهشّ له النفوس، وفيه يقول ابنُ عُيينة:

ويـا حـبّـذا نـهـرُ الأُبـلّـةِ مَـنْـظَـراً إذا مُـدَّ فـي أثـنـائـه الـمـاءُ أو جَـزَرْ

وأما شِعْبُ بَوَّانِ من فارِس فهو الذي يقول فيه القائل:

إذا أشرَفَ المكروبُ من رأسِ تَلْعةٍ على شِعْب بَوّانٍ أفاقَ من الكَرْبِ[٣]
وألـهـاهُ بَـطـنٌ كـالـحَـريـرةِ مَـسُّـهُ ومطّردٌ يَجْري من البارِق العَذْبِ
فـبـاللّـه يـا رِيحَ الجَنوبِ تَحمَّلِي إلـى شِـعْـب بَـوّانٍ سَلامَ فَتَـى صَبِّ

وفيه يقول المتنبي:

مغاني الشِّعبِ طيباً في المغاني بـمـنـزلـةِ الـربـيـعِ مـن الـزمـانِ[٤]

(١) ب: «التدارج».
(٢) ب: «الزروع».
(٣) معجم البلدان ٢/ ٢٩٨ من غير نسبة.
(٤) ديوانه: ٤/ ٢٥١.

ولما نزله عَضُد الدولة متوجِهاً إلى العراق ومعه أبو الحَسَن السَّلَامي قال له: قل في الشِّعب فقد سمعت ما قاله المتنبي فيه، فعاد إلى خَيْمَته وكتب:

إشربْ على الشِّعْب وانزِلْ روْضَه الأنُفا ... قد زادَ في حُسنِه فازدَدْ بِه شغَفا
إذ ألبَسَ الهِيفَ من أغصانِه حُلَلاً ... ولقّنَ العُجْمَ من أطيارِه نُتَفا
وانظرْ إليه تَرَ الأغصانَ مُثمِرةً ... من قارعٍ قُرُطاً أو لابِسٍ شنفا
والماءُ يَثني على أعطافِها أُزُراً ... والرِّيحُ تَعقِدُ في أطرافه شَرفا

وهي قصيدة طويلة.

وأما صُغْد سَمَرْقَنْد، فإنّ قُتيبةَ بنَ مسلم لما أشرف من الجبل قال لأصحابه: شبّهوه، فلم يأتوا بشيء، فقال قُتيبةُ: كأنه السماء في الخضرة، وكأنّ قصورَه النجوم الزاهرة، وكأنّ أنهارَه المَجَرّة؛ فاستحسَنوا هذا التشبيه وتعجّبوا من إصابته.

٨٦٤ ــ **وادي القَصْر**: بالبصرة وهو الذّي يقول فيه الخليل:

زُرْ وادِيَ القَصْرِ نِعمَ القصرُ والوادي ... في منزِلٍ حاضرٍ إن شئتَ أوغادِي
ترَى به السُّفْنَ والظّلمانَ حاضرةً ... والضَّبَّ والنّونَ والمَلّاحَ والحادِي

قال الجاحظ: مَن أتى هذا الواديَ ورأَى القَصْر هذا رأى أرضاً كالكافور، ورأى ضباباً تحترش وغزالاً وسمكاً وصيّاداً، وسمع غناء ملّاح في سفينتِه، وحداء جمّالٍ خلفَ بعيره، وفي هذا المكان يقول الخليل أيضاً:

يا جنّةً فاقتِ الجِنانَ فما ... يَبلُغُها قيمةٌ ولا ثمنُ
أَلِفْتُها فاتّخذتُها وَطَناً ... إنّ فؤادي لِحُبِّها وَطَنُ
زاوجَ حيتانُها الضِّبابَ بها ... فهذه كَنّةٌ وذا خَتَنُ
أنظُر وفكِّرْ فيما نَطَقْتَ به ... إنَّ الأديبَ المفكِّرُ الفَطِنُ
مِن سُفُنٍ كالنعامِ مُقبلةٍ ... ومن نعامٍ كأنها سُفُنُ

٨٦٥ ــ **دَيْر هِزْقِل**: يضرب به المثل لمجتمع المجانين، ويقال للمجنون: كأنه من دَيْر هِزْقِل(١)، وذلك أنه مأوى المجانين [بإحدى الديارات](٢) يشدُّون هناك ويداوون.

---

(١) ضبطه ياقوت، بكسر أوله وزاي معجمة ساكنة وقاف مكسورة. وقال: دير مشهور بين البصرة وعكر مكرم.

(٢) من ب.

قال دِعْبل في أبي عبّاد[١] ـ وكان رمَى بعضَ كُتّابه بدواةٍ فشجّه بها:

أَوْلَـى الأمـورِ بـضَـيْـعـةٍ وفَـسـادِ أمـرٌ يـدبِّـرُهُ أبـو عَـبّـادِ[٢]
سَـمْـحٌ عـلـى أصـحـابـه بِـدواتِـهِ فـمُـزَمّـلٌ ومـضـمَّـخٌ بِـمـدادِ
وكـأنـه مـن دَيْـرِ هِـزْقِـلَ مُـفْـلِـتٌ حَـرِدٌ يَـجـرُّ سـلاسـلَ الأقـيـادِ

وقيل للمأمون: إنَّ دِعبلاً هجاكَ، فقال: مَن هجا أبا عُبادة على نَزقِهِ وعَجَلتِه جَسَر أن يهجوَني مع أناتي وعَفْوي! وكان أبو عبّاد إذا دخل على المأمون يقول له المأمون: ما أراد منك دِعبل حيث قال لك:

وكـأنّـه مـن دَيْـرِ هِـزْقـلَ مُـفْـلِـتٌ

فيقول: أراد مني الذي أراده من أمير المؤمنين حيث قال فيه:

إنـي مـن الـقـوم الـذيـن سُـيـوفُـهُـمْ قـتـلـتْ أخـاكَ وشـرَّفَـتْـك بـمَـقـعـدِ[٣]
شـادوا بـذِكـرِكَ بـعـد طُـولِ خُـمـولِـهِ واسـتـنـقَـذوك مـن الـحَـضـيـضِ الأَوْهَـدِ

فقال له المأمون: إني عفوتُ عنه، فلا تَعرّضْ له، ولك فيّ أسوة حسنة.

وكان المأمون إذا أنشِد هذا الشعرَ يقول فيه: سبحان اللّه! أما يَستَحي دِعْبل من الكَذِب! متى كنتُ خاملاً، وبدَرّ الخِلافة غُذِيتُ، وفي حِجْرها رُبيت! خليفة وابن خليفة وآخر خليفة.

٨٦٦ ـ **جانِبا هَرْشَى**: هَرْشَى أكمَهْ بتِهامة يسلُكها الحاجّ، ولها طريقان من جانبَيها؛ أيّهما سلك كان صواباً، فيضرب بهما المثل للأمر له بابان، وينشد:

خُـذُوا جَـنْـبَ هـرْشَـى أوقَـفَـاهـا فـإنـمـا كِـلا جـانِـبَـيْ هَـرْشَـى لـهـنّ طـريـقُ[٤]

---

(١) هو أبو عبّاد ثابت بن يحيى، كاتب المأمون. وتفصيل الخبر ياقوت ٤/ ١٨١.
(٢) ديوانه: ٧٩.
(٣) ديوانه: ٧٠.
(٤) الأغاني ١٣/ ٢٧١، ياقوت ٨/ ٤٢٣.

فيما يضَافُ ويُنسَبُ
إلى البلدان والأماكن مِن فنُون شَتَّى

خَراج مصر، كَتَّان مصر، حَمير مصر، قراطيس مصر، تُفّاح الشام، زُجاج الشام، زيت الشام، عُودُ الهند، سيوف الهند، ياقوت سَرَنْدِيب، بُرود اليَمن، سيوفُ اليمن، ثياب الروم، عنبر الشِّحْر، دجاج كَسْكر، سكّر الأهواز، ورد جُور، عسل أصفهان، بُسُط أرمينية، بُرودُ الرّيّ، طين نيسابور، سَبَج طوس، قشمش هَراة، ثيابُ مَرْو، فُلُوس بُخارى، كَوَاغِد سمَرْقَنْد، طرائف الصين، مِسْك تُبّت.

الاسْتِشْهادُ

٨٦٧ ـ **خَراج مصر**: يُضرَب به المثل في الكثرة، قال أبو الخطّاب: إنّ أرض مصرَ جُبِيَتْ في بعض الأزمان أربعة آلاف ألف دينار. وزعَمَ غيرُه أنها جُبيتْ ألفيْ ألف دينار، سوى ما دفعت عليه من الخيل والدواب ودِقّ الطُّرُز.

٨٦٨ ـ **كتّان مصر**: قال الجاحظ: قد علم الناسُ أنَّ القطن بخُراسانَ والكتّان بمصر، ثم للناس من ذلك في تفاريق البُلْدان ما لا يبلغ بعض بلاد هٰذين الموضعين. وربما بلغَتْ قيمةُ الحِمل من دقّ مصرَ الذي هو من الكتّان لا غير مائة ألف ألف دينار.

٨٦٩ ـ **قراطيس مصر**: قال بعض الشعراء:

حملتُ إليكَ عَروسَ الثّناءِ ... على هَوْدَجٍ ما لَه من بَعِيرِ
على هودَجٍ من قراطيسِ مِصْرٍ ... يلينُ على الطّيّ لينَ الحَريرِ

٨٧٠ ـ **حَمير مصر**: موصوفة بحُسن المنظَر وكرم المَخبَر، وكذلك أفراسُها، إلا أنّ بعضَ البلاد يشارك مصرَ في عِتْق الأفراس وكَرَمِها. وتختصّ مصرُ بالحمير التي لا تُخرِج البُلْدان أمثالَها. وقد تقدّم في نفائس الدوابّ حمير مصر، وبِغال بَرْذعة، وبَراذِين طَبَرِسْتان.

وكان الخلفاء لا يَركبون إلّا حميرَ مصر في دُورهم وبَساتينهم، وكان المتوكّل

يَصعَد منارةَ سُرَّ مَنْ رأَى على حمارٍ مَرِيسيّ، ودَرَج تلك المنارة من خارج وأساسها على جَريب من الأرض، وطُولها تسع وتسعون ذراعاً.

ومَريس: قريةٌ بمصرَ إليها يُنسَب بِشْر المَرِيسيّ.

٨٧١ ـ **تُفّاح الشام**: يُضرَب به المثَل في الحُسْنِ والطِّيب، قال الشاعر:

تفاحةٌ شاميّةٌ ... من كفّ ظبْيٍ غَزِلِ
ما خُلِقَتْ مُذْ خُلِقَتْ ... لِغيرِ تِلك القُبَلِ
كأنّما حُمْرَتُها ... حمرةُ خدّ خَجِلِ

وقال الصَّنَوْبَريّ:

أرَى الشامَ جادَ بتُفّاحِهِ ... لنا والعِراقَ بأترُجِّهِ

وكان المأمون يقول: اجتمعتْ في التفاح الحُمرةُ الخمريةُ، والصّفرة الوردية مع شعاع الذهب، وبياض الفِضّة، يلتذّه من الحواسّ ثلاث: العين للونه، والأنف لعَرْفه، والفم لطَعْمه. وكان يُحمَل إلى الخلفاء من خَراجِ حِمْصَ ودِمَشق كلّ سنة أربعمائة وعشرون ألف دينار، ومن خراج أجناد الشام ثلاثون ألف تفاحة.

٨٧٢ ـ **زُجاج الشام**: يُضرب به المثل في الرقّة والصَّفاء، قال بعض الحكماء: ارفق بالعدو كما يُرفَق بزُجاج الشام، إلى أن تجد الفرصة، فإما أن يضرّ به الحجر فيَقُضّه وإما أن تضربه بالحَجَر فترُضّه.

٨٧٣ ـ **زيت الشام**: يُضرَب به المثلَ في الجودة والنظافة، وإنّما قيل له الزيت الركابيّ لأنه كان يُحمَل على الإبل من الشام، وهي أكثر بلاد اللّه زَيْتوناً، وفيه ما فيه من البركة والمنفعة، قال الأصمعي: حدثني شَيْخان من أهل البصرة؛ أحدهما هارُون الأعور، أنّ قتيبة بنَ مُسْلِم قال: أرسلني أبي إلى هَزار بنِ القَعْقاع بن سعيد بن زُرارة، وقال: قل له: أرسَلني إليك أبي في أنه قد صارت في قومك دِماء وجِراح، وأحبّوا أن تحضر الجامع فيمن يحضر. قال: فأبلغته الرسالة. فقال: يا جارية غَنِّينا، فجاءت بأرغفة خُشْنٍ فَثَرَدهُنَّ في تمر مَمْروس وماء، ثمّ صبّ عليها زيتاً، وعرض عليّ الغداء معه، فتذكرت ما في منزلي مما أعدّ لنا من الدجاج[١]، فقلت: ما لي حاجة بهذا، وصَغُر في عيني، وأنا يومئذ حَدَث، قال: فأكل ثم قال: يا جارية اسقيني، فجاءت بماء فشرب ومسح بفَضْله وجهَه، ثم

(١) ب: «الجداء».

قال: الحمد للّه، حِنطة الأهواز، وماءُ الفُرات وزيتُ هَجَر، وتَمْر الشام، ومتَى[١] نؤدِّي شكر هذه النعمة! ثمّ قال: عليَّ بردائي فارتدَى وانتَعَل، ثم أتى المسجدَ فصلى ركعتين، ثم احتبَى، فما بقيتْ حلْقةٌ إلا تقوّضتْ إليه، واختصموا، فتحمّل جميعَ ما كان عليهم وانصرف، وتفرّق الناس.

٨٧٤ ـ عود الهِند: يُضرَب مثلاً في أمّهات الطِّيب، قال ابن مطران يستهدي الندّ:

يا أكرمَ الأكرمينَ، سِيرَهْ ... نَعَمْ وأزكاهُمُ سَرِيرهْ[٢]
ومَنْ بِهِمّاتِه العَوالي ... أضحَتْ عُيونُ العُلا قريرَهْ
لِترزِمَني راحتاك شُهْباً ... مضلَّعاتٍ ومستديرهْ
بلادُ مجموعها ثلاثٌ ... ألهِندُ والتُّركُ والجَزيرهْ

يعني عودَ الهند، ومِسك التُّبّت، وعنبر الشِّحْر.

ووصفَ واصفٌ الهندَ فقال: بَحْرها دُرّ، وجبَلُها ياقوت، وشجرُها عُود، وورَقها عِطْر.

وفي كتاب العِطْر: خير العُود الهنديّ المَنْدَليُّ، وكلّما كان أصلَب فهو أجوَد، وامتحان جودته إذا كانت فيه رطوبة بأن يوضع عليه نقشُ الخاتَم فينطبع، وإذا كان يابساً فالنار تُفصِح عنه. ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب أسبوعاً وأكثر، والثوب لا يقمل ما دامت فيه رائحة منه. ولبلاد الهند من الخصائص ما لم يكن لغيرها، فمنها الفيل، والكَرْكَدَّن، والبَبْر، والبَبَّغاء والطاووس، والدجاج الهنديّ، والياقوت الأحمر، والصّندل الأبيض، والعاج، والسّاج، والتوتيا، والقَرَنْفُل، والسُّنبُل، والفُلفُل، وغيرُها من العقاقير.

٨٧٥ ـ سيوف الهند: يُضرب بها المثل في الجودة والصفاء، يقال: إن السيف إذا كان من صُنع[٣] الهند ومن طَبْع اليَمَن فناهِيكَ به! وقد أكثرَ الشعراء من ذِكر سيوف الهند، قال الفرزدق:

كذاكَ سُيوفُ الهِند تَنبُو ظُباتُها ... ويقطعْنَ أحياناً مَناطَ القَلائِدِ[٤]

---

(١) ط: «ومن».
(٢) يتيمة الدهر ٤/ ١١٠، لطائف المعارف ٢٧٤.
(٣) ب: «قلع».
(٤) ديوانه: ١٨٦.

وقال الصاحب من أرجوزة:

أجفانُ هندٍ كسيوفِ الهندِ

وقال أبو محمد الخازن من نُتَفِه ولطائف طُرَفه:

هندٌ ترى بسيوفِ مُقلتِها ما لا ترى بسيوفها الهِنْدُ

٨٧٦ ـ **ياقوتُ سَرَنْديب**: زعم الجوهريون أنّ الياقوت لا يكون إلّا من جبل سَرَنْدِيبَ بالهند، وخيره الأحمرُ البَهْرُمانيّ، ثمَّ الوَرْديّ، ثم الرمّانيّ، وإذا بلغ البَهرمانيّ نصف مثقال كانت قيمتُه خمسة آلاف دينار، وكان وزنُ الفَصّ الذي يسمَّى الجبل مثقالين، قوِّم بمائة ألفِ دينار؛ فاشتراه المنصور بأربعين ألفاً.

وسأل المقتدرُ ابنَ الجصّاص فقال: بِمَ تَعرف فضلَ الياقوت؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، بحُسنه وصَفائه في العين، ورَزانته في اليد، وبُرودته في الفم، وصَبْرِه على النار، ونبوّ المبردِ عنه؛ فاستحسَن ذلك من قوله.

٨٧٧ ـ **بُرود اليَمَن**: يُقال له: وَشْيُ اليَمَن، وعَصْب اليَمَن. ويُضرَب بها المثَل في الحُسن، وتُشبَّه بها الرِّياض والألفاظ، كما قال البحتريّ:

جئناك نَحمِل ألفاظاً مدبّجةً كأنّما وشْيُها مِن يَمْنَةَ اليَمَنُ[1]

ويقال في نفائس الملابس: برود اليمن، ورَيْط الشام، وأردية مِصر وأكسِيةُ الدامِغان، وتِكَك أرمِينيَة، وجَوارِب قَزْوين.

٨٧٨ ـ **سُيوف اليَمَن**: يُضرَب بها المثَل، كما يُضرَب بسيوف الهند، ونَصْل الرُّدَيْن، ورِماح الخَطّ، ونِبال التُّرك؛ قال الشاعر:

مَقاديمُ جَوَّالون في الرَّوْع خَطوُهمْ بكلّ رقيقِ الشَّفْرتيْن يمانِ

وقال آخر:

ذَكَرٌ على ذَكَرٍ يَصولُ بصارم ذَكَرٍ يمانٍ في يَمينٍ يَمانِ

ولو لم يكن في سُيوف اليمن إلّا صمصامة عمرو السائر ذكرُها الموصوف فضلُها؛ لكفَى بها وَجْهاً لضَربِ المثَل، وسيمر ذكرُها في باب السلاح. ومن خصائص اليَمَن الزرافة، كما أنّ من خصائص الهند الكَرْكَدن. وكان الأصمعيّ يقول: أربعة قد ملأتِ الدنيا ولا تكون إلّا باليَمَن: الوَرْس، والكُنْدُر والخَطّيّ، والعِقيق.

---

(١) ديوانه: ٢/ ٢٨٥.

٨٧٩ ـ **ثياب الروم**: هي الدِّيباج، يُضرَب بحُسنها المثَلُ، ويشبّه بها ما يُستحسَن من آثار الربيع، قال الشاعر:

هـذا الـربـيـعُ كـأنّـمـا أنـوارُه أبـنـاءُ فـارسَ فـي ثِـيـاب الـرُّومِ

وأظنه قال: «في بَنات الروم»، ليَجمعَ بين البنينَ والبناتِ، فيكونَ أحسنَ في صنعة الشِّعر، وإن كان لثياب[١] الروم وجهٌ من التشبيه حَسَن.

ومن خصائص الروم المذكورة مع ديباجها: المُصطكي، والسَّقَمُونيا، والطِّين المَخْتوم، والسُّنْدُس الذي يُقال له البُزْيُون.

٨٨٠ ـ **عَنْبَر الشِّحر**: يُضرَب به المثَل، قال الشاعر:

ولو كنتَ عِطراً كنتَ من عنبر الشِّحْرِ

قال صاحب كتاب المسالك والممالك: الشِّحْر جَزيرةٌ من عُمانَ على مائتي فرسخ، ويقال: إنّ العنبر من زَبَد بحرِ سَرَنْدِيبَ، ويقال: بل من[٢] مَعدن بها. ومن الناس مَن يزعم أنّه رَوْث دابةٍ في بحر الهند.

قالوا: وخَيْرُه الأشهَب، ثم الأزرق، وأدونُه الأسود. وكان يحمَل من مكة والمدينة والحجاز كل عام إلى السلطان من العنبر ثمانون رِطلاً، ومن المتاع أربعة آلافِ ثوب، ومن الزبيب ثلاثمائة راحلة.

٨٨١ ـ **دَجاج كَسْكَر**: كَسْكَر إحدى كُوَر السواد من ريف[٣] دِجْلةَ والفُرات، ودَجاجُها موصوفٌ بالجودة والسِّمَن، مذكور في أطايب الأطعمة، وربَّما بلغتْ الواحدة منها وَزنَ الجَدْي والحَمَل، قال الشاعر يصف أطعمةً عندَه لمن يدعوه:

لـنـا سَـمـكٌ بـكُـسْـبَـرةٍ مُـشَـبَّـرْ وعـنـدَ غُـلامِـنـا حَـبٌّ مُـبـزَّرْ
وفَـرُّوجـانِ قـد رَعَـيـا زمـانـاً لُـبـابَ الـبُـرِّ فـي أبْـيـاتِ كَـسْـكَـرْ

قال الجاحظ: ومما يُنسَب إلى كَسْكَر الجِداء والسَّمك والصَّحْناة[٤].

٨٨٢ ـ **سُكّر الأهواز**: السُّكَّر من خَواصّ الأهواز ومفاخرها ومتاجرها، ولا

(١) ب: «لبنات».
(٢) ب: «عن».
(٣) ب: «طساسيج».
(٤) الصحناة: إدام يُتخذ من السمك. وانظر الحيوان ٣/ ٢٩٥.

يكون إلّا بها على كثرة قصبِ السكر في سائر النواحي، والمَثل مضروبٌ بسكّر الأهواز، كما قال أبو الطيب المتنبي:

تَقْضِمُ الجمرَ والحديدَ الأعادي دونَه قَضْمَ سُكّرِ الأهوازِ[١]

وكان يُحمَل إلى السلطان كل عام مع خَراج الأهواز، وهو خمسةٌ وعُشرون ألف درهم من السكر ثلاثون ألف رِطل. ومما يُنسَب إلى الأهواز من النفائس ديباج تُسْتَر وَخَزّ السُّوس، قال كُشاجم وهو يصف الروض:

كأنَّ الذي دَبَّجتْ تُستَرٌ وطَرَّزتِ السُّوسَ فيه نُشِرْ[٢]

وحكى أبو النصر العتبيّ في فصوله القِصار: لهم في وَخْز النفوس، أثر السّوس، في خَزّ السُّوس. وقال بعض العصريِّين:[٣]

ومهفهَفٍ فَتَنَ الإلٰهُ عبادَه إذ ساقَ حُسنَ العالَمين إليهِ
وكأنّ بابلَ أصبحتْ في جَفْنِه وكأنّما الأهوازُ في شَفَتيْهِ

٨٨٣ ـ وَرْد جُور: جُور من كُور فارس، مخصوصةٌ بالورد الذي لا أطيبَ منه في سائر البلاد، يُضرَب به المثل، وتقدم مع بنفسج الكوفة، ومَنْثور بَغداد، وزَعفرانِ قُمّ، وَنيْلوفَر السِّيرَوان، ونارَنْج الصَّيْمَرَة، وأتْرجّ طَبَرِسْتان، ونَرجِس جُرْجان. وماء وَرْد جُور موصوف مضروبٌ به المثَل في الطِّيب، مجلوب إلى أقاصي المشرق والمغرب، وقد أكثروا من ذِكره، قال أحدُهم في وصف قواريرَ منه:

ومُخَطَّفاتٍ كالعذارَى الحُورِ مُشمِّراتِ القُمْصِ كالمنثورِ
كلُّ فتاةٍ نشأتْ بجُورِ تختالُ في دُوّاجِها القصيرِ
حاسرةً عن أَرَج العَبيرِ مثلَ نسيم الزَّهَرِ الممطورِ
أشهَى مِنَ الوَصْل إلى المهجورِ

وكان يُحمَل من فارسَ إلى الخلفاء كلّ عام من خراجها ـ وهو سبعةٌ وعشرون ألف ـ ألفُ قارورة، ومن الزبيب الأسوَد عشرون ألفِ رطل، ومن الأنبجات[٤] خمسة عشر ألفَ رطل، ومن الرَّمّان والسّفرجَل مائة وخمسون ألفاً

(١) ديوانه: ٢/ ١٨٠.
(٢) ديوانه: ٦٧.
(٣) للسري الرفاء، ديوانه: ١٣٥.
(٤) الأنبجابات: المربيات.

عدداً، ومن التين السِّيرافيّ خمسون ألف رطل، ومن الجَلَنْجِبين[١] ألف رِطل، ومن المُومِيا رِطل واحد.

٨٨٤ ـ **كُحل أصفِهان**: يُوصَف بالجودة مع عسل المَوصِل. وكان يُحمَل من أصبِهانَ إلى حضرة السّلطان كل سنة مع خراجها، وهو أحد وعشرون ألف ألف درهم، ومن العسل عشرون ألفَ رِطل، ومن الشمع عشرون ألف رطل، ومن المَوصل مع خراجها وهو أربعة وعشرون ألف دِرهم، ومن العسل عشرون ألف رطل.

ويُحكَى أنّ الحجّاج قال لعامله على أصبهان: قد ولّيتك بلدةً حَجَرُها الكُحْل، وذُبَابُها النَّحل، وحشيشُها الزعفران، وذلك أن كُحلها موصوف بالجودة، والزعفران بها كثير، وكذلك النحل.

وقرأتُ في رسالةٍ لعليّ بن حمزة بن عُمارة الأصفهانيّ إلى أبي الحسن بن طَباطَبا في وصف النَّحل والشّهد: أفضل الأعسال كلّها عسل أصفِهان وخيره ما إذا قُطِر على الأرض منه استدار كالزِّئبَق ولم يَختلِط بالأرض.

٨٨٥ ـ **بُسُط أرمينيَة**: يذكر في الفُرش الفاخر مع زلّاليّ[٢] قالِيقَلا، ومطارح مَيْسان وحُصْر بغداد، وسُتُور نَصِيبين. وكان يحمَل إلى حضرة السلطان مع خراج أرمينيَة كل عام منه بقدر ثلاثة عشر ألف ألف درهم، ومن البسط المحفورة ثلاثون بِساطاً، ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعةً، ومن البُزاة ثلاثون بازيا.

٨٨٦ ـ **بُرود الرَّي**: بُرُود الريّ موصوفة كبُرود اليَمَن، ويُقال لها العَدَنيّات، تشبيهاً لها ببرود عَدَن من اليمن، قال المراديّ[٣] يصف شاهِيناً:

وتَخالُه لما تنفَّضَ بالنَّدَى ... نَشَر الجمانَ فُوَيْقَ بُردِ رازِي

وقال الهرثميّ:

هبِ البُردَ بالريّ لم يُنسَجِ ... وفي سَفَطِ البَزّ لم يُدرَجِ
رسولُك ذاكَ الذي قال لي ... تجيُ مع الفَجرِ لِمْ لا تَجِي!

ومن خصائص الرِّيّ الثياب الحَسَنة، والمقاريض الرشيقة، والأمشاط الفائقة،

(١) الجلنجبين، كلمة فارسية، تفسيرها الورد والعسل.
(٢) الزلالي: البسط.
(٣) هو أبو الحسين بن محمد المرادي، يتيمة الدهر ٤/ ٧١.

والرّمّان المعروف بالهبرج، والمعروف بالإمليسي. وكان يُحمَل إلى السلطان مع خراج الرَّيّ، وهو اثنا عشر ألف درهم، من الرمان مائة ألف، ومن الخَوْخ المقدّد ألف رِطلْ.

٨٨٧ ـ طِين نَيسابُور: هو طين الأكْل الذي لا يوجَد مِثلُه في الأرض، يحمل إلى أداني البلاد وأقاصيها، ويُتحفَ به الملوك السادة.

وربّما بيعَ الرِّطل منه بدينار. وقد قصر محمد بنُ زكريا قولَه على ذكر منافعِه إذ صنّف فيه كتاباً، وفي وصفه يقول أبو طالب المأمونيّ:

جُذْلي من النُّقْلِ بذاكَ الذي ... منه خُلِقْنا وإليه نصِيرْ[١]
ذاكَ الذي يُحسَب في شَكْلِه ... أحجارَ كافورٍ عليها عَبيرْ

وكان عمرُ بنُ الليث يقول في ذكر نَيْسابور ومناقبِها وخصائصها: لِمَ لا أقاتل عن بلدة ترابها نُقْل، وحَجَرها فَيرُوزَج! وذلك أنّ الفيروزجَ لا يكون إلّا بها، وربما بلغت قيمةُ مَنِّه إذا أربى على مثقالٍ وجمع الخضرة وصُبِّرَ على النار، وامتنع على المبرد، ولم يتغير بالماء الحار مائتيْ دينار. ومن محاسنه ما في اسمه من الفأل الحَسَن، وحُسنَ مَوقِعه عند الملوك لما يَجمع من حُسن المنظَر وجيّد الفأل. ويُقال: إنّ له خاصيَّةً قويةً في تقوية القلب، وفيه يقول بعض العصريين:

يا مَن بطلعته الهلالُ تَهلَّلا ... ورآه من جَحَد الإلٰهَ فهلّلا
وافاك بالنَّيْرُوزِ طِرْفُ مسرّةٍ ... فارْكَبْهُ هِمْلاجاً أغرَّ محجَّلا
نحو المُنى وأَعِرْ لحاظَك كلّما ... يحوي مَحلّا في الصدور مُبجَّلا
فَيْروزَجاً أهديتُهُ متبرِّكا ... لك باسمه متيمِّناً متفائلا
ولَرُبَّ فَصٍّ قد أتى مُتدلِّلاً ... فإذا وَعَى الألفاظَ منه تَذلّلا

وفَيْروزَج نَيسابور يعدُّ في نفائس الجواهر مع ياقوت سَرَنْدِيب، ولؤلؤ عُمان، ولَعل[٢] بذَخشان، وزَبَرْجَد مصر، وعَقيق اليَمن، وبجاديٍّ[٣] بَلْخ.

ومن خصائص نَيْسابور الثياب الحفيَّة والتاختج والراختخ والمُصمَت؛ فأما الحُلل والعُتَّابيَّات والسّقْلاطُونيّات فإنّ بغدادَ وأصبهانَ تشاركتْ فيها،

(١) لطائف المعارف ١٩٢.
(٢) اللعل من الأحجار الكريمة.
(٣) البجادي: حجر كالياقوت.

والسابِريّ وهو الرقيق الناعم من كل ثوب، والأصل فيه النسبة إلى نَيْسابور، وعُرِّب فقيل: سابِريّ.

٨٨٨ ـ سَبجُ طُوس: السَّبَج[١] لا يكون إلّا بطوس، ومنها يُحمَل إلى الآفاق، فهو من خصائص طُوس؛ كما أنّ هذا الحَجَر الذي تُتّخَذ منه القُدور والمَقالي والمَجامر؛ وقد يُتّخذ منه كلُّ ما يتخذ من الزجاج، كالأقداح والكِيزان وغيرِها.

وكثيراً ما يقول السيد الموسويّ الطوسي[٢]: قد ألانَ اللّهُ لنا الحجارة، كما ألان لداوُدَ عليه السلام الحديد.

٨٨٩ ـ قشمش هَراة: القشمش من خصائص هَراة، وكذا الزَّبيب المعروف بالطائفيّ، يُحمَلان منها إلى الأداني والأقاصي، ويُتّخذ من القشمس الشراب والدِّبْس[٣]؛ وقد يُعد من طرائف ثمرَات البلاد قشمش[٤] هَراة، وتين حُلوان، وعُنَّاب جُرْجان، وإِجّاص بُسْت، ورُمّان الرّيّ، وتفّاح قُومِس، وسَفرَجَل نَيْسابور، ورُطَب بغداد. وأنشدني المأمونيّ لنفسه في وصف القشمش[٤]:

وقَشْمَشٍ كَخَرَزٍ ... مُنظَّمٍ لم يُثقَبِ[٥]
يُجلى به الكأسُ لِما ... بينهما من نَسبِ
يَحظى به الشاربُ في النـ ... ـادي ومن لم يَشرِبِ
كأنَّه أوعِيَةٌ ... يَحمِلْنَ ذَوْبَ العِنبِ
أو لؤلؤٌ قد عُلّ أعـ ... ـلاهُ بماءِ الذّهبِ
خُصَّتْ به هَراةُ فاخـ ... ـتصّتْ بأعلى الرُّتَبِ

وأنشدني أيضاً في الزّبيب الطائفيّ:

وطائفيٍ من الزبيب به ... يَنْتَقِلُ الشَّربُ حين ينتقِلُ[٦]

---

(١) السبج: الخرز الملوّن.
(٢) في لطائف المعارف ١٩٨/ «وسمعت أبا جعفر محمد بن موسى الموسوي الطرسي قال».
(٣) الدبس: عسل التمر.
(٤) القشمس، ويُقال له أيضاً الكشمس: زبيب صغير لا نوى له شديد الحلاوة. المعتمد ٢٩٥.
(٥) يتيمة الدهر ٤/ ١٦٧.
(٦) لطائف المعارف ٢٠٠.

كـأنـه فـي الإنـاء أوعـيـة مـن الـبـجـادي مـلـؤهـا عـسـل

ومن خصائص هَراةَ الحواصل التي هي أجوَد من المصرية، والآبَسْكُونيّة. وممّا يُحمَل منها إلى الآفاق الكَرابيس والمَبارِم والديابيج وطرائف الصُّفْريّات[1].

٨٩٠ ـ ثياب مَرْو: كانت العرب تسمّي كل ثوب صفيق يُحمَل من خُراسانَ: المرْويّ، وكل ثوب رقيق يُجلَب منها الشاهجانيّ، لأنّ مَرْوَ عندهم أمُّ خُراسان. ويُقال لها مَرْو والشاهِجان، وقد بقيَ إلى الآن اسمُ الشاهجان على الثياب الرقيقة. ومما تختصّ به مَرْو من الثياب المُلحّم. وقال لي أبو الفتح البُسْتيّ يوماً: هل تَعرِف بلدةً أول اسمها ميم، يُحمَل منها برسم العُراضة[2] أربعة أسماء، أول كل اسم منها ميم؟ فقلت: أما على البديهة فلا، ولعليّ أتذكّرها مع الروية، فقال: هيَ مَرْو، ويُحمَل منها المُلحَّم والملبّن والمُرِّيّ والمَكانِس.

٨٩١ ـ فُلوس بُخارَى: أهلُ بُخارَى يَضربون المثل في المحقّرات بالفلُوس، وقد ضربَها بشّار بنُ بُرْدَ مَثَلاً في قوله:

إرفَقْ بـعَـمـرو إذا حـرّكـت نـسـبـتَـه فـإنّـه عـربـيٌّ مِـن قـواريـرِ
إن جـاز آبـاؤه الأنـذالَ مـن مُـضَـرٍ جـازتْ فـلـوسُ بُـخـارَى في الـدنـانـير

٨٩٢ ـ كواغد سَمَرْقَنْد: هي من خصائصها التي عطّلت قراطيس مصر، والجلود التي كان الأوائلُ يكتبون فيها، إلا أنها أنعَم وأحسَن وأرفَق، ولا تكون إلّا بسمَرْقَند والصين.

وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمَرْقَند في سَبْيٍ سباهم زياد بنُ صالح في وقعة أطلح من اتخذ الكَواغِيد، ثم كَثُرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت مَتْجَراً لأهل سمَرقَنْد، فَعمّ خبرُها، والارتفاقُ بها جميعَ البلدان في الآفاق[3]. ومن خصائص سَمَرقَنْد النُوشادر والثياب الوَذارية[4]. ومن خصائص الصغد الحجر الرهجيّ، والملح الكشِّيُّ، وهو جوهر يُقطَع من الغيرانِ في الجبال يكون أحمَر، فإذا دُقّ صار أشدّ بياضاً وأصلحَ من كلِّ مِلح.

---

(١) لطائف المعارف ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) العراضة: الهدية يهديها القادم من سفر. وفي ط: «القراضة»، وما أثبته من ب ولطائف المعارف.

(٣) أنظر لطائف المعارف ٢١٨ وحواشيه.

(٤) الوذارية: هي ثياب على لون المصمت أحسن التقاسيم ٣٢٤، وفي ط «الوذارية»، تحريف.

٨٩٣ ـ طرائف الصين: كانت العرب تقول لكلّ طُرْفة من الأوانيّ وما أشبهها صينية، وقد بقيَ هذا الاسم إلى الآن على هذه الصوانيّ المعروفة. وأهل الصين مختصون بصناعة اليد، والحِذْق في عمل الطُّرَف، يقولون: أهل الدنيا ما عدانا عُمْي، إلا أهل بابلَ فإنّهم عُور. ولهم الإغراب في خَرْط التماثيل، والإبداع في عمل النقوش والتصاوير، حتى إن مصوِّرَهم يصوِّر الإنسانَ ولا يُغادِر منه شيئاً، ثم لا يَرضَى بذلك حتى يصوّره ضاحكاً أو باكياً، ثم لا يَرضَى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضِحك الخَجِل وبين المبتسم والمستغرِب وبين ضِحك المسرور وضِحك الهازىء، فيركِّب صورة في صورة. ولهم الغضائر المستشفّة يطبخ فيها الطبيخ فتكون الواحدة قِدْراً مرة، وقصعةً أخرى، وخيرُها المشمشي اللون، الرقيق الصافي الشديد الطَّنين، ثمّ الزَبَديّ على هذا الوصف. ولهم الفِرنْد الفائق، والحديد المدفون الذي تخفَى فيه الصوَر وتَظهَر، ويُقال له: الكيمخاو[١]، وهو في شِعر لابن الرومي. ولهم المماطِر المشمَّعة التي لا تبتل على الأمطار الكثيرة، ولهم مناديلُ الغَمَر[٢] التي إذا اتّسخت أُلقيتْ في النار فنَقِيتْ ولم يَحترِق منها شيء. ولهم الحديد المصنوع يُعمَل منه المرائي والتعاويذ. وربما اشتُرِيَ بأضعاف وزنِه فضّة، ولهم السِّنْجاب الفارِمانيّ الذي هو من أنفَس الأوبار، ولهم اللُّبود التي تُفضَّل على اللبود المغربيّة. وذكر الجاحظ في كتاب التبصّر بالتجارة أنّ خير اللُّبود الصِّينيَّة، ثم المَغرِبيّة الحمر، ثم الطالقانيّة البيض[٣]. وذكر غيرُه أنّ أجوَد الصوف صوفُ مِصرَ، ثم أرمينيَة، ثم تكرِيت، ثم رُويان.

٨٩٤ ـ مِسْك تُبَّت: تُبَّت مخصوصة من بلاد التُّرْك بالمِسك الأصهَب المضروب به المَثَل في الطِّيب والجودة، كما أنّ خَرْخِير منها مخصوصةٌ بالسِّنجاب الفاخِر، وكيماك بالسَّمُّور الفائق. وبلاد الترك تُوازِي بلادَ الهند في كثرة الخصائص وكالمِسك والسّمّور والسِّنجاب والقاقم والفَنَك والثعالب السود، والأرانب البِيض والختوِّ واليشم والخدنك والبزاة البيض والخَيل والرقيق، والخشقاء[٤] الذي تُتّخذ من ذَنَبه وعُرْفه المذابُّ ورؤوس المَطارد.

---

(١) الكمخاو: كلمة فارسية، معناها الحرير الموشى.
(٢) الغمر: دسم اللحم.
(٣) التبصر بالتجارة ١٨.
(٤) في الأصل: «الخشفار»، وما أثبته من لطائف المعارف ٢٢٥ وفي حواشيه: الخشفاء: بقرة وحشية في بلاد التبت، كان الترك يعلّقون أذنابها في أعلامهم.

ولبَسْط الكلام في كلّ منها، وخصائص البلدان، وتفصيل معادنها وتركيب أماكنها، وتلخيص أحوالِها مكانٌ من كِتاب «خصائص البلدان» المستفتَح أيضاً باسم الأمير السيّد أدام اللّه تأييدَه، فأمّا هذا الكتاب فلَا يتّسع لأكثَر ممّا أوردتُه، وهو يسيرٌ من كثير، وغَيْض مِن فَيْض.

فيما يُضَافُ إلى البلدان ويُنسَب من الأعراض

طاعة أهلِ الشام، طواعينُ الشام، طَرَب الزَّنْج، ظَرْف الحِجاز، نعمة المدينة، حُمَّى خَيْبر، حُمَّى الأهواز، دَماميل الجزيرة، طِحال البحريْن، لِواط خُراسان، حِسان الهند، هواء جُرْجان، بَرْد هَمَذان.

الاسْتِشْهادُ

٨٩٥ ـ **طاعة أهلِ الشام**: أهل الشام مخصوصون بطاعة السلطان من بين جميع البُلْدان، وبهم يُضرَب المثل في الطاعة والمتابعة، وإنما وَرِيتْ زِناد معاوية بهم، وكثيراً ما كان يقول: أُعِنْت[على][(١)] عليّ بأربع: كنتُ رجلاً كتوماً، وكان ظُهَرةَ[(٢)]، وكنت في أطوَع جُند وأصلحِه ـ يعني أهْلَ الشام ـ وكان في أَعْصَى جندٍ وأخسّه ـ يعني أهل العِراق ـ وتركته وأصحاب الجَمَل وقلتُ: إن ظَفِروا به كُفِيتُه، وإن ظفرَ اعتددتُ بها عليه في ذنوبه، وكنت أشدّ تألّفاً لقريش، وأكثر تحنّناً منه عليها[(٣)]، فيا لك مِن جامع إليّ ومفرّق عنه، ومن عونٍ لي وعونٍ عليه!.

وذكر عبدُ الملك بنُ مروانَ رَوْحَ بنَ زِنباع فمَدحَه وقال: لقد جمع أبُو زُرْعَى فقهَ الحِجاز، ودَهاءَ العِراق، وطاعةَ الشام.

٨٩٦ ـ **طَواعين الشام**: ذكر أبو الحسن المدائنيّ عن أشياخه، عن الحجّاج، أنه كان يقول: لمّا نزلت[(٤)] الأشياء منازلها قالت الطاعة: أنا أنزِل الشام، فقال الطاعون: وأنا معَك، وقال الخِصْب: أنا أنزل العِراق فقال النفاق: وأنا معك، وقالت الصحة: أنا أنزِل البادية، فقال الشقاق[(٥)]: وأنا معك؛ ولم تزل الشام كثيرة

---

(١) من ب.
(٢) ط: «ظهرا».
(٣) ب: «منها عليه».
(٤) في حاشية ب: «تبوأت».
(٥) ط: «الشفاء» والأوفق ما أثبته من ب.

الطواعين حتى صارت تَواريخَ، وكانت تَظهَر بالشام ثم تمتد إلى العِراق؛ وأوّل طاعونٍ وقَع في الشام في الإسلام طاعون عَمَواس، وذلك في زَمَن عمر بن الخطاب، وفيه مات معاذُ بن جَبَل وأبو عبيدة بن الجرّاح رضي اللّه عنهما. ثم الجارف، ثم طاعون العَذارَى، ثم طاعون الأشراف؛ ولم يقع بالمدينة ولا مكة قطّ. ولما وَلِي بنو العباس انقطع الطاعون إلى أيام المقتدر كما تقدم ذكرُه عند ذكر رماح الجنّ.

وقال بعض بني المغيرة فيمن مات منهم في طواعين الشام أيامَ ذلك[(١)]:

مَن يَنزِلِ الشامَ ويُعْرِسْ به ... فالشام إن لم يُفنِنَا كاربُ
أفنَى بني رَيْطةَ فرسانَهمْ ... عشرين لمُ يقصَص لهمْ شاربُ
ومِن بني أعمامِهمْ مثلُهمْ ... لمثل هذا يَعجَب العاجبُ
طَعْنٌ وطاعونٌ مَنايَاهُمُ ... ذلك ما خَطَّ لنا الكاتبُ

ولما قَدِم عبدُ اللّه بن حسنٍ على عمر بن عبد العزيز كرِه مكانَه بالشام وعرف سنَّه وسَمْته[(٢)] وعَقلَه ولسانه وفضله، فلم يكن شيء أحب إليه من ألّا يراه أحدٌ من أهل الشام، فقال: إنّي أخاف عليك طواعينَ الشام، وإنك لم تُغْنِمْ أهلك خيراً منك، فالحق بهم فإنّ حوائجك ستَتْبَعك.

فكان ظاهرُ كلامه حَسنا مذكوراً[(٣)] وباطنُه أجود التدبير في تسريحه سَراحاً جميلا[(٤)].

٨٩٧ ـ **طَرَب الزَّنْج**: هم مخصوصون من بين الأمم بشدّة الطرب وحُبّ الملاهي والأغاني، وإيثار الخلاعة والتصابي، والمَثَل سائرٌ بإطرائهم لا سيما إذا دبّ الشّراب فيهم، وانضَاف حَرُّه إلى حرّ أمزِجَتهم المكتسَبة من حرارة أهوِيَتهم.

ووصف بعض البُلَغاء رجلاً بالطرب، فقال: واللّه إنّه لأطرَب من زَنْجيّ عاشقٍ سَكْران.

---

(١) ب: «تلك المغازي».
(٢) ط: «وسمعه».
(٣) كما في ب والحيوان، وفي ط: «شكورا».
(٤) انظر الحيوان ٣/ ٤٧٢.

وقال أبو الشمقمق:

وليس على بابِ ابن إدريسَ حاجبٌ ... وليس على باب ابنِ إدريسَ من قُفْلِ
طربتُ إلى معروفِه فطلبْتُهُ ... كما طربَتْ زَنْجُ الحجاز إلى الطّبْلِ

ويُحكَى من طِيب عُرْسهم وبلوغهم فيه كلّ مبلغ؛ من الأخذ بأطراف القَصْف والعَزْف، وإثارة الرهج في اللعب والرقص، ما تمثّل به ابن طباطَبا يصف ليلةً ممتِعة:

وليلةٍ أطرَبَني جُنحُها[(١)] ... فخِلْتُني في عُرُس الزَّنْجِ
كأنّما الجوزاءُ جُنْحُ الدّجَى ... طَبّالَةٌ تَضرِب بالصّنْجِ
قائمةٌ قد حرّرتْ قصْفَها ... مائلَةُ الرأسِ من الغُنْجِ

٨٩٨ ـ ظَرف الحِجاز: المثل جارٍ بذلك على الألسنة، قال الشاعر:

شادِنٌ يرى العراقَ وفيهِ ... معَ ظَرْف الحجازِ شَكلُ العِراقِ

٨٩٩ ـ نعمة المدينة: قال الجاحظ: سمّيت المدينة طَيْبَةَ لطيبها ولطيبها تَنفِي خَبثها ويتضوّعُ طيبها في ريح ثَراها، وعَرْف تُرابِها[(٢)]، ونسيم هَوائها، والنعمة[(٣)] التي توجد في سككها وحيطانها دليلٌ على أنها جعلت آيةً حين جُعلتْ حرماً؛ وبها للعطر والبَخُور والنَّضوح من الرائحة الطّيبة أضعاف ما توجدَ روائحه في سائر البُلدان، إذْ كان[(٤)] العطرُ فيها أفخرَ وأثمَن. وما رأيتُ بلدةً يستحيلُ فيها العِطر ويَفسُد وتذهبُ رائحته كقصبة الأهواز وأنطاكية، وإن الجُوَيْرِية السوداء بالمدينة تَجعَل في رأسها شيئاً من بلح وشيئاً من نضوح مما لا قيمةَ له لهوانِه على أهله، فتجد لذلك طيبَ رائحةٍ لا يعدلها بيتُ عَروسٍ من ذوي الأقدار؛ حتّى إن النَّوّى المُنقَع الذي يكون عند أهل العراق في غاية النَّتْن إذا طال إنقاعُهُ يكون عندهم في غاية الطِّيب[(٥)].

٩٠٠ ـ حُمَّى خَيبر: يُضرَب بها المثل، لأن خيبر مخصوصةٌ بالحُمّى والوَباء، قال أوس بن حجر:

كأنّ به إذْ جئتُهُ خَيْبَرِيَّةً ... يعود عليه وِردُها ومَلالُها[(٦)]

---

(١) ط: «صنجها».
(٢) في الأصول «ثراها» وما أثبته من الحيوان.
(٣) كذا في ب، وفي ط: «والنعمة».
(٤) في الحيوان: «وإن كان».
(٥) الحيوان ٣/ ١٤٢ ـ ١٤٤، مع تصرف.
(٦) ديوانه: ١٠٠. والملال: حرارة الحمى، والورد والصالب: من أسماء الحمى.

وقال أعرابيّ كثُرتْ عيالُه وقَلّ مالُه: ما أراني إلّا سأنتجع خيبرَ عسى أن يخف عني ثقل هؤلاء. فارتحَل إلى خيبر فلما شارَفَها أنشأ يقول:

قـلـتُ لـحـمَّـى خـيـبـرَ اسـتـعـدِّي   وبـاكِـري بـصـالِـبٍ وَوِرْدِ[١]
هـاكِ عِـيـالـي فـاجـهـدِي وجِـدِّي   أعـانـكِ الـلّـهُ عـلـى ذا الـجُـنْـدِ

فلمّا وصلها[٢] حُمّ حِمامُهْ، وعاش أيتامُه.

وقال بعض المحدَثين:

يـا فـاتـرَ الـظـلّ غـلـيـظَ الـهـوى   أنـت عـلـى نـفـسـك لـي شـاهـدُ
لـيـسـتْ لـحُـمَّـى خَـيـبـرٍ رُقـيَـةٌ   تُـعـرَف إلّا شـعـرُكَ الـبـاردُ

٩٠١ ـ حمّى الأهواز: قال الجاحظ: قصبة الأهواز مخصوصةٌ بالحمّى الدائمة اللازمة؛ قتّالة الغرباء، على أنّ حمّاها ليست إلى الغريب بأسرعَ منها إلى القريب، أخبرنا إبراهيم بنُ العبّاس، عن مشيخة من أهلها، عن القوابل، أنهنّ ربّما قَبِلْنَ الطفل المولود فيَجِدنه محموماً؛ يَعرفْن ذلك ويتحَدّثْن به. قال: ولم أرَ بها وجنةً حمراء لصبيّ ولا لصبية، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك، وإنما وباؤها وحمّاها في وقت انكشافِ الوَباء ونُزوع الحمّى عن جميع البلدان، ولقد قَلَبتْ كلَّ مَن نزلها إلى كثير من طبائعهم وشمائلهم. ولا بد للهاشميّ؛ قبيحِ الوجه كان أو حَسَنِه، ودميماً كان أو بارعاً رائعاً من أن يكون لوجهه طبائعُ يتبيَّن بها من جميع قريش، ومن جميع العرب. ولقد كانت البلدة تنقُل ذلك وتبدّله، ولقد تحيّفَتْهُ، وأَدخَلت الضنَى عليه، وبيّنت أثرها فيه، فما ظنك بصنيعها في سائر الأجناس! قال: وليس يؤتَى أهلُها والطارئون عليها من كثرة الحُمَّيَاتِ من قِبل التخم، أو من قبل الخَبَط والإكثار، وإنما يُؤتَون من عين البلدة، ولذلك جمعت سوقُ الأهواز الأفاعيَ في جبَلها الطاعن في منازلها، المطلّ عليها، والجرّارات في منازلها. ولو كان في العالَم شيء هو شرّ من الأفعى والجرّارات لما قصّرتْ قَصَبة الأهواز عن توليده وتلقيحه. وبليّتها أنّ مِن ورائها سباخا، ومناقَع مياه غليظة، وفيها أنهار تشقّها مسايلُ كُنفهم ومياه أمطارهم ومتوضآتهم، فإذا طلعت الشمس فطال مقامها وطالت مُقابَلتها لذلك

(١) معجم البلدان ٣/ ٤٩٧.
(٢) ط: «جاءها».

الجبل قبل بالصخرة التي هي في تلك الجرّارات، فإذا امتلأتْ يبساً وحرارة، وعادت جمرةً واحدة، قذفت ما قبلت من ذلك عليهم، وقد تحدث تلك السباخ وتلك الأنهار هواء فاسداً يفسد كُلَّ شيء يشتمل عليه ذلك الهواء(١).

٩٠٢ ـ دَماميل الجزيرة: الدَّمامِيل بالجزيرة كالحمَّى بالأهواز، قال عبد اللّه بن همّام:

به من دماميل الجزيرة ناخِسُ(٢)

يقال: داء ناخس [إذا كان](٣) لا يبرأ منه.

قال الجاحظ: أخبرني أبو زُرْعة(٤) قال: مات ضِرار بنُ عمرو وهو ابن تسعين سنة بالدماميل، فقلت له: إنّ هذا لَعَجب؛ فقال: كلّا، إنما أحتمِلُها من الجزيرة(٥).

٩٠٣ ـ طِحال البحرين: قال الجاحظ: في خصائص البلدان عن ثِقاتِ التُجّار الذين نَقَّبُوا في البلاد: مَن أقام في البحرين مدّةً رَبَا طِحالهُ، وانتَفَخ بطنُه، قال الشاعر:

ومَن يَسكُنِ البحرينَ يَعظُمْ طِحالُه ويُغبَطْ بما في بطنِه وهو جائعُ(٦)

ومَن أقام بقصبة تُبَّتَ اعتراهُ سُرورٌ لا يدْرِي ما سببه! ولا يزال متبسّماً ضاحكاً حتى يخرج منها، ومن مشى واختلف في طُرُقات المدينة وجد فيها عَرْفاً طَيِّباً ورائحةً عجيبة، وشيراز من بين جميع فارس لها نِعمةٌ(٧) طيّبة؛ وأجمع أهل البحرين أنّ لهم [تمراً يسمَّى النابجيّ، وأنّ من فضَخه](٨) وجعله نبيذاً ثمّ شربه وعليه ثوب أبيض صبغه عَرَقه [حتى كأنَّ عليه ثوب لاذ](٨).

---

(١) انظر الحيوان ٤/ ١٤٠، ١٤١، وانظر أيضاً لطائف المعارف ١٧٤.

(٢) من بيتين ذكرهما الجاحظ، وهما:

أتيحَ لَهُ مِنْ شُرطَةِ الحَيِّ جانبٌ غليظُ القُصَيْرَى لحمُه متكاوِسُ
تَراهُ إذَا يَمضِي يحُكُّ كأنَّما بِهِ من دماميل الجزيرة ناخِسُ

(٣) من ب.

(٤) في الحيوان: «فحدثني أبو زفر الضراوي».

(٥) الحيوان ٤/ ١٣٧.

(٦) الحيوان ٤/ ١٣٩.

(٧) الحيوان: «فغمة».

(٨) من ب والحيوان. واللاذ: ثوب حرير يُنسج بالصين.

ومن أطال الصوّم بالمصّيصة في أيام الصيف هاجت به المِرّة، وإنّ كثيراً منهم قد جُنّوا من ذلك الاحتراق.

ومن أقام بالمَوْصِل حَوْلاً ثم تفقّد عقله وجد فيه فضلا.

ولا بدّ لكل من قَدِم من شقِّ العِراق إلى بلاد الزنج أنه لا يزال جَرِباً ما أقام به، فإنْ أكثَر مِنْ شُرْب النَّارجيل طَمَس الخُمارُ على عقلِه حتى لا يكون بينه وبين المعتوه إلا الشيء اليسير(١).

٩٠٤ ـ حِساب الهند: قال الجاحظ: لولا خُطوط الهِند لضاعَ من الحِساب البسيط(٢) والكثير، ولَبَطلَتْ معرفةُ التضاعيف، ولَعِدموا الإحاطة بالتنورات، وتنورات التنورات(٣)، ولو أدركوا ذلك لأدرَكوه بعد أن تغلظ المؤونة وتنتقص المُنّة(٤).

قال غيره: التَّنور مقدارٌ من مَقادير الهِند يجمع الأُلُف(٥) الكثيرة، قال أبو إسحاقَ الصَّابي يهنِّىء بالعيد:

لَم أطوِّلْ في دعوَتي لمليكٍ ... طوَّل اللَّهُ في السلامة عُمرَهْ
بل تلطَّفْتُ في اختصارِ مُحيطٍ ... بالمعَاني لمن تأَمَّلَ أمرَهْ
فهو مثلُ الحروفِ في عَدَد الهنـ ... ـدِ قليلٌ قد انطوتْ فيه كثرهْ
جَمع اللَّهُ كلَّ دعوةِ داعٍ ... مُستجابٍ دعاؤهُ فيه صُبرَهْ
وأعاد العيدَ الذّي زادَ ذا العـ ... ـالَم فيمن يحوزُه ومَسَرّهْ
وأراه الآمالَ فيه ورقّا ... ه سعاداتِه ووقّاه أجرَهْ

٩٠٥ ـ لِواط خُراسان: قال الجاحظ: كان السبب الذي أشاع في أهل خُراسان اللِّواط وعوَّدَهم ذلك، كثرة خروجهم في البُعوث، وكانوا لا يستطيعون إخراج النساء والجَوارِي معهم، ولم يكن لهم بُدٌّ من غِلمان تهيّىء مُؤَنُهم؛ فلما طال مُكث الغلام مع صاحبه بالليل والنهار، وفي حال التبذُّل والتكشّف، وفي حال

(١) انظر الحيوان ٤/ ١٣٧ وما بعدها، ٧/ ٢٣٠.
(٢) كذا في ب والحيوان، وفي ط: «البسط» تحريف.
(٣) كذا في الأصول، وفي الحيوان: «بالباورات وباورات الباورات».
(٤) الحيوان ١/ ٤٦.
(٥) ب: «الأكف».

اللباس والسّتر، وكانت الغُلْمة تهيج بهم، شغِفُوا بغلْمانهم وهم فحول، والرجل يَهيجُ فيُواقع البَهيمةَ ويُخضْخِض بيَدَيه، ومن كان كذلك لم يميز بين غشيان البهائم والتَّدليك، وبين غُنْج الغِلمان الحِسان، فتعوّدوا ذلك في أسفارهم، ورجعوا إلى منازلهم وقد تمكّنت تلك الشهوة فيهم مع الذي لهم فيه عند أنفسهم من خفّة المؤونة والأمنِ من السلطان، ومن الحيل، وغير ذلك من المرافق، ولو كانت هذه الشهوة شائعةً في الأعراب لتعشّقوا الغِلمان، ولو تعشّقوهم لنَسَبوا بهم، ولجاءهم فيه بابٌ من النسيب ولَتَهاجَوْا به وتَفاخَروا، ولتنافسوا في الغِلْمان، ويَجْرِي في ذلك ما لا يخفى، ولَحَدثتْ فيه أشعارٌ وأخبار. والذي يدلّ على سلامتهم من ذلك عدم هذه المعاني، وإن كان هناك شيء من هذا فليس هو إلا في بعض مَن يَنزِل قارعةَ الطريق، أو يقرب الأسواق، وهؤلاء ليس فيهم من خصال الأعرابيَّة إلا الجوهرية، فأما الأخلاق والفصاحة والأنفة والفُروسيَّة فهم على خلاف ذلك كله، وقد ذَكَر الناسُ أنّ بالهند شيئاً من هذه الفاحشة ليس بالفاشي، وذكر بعض أهل البلدان وبعض قبائل الجاهليَّة وبعضُ ملوك اليَمَن بهذا الشأن، ولكن لم نَجِد الأشعارَ بذلك متّسعة، والأخبار به متّفقة.

٩٠٦ ـ هواءُ جُرْجان: أُنشِدْتَ للصَّاحب:

نحنُ واللَّهِ من هَوائكِ يا جُرْ ... جانُ في حَيْرةٍ وأمرٍ شديدِ
حَرُّها يُنضِجُ الجلودَ فإن هَبَّـ ... ـتْ شَمالٌ تكدّرتْ بركُودِ
كحبيبٍ مُواصِلٍ كلما هَـ ... ـمّ بوَصْلٍ أحالَه بصُدودِ

وهواءُ جُرجانَ موصوفٌ بشدة تغيّره، وفَرْط نقاوته، واختلافِه في يوم واحد، كما قال بعضهم:

ألا رُبَّ يومٍ لي بجُرجانَ أرعَنٍ ... ضحِكتُ له من خُرْقِه أتعجّبُ[(١)]
وأخشَى على نفسي اختلافَ هوائها ... وما للفتى مما قَضَى اللَّهُ مهربُ
وما خيرُ يومٍ أخرقٍ متلوّنٍ ... ببَردٍ وحَرّ بعده يَتلهَّبُ
فأوّله للفحم والجَمْر مثقِبٌ[(٢)] ... وآخرُهُ للثلجِ والخيشِ يُضرَبُ

---

(١) معجم البلدان ٣/ ٧٦ منسوبة إلى الثعالبي، وفي كتاب لطائف المعارف ١٨٩، ونسبها لنفسه، وقد وردت الأبيات محرّفة في ط، والصواب ما أثبته من ب.

(٢) ياقوت: «ينقب» لطائف المعارف: «يثقب».

وهواء البصرة أيضاً يوصف بما يوصف به هواء جرجان، قال ابن لنكك:

نحن بالبَصْرة في لو ... نٍ من العيش ظريفِ
نحن ما هبّتْ شَمالٌ ... بين جنّاتٍ وريفِ
فإذَا هبّت جَنوبٌ ... فكأنّا في كَنيفِ

٩٠٧ ـ بَرْد هَمَذان: هَمَذان موصوفة من بين بُلدان الجبل بشدّة البرد؛ وما هي بأشدّ البلاد بَرْدا ولكن المثَل سائر ببَرْدها، وقد أكثر الشعراء في وصفها، قال أبو عليّ كاتب بكر:

يا بلدةً أسلَمَني بَرْدُها ... وبَرْدُ من يَسكُنُها لِلقَلَقْ
لا يَسلَم الشَّاتي بها من أذىً ... من زَهَقٍ أو نَتَقٍ أو زَلَقْ

وقال آخَر:

هَمَذانُ مُثقلةُ النفوس ببَرْدِها ... والزمهريرِ وحَرُّها مأمونُ(١)
غَلبَ الشتاءُ ربيعَها وخريفَها ... فكأنّما تشرينُها كانُونُ

وقال ابن خالَوَيْه:

إذا هَمَذانُ اعتادها القرُّ وانقَضَى ... برغمك أيلولٌ وأنتَ مقيمُ
فعينُك عَمْشاءُ وأنفُك سائلٌ ... ووجهُك مُسْوَدُّ البياضِ بَهيمُ
وأنتَ أسيرُ البَرْدِ تَمشِي بغلّةٍ ... على السيفِ تحبو مرّةً وتَقومُ
بلادٌ إذا ما الصّيفُ أقبلَ جَنّةٌ ... ولكنَّها عند الشتاء جَحيمُ

---

(١) نسبها ياقوت في (همذان)، إلى كاتب بكر أيضاً.

في الجبال والأمكنة

ثِقل أُحُد، ثالثة الأثافيّ، ابنة الجَبَل، قسوة الحَجَر، ظلّ الحَجَر، نقش الحجَر، رشح الجحر، حجر المغناطيس، قالب الصخر.

الاسْتِشْهادُ

٩٠٨ ـ ثِقل أُحُد: من الجبال التي يُمثَّل بها في الثقل أُحُد، وهو جَبَل بالمدينة، وفيه قال النبي ﷺ: «أُحُدٌ جبلٌ يحبُّنا ونحبُّه». ويُروَى: «جَبَل يَعرِفنا ونَعرِفه».

وقال القاضي أبو الحسن عليّ بنُ عبد العزيز من قصيدة:

وصِـرْتُ فـي ثِـقْـلِ أُحُـدٍ عـنـدَه ورأى ... في طلْعتي رأَى أهلَ الرَّفْضِ في عُمَرِ

ومن الجبال التي يُضرَب بها المَثَل في الثِّقل ثَهلان، وهو بالعالية، ويقال له ثَهْلان الجرَع لِيُبْسه وقلّة خيرِه، وفيه قيل:

ثَهلانُ ذو الهَضباتِ هل يَتحلْحَلُ(١)

ومنها عَماية، وهي بالبحرين، ومنها أبو قُبَيْس بمكّة شرّفها اللّه تعالى.

٩٠٩ ـ ثالثة الأثافيّ: قِطعة من الجبل، ومعناها أن يوضع أُثفِيَّتان إلى جانب قطعةٍ من الجبل، ثمّ توضَع القِدْر على الإثفِيَّتيْن؛ والقطعة من الجبل،ومن أمثال العرب: رماه بثالثةِ الأثافيّ قولُ بديع الزمان من قصيدة:

خُـلِـقْـتُ كـمـا تَـرَى صـعـبَ الـنّـقـافِ ... أردَّ يـدَ الـخـلـيـفـةِ فـي الـخـلافِ

ولـي جـسـدٌ كـواحـدةِ الـمَـثـانـي ... لـه كَـبِـدٌ كـثـالـثـةِ الأثـافِـي

فانظرْ إلى حُسن ما تأنّق بين الواحدة وبين الثانية والثالثة، على بُعد ما بين الجِنْسين من الكَثافة والنّحافة!.

٩١٠ ـ ابنة الجَبل: يعنِي القطعةَ من الجبل ضُرِبتْ مثلاً في الثّقل.

---

(١) للفرزدق ديوانه: ٧١٧، وصدره:

* فـادْفَـعْ بـفـكّـك إن أردت بـنـاءنـا *

٩١١ ـ **قَسْوة الحَجَر**: يُضرَب بها المثَل. قال اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، قال الأصمعيّ: ومن أمثالهم: هو أَقسَى من حَجَر. وقال كثيّر:

كأنّي أنادِي صَخرةً حين أعرضتْ من الصُّمّ لو تَمشِي بها العُصمُ زَلّتِ(١)

٩١٢ ـ **ظِلّ الحَجَر**: يشبّه به كلُّ شيء أسوَدَ كَثيف، لأنّ ظلّ كلِّ شيء أسود وظل الحجر أشدّ سوادا، لأنّه مَصمت لا يتخللّه خلَل، قال الراجز:

كأنما وَجْهُك ظِلٌّ مِنْ حَجَرْ

وقال آخر:

سُودٌ غَرابيبُ كأظلالِ الحَجَرْ لا صِغَرٌ أَزرى بِهَا ولا كِبَرْ

٩١٣ ـ **نَقْش الحَجَر**: يُضرَب مثلا لما يثبت ويَبْقى ولا يضمحِلْ ومن أمثال المؤدبين: التعلم في الصِّغَر كالنّقش في الحَجَر، والتعلم في الكِبر كالكِتابة في الماء.

وسَمِع الأحنفُ بهذه الكلمة فقال: الكبيرُ أكبرُ عَقْلاً لكنه أكثرُ شُغْلا.

٩١٤ ـ **رَشْح الحَجَر**: يُضرَب مثلا للبخيل يجود بالشيء القليل على عُسرةٍ ونكدٍ.

والرّشْح أدنى ما يكون من السَّيالِ

وكذلك البَضّ، ومنه قولُهم: فلان ما يبِضّ حَجَرُه ولا يثمِر شَجَره. وكان عبدُ الملك بنُ مروانَ يلقّب برَشْح الحَجَر لبُخله.

٩١٥ ـ **حَجر المغناطيس**: هو الذي يَجذِب الحديدَ بطبعه، فيُضرَب مثلاً للجاذب الشيء إلى نفسه؛ كما قال ابن طَباطَبا:

يأبى الذي نفسِي عليه حبيسُ ما لي سِواهُ من الأنام أنيسُ
لا تُنكروا أبداً مقارَبَتي له قلبي حَديدٌ وهْوَ مَغناطِيسُ

٩١٦ ـ **قالِبُ الصّخرة**: يُضرَب به المثل، فيقال: أطمَع من قالِب الصخرة. وكان رجل من معدّ رأى صخرةً عظيمةً ببلاد اليَمَن مكتوباً عليها بالمُسنَد: اقْلِبْني أنفَعك، فاحتال في قَلْبها ولَقيَ الأمرَّين من ذلك، فإذا على الجانب الآخر: «رُبَّ طَمَع أدَّى إلى طبَع»(٢)، فما زال يَضرِب برأسه الحَجَر تلهفاً حتى انتَثر لحمُه ومات.

---

(١) أمالي القالي ٢/١٠٨.

(٢) كذا في ب، وفي ط: «فزع».

في المياه وما يُضافُ إليها

ماء زَمزَم، ماء صَدّاء، ماءُ المفَاصل، ماءُ الفادية، . ماء السماء، ماء طَرِيق الحجّ، ماء عناق، ماء الوَجه، ماء الشّباب، ماء الحُسن، ماء النّدَى، ماءُ النّعيم، ماء الكَرَم، ماء الظّرف، لاعِقُ الماء، أديمُ الماء، جِلدةُ الماء، سيلُ العَرم، دَرج السّيول، نِيل مصر، عجائبُ البَحر.

الاستِشْهادُ

٩١٧ ـ ماءُ زمزم: يُتمثّل بشرفه على سائر المِياه لشرف مكانه، فيُقال: كأنّه ماء زمزم، وليس هذا ماء زمزم، ويُقال: إنّه أثر جبريل عليه السلام، فإنه لما شُرِبَ له، ومَن يُحصي فضائله! فكم من مُبتلًى قد عُوفِيَ بالمُقام عليه والشّرب منه والاغتسال به، بعد أن لم يَدَع في الأرض يَنبوعاً إلّا أتاه واستَنقَع فيه! وكم من متزوِّد منه في القَوارير إلى أقاصي البُلدان لدَوائه، وغاسِلٍ ثيابَه بمائه؛ لما يرجوه من بَركتِهِ وحُسن عائدته! قال الأعشى وهو يؤنّب رجلاً ويخبره أنه مع شرفه لم يَبلُغ مَبلَغ قريش الذين هم سُكان حَرَم اللّه ولهم حظّ الشّرب من زَمزَم:

فما أنتَ من أهلِ الحَجونِ ولا الصّفا ... ولا لك حظُّ الشّربِ من ماءِ زمزمِ[١]

وقال أبو هِفّان وهو يمدَح رجلاً:

لو كنتَ نَوْءاً كنتَ نوءَ المِرزَمِ ... أو كنتَ ماءً كنتَ ماءَ الزَّمزَمِ

٩١٨ ـ ماءُ صَدّاءُ: صدّاءُ بئرٌ ماؤها أعذَب مياهِ العرب، وفيها يقول ضِرار السّمديّ:

وإنّي وتَهيامِي بزَيْنبَ كالذّي ... يُحاوِلُ من أحواض صَدّاءَ مَشرَبا[٢]

وقال غيره:

كصاحِب صَدّاءَ الذي ليس واجداً ... كصدّاءَ ماءً فهو ذا الدهرَ ظامئُ

(١) ديوانه: ١٢٣ (النموذجية).
(٢) معجم البلدان ٥/ ٣٤٢.

ومن أمثال العرب: ماء ولا كصَدّاء، أي هذا ما لا بأس به، ولكن ليس كماء صَدّاء، يُضرَب لما يُحمَد بعضَ الحمد ويُفضّل عليه غيره، كما يُقال: مَرعىً ولا كالسَّعْدان.

٩١٩ ـ ماء مَأرِب: مأرِب اسمٌ لقصرِ ملك سَبأ، ثم صار اسماً للبلدة، وهي التي وصَفَها اللَّه بالطيب، فقال: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]، ولا أطيب مما وصفَه اللَّه تعالى بالطيب ولا أعذَب من مائه، ومأرِب هي التي أرسَل اللَّهُ تعالى عليها سَيْلَ العَرِم، والمثل مضروبٌ بعُذوبة ماءِ مَأرِب، قال جابر بن رالان في وصفه وأحسَنَ كلّ الإحسان:

أيا لهفَ نفسي كلَّما التحْتُ لوحةً ... على شهوةٍ من ماءِ أحواضِ مَأرِبِ
بقايا نِطافٍ أودعَ الغيمُ صَفْوَها ... مصقَّلةِ الأرجاءِ زُرقِ الجَوانبِ
تَرقْرَقَ دمعُ المُزْنِ فيهنّ والتقتْ ... عليهنّ أنفاسُ الرياحِ الجنائبِ

وللصاحب من فصل: أنا على حافة حوضٍ ذي ماء أزرق، كصفاء مودّتي لك، ورقّة قولِي في عَتْبك، ولو رأيتَه لنَسيتَ أحواضَ مأرِب، ومَشارع أمّ غالب.

٩٢٠ ـ ماء المَفاصل: من أمثال العرب: أصفَى من ماءِ المفاصل؛ جمع المفصِل بين الجبلين، وماؤه أصفى ما يكون وأرقّه، قال الشاعر:

صفراءُ من حَلَبِ الكُروم كأنّها ... ماءُ المَفاصِل أو لُعابُ الجُندُبِ[(١)]

وقال أبو ذؤيب:

* يشابُ بماءٍ مِثلِ ماءِ المفاصِل[(٢)] *

وزعم بعضُ الرواةِ أن ماء المفاصل ماءُ اللحم الطريّ، واحتج بقول كثيّر في الخمر:

وما قَرقَفٌ من أَذْرِعاتٍ كأنّها ... إذا نزلتْ من دَنِّها ماءُ مَفْصِلِ[(٣)]

ويجوز أن يكون شبّه الخمرَ بما تقدّم ذكرُه من ماء المفاصل في رقّته وصفائه لا بماءِ اللحم في حُمرته.

---

(١) الحيوان ٥/ ٥٦٢.
(٢) ديوان الهذليين ١/ ١٤١ وصدره:
* مطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نتاجُها *
(٣) الحيوان ٢/ ٣٥١. وأذرعات: بلد في أطراف الشام تحاذي أرض البلقاء وعمان.

٩٢١ ـ **ماء الغادية**: من أمثال العرب عن أبي عمرو: أعذَب من ماء الغادية، وأعذَب من ماء البارق، [والغادية: السحابة التي تغدو، والبارق: السحاب الذي يكون فيه البرق][(١)].

٩٢٢ ـ **ماء السماء**: المُنذِر بنُ ماء السماء ينسَب إلى أمّه، وكانت تُسمَّى ماء السماء تشبيهاً بها في الحُسن والصفاء والطهارة، وهو المنذر بنُ امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عديّ؛ وأمّه من النَّمرِ بنِ قاسط، وأبوها عَوْف بن جُشَم.

٩٢٣ ـ **ماء طريقِ الحجّ**: يُضرَب مثلاً لما يُستَعمل على عِلاته ويُذَمّ، كما يقال: خبزُ الشعير يؤكل ويُذَمّ، قال ابنُ المعتزّ:

وصاحبِ سَوءٍ وجهُه ليَ أوجُهٌ ... وفي فمِه طبلٌ بسرّيَ يَضرِبُ[(٢)]
ولا بدّ لي منه فحيناً يُغصُّني ... ويَنْسَاغُ لي طَوراً ووجهي مقطِّبِ
فماءُ طريقِ الحجّ في كلّ مَنهَلٍ ... يُذَمُّ على ما كان منه ويُشرَبُ

٩٢٤ ـ **ماء عِناق**: ماء عناق؛ من أمثال العرب؛ يُضرَب للداهية والأمر الملتبِس؛ وكان من حديثه أن رجلاً بيْنا هو يَسقِي وبيته تِلقاء وَجهِه إذ نَظَر فإذا برجل قد عانَق امرأته يقبِّلها، فأخذ العصا وأقبَل مسرعاً، فلما رأتْه المرأةُ أخفَت الرجُل فيما بين النَّضَد[(٣)]، فنظر يَمْنةً ويَسرةً فلم يرَ شيئاً، فنظر في الأرض فلم يُبصر أحداً، فكَذّب بصرَه وكرّ راجعاً، فلما كان الوِرد الثاني قالت المرأة: هل لك في أن أكفيَك السقي وتتورَّع[(٤)] اليوم؟ قال: نعم إن شئت، فأقام في البيت وانطلقتْ تسعى وتحيّنتْ منه غفلة، فأخذَت العصا وأقبلتْ حتّى عَلَتْ بها رأسَه، فقال: وَيْلَكِ! وما دهاكِ! قالت: أين المرأة التي رأيتُك معها معانِقاً لها؟ فقال: واللّه ما كانت عندي امرأة، قالت: بل أنا نظرتُ إليها بعيني وأنا على الماء، فتَحالَفا، فلمّا أكثرتْ قال: إن تكوني صادقةً فإن ماءكم هذا ماءُ عِناق؛ فصار مَثلاً يُضرَب في الدواهي.

٩٢٥ ـ **ماء الوَجْه**: العرب تستعير في كلامها الماءَ لكلّ ما يَحسُن موقعُه

---

(١) من ب.
(٢) ديوانه: ٢/ ٤.
(٣) ط: «المتاع».
(٤) تتورع، أي تكف.

ومنظَرُه ويَعظم قدرُه ومحلُّه، فتقول: ماءُ الوجه، وماءُ الشباب، وماء السيف، وماء الحيا، وماء النعيم، كما تستعير الاستقاءَ في طلب خبر، قال عَلْقَمة بن عَبَدة:

وفي كُلِّ حيّ قد خَبطْتَ بنعمةٍ فحقّ لِشَأْسٍ من نَداكَ ذَنوبُ[(١)]

وقال رؤبة:

يأيّها الماتِحُ دَلْوِي دُونَكا إنّي رأيتُ الناسَ يَحمَدونَكا

وهما لم يَستقِيا ماءً، وإنما طلب أحدُهما ماء، وكان الآخر أسيراً، وكذلك سَمَّوْا السائل والمجتديَ مستميحاً، وإنما المَيْح جمعُ الماءِ في الدلو، وغاية دعائهم للمرجو والمشكور أن يقولوا: سقاك اللّه، فإذا تذكروا أياماً طابت لهم قالوا: سقى اللّه تلك الأيام! وربما دَعَوْا لدِيار المحبوبِ بالسُّقْيا كما قال طَرَفة:

فسَقَى دِيارك غيرَ مُفسِدِها صَوْبُ الربيع ودِيمةٌ تَهمِي[(٢)]

فأما قولهم: ماء الوجه، فهو عبارة عن الحياء الذي هو أفضل من الماء، وقد أحسن أبو تمام في قوله لأبي سعيد الطائيّ:

رَددْتَ رونقَ وجهي في صحيفتِه رَدَّ الصِّقالِ بماءِ الصارمِ الجَذِمِ[(٣)]
وما أبالي وخَيْرُ القولِ أصدَقُهُ حقنْتَ لي ماءَ وجهي أمْ حقنتَ دَمِي

وسَرقَه اللَّحّام فقال:

ما إنْ أرَقْتُ بحِرصي قطرةً فَجَرَتْ مِنْ ماءِ وجهيَ إلا خِلتُ ذاكَ دَمِي

وقال أبو الطَّيِّب:

ولقد بكيتُ على الشباب ولِمّتِي مسودّةٌ ولِماءِ وجهِيَ رَوْنَقُ[(٤)]

ولا مزيدَ على حُسن قول ابن المعتزّ:

لم تَرِدْ ماءَ وجهِه العينُ إلّا شَرِقتْ قبلَ ريِّها برَقيبِ

ولأبي تمام استعارات في الماء أحسن في وصفها، كقوله في وصف نساءٍ ثكالَى:

خاضَتْ محاسنَها مخاوِفُ غادرتْ ماءَ الصِّبا والحُسنِ غيرَ زلالِ[(٥)]

(١) المفضليات ٣٩٦.
(٢) ديوانه: ١٤٦.
(٣) ديوانه: ٣/ ٢١٨.
(٤) ديوانه: ٢/ ٣٣٦.
(٥) ديوانه: ٣/ ١٤٢.

وقوله في الأفْشين:

قد كانَ بوَّأَهُ الخليفةُ منزِلاً … من قلبِهِ حَرَماً على الأقْدارِ[(١)]
فسَقاهُ ماءَ الخَفض غيرَ مصرّدٍ … وأنامَهُ في الأمن غيرَ غِرارِ

وقوله وهو يَرثي من قصيدةٍ أوّلها:

نعاءِ إلى كلّ حيّ نعاءِ … فتى العرَبِ احتلّ رَبْع الفناء[(٢)]
ألا أيّها الموتُ فجَعْتَنا … بماءِ الحياةِ وماءِ الحياءِ

وقد أغار السريّ الموصلي عليه في هذه البيتين ونقلهما إلى المدح حيث قال:

وكَفِ ترقرِقُ ماءَ الحَياةِ

وقوله ـ أعْني أبا تمام:

وكيف ولم يزلْ للشّعر ماءٌ … يرفُّ عليه رَيْحانُ القُلوبِ[(٣)]

وقوله:

محمدُ بنُ حُمَيْدٍ أُخْلِقَتْ رِمَمُهْ … أريقَ ماءُ المعالي مذ أُريقَ دَمُه[(٤)]

فقد أحسن كما تراه في استعارة ماءِ الصبا وماء الحُسن وماء الخَفْض وماء الحياة وماء الشعر وماء المعالي، وأما في استعارة ماء الملَام حيث قال:

لا تسقِنِي ماءَ الملامِ فإنّني … صَبٌّ قد استعذَبْتُ ماء بكائي[(٥)]

فإنما تَحسن الاستعارة بما يَحسن فيه التشبيه والتمثيل. ولم يحسن في قوله ولم يُسِئ [(٦)]إذ قال[(٦)]:

تمنَّتْ أن يعود لها حبيبُ … منًى شططاً وأين لها حبيبُ!

ويُستحسن قول الصَنوْبَريّ في مرثِيَّتِهِ غلاماً:

إن يُرَقْ ماءُ ذلك الوجهِ في التُّرْ … بِ فإنّي لِماءِ عَيْني مُريقُ

---

(١) ديوانه: ٢/ ٢٠٥.
(٢) ديوانه: ٣٤٧ (بيروت)، وهذا البيت ساقط من ط.
(٣) ديوانه: ٤٨٩ (بيروت).
(٤) ديوانه: ٣٨٧ (بيروت).
(٥) ديوانه: ٢ (بيروت).
(٦ ـ ٦) ساقط من ا.

٩٢٦ ـ ماء الشباب: قد أكثر الشعراء في ذكره، وأَحسَنوا التصرف فيه، قال أبو محمد البياضيّ:

وما بقيتْ من اللّذات إلّا مُحادَثةُ الكرام على الشرابِ
وَلثْمُكَ وَجْنَتَيْ قمرٍ منيرٍ يَجولُ بخَدّه ماءُ الشبابِ

وقال أبو الفتح:

عُودِي وماءُ شَبيبتي في عُودي لا تعْمِدي لمقَاتِل المَعمودِ

وقد جمع ابن الرومي في مَرثِيته قينةً بين ثلاثة مياه مستعارة، فقال:

يا حَرَّ صَدْري على ثلاثة أمـ ـواهٍ أُريقتْ في التُّربِ والمَدَرِ
ماءَيْ شبابٍ ونعمةٍ مُزِجَا بماء ذاكَ الحياءِ والخَفرِ

ثم جاء بماءٍ رابع فقال:

تبتَّلَ العُودُ بعد فقدِكُمُ وازدَجَرَ اللَّهوُ أيَّ مُزدَجرِ
وغاضَ ماءُ النعيم بعدَكُمُ وانْهَمَرَ الدمعُ أيَّ مُنْهَمَرِ

٩٢٧ ـ ماء الحُسن: من أحسن ما قيل فيه قولُ ابن المعتزّ:

ليَ مولًى لا أسمِّيهِ كلُّ شيء حَسَنٌ فيهِ
تَصِفُ الأغصانُ قامتَه بتَثَنٍّ كَتثَنِّيهِ
ويكادُ البدرُ يُشبِهُهُ وتكادُ الشمسُ تَحكيهِ
كيف لا يَخضرُّ عارِضُهُ ومِياهُ الحُسن تَسْقِيهِ!

٩٢٨ ـ ماء الندى: قال العباس وأحسَن:

أتتركُني جَذْبَ المحلَّةِ ضَنْكَها وكفّاكَ من ماءِ الندى تَكِفانِ

وقال البحتري:

وما أنا إلّا غَرسُ نِعمتِك الذي أفضْتَ له ماءَ النَّوالِ فأورَقا[١]
وقفتُ بآمالي عليكَ جميعِها فريْتُكَ في إمساكِهنّ موفّقا

وقال أيضاً وزاد في الإحسان:

ووجهٍ جالَ ماءُ الجُود فيهِ على العِرْنينِ والخدِّ الأسِيلِ[٢]

---

(١) ديوانه: ٢/ ١٣٠.
(٢) ديوانه: ٢/ ١٦١.

يُريك تألُّقُ المعروفِ فيه ... شُعاعَ الشمس في السّيفِ الصَّقيلِ

٩٢٩ ـ ماء النعيم: من أحسن ما قيل فيه قولُ أبي الفتح كُشاجِم:

وَيْحَ عينٍ لَم تَرْوَ من ماءِ وجهٍ ... قد سقاه الشبابُ ماءَ نَعيمِ(١)

ما التقَيْنا والحمدُ للّهِ إلّا ... مِثلَ ما تَلتقِي جفونُ السليمِ

وقال السريّ في مُزَيِّن:

إذا لمَعَ البرقُ في كفِّه ... أفاضَ على الرأس ماءَ النعيمِ(٢)

٩٣٠ ـ ماءُ الكرْم: قد أكثَروا في ذكره، ومن أَحسن ما قالوا فيه:

فإنّ الكَرْمَ من كَرَمٍ وجُودٍ ... وماءُ الكَرْمِ للرَّجلِ الكريمِ

٩٣١ ـ ماء الظّرف: ظرف الصاحبُ في استعارة الماءِ للظّرف حيث قال:

وشادنٍ أحسَنَ في إسعافِهِ ... يَقطُرُ ماءُ الظَّرْف من أعطافِهِ

٩٣٢ ـ لاعِق الماء: من أمثال العَرَب: أحمق من لاعِق الماء، وأحمَق من ناطحِ الماء، قال الشاعر:

و أحمَقُ ممَّنْ يَلعَقُ الماءَ قال لي ... دَعِ الخمرَ واشربْ من قَراحٍ مُعنْبَرِ

٩٣٣ ـ أديم الماء: يستعار الأديم للماء كما يُستعار للسماء، فأمّا استعارته للماء فكما قال كُشاجِم يصف سمكةً:

وابنةُ ماءٍ في أديمِ ماءِ ... بيضاءُ مِثلُ الفضّة البَيضاءِ

وأما استعارته للسماء فكما قال أبو عثمانَ في لابسةٍ أزرَق اسمها قَتُول:

ما تَعدّتْ قَتُولُ أن لبسَتْ زِيّاً ... شبيهاً بوَجهها ذي البهاءِ

لبِستْ أزرقاً فجاءت بوجهٍ ... يُشبِهُ البدرَ في أديمِ السماءِ

٩٣٤ ـ جلْدة الماء: استعار البحتري الجِلدة للماء في قوله:

أَبدَيْتَ لي عن جِلدة الماءِ الذي ... قد كنتُ أعهدُه كثيرَ الطُّحلُبِ

كما استعارها للسماء ابن المعتزّ في قوله:

يا ربما نازَعتُهُ ... روحُ دِنانٍ صافيهْ

(١) ديوانه: ١٦٤.
(٢) ديوانه: ٢٤٧.

فـــي روضـــةٍ كـــأنـــهـــا جِـــلْـــدُ ســـمـــاءٍ عـــاريَـــهْ

٩٣٥ ـ سَيْل العَرِم: قد تقدم ذكرُه عند فأرة العَرِم، وفي هذا الباب عند ذكر مأرِب. وسَيْل العَرم هو الذي خرّب سَبأ وأباد أهلَها، وذكرَه اللّه تعالى في قوله في قصّة سبأ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦].

وقد اختلفوا في العرِم فقال ابن عبّاس: هو اسمُ الوادي. وقال مجاهد: هو اسمُ السّدّ، وقال أبو عبيدة والكِسائي: هو المسَنَّاة؛ وقال جعفر الصادق: هو اسم الجُرَذ الذي ثَقَب السدّ. وسَيْل العِرمَ مَثل في الدواهي العظام التي تُفرِّق الناسَ وتمزِّقهم، كما يقال للقوم إذا تفرّقوا بهلاك بعضِهم وانتشارِ آخرَين: ذهبوا أيدِي سَبَأ.

٩٣٦ ـ دَرَج السُّيول: من أمثال العرب: هم درج السّيول، وله معنيَان: أحدهما الإذلال والآخَر العَوْد في موضع الذَّهاب والفَناء، يقال: رجع فلانٌ أدراجَه، أي من حيث جاء. ومن أمثالهم: مَن يردُّ السيّل على أدراجِه! وأدراج السيول: مَجارِيها، قال الشاعر:

أَنَـهْـبٌ لـلـمـنـيّـة تـعـتـريـهـمْ رِجـالـي أم هُـمُ دَرَجُ الـسُّـيـولِ

٩٣٧ ـ نِيل مصر: يُضرَب به المثل كما يُضرَب بالبُحور، قال الأعشى:

فـمـا نِـيـلُ مـصـرٍ إذْ تَـسَـامـى عُـبـابُـه ولا بـحرُ سَـيْـحـانَ إذا راحَ مُـفـعَـمـا[١]

بـأجـوَدَ مـنـه نـائـلاً إنّ بـعـضَـهُـمْ إذ سُئِلَ الـمـعـروفَ صَـدَّ وجَـمْـجَـمـا

قال الجاحظ: كفاك ماءُ نِيل مصر وما هوَ عليه من خلاف جميع الأنهُر[٢]، ونُضوبه في وقت زيادة الأنهُر، وزيادته في وقت نقصانها، وليست التماسيح في شيء من الأنهار إلا فيه، ومضرّتها معروفة بلا منفعة بوجه من الوجوه، ولم يُرَ تمساحٌ قطُّ في دِجْلة ولا الفُرات ولا سَيْحانَ ولا جَيْحانَ ولا نهر بَلْخ.

٩٣٨ ـ عجائب البحر: في الخبر: «حدِّثوا عن البحر ولا حرج». وقيل لبعض رُكّاب البحر: ما أعجبَ ما رأيتَ عن عجائب البحر؟ قال: سلامتي منه.

قال الجاحظ: ما ظنّك إذا خَبُث ومَلُح وَلَد الدرّ وأَثمرَ العنبر. ورَكِب بعضُ

(١) ديوانه: ٢٩٧ (النموذجية)، وفيه: «ولا بحر بألقيا».
(٢) ب: «في جميع الأودية».

الإعراب البحرَ مرة فرأى أهوالا من أمواجه، ثمّ أتاه مرّة أخرى وهو ساكن فقال: ما يغرّني حِلمُك، فإن عندي من جهلك العجائب.

قال الجاحظ: وليس ذلك بأعجَب من شيء عاينَه جميعُ من يَركب البحر، وذلك أنّ الطائر من طَيْره يطير في الهواء فيعبَث به طائر صغير، فإذا أحرَجَه ذلك ذَرقَ فتلقاه الطائر فابتَلَعه، فلا هو يخطىء بذلك الذَّرَق حَلْقَ الطائر الصغير، ولا الطائر الصغير يجهَل مكانَ ذَرَقه وما يعيّشه من ذلك الطائر الكبير. والدُّخَس من دوابّ البحر، ومما يعايش السَّمك وليس بسَمَك، وهو يَعرِف الغريق ويدنو منه حتى يضَع الغريقُ يَده على ظهره فيسبَحَ به، والغريقُ يذهَب معه ويستعين بالاعتماد عليه والتعلّق به حتى يُنجّيه، وهذا عند البحرّيين مشهورٌ لا يتدافعونه.

في النِّيران

نارُ اللَّه، نارُ إبراهيم، نارُ موسى، نارُ القرْبان، نارُ الحَرّتَين، نار الشجر، نار القِرَى، نار الحرب، نارُ الحلف، نارُ المسافر، نارُ المجوس، نار الاصطلاء، نارُ الإنذار، نارُ الاستكثار، نارُ الاستمطار، نارُ التهويل، نارُ الصيد، نار الزَّحْفَتين، نار الغَضَى، نار الحَلْفاء، نارُ الحُباحِب، نار البَرْق، نار المعِدة، نار الحُمَّى، نار الشوق، نار الشّرّ، نارُ الحياة، نارُ الشباب، نار الشراب، نار الكَيّ، نار الذُّبالة، قَبْسة العَجْلان، فَراش النار، سُرادق النار، سَعد النار، نافِخُ ضَرَمة.

الاسْتِشْهادُ

٩٣٩ ـ نارُ اللَّه: قد تقدم ذكرُها فيما يضاف إلى اسم اللَّه تعالى، وهي نارُ اللَّه التي أوعدَها[١] عبادَه. قال الجاحظ: معلومٌ أنه عزّ ذكرُه عذَّب الأمم في هذه الدنيا بالغرق والرياح وبالحاصب والخَسْف والرَّجْم والمَسْخ والجوع والنقص من الثمرات؛ ولم يَبعث عليهم ناراً كما بَعث عليهم ريحاً وماءً وأحجاراً، وإنما جعلها في عقاب الآخرة وعذاب العُقْبَى، ونَهَى عن أن يعذب بها شيء من الحيوان، قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تعذّبوا بعذاب اللَّه»، [فقد عَظّمها][٢] كما ترى، وخبّر أنه تعالى ينتقم بالنار في الآخرة من جميع أعدائه، وليس يستوجبها بَشَرٌ بصنيع[٣] ولا ظُلْم ولا جناية ولا يَستوجب النارَ إلا بعداوة اللَّه، وبها يَشفِي صدورَ أولِيائه من أعدائهم في الآخرة[٤].

٩٤٠ ـ نار إبراهيم: قد تقدم ذِكرها في باب ما يضاف إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي مَثَل في البَرْد والسلامة. وفي كتاب الأمثال المولدة: إنه

(١) ط: مسألة «وعدها».
(٢) من ب والحيوان.
(٣) ب: «الصنعة».
(٤) الحيوان ٢/ ٤٦٤.

يقال للمستعجل: ليس هذا نارُ إبراهيم؛ وذكرَها الخُوارزميّ في بيت له متمثّلاً وهو يصف الإنخذالَ وكسوفَ البال، فعدَل بالمثل عنه حيث قال:

فكأنّني في سجنِ يوسفَ أو أسَى ... يَعقوبَ أو في نارِ إبراهيمِ

وإنّما تُوصَف نار إبراهيم بالبَرْد والسلامة لا بالحرّ والشدة، لأنها إحدى المعجزات، وفي الكتاب المبهج: خيرُ الشراب ما يُورِد رِيحَ الوَرْدِ، ويَحكي نارَ إبراهيم في اللون والبَرْد.

٩٤١ ـ **نارُ موسى**: قد تقدم ذكرُها ووَجْهُ ضربِ المثَل بها للشيء اليسير يُطلب فيُتوصل بسببه إلى الشيء الخطير والغنيمة الباردة، وذلك أنه كما نطق به القرآن في مواضعَ كثيرة، ذهب يَقتبِس ناراً فكلّم اللّه تكْليماً.

٩٤٢ ـ **نار القُرْبان**: هي التي جعلها اللّه آيةً لبني إسرائيل في موضع امتحان إخلاصهم وتفرُّق نيّاتِهم، فكانوا يتقرّبون بالقُرْبان، فمن كان مخلصاً نزلتْ نارٌ من السماء حتى تحيط به فتأكله، ومتى لم يَرَوْها وبقيَ القُرْبان على حاله قضَوا بأنّه مدخولُ القلب فاسدُ النية، ولذلك قال اللّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ [آل عمران: ١٨٣]. والدليل على أن ذلك قد كان من شأنهم معلوماً قوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣]. قال الجاحظ: ثم إن اللّه تعالى سَتَر على عباده وجعَلَ بيانَ ذلك في الآخرة، وكان ذلك التدبير مصلحةً في ذلك الأمر، ووَفْق طبائعهم وعِلَلهم، وقد كان القومُ من المعاندة ومن الغَباوة على مقدارٍ لم يكن ليَنجع فيهم ويكمل لمصلحتهم إلّا ما كانوا فيه[١].

٩٤٣ ـ **نارُ الحرّتين**: هي التي ذكرها الشاعر في قوله:

ونارُ الحَرّتيْنِ لها زَفيرٌ ... يُصَمُّ لهولِه الرَّجُلُ السميعُ

وهي نارُ خالد بنِ سَنان أحدِ بني مخزوم من بني عَبْس، ولم يكن من ولد إسماعيل عليه السلام نبيّ قبله، وهو الذي أطفأ اللّه به نار الحَرّتين، وكانت ببلاد عبس إذا كان الليل فهي نارٌ تَسطَع في السماء، وكانت طيٌّ تُنفِش[٢] بها إبلَهم من مسيرة ثلاثِ ليالٍ، وربما تأتي على كل شيء فتحرِقه، وإذا كان النهار فإنما هي

(١) الحيوان ٤/ ٤٦١، ٤٦٢.
(٢) أنفش الراعي إبله: جعلها ترعى ليلاً دون أن يراقبها.

دُخانٌ يفور، فبعث اللَّهُ خالدَ بنَ سنان فحفر لها بئراً ثم أدخلَها فيها والناس ينظرون، ثم افتحم فيها حتى غيَّبها، فلمَا حضرَتْه الوفاة قال لقومه: إذا أنا مِتُّ ودفنتموني فاحضُروا بعد ثلاثٍ؛ فإنكم تَروْن عَيْراً أبتَرَ يطوف بقَبْري، فإذا رأيتم ذلك فانبِشوني فإنيّ مخبركم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فاجتمعوا لذلكَ في اليوم الثالث من موته، فلما رأوا العَيْر وذهبوا لِيَنْبِشوا اختلفوا وصاروا فريقين؛ وابنُه عبد اللَّه في الفِرقة التي أَبَتْ نبشَه وهو يقول: إذاً أُدعَى ابنَ المَنْبوش! فتَركوه.

ويُروَى أن ابنَته قَدِمتْ على رسول اللَّه ﷺ فبَسَط لها رداءَه وقال: هذه ابنة نبي ضيّعه قومُه، وسمعتْ صورةَ الإخلاص فقالت: كان أبي يتلو هذه السورة.

قال الجاحظ: والمتكلمون لا يؤمنون بهذا، ويزعمون أن خالداً هذا كان أعرابيًا وبَرِيًا، ولَم يَبعث اللَّهُ قطّ نبيا من الأعراب ولا من أهل الوَبَر، وإنما بَعثَهم من أهل القُرَى وسكان الجُزُر. واللَّه أعلم حيث يَجعلُ رِسالاتِهِ(١).

٩٤٤ ـ نار الشجر: ـ هي التي ذكرها اللَّه تعالى في كتابه، وامتنَّ بها على عباده، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠] يريد عِيدانَ الاستقداح، والمَرْخ والعَفار أكثُر النيران(٢) وأسرَّها قَدْحا؛ ومن أمثالهم: في كلِّ شجر نار، واستمجد(٣) المَرْخُ والعَفار. وما أحسنَ ما قيل في استجلاب بادِرة الحليم المُحرج:

أخرجْتُموه بكُرهٍ مِن سجيّتِهِ والنارُ قد تلتظي من ناضِرِ السَّلَم
أوطأتُموهُ على جَمْرِ العُقوقِ ولو لَمْ يُحْرَجِ الليثُ لم يَخْرُجْ من الأَجَمِ

قال الجاحظ: قد ذكر اللَّه نعمته في هذه النار التي هي من أكبر النِّعم وأعظم المنافع والمرافق في هذه الدنيا على عباده، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢]، ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣] فكم تحت قوله: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ مِن تبصرةٍ، مع ما فيها من مقادير النعم وتصاريف النِّقَم.

ووجه آخر من امتنان اللَّه تعالى على عباده كقوله للثقَلين: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ

---

(١) الحيوان ٤/٤٧٦ ـ ٤٧٨.
(٢) ب «أكثرها في ذلك».
(٣) في اللسان: «استمجد، استفضل، أي استكثرا من النار كأنهما أخذا من النار ما هو حسبهما فصلح للاقتداح بهما».

﴿مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]؛ ثم قال على صِلة الكلام: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، لا يريد أنَّ إحراق اللّٰهِ العبد بالنار من آلائه ونَعْمائه، ولكنه أراد الوعيدَ الصادق، وإذا كان في غاية الزّجر عمّا يطغيه ويُرديه فهوَ من النعم السابغة والآلاء العِظام[(١)].

٩٤٥ ـ نار القِرَى: هي مذكورةٌ على الحقيقة لا على المَثَل، وهي من أعظم مَفاخِر العرب وأشرف مآثرها، وهي النار التي كانت تُرفَع للسفر ولمن يلتمس القِرَى، فكلما كان موضِعها أرفَع كانت أفخر، والأشعار فيها كثيرة، ومن أحسنها قولُ الأعشى:

لَعَمْرِي لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوءِ نارٍ في يَفاعٍ تحرّقُ[(٢)]
فشبَّتْ لِمقْرورينِ يصطليانِها ... وباتَ على النار النَّدَى والمحلَّقُ

والمحلَّق هو الذي مَدَحه.

قال الجاحظ: وأحسَنُ من هذا الشعر في هذا المعنى من كلّ شعر في معناه قولُ الحُطيئة:

متى تأتِهِ تَعشُو إلى ضوءِ نارِه ... تَجدْ خَيْرَ نارٍ عندَها خيرُ مُوقدِ[(٣)]

قال: وما ينبغي أن يُمدح بهذا البيت إلا خير أهل الأرض. وأُنشِدَ عمرُ رضي اللّه عنه هذا البيت، فقال: هذا لرسول اللّه ﷺ.

ومن أحسن ما قيل في هذه النار قولُ الشاعر:

لـه نـارٌ تُشَبُّ بكلّ وادٍ ... إذا النِّيرانُ أُلبِستِ القِناعا[(٤)]
ولم يكُ أكثرَ الفِتْيان مالاً ... ولكنْ كان أرحَبَهم ذِراعا

وما أكرم وأشرفَ مَن قال وهو يأمر غلامَه بالإيقاد والاستجلاب للأضياف:

أَوْقِدْ فإنّ الليلَ ليلٌ قرُّ ... والريحُ ما تراه ريحٌ صَرُّ
عَسَى يَرَى نارَك من يَمُرُّ ... إنْ جَلبَتْ ضيفاً فأنتَ حُرُّ

---

(١) الحيوان ٤/ ٤٦٣، ٤٦٥.
(٢) ديوانه: ٢٢١ ـ ٢٢٣ (النموذجية).
(٣) ديوانه: ٢١.
(٤) الحيوان ٥/ ١٣٥، وهما في حماسة أبي تمام ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩ بنسبتهما إلى أبي زياد الأعرابي الكلابي.

وقد جمع ابنُ الرومي نارَ القِرَى ونارَ الحَرْب في قوله لِعبيد اللَّهِ بنِ عبد اللّه بن طاهر حيث قال:

لـــه نـــاران نـــارُ قِـــرًى وحـــرْبٍ تـــرى كِـلْـتَـيْـهِـمـا ذاتَ الـتِـهـابِ

٩٤٦ ـ **نارُ الحَرْب**: هي على طريق المَثَل والاستعارة لا على الحقيقة كما قال جلّ ذِكْرُه: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقد أكثر الشعراء والبُلَغاء مِن ذِكرها، وجاء وجاء الصاحب فأربَى على المغالِين في وَصفها حيث كَتَب من رسالة: شبّت الحرب واشتعلت نارُها، واستَطارَ شَرارُها، وثارَ عَجاجُها، وهالَ ارتجاجُها.

ومن أخرى: حَمِيَ وَطيسُها، واغتَبطتْ نفُوسُها.

ومن أخرى: قدحتْ نار القِراع، وجالَتْ قِداح المصاع، وتَكايَل الشُّجعان صاعاً بِصاع.

ومن أخرى: دارت رَحَى الحرب، واستَعرتْ جمرةُ الطعن والضّرْب.

ومن أخرى: اشتكتْ تصرّف نابِها وتكشُّفَ ساقِها، واستعر أُوارُها فَحَمِيَ وَطيسُ المِراس، ودَنَت التِّراسُ من التّراس.

٩٤٧ ـ **نارُ الحِلْف**: هي التي كانت العَرَب تُوقِدها عند التحالُف، فلا يَعقِدون حِلْفَهم إلا عندها، ويَذكُرون عند ذلك مَرافقَها، ويَدْعون اللّهَ على مَن يَنقُض العهدَ بالحِرْمان من منافعها؛ وربما دَنَوْا منها حتّى تكادُ تْحرِقهم، ويهوّلون الأمر فيها؛ قال أوس بنُ حَجَر يصف عَيْراً على نَشَز:

إذا استقبلَتْهُ الشمسُ صدَّ بوَجهِه كما صدَّ عن نارِ المهوِّل حالِفُ(١)

٩٤٨ ـ **نارُ المُسافِر**: هذه نارٌ تُوقِدها العرب خلفَ المسافِر الذي لا يحبّون رجوعَه، وكان في الدُّعاء على الغائب: أبعَدَه اللّهُ وأسحَقَه، وأَوقَد ناراً على إثرِهِ! وهو معنى قولِ بشّار؛ وضَرَبه مَثَلاً:

صَـحَـوتَ وأوقَـدْتَ لـلـجـهـل نـاراً وردَّ عـلـيـكَ الـصِّـبـا مـا اسـتـعـارا

وقال آخر:

وحَـمْـلـةِ أقوامٍ حَـمـلْـتَ ولـم تـكـنْ لـتِـوقِـدَ نـاراً إِثـرَهـمْ لـلـتـنـدّمِ

(١) ديوانه: ٦٩.

والحملة: الجماعة يَمشُون في الدَّم وفي الصلح: يقول: لم تَندَم على ما أُعطِيتَ من الحَمالة عند كلام الجماعة فتوقد خلفَهم ناراً لئلا يعودوا.

٩٤٩ ـ نارُ المَجوس: قال الجاحظ: ما زال الناس كافةً والأمم قاطبةً ـ حتى جاء اللَّه بالحق ـ مولَعين بتعظيم النار، حتّى ظنّ كثيرٌ من الناس لإفراطهم أنهم يَعبُدونها. ويَزعم أهل الكتاب أنّ اللَّه أوصاهم بها فقال: «لا تُطفِئوا النارَ من بيوتي»، ولذلك لا تَجِد الكنائسَ والبيعَ وبيُوتَ العبادات تخلو من نارٍ أبداً ليلاً ونهاراً؛ فأما المجوس فإنها لم تَرضَ بمصابيح أهل الكتاب حتى اتخذت البيوتَ للنِّيران، وأقامت عليها السدَنة، ووقَفتْ عليها الغَلّات الكثيرة، وسجدتْ لها على جهة التعبّد والمحبة وإيجاب الشكر على النعمة[١].

وقد ضرَب المثَل بنار المجوس من صَحِب قوماً فلم يَرْعوا حقّ صُحبته بهم، وخِدمتِه إياهم، فقال:

عُمْرِي لقد جَرَّبْتُكُمْ فوجدتُكُمْ نارَ المَجوسِ

وذلك أنها لا تفرّق بين مَن يَعبُدُها ويَسجُد لها، وبين مَن يَبزقُ فيها ويَبُول عليها، بل تَعُمّ الجميعَ بالإحراق إذا أمكَنها[١].

٩٥٠ ـ نارُ الاصطلاء: يُضرَب بها المثَل في الحُسن والإمتاع[٢]، كما قالت أعرابية: كنت أحسن من الصِّلاء في الشتاء. وقالت أخرى: كنتُ في أيام شبابي أحسَن من النار الموقَدة.

وما أحسن ما قال ابنُ المعتز في وصفها:

ومُوقِداتٍ بِتْنَ يضرِمْنَ اللَّهَبْ يُشْبِعْنَهُ من فَحْمٍ ومِن حَطَبْ
يَرفَعْنَ نيراناً كأشجار الذهبْ

ومن أبيات التمثيل والمحاضَرة:

أَلنارُ فاكهةُ الشتاءِ ومن يُرِد أكلَ الفواكِه شاتياً فَلْيَصْطَلِ

ويُحكَى أنّ أعرابيًا اشتدّ عليه البَرْد، فأصاب ناراً، فدَنا ليصْطَلِي [منها][٣] وهو يقول: اللهم لا تَحرِمْنيها في الدنيا والآخرة.

(١) الحيوان ٤/٤٧٨، ٤٧٩.
(٢) ط: «والامتناع»، تحريف.
(٣) من ب.

٩٥١ ـ نارُ التهويل: كانت العرب تُوقِد ناراً يهوّلون بها على الأُسُود إذا خافوها، والأسد إذا عَايَن النار حَدّق إليها وتأمّلها، فما أكثر ما يَشغَله عن السابلة.

ومرّ أبو ثعلب الأعرجُ في رُفْقه بوادي السباع، فعَرَض لهم سَبُع، فقال [له][1] المُكارِي: لو أمرت غِلمانَك فأوقدوا ناراً وضَرَبوا الطّساس الذي معهم! ففعلوا، فأحجَم عنهم الأسَد، فقال في حبّه النارَ والصَّوتَ الشديدَ بعدَ بغضِه لهما:

فأحببتُها حبّاً هوِيتُ خِلاطَها ... ولو في صميم النارِ نارِ جهنّم
وصرتُ أَلَذُّ الصوتَ لو كان صاعقاً ... وأَطرَبُ من صوتِ الحمارِ المرَقَّمِ[2]

٩٥٢ ـ نار الإنذار: كانوا إذا أرادوا حَرْباً وتوقّعوا جيشاً عظيماً فأرادوا الاجتماع أوقَدوا ناراً ليبلُغ الخبرُ أصحابَهم، قال عَمرو بن كُلثوم:

ونحنُ غَداةَ أوقِدَ في خَزَازَى ... رَفَدْنا فوقَ رِفْدِ الرَّافِدينا[3]

٩٥٣ ـ نار الاستكثار: كانوا إذا نزلوا منزلاً وهم جيشٌ يريدون محارَبة قومٍ استكثَروا من النيران، وأكثَروا منِ الذَّبح مخافةَ أن يَجزِرَهم جازِر بقلّة ذبحهم ونيرانهم، فيستدل على العَوْرة منهم.

٩٥٤ ـ نار الاستمطار: كانت العَرَبُ في الجاهلية الجهلاء، إذا تتابعث عليهم الأزمان، ورَكَد فيهم البلاء، واشتدّ الجَدْب، واحتاجوا إلى الاستمطار، استجمَعوا ما قَدَروا عليه من البقَر، وعَقَدوا في أذنابها وبين عَراقيبها السلع، ثم صعدوا بها في جَبَل، وأَوقَدوا فيها النار، وكانوا يَروْن ذلك من أسباب السُّقْيا، وفيهم يقول الورل الطائيّ:

لا دَرَّ رِجالٌ خابَ سعيُهُم ... يَستمطِرون لَدَى الأزمان بالعُشَرِ[4]
أجاعِلٌ أنتَ بيْقوراً[5] مسلَّعةً[6] ... ذريعةً لك بينَ اللّه والمَطرِ

٩٥٥ ـ نار الصَّيد: هي التي تُوقَد للظّباءِ وصَيْدِها لتَعشَى إذا رامَت النظرَ

---

(١) من ب.
(٢) ب: «الموقم».
(٣) من المعلقة ـ ٣٢٠.
(٤) الحيوان ٤/ ٤٦٨، اللسان (بقر، سلع).
(٥) ط: «أبقاراً».
(٦) مسلعة: وضع في أذنابها السلع؛ وهو نبت.

إليها، ولا تخيّل مَنْ وراءها. ويطلب بها أيضاً بَيض النعام في أفاحِيصها ومكانِها وقال طفَيل الغَنَوي:

عَوازِبُ لم تَسمَعْ نُبُوحَ مَقامةٍ ولم تَرَ ناراً تِمَّ حَوْلٍ مُجرَّمِ[١]
سِوَى نارِ بيْضٍ أو غزالٍ بقَفْرةٍ أغَنَّ من الخُنْسِ المناخِرِ تَوأمِ

وقد وصف السريّ صَيْدَ الليل بالطّست والسراج والكلب، وذَكر أنه يقال له صيد الدالويّة في أرجوزة هي مُثبَتةٌ في ديوان شعرِه.

٩٥٦ ـ نارُ الزَّحفتَيْن: هي نارُ أبي سَرِيع، وأبو سَرِيع هو العَرْفَج، قال قتيبة بنُ مسلم لعمرَ بن عبّاد بن الحُصَين: واللّه للسؤددُ أسرَع إليكَ من النار في يبيس العَرْفَج، [وإنما قيل لنار العرفج نار الزحفتين، لأن العرفج][٢] إذا التهبتْ فيه النار أسرعت فيه وعظمتْ واستفاضت في أسرع من كل شيء، فمن كان قريباً منها يزحف عنها، ثم لا تلبث أن تنطفىء من ساعتها، في مثل تلك السرعة؛ فيحتاج الذي يزحف عنها أن يزحف إليها من ساعته، [فلا تزال للمصطلي كذلك][٢]، ولا يزال المصطلي بها كذلك؛ فمن أجله قيل: نار الزحفتين[٣].

٩٥٧ ـ نار الغَضَى: يُضرب بها المثَل في الحرارة لأنها أحرّ نار الجمر، والغضى من بين سائر العِيدان لا يَصلُح إلا للوَقود، فكأنه خُلِقَ للنار لا غير.

٩٥٨ ـ نارُ الحَلْفاء: يُضرب بها المثَل في سُرعة الإيقاد، قال الشاعر:

فما ظنُّك بالحَلفا إذا دَبّتْ بها النارُ

وفي سرعة الانطفاء أيضاً، فيقال: نارُ الحَلْفاء، سريعة الانطفاء.

٩٥٩ ـ نارُ الحُباحِب: هي نارُ الحُباحِب، ونار أبي حُباحب، تُضرب مثلاً للشيء يَرُوق ولا طائلَ فيه، وفيها أقاويلُ مختلفة، قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: كان الحُباحِب رجلاً بخيلاً، وكان لا يوقد ناراً بليل كراهيةَ أن يلقاها من ينتفِع بضوئها، وكان إذا احتاج إلى إيقادها أوقَدَها، وإذا أبصرَ مستضيئاً [بها][٤] أطفأها فضربَت العربُ المثلَ بها وذكَروها عند كل شيء لا يُنتَفع به.

---

(١) الحيوان ٤/ ٤٨٤، أمالي القالي ٢/ ٨٣.
(٢) من الحيوان.
(٣) الحيوان ٥/ ١٠٧.
(٤) من ب.

وقال غيرُه: هي النار التي تُوريها الخيلُ بسنابكها من الحجارة إذا وطئتها كما قال اللّه تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢].

وقال آخرون: هي طائرٌ أحمرُ الريش، يظهر ما بين المغرب والعشاء فيخيّل للناظر أنّ في جناحه ناراً.

وقال الجاحظ: هي كلّ نار تراها ولا حقيقةَ لها عند التماسها، كقَدْح الخيل من حوافرها إذا وطِئت المَرْوَ والصفا والجلاميد الكبار، قال النابغة:

ويُوقِدْنَ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِبِ(١)

وقال القطاميّ:

إلا إنما نيرانُ قَيْسٍ إذا شَتَوْا لطارقِ ليلٍ مثلُ نارِ الحُباحِب(٢)

ويجوز أن تكون قد شبِّهت النار التي لا منفعة فيها ولا حاصلَ تحتها بنار الحُباحب الذي اقتصّ ابنُ عباس رضي اللّه عنهما قصّتها.

ووصف بليغٌ انقضاضَ الكواكب فقال: وإن الفَلَك ليفترُّ عن شُهُبٍ ثَواقب، كنيرانِ أبي حُباحِب... من كلامٍ طويل، قال ابن المعتز:

وحينَ أخذْنا ثأرَكم من عدوّكمْ فعُدتُمْ لنا تُورُون نارَ الحُباحِبِ

٩٦٠ ـ **نارُ البَرق**: ما أحسنَ ما وصفَها أعرابيٌّ فقال:

نارٌ تُجدِّد للعيدانِ نُضرَتَها والنَّارُ تُشعَل أحياناً فتحترِقُ

يقول: كل نار في الدنيا تحرق العيدانَ وتستهلكُها إلا نار البَرْق فإنها تجيءُ بالغيث، فإذا غشِيَت الأرضَ أحدث اللّهُ للعيدان جِدّة، وللأشجار أغصاناً لم تكن.

٩٦١ ـ **نارُ المِعدة**: حَكى أبو العيناء، قال: اجتمعنا في مجلس ابن الأعرابي ومعنا الجاحظ والجمّاز، فأخذنا نتناشَد الأشعار، ونتذاكر الأخبار، ووقَع الجاحظ والجماز في كِياد ومُلاحاة، فقال له الجمّاز: هاتِ، كم تَعرِف في كلام العرب مِن نار؟ فقال: على الخبيرِ سقَطْت: نارُ الحرب، ونار الشر، ونار أبي حُباحب، ونارُ

---

(١) ديوانه: ٧، وصدره:

* تقدُّ السّلوقِيّ المضاعَفَ نَسْجُهُ *

(٢) الحيوان ٤/ ٤٨٧.

اللَّه الموقدة، ونار المعِدة، ونارُ الطبع، ونار الاصطلاء. فقال الجمّاز: تركتَ أبلغَ النيران، وأوسَعَها في البُلْدان، وأصلَحها بلسان الجيران، قال: وما هيَ؟ قال: نارُ حِرٍ أمِّك التي ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨]، قال الجاحظ: قد قضيتَ بأنّ لها حُجَّابا وخُزّانا، ولكن الشأن في نار حرِ أمك التي يقال لها: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

٩٦٢ ـ نارُ الحُمَّى: يُقال: إن النيران ثلاث: نارٌ تأكل وتَشرب وهي نار الحُمّى، تأكُل اللحم وتَشرَب الدم، ونارٌ تأكل ولا تشرَب، وهي نارُ الدنيا، قال الشاعر:

أَلنَّارُ تأكُلُ نفسَها إنْ لم تجِدْ ما تأكُلُهْ

ونار لا تأكل ولا تشرَب، وهي نار جهنم.

٩٦٣ ـ نارُ الشوق: هي مذكورةٌ على الاستعارة، وكذلك نارُ الوَجْد ونارُ اللوعة، ونار الغرام، وما أشبهها، وقد أكثر الناس فيها نَظما ونَثرا؛ قال أحمد بن أبي طاهر يهجو المبرِّد:

ويوم كنارِ الشّوقِ في قلبِ عاشقٍ على أنّه منها أحرُّ وأَوقَدُ
ظَلِلْتُ به عند المبرِّد قائظاً فما زلْتُ من ألفاظِه أتبرَّدُ

وقال لي السيد أبو جعفر الموسوي يوماً وأنا معه على المائدة، وقد قُدّم لي لونٌ في غاية الحرارة: كأنها طُبخت بنارِ شوقي إليك.

وقال البحتري في نار الوَجْد:

أمَا وهَواكِ حَلْفةُ ذي اجتهادِ يَعُدّ الغيَّ فيكِ من الرّشادِ(١)
لقد أَذْكى فِراقُك نارَ وَجْدِي وأَلّفَ بين عيني والسُّهادِ

وقال ابنُ الرومي:

أترى عليلَ الوجدِ يُطفىءُ نارَه إلا رُضابُ الكاعبِ الغَيْداء!

وقال أبو تمّام في نار اللوعة:

أجدِرْ بجمرةِ لوعةٍ إطفاؤها بالدمع أن تَزْداد طولَ وُقودِ(٢)

---

(١) ديوانه: ١/ ١٣٨.
(٢) ديوانه: ١/ ٣٩٢.

وقال القاضي أبو الحسن في نار الغرام:

ولو كنتُ أدري ما أقاسِي من الهوَى ... لما حكَمَتْ للبينِ في وصلِنا يَدُ
فلا يُنكِرُ التخليدَ في النارِ عاقلٌ ... فإنِّيَ في نارِ الغرام مُخلَّدُ

٩٦٤ ـ نارُ الشرّ: النار قد تُستعار في الشر، كقولهم: مَن قدَح نارَ الفتنة صار طعامَها. وكما قال ابن الروميّ من قصيدة يعزِّي بها ابنَ المسيّب عن ابنة له:

تعزَّيتَ عمّن أثمرتْكَ حياتُهُ ... ووَشْكُ التَّسلّي عن ثمارِك أجدَرُ
لأنّ احتيالَ المرءِ في ابنٍ وفي ٱبنةٍ ... يُرَجَّى وكَرُّ الدهرِ شخصَك أعسَرُ
وكم من أخي حُرِّيَّةٍ قد رأيتُهُ ... بنارِ ذوي الإصهار يُكوَى ويُصهَرُ
لعلّ الذي أعطاك سترَ حياتِها ... كساها من اللّحد الذي هو أسترُ

وكما قال أبو القاسم النقيب الموسوي أخو أبي الحسن:

ومولى علَّني صِرْفاً أجاجاً ... بما أسقِيهِ من عَذْبٍ زُلالِ
أرَى في وجهِهِ ماءَ التَّصافي ... وفي أحشائِهِ نارَ التَّقالِي

٩٦٥ ـ نار الحياة: هي الحرارة الغريزية، ومنها الجماع، فإنه مقتبَس من نار الحياة، [فليُكثر أو يُقِلّ][١]، قال الصنوبَرِيّ:

نارُ راحٍ أو نارُ خدٍّ ونارِ ... لِحشا الصَّبِّ في لظاها ٱستِعارُ
ما أبالي ما دامَ للضّيفِ عندي ... كيفَ كانَ الثُّلوجُ والأمطارُ

وقال كُشاجِم:

يا خليليَّ جنِّباني الرحيقا ... إنَّني لستُ للرحيق مُطيقا[٢]
قد تيقّنْتُ أنها تَطرُدُ الهمَّ ... وتُبدِي إلى السرورِ طَريقَا
غير أني وجدتُ للرّاح نارا ... تُلهِبُ الجسمَ والمزاجَ الرقيقا
فإذا ما جَمعتُها ومزاجي ... حرّقتْني بنارِها تحريقا

وقال:

فلا تَجْمَعَنّ عليّ الضّنَى ... بنارِ المِزاج ونارِ المُدامِ[٣]

---

(١) ا من ب.
(٢) ديوانه: ١٣٠.
(٣) ديوانه: ١٦١.

فإن تكن الراحِ تَنفِي الهُمومَ فرُبَّتما عَرّضتْ للسَّقامِ

وأنشد أبو بكر الخُوارَزْميّ:

أعدّ الورى للبَرْدِ جُنداً من الصِّلا ولاقيْتُه من بينهمْ بجُنودِ
ثلاثٌ من النِّيران: نارُ مُدامَةٍ ونارُ صَباباتٍ ونارُ وَقودِ

٩٦٦ ـ نار الشباب: أنشدني أبو الفتح البُسْتي لنفسه:

عليَّ بها لا كَنارِ الخليلِ فبردُ المُدامِ يزيدُ الفُتورا
ولكنْ كنارِ الشبابِ التي تُحيِّي النفوسَ وتُحيي السرورا
إذا شربَ المرءُ منها ثلاثاً رأى النارَ من فوقِ خدّيْهِ نُورا

٩٦٧ ـ نارُ الكَيّ: يُضرَب بها المثل للأمر يقدّر فيه الخير فيكون على الضدّ، وذلك أنّ رجلاً رأى دُخاناً فظنّه من نار الطبيخ فتَبِعه، فإذا هو من نار الكيِّ، كما قال ابن المعتزّ:

لا تَتبعَنْ كلّ دخانٍ تَرَى فالنّارُ قد تُوقَد للكَيِّ

٩٦٨ ـ نارُ الذُّبالة: يشبّه بها الحاسد الذي يضحَك لك[1] وهو يحترق حَسَداً عليك، كما قال ابن المعتز:

كم حاسِدٍ حَنِقٍ عليَّ بلا جُرْم فلمْ يَضْرُرْني الحَنَقُ
مُتضاحِكٍ نحوي كما ضحِكَتْ نارُ الذُّبالةِ وهي تحترِقُ

ويشبه بها أيضاً مَن ينفع غيرَه ويضرّ نفسَه، كما قال العبَّاس بنُ الأحنف:

أُحْرمُ منكُمْ بما أقولُ وقد نالَ به العاشقونَ مَن عَشقُوا[2]
صِرْتُ كأني ذُبالةٌ نُصِبَتْ تُضيءُ للنّاسِ وهْيَ تَحترِقُ

وقال:

وفَتيلةُ المصباح تَحرِقُ نفسَها وتُضيءُ للساري وأنت كَذاكا

ولأبي إسحاقَ الصَّابي من رسالة: أنت ناصِب نفسَك فيهمْ نَصْب الذُّبال الذي يُستضاء به وهو يَحترِق، والنَّد ينفع الناسَ وهو يَنمحق.

---

(١) ب: «تضحك إليه».
(٢) ديوانه: ١٩٧.

٩٦٩ ـ **قَبْسةُ العَجْلان**: يُضرَب بها المثل للمستعجل في الأمر، ويشبَّه بمن يدخل داراً ليقبِس ناراً فلا يَمكث فيها إلا ريثَما يقتبس، ثم يخرج، ومثلها: عجالة الراكب، قال الشاعر:

وزائـــــرٍ زارَ ومـــــا زارَا كـــأنّـــه مـــقـــتـــبِـــسٌ نـــارَا

٩٧٠ ـ **فَراش النار**: قد تقدم ذكرُها في باب الذباب والبَعوض وما جانسَهما. وفَراش النار ذُباب النار، قال النبي ﷺ: «كلّ ذُباب في النار إلا النحلة».

وحَكى الجاحظ عن أشياخه؛ أن ما خلق اللَّه من السِّباع والبهائم والحَشَرات والهَمَج قبيحُ المنظَر مؤلمٌ، أو حسَنُ المنظر مُلذّ، فما كان كالخيل والظِّباء والطواويس والتدارُج فإنه يلذُّ في الجنة، ويَلَذُّ أولياءُ اللَّه بالنظر إليه، وما كان قبيحاً مؤلمَ النظر جعله اللَّه عذاباً إلى أعدائه في النار، فإذا جاء في الأثر أن الذباب وغيرَه في النار فإنما يُراد به هذا المعنى. وذهب بعضُهم إلى أنها تكون في النار وتلَذّها كما أنّ خَزَنة النار والذين يتولون من الكفار التعذيبَ يلذون موضعهم من النار. وذهب بعضُهم إلى أن اللَّه تعالى يَطبَعُهم على استلذاذ النار والعيش بها، كما طبَع ديدان الخَلّ والثلج على أماكنها.

٩٧١ ـ **كلاب النار**: قد تقدم الكلام في كلاب النار، وهم الخوارج والنوائح على ما نطقتْ به الآثار، وقد يقال [للأنذال الأشرار][1]: إخوان الشر، ومَن جانَسَهم أيضاً: كِلاب النار.

٩٧٢ ـ سُرادِق النار: هو من الاستعارات في القرآن التي لا أفصحَ منها، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

وكان أبو الخطّاب الكاتب يوماً في سُرادق، فحَمِيتْ عليه الشمسُ ومنعتْه القَيْلولَة فقال:

مَن قائلٌ لعبيدِ اللَّه عن رجُلٍ[2] في صدرِه من بقايا شَوْقِه مِذَقُ
هل أنتَ مُنقِذُ نفسٍ من حُشاشَتِها بعضُ المنيّة مشدودٌ بها الرَّمَق!
إذ نحنُ في النَّارِ صَرْعَى قد أحاط بنا سرادقُ النارِ إلا أنّها حُرَقُ

---

(١) من ب.

(٢) ط: «وجل»، تحريف.

٩٧٣ ـ سعد النار: كان بالمدينة رجل يقال له: سعد النار، واتُّهِم سعد بنُ مصعب بن الزبير بامرأة، وكانت تحته ابنة حمزةَ بن عبد اللّه بن الزبير فقال فيه الأحْوص:

وليس بسعدِ النارِ مَن تذكرونَهُ ولكنَّ سعدَ النار سعدُ بنُ مُصعبِ
ألم ترَ أنّ القومَ ليلةَ جَمعِهمْ بغَوْه فألفَوْهُ لدى شرٍّ مَركَبِ
وما يَبتَغي بالشرّ لَا درَّ دَرُّه وفي بيته مِثلُ الغزال المُرَبْرَبِ؟

فدعا بالأحْوص وأمر به فأُوثِق، وأراد ضربَه، فقال الأحْوص: دَعْني ولا واللّه لا أهجو زُبيريًا قطّ، ثم قال له: واللّه إنّي ما لُمْتُكَ[1] على مَزْحِك، ولكنّي أنكرتُ قولك:

وفي بيتِه مِثلُ الغزالِ المُرَبرَبِ

٩٧٤ ـ نافخ ضَرَمَة: من أمثال العرب: ما بها نافخُ ضَرمَة، كما يُقال: ما بها دَيّار؛ والضّرمَة: ما أضرمت فيه النار كائناً ما كان. وفي حديث عليّ رضي اللّه عنه: «لوَدَّ معاوية أنه ما بقيَ من بني هاشم نافخُ ضَرَمة إلّا طعن في نِيطِه». والنِّيط: نياط القلب، وهو علاقته التي يتعلق بها، فإذا طُعِن في ذلك المكان فقد مات.

(١) ط: «سالمك».

في الشجر والنبات

نَخْلتا حُلوان، نخلة مريم، سَرْوة بُسْت، شجر الأُترجّ، شجر الخلاف، سِدرة المنتهَى، نسيم الرَّوْض، برد الورد، خدود الورد، عيون النرجس، دمع الكرم، شِقّ الأُبلُمَّة، طرف الثُّمام، نقيع الحنظل، فقع قَرقَر، خَرْط القَتاد، حَسَك السعدان، عصب السّلَمة، قلع الصّمغة.

الاسْتِشْهادُ

٩٧٥ ـ نَخْلتا حُلوان: كانتا بعَقبة حُلوان من غَرْس الأكاسرة؛ فضُرب بهما المثل في طول الصحبة وقِدَم المجاورة. وقد أكثر الشعراء من ذكرِهما، فمنهم مُطيع بنُ إياس حيث قال:

أسعِداني يا نخلَتَيْ حُلوانَ ... وابكيا لي من رَيْبِ هذا الزمانِ![1]
واعلما إنْ علِمتُما أنّ نحساً ... سوف يلقاكُما فتَفترِقانِ

قال حمّاد عجرد:

جعَل اللّهُ سِدرَتيْ قصرِ شِيرِيـ ... ـنَ فداءً لِنخلتيْ حُلوانِ![2]
جئتُ مستسعداً فما أسعَداني ... ومطيعٌ بكت له النَّخلتانِ

وأنشد الصُّولي لحمَّادِ بن إسحاقَ بن إبراهيمَ المَوصلّي:

أيُّها العاذلانِ لا تعذِلاني ... ودَعاني من البكاء دَعاني
وابكيا لي فإنني مَستحِقّ ... منكما للبُكاءِ أن تُسعِداني
وأنا منكما بذلك أَوْلَى ... مِنْ مطيع بنخلتيْ حُلوانِ
فهما يَجهلان ما كان يَشكو ... مِن جواهُ وأنتما تَعلَمَانِ!

ولما صار المهديُّ في شُخوصه إلى الريّ بعَقَبة حُلْوان استطاب الموضع،

---

(١) الأغاني ١٣/ ٢٦٥.
(٢) ياقوت ٣/ ٣٢٦.

فنزل به ونَشِط للشرب، فأنشد بيتيْ مطيع في نخلتيْ حُلوان، فتطيّر منهما وقال: لئن رجعت لأفرِّقنَّ بينهما، فبلغ قولُه المنصور، فكتب إليه: يا بنيّ، أقسمتُ عليك ألا تكون ذلك النحس الذي يلقاهما. ويقال: إنّ حُسنة جاريته هي التي قالت له هذا الكلام؛ فأَمسَك لهذا عن قَطْعِهما[١].

ويُروَى أن الرشيد في مسيره الأول إلى الرّيّ احتاج إلى الجُمّارِ لحرارةٍ ثارت به، فأخذ جُمّارَ إحدى النخلتين لدوائه فجفّت، ولم تَلبث صاحبتُها أن جفّت أيضاً وبطَلَتا جميعاً[٢].

٩٧٦ ـ **نخلة مريم**: من أمثالهم: أعظَمُ بركةً من نخلةِ مريم، وقصّتها معروفة، قال الشاعر:

ألم ترَ أن اللّهَ قالَ لمريم وهُزِّي إليكِ الجِذْعَ يسّاقطِ الرُّطَبُ
ولو شاء أن تَجنِيهِ من غيرِ هَزِّهِ جنَتْهُ ولكنْ كلُّ رِزْقٍ له سَبَبُ

٩٧٧ ـ **سَرْوة بُسْت**: كانت بقرية كَشْمير من رُسْتاق بُسْت نَيْسابور سَرْوة من السَّرو الضخم من غَرس يستاسف، لم يُرَ مثلُها طولاً وعرضاً واستواءً ونضارة، وكانت من مفاخر خرَاسان إذ لم يكن لها شبيهٌ في الحُسْن في الآفاق. وكان المَثَل يُضرَب بها في الحُسن والأعجوبة، وكانت ظِلالها فرسخاً، فجرى ذكرُها غيرَ مرّة في مجلس المتوكّل، فأحبّ أن يراها، وحين لم يُقَدَّر له النهوض إلى خُراسان كتب إلى طاهر بنِ عبد اللّه يأمره بقطعها، وبعْث أقطاع جِذْعها وأغصانها كلّها في اللبود وحملها على الجِمال إلى الحضرة لينصبها النجارون بين يديه حتى لا يَفقِد منها أوراقها؛ فأشارَ عليه جلساؤه بالإضراب عنها، وخوّفوه عاقبةَ أمرها، وأخبَروه بما في قطعها من الطِّيَرة، فكأنهم أغرَوْه بها، ولم ينفع السروة شفاعةُ الشّافعين، ولم يَجد طاهر بُداً من امتثال الأمر فيها، وأنفَذَ النجارين لقطعها، والجِمَال لحَملِها.

ويُحكَى أن أهل الرستاق ضَمِنوا لطاهرٍ مالاً جزيلاً على إعفائها من القطع، فأبى وقال: لو ضمِنتم مكان كل درهم ديناراً لم أقدِر على مخالفة أمْر أمير المؤمنين. ولما قُطعتْ عظُمت المصيبةُ بها على أهل الناحية، وارتفعتْ ضجّاتهم بالبُكاء عليها، وقالت شعراؤهم في رثائها، ثم عُبّئَت في اللبود وحُمِلت على

(١) الأغاني ١٣/ ٣٣٣.
(٢) الأغاني: ١٣/ ٣٣٢.

ثلاثمائة جَمل إلى الحضرة؛ فتفاءل بها عليُّ بنُ الجَهْم على المتوكل فقال:

فَألٌ سَرَى بسبيلِه المتوكِّلُ   فالسَّرْوُ يَسري والمنَّيةُ تَنزِلُ[1]

ما سُرْبِلَتْ إلا لأن إمامَنا   بالسيفِ من أولادِه مُتسرْبِلُ

فجرى الأمرُ على ما تفاءل به، وقُتِل المتوكِّل قبل وصول السَّرْوة إلى حضرته؛ وتَذاكر الناسُ البيتين بعد قتلِه.

٩٧٨ ـ **شجرة الأُتْرُجّ**: تُضرَب مثلاً لمن طاب أصلُه وفرعُه وكلّ شيء منه، وأوّل مَن شَبَّه به الممدوحَ ابنُ الرومي فقال وأحسن:

كلُّ الخِلال التي فيكم محاسِنُكُمْ   تَشابَهَتْ منكُمُ الأخلاقُ والخِلَقُ

كأنَّكُمْ شجرُ الأتْرُجِّ طابَ معاً   حَمْلاً ونَوْراً وطاب الطّعمُ والوَرق

وقال بديعُ الزمان الهَمَذانيّ:

فإن يكنْ شجرُ الأُترجِّ طابَ معاً   حمْلا ونَوْرا وطاب العُود والوَرَقُ

فإنّ لونَ عَسيبِ الكلبِ خَسَّ معاً   قَدّاً وقدراً وخسَّ اللحم والمَرَقُ

٩٧٩ ـ **شجر الخِلاف**: يشبَّه ما يَروق منظرُه ولا يَحصُل ثمره، قال ابن الرومي:

فغَدا كالخِلاف يُورِقُ للعَيْـ   ـنِ ويأبَى الإثمارَ كلَّ الإِباءِ

وحلّه من قال: فنظرك في الخِلاف، كَشَجر الخِلاف، يُزهِر للعين، ولا يُثمِر في اليدين. وقصَد ابن لَنْكَك هذا المعنى فنقلَه إلى السرور حيث قال:

في شجر السَّرْوِ منهمُ مَثَلٌ   لَه رواءٌ ومالَه ثَمَرُ

٩٨٠ ـ **سِدرة المنتَهى**: قال اللّه جل ذِكره: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣، ١٤]، فجعلها النهاية في محل القرب والكرامة.

وتمثّل بها الصاحب بحضرة عضد الدولة فقال: حضرةٌ هي الغاية القُصْوَى من المجد، وسِدْرة المنتَهى بين أهل الأرض.

٩٨١ ـ **نسيم الرّوض**: مِن أحسن ما قيل فيه على كثرتِه قولُ البحتريّ:

يذكِّرُنيك والذكرى عَناءٌ   مَشابِهُ فيكَ طيّبةُ الشُّكولِ[2]

---

(١) ديوانه: ١٦٧.

(٢) ديوانه: ٢/ ١٦٠.

نَسيمُ الرّوْضِ من ريحِ شَمالٍ وصَوْبُ المُزن من راحِ شَمُولِ

وهو القائل نَثْراً أيضاً ـ وحكاه الصاحب عنه فقال: أنا أستحسن قول البحتريّ: الشُكر نسيم النِّعم.

٩٨٢ ـ **بَرد الوَرْد**: يُقال للبَرْد المستطاب: بَرْد الوَرْد، وهو بَرْد الربيع كما يُقال للبَرْد الكَريه برد العَجوز، وشتّان ما بينهما! ويُقال: إنّ بَرْد الربيع مُورِق، وبرْد الخريف مُوبِق.

٩٨٣ ـ **خدود الوَرْد**: لمَّا شُبّهتِ الخدودُ المستحسَنة بالورْد استُعيرتْ له الخدود، كما قال ابن الرومي:

خجِلَتْ غصونُ الورد من تقبيلِها خَجَلاً تَورُّدُها عليه شاهِدُ

ومن أحسن ما قيل في ذلك قولُ محمد بن موسى الحدادي البَلْخيّ:

ما بالُ فُرقةِ شملِنا لا تجمَعُ[(١)] وإلى متى يصلُ الزمانُ ويَقطَعُ!
كم خلّفَتْ تلك الرِّكابُ وراءها مِن منزِل فيه لنا مُستمتَعُ
فالوَردُ يَلطِم خدَّه والجُلَّنا رُعيونُ نرجِسِهِ علينا تدمَعُ

٩٨٤ ـ **عيون النَّرجس**: تشبيه العيون بالنرجس معروف مشهور واستعارة العيون له كذلك، قال ابن المعتز:

كأنّ عيونَ النرجسِ الغضّ حولَنا مَداهِنُ دُرٍّ حشوُهُنّ عقيقُ

وقال الصنوبري:

أرأيتَ أحسنَ من عيون النرجسِ أم مَنْ تلاحظُهُنَّ وسْطَ المجلسِ!
دُرٌّ تَشقَّقَ عن يواقيتٍ على قُضُبِ الزّبرجدِ فوقَ بُسْط السُّندسِ

٩٨٥ ـ **دَمْع الكرْم**: يشبّه به كل شيء دقيق[(٢)] لطيف. ومن أحسن ما قيل في ذلك قول ابن المعتز:

بكيتُك حتى قيل قد أَلِف البُكا ونُحتُكَ حتى قيلَ إلفُ حَنِينِ
ورقّتْ دموعُ العينِ حتى كأنّها دموعُ كُرومٍ لا دُموعُ جفونِ

---

(١) ط: «فرقد «شملنا»، تحريف.
(٢) ط: «رقيق».

فأخذه الصّابي وزاده حيث يقول:

وكأنّ ما في العَين من كأسِي جرَى   وكأنّ ما في الكأس من أجفانِي

٩٨٦ ــ **شِقُّ الأبُلُمَّة**: من أمثال العرب قولُهم: المال بيني وبينك شق الأبُلُمَّة؛ والأُبلمَة بالضم والكسر، لأن الأبلمة إذا شققتها طولا انشقت نصفين سواء من أولها إلى آخرها. وعن ابن الأعرابي أنها بقلة تَخرج لها قرون كالباقلَّاء وليس لها أرُومة، وليس شيء أبلغ في التنصيف منها، ولذلك قال أبو بكر الصدّيق رضي اللّه عنه للأنصار رضي اللّه عنهم يومَ السّقيفة، الأمر بيننا وبينكم شِقّ الأبلمة؛ فنحن الخلفاء وأنتم الوزراء. وكان ذلك جواباً عن قولهم: منّا أمير ومنكم أمير.

٩٨٧ ــ **طرف الثُّمام**: يُضرَب مثلاً لتسهيل الحاجة وقرب تَناولها، فيُقال: على طَرف الثمام، لأنّ الثمام شجر لا يطول فيَشقّ على مُتناوِله.

٩٨٨ ــ **نَقيع الحنظل**: يُضرب مثلاً لما يوصف بالمرارة والكراهة؛ لأنّ الحنظل أمَرّ شيء وأكرهه، قال عنترة:

والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنّما   سُقِيَتْ سَوابقُها نقيعَ الحنظلِ

وكان سُفيان بنُ عيينةَ يتمثل في ذمّ الدنيا بهذين البيتين:

دنيا تُساقُ لها العبادُ ذميمةٌ   شِيبتْ بأكْرَهَ مِن نَقيعِ الحنظلِ

وبناتُ دهرٍ لا تَزال صُروفُه   فيها وقائعُ مِثلُ وَقْعِ الجَنْدَلِ

٩٨٩ ــ **فَقْع قَرْقَر**: يُضرب بها المثل للذليل الضعيف الذي لا امتناعَ به على من يضيمه، والفَقْع تَخينُ الكَمْأة، وهو أبيض ضخمٌ سريعُ الفساد قليلُ الصبر على الحياة، يقال: أذَلّ من فَقْع بقاعِ قَرْقَر، قال النابغة في النعمان:

حدِّثوني بني السَّقيفةِ ما يَمـ   ـنعُ فَقْعاً بقَرقَرٍ أن يزولَا(١)

وقال آخر:

ولا تحسَبَنِّي فَقْعَ قاعٍ بقَرقَرِ

٩٩٠ ــ **خَرط القَتاد**: من أمثال العرب في الأمر دونه مانِع قولهم: مِن دُون ذلك خَرْط القتاد، لأن شوك القَتاد مانع من خَرْطِ ورقِه، وشَوْك القتاد

---

(١) ملحق ديوانه: ١٠٥ (نشرة أدهم)، وفي ط: «لن يزولا»، وصوابه في ب والديوان.

مضروب به المثَل في الخُشونة والشدة، كما قال أبو تمام:

نَـشَـا خَـبَـرٍ كـأنّ الـقـلـبَ أمـسَـى ... يُـجَـرُّ بـه عـلـى شَـوْكِ الـقَـتـادِ[١]

وخطبَ عليّ رضي اللّه عنه يوما وحثّ على الجهاد، فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين، أنا وأخي كما قال اللّه تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ [المائدة: ٢٥]، فمُرنا بأمرك؛ فواللّه لننتهيَنّ إليه ولو حال بيننا وبينه شَوكُ القَتاد. فدعا لهما بخير[٢].

وفي خَرْط القَتاد يقول كعبُ بن جُعَيل شاعرُ معاوية:

أرَى الـشَّـامَ تَـكـره أهـلَ الـعـراقِ ... وأهـلُ الـعـراق لـهـمْ كـارهـيـنـا[٣]

وكُـلٌّ لـصـاحـبِـهِ مُـبْـغِـضٌ ... يَـرَى كـلَّ مـا كـانَ مـن ذاك دِيـنَـا

وقـالـوا عـلـيٌّ إمـامٌ لـنـا ... فـقـلـنـا رضـيـنـا ابـنَ هـنـدٍ رَضـيـنـا

ومـن دُون ذلـك خَـرْطُ الـقَـتـادِ ... وضَـرْبٌ وطـعـنٌ يُـفـيـضُ الـشـئُـونـا

٩٩١ ـ حَسَك السَّعْدان: يُضرب به المثل في الخُشونة، كما قال أبو بكر الصدّيق رضي اللّه عنه في كلام له عند موته: واللّهِ لتَتَخِذُنّ نَضائدَ الدِّيباج وشِقق الحرير، ولتَألَمُنَّ النوم على الصوف [الأذربيّ][٤]، كما يألَم أحدُكم النومَ على شَوْك السَّعْدان[٥].

٩٩٢ ـ عَصْب السَّلَمة: السَّلَمة شجرة إذا أرادوا قطعها عَصَبوا أغصانَها عَصبا شديداً حتى يَصِلوا إلى أصلها فيَقطعوه.

ومن أمثال العرب في الإلحاح على سؤال البخيل وإن كرهَه: عَصَبه عَصْبَ السَّلَمة، أي فعَل به كما يُفعلُ بالسَّلَمة في الإلحاح والتضييق عليها.

وقد رَووا هذا المثلَ عن الحجّاج في خُطبته لأهل العراق فيما كان يتوعدهم به من الشدة[٦]؛ إلا أنه لم يُرد استخراجَ المال، وإنما أخذَهم بالتشديد عليهم في إلزامهم الطاعة.

---

(١) ديوانه ١/ ٣٧٩.

(٢) الكامل للمبرد ١/ ٢١.

(٣) الكامل ١/ ٣٢٦.

(٤) من ب والكامل.

(٥) الكامل للمبرد ١/ ٧.

(٦) هو قوله من خطبة: «لأحزمنكم حزم السلمة» والخطبة في الكامل ١/ ٣١١.

٩٩٣ ـ قَلْع الصّمغة: يُضرَب مثلاً في الاستئصال، لأن الصمغ إذا قُلِع انقَلَع كلُّه؛ ولم يبقَ له أثر، وكذلك يُقال: تركتُهم على مِثل الصّمغة إذا لم يَبقَ لهم شيء إلّا ذهب.

ويُروَى أن الحجّاج قال يوماً لأنسِ بنِ مالك رضي اللّه عنه: واللّه لأقلَعَنّكَ قَلْع الصَّمْغة، ولأعصبِنّك عَصْب السَّلَمة.

ومِثلُه قول العامة: كَسَره كسرَ الجوزِ، وقَشَره قَشْرَ اللوز، وأكَلَه أكلَ المَوْز.

في اللباسِ والثِّياب

دِيباجَةُ الوَجْه، بُرْد الشباب، بُرود تَزيد، رِداء العِزّ، قميص الشمس، سراويلُ قَيس، طَيْلَسان ابن حَرْب، قطيفة المساكين، كِساء آلِ محمد، شِعار الصالحين، حُلّة الأمن، خُفَّا حُنَين، صفّ النعال، رِيحُ الجوْرب.

٩٩٤ ـ دِيباجة الوَجْه: الدِّيباجة تُستعار للوجه في الوصف بالحُسن، وفي الوصف بوُفور الحياء والماء، فأما عن الوصف بالحُسن فكما قال أبو صَخْر الهُذَليّ؛ ووصفَ امرأةً في الغَزَل والنسيب بما يُمدَح به سادةُ الرجال:

أبى القلبُ إلا حُبَّها عامريةً ... لها كُنْيةٌ عَمرو وليس لها عَمْرُو[1]
ووجهٌ له دِيباجةٌ قُرشيةٌ ... بها تُدفَعُ البلوى ويُستنزَلُ النصرُ
تَكَادُ يدي تَندَى إذا ما لمستُها ... ويَنْبُتُ في أطرافها الوَرَقُ الخُضْرُ

وكما قال الكُميت:

أغَرُّ كالبدرِ يُستسقَى الغمامُ به ... كأنّ دِيباجَتَيْ خدَّيْهِ مِن ذَهَبِ

وكما قال البحتري:

وأخضرُ مَوْشِيُّ البُرود وقد بَدَا ... منهُنّ ديباجُ الخدودِ المُذَهَّبُ[2]

وكما قال ابن المعتز:

وما لي أرى دِيباجَ وجهِك أصفَراً ... ونرجِسَتَيْ عينَيْك ذابِلَتَيْنِ

وأما عند الوصف بالحياء والماء فكما قال أبو تمام:

وطولُ مقام المرءِ في الحيِّ مُخلِقٌ ... لدِيباجَتيْهِ فاغترِبْ تتجدّدِ[3]

وكما قال أبو الفتح البُسْتيّ:

منزِلتي يَحفظُها مَنزِلي ... وباحَتِي تحفظُ ديباجَتي

---

(١) أمالي القالي ١/ ١٤٨.
(٢) ديوانه: ١/ ٦٢.
(٣) ديوانه: ٢/ ٣٢.

٩٩٥ ـ بُرْد الشباب: قد أكثروا من هذه الاستعارة، ومن أحسن ما سمعتُ فيها ما أنشدَنيه الأمير السيد أدام اللَّه تأييدَه لابن الرومي في عُبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر:

أيا بُرْد الشباب وكنتَ عندي … من الحَسَناتِ والقِسَمِ الرِّغابِ
لبِستُك بُرهةً لُبْس ابتذالٍ … على عِلمي بفضلِك في الشبابِ
ولو مُلِّكْتُ صَوْنَك فاعلَمَنْهُ … لَصُنْتُك في الجديدِ من العِيابِ[1]
ولم ألبَسْكَ إلا يومَ فخرٍ … ويَومَ زيارةِ المَلِك المُهابِ

وما أحسنَ ما قال ابن طَباطَبا:

يا طيبَ ليلٍ خلوتُ فيه بمَنْ … أقصَرَ عن وصفِ كُنْهِهِ وجدِي بِهْ
ليلٍ كبُرْدِ الشبابِ حالِكُهُ … نَعِمْتُ في ظِلِّه وفي طِينِهْ

وفي المثَل: أحسنُ من بُرْد الشباب، وأطيَب من بُرد الشباب.

٩٩٦ ـ بُرودُ تزيد: يُضرب بها المثل كما يضرب ببُرود اليَمَن، والعرب تَنسُب البُرودَ الفاخرة إلى تزيدَ، وتَزعم أنها قبيلة للجنّ؛ كما قال أبو تمام يصف شعره:

كشقيقةِ البُرْدِ المسهَّمِ وَشيُهُ … في أرضِ مَهْرةَ أو بلادِ تَزيدِ[2]

وقال الصاحب:

تَزِيدُ على أبرادِ آلِ تَزِيدِ

٩٩٧ ـ رداء العزّ: قد أحسن البحتريّ في قوله وأجراه مجرَى المثَل السائر:

أصاب الدهرُ دولةَ آلِ وهبٍ … ونالَ الليلُ منها والنهارُ
أعارَهُمُ رِداءَ العزِّ حتى … تَقاضاهُمْ فَردُّوا ما استعاروا

وللشعراء استعاراتٌ في الرداء في نهاية الحُسن، كقولهم: رِداء الشمس، ورِداء الشباب، ورِداء الفُتوّة، ورِداء النور، ورِداء الجَمال، ورِداء اللهو؛ وغيرها، قال طَرفة:

ووجهٍ كأنّ الشمسَ ألقَتْ رداءَها … عليه نقيَّ اللونِ لم يتخدَّدِ

---

(١) ط: «الثياب».

(٢) ديوانه: ١/ ٤٠٤.

ولما أنشد النَّمَري الرشيدَ قصيدتَه التي أوّلها:

ما تَنقضي حسرةٌ مني ولا جَزَعُ ... إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
ما كُنتُ أُوفِي شَبابي كُنْهَ عِزّتِهِ ... حتى انقَضى فإذا الدنيا له تَبَعُ

فبكى الرشيد وقال: ما خيرُ دُنيا لا يُحظَى فيها برِداء الشباب! وقال البحتري:

خَلِّياهُ وجِدّةَ اللهوِ ما دا ... مَ رِداءُ الشَّبابِ غضّاً جديدا
إنَّ أيامَهُ من البِيضِ بِيضٌ ... ما رأيْنَ المَفارقَ السُّودَ سُودا

وقال أيضاً:

رِقَّةُ النَّوْر واهتزازُ القضيبِ ... خبَّرا منك من أغرٍّ نَجيبِ
في رداءٍ من الفتوّةِ فَضْفا ... ضٍ وعَهدٍ من التصابي قريبِ

وقال ابن المعتزّ:

خليليّ اتركا قولَ النصيحِ ... وقُوما فامزُجا راحاً بِريحِ
فقد نَشَرَ الصَّباحُ رِداءَ نُورٍ ... وَهبّتْ للنَّدى أنفاسُ رِيحِ

وقال نصرُ الخبز أرزيّ:

نسيمُ عَبيرٍ في غِلالةِ ماءِ ... وتمثالُ نُورٍ في أديمِ هواءِ
تَسرْبلَ سِربالاً من الحُسنِ وارتدَى ... رِداءَيْ جمالٍ طُرِّزا ببَهَاءِ

وقال الصنَوْبَريّ:

أَلقَتْ رداءَ اللهوِ عن عاتِقي ... خمسٌ وخَمسون مضَت واثنتَانْ

ولمَّا قالت امرأة خالدِ بنِ صفوان له: إنك لجميل، قال: كيف وما عليّ بُرنُس الجمال ولا عَمودُه ولا رِداؤه! ولكنْ قُولي: إِنك لمليح؛ يعني ببُرْنس الجمال الشعر، وبعَمودِه القَدّ، وبردائه البَياض.

٩٩٨ ـ قميص الشمس: قد تصرفوا في استعارة القميص، كما تصرفوا في استعارة الرداء، ولم أسمعْ في استعارة الشمس للقميص أحسنَ من قول الحسن بنِ وَهْبٍ نَثْرا: شربتُ البارحةَ على وجهِ السماء، وعِقْد الثُّريا، ونطاق الجَوْزاء، فلما انتبهَ الصبح نِمْتُ، فلم أستيقِظْ إلا بعد أن لبستُ قميصَ الشمس. ولم أسمَعْ في قميصِ الليل كقولِ ابن المعتزّ:

وجاءني في قميصِ الليلِ مستتِراً ... يَستعجِلُ الخَطْوَ من خوفٍ ومن حذَرِ[1]

(١) ديوانه: ١/ ٧٧.

وقوله:

فلو تَرانا في قميصِ الدُّجَى ... حَسِبْتَنا في جسدٍ واحدِ

وقوله:

لبِسْنا إلى الخمّار والنجمُ غائرٌ ... غِلالةَ ليلٍ طُرِّزتْ بِصَباحِ

وأما قولُ ابنِ عَروس:

خَفِّضْ عليكَ فلو كَساكَ قَميصَهُ ... تَمّوزُ كنتَ فتًى وحقِّكَ بارِدا

فهو كما تراه في حُسن السبك وجودة الاستعارة.

وأنا أستملح قولَ الصَّنَوبَري:

نشرتْ على تِلكَ الثّرَى حُلَلٌ ... مما يَحُوكُ الرَّعدُ والبَرْقُ
قُمصانُ خِيريٍّ ملوَّنةٌ ... وغَلائلٌ من سُندسٍ زُرْقُ

٩٩٩ ـ سَرَاويلُ قيس: يُضرَب مثلاً لثوب الرجل الضخم الطويل. وكان قيصر بعث إلى معاوية رضي اللّه عنه بِعلْجٍ من عُلوج الروم طويل جسيم، معجب بكمال خلقته، وامتدادِ قامته؛ فعلم معاويةٌ أنه ليس لمطاولته ومقاومته إلّا قيس بن سعد بن عُبادة، فإنه كان أجسمَ الناس وأطوَلَهم، فقال له يوماً وعنده العِلْج: إذا أتيتَ رَحْلك فابعث إليّ بسراويلك: فعَلِم قيس مُرادَه، فنَزَعها ورَمى بها إلى العِلْج والناس ينظرون، فلَبسها العِلج فطالت إلى صدره[1]، فعجب الناس، فأطرَق الرومي مغلوباً، ولِيَم قيسٌ على البذْل بحضرة معاوية، فأنشد يقول:

أردتُ لكَيْما يعلَمَ الناسُ أنها ... سَراويلُ قيسٍ والوُفودُ شُهودُ
وألا يقولوا غابَ قيسٌ وهٰذه ... سراويلُ عاديٍّ نَمَتْه ثَمودُ
وإنِّي من القوم اليَمانِينَ سيّدٌ ... وجِسمٌ بِه أعلو الرجالَ مَديدُ
وبزَّ جميعَ الناسِ أصلي ومنصبي ... وجسمٌ به أعلو الرجالَ مديدُ

١٠٠٠ ـ طَيْلَسان ابنِ حَرب: كان محمد بنُ حَرْب أهدَى إلى الحمدوني طيلساناً خلَقاً، وكان الحمدوني يَحفظ قولَ أبي حُمرانَ السُّلَمي في طَيْلسانه، وهو:

يا طَيْلسانَ أبي حُمرانَ قد بَرِمَتْ ... بك الحياةُ فما تلتذُّ بالعُمُرِ

---

(١) ط: «تنذؤته».

فـي كـلِّ يـوم لـه رَفـا يُـجـدِّدُه هـيـهاتَ يَـنـفَـعُ تـجـديـدٌ مع الـكِـبَـرِ
إذا ارتـداه لـعـيـدٍ أو لـجُـمـعـتِـهِ تـنـكَّـبَ الـنـاسَ لا يَـبـلَـى مـن الـنَّـظَـرِ

فاحتَذَى حَذْوه وانثالتْ عليه المَعاني، حتى قال في وَصْف الطِّيْلَسانِ قُرابة مائتيْ مقطوعة، ولا تخلو واحدةٌ منها من معنًى بديع، وصار الطّيلسان عرضةَ لشِعره، ومثَلا في البلى والخُلوقة والانخراط في سِلْك حِمارِ طيّاب وشاةِ سعيد، وضَرْطة وهب، وأير أبي حكيمة المتقدم ذكرُ كل منها، فمن نوادر ما قال فيه مقتبساً من القرآن:

يـا بـنَ حـربٍ كـسـوتَـنـي طـيـلـسـانـاً أمـرضَـتْـهُ الأوجـاعُ فـهـو سَـقـيـمُ
وإذا مـا رفْـوتُـهُ قـال سُـبْـحَـا نَـكَ مُـحـيـي الـعـظـامِ وهـي رَمِـيـمُ!

وقوله:

طـيـلـسـانٌ لـو كـان لَـفْـظـاً إذاً مـا شَـكَّ إنـسـانٌ انـه بُـهـتـانُ
فـهـو كـالـطُّـورِ إذْ تـجـلّـى لـه الـلـ ـهُ فـدُكَّـتْ قُـواهُ والأركـانُ
كـم رفَـوْنـاهُ إذ تَـمـزَّق حـتـى بـقـيَ الـرَّفْـوُ وانـقَـضَـى الـطَّـيْـلَـسـانُ

وقوله:

فِـيـمَ كَـسـانِـيـه ابـنُ حـربٍ مُـعـتَـبـرْ فـانـظُـرْ إلـيـه إنـه إحـدى الـكُـبَـرْ
قـد كـان أبـيـضَ ثـم مـا زِلـنـا بـه نَـرفُـوهُ حـتـى اسـودّ مـن صَـدَأ الإبَـرْ

وقوله:

يـا بـنَ حـرب أطـلْـتَ فَـقْـري بـرفْـوي طَـيْـلـسـانـاً قـد كـنـتَ عـنـه غَـنِـيّـا
فـهـوَ فـي الـرَّفْـو آلُ فـرعـونَ فـي الـعَـرْ ضِ عـلـى الـنَّـارِ بُـكـرةً وعَـشِـيّـا

ومما اقتبسه من قول النبي ﷺ قوله:

وطَـيْـلـسـانٍ إنْ تـأمّـلْـتَـهُ شـقَّـقْـتَـهُ بـالـطـول والـعَـرضِ
لـو أنـه بـعـضُ بـنـي آدمٍ كـان أسـيـرَ الـلّـهِ فـي الأرضِ

لأن في الخَبَر: «إن العبد إذا بلغ تِسعينَ سنةً كُتبتْ له الحسنات، وكُفِّرت عنه السيئات، وسُمّيَ أسيرَ اللّه في الأرض».

ومن مُلَح مضمَّنات الحَمْدونيّ قولُه:

كـسـانـي ابـنُ حـرب طَـيْـلـسـانـاً كـأنّـه فـتًـى عـاشـقٌ بـالٍ مـن الـوَجْـد كـالـشَّـنِّ

يغنّي لإبراهيمَ حين لبسْتُهُ ... ذهبتُ من الدنيا وما ذهبتْ منّي

وقوله:

يا طيْلسانَ ابن حربٍ قد هَمَمْتُ بما ... يُودي بجِسمي كما أَودَى بكَ الزَّمنُ
فقد تَراني لدَى الرَّفَّاء مرتبطاً ... كأنني في يديْه الدَّهرَ مُرتَهَنُ
غَنِيتُ حين رآني الناسُ ألزَمُهُ ... كأنما ليَ في حانوتِه وَطنُ
مَن كان يَسأل عنا أين منزلُنا ... فالأُقْحوانةُ منّا منزِلٌ قَمَنُ

وقوله أيضاً:

قلْ لابن حربٍ طَيْلسانُك قد ... أوهَى قُوايَ بكثرة الغُرَمِ
مُتَبَيّنٌ فيه لِمُبصِرِه ... آثارَ رَفْوِ أوائلِ الأممِ
فكأنه الخَمْرُ التي وُصفتْ ... في «يا شقيقَ الرُّوحِ من حَكَمِ»
وإذا رَمَمْناهُ وقيل لنا ... قد صحَّ قال له البِلى انهَدِمِ
مثلَ السَّقيم بَرَا فراجعَه ... نِكْسٌ وأسلَمَه إلى السَّقَمِ
أنشَدْتُ حين طغَى فأعجزَني ... ومن العَناءِ رياضةُ الهَرِمِ

ومن بدائع معانيه قوله:

يا بنَ حربٍ كسوتَني طيلساناً ... مَلَّ من صَحبةِ الزمان وصَدّا
طالَ تَردادُه إلى الرَّفْو حتى ... لو بَعثْناه وحدَه لتَهدَّى

والشك في أن ابنَ الرومي تعقبه، فقال على لسانه ما لا يَقصُر عن إبداعِه كقوله:

يا بنَ حرْبٍ كسوتَني طَيْلساناً ... يُزرَع الرَّفْوُ فيه وهو سِباخُ
نسرُ دَهرٍ كَنَسْرِ لُقمانَ والنّسـ ... ـرانِ إنْ قِسْتَها إليه فِراخُ
مات رَفّاؤه وماتَ بَنوه ... وبدا الشيبُ في بنيهم وشاخوا
تستطيرُ الشُّقوقُ طُولاً وعَرْضاً ... فيه حتى كأنهنّ رخاخُ

وضرب ابنُ سُكّرة المثَل بطيْلَسان ابنِ حَرْب فقال يهجو أبا الطيب المتنبي من قصيدة:

هاجتْ بَلابلُ قلبي ... وقامَ شِعْرِي يُلَبّي

لــمــا تَــبــدَّى لــعَــيــنــي فــي زيِّــهِ الــمُــتــنــبِّــي
طــوبَــى لــمــالــكٍ لــو أنــه أُعِــيــنَ بــلُــبٌ
يــا لــيــتَ خِــضْــبَــك عــنــدي وحــلَّ عــنــدَكَ جَــذْبــي
حــتــى أراكَ مُــرَدَّى بــطَــيْــلــســانِ ابــنِ حَــرْبِ

١٠٠١ ـ **كساء آل محمد**: الذي يضافون إليه فيقال: آل الكِساء كما قال ديك الجن في قوله:

والخمسةُ الغُرُّ أصحابُ الكِساء معاً خيرُ البرية من عُجْمٍ ومن عَرَبِ

وكما قال أبو عُثمانَ الخالديّ:

أعــاذِلُ إنّ كــســاءَ الــتُّــقَــى كَــســانِــيــهِ حُــبّــي لأهــلِ الــكِــســاءِ

ومن ظريف التمثيل به قولُ أبي عليّ البصير لمن وَعَده كِساءً فأَخلَف:

غَـزَلَ الـكـسـاءَ تُـرَى مَـنِ الـنَّـسّـاجُ مَـنْ وبـأرضِ عَـمّـانٍ تَـطـرّزَ أَمْ عَـدَنْ
ولأيِّ وقـتٍ بـعـد ريـحِ قُـرَّةٍ هَـبَّـتْ وأمـطـارٌ ألـحّـتْ يُـخـتـزنْ
هـبْـهُ الـكِـسـاءَ كِـسـاءَ آلِ مـحـمَّـدٍ هـل مـطْـلُـنـا هـذا الـطـويـلُ بـه حَـسَـنْ!

ومن قصة هذا الكساء ما رَوَتْ الرُّواة من أنّ وفداً بنَجْرانَ من النصارى قَدِموا على النبي ﷺ، فكان ما جرى بينهم وبينه أن قال: يا محمَّد، لِمَ تعيبُ عيسى وتسمِّيه عَبْداً؟ فقال: أجلْ، عبدُ اللّه ورسولُه وروحُه، وكلمتُه ألقاهاإلى مريم، قالوا: فأَرِنا مِثلَه يُحيي الموتى، ويُبرِىء الأكْمَه والأبرص، ويخلُق من الطين كهيئة الطير، وبايِعْنا على أنه ابنُ اللّه، ونحن نبايعُك على أنك رسول اللّه، فقال رسول اللّه ﷺ: معاذ اللّه أن يكون للّه ولد أو شريك! فما زالوا يحاجّونه ويُلاحُونه حتى أنـزل الـلّـه: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]؛ فعَرض عليهم المُباهلة، وهي المُلاعَنة، فتواعَدوا لها، وجَمَع إليه ﷺ عليًا وفاطمةَ والحسنَ والحُسين رضي اللّه عنهم، ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ويُروَى أنّ جبريلَ عليه السلام انضمَّ إليهم واندَسَّ فيهم تقرّباً إلى اللّه تعالى بمداخلتهم، فعَدل النصارى عن المباهَلة؛ وقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل لا يَخلُو من أحد أمرَيْن: إما أن يكون نبياً أو مَلَكاً، فإن كان نبياً فإن اللّه لا يُخالفه

فينا، وإن كان ملَكاً فليس إلا استخفافاً بنا، والرأي أن نُصالحَه ونَعرِض عن مباهَلَته؛ فَجنحوا إلى مسالمته على ألّا يغزُوَهم النبي ﷺ، ولا يردّهم عن دينهم؛ وعلى أن يؤدُّوا إليه في كلِّ عام ألفَ حُلّة نَجرانيَّة، وثلاثين دِرْعاً عاديَّة. وصالحَهم النبيُّ ﷺ وقال: لو باهَلوني لما حال الحوْلُ على واحد منهم ولأهلَك اللّه الكاذبين؛ فمن ذلك الوقت سُمِّيَ الخمسة أصحاب الكِساء وسادِسهم جبريلُ عليه السلام، وفيهم قيل: أفضلُ مَن تحت الفَلك، خمسةُ رُهْطٍ ومَلَك.

١٠٠٢ ـ **قطيفةُ المساكين**: هي الشمس يسميها فقراء العرب في الشتاء: قطيفة المساكين، وفيها يقول قائلهم:

يا شمسُ يا قَطيفةَ المساكينْ ... قرَّبَكِ اللَّهُ كما تَعودِينْ

١٠٠٣ ـ **شعار الصَّالحين**: في كِتاب الكُنَى[1] لمؤلف هذا الكتاب: لبِس فلانٌ شِعارَ الصالحينِ، إذا افتقَر، لأن في الخبر: «الفقْر شِعار الصالِحين».

١٠٠٤ ـ **حُلّة الأمْن**: قد استعار الناثرون للأَمْن حُلّة، ولم أسمَع بمن ضَمَّن ذلك قولَه من الشعراء إلا ابن الرومي حيث قال:

أتنسين أياماً لنا ولياليا ... محاسِنُها كالرَّوض في صُبْحَةِ الدَّجْنِ
عهودٌ مضتْ محمودةٌ فكأنها ... مُعانَقةُ اللَّذاتِ في حُلّة الأمْنِ

١٠٠٥ ـ **خُفّا حُنَين**: من أمثال العرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخَيبة: رجع فلان بخُفَّيّ حُنَين. وكان حُنينٌ رجلاً إسكافاً من أهل الحيرة، فساوَمَهُ أعرابيّ بخُفّين، فاختلفَا حتى أغضبَه الأعرابي، وأراد حُنين غيظَ الأعرابي، فلما ارتحل أخذَ أحد خُفّيه، فطَرَحه، ثم ألقى الآخر في مكان آخر، فلما مرّ الأعرابيّ بأحدهما قال: ما أشبَه هذا الخفّ بخُفّيْ حُنين! ولو معه الآخرُ لأخذتُه، ومَضَى فلمَّا انتهَى إلى الآخرِ ندِم على تركه الأول، فأناخَ راحلتَه ورجعَ في طلَب الأوّل، وقد كان حُنين كمِنَ له، فعَمَد إلى راحلته وما عليها فذهبَ بها وأقبَل الأعرابيُّ وليس معه إلّا خُفّان: فقال له قومه: ماذا جئتَ به من سَفَرك؟ قال: جئتُكم بخُفَّيْ حُنَين، فذهبتْ كلمته مثلاً. ويقال: جاء فلانٌ بخُفَّيّ حُنين[2]، وخُصْيَيْ دُكَيْن وسُخنة عيْن، ودُكَيْن اسمُ خادمٍ خَصِيّ.

---

(١) الكنايات: ٤٤.
(٢) الميداني ١/٢٩٦.

وأنشَدَ أبو الفتح البُسْتي لنفسه:

أُكتَّابَ بُسْتٍ كم تُناجُزُكمْ على ... وَزارةِ بُسْتٍ وهي سخنةُ عَيْنِ
وخُفًّا حُنَيْنٍ فَوق ما تَطلبونَهُ ... فكم بينكُمْ في ذاكَ حَربُ حُنيْنِ!

وقد أحسنَ في الجمع بين حَرْب حُنين وخُفَّيْ حُنين.

١٠٠٦ ــ **صفّ النعال**: يُضرَب مثَلاً لمكان الذليل، فيقال: هو في صفّ النعال، لا في صَفّ الرّجال، كما يقال: هو في مَزْجَر الكلب، ويقال: أذَلّ من النَّعل.

١٠٠٧ ــ **ريحُ الجَوْرَب**: يُضرَب مثَلاً في النَّتْن، قال الشاعر:

غَزَا ابْنُ عُمَيْرٍ غزوةً تركتْ له ... نَتْناً كريحِ الجَوْرَب المُتمزِّقِ

وقال آخر:

أَثْنِي عَلَيَّ بما علمتِ فإنّني ... أُثني عليكِ بِمثلِ ريحِ الجَوْرَبِ

في الطعام وما يتّصل به

عجالة الراكب، لُهْنة الضّيف، طَعام يَد، ثريدة غسّان، جِفانُ ابن جُدْعان، حِلْية الخِوان، كلب الخبز، قاضي الحلاوة، فالوُذَج السوق، حشو اللّوزِ ينَج، مخّ الأطعمة، أكلة خَيْبر، شَهْوة المريض، قِدْر الرَّقاشيّ، غداء ابن أبي خالد، مواعيد الكَمّون، دعَوة السّنة.

الاسْتِشْهادُ

١٠٠٨ ـ **عُجالة الراكب**: هي ما يتعجّله الرجل من الطعام، أو ما يتزوّده الراكب مما لا يُتعِبه؛ كالخبز والسَّويق وما أشبهَهَما. وفي أمثال العرب: يَقنَع بعجالة الراكب في الرِّضا بيسير الحاجة إذا أعوز جَليلها.

١٠٠٩ ـ **لُهْنةَ الضيف**: هي ما يقدَّم إلى الضيف ليتعلّل به إلى أن يُدرِك الطعام، فيقولون: لَهِّنوا ضيفكم؛ كأنه مَثَلٌ في الاقتصار على اليسير إلى أن يلحقَه الأكثر. ومن أمثال العامة في هذا المعنى: كُسَيْرة بملح إلى أن يُدرِك الشُّواء، قال أبو نُواس:

نِــكْـنــا رَســولَ عِــنـانِ ... والــحــزمُ مــا قــد فَــعَــلْــنَــا
فــكــانَ خُــبْــزاً بِــمــلــحِ ... قــبــلَ الــطــعــامِ أكَــلْــنَــا

١٠١٠ ـ **طعام يد**: لمّا كُفّ بصرُ حسّان بن ثابت رضي اللّه عنه كان إذا دُعِيَ إلى الطعام قال: طَعام يد، أو طعامُ يَدَيْن، فإذا قيل طعام يَد مدّ إليه اليد، فأكل منه، وإذا قيل: طعامُ اليدين أمسَك، وتعبيرُه: أنَّ الطعام إذا كان حيْساً أو ثَريداً أو حريرةً؛ مما يُكتفى في تناوله بيَد واحدة؛ فهو طعام يدِ، وإذا كان شواءً أو غيرَه مما يُحتاج فيه إلى استعمال اليَدين فهو طعام يَدَيْن.

١٠١١ ـ **جِفَان ابن جُدْعان**: كان عبد اللّه بن جُدْعان من مُطعمي قريش، كهاشم بن عبد مناف، وهو أول من عَمِل الفالُوذَج للأضياف، وفيه يقول أميّة بن أبي الصَّلْت:

لــه داعٍ بــمَــكّــة مــشــمــعِــلٌّ ... وآخَــرُ فــوقَ دارَتِــه يُــنــادِي

إلى رُدُحٍ من الشِّيزَى مِلاءٍ ... لُبابُ البُرِّ يُلبَكُ بالشِّهادِ[1]

وكانت له جِفان يأكل منها القائم والرَّاكب؛ يُحكى أنَّه وقع في إحداها صبيّ فَغرِق، فَجرى المثَل بها في العِظَم. وجِفانُ سُليمانَ عليه السلام أولى بأن يُتمثّل بها، لقول اللَّه عزّ وجلّ في وصفها: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

١٠١٢ ـ **حِلْية الخِوان**: قال أبو عليّ السلاميّ في كتابه: «كتاب نتف الظرف»؛ حاكياً عن بعض المشايخ أنه كان يقول: لكل شيء حِلْية، وحِلْية الخِوان السُّكُرّجات والبُقول.

١٠١٣ ـ **كلب الخبز**: حَكى السلامي قال: كان بعضُ إخواننا لا يُدخِل بيتَه الجُبْن، ويقول: هو كَلْب الخبز يُؤكَل بغيره.

١٠١٤ ـ **فالُوذَج السوق**: يُضرَب مثلاً للحَسَن المنظَر السَّيِّء المخبَر، كما قال الشاعر:

أَعزِزْ عليَّ بأخلاقٍ وُسِمْتَ بها ... عند البريّة يا فالُوذَجَ السُّوقِ

وقال ابن حجّاج:

كَمْ مِن صَديقٍ يروقُ عَيْني[2] ... في قالَبِ الحُسْنِ واللَّباقَهْ
ليس له في الجميل رأيٌ ... ولا بِفعلِ الجميلِ طاقَهْ
كأنّهُ في القميص يَمشي ... فالُوذَجُ السُّوقِ في رُقاقَهْ

١٠١٥ ـ **قاضي الحَلاوة**: كان أبو الحارث جميز يقول: اللَّوْزِينَج قاضي الحَلاوة، والخَبِيص خاتمة الخبز.

١٠١٦ ـ **حَشْو اللَّوْزينَج**: يُضرَب مثلاً للشيء يكون حشوُه أجوَد من قشره وأفضل، وذلك أن حشوَ اللَّوْزينَج خيرٌ منه، فيشبّه به الحَشو في الكلام يُستغنَى عنه، وهو أحسنُ منه. وقيل: هو نادر جداً في كلام العرَب، ومن أشهَرِ ذلك قولُ عوفِ بنِ محلّم:

إنّ الثمانينَ وبُلِّغْتَها ... قد أحوجتْ سمعِي إلى تَرْجُمانْ[3]

(١) اللسان (ردح، شيز، شمعل). والمشمعلّ: المُجِدُّ.
ردح: جمع رداح؛ وهي الجفنة العظيمة، والشيزى: خشب أسود تُتخذ منه القصاع.
(٢) ط: «وصديق كأنما هو سبك».
(٣) أمالي القالي: ١/ ٥٠.

فقوله: «وبُلِّغْتَها» حشوٌ مستغنىً عنه، ومعنى الكلام يتم بدونه، ولكنّه أحسَن من جملته.

سمعتُ أبا الفرج يعقوبَ بنَ إبراهيم يقولُ: سمعت أبا سعد رجاء يقول: دخلتُ يوماً على أبي الفَضلِ بن العميد فقال لي: إمضِ إلى أبي الحسين بن سعد، فقل له: هل تَعرِف لقولِ عوف:

إنّ الـثّـمـانـيـنَ وبُـلّـغْـتَـهـا

ثانياً في كون الحَشو أحسَن من المحشوّ؟ قال: فسرتُ إليه وبلَّغْتُهُ الرسالة، فقال: سألَني عنه محمد بن عليّ بن الفُراتِ، فسألت عنه أبا عمر غلام ثعلب، فقال: سألت عنه ثعلباً فلم يأتِ بشيء؛ ثمّ بلغني أنّ عُبيد اللّه بنَ عبد اللّه سأل المُبرِّد عنه فأنشَدَه قولَ عديّ بن زيد لابنِه زيد بن عديّ في حبس النعمان:

فـلـو كـنـتَ الأسـيـرَ ـ ولا تَـكُـنْـهُ ـ إذاً عـلـمـتْ مَـعَـدٌّ مـا أقـولُ

قوله: «ولا تَكُنْهُ»، حشوٌ مستغنىً عنه، ولكنه في الحُسنِ نظير «وبُلّغْتَها».

قال مؤلف الكتاب: قد افتتحنا كتاباً صغيرَ الجِرم، لطيفَ الحَجْم في نظائِر هذين الحشَويْن، وترجمته بـ «حشو اللوزينَج»، فمما أودعته إيّاه أن المأمون قال يوماً ليحيى بنِ أكثم: هل تغدّيت اليومَ؟ فقال: لا، وأيّد اللّه أميرَ المؤمنين، فقال المأمون: ما أَظرَف هذه الواو وأحسنَ موقِعها! وذلك أنه لو قال: «لا أيّد اللّه أمير المؤمنين» لكان أشبَه بالدعاء عليه لا له، ولكنّه استظهَر بالواو، وجَعَلها حاجزةً بين لا، وأيّد اللّه أميرَ المؤمنين، حَذَراً من وقوع الشّبهة.

وكان الصاحب يقول: هذه الواو أحسنُ من واوات الأصداغ في خدود المُرْد المِلاح.

وقرأتُ في بعض الكتب أن أبا بكر الصّدّيقَ رضي اللّه عنه سَبَق إلى هذه اللفظة، وذلك أنه مرّ به رجل معه ثوب، فقال له أبو بكر: أتبيعُه؟ فقال الرجل: لا رَحِمكَ اللّه! فقال أبو بكر: قد قوّمتُ ألسنتكم لو تستقيمون! ألا قلت: لا وَرَحِمَك اللّه!.

وممّا عثرتُ عليه من حشو اللّوْزِينَج في شعر البحتريّ قوله للمتوكّل:

وجُـزِيـتَ أعـلـى رتـبـةٍ مـأمـولـةٍ في جنّة الـفِـردوسِ غيـرَ معـجَّـلِ[١]

---

(١) ديوانه: ٢/ ١٥٥.

فقد تَمّ الكلام عند قوله: «في جنّة الفردوس»، وقال: «غير معجَّل» أي بعد عمرٍ طويل؛ لأنّ الجنّة إنّما يوصَل إليها بالموت.

وفي شعرٍ لأبي الطيّب:

وتَحتَقرُ الدنيا احتقارَ مجرِّبٍ ... يَرَى كلَّ ما فيها وحاشاكَ فانِيَا[(١)]

فقوله: «وحاشاك» حشوٌ؛ فيه ما فيه من الحلاوة، وعليه ما عليه من الطّلاوة.

وفي شعر الصاحب:

قل لأبي القاسم إن جئْتَهُ ... هُنْيتَ ما أُوتيتَ هُنِّيتَهُ

كلُّ جمالٍ فائقٍ رائقٍ ... أنت بِرغمِ البدرِ أُوتيتَهُ

فقوله: «برَغم البدر» حشوٌ يتم الكلام دونَه، ولكنه في نهاية الظَّرف والمَلاحة. ومما استجيده جداً لابن مالك قوله:

للّهِ هِمّتُك التي مِن شأنها ... جَرُّ الرماحِ على السِّماكِ الرامِحِ

لأنّ «الرامح» حشوٌ، ولكنه بمجانسة الرماح كما تراه غايةٌ في الحُسن.

وفي ضدِّ حشو اللوْزِينَج قولُهم: حشوُ الأُكَر، لأنها تُحشَى بكل شيء ساقطٍ لا قَدْر له. قال جَحْظة: أنشدتُ لأبي الصَّقر شعراً لي، فقال: يا أبا الحسن، لا تزال تأتينا بالغُرَر والدُّرَر، إذا جاءنا غيرُك بحَشْو الأُكَر.

١٠١٧ ـ **مخ الأطعمة**: يقال للسِّكْباج: مُخُّ الأطعمة، وسيّدُ المَرَق، ويقال: إذا طبختَ اللحْمَ بالخلّ فقد ألغيتَ من المعدة ثلثَ المؤونة.

قال بعضُ الخلفاء لجارية له، يُعرِّض بها: إلى كم سكباج! فقالت: يا أميرَ المؤمنين، هو مخّ الأطعمة، لا يُكرَه بارِدُه، ولا يُمَل حارّه، بل يُستطاب في الحَضَر، ويُتَزوَّد منه في السَّفر، ولا يؤثَر عليه الضيف؛ في الشتاء والصيف. فضحِكَ وأمرَ لها بصِلة.

١٠١٨ ـ **أكلة خيبر**: تُضرَب مثلاً للطعام الوَخِم العاقبة، وأصلُها من قولِ رسول اللّه ﷺ: «ما زالت أُكلةُ خيبَر تعاودني فلا تهدأ أوانَ قطعت أبهِري»؛ وذلك أنّه عليه الصَّلاة والسَّلام قدِّمتْ إليه بخَيبر شاةٌ مسمومةٌ، فتناول منها لقمة ثم قال:

(١) ديوانه: ٤/ ٢٩٠.

«إن هذه الشاة تُخبرني أنّها مسمومة». فكان يَمرَض في كلّ سنة عند الوقت الذي أكل فيه تلك الأكْلة إلى أن تُوفّي عليه الصلاة والسلام شهيداً بذلك السّمّ.

١٠١٩ ـ شهوة المريض: تُضرَب مثلاً لما يَحسُن ويَطيب من الأطعمة وغيرِها، أنشَدني أبو محمد العبد لكاني لنفسه:

قَرْيَتُكُمْ يا بني البغيضِ كثيرةُ الخلِّ والمخيضِ
والخبزُ في دُورِ مُوسِرِيها أعزُّ من شَهْوةِ المريضِ

١٠٢٠ ـ قِدْر الرَّقاشِي: كان أبو نواس يتولَّعُ بالرقاشيِّين ويصف قُدورَهم بالبياض والنظافة والصغَر؛ حتّى صارت كالمَثَل، فمن ذلك قولُه فيها:

رأيتُ قُدورَ الناسِ سُوداً من الصِّلا وقِدْرَ الرقاشِيِّين زهراءَ كالبدْرِ(١)
يُبَيِّتُها للمُعتفِي بفنائِهِمْ ثلاثٌ كنقْطِ الثاء من نُقَطِ الحِبْرِ
إذا ما تَنادَوْا للرّحيل سَعَى بها أمامَهُمُ الحَوْليُّ مِن وَلَد الذّرِّ(٢)

١٠٢١ ـ غداء ابن أبي خالد: ويُقال له أيضاً: غَداء دينار، فإذا نُسِب إلى ابن أبي خالد؛ فهو مَثَل لمن يبيع الشيءَ الخطير بأُكْلة، وإذا أُضيف إلى دينار فهو مَثَلٌ لمن يُطعِم ويَقرِي لاجتِلاب المنفعة ودفع المضرّة؛ وقصّته أن أحمد بن أبي خالد وزيرَ المأمون كان من الشَّرَه والنَّهمِ والتهابِ المعِدَةِ ـ على كرم فيه ـ بحيث يُضرب به المثل، فيُقال: آكَلُ من ابن أبي خالد، وأنْهَمُ من ابن أبي خالد.

ويُحكَى أنه ولَّى كورةً جليلةً لرجل بخِوانِ فالُوذَج أُهدى إليه. وكان يقول إذا عُوتِب على قبول ما يُهدَى إليه من المأكول: ما أصنَع بطعام يُهدِيه إليّ صديق لي، اللّه أعلم أنّي أستحي من ردِّه عليه!.

ولما عرف المأمونُ شرَهَه وقبولَه كلّ ما يُهدَى إليه، وإجابته كلّ مَنْ يدعوه، أَجْرى عليه كلَّ يوم ألف درهم نُزُلا؛ فلم يفارقْ مع ذلك شَرَهه. وفيه يقول القائل:

شكَرْنا الخليفةَ إجراءَهُ على ابنِ أبي خالد نُزْلَهُ
فكَفَّ أذاه عن المسلمينَ وصَيَّرَ في بيتِهِ أَكْلَهُ
وقد كان في الناس شُغلٌ به فأصبَحَ في بيتِه شُغْلَهُ

---

(١) ديوانه: ١٧٧.
(٢) ط: «النذر»، وصوابه من ب والديوان.

وكان المأمون ولّى دينارَ بنَ عبد اللّه الجَبَل ثم صرفه. ووافَى المدائن، فأقام بها حَوْلاً لم يُؤذَن له في دخولِ الحضرة للمَوْجِدة عليه. ثم إن أحمد بن أبي خالد كلّم المأمونَ في أمره حتى رضيَ عنه، وأذِنَ له في دخولِه بغداد. وقال يوماً لأحمد: صِرْ إلى دينار وقل له: فعلت كذا وكذا، ووافِقْه على ما بقِيَ عليه من المال. فلَمّا مضى أحمد إليه قال المأمون لياسر الخادم: اتْبَعْه واسمَع ما يَجري بينهما وعرّفنيه؛ فلما سبق خبر مجيء أحمدَ إلى دينار قال لقَهْرَمانه: أَعْدد طعاماً كثيرا طيِّباً ـ لما كان يعرفه من نهَم أحمد وشَرَهِهِ ـ ووافى أحمد فبدأ، بمناظرة دينار في أمر المال، فاعترف بسبعة آلاف ألف درهم، ووافقه على أن يَحمِل منها كلّ أسبوع ألف ألف درهم؛ ثم قطع دِينار الكلامَ، ودعا بالطعام وسأله عما يجب أن يبدأ به، فطَلَب فَراريج فقدِّمت، فأكَل منها عشرين فَرُّوجة كَسْكَرية بماء الرمان، ثم قُدّم إليه الحارّ والباردُ، والحلو والحامض، فأكلَ منها أكلَ مَنْ لَم يأكل شيئاً، ثم غَسَل يَده وقال لدينار: ينبغي أن تَجِدّ في أمر المال؛ فقال: الذي عَلَيَّ ستة آلاف ألف درهم. فقال ياسر لأحمد: إنه قد اعترف بسبعة آلافِ ألف درهم، فقال: ما أَحفظ ما قال، ولكن ليقلْ ما عندَه الآن؛ ويُطالَبْ به، فتقرّر الأمر بينهما على ستة آلافِ ألف درهم.

وانصرف أحمد إلى المأمون ـ وكان قد تقدمه ياسِر، فشَرَح له الخبر ـ فلما دخل قال: قد تقرّر الأمر بيننا على خمسةِ آلافِ ألف درهم، فقال المأمون وهو يضحك: قد ذهبتْ ألفُ ألفِ درهم بأَكْلة وألف ألفِ أخرَى بم ذهبتْ؟ وألزمه ستة آلاف ألفِ درهم. وقال: ما رأيتُ غَداء أذهبَ ألفَ ألفِ درهم إلا غداءَ دِينار، وما رأيتُ أغلى منه.

١٠٢٢ ـ مواعيد الكَمُّون: يُضرَب به مثلاً للمواعيد الكاذبة، وذلك أن الكمُّون لا يُسقَى، بل يوعَد به بالسقي، فيقال: غداً نَسقيكَ، وبعد غدٍ نكْفيك؛ فهو يَنْمو بالتمنية على المواعيد الكاذبة، قال الشاعر:

لا تجعلنّي ككَمُّونٍ بمَزْرعةٍ ... إنْ فاتَه الماءُ أغْنَتْهُ المَواعيدُ

وقد أحسن ابنُ الرومي في الجمع بين(١) الفُلْفُل والكَمُّون حيث قال:

كم شامخٍ باذخٍ بثَرْوَتِهِ ... أضلَّهُ قَبْلي المُضِلُّونا

(١) ط: «في» وما أثبته من ب.

جعلْتُهُ بالهِجاء فُلْفُلَةً إذ جعلتْني مُناهُ كَمُّونا

١٠٢٣ ـ **دعوة السّنَة**: يُضرب مثلاً لما يكون في السّنة مرة واحدة، كدَعوة البخيل [التي يُحتفل لها. ويقال: أربعة أشياء مفترطة: دعوة البخيل](١)، وعِشْق العفيف، وغَضَب الحليم، وضربة الجبان. وفي دَعْوة السّنة يقول الشاعر:

إنها دعوةُ السَّنَهْ فكُلُوها مَبطَّنَهْ
لن تعودوا لِمثْلِها إنها فَتْحُ خَرْشَنَهْ(٢)

---

(١) تكملة من ب.
(٢) خرشنة: بلد قرب ملطية من بلاد الروم، غزاه سيف الدولة بن حمدان، وذكره المتنبي في شعره.

في الشّراب وما يتصل به ويُذكرُ مَعَهُ

بَرْد الشّراب، قَذاة الكُوزِ، داعي اللبن، خَمر بابل، نسيم الراح، رَضاع الكأس، سُكْر الوِلاية، سُكْر الشبَّاب، بُغض الخُمار.

الاسْتِشْهادُ

١٠٢٤ ـ بَرْد الشّراب: يُتمثّل به في كلّ محبوب وعند كل مشتهًى، قال عمرُ بن أبي رَبيعة:

قـال لـي صـاحـبي لِـيـعْـلَـم مـا بي: أتُـحِـبُّ الـقَـتـولَ أُخـتَ الـرَّبـاب؟[1]
قـلـتُ وجْـدي بـهـا كـوَجْـديَ بـالـمـا ء إذا مـا عـدمـتُ بَـرْدَ الـشّـرابِ

يريد: عند الحاجة، وبذلك يصحّ المعنى.

ويُرْوَى أنّ عليًا رضي اللّه تعالى عنه سَأَلَهُ سائل، فقال: كيف كان حبُّكم لرسول اللّه ﷺ؟ فقال: كان واللّه أحبّ إلينا من أموالِنا وآبائِنا وأمهاتِنا ومن أبنائنا، ومِن بَرْد الشّراب على الظّمأ. ويُنشَد لبعض الأعراب:

حـديـثُـكِ أشـهَـى فـاعْـلَـمِـي لـو أنـالُـهُ إلى النفس من بَرْد الشّراب على الظَّما
لـقـد أكـثَـر الـواشُـون فـيـكِ مَـلامَـتـي فـكـانـوا بـمـا أبـدَوْا مـن الـلّـوْم ألـوَمـا

ومن رسالة الصاحب: كبَرْد الشراب على الأكباد الحِرار، وبُرْد الشباب في خَلْعِ العِذار.

١٠٢٥ ـ قَذاة الكُوز: يُضرب مثلاً لما يؤذي على قلّته وحَقارته. وقال بعض المكابِدين في خَلْع العذار لمن سابّه: يا قذَاةَ الكُوز، يا صَوْم تمّوز، يا بَرْد العَجوز، يا دِرْهماً لا يَجوز.

وحَكَى الجاحظ عن جعفر بن سعد أنه قال: الخلاف في كل شيء حتى في قَذاة الكُوز، إنْ أردت أن تشربَ جاءت إلى فيكَ، وإن أردتَ أن تصبّ من رأس الكُوز لتخرجَ رجعتْ.

---

(١) ديوانه: ٤٣٠.

١٠٢٦ ـ داعِي اللَّبَن: من أمثال العرب: دَعْ داعِيَ اللَّبَن، أي أبقِ في الضَّرْع بقية من اللبن، ولا تستوعِب كلَّ ما فيه، فإن الذي تُبقيه يَستدعي ما وراءه من اللبن.

١٠٢٧ ـ خمرُ بابِل: العرب تتمثّل بخمُر بابل، وتراه أفضل الخمور. وبابِل سرّ العراق. ويُقال: إنّ بغداد من أرضها، فممّن ذَكَر خمر بابِل بعضُ المحدَثين [حيث][١] قال:

لـمَّـا رأيـتُ الـدهـرَ دهـرَ الـجـاهِـل ... ولـم أرَ الـمَـغْـبـونَ غـيـرَ الـعـاقِـلِ
شـربْـتُ خـمـراً مـنَ خُـمـور بـابِـلِ ... فـصِـرتُ من عَـقـلِـي عـلـى مَـراحِـلِ

ويُروَى أنه قال:

رحَّـلْـتُ عـيـسـاً مـن خـمـورِ بـابِـلِ

ليكون أقوى في طريق الاستعارة. وقال ابن الرومي:

ألا ذَكِّرا نـفْـسـي حـديـثَ الـبَـلابِـلِ[٢] ... بـمَـشْـمـولـةٍ صـفـراءَ من خَـمـرِ بـابِـلِ

وفي كتابي المُبهِج: ليس للبلابل، كخمر بابل؛ على غِناءِ البلابل[٣].

١٠٢٨ ـ نسيم الراح: يُضرب مثلاً في الذكاء والطِّيب، كما قال السريُّ في استزارة صديقٍ له:

نـفـسـي فـداؤك كـيـف تَـصـبِـرُ طـائـعـاً ... عـن فِـتْـيـةٍ مِـثْـلِ الـبُـدورِ صِـبـاحِ![٤]
نَـهـضُـوا لـراحِـهِـمُ وذِكْـرُك بـيـنَـهـمْ ... أذكَـى وأطـيَـبُ مِـن نـسـيـمِ الـرَّاحِ

١٠٢٩ ـ رَضاع الكأس: يَدخل في باب الاستعارات، وقد أكثروا فيه، قال الشاعر:

وإنّ رَضـاعَ الـكـأسِ أعـظَـمُ حُـرمـةً ... وأَوجَـبُ حـقّـاً مـن رَضـاعِ لِـبـانِ

وقال آخَر:

أُذكُـرْ أبـا جـعـفـرٍ حـقّـاً أَمُـتُّ بـه ... إنـي وإيّـاك مَـشْـغـوفـانِ بـالأدبِ
وإنـنـا قـد رَضـعـنـا الـكـأسَ دِرَّتَـهـا ... والـكـأسُ دِرّتُـهـا مـن أقـرَب الـنّـسـبِ

---

(١) من ب.
(٢) ب: «ألا نسيا».
(٣) المبهج: ٤٤.
(٤) ديوانه: ٧٢.

وقال عصابة الجرجانيّ:

إقْرَ السّلامَ على الأمير وقُلْ له ... إنّ المُنادَمةَ الرضاعُ الثاني

١٠٣٠ ـ سُكْر الوِلاية: من أبيات التمثيل والمحاضرة قولُ ابنِ المعتز:

سُكْرُ الولايةِ طيّبٌ ... وخُمارُه صعبٌ شديدُ

كم تائِهِ بوِلايةٍ ... وبعَزْلِه رَكضَ البَريدُ

وقال آخر:

سكِرتَ بإمْرأةِ السُّلطان جدّاً ... فلمْ تَفرِق عدوّكَ من صديقِكْ

رُوَيْدَكَ من طريقٍ صرتَ فيه ... فإنّ الحادثاتِ على طريقِكْ

١٠٣١ ـ سُكْر الشباب: يقال: سُكْر الشباب أشدّ من سُكْر الشراب.

ويُقال: السّكر ثلاث: سُكْر الشباب، وسُكر الولاية، وسكْر الشراب ـ وهو أهْوَنها.

وقد أبلَغ هذه السَّكَرات خمساً من قال وأحسَن:

سَكَراتٌ خَمْسٌ إذا مُنِيَ المر ... ءُ بها صارَ أُكلَةً للزمانِ

سَكْرةُ المالِ والحَداثةِ والعِشْـ ... ـقِ وسُكْرُ الشرابِ والسلطانِ

وأَنشَدتُ هذه الأبيات لبعض الزهّاد فقال: أين هو من سَكْرة الموت! ثمّ قرأ: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

وقال إبراهيمُ بنُ المهديّ:

ما زِلْتُ في سَكَراتِ الموتِ مطَّرَحاً ... ضاقتْ عليَّ وجوهُ الأرضِ من حِيَلِي

فلم تزل دائباً تَسعَى لِتُنقِذَني ... حتى اخْتَلَسْتَ حياتي من يَدَيْ أَجَلِي

١٠٣٢ ـ بُغض الخُمار: يُضرَب مثلاً لما يُستثقَل، ولذلك قيل: لو أنّ المخمور يَعرِفُ قصّته، لقدّم وصيّته. وفي المثَل: ما أطيَب الخَمر لولا الخُمار!

قال الشاعر:

إذا أنا مَيَّزْتُ الخُمارَ وجدْتُهُ ... يكدِّرُ ما في الخَمر من لذّة الخَمْرِ

فأُحجِمُ عن شُرب المُدام مخافةً ... على جَسدي من أن يؤولَ إلى ضُرِّ

وإنَّ امرأً يبتاعُ سُكْراً بصِحَّةٍ ... لَفِي سَكرةٍ تُغنيهِ عَنْ لذّةِ السُّكرِ

وقال أبو عليّ البصيرُ في أبي العَيْنَاء:

إنــمــا يــحــلــو أبــو الــعَــيْــ نــاءِ فــي صَــدْرِ الــنــهــارِ
فــإذا طــاولْــتُــهُ أرْ بــى عــلــى بُــغــضِ الــخُــمــارِ

في السّلاح وما يُجَانِسُهُ

سيفُ عليّ، صمصامة عَمرو، سُيوف الخَوارج، مخراق لاعب، ظِلّ السيف، بقيّة السيف، قوسُ حاجِب، ظلّ الرمح، ظَهر الترس، سِهام الترك، عصا الأعرج، تفاريق العصا، عَبيد العصا، عصا الجبان.

الاسْتِشْهادُ

١٠٣٣ ـ **سَيف عليّ**: يُضرَب المثل بسَيف عليّ بن أبي طالب كرّم اللّه وجهَه في المصائب، كما قال الصاحب:

أحسَنُ من عودٍ ومن ضاربِ ... ومن فتاةٍ طَفلةٍ كاعِبِ
قَدُّ غلامٍ صِيغَ من فِضّةٍ ... متّصلُ الحاجب بالحاجبِ
سَلَّ على الأُمّة من طَرْفِهِ ... سيفَ عليٍّ بنِ أبي طالبِ

١٠٣٤ ـ **صَمصامة عَمرو**: صَمصامة عَمرو بن مَعدِي كَرِب أشهرُ سُيوف العرب؛ وبها يُضرَب المثل في كَرمِ الجوهر، وحُسْن المنظَر والمخبر، والمَضاء والتصميم؛ وكان عَمرو ـ وهو فارسُ اليَمَن ـ حسَن الاستعمال له في الجاهلية، كثيرَ العناية به في الإسلام، وفيه يقول مِنْ شعْرٍ:

سِنانٌ ماحقٌ لا عَيبَ فيه ... وصَمْصامِي يَصَمُّ إلى العِظَامِ

قال عبد اللّه بنُ العبّاس لبعض اليمانيين: لكم من السماء نجمُها، ومن الكعبة رُكنُها، ومن السيوفَ صمصامُها ـ يعني سُهَيلا والرُّكن اليمانيَّ وصَمصامة عَمرو.

وممّن تمثّل بها من المتقدّمين عَمَيْثَل بن جزيّ في قولِه:

أغَرُّ كمِصباحِ الدُّجنّةِ يتّقي ... قَذَى الزادِ حتّى يُستفادَ أطايِبُهْ
أخٌ ماجدٌ ما خانني يومَ مَشهدٍ ... كما سيْفُ عَمرٍو لم تَخُنْه مضارِبُهْ

ولمّا وهبها عَمرو لخالد بن العاص[١] عامِل رسولِ اللّه ﷺ على اليَمَن قال فيه [عَمرو بنُ مَعد يكرب][٢]:

خـليـلٌ لـم أخُنْـهُ ولـم يَـخُـنّـي ... إذا مـا الـخَـطـبُ أنـحَـى بـالـعِـظـامِ
خـلـيـلٌ لـم أهَـبْـهُ عـن قِـلاءٍ ... ولـكـنّ الـتـواهُـبَ لـلـكِـرامِ
حَـبَـوْتُ بـه كـريـمـاً مـن قُـريـشٍ ... فـسُـرَّ بـه وصِـيـنَ عـن الـلّـئـامِ
ووَدّعْـتُ الـصـفـيَّ صـفـيَّ نـفـسـي ... عـلـى الـصَّـمْـصـامِ أضـعـافُ الـسـلامِ

فلم يزل في آل سعد إلى أيّام هِشام بنِ عبد الملك، فاشتراه خالد بنُ عبد اللّه القسريُّ بمال خطير، وأنْفَذَه إلى هشام، وقد كان كتب إليه فيه؛ فلم يزل عند بني مَرْوانَ حتَّى زالَ الأمر عنهم، ثمّ طلبه السّفاح والمنصورُ والمَهْديّ فلم يَجِدوه وجَدَّ الهادي في طلبه حتَّى ظفر به فجرده، ودعا بمِكْتَل من دنانيرَ، وقال لحاجبه ائذَنْ لمن بالباب من الشعراء؛ فلمّا دخلوا أمرَهم أن يقولوا فيه، فقالوا وأطالوا؛ ولم يأتوا بطائل، فقام أبو الهَوْل الحِمْيَري وأنشأ يقول:

حـازَ صَـمـصـامـةَ الـزُّبـيْـدِيِّ عـمـرٍو ... مـن جـمـيـعِ الأنـام مُـوسَـى الأمـيـنُ[٣]
سـيـفُ عـمـرٍو، وكـان فـيـمـا سَـمِـعْـنـا ... خـيـرَ مـا أغْـمِـدَتْ عـلـيـه الـجُـفـونُ
أخـضـرُ الـلـون بـيـن خـدَّيْـه بُـردٌ ... مـن ذُبـاحٍ تَـمِـيـسُ فـيـه الـمَـنـونُ[٤]
أوقـدَتْ فـوقَـهُ الـصَّـواعـقُ نـاراً ... ثـم سـالـت بـه الـرّعـافَ الـمُـتـونُ[٥]

ـ[قال الجاحظ: يزعم كثير من الناس أن بعض السيوف من نيران الصواعق، وذلك شائع على أفواه الأعراب][٦] ـ

فـإذا مـا سَـلَـلْـتَـهُ بَـهَـرَ الـشّـمـ ... ـسَ ضِـيـاءً فـلـم تَـكَـدْ تـسـتـبـيـنُ
وكـأنّ الـفِـرِنْـدَ والـجـوهـرَ الـجـ ... ـاري عـلـى صـفـحـتـيْـهِ مـاءٌ مَـعـيـنُ

(١) ابن خلكان ٢/ ٢٠٤/ «سعيد بن العاص».
(٢) من ب.
(٣) ابن خلكان ٢/ ٢٠٤، ونسبها إلى ابن يامين البصري. وذكر الجاحظ في الحيوان ٥/ ٨٧، ٨٨ الأبيات: الأول والثاني والرابع، ونسبها إلى أبي الهول.
(٤) قال ابن خلكان: الذباح، بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف حاء مهملة، وهو نبت قاتل لسميته، وقد جاء كثيراً في الشعر.
(٥) ابن خلكان: «القيون».
(٦) تكملة من ب، والحيوان ٥/ ٨٧.

نِعْمَ مِخراقُ ذي الحفيظةِ يومَ الـ ـرَّوْعِ يُعصَى به ونعمَ القَرينُ[1]
ما يُبالي إذا الضريبةُ حانَتْ أشِمالٌ سطَتْ به أم يمينُ!
وكأنّ المَنونَ شطّتْ إليه فهو من كلّ جانبيْه مَنُونُ

فقال الهادي: السيفُ لك والمِكتَل، فأخذهما وفرّق على الشعراء الدنانيرَ وقال لهم: دخلتم معي، وحرمتم مِنْ أجلي، وليس في السيف عِوَض.

وذكر أبو هِفّان أنّ صاحب هذه القصيدة يامين البصريّ. وقال غيره: هو أبو الهَوْل، وهو القائل في وَصْف هذا السيف:

كأنَّ على مَتْنَيْهِ أمواجَ لُجَّةٍ تفْقأُ في ضَحْضَاحِهِ وتَطولُ
كأنّ صِغارَ الذَّرِّ كسَّرْنَ فوقَهُ عُيونَ جرادٍ بينهُنّ ذُحولُ
حُسامٌ غداةَ الرَّوْعِ ماضٍ كأنّه من اللّهِ في قَبْضِ النفوسِ رَسولُ

وأما يامين فهو القائل:

نَصْلٌ كأنّ المَنايا جُندُ طاعتِهِ في طُولِهِ قِصَرٌ إلّا عن القُصَرِ
أمضَى من الأجل الماضي وأنفَذُ من جارِي القَضاء وأَضوا من سَنَا القَمَرِ

١٠٣٥ ـ سُيوف الخوارج: يُضرَب المثل بسيوف الخوارج لأنهم يتأنّقون في استجادتها، ثم يقاتلون بها تديُّنا إذا قاتل غيرهم تكسّبا. وقد ذَكَر السبب في استفاضة النجدة فيهم بعضُ العصريين فقال:

وفيكَ لنا فِتَنٌ أربعٌ تَسُلّ علينا سيوفَ الخَوارجْ
لحاظُ الظِّباء، وطَوْقُ الحمامِ، ومَشْيُ النِّعاجِ، وحُسنُ التَّدارُجْ

١٠٣٦ ـ مخراق لاعب: هو سيف اللاعب، لا سَيف المحارب، وذلك أخفُّ له وهو أضرَب به:

والضِّرْبُ في الهَيْجاء غيـ ـرُ الضَّرْبِ في المَيْدانِ

قال عَمرُو بن كُلثوم في السَّيف:

كأن سيوفَنَا فينا وفيهِمْ مَحاريقٌ بأَيْدي لاعِبينا[2]

---

(١) قال ابن خلكان: «يعصى، بفتح الصاد، يُقال: عصي، بكسر الصاد، يعصى، إذا ضرب بالسيف، وهو خلاف عصى ـ بفتح الصاد ـ يعصي، إذا ارتكب الذنب».
(٢) من المعلقة ٢٢١ ـ بشرح التبريزي.

١٠٣٧ ـ **ظِلُّ السَّيف**: في الخبر: «لا تتمنَّوْا[١] لقاء العَدُوّ واسألوا اللّهَ العافية؛ فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أنّ الجنّة تحتَ ظِلال السيوف»، قال الشاعر:

العِزُّ تحتَ ظلالِ السيفِ مطلَبُهُ فلا يفُوتَنْكَ عِزٌّ آخرَ الأبدِ

وقال آخر:

مُقامُهم تحتَ ظلِّ السُّيو فِ عافَى الخِلافَة مِن دَائِها

وقال آخر:

ألْيومَ لا جَبَلٌ نلوذُ بظِلِّهِ ألْيومَ نتّخذُ السيوفَ ظِلالَا
اليومَ نقدُح زَنْدَ كلِّ مُلمّةٍ اليومَ نُسرِع للنُّسور رجالاً

١٠٣٨ ـ **بقيّة السيف**: قال عليّ كرّم اللّه وجهه: بقيّة السيف أنمَى عدداً، وأكثر ولَداً؛ فوُجد ذلك عياناً في ولده وولد المهلّب، وذلك أنّه قُتِل مع الحُسينِ بنِ عليّ رضي اللّه عنه عامةُ أهل بيته، فلم يَنجُ منهم إلّا عليّ بنُ الحسين بن عليّ رضي اللّه عنهم، وإنما نَجّاه صِغرُ سِنه، فلما أدرك أخرج اللّه من صُلْبه الكثيرَ الطيب. وقُتِل المَهالبةُ بالعَقْر[٢] دفعتين وبقَنْدابيل[٣] حتّى استؤصِلوا، ثم أدركَ منهم رَوْح ويزيدُ ابنا حاتم. ويُقال: إنه لو تفاخَرت الجنّ والإنس لفَخرَها الإنس يا بُنيْ حاتم: [روْح] ويَزيد، وأمثالُهما من المهالبة كثير.

وذكر المَدائني عن أشياخه أنّه مكث آل المهلّب بعدَ مقتَل يزيد وأخيه نَيِّفاً وعشرين سنةً لا يُولَد لهم أنثى، ولا يموت لهم غلام.

١٠٣٩ ـ **قوس حاجب**: هو حاجب بنُ زرارة التميميّ، أتَى كِسرَى في جَدْب أصاب قومَه بدعوة النبي ﷺ، فسأله أن يؤذَن[٤] له ولقومه في دُخول الرِّيف من بلاده حتى يَحْيَوْا ويمتارُوا، فقال لهم كسرى: إنكم معشرَ العرب قومٌ غُدُر، فإذا أذنتُ لكم أفسدتم بلادي، وأغرَبْتم عليَّ رعيّتي. فقال حاجب: أنا ضامن للمَلك ألا يفعلوا، قال: فمَن لي بأن تَفِي؟ قال: أرهَنُك قوسِي؛ فضَحِكَ مَن

---

(١) ط: «لا تهموا في لقاء العدو»، وما أثبته من ب.
(٢) العقر: هي عقر بابل؛ موضع قرب كربلاء من الكوفة، قُتل فيها يزيد بن المهلب (ياقوت).
(٣) قندابيل: مدينة بالسند، كانت بها وقعة لهلال بن أحوز المازني الشاري على آل المهلب. (ياقوت).
(٤) ط: «يأذن».

حَوْلَهُ، فقال كسرى: إنه لا يتركها أبداً. وقَبِلها منه، وأذن له في دُخول الريف. ولما أحيا اللّه الناسَ بدَعوة النبي ﷺ ـ وقد مات حاجب ـ ارتحلَ عطارد بن حاجب إلى كسرى في طلب قوس أبيه، فأمر بردّها عليه، وكَساه حُلّة، فلما وفَد على النبي ﷺ في وفْد بني تميم وأَسلَم، أهدَى الحُلّة إليه فلم يَقبَلْها، فباعها بأربعة آلافِ دِرهم من رجل من اليهود، وبقيت القوسُ عند وُلْد جعفر بنِ عُمير بن عُطارد بن حاجب، لأنهم أكبرُ ولده، وصارت مفخرةً كبيرةً لبني تميم. ويُروَى أنّ كسرى لما عوتب على ارتِهانها قال: لولا أنّهم عندي أقلّ منها لما أخذتُها.

ويُحكَى أن كسرى قال لحاجب: إن قوسَك هذه لقصيرة معوجَّة، فقال: أيُّها الملك، إن وفائي طويلٌ مستقيم.

ومن مليح ما سمعتُ في قوسِ حاجبٍ قول المطرانيّ(١):

تُزهَى علينا بقوسِ حاجبِها ... زهوَ تميمٍ بقَوْس حاجبِها

١٠٤٠ ـ **ظِلّ الرّمح**: يُضرَب به المثل في الطول، كما قال ابن الطثَريّة:

ويومٍ كظِلّ الرُّمْح قصَّرَ طولَه ... دَمُ الدَنِّ عنّا واصطفاقُ المَزاهِرِ

قال الجاحظ: قولهم: مُنينا بيوم كظلّ الرمح، فإنّهم لا يريدون به الطول وحدَه، ولكنهم يريدون أنه مع الطول ضَيّق غيرُ واسعٍ، قالوا: وليس يوجَد لظلّ الشخص نهاية مع طلوع الشمس، وقال ابن المعتزّ:

بُدِّلْتُ من ليلٍ كظِلّ حصاةٍ ... ليلاً كظِلّ الرُّمحِ ليس مُواتِ

وقال آخر:

نَهارٌ مِثلُ إبهام الحُبارَى ... وليلٌ مِثلُ ظِلّ الرُّمح طُولَا

١٠٤١ ـ **ظهْر التُّرس**: يُشبّه به الأرضُ المستوية الخالية، قال البحتريُّ:

والعِيسُ تَرمِي بأيديها على عَجَلٍ ... في مَهْمَهٍ مِثلِ ظهْرِ الترسِ رَجْراجِ

ويُضرَب ظهر المجنّ مثلاً لمن تحوَّل عن عَهْدِه، قال الشاعر:

قلبْتُ له ظَهْرَ المِجَنّ فلم أَدُمْ ... على ذاكَ إلّا ريثَما أتحوَّلُ

وقال بعضُ أهل العصر:

لقدَ قَلّب الدهرُ الخؤونُ مِجنَّهُ ... فقَلبي على جَمْرِ الغَضا يتقلّبُ

(١) في الأصول: «المطواف»، تحريف، والبيت في اليتيمة ٤/ ١١٣.

وأصبَحْتُ في ظُفر الزمان ونابِه وما فيه إلّا دونَ ما أترقّبُ

ومن حديث عليّ رضي اللّه عنه أنه كتب إلى ابن العباس رضي اللّه عنهما حين أَخذ من مال البصرة ما أخذ: إني أشركتُك في أمانتي، ولم يكن رجل أوثَق منك في نفسي، فلما رأيتَ الزمان على ابنِ عمِّك قد كَلِب، والعدوَّ قد حرِب، قلَبْتَ لابن عمّك ظَهْرَ المِجَنِّ ففارقتَه مع المُفارقين، وخَذَلْتَه مع الخاذلين، واختطَفْت ما قدرتَ عليه من مال الأمَّة اختطافَ الذئب دامية المعزى.

وإنما خصَّ الدَّامية لأن من طبع الذئب محبة الدم، فهو يُؤثِر الدَّامية على غيرها، كما تقدَّم ذكرُه في باب الذئب.

١٠٤٢ ـ **سِهامُ التُّرك**: يُضرَب بها المثل، وتُذكَر مع سِهام الترك، رِماحُ العَرَب، ومَزارِيقُ الهِند، وراياتُ الدَّيْلَم، ونُصول الرَّيّ.

١٠٤٣ ـ **عصا الأعرج**: تُضرَب مثلاً فيقال: أقرَب من عصا الأعرج، وذلك بأنه يقرِّبها من نفسه إذا قعد لحاجته إليها، فهي قريبةٌ منه في حال قعودِهِ وقيامِه.

١٠٤٤ ـ **تَفاريقُ العصا**: تضرب مثلاً للمحقّرات يُحتاج إليها ويُنتفَع بها، قالت غَنيّة الأعرابية:

أحلِفُ بالمَرْوةِ حقّاً والصَّفا أنّك خيرٌ مِنْ تَفارِيق العَصَا

تقولُه لابنها، وكان غازياً كثيرَ التعرض للناس، مع ضعف أمر ودقة عظم. فواثَبَ فتىً فقطَع الفتى أنفَه، فأخذت غنَّيةُ ديةَ أنفه، فَحسُنَ حالُها بعد فقرٍ مُدقع، ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذتْ دِيَتَه، فزادت حُسْنَ حال، ثم واثب آخر فقطَع شفَته، فأخذت ديتَها، فلما رأت ما صار عندها من المال ـ وذلك من كَسْب جَوارح ابنها ـ حَسُنَ رأيُها فيه وذَكَرتْه في أرجوزَتها.

وسئل ابنُ الأعرابيِّ عن تفاريق العَصا فقال: العصا تُقطَع فتصيرُ سَواجِير[١] ثم تُقطَع فتصير أوتاداً، ثم تُقطع فتصير كلُّ قطعةٍ شِظاظا[٢]، ثم تُقطَع فتصير مِهاراً، وهو العُود يُجعَل في فَم الفَصيل لئلا يَرضَع أمَّه.

---

(١) سواجير: جمع ساجور؛ وهو خشبة تُجعل في عنق الكلب.

(٢) الشظاظ: العود الذي يدخل في عروة الجوالق.

١٠٤٥ ـ عَبيد العَصا: يضرَب هذا المثَل للقوم إذا استُذِلّوا، وهو اسم لكلِّ ذليل وتابع؛ ولَزِم ذلك بني أسَد لقول صاحبِهم بِشر بن أبي خازِم:

عبيدُ العصا لم يتّقوك بذِمّةٍ ... سِوَى سَيْبِ سُعْدَى إنّ سَيْبَكَ واسعُ[(١)]

وقال الشاعر:

قُولَا لدُودانِ عَبيدِ العَصا ... ما غَرَّكُمْ بالأسدِ الباسِل![(٢)]

ومن كلام الحجَّاج في خُطبة له: يا أهل العراق، يا أهلَ الشّقاق والنّفاق ومَساوِىء الأخلاق، يا بني اللَّكيعة[(٣)] وأَوْلاد الإماء، وعَبيد العَصا.

١٠٤٦ ـ عصا الجبَان: يُضرَب بها المثَل فيُقال: عصا الجبانِ أطوَل؛ وإنَّما يطوِّل الجبانُ عصاه من فشلِهِ يُرِي أن طولها أشدُّ ترهيباً لعَدُوِّهِ من قِصرِها.

١٠٤٧ ـ قتيل العصا: العرب تقول: إيّاك وقتيلَ العصا؛ أي لا تكن قاتلاً ولا مقتولاً في شقِّ عصا المسلمين. واللّه سبحانه وتعالى أعلم.

(١) ديوانه: ١١٥.
(٢) لامرىء القيس، ديوانه: ١١٩.
(٣) اللكيعة: اللئيمة.

في الحُلِيِّ ومَا يُشْبِهُهَا

قُرْط مارية، طَوق عمرو، سُبْحةَ زيْدان، خاتَم المُلك، حَلْقة الخاتَم، دُرَّة التاج، واسطة القِلادة، فرائد الدُّرّ، قُشور الدُّرّ، مَنطِقة الجوزاء، خَلاخِيل الرجّال.

الاسْتِشْهادُ

١٠٤٨ ـ **قُرْط مارية**: من أمثال العرب: خُذْه ولو بقُرْط مارية. ومارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكِنْدِي، وابنها الحارث الأعرج، وإياه عَنَى حسان بقوله:

أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهِمُ ... قبرِ ٱبنِ ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ[1]

١٠٤٩ ـ **طَوْقُ عَمرو**: يُضرَب مثلاً للشيء يَكبُر عنه الإنسان، وأصلُه أنّ عَمْرَو بن عُدِيّ كان له طَوْق يُلبَسه في صِغَره، فاستَهْوَتْه الجنّ دهراً إلى أن وَجَده مالك وعقيل؛ نَديما جذيمة، فأتيا به خالَه جَذيمَة الأبرش؛ فألبستْه أمه وطوّقتْه بالطّوق الذي كان يلبسه في الصِّغر، فلمّا رأى جَذيمة ابنَ أختِه عَمراً والطوق في عنقه قال: شَبَّ عَمرٌو عن الطوق؛ فصارَ مَثَلاً، وإياه عَنَى السَّريُّ بقوله:

تَصابى فأضحَى بعد سَلْوته صَبّا ... وعاوَدَ عَمرٌو وطوقَه بعدَ ما شَبّا[2]

١٠٥٠ ـ **سُبْحة زَيْدان**: زَيْدان قَهْرمانة أمّ المقتدر، وكانت ممكّنَةً من خزانة الجواهر، وفيها جَوْهر الخلافة، فاتخذت سُبْحة تشتمل على ثلاثين دُرَّة متشابهة في الوَزْن واللون، كلّ واحدة منها كبيضة العُصْفور مفصَّلة بعَشْر يَواقيت، لم يُرَ مثلها في عِقْد مَلِكة، ولا خِزانةِ ملِك، فصارتْ مثَلاً في النَّفائس والذخائر، وقد تقدَّم بعضُ ذِكرها. واللّه أعلم.

١٠٥١ ـ **خاتَم المُلْك**: يُضرَب مثلاً في النَّفاسة والشرف؛ كما قال بشّار:

ألَا يا خاتَم المُلْكِ الذي أملِكُ إنْ نِلْتُهْ[3]

(١) ديوانه: ٣٠٩.

(٢) ديوانه: ٦٢.

(٣) ط: «يا خاتم».

فـؤادِي فـيـك مـجـنـونٌ ولـو أسـطـيـع سَـلْـسَـلْـتُـهْ
وأنـتَ الـحَـجَـرُ الأسـوَ دُ لـو يَـخْـلـو لَـقَـبَّـلْـتُـهْ

وكتب الصاحب من رسالة: وَصَل كتابُ مولاي فكانت فاتحتُهُ أحسنَ من كتاب الفَتْح، وواسِطَتُهُ أنفسَ من واسطة العِقْد، وخاتِمَتُهُ أشرفَ من خاتَم المُلْك.

١٠٥٢ ـ حَلْقة الخاتم: يُضرَب بها المَثَل في الضّيق، كما قال الشاعر:

كـأنَّ فـجـاجَ الأرضِ حَـلْـقـةُ خـاتـمٍ علـيَّ فـمـا تَـزْدادُ طـولاً ولا عَـرْضـا

وتُذكَر معها كِفّة حابِل، قال الشاعر:

كـأنّ بِـلادَ الـلَّـهِ وهْـيَ عـريـضـةٌ على الخائفِ المَذْعور كِفَّةُ حابِلِ

ويُحكَى أنّ بشّار بنَ بُرْد، ضحك يوماً بعد طُول سُكوته، فقيل له: ما يُضحِكُك يا أبا مُعاذ؟ فقال: أهٰهُنا محتشَم؟ قالوا: لا، قال: لو أُعطِيَ كلُّ إنسانٍ أُمنِيتَه هَلَك الناس وبَطَل الحَرْث والنسل، قيل: كيف؟ قال: ما على ظهرها رجل إلا وهو يتمنّى أن يكون أيرُه أعظم من أير حِمار، ولا امرأةٌ إلا وهيَ تتمنّى أن يكون فَرْجُها أضيَقَ من حَلْقة خاتَم، فمتَى يَدخُل ذاك في هذه!.

١٠٥٣ ـ دُرَّة التاج: يُضرَب بها المثَل في تفضيل بعضِ الشيء على بعض، قال المتنبي:

إنَّ الـخـلـيـفـةَ لـم يُـسَـمِّـكَ سيـفَـهُ حتَّى بَلاكَ فكنتَ خَيْرَ الصَّارِمِ[^١]
فـإذا تَـتـوّجَ كـنْـتَ دُرَّةَ تـاجِـهِ وإذا تَـخـتّـمَ كـنـتَ فَـصَّ الـخـاتَـمِ

١٠٥٤ ـ واسطةُ القِلادة: يُضرب بها المثَل أيضاً في تفضيل بعضِ الشيء على كلِّه، فقال: واسطةُ القِلادة، ودُرَّة التاج، وإنسان الحَدَقة، وعينُ الكَتِيبَة، وأوّل الجريدة، وبيتُ القصيدة.

وفي الكتاب المبهج: الصّديق الصّدوق واسطةُ العِقد، وأوّل العَقْد[^٢].

١٠٥٥ ـ فرائد الدُّرّ: يُضرَب مثَلا للمحاسن[^٣] من النفائس، ويُشبَّه بها الكلامُ الحَسَن والخطّ الرائق.

---

(١) ديوانه: ٣/ ٣٠٩، وفيه: سينها».
(٢) المبهج: ١٦.
(٣) ط: «للمجانس والنفائس».

ولابنَ طَباطبا كتابٌ مترجَم بـ«فرائد الدُّرّ»، كَتَب إلى صديقٍ كان قد استعاره يَسترجِعُه منه(١):

يـا دُرّ رُدَّ فـرائـدَ الـدُّرِّ وارْفُـقْ بـعـبْـدٍ فـي الـهَـوَى حُـرِّ

١٠٥٦ ـ **قِشْر الدّرّ**: يشبَّه به الجِلْد الناعم، كما قال أبو نُواس:

ظَـبْـيٌ كـأنّ الـلّـه أَلْـبَـسَـهُ قـشـورَ الـدّرِّ جِـلْـدا
وتَـرَى عَـلَـى وَجَـنـاتِـهِ فـي أيّ حـيـنٍ شـئـتَ وَرْدَا

وقال ابن المعتزّ في تشبيه الكأس بقِشْر الدّرّ:

مَـن لـي عـلـى رَغْـم الـعَـذولِ بِقَـهْـوَةٍ بِـكْـرٍ ربـيـبـةِ حـانـةٍ عَـذْراءِ
مَـوْجٌ مـن الـذَّهَـبِ الـمُـذاب تَـضـمُّـه كـأسٌ كـقِـشْـرِ الـدرّةِ الـبَـيْـضـاءِ

وشتّان ما بين هذه القُشور والقشور التي ذَكَرناها في قوله:

ويُـبـرِزُ لـلـرائـيـن وجـهـاً كـأنّـهُ كَـسـاهُ أبـوه مـن قُـشـورِ الـخَـنـافِـسِ

١٠٥٧ ـ **مَنطِقة الجَوْزاء**: يُستعار للجَوْزاء المنطقة، كما تُستعارُ الثُّريّا للعقد، كما قال بعضُ أهلِ العصر وهو الهَمَذانيّ:

خـلـيـلـيّ إنّـي مـن مـحـبَّـتِـيَ الـعُـلا بُليتُ بعُلْويّ الصِّفاتِ أخي البَدْرِ
فـعِـقْـدُ الـثُّـريّـا مـن مَـحـاسِـن ثَـغـرِه ومنطقةُ الجَوْزاءِ في خَصرِه تَجرِي

١٠٥٨ ـ **خَلاخيل الرجال**: وهي القُيود، قال عليّ بنُ الجَهْم وهو في الحبس:

إذا سَلِمتْ نفسُ الحبيبِ تشابهتْ صُروفُ الليالي سَهْلُها وشَديدُها(٢)
فـلا تَـجـزعـي إمّـا رأيـتِ قـيـودَه فـإنّ خَـلاخـيـلَ الـرجـالِ قُـيـودُهـا

وقال أبو إسحاقَ الصّابي:

أَلـحـبـسُ قَـصْـرٌ لِـكُـلّ حُـرّ والـقَـيْـدُ خَـلْـخـالُ كـلّ فَـحْـلِ
والـخَـطْـبُ كـالـضَّـيْـفِ لا تَـراهُ يَـنـزِل إلّا عـلـى الأجَـلّ

(١) ب: «يسترجع منه ذلك».
(٢) ديوانه: ٥١.

في اللّيالي المُضافة

ليلةُ القَدْر، ليلةُ الميلاد، ليلةُ التِّمام، ليلُ المُحِبّ، ليلةُ النابغة، ليلُ الضرير، ليل السَّليم، ليلةُ الخلافة، ليلة حرَّة، ليلةُ الغدير، ليلة الهرير، ليلةُ الفَرَزْدَق، ليلةُ الحزيز، ليلة مَنْبِج، ليلةُ الصَّدَر، ليلُ الشَّباب، حاطبُ الليل، فصلٌ في ذِكر الأيام المُضافة.

الاسْتِشْهادُ

١٠٥٩ ـ **ليلةُ القَدْر**: قال النبيُّ ﷺ في ليلةِ القَدْر: «اطلُبوها في العشر الأواخر من رمضان».

وأكثر العُلَماء على أنُّها في السابعة والعشرين من شهر رمضان؛ ويُروَى عن بعضهم أنه قال: كلماتُ سُورة القَدْر ثلاثون على عَدد ليالي الشهر.

وقد ضَرَبَ بها المثَل من قال:

فتًى تَرهَبُ الأموالُ من ظِلّ كَفِّه ... كما يَرهَبُ الشيطانُ من لَيلةِ القَدْرِ
سأدعو له والناسُ دعوةَ مُخلِصٍ ... عسى أن يريحَ العاشِقين من الهَجْرِ

ومن أحسن ما قيل في ضَرْب المثَل بها قولُ أبي الفَتْح البُسْتيّ:

قيل لي قد خَفِيتَ قلتُ كبَدْرٍ ... صار يَخفَى من بعدِ أن كان بَدْرا
أنا خافٍ كليلةِ القَدْرِ في النّا ... سِ وعالٍ كلَيْلَةِ القَدْرِ قَدْرا

١٠٦٠ ـ **ليلةُ المِيلاد**: هي الليلة التي وُلِد فيها عيسى عليه الصلاة والسلام، يُضرَب بها المثَل في الطول، قال أبو نُواس:

يا ليلةَ الميلادِ هل عَرفْتِ ... أسهَرَ مِنّي عاشقاً مذْ كنْتِ
ألَمْ أُصابِرْكِ فما صَبَرْتِ ... حتّى بدَتْ غُرّةُ يومِ السَّبتِ!

وقال عُبيد اللّه بنُ عبد اللّه بنِ طاهر:

مَضَتْ ليلةُ الميلادِ أطولَ ليلةٍ ... وأقصَرَها، هٰذانِ مختلفانِ

فطالت بمعنًى واحدٍ وتقاصَرَتْ بقربِ حبيبٍ واجتماعِ مَعانِ

وقال ابن بَسّام:

يا مَقيتاً يُصوِّر اليومَ حَوْلاً ساعةٌ منه ليلةُ الميلادِ

خَلِّ عنّا فإنما أنت فِينا واوُ عمرٍو أو كالحديثِ المُعادِ

١٠٦١ ـ ليلة التّمام: ليلة التّمام أطول ليلة في السّنةِ، قال امرؤ القيس:

فبتّ أكابدُ ليلَ التّما مِ والقَلْبُ من خَشْيةٍ مُقْشَعِرُّ[١]

وقد أحسن القائل:

أيا قمرَ التّمامِ أعنْتَ ظُلماً عليّ تطاوَلَ اللّيلُ التّمامُ

١٠٦٢ ـ ليلُ المُحِبّ: قد أكثر الشعراء في وصف ليل المُحِبّ بالطول فما طالوا، وحصل خالد الكاتب على[الغرّة و][٢] النُّكْتة حيث قال:

وليلُ المُحِبّ بلا آخِرِ[٣]

١٠٦٣ ـ ليلة النابغة: حدث أبو العيناء عن الأصمعي أنه قال: انصرفتُ ليلةً من دار الرشيد وأنا أشكو عِلّةً ثم غدوتُ إليه، فقال لي: يا أصمعيّ، كيف بتّ؟ فقلتُ: بليلة النابغة يا أميرَ المؤمنين، فقال: إنّا للّهِ! هو قولُه:

فبِتُّ كأنّي ساوَرتْنِي ضَئيلةٌ من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُّ ناقِعُ[٤]

فقلت: واللّهِ يا أميرَ المؤمنين ما أخبرت خبره، وإنما أردت قوله:

كِليني لِهَمٍّ يا أُميمةَ ناصِبِ وليلٍ أُقاسيه بَطيءِ الكَواكِبِ[٥]

١٠٦٤ ـ ليل الضّرير: لم يَزَل الشعراءُ يَصِفون الليل بالطول، ويزيدُ بعضُهم على بعض في الإبداع والإبلاغ، [٦]حتى جاء سيدوك الواسطيّ، فسبق إلى وصف تفرد به، إذ وجد ما ضَيّعوه من ذلك، فأخذه وهو قوله[٦]:

عَهدي بنا ورِداءُ الشَّمْلِ يَجمعُنا واللّيلُ أطوَلُهُ كاللّمْحِ للبَصَرِ[٧]

(١) ديوانه: ١٥٨.
(٢) من ب.
(٣) التمثيل والمحاضرة: ٢١٠، وصدره:
* رَقَدْتِ وَلَمْ تَرْثِ للساهِر *
(٤) ديوانه: ٥١.
(٥) ديوانه: ٢.
(٦ ـ ٦) كذا في ب، وفي ط: «وفطن أحدهم إلى معنى ضيّعوه من ذلك، فأخذه وهو قوله».
(٧) يتيمة الدهر ٢/ ٣٤٢.

والـيـومَ لـيـلـيَ مـذ غـابـوا فَـدَيْـتُـهُـم   لـيـلُ الـضّـريـرِ فـصُـبْـحِـي غـيـرُ مُـنـتـظَـرِ

١٠٦٥ ـ **ليلُ السَّليم**: يُضرَبِ به المثل في الطول والسهَر فيه، لأنّ السليم لا ينام لما به، ولا يُتْرَكُ والنوّم إن غَشِيَهُ النّعاس، لئلا يَسري السم في بدَنِهِ، والعرب تُعلّق عليه الحُليّ وتُسهره، كما قال النابغة:

يُـسـهَّـدُ مـن نـومِ الـعِـشـاء سـلـيـمُـهـا   لـحَـلْـيِ الـنّـسـاءِ فـي يَـدُيْـهِ قـعـاقِـعُ[1]

وقال السَّريّ في وصف القلم:

لَـكَ الـقـلـمُ الـذي يُـضـحِـي ويُـمـسِـي   لـه الإقـلـيـمُ مـحـمـيُّ الـحَـرِيـمِ
هــو الـصِّـلُّ الـذي لـو عَـضّ صِـلّا   لأَسـلَـمَـهُ إلـى الـلـيـلِ الـسـلِـيـمِ

وفي كتاب المُبهج: شتّان ما بين ليل السليم، وليل النائم في فِراش النعيم.

١٠٦٦ ـ **ليلة الخلافة**: هي ليلةٌ لم يتفق مثلُها قطّ، ويُقال لها ليلةُ الخلفاء أيضاً، وكانت ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة مائة وسبعين للهجرة؛ مات فيها خليفة، ووُلِد خليفة، واستُخلِف خليفة؛ مات الهادي، ووُلد المأمون واستُخلف الرشيد.

١٠٦٧ ـ **ليلةُ حُرّة**: من أمثال العرب عن أبي عمرو: قولُهم للمرأة: باتت بلَيْلة حُرّة، إذا امتنعتْ على زَوْجها في ليلةِ زفافِها فلم يَقدِر على افْتضاضها، قال النابغة:

شُـمـسٌ مَـوانـعُ كـلَّ لـيـلـة حُـرّةٍ   يُـخْـلِـفْـن ظَـنّ الـفـاحِـشِ الـمِـغْـيـارِ[2]

أي إذا أساء الظنّ الفاحشُ بهنّ أخلفن ظنَّهُ لِعفّتهنّ، ومن أمثالهم: باتت بليلة شيباء، إذا أمكنتْ زوجَها من نفسِها ليلةَ عرسِها، تشبّه بمن شابت وجرتْ مجرَى مَن لا تمتنِع، لأن الحَدَثة أشدُّ امتناعاً من الطاعنة في السنّ.

١٠٦٨ ـ **ليلة الغَدير**: هي الليلة التي خطَب رسول اللَّه ﷺ في غَدِها بغَدير خُمّ على أقتاب الإبل، فقال في خُطْبته: «مَنْ كنتُ مولاه فعلِيّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانْصُر مَن نصرَه، واخذُلْ مَن خَذَله»، فالشِّيعة يعظِّمون هذه الليلة ويُحيونها قياماً.

---

(١) ديوانه: ٥١.
(٢) ديوانه: ٣٦.

وقد ذكر ابنُ طَباطَبا غداةَ غَدير خمّ في قوله للوسميّ:

يا مَن يُسِرُّ ليَ العداوةَ أبْدِها ... واْعمِدْ بِجُهْدك أوذَرِ
لِلَّهِ عندي عادةٌ مَشكورةٌ ... فيمن يُعاديني فلا تَتَجبَّرِ
أنا واثقٌ بدُعاء جَدِّي المصطفَى ... لأبي غَداةَ غَديرِ خُمٍّ فاحذَرِ
واللَّهُ أسعَدَنا بإرْثِ دعائِهِ ... فيمن يُعادِي أو يوالي فاصبِرِ

١٠٦٩ ـ **ليلة الهرير**: كانت بصِفِّين فاشتدّ فيها القتال، وكشَفَت الحربُ عن ساقِها وتناثرت الرؤوس، وكثُر عددُ القتلى. وكان عليٌّ رضي اللَّه عنه كلما قَتَل واحداً كبّر تكبيرةً، فأحْصِيتْ تكبيراته تلك الليلة فبلغت سبعمائة، وضُرِب المثَل بهذه الليلة في الشِّدّةِ واستفحال المطاردة.

١٠٧٠ ـ **ليلة الفَرزْدَق**: يُضرَب بها المثل للَّيْلةِ يبلغُ فيها الخليع النهايةَ من الخلاعة وتَعاطِي الفُحْش والرَّكْض في حَلْبة المآثِم، وقصَّتها أن الفرزدق نزل ليلةً بدَيْر راهبةٍ[1] فأكل عندَها طَفَيشَلاً[2] بلَحْم خِنزير، وشَرِب من خَمْرها، وزَنَى بها، وسَرَق كِساءَها، ثم قال: للَّه دَرُّ ابن المَراغة! ـ يعني جَريراً ـ في قوله:

وكُنْتَ إذا نزلتَ بدارِ قوم ... رَحَلْتَ بخزيهِ وتركتَ عارَا[3]

وبعضُ الرُّواة يَنسُب القصة إلى أبي الطَّمَحان القينيّ.

١٠٧١ ـ **ليلة الحزيز**: قال الجاحظ: في مدينة البَصْرة موضع يُقال له الحزيز[4]، يقال إنّ الناس لم يَرَوْا قطّ هواءً أعدَل، ولا نسيماً أرقَّ، ولا أطيَبَ من ذلك الموضع، وكان أميّة بنُ عبد اللَّه بن خالد يقول: ما أسيت على العِراق إلا على ثلاثِ خِلال: ليل الحزيز، وقَصَب السُّكر، وحديثِ ابن أبي بَكْرة، قال أبو عُبيدة: وأيُّ شيء بَقِيَ وَيله![5].

وأراد الحجّاج أن يعالجه على هذا المكان ثياذوق[6] الطبيب، فقال: سَفُل

---

(١) ب: «ديرانية».
(٢) في القاموس: «الطفيشل: نوع من المرن».
(٣) ديوانه: ٢٨١.
(٤) ذكره ياقوت. وفي الأصول: «الخرير»، تحريف.
(٥) البيان والتبيين ٢/١٩٦.
(٦) في الأصول: «تيادون» تحريف. وكان ثياذوق طبيباً في صدر دولة الإسلام، واختص بخدمة الحجاج، ذكره القفطي في أخبار الحكماء ١٠٥.

عن يُبْس البريّة وخُشونتها وقُحولتها، وعَلَا عن الآجامِ وعَفنها. وكان يتعالج هناك.

١٠٧٢ ـ ليلة منبِج: منبج بالشام كالحزيز بالعِراق في طيب الهواء، وعُذوبة الماء ورقة النسيم وصحة التربة، وهي بلدة البحتري وأبي فِراس الحَمْدانيّ وقد ظهرت آثارُها عليهما في اعتدال الطبع، وعُذوبة اللفظ، واختلاط أشعارِهما بأجزاءِ النفس، وقبلهما كانت مَسقَط رأس عبدِ الملك بنِ صالح الهاشميّ ووطنَه، وهو جبل قريش، ولسان بني العباس، ومَن به يُضرَب المثل في البلاغة.

ولما دخل الرشيد منبِجاً قال لعبد الملك: وهذا البلد مَنزلك؟ قال: يا أمير المؤمنين هُوَ لك ولي بك، قال: كيف بناؤك به؟ قال: دُون منازل أهلِي وفَوْق منازِل غيرهم، قال: كيف صِفة مَدينتِك هذه؟ قال: عذبةُ الماءِ، طَيّبة الهواء، [قليلة الأدواء]، قال: كيف لَيلُها؟ قال: سَحَر كُلّه، قال: صدقتَ، إنها لطيّبة؛ قال: بك طابتْ يا أميرَ المؤمنين، وأين تذهب بها عن الطّيب! وهي تُربةٌ حَمراء، وسُنبلة صَفراء، وشَجرة خَضْراء، فَيافٍ مِن قَيْصومٍ وشِيح! فقال الرَّشيد: هذا الكلام واللّه أحسَن مِن الدّرّ المنظوم.

وقد أخذ ابنُ المعتز قولَه: «سَحَرٌ كلُّه» فقال:

يـا رُبَّ لـيـلٍ كـلُّـهُ سَـحَـرٌ مـفـتـضِـحُ الـبَـدْرِ عـلـيـلُ الـنَّـسـيـمْ
تَـلْـتَـقِـطُ الأنـفـاسُ بَـرْدَ الـنَّـدَى فـيـه فـتـهـديـهِ لِـحَـرِّ الـهُـمـومْ

١٠٧٣ ـ ليلةُ الصَّدَر: تقول العرب في أمثالها: أَنْقَى مِن لَيلة الصَّدَر، وهي الليلة التي يَصدُرون فيها ولا يَبقَى على الماء أحد. قال أبو عُبيدة: من أمثالهم في اصطِلام الدّهر الناسَ بالجوعِ قولُهم: تركتُهم على مِثل ليلةِ الصَّدر، قال: يَعنُون نَفْر الناس من حجّهم(١)، مثلَ قولهم: تركتهُ على أَنقَى من الراحة.

١٠٧٤ ـ ليلُ الشّباب: قال ابن الرومي:

وعَـزَّاكَ عـن لـيـلِ الـشـبـابِ مـعـاشـرٌ فـقَـالـوا نَـهـارُ الـشَّـيـبِ أهـدَى وأَرشَـدُ
وكـان نَـهـارُ الـمـرءِ أهـدَى لـرُشْـدِهِ ولـكـنّ ظـلَّ الـلَّـيـلِ أنـدَى وأبـرَدُ

وقال ابنُ المعتزّ:

ونـهـارُ شَـيْـبِ الـرّأسِ يُـوقِـظُ مَـنْ قـد كـان فـي لـيـلِ الـشَّـبـابِ رَقَـدْ

---

(١) ط: «اجتماعهم».

١٠٧٥ ـ **حاطِب اللَّيل**: يشبَّه به المكثار، لأنّ حاطبَ الليل ربّما احتَطَب واحتَمَل فيما يحتطبه حيّةً وهو لا يَشعر بها لمكان الظُّلمة؛ فيكون فيها حَتْفه، كذلك المكثار ربما عثَر لسانُه في إكثاره بما يَجنِي على رأسه، وإيّاه عنى بِشر بنُ المعتمر بقوله في مزدوجته التي أنشدَها الجاحظ وفسّرها:

يا عجباً والدهرُ ذو عجائبِ   مِن شاهدٍ وقلبُه كالغائبِ[١]
كحاطبٍ يَحطِبُ في بِجادِهِ[٢]   في ظُلمةِ اللَّيل وفي سوادِهِ
يَحمِلُ فوقَ ظهرِه الصِّلَّ الذَّكرْ   والأسْوَدُ السَّالخ مكروهُ النَّظَرْ

وقال ابن المعتز من قصيدة:

فرشْنا لكمْ منّا جناحَيْ مودَّةٍ   وأنتمْ زماناً تُضمِرون الدَّواهِيَا[٣]
أظنُّكُم من حاطبِ الليلِ جمَّعتْ[٤]   حبائِلُهُ عقارباً وأفاعيَا

فصل في ذكر الأيام المضافة

وهي أكثرُ من أن تُحصَى، ورأيتُ الأخذَ ببعض أطراف القولِ فيها يَستغرِق الصحائف الكثيرة، فاقتصرتُ من ذكرها على القَدْر الذي قدَّرت فيه الكفاية. وبالله التوفيق.

قال أبو بكر الخُوارَزْميّ: فيما يقولون: ما يَوْمِي مِن فلان بواحد، أي ما الشرّ عليّ منه من جهةٍ واحدة؛ والغالبُ في اليوم أنّه لا يُذكر إلّا في الشّرّ كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، أي عقوبتِه ووقائِعه في أعدائه.

وقالوا في الدُّعاء: لا أراني الله يومَك، أي يوم موتِك. ويوم عَبِيد، يوم قتلِه، ويوم العَنز، يوم ذبحها.

وأنتَ إذا نظرتَ في قولهم: يوم البَسُوس ـ وهو يوم بَكرٍ وتَغلب ـ ويوم تَحْلاق اللِّمَم ـ وهو بينهما ـ ويوم الفِجار ـ وهو بين كنانةَ وقيْس ـ ويوم النبّاح وهو بين أَسَد وتَميم وعامر، ويوم خزازى وهو لعَدنان على قَحْطان ـ ويوم ذي قار ـ

---

(١) الحيوان ٤/ ٢٣٩.
(٢) البجاد: الكساء.
(٣) ديوانه: ٢/ ٩٥.
(٤) ط: «فأنتم لنا كحاطب الليل».

وهو بين بكر بن وائل والفُرْس ـ ويوم حَلِيمة ـ وهو بين المنذر والحارث الغَسّانيّ.. حتّى عدَّ أكثر من مائة يوم، ثم قال: فإذا نظرتَ من الأيام إلى يوم بدْر وأُحُد والخنْدق وحُنين... حتّى عدَّ أيام المَغازي كلّها، ثمَّ قال: فإذا نظرت بعدَها في يوم اليمامة على حَنيفة، ويوم الحِيرة لخالد على بني بُقَيلة، ويوم قِنِّسْرين في الروم لأبي عُبيدة، ويوم القادسية والمدائِن وجَلولاء ونِهاوَنْد على الفرْس لسعد بن أبي وقّاص والنعمان وغيرهما، ويوم الدار، ويوم الجَمل، ويوم صِفِّين والنَّهْروان... حتَّى عدَّ أكثرَ وقائعِ الإسلام ـ علمت أن ذلك أكثرُ من قولهم: يوم الشُّورى، ويوم بركوار.

و قال غيره: وقد تقع الأيّام على يوم السرور والخَير، قال اللّه تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال الشاعر:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسَرُّ

في الأزمانِ وَالأوقات

زمن الفِطَحْل، زمن الوَرْد، عام الحُزْن، عام الجُحاف، زُبْدة الحقب، بِكْر الدهر، نسيم السَّحَر، إغْفاءة الفَجْر، تباشير الصبح، فَلَق الصبح، نفَس الربيع، جَمَرات الظَّهيرة، قمر الشتاء، فاكهة الشتاء، برد الكَوانين، ركوب الكَوْسَج، سقوط الجَمرة، هلال شوّال، حدّ الأحد، ثِقَل الأربِعاء.

الاسْتِشْهادُ

١٠٧٦ ـ زَمَن الفِطَحْل: من أمثال العرب: كان ذلك زَمَن الفِطَحْل، قال رؤبة:

إنّك لو عُمِّرتَ عُمرَ الحِسْلِ ... أو عمرَ نوحٍ زمنَ الفِطَحْلِ[(١)]
والصَّخرُ مبتلٌّ كطِينِ الوَحْلِ ... كنتَ رهينَ هَرَمٍ أو قَتْلِ

وسُئل عن زمن الفِطَحل، فقال: أيّامَ كانت الحجارةُ رَطْبة، وإذ كلّ شيء يَنطِق. قال: وزعم بعضُ أهلِ اللغة أنّ زمن الفِطَحْل هو زمن الخِصب والسَّعة، وأنهم أرادوا برُطوبة السِّلام ابتلالَ الصَّخْر، ورفاهيةَ العيش، واتصال الغيُوث، وصدق الأَنْوَاء.

وقال الخليل: زمان الفِطَحْل زمان لم يُخْلَقِ الناس بعدُ.

قال القاضي أبو الحسن عليٌّ بنُ عبد العزيز: أما قولهم: أيّام كانت الحجارة رَطْبة وإذْ كلّ شيء ينطق، فهما من الأمور التي يتداولُها جَهَلة الأمم، وهو الظاهر بين أغفال العرب والعامة، هذا ابن أمية بن أبي الصَّلت ـ وهو من حكَماء العرب والمتخصصين منها بالرواية ـ يقول:

وإذْ هُمْ لا لَبُوسَ لهُمْ عُراةٌ ... وإذ صُمُّ السَّلامُ لهمْ رِطابُ[(٢)]
بآيةِ قامَ يَنطِقُ كلُّ شيءٍ ... وخانَ أمانةَ الدِّيكِ الغُرابُ

(١) الكامل للمبرد ٢/ ١٩٩.
(٢) الحيوان ٤/ ١٩٦، وفيه: «لا لبوس لهم تقيهم».

وعن مُقاتل بنِ سليمان أنه كان يقول: إذ الصُّخور كانت ليّنة، وإذ قَدَمُ إبراهيمَ أثّرت في صَخْرة المَقام، للِين الصخر كلّه يومئذ. وليس مذهب هؤلاء فيما رَووه يَذهَب مَذهَب من جعلها أجزاء من الأرض، تناسبتْ فتضامّت وتحجّرت، فيزعم أنّ الصّخر إنما يَيْبَس من ندوَّة ويصلب بعد رخاوة، ولو أرادوا ذلك لوجدوا متّسَعاً في القول؛ لكنّ الأوهام التي صوَّرت لهمْ أن البهائم كانت ناطقةً عاقلةً وفروعَ السعدان مَلساءَ ليّنة[وأغصان السَّيال ناعمة خضراء][١] هي التي أدّتْهم لذلك. ولا يَبعد أن يكون القومُ قَصَدوا استعطافَ القُلوب إلى الحكمة، وأرادوا تألّفَهم على الفهم، فوضعوا أمثالاً وشَوها[٢] ببعض الهزْل، وأدرَجوا الجِدّ في أثناء المَزْح؛ ليخفّ على القلوب احتمالُها، ويُسوِّغُ إليها التفاتُها، وظنّ مَنْ لم يقع من التمييز موقع الكمال بالبهائم أنّها كانت تَنطِق وتُفصِح وتُبين عن نفسها وتُعرِب، فاختلَقوا أحاديثَ أضافوها إليها؛ وكان للعرب في ذلك شأن خصوصاً ما ازدادتْ على سائر الأمم به، لفضل ما فيها من اللهَجَ بالكلام، وما أوتيَتْ من الاقتدار على التصرف في المنطق، فاختلقَت لها قَريضاً، وفَصَّلتْ أسجاعاً، كالذي حكتْه عن الضبّ أنه قال في صَبْره على الماء؛ وهو عندهم أصبرُ ذي نَفْس:

آلَيْتُ ألّا أرِدَا ... إلا عَراداً عَرِدَا[٣]
وصِلِّيَاناً صَرِداً ... وَعَنْكَثاً مُلتَبِدَا[٤]

وزعموا أنّ القطا قالت للحَجَل: حَجَل حَجَل، كفَرَس في الجَبل، يَهمِز من خوف الأجل.

فقال لها الحَجْل: قَطَا قَطا، أرى قَفاكِ أَمْعطا، بَيْضُكِ ثِنتانِ وبَيْضي مائتا.

هكذا جاءت الرواية؛ والأمثال تَجري على ألفاظها، وأشباه ذلك كثير؛ والعرب تُسمّي ذلك الزمانَ زمانَ الفِطَحْل، [قال:

زمنَ الفِطَحْلِ إذ السِّلامُ رطابُ][٥]

---

(١) من ب.
(٢) ب: «وشحوها».
(٣) اللسان ٤/ ٢٨٠. العراد: حشيش طيب الريح.
(٤) الصليان: شجر ينبت صعداً. والعنكث: ضرب من النبت أيضاً.
(٥) من ب.

١٠٧٧ ـ زمن الوَرْد: زمن الوَرْد يُضرَب به المثَلَ في الحسن والطيِّب، قال أبو الفَرَج الببغاء:

زمــنُ الــوَرْدِ أطــيَــبُ الأزمــانِ　　　وأوانُ الــرَّبــيــعِ خــيــرُ أَوانِ
أشـرفُ الـزّهـرِ زادَ فـي أشـرَفِ الـدَّهْــ　　　ـرِ فَـصـلْ فـيـه أشـرفَ الـفِـتْـيـانِ

وقال ابن سُكَّرة الهاشميّ:

وعـاذلـةٍ هـبَّـتْ بـلَـيـلٍ تـلـومُـنـي　　　وما عندَها من لذَّةِ القصْفِ ما عندي
تُـوبِّـخُـنـي بـالشَّـيـبِ والشِّيبُ مُـرشِـدٌ　　　لَـعـمـري ولـكـنْ لـسـتُ أرشـدُ لـلـرُّشْـدِ
فـقـلـتُ لـهـا كُـفِّـي مـلامَـكِ إنّـنـي[١]　　　بـطـيءٌ عـن الـعـذّالِ فـي زمـنِ الـوَرْدِ

١٠٧٨ ـ عام الحُزْن: هو العام الذي توفّيت فيه خديجة رضي اللّه عنها وأبو طالب، وكانت وفاتهما في عامٍ واحد لسنةِ ستٍّ من الوحْي، فسَمَّى النبيُّ ﷺ ذلك العامَ عامَ الحُزْن.

١٠٧٩ ـ عام الجُحاف: كما يُقال: عامُ الفيل، وعام الرَّمادة للعام الذّي اشتدّ فيه القَحْط، وذلك زمنَ خلافةِ عمرَ رضيَ اللّه عنه. ويُقال: عام الجُحاف، وهو سَيْلٌ كان ببَطْن مكّة سنة ثمانين للهجرة، أَجحَفَ بالناس، وذَهَب بالإبل عليها الحمولة.

١٠٨٠ ـ زُبْدة الحِقب: يُضرَب مثلاً للشيء النادر الذي لا يتّفق مِثلُه إلّا في الأحقاب، كما قال أبو تمّام في ذلك:

حتّى إذا مَخَضَ اللّهُ السِّنينَ لها　　　مخْضَ البَخيلةِ كانتْ زُبدةَ الحِقَبِ[٢]

١٠٨١ ـ نسيم السّحَر: يُضرَب به المثَل لِطيبه، وقد استكثر الصاحبُ من ذلك فكتب: سلامٌ كما هَبّ السَّحَر، على صفَحات الزَّهَر، ولذّ طَعْم الكَرَى بعد بَرْح السَّهَر. وكتَب: نَثْرٌ كما تَفتّح الزَّهر عن كمِيمِه، ونَظْمٌ كما تنفس السَّحَرُ عن نَسِيمه، وتبسَّم الدُّرُّ عن نَظِيمه.

١٠٨٢ ـ بِكر الدَّهْر: قال إبراهيم بنُ العبّاس الصُّوليّ:

ولـيـلـةٍ مـن الـلَّـيـالـي الـغُـرِّ　　　قـابـلْـتُ فـيـهـا بـدرَهـا بـبَـدْرِي

---

(١) في ب: «زمامك» مكان «ملامك».
(٢) ديوانه: ١/ ٥٤.

لـم تـكُ غـيـرَ شَـفَـقٍ وفَـجْـرِ حـتَّـى تَـولَّـتْ وهـي بِـكْـرُ الـدَّهـرِ

١٠٨٣ ـ إغْفاءة الفَجْر: يُضرَب بها المثل فيُقال: ألذّ من إغفَاءة الفجر. وأحسنُ ما سمعتُ في إغفاءة الفجر قولُ ابنِ طَباطَبا:

أقولُ وقد أُوقِظْتُ من سِنَةِ الهَوَى بعَذْلٍ يُحاكي لَذْعُهُ لذعةَ الهَجْرِ
دَعُوني وحِلْمَ اللهو في ليلةِ المُنى ولا تُوقِظوني بالملامِ وبالزَّجرِ
فقالوا ليَ استيقِظْ فشَيْبُكَ لائحٌ فقلتُ لهمْ طيبُ الكَرَى ساعةَ الفَجْرِ

١٠٨٤ ـ تَباشير الصبح: تباشير الصّبح أوائلُه، قال عُبيد اللّه بنُ عبد اللّه بن طاهر:

بَكِّرْ فقد صاحتِ العَصافيرُ ولاحَ مِن صُبحِكَ التّباشيرُ

١٠٨٥ ـ فَلَق الصّبح: من أمثالهم عن أبي عمرو: أليَنُ من فَلَق الصّبح؛ وأبيَن من عَمُود الصّبح؛ قال أبو تمّام:

نَسَبٌ كأنَّ عليه من شَمْسِ الضُّحَى نُوراً ومن ضَوْءِ الصّباحِ عَمُودا[١]

وقال البُحتريّ:

كالصبحِ يَضرِبُ في الدّجَى بعَمودِهِ

وقال: كان ذلك من بَياض الفلَق، إلى سواد الغَسَق. أي من مفتتح النهار إلى مُختَتَمه.

١٠٨٦ ـ نَفَسُ الرَّبيع: يُضرَب المثَل بِطيبه، فيقال: أطيَب من نَفَس الربيع، كما يقال: أطيب من نَفَس الحبيب، وقد ذكَره من قال:

أَلعذلُ والتفنيدُ غيرُ صوابِ مع أربعٍ أصبحنَ من أصحابي
نَفَسُ الرَّبيعِ وصَبْوةٌ عُذْرِيّةٌ ومُدامةٌ تُجلى وشَرخُ شَبابِ

وقال:

تنفَّسَ هذا الرَّبيعُ المَرِيعُ وأصبَحَ للرَّوضِ كالرَّائِضِ
وما فَرَحي بشَبابِ الزّما نِ والشّيبُ يَعْرِضُ في عارِضي!

١٠٨٧ ـ جَمَرات الظَّهيرة: تقع في الاستعارات الحسنة، كما كَتب بعضُ

(١) ديوانه: ١/ ٤١٨.

الظرفاء في وصف انتصاف نهارِ الصيف فقال: انتَقَل من كلّ شيء ظلّه وقام قائمُ الهَجيرة، ورَمَت الشمسُ بجَمَرات الظَّهيرة.

١٠٨٨ ـ **قمرِ الشّتاء**: يُضرَب به المثل في الضياع فيقال: أضيع من قمر الشتاء، لأنه لا يُجلَس فيه كما يُجلَس في قمر الصيف، قال ابنُ حجّاج:

خاطرٌ يَصفَع الفَرزدقَ في الشّعـ ـرِ ونحوٌ يَنيكُ أمَّ الكِسائي
غيرَ أنّي أصبحتُ أضيَعَ في القَوْ مِ من البَدْرِ في ليالِي الشتاءِ

١٠٨٩ ـ **فاكهة الشتاء**: يُقال للنار فاكهة الشتاء، قال الشاعر:

ألنّارُ فاكهةُ الشتاءِ فمن يُرِدْ أكلَ الفواكِهِ شَاتِياً فلْيَصْطَلِ

١٠٩٠ ـ **بَرْدُ الكَوانين**: يشبَّه به كلُّ ما يوصَف بالبَرْد، قال الشاعر:

أبردُ من بَرْد الكَوانينِ زيارةُ الواحِل في الطّينِ
لا يَصلُحُ التسليمُ يَوم النّدَى إلّا لأصحابِ البَراذِينِ

وقد زاد ابنُ المعتزّ في هذا المعنى زيادةً حسنةً فقال:

بكَرْنا وقد طابَ الشّرابُ وأوقدتْ حُميَّاهُ في القَيّالِ نارَ نَشاطِ

١٠٩١ ـ **رُكوب الكَوْسَج**: جرت العادة في أوّل يوم من شهر آذرْماه الفارسيّ من كَوْسج أنْ يتناوَل في هذا اليوم بعْض الأدوية المسخنةَ، ويطّلي ببعض الأطلية الحارة، ويَركب ويَخرُج في شُهْرة من الثياب المُضحِكة للناس، وهذه السنَّة مستعمَلة ببَغدادَ وفارس، قال المرادي:

قد ركب الكَوْسَجُ يا سيدي فانْزِلْ على المَرْهَم والرَّاحِ
وانعَمْ بآذرْماه عَيْشاً وخُذْ من لذّة العيشِ بمِفْتاح

١٠٩٢ ـ **سقوط الجَمَرات**: كنايةٌ عن انتهاء البَرْد وابتداء الحَرّ، وسقوطُ الجَمَرات الثلاث في ما بين شابَاط وآذرماه على ما تَنطق به التقاويم. ووَصَف بعضُهم إنساناً بارداً فقال:

كأنّ قيام فُلانٍ من عندِنا سُقوط جَمْرة في الشتاء.

١٠٩٣ ـ **هلال شوّال**: يُضرَب مثلاً للشيء السارّ الذي يُسَرُّ به الناس ويختلفون في النظر إليه، قال ابن المعتزّ:

مَرَّ بنا تُشْرِقُ الطريقُ به في قَدِّ غصنٍ وحُسنِ تِمثالِ

فَخِلْتُه والعيونُ تأخذُه ... من كلّ فَجٍّ هِلالَ شَوَّالِ

أخذه من قول ذي الرمّة حيث قال:

قياماً يَنظرون إلى بلالٍ ... كأنَّهُم يَرَوْن به الهِلالا[(١)]

وقال الطائيّ:

رَمَقوا أعالي جِذْعِهِ فكأنّما ... رَمَقوا الهلالَ عشيّةَ الإفْطارِ[(٢)]

وقال كُشاجِم:

بَحْرُ عِلمٍ غداةَ حُجّةِ خصمٍ ... طَوْدُ حِلْمٍ هلالُ لَيلةِ عيدِ[(٣)]

١٠٩٤ ـ حدّ الأحد: كان قُدَارِ بن سالف ومن تابعَه من ثَمودَ عَقروا ناقةَ اللّه يومَ الأربعاء فصَبَّحهم العذابُ يومَ الأحد، فأهلكهم. وفي الحديث: «تعوّذوا باللّه من شرّ الأحد». وفيه: «وإيّاكم والشخوص يومَ الأحد فإنّ له حَدّا كحدّ السيف».

ولما ولّى يزيد بنُ معاوية سالِمَ بن زِياد خُراسَان كتب إلى عُبيد اللّه بن زياد وهو على البَصرة بأن يوجِّه عبد اللّه بن خازم في أربعة آلافٍ من أهل البصرة في تقوية سالم بن زياد، فقال عُبيد اللّه: أخرِجوا ابنَ خازم يومَ الأحد إذا ضَرَب الناقوس حتى لا يَرجع أبداً؛ وجعل يردّد الرسل والشُّرَط إليه ليخرج وابن خازم يتربص ويعتلُّ بالعوام إلى أن زاغت الشمس، فركب بالعَشِيّ، فقال للموكَّل به: أَعْلِمْ صاحِبَك أنه قد ذهب حَدّ الأحَد.

وقال أبو تمام في محمد بن يوسفَ وقد أَوقَع بقوم في يَوْم الأحد:

مَنْ كان أنكأ حدّاً في كنائِسِهِمْ ... أأنتَ أمْ سَيفُك الماضي أم الأَحَدُ[(٤)]

وقال إسماعيل الناشيّ:

تجنَّبْ حِدّةَ الأَحَدْ ... ولا تَركَبْ إلى أَحَدْ

فما بالدَّيْرِ من أَحَدْ ... يؤمّلُ ثُمَّ لا أحَدْ

---

(١) ديوانه: ٤٤٣.
(٢) أبو تمام، ديوانه: ٢/ ٢٠٤.
(٣) ديوانه: ٤١.
(٤) ديوانه: ١/ ١٧.

١٠٩٥ ـ **ثقل الأربعاء**: يقال: إنّ الأربعاء أثقل الأيام، وفيه قيل: [مِن](١) مزدَوجة:

الأربُعا يومٌ وَحِشْ   أَلنّحسُ فيه مُنكمِشْ
الأخذُ فيه والعطا   من ذي المودّاتِ خطا

ولابن الحَجّاج من قصيدة يَرثِي بها أبا الفتح بن العَميد:

أقولُ ليومِ الأربعاء وقد غَدَا   عليَّ بوَجْهٍ أغبرِ اللّونِ قاتِم
بَعثْتَ على الأيام نَحساً مؤيّداً   بشُؤْمِك يا يَومَ الندى والمكارمِ

وقرأتُ في أخبار مزبّد أن رجلاً جاءه فقال له: أحبّ أن تخرج معي وتَصِل جَناحي في حاجة لي، فقال: هذا يومُ الأربعاء أستثقِله، ولستُ أبرَح من منزلي، فقال الرجل: وما تَكرَه من يوم الأربعاء، وفيه وُلِد يونُس بنُ مَتَّى! فقال: لا جَرَم وقد بانت بركته في اتساع موضعه وحُسنِ كِسْوته، حتى وَصَل على ورَق القَرْع! قال: وفيه وُلِد يوسف، قال: ما أحسَن ما فعَلَ به إخوَته حتى طال حبسُه وغُربتُه! قال: وفيه أُوحِيَ إلى إبراهيمَ عليه السلام قال: فما كان أبردَ الأتون الذي أوقَدوه له حتى خلّصة اللّه تعالى منه! قال: وفيه نَصَر اللّه رسوله ﷺ يومَ الأحزاب، قال: أجلْ، بأبي أنت وأميّ! ولكن بعد أن زاغت الأبصارُ وبَلَغت القلوبُ الحناجِرَ، وظَنّوا باللّه الظّنونا، هنالك ابتُلِيَ المؤمنونَ وزُلزلوا زِلزالاً شديدا!.

فهذا في الأربعاء عامّةً، وأما الأربعاء التي لا تدور، فقد قال ابن عبّاس رضي اللّه عنهما فيما رَواه عن النبي ﷺ أنه قال: «آخر أربعاء في الشهر نحسٌ مستمر».

وتمثّل به مَن قال:

لقاؤك للمُبكِّرِ يومُ سَوْءٍ   ووَجهُكَ أربِعاءٌ لا تَدورُ

---

(١) من ب.

في الآثار العُلْويّة سِوَى ما تقَدَّم منها

شمس العصر، لُعاب الشمس، كَلَف البدر، عادة القَمَر، قمر المقنّع، صُحبة الفَرقَدين، مَناط العيُوق، نجوم الشباب، سحابة الصيف، مرّ السَّحاب، ظلّ الغمام، بَرْق خُلّب، مطر الربيع، مطر مِصر، ريق المُزْن، عيث الغَيث، نسيم الصَّبا، أنفاس الرياح.

الاسْتِشْهادُ

١٠٩٦ ـ **شمس العصر**: تُضرَب مثلاً للشيخ المُسِنّ ذي السنّ العالية الذي خرِف وبلَغ ساحلَ الحياة، فيقال: ما هوَ إلّا شمسُ العصرِ على القَصْر.

١٠٩٧ ـ **لُعاب الشَّمس**: لُعاب الشمس عند العرب هو ما يَتراءَى كالخُيوط في الجوّ عند شِدّة الحرّ، قال الراجز:

وذابَ لِلشمسِ لُعابٌ فنَزَلْ وقامَ ميزانُ النهارِ فاعتدَلْ

وقد يشبَّه به الشيءُ الباطل الذي لا أصل له. ويُقال له أيضاً: مُخاط الشيطان وخَيْط الشيطان، وخَيط الشمس، وكما يقال: لُعاب الشمس يقال: بُصاق القمر للحَجَر الأبيضِ الذي يُقال له حَجَر المها.

١٠٩٨ ـ **كلَف البَدْر**: يشبَّه به ما يَعرِض في المحاسن من القُبْح، وقد تقدّم طرف من ذِكره، قال الشاعر:

إنْ يكنْ أَثَّرَ في عارِضِه ذلك الشَّعرُ ففي البدرِ كَلَفْ

١٠٩٩ ـ **عادة القمر**: تُضرَب مثلاً لمن لا يجيء إلّا ليلاً، قال ابن الرُّومي:

لا تَعجَبْ من سُرانا فالسُّرَى عادةُ الأقمارِ والناسُ هُجودُ

وقال آخر:

هكذا البَدْرُ في الظلامِ يُوَاتي

وقال أبو إسحاق الصابي:

سَرَى إليَّ وجُنحُ الليل معتكِرٌ كذلك البدرُ في ظَلمائِه سارِ

١١٠٠ ـ **قمر المقنَّع**: كان رجلاً من أهل مَرْو أعوَر يقول بالحلول والتَّناسخ، ويَدَّعى الإلَهيَّة، ويَضرِب في السِّحر والنِّيرَنْجيَّات بسهم وافر، فاتخذ وَجهاً من ذهب، واشتدت شوكتُه بما وراء النهر وتَفاقَم أمرُه وأجابهُ قومُه [المبيّضة][١] الذين بقيتْ منهم إلى الآنَ بقيَّة في حدود كَشّ ونَسف[٢]. ومن مَخارِيقه أنه احتالَ حتى أظهَر في الجوِّ قمراً يُقال إنه من عكس شُعاع عينِ الزئبق التي بتلك الأرض، وهو حتى الآن منسوب إليه. ولمَّا كان سنة ثلاثٍ وستِّين ومائة للهجرة استعمَل المهديّ المسيّب على خُراسان وأمرَه بمحاربة المقنَّع، فناصَبَه الحرب، وتحصّن المقنَّع، فلما أحسّ باستيلاء المسيّب على الحِصْن جَمَعَ نساءَه كلَّهنّ. وقال: أنا صاعد إلى السَّماء فمن أراد أن يصحبني فليَشربْ مِن هذا الشّراب، وسقاهنَّ شراباً مسموماً، وشرب هو أيضاً منه فمات ومِتْن جميعاً.

١١٠١ ـ **صُحبة الفرقَدَيْن**: يُضرَب بها المثَلَ في طُول الصُّحبة والتساوي والتّشاكل، كما قال البحتريّ:

كـالـفـرقـديْـن إذا تـأَمَّـلَ نـاظـرٌ ... لـم يـغْـلُ مـوضـعُ فـرقـدٍ عـن فَـرقـدِ

وقال آخر:

شُـغْـلـي بـمـعـتـدلِ الـقَـوا ... مِ ظَـلـومُ لـحـظِ الـمُـقْـلَـتَـيْـنِ
أفـنـيْـتُـه عَـضّـاً وتَـقْـبـ ... ـيـلاً وإنِّـي بـيـنَ ذَيْـنِ
وكـأنَّـنـي وكـأنّ مَـنْ ... أَهـوَى اجـتـمـاعُ الـفَـرْقَـدَيـنِ

١١٠٢ ـ **مَناط العَيُوق**: يُضرَب به المثل في البُعد، فيُقال: أعزُّ من بَيْض الأنوق، وأبعَد من مَناط العَيُّوق. ويُقال أيضاً: أبعَد من مَناط الثريا؛ قال الشاعر:

وأبـعَـدُ مـن هٰـذا الـذي قـد أردتَـهُ ... مَـنـاطُ الـثـريّـا مـن يـدِ الـمُـتـنـاوِلِ

١١٠٣ ـ **نُجوم الشّيب**: قال ابنُ الرُّوميّ:

رُبّ لـيـلٍ تـراه كـالـدهـر طـولاً ... قـد تَـنـاهَـى فـلـيـسَ فـيـه مَـزيـدُ
ذي نـجـومٍ كـأنّـهـنّ نُـجـومُ الـشَّـ ... ـيـبِ لـيـسـتْ تَـغـورُ لا بـل تَـزيـدُ

١١٠٤ ـ **سحابةُ الصّيف**: يُضرَب مثلاً لمن يقلّ لُبثه ويَخِفُّ مُكثه، ويشبّه بها

(١) من ب.
(٢) كذا في ب، وفي ط: «البلاد».

أيضاً غَضَب العاشق. وقال أحد الحُكماء الذين وَقفوا على تابوتِ الإسكندَر الروميّ وتكلّم كلّ واحد منهم بحِكمة بالغة: انظر لي حُلْم النّائم كيف انقَضى، وإلى سَحابِ الصّيف كيف انجَلَى! وكان ابن شُبْرُمة إذا نزلتْ به نازلةٌ يَتمثّل بقول الشاعر:

سَحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تَقَشَّعُ

ومن فصل للصاحب: سحائبُ الصّيْف أثبتُ من قولك، والخطّ في الماء أقوَى من عَهْدِك.

وفي الكتاب المبهج: إقبالُ الدنيا كإلمامة طَيف، أو زيارة ضيف، أو سحابة صَيْف.

١١٠٥ ـ مرّ السحّاب: يتمثّل به في السرعة، قال بعض الحُكماء: الفرَص تمرّ مرّ السحاب قال الشاعر:

أَلدّهرُ أقصرُ مدّةً ... من أن يمحّقَ بالعتابِ(١)
فتغنّم الساعاتِ منـ ... ـهُ فمرُّها مَرُّ السحابِ

[وقد شبّه به الأعشى مشي المرأة حيث قال]:

كأنّ مِشيتَها من بيتِ جارتِها ... مَرُّ السحابة لا رَيْثٌ ولَا عجَلُ(٢)

١١٠٦ ـ ظلّ الغَمام: يُضرَب مَثَلاً لما لا يدوم بل يُسرِع انقضاؤه، قال كثيّر:

وإنّي وتَهْيامي بعَزّة بعد ما ... تخلّيتُ عمّا بيننا وتخلّتِ(٣)
لكالمرتجِي ظِلَّ الغَمامةِ كلّما ... تبوّأَ منها للمَقيلِ اضمحَلّتِ

وقال ابن المعتزّ:

إلا إنّما الدنيا كظِلِّ غمامةٍ ... إذا ما رجاها المستظِلُّ اضمحَلّتِ
فلا تكُ مِفراحاً إذا هيَ أَقبلتْ ... ولا تكُ مجزاعاً إذا هي وَلّتِ

١١٠٧ ـ بَرقٌ خُلّب: يُقال له: بَرْقٌ خلّب، وَبرْقُ خلّب، قال الشاعر:

وقولٌ بلا فعلٍ كبارِق خُلَّبِ

(١) هذا البيتان ساقطان من ط.
(٢) ديوانه: ٥٥.
(٣) أمالي القالي ٢/ ١٠٩.

وقال آخر:

لا يكن وعدُك برقاً خُلَّباً إنّ خَيْر البَرق ما الغيثُ مَعَهْ

والبرق الخُلّب هو الذي لا غَيثَ معه؛ يُضرَب مثلاً لمن يُخلف كما يُخلِف ذلك البَرْق، والخُلّب من الخَلابة، قال اللّيث عن الخليل: البَرْق الخُلّب الذي يُومِض ويُطمِع في المطر، ثمَّ يَعِدُ[(١)] ويُخلِف.

وللصّاحب من رسالةٍ: وعدُه بَرق خُلّب، وروَغَان ثعلب.

١١٠٨ ـ **مطرُ الرّبيع**: الدّهّاقين[(٢)] يقولون: مطر الربيع ماءٌ كلّه أي نَفْع كلّه، وذلك أنّ الماءَ حياةُ كلّ شيء، فمطر الربيع هو الماءُ الذي تحيا به الأرض بعدَ موتها، ولا يضيع منه شيءٌ كما تضيع أَمطار سائر الفصول، وقد أحسَن مَن قال لشاربِ دواء:

وجالَ نفعُ الدواء فيكَ كما يجولُ ماءُ الرّبيع في المَطَرِ

١١٠٩ ـ **مطر مِصر**: يُضرب مثلاً للشيء النافع يتضرر منه، لأن من عيوب مصر أنها لا تُمطَر، فإذا أُمطِرتْ كَره أهلُها ذلك أشدّ كراهة؛ قال اللّه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، يعني المَطَر، فهذه رحمةٌ موجّهة لهذا الخَلْق، وهم لها كارهون، وهي لهم غيرُ موافقة، ولا تَزكُو عليها زُروعُهم، قال الشاعر:

يقولون مصرٌ أخصَبُ الأرضِ كلِّها فقلتُ لهمْ بغدادُ أخصَبُ من مِصرِ
وما مصرُ إلا بَلدةٌ مثلُ غيرِها تعاقَبُها الأيامُ بالعُسر واليُسرِ
ولكنّكمْ تُطْرونَها بهواكُمُ ولم تخْلُ أَرضٌ من مُحبٍّ ومن مُطرِ
وإلّا فأينَ الخِصْبُ من معشرٍ بها يُقاسون أنواعَ العَذاب من الفَقْرِ!
وما خيرُ قوم تُجدِبُ الأرضُ عندَهم بما فيه خِصْبُ العالَمين من القَطْرِ!
إذ بُشِّروا بالغَيْث رِيعتْ قلوبُهمْ كما رِيعَ في الظَّلْماء سِرْبُ القَطا الكُدْرِ

قال الجاحظ: وإذا هبّت بها الرِّيح المرِيسيّة ـ وهي ريح الجَنوب ـ ثلاثةَ عشر يوماً تباعاً، اشترى أهلُها الأكفان والحَنوط، وأيقَنوا بالوباء القاتل.

---

(١) ط: «يعود».

(٢) ط: «الدهاقون»، والدهقان: رئيس القرية من العجم.

١١١٠ ـ **ريق المُزْن**: يَدخُل في باب الاستعارات، قال بعضُ أهل العصر:

ريقُ الحبيبِ بريقِ المُزْنِ والعِنَبِ ... أذاقَني ثمراتِ اللهوِ والطَّرَبِ
وقد سرقْتُ من الأيام صفوَتها ... فكيف أهرُبُ منها وهي في طَلبي!

١١١١ ـ **عَيثُ الغَيث**: يُضرَب مثلاً لما يعمّ خيرُهُ ويخصّ شرّه، وذلك أن الغيث على إغاثته الخلق، وإحيائه الأرض بعد موتها، ربّما ضرّ الخلْق بهَدْم البيوت[١] وتخريب العُمْران، وتعويق المواعيد، وإيذاء المسافرين. وقد أنشد الشيخ أبو الفتح البُسْتي:

لا ترجُ شيئاً خالصاً نفعُهُ ... فالغيثُ لا يَخلُو من العَيْثِ

١١١٢ ـ **نسيمُ الصَّبَا**: الصَّبا مخصوصة من بين الرياح برقّة النسيم وطِيب الهُبوب، لانخفاضها عن بَرْد الشِّمال، وارتفاعها عن حَرّ الجَنوب، وقد أكثَر الناسُ من ذكرها، قال امرؤ القيس:

نسيمَ الصَّبا جاءَتْ بَريَّا القَرَنْفُلِ[٢]

وقال ابن طَباطَبا:

أتاني قَريضٌ كنظمِ الجُمانِ ... ورَوْضِ الجِنانِ وأمنِ الفؤادِ
وعهدِ الصِّبا ونسيمِ الصَّبا ... وبردِ الفُؤاد وطِيبِ الرُّقادِ

وقال ابنُ الروميّ في وصف اللَّوْزِينَج:

مُستكثِفُ الحرِّ ولكنَّهُ ... أدَقُّ جِرْماً من نَسيم الصَّبا

١١١٣ ـ **أنفاس الرياح**: من إحدى الاستعارات الحَسَنة السائرة، قال أسحاق بنُ خلف في وصف السيف:

ألقى بجانِبِ خَصْرِهِ ... أمضَى من الأجلِ المُتاحِ
وكأنّما ذَرّ الهَبا ... ءُ عليه أنفاسَ الرِّياحِ

وقال السّريّ في وصف قصيدة:

أتتْكَ وقد أعدَتْ خلالُك لفظها ... خلالاً ففيه من خلالك رونقُ[٣]
مَعانٍ كأنفاسِ الرِّياح بسُحْرةٍ ... تمرُّ بأنوار الرِّياض فتَعبقُ

---

(١) ب: «يهدم البنيان».
(٢) ديوانه: ١٥، وصدره:
* إذا التفتتْ نَحْوِي تَضوَّعَ ريحُها *
(٣) ديوانه: ١٩٦، والبيت الأول ساقط من ط.

في الأَدَب وما يتعَلق به

أدب النَّفْس، حِرفة الأدب، حِلية الأدب، بيت القصيدة، طريق القافية، غِذاء الروح، سَيْر المَثَل، طُغيان القلم، عُنوان الخَير، توراة الثّمانين، آخِر الصّكّ، جَواب الجواب.

الاسْتِشْهادُ

١١١٤ ـ أدب النفس: قالوا: أدب النفس خيرٌ من أدب الدرس، ونَظَمه من قال:

يـا مُـغـرِقـاً فـي أدبِ الـدَّرْسِ　　أفـضـلُ مـنـه أدبُ الـنـفـسِ

وأَهدَى أبو غسّان التميميُّ إلى الأمير نصر بن أحمدَ في يومِ نَيْروز كتاباً من تأليفه؛ فقال له: ما هذا يا أبا غسّان؟ فقال: كتابُ أدبِ النفس، قال: وكيف لَا تعمَل بما فيه! وكان أبو غسّان التميميّ من سيِّئي الأدب في المجالس، ويُعَدّ ممّن يسيء الأدب.

١١١٥ ـ حِرْفة الأدب: قال الخليل: حِرْفة الأدب آفة الأدباء. وفي الكتاب المبهج: حِرْفة الأدب حُرفة[1]. وفي غيره: حرفة الأدب حُرقة.

ويُرَوى لنفرٍ من الأدباء والشعراء، منهم الخَليل والحَموي قولهم:

مـا ازددتُ فـي أدبـي حَـرْفـاً أُسَـرُّ بـه　　إلّا تـزيّـدْتُ حُـرفـاً دونَـه شـومُ

إن الـمُـقـدَّم فـي حِـذْقٍ بـصَـنْـعـتِـهِ　　أنَّـى تـوجّـهَ مـنـهـا فـهْـو مَـحـرُومُ

وقال ابنُ بَسّام في مَرْثيةِ ابنِ المعتزّ:

مـا فـيـه لَـوٌّ ولا لَـيْـتٌ فَـتـنـقُـصَـهُ　　وإنَّـمـا أدركَـتْـهُ حِـرفـةُ الأَدَبِ[2]

(١) الحرفة، بالضم: نقص الحظ.

(٢) ابن خلكان ١/ ٢٥٨، في ترجمة ابن المعتز، وقبله:

لله دَرُّكَ مِـنْ مَـيْـتٍ بـمـضْـيَـعَـةٍ　　نـاهـيـكَ في العـلـم والآدابِ والـحـسَـبِ

١١١٦ ـ **حِلْية الأدب**: قيل: لكل شيء حِلْية، وحلية الأدب الصِّدْق، قال الصاحب:

إلـزَمِ الـصِّـدقَ إنّـهُ حِـلْـيـةُ الـعِـلـم والأدبْ
كَـذِبُ الـمـرءِ شَـيْـنُـهُ لـعـنَ الـلَّـهُ مـن كَـذَبْ

١١١٧ ـ **بيت القصيدة**: يُضرَب مثلاً في تفضيل بعض الشيء على كله، وقد تقدم ذكرُ مثله، يُقال: فلان فارِس الكَتِيبة، وأوَّل الجَريدة، وبيتُ القصيدة؛ قال المتنبي:

ذُكـر الأنـامُ لـنـا فـكـانَ قـصـيـدةً أنـتَ الـبـديـعُ الـفـردُ فـي أبـيـاتِـهـا[(١)]

وهذا البيت بيتُ القصيدة التي عَرَضَها.

١١١٨ ـ **طريق القافية**: لمّا قال أبو إسحاقَ إبراهيم المَوْصِلِي في وصفِ الخَمر:

وصـافـيـةٍ تُـغْـشِـي الـعـيـونَ رقـيـقـةٍ سَـلـيـلـةِ عـامٍ فـي الـدِّنـانِ وعـامِ
أَدَرْنـا بـهـا الـكـأسَ الـرَّوِيّـةَ بـيـنـنـا مـن الـراحِ حـتـى انـزاحَ كـلُّ ظـلامِ
فـمـا بـانَ قَـرْنُ الـشـمـسِ حتَّى كـأنّـنـا مـن الـغَـيِّ نَـحـكـي أحـمـدَ بـنَ هـشـامِ

قال له أحمد بنُ هشام: لِمَ هجوتَني مع الصداقة [التي][(٢)] بيننا! قال: لأنّك قعدتَ على طريق القافية.

١١١٩ ـ **غِذاء الرُّوح**: يقال: إنّ الأدب غِذاء الروح، كما أن الطعام غِذاء الجسم. وفي الكتاب المبهج: الكلام الفائِق بالحظّ الرائق، نزهةُ العين وفاكهةُ القلب ورَيحانة الرُّوح[(٣)]. انتهى.

١١٢٠ ـ **سَيْر المثَل**: يُضرَب به المثل فيقال: أسيرَ مِن مثَل، وقال أبو عثمانَ الخالديّ:

إنِّـي لأَمْـلأُ لـلآمـاقِ مِـن قَـمـرٍ بـدرٍ وأسـيَـرُ فـي الآفـاقِ مِـن مَـثَـلِ

١١٢١ ـ **طُغيان القَلَم**: طغيان كلِّ شيء مجاوزته حدَّه، وطغيان القلم إنَّما يجري بما لا يقصده الكاتب، فكأنّه يَطغَى في ذلك.

---

(١) ديوانه: ١/ ٢٣٥.
(٢) من ب.
(٣) المبهج ٣٩.

١١٢٢ ـ عُنوان الخير: قال ابن الرومي في أبي الصقر:

لـه مـحـيًّـا جـمـيـلٌ يُـسـتـدَلُّ بـه   عـلـى جـمـيـلٍ ولـلـبُـطْـنـانِ ظُـهـرانُ
وقَـلَّ مـن ضُـمِّـنَـتْ خَـيْـراً طـويَّـتُـهُ   إلّا وفـي وجـهِـه لـلـبِـشْـرِ عُـنْـوانُ

وقيل لإنسان وسيمٍ جسيم: ما هذه الجَسامة؟ قال: عنوانُ نعمة اللَّه.

١١٢٣ ـ توراة الثمانين: هي التي تَرجَمها ثمانون حَبْرا لبعض مُلوك الروم، وذلك أنه أَوْرَدهم وفرّق بينهم، وأمرَهم بترجمة التوراة ليأمن تواطُؤَهم على تغيير شيء منها؛ ففعلوا، وهي الآن أصحُّ تَراجِم التّوارة.

١١٢٤ ـ آخر الصكّ: يشبَّه به ما وصَفَه ابنُ الروميّ وسبق إليه في قوله:

لـك وجـهٌ كـآخِـرِ الـصّـكِّ فـيـه   لـمَـحَـاتٌ كـثـيـرةٌ مِـن رِجـالِ
كـخُـطـوطِ الـشّـهـودِ مُـشـتـبِـهـاتٍ   مُـعـلـمـاتٍ أَنْ لـسـتَ بـابـن حـلالِ

١١٢٥ ـ جواب الجواب: كان الصاحب يقول: جوابُ الجواب، مِن الخُطَط الصِّعاب.

في فنون مُختلفة الترتيب
على تَوالي حُرُوف الهجاءِ

الألف: إرجاف العَوَامّ، أيام الشباب، أخبار الآحاد، أنفاسُ الحَبيب، أنفاس الرياض، أُسارى الثّرَى، أثافِيّ الشرّ.

الباء: بكاء السرورِ، باب السماء، باب الآخرة، بِكْرُ بكْرَيْن، بَيْدَق الشِّطْرَنْج، بغلة الشِّطْرَنْج.

التاء: تحِلّة القَسَم، تُرَّهات البَسابس، تقسيمات إقليدِس.

الثاء: ثِقل الفِيل، ثِقل الدَّيْن، ثِقل الرّصاص.

الجيم: جَهْد البلاء، جهد المُقلّ، جِلْسة الآمنِ، جِلسة الخَطيب، جَهْل الصِّبا.

الحاء: حُكْم الصبيّ، حُلم النائم، حبّ الظّرف، حاسي الذّهب، حمّى الروح.

الخاء: خُدعَة الصبيّ، خطيبُ القِدْر، خَبط الفيل.

الدال: دار القَرار، داء الكرام، دِينار يحيَى، دعوةُ المظلوم.

الذال: ذلّ الفقر، ذلّ الهوى، ذل العزّ، ذلّ السؤال.

الرّاء: رِشاء الحاجة، راكب الفيل، راكبُ اثنين، ريق الدنيا، رُقْية الزِّنا.

الزاي: زكاة الجاه، زَغَب الحسن.

السين: سِقاية الحاجّ، سرّ الزجاجة، سُوس المال، سِرّ الفلك، سَوْط عَذاب، سلّم الشَرَف، سفاتج الأحزان، سقَطَ الجُنْد.

الشين: شَريكا عِنان.

الصاد: صُحبة السفينة، صَدْع الزجاج، صِبغة الشباب، صَوْلة الكريم، صابون الهُموم.

الضاد: ضَمير الغَيب، ضربة الخائف، ضربة لازِب.

الطاء والظاء: طَعْم الحياة، ظلّ الموت.

العَين والغين: عَرَق القِرْبة، عَرَقُ الموت، عِزّ التّقَى، غَفلة الرقيب، غَضَب العاشق، غُبار العسكر، غبار الولاية، غَصَص الموت.

الفاء والقاف: فتنة الدَّجّال، فُقّاعُ القِلَى، فِطْنة الأعراب، فَتْح الفُتوح، قبورُ الأحياء، قُبلة الحُمّى، قَرْن الكَركَدن، قِمَع الفؤاد، قُطب السرور.

الكاف واللام: كتاب النِّثار، كيمياء الفَرح، كَفّ الجواد، كَرْب الدواء، لَمَعُ السّراب، لُعاب المنيّة، لزوم الدِّبق، لذة الخِلسة.

الميم والنون: مَجالس الكرام، ميزان القوم، مِصباح السرور، مفتاح النجاح، مفتاح باب الرِّزق، مفتاح الأمصار، مفتاح الفِتَن، مطيّة الجهل، مودّة السُّوق، مَوْلى المَوالي، معتَرك المَنايا، مَدرَجة الشرف، نَقدُ البلَد، نُورُ الهموم.

الواو والياء: وَقار الشّيب، وَقاحة العُمْيان، يَنبُوع الأحزان.

الاسْتِشْهادُ

١١٢٦ ـ **إرْجاف العَوامّ**: كان محمد بنُ عبد الملك الزيّات يقول: إرجاف العوامّ مقدِّمة الكون، فنَظَمه جَحْظة فقال:

أَرَى الإِرجافَ متّصلاً بنذلٍ ولابسِ حُلّتَيْ كِبْرٍ وَتِيهِ
وإرجافُ العوامِ مقدَّماتٌ لأمرٍ كائنٍ لا شكَّ فيهِ

وخفّف العامّ [وحقّها][1] التشديد، وإنّما جاء بها عاميّة بغدادية.

١١٢٧ ـ **أيّام الشباب**: يشبَّه بها ما يُوصَف بالحُسن والطِّيب، قال ابنُ أبي البغل:

مِدادٌ مِثلُ خافيَةِ الغُرابِ وقِرطاسٌ كَرقْراقِ السَّرابِ
وأقلامٌ كمُرهَفةِ الحِرابِ وخَطٌّ مِثلُ مَوْشِيِّ الثّيابِ[2]
وألفاظٌ كأيّامِ الشّبابِ

١١٢٨ ـ **أنفاس الحبيب**: يشبَّه بها كلُّ شيء طيّب، قال أبو بكر الخُوارَزميّ:

وطِيبٍ لا يحلُّ لكلّ طِيبِ يُحيِّينا بأنفاسِ الحبيبِ

---

(١) من ب.
(٢) ط: «كالموشى في الثياب».

متى يَشمُمْهُ أنفٌ جُنَّ قلبٌ ... كأنّ الأنفَ جاسوسُ القُلوبِ

١١٢٩ ـ **أنفاس الرّياض**: من أحسن ما قيل فيها قولُ ابنِ الروميّ:

كذلك أنفاسُ الرياضِ بسُحْرةٍ ... تَطيبُ وأنفاسُ الأنامِ تَغيَّرُ

١١٣٠ ـ **أخبار الآحاد**: هي التي لم يَروِها إلا الآحاد، ولا يَحكم بها أكثرُ الفقهاء. ومن فصل للصّاحب: مولاي يَعرِف أخبار الآحاد، وكم أهلكتْ من العباد. وله من نُتْفة:

لا تَعِ ما جاءَكَ الوُشاةُ به ... فإنّ هٰذي أخبارُ آحادِ
وعُدْ إلى الرّسم في مُواصَلَتي ... واعطِفْ على عبدِكَ ابنِ عَبّادِ

١١٣١ ـ **أسارَى الثّرى**: كان محمّد بنُ عبد الملك بنِ صالح إذا ذُكِر عندَه قوم مَوتَى بسُوء قال: كُفُّوا عن أُسارى الثَرَى.

وفي معناه يقولُ ابن المعتزّ في الفُصول القِصار: لا تَذكُر الميِّت بشَرّ فتكونَ الأرضُ أكتَم عليه منك.

١١٣٢ ـ **أثافيّ الشّرّ**: قال الأصمعي: كان جرير والفرزدق والأخطل يسمَّوْن أَثافيَّ الشّرّ؛ تهاجَوْا أربعين سنةً.

١١٣٣ ـ **بكاء السُّرور**: السرور إذا أفرَط أبكَى، والغَمّ إذا أفرَط أضحَك.

قال أبو الطيّب: «ومن السرور بكاء»[1]. وقال آخر:

ومِنَ فَرَحِ النَّفسِ ما يَقتُلُ

وقال آخر: ومن الشدائد ما يُضحِك. وقال بعض العصريّين:

وكنتُ أبكِي قريرَ العينِ من فَرحٍ ... والآنَ مِن عجَبٍ في ضِحْكِ مَكْروبِ
وكنتُ أُولَع بالتَّصفيقِ من طَرَبٍ ... فالآن أوهَى يَدِي تصفيقُ مَحْروبِ

١١٣٤ ـ **بابُ السماء**: قلت في الكتاب المبهج: لا يُقرَع بابُ السماء بمثلِ الدُّعاء.

١١٣٥ ـ **باب الآخرة**: قال ابن المعتزّ في الفُصولِ القِصار: والموتُ باب الآخرة.

---

(١) من قوله في ديوانه: ١/ ٢٩:
وَلَجُدْتَ حتى كدتَ تبخل حائلاً ... للمنتهى ومن السرور بكاءُ

١١٣٦ ـ بِكر بِكْرَين: البِكر أوّل وَلَد الرجل، والعرب تتشاءم به إذا كان ذَكَرا؛ فإذا كان كلٌّ مَن أبوَيه كذا قيل له: بِكْرِ بِكْرَين، وهو النهاية في الشؤم. وكان قيسُ بنُ زهير بِكر بِكْرَين، وكان أزرَق، ويقال: بِكر بِكْرَين شيطان، قال الشاعر في غلامٍ كان بِكْر بِكْرَين:

يا بِكرَ بِكْرَيْن ويا خِلْبَ الكِبِدْ أصبحتَ منّي كذراعٍ مِن عَضُدْ[١]

١١٣٧ ـ بَيْدق الشِّطْرَنج: يُشبّه به القصير الدنيء الساقط، وأظنّ الناظمَ أوّل مَن شبّهه به حيث قال:

ألا يا بَيْدَقَ الشِّطْرَنْـ ـج في القِيمةِ والقامَهْ
لقد صُغِّرَ مِنكَ الـ ـكُلُّ غيرَ الدُّبرِ والهامَهْ

١١٣٨ ـ بَغْلة الشِّطْرَنْج: يشبّه بها مَن يُستغنَى عنه ولا يُحتاجُ إليه، ويكون دخيلاً في القوم، إذ ليس للبغل مكانٌ في دَوابّ الشطَرنج؛ وله يُقال في المَثَل: مَن أنت في الرِّفعة! قال بعض العصريين:

يا كاتباً أقبَلَ من زَرَنْج[٢] مُبرْقَعَ الوَجْهِ بلونِ الزَّنجِ
إذهبْ فأنتَ بغلةُ الشّطْرَنْج

١١٣٩ ـ تَحِلّة القَسَم: أحسنُ ما سمعت فيها قولُ عُبيد اللّه بنِ عبدِ اللّهِ بن طاهر:

حلفَ الأميرُ بقطعِهِ يَدَهُ إذ مَسَّ مَن يهواهُ بالألَمِ
حتى إذا ضاقَ الفَضاءُ به جَعَلَ الفِصادَ تحِلّةَ القَسَمِ

١١٤٠ ـ تُرَّهات البَسابِس: ذكر الأصمعيُّ أنّ التّرَّهات الطّرق الصغار المتشعبة[٣] من الطريق الأعظم، والبَسابِس جمع بَسْبَس، وهو الصحراء الواسعة التي لا شيء فيها، يقال لها: بَسْبَس وسَبْسَب، هذا أصل الكلمة، ثم يُقال لمن جاء بكلامٍ مُحال: أخَذَ في تُرّهات البَسابِس، وجاء بالتُّرّهات؛ ومعنى المَثَل أنه أخذَ في غير القصد وسَلَك الطريق الذي لا يُنتفَع به؛ كقولهم: ورَكِب بسبسات الطّريق، قال الشاعر:

تطاوَل ليلِي واعترتْني وَساوِسي لآتٍ أتى بالتُّرَّهاتِ البَسابِسِ

---

(١) اللسان (بكر)، من غير نسبة.
(٢) زرنج: قصبة سجستان.
(٣) ط: «المتشبعة» تحريف.

١١٤١ ـ **تَقسيمات إقْليدس**: حَكى أبو القاسم الآمديّ قال: سمع بعض الشيوخ مِن نقَدة الشعر قول العبّاس بن الأحنف:

وِصالكُمُ هجرٌ وحُبُّكُمُ قِلًى ... وعَطْفُكمُ صَدٌّ وسِلْمكُم حَرْبُ[(١)]

وأنتمْ بحَمدِ اللّه فيكمْ فَظاظةٌ ... وكلُّ ذَلولٍ مِن مَراكِبكُمْ صَعْبُ[(٢)]

فقال: هذا واللّهِ أحسنُ من تَقْسيمات إقليدِس.

١١٤٢ ـ **ثِقل الفِيل**: يُضرَب به المثل، وكان أبو حنيفة رضي اللّه عنه كثيراً ما يتمثّل بهذا البيت:

وما الفِيلُ تَحمِلُه ميّتاً ... بأثقَلَ من بعض جُلّاسِنا

وأنشَدَ المَيْدانيّ:

وما الفِيلُ تَحمِلُه مَوقَراً ... رَصاصاً بأثقَلَ من مَعْبَدِ

وقال بعضُ الظرفاء:

أنتَ واللَّهِ ثَقيلٌ ... وثقيلٌ وثَقيلُ

أنتَ في المَنظَر إنسا ... نٌ وفي المَخبَرِ فيلُ

١١٤٣ ـ **ثِقْل الدَّين**: يُضرب به المَثَل؛ كما قال ابن الروميّ:

وثقيلٍ كأنّه ثِقْلُ دَيْنٍ ... يتعدّاه طالعاً كلَّ عَيْنِ

حَمّل اللّهُ ثِقْلَها ثُمَّ ... براه علاوةَ الثَّقَلَيْنِ

ويُروَى أنّ لقمَان قال لابنه: يا بُنَي، حَملتُ الصخَر والحديدَ فلم أحملْ أثقلَ من الدَّيْنِ، وأكلت الطيّبات، وعانقتُ الحِسان؛ فلم أُصِب ألذَّ من العافية، وذُقتُ المرارات؛ فلم أذق أمرَّ من الحاجة إلى الناس.

١١٤٤ ـ **ثِقْل الرَّصاص**: أنشَدَ الجاحظُ لابن دوست:

ليَ جيرانٌ ثِقالٌ كُلُّهمْ ... فأخفُّ القومِ في ثِقْلِ الرَّصاصِ

قلتُ لمَّا قيلَ لي قد غَضِبوا ... غَضبُ الخَيْلِ على اللُّجمِ الدِّلاصِ

١١٤٥ ـ **جَهْد البَلاء**: اختلفت الآراءُ والأقاويل فيه، فيُروَى أن الأحنف

---

(١) ديوانه: ١٩.

(٢) الديوان: «في جوانبكم».

كان يقول فيه: جهْد البلاء خادم يُدَمْدم، وبيتٌ يَكِف، وحَطَب يُفرقِع، وخِوانٌ يُنتظَر به غائب.

وأُتِيَ عبدُ اللّه بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب برجلٍ قد استحقّ القتل فأقيم لِيُضرَب عنقه، ودعا بالسيَّاف، فقال رجل من جلسائه: هذا واللّه جهْد البلاء؛ فقال عبد اللّه: لا تقل هذا، فواللّه ما هذا وشَرْط حجّام بمِشْرَطه إلا سَواء؛ ولكن جهَد البلاء فَقرٌ مُدقِع بعد خَيرٍ مُوسِع.

ويُروَى أنّ المأمون قال يوماً لجلسائه: ما جهد البَلاء؟ فقال عمرو بن مَسعَدة: طول الليلة الساهرة، من خوف ذي البَطْشة القادرة؛[١] فقال: إنّ هذا الجَهد لم يَبلُغ أن يكون كل الجَهد؛ فقال صالح العباسيّ: جَهد البلاء زوال النعمة، وانتهاك الحُرمة، والأمر الغُمّة، فقال المأمون: إنّ الأمر الغُمَّة لناهيك به، فقال الحجاج بن خَيْثَمَة: بل جَهْد البلاء على من غضِب عليه أميرُ المؤمنين فلا يَقبَل له عُذرا، ولا يَعدُه صَفْحا، فالأرض لا تُقِلّه، والسماء لا تُظِلّه؛ فقال ثمامة: جهد البلاء[جَرْي][٢] حُكمِ جاهلٍ على عالِم، فقال المأمون: ينبغي أن يكون لحديثك قصة، قال: نعم، يا أميرَ المؤمنين؛ حَبَسني الرشيد ووَكّل بي مسروراً، فَمنَعني النُّعاس، وقُرْب الناس، ثم دخل عليّ يوماً وهو يقرأ: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ [المرسلات: ١]، ويقول: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:٢٨]؛ فقلت: إن المكذَّبين هُمُ الرُسل والمكذِّبين قومهم، فقال: قد قيل لي إنّك قَدَريّ ولكنّني لم أصدِّق إلى الآن! فأيّ جهَد يكون أجهَد من هذا! فقال المأمون: صدقتَ يا بن مَعْن.

وحَكَى الأصمعيّ عن المعتمر بنِ سليمانَ أنّه قال: لم يعالج جهَد البلاء من لم يعالج الأيتام.

وقال الجاحظ: ليس جَهْد البلاء مدُّ الأعناق، وانتظار وُقوع السّيوف؛ لأنّ الوقت قصير، والحسّ مغمور، ولكنّ جَهْد البلاء أن تَظهَر الخَلّة؛ وتَطول المدّة، وتَعجَز الحيلة، فلا تَجد[٣] صديقاً مؤنساً إلا ابنَ[٤] عمٍّ شامتاً، وجاراً حاسداً، ووليًّا قد تحوّل عَدُوّاً، وزوجةً مختلِفة، وجاريةً مضيّعة، وعبداً لا يَحترِمك، وولداً ينهرُك.

---

(١) ب: «الغادرة».
(٢) من ب.
(٣) ب: «ولا تعدم».
(٤) ب: «إلا وابن عم».

وقال في مكان آخر: قد عَلِمنا أنّ المخنوق يَجِد الترفيه وإرخاءُ الوَتَر وأنّ صاحبَ الحُصْر وصاحب الأُسر[١] يَجِدان عند التطلُق وانفتاح المَخرَج ما يَجِده آكلُ الرُّطب، وكذلك المصبور على ضَرْب العُنُق؛ هو الذي يُسمَّى جَهْدَ البلاء؛ فإنه إذا سلِم وقد عايَن بَريقَ السيف يَجِد لتلك السلامة من اللذة ما لا يجد لشيء من الفَواكه والحَلْوَى.

١١٤٦ ـ جَهْد المُقِلّ: أحسنُ ما سمعت فيه قول الشاعر:

قد بعثْنا إليكَ أصلحَك اللّـ ... ـهُ بشيءٍ فكنْ له ذا قَبولِ
لا تَقِسْهُ إلى نَدَى كَفِّك الغَمْـ ... ـرِ وإفضالِكَ الجَسيمِ الجَزيلِ
واغتفِرْ قِلّةَ الهَدّيةِ منّي ... إنّ جَهْدَ المقلِّ غيرُ قليلِ

وكتب بعضهم في ذكر قصيدةٍ: هي جَهْد المُقِلّ، لا دَعْوَى المستقِلّ.

١١٤٧ ـ جلسة الآمِن: قيل لمحمد بن واسع: ألا تَسْكُن؟ فقال: تِلْك جِلسة الآمِن ولست به.

١١٤٨ ـ جِلْسة الخطيب: تَمثّل بها في الخِفّة بعضُ الظّرفاء فقال: جلسة فلانٌ عِنْدي أخَفّ من جِلْسة الخطيب فيما بين الخطْبتين.

وفي الكتاب المبهج: جِلسة العِيادة خِلْسة.

١١٤٩ ـ جَهْل الصَّبِيّ: يُضرب به المثَل فيُقال: أجهَل من صَبِيّ، ويقال: الصبيّ صَبيّ ولو لقِيَ النبيّ، قال الشاعر:

ولا تَحكُما حُكَمَ الصبيّ فإنه ... كثيرٌ على ظهر الطّريق مجاهِلُهْ

١١٥٠ ـ حُكمْ الصبيّ: يُضرَب به المثل لمن يشطّ في الاقتراح على صاحبه. وكان أبو سُفْيان بن حرب إذا نزل به جارٌ يقول له: يا هٰذا إنّك قد اخترتَني جاراً فجناية يدِكَ عليّ دُونَك، وإن جنَتْ عليك يدٌ فاحكم عليَّ حكم الصبيّ على أهله. وقال قُدَير بن منيع لجُديْع بن عليّ: لكَ عليّ حُكم الصبيّ على أهله[٢].

١١٥١ ـ حلم النائم: يُشبّه به ما يُسرِع انقضاؤه. وقال حكيم: كان مكتوباً

(١) الحصر، بالضم: اعتقال البطن، والأسر بالضم أيضاً: احتباس البول.
(٢) الحيوان ٣/ ٤٧٠.

على تَابوتِ الإسكَنْدر: انظر إلى حُلم النائم كيف انقضَى، وإلى سحاب الصيف كيف انْجلَى! وقال الشاعر في وصف الدنيا:

أحلامُ نَوْمٍ أو كَظِلٍّ زائلٍ إنّ اللّبيبَ بمثلِهَا لا يُخدَعُ

وقال إبراهيم بنُ المهديّ:

وما المرءُ في دنياه إلّا كهاجِعٍ رأى في غِرارِ النّومِ أضغاثَ أَحلامِ

١١٥٢ ـ حَبّ الظّرف: هو الجَرَب عند فتيان الشام والعِراق ومتظرّفيهما، قال الصَنَوْبَريّ:

أَلشيبُ عنديَ والإفلاسُ والجَرَبُ هذا هَلاكٌ وذا شُؤْمٌ وذَا عَطَبُ
إنْ دام ذا الحالُ لا ظُفرٌ يدومُ ولا جِلدٌ يدومُ ولا لَحمٌ ولا عَصَبُ
ولقّبوه بحَبِّ الظّرْفِ لَيتَهُمُ يا نَفْسِ ضاعوا كما قد ضاع ذا اللّقبُ

وقال آخر:

يا صُرُوفَ الدهرِ حَسْبي أيُّ ذنبٍ كانَ ذَنْبي
علّةٌ عمّتْ وخَصّتْ في حبيبٍ ومُحبّ
دَبّ في كَفّيْه ظَرْفٌ حُبّه دَبَّ بقَلْبي
فهو يشكو حَرَّ حَبٍّ واشتكائي حَرَّ حُبٍّ

ومن أحسن ما سمعت في الجَرَب قولُ الآخر:

سيّدي ليس ذا جَرَبْ هٰذه حِكّةُ الطَّرَبْ
كلّما قلتُ قد ذَهَبْ دَبَّ في الجِلد والتَهَبْ
ما أراه مُزايلي ما رَأى التِّينَ والعنبْ

١١٥٣ ـ حاسِي الذّهب: هو عبدُ اللّه بنُ جُدْعان؛ يُسمَّى حاسي الذّهب، لأنه كان يَشرَب في إناء ذهب. وكانت قريشٌ تتمثّل بقولها: أقْرى مِن حاسِي الذَّهب، لجُوده وكثرةِ قِراه.

١١٥٤ ـ حمّى الروح: كان بختيْشُوع يقول للمأمون: يا أميرَ المؤمنين، لا تُجالس الثقيل، فإنّا نجد في كُتُبنا أنّ مجالسة الثّقيل حُمَّى الرُّوح.

١١٥٥ ـ خُدْعة الصَّبيّ: من أمثال العَرَب: إنها خُدْعة الصبيّ عن اللبن، يُقال للشيء اليسير يُخدَع به الإنسان عن الشيء الخطير، وإنّما يُشبَّه

بما يُعطَى الصبيُّ عند فِطامه من طعامٍ أو غيرِه فيعلّل به ليسلوَ عن اللبن.

١١٥٦ ـ **خطيبُ القِدْر**: سمعتُ الأميرَ السيد أدام اللّه تأييدَه يقول: سأل أعرابيّ أهلَه فقال: أين بلغتْ قِدْرُكُم؟ فقالت: قد قام خطيبُها ـ تُكني عن الغَلَيان.

١١٥٧ ـ **خَبْط الفِيل**: يُضرَب به المثل في ثِقَل الوَطْأة. وكانت الأكاسرة ربما قتلَت الرَّجل بوطء الأفيلة، وكانت قد دَربت على ذلك وعلمتْ فإذا أُلْقِيَ إليها الرجلُ تركت العَلف وقصدتْ نحوَه فضربتْه بخَراطيمها وخبَطتْه بقوائمها حتَّى يموت؛ وما كان ممَّن أُلقِيَ تحت أرجُل الفِيَلة النُّعمان بنُ المنذر.

١١٥٨ ـ **دار القرار**: قال اللّه عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، قال عليُّ بنُ الجَهْم:

مِنْ وَراء الشّبابِ شَيْبٌ حَثيثُ السَّـ ... ـيْر واللَّيلُ مُزعَجٌ بنَهارِ[١]
ومع الصحّةِ السَّقامُ وحالُ الـ ... ـعِزِّ مقرونةٌ بحالِ الصَّغارِ
ليسُ دارُ الدّنيا بدار قرار ... فتزوَّدْ منها لِدارِ القَرارِ

١١٥٩ ـ **دِينار يَحيَى**: يَحيَى هذا بُلِي بالعبّاس المَصّيصي الخيّاط المعروف بالمَشْنوق لمّا أعطاه دِيناراً خفيفاً؛ كما بُلِيَ ابنُ حَرْب بالحَمْدوني إذْ خَلع عليه طَيْلَساناً خَلَقاً، فصارَ دِينارُ يَحيى مثلاً في الخِفّة كما صارَ طَيْلسانُ ابنِ حَرْبٍ مثلاً في الخُلوقة، فمن مُلَحِ العبّاس في دِينار يحيَى قوله:

دينارُ يحيَى ذلك الرّجسُ ... كأنما جاءَ من الحَبْسِ
وفي هُبوب الرِّيح يَحكِي لنا ... تقلُّبَ الرَّقّاص في العُرْسِ
كأنّه في الكَفّ من خفّةٍ ... مقدارُهُ من صُفْرة الوَرْسِ[٢]

وله أيضاً رحمه اللّه تعالى:

دينارُ يَحيَى زائدُ النُّقْصانِ ... فيه علامةُ سِكّة الحِرْمانِ
قد دَقّ مَنظَرُهُ ودَقّ خَيالُهُ ... فكأنّه رُوحٌ بلا جُثْمانِ
أهداهُ مكتتِماً إليَّ برُقْعةٍ ... فوجدْتُه أخفَى من الكِتْمانِ

---

(١) تكملة ديوانه: ١٤٨، ١٤٩ ونقله عن ثمار القلوب.

(٢) ط: «مغرة الورس».

١١٦٠ ـ **داء الكِرام**: كنايةٌ عن الدَّيْن؛ لأنّ الكرام كثيراً ما يُبتلَوْن به، وربّما يُراد به رِقّة الحال، كما قال الشاعر:

وافَقَ المِهْرَجانُ والعيدُ مِنّي رِقّةَ الحالِ وهي داءُ الكِرامِ
فاقْتَصَرْنا على الدعاءِ وفيه صِدْقُ عَوْنٍ على وَفاءِ الذِّمامِ

وقال آخَرَ:

أحمَدُ ربّي اللّطيف حمدَ فتًى في كَدَرِ العيشِ غيرِ مَغْبونِ
إنْ كان داءُ الكرام يَغْروني فإنّ داءَ المُلوك يَعْدوني

١١٦١ ـ **دعوة المظلُوم**: «اتّقوا دعوَة المظلوم ولو كان كافراً»، وفيه: «اتّقوا دعوةَ المظلوم فإنها ليّنة الحِجاب»، وقال الشاعر:

كنتَ الصَّحيحَ وكنّا مِنك في سَقَم فإنْ سَقِمتَ فإنّا الظالمون غَدَا
دَعتْ عليكَ أكُفٌّ طالَما ظُلِمَتْ ولن تُرَدَّ يدٌ مظلومةٌ أبدا

وبات أبو العيناء عند ابن مكرّم في بيتِ فتأذّى بفُسائه، فتحوّل إلى الصُّفّة فلحِقَه النَّتْن، فصَعد غُرفةً فوجد تلك الرائحة، فقال له: يا بن الفاعلة، ما أشبَه فُساءَك بدَعْوة المظلوم، والرِّيح العَقيم؛ ليس دونَهما حجاب!.

١١٦٢ ـ **ذلّ السؤال**: من أحسنِ ما سمعتُ فيه قول القائل[١]:

يقول الناسُ كَسْبٌ فيه عارٌ فقلتُ العارُ في ذلِّ السؤالِ
لَنَقْلُ الصَّخْر مِنْ قُلَلِ الجبالِ أخفُّ عليَّ مِن مَنَنِ الرجالِ

وقول أبي تمّام:

ذُلُّ السؤالِ شجاً في الحَلْقِ مُعترِضُ من فوقِه شَرَقٌ من تحتِه جَرَضُ[٢]
ما ماءُ كَفِّك إن جادَتْ وإن بَخِلَتْ من ماء وَجهي إذا أفنيتُهُ عِوَضُ

١١٦٣ ـ **ذلّ الفقر**: من دعاء بعض السّلف: اللّهمّ إنّي أعوذُ بك من ذُلّ الفقر وبَطر الغِنَى، قال ابنُ أبي السَّرْح:

صَحبْتُكُمُ حَوْلَيْنِ في حالِ عِزّةٍ أُرجِّي نَداكمْ والجُنُونُ فُنونُ
فما نِلْتُ منكم طائلاً غيرَ أنّني تَعلّمْتُ ذُلَّ الفقرِ كيفَ يَكونُ

---

(١) ب: «الأول».
(٢) ديوانه: ٤٠٠ (بيروت).

١١٦٤ ـ **ذُلّ الهوى**: لما قصد أبو تمّام البَصْرة شقّ ذلك على عبد الصمد بنِ المعذَّل، فكتب إليه يقول:

أنتَ بين ٱثنتيْن تَبرُز للنّا س وكِلتاهُما بوجهٍ مُذَالِ
لسْتَ تنفكُّ طالباً لِوصالٍ مِن حبيبٍ أو طالِباً لنَوالِ
أيّ ماءٍ لِحُرٍّ وجهِك يَبْقَى بين ذلِّ الهَوَى وذُلِّ السؤال!

١١٦٥ ـ **ذلّ العَزْل**: كان بعضُ الوُلاة يقول: لا يقوم عزّ الولاية بذُلّ العَزْل.
وقال ابن المعتزّ:

وذُلُّ العَزْلِ يضحكُ كلَّ يومٍ ويَضرِبُ في قَفا الوالي المُدِلِّ

١١٦٦ ـ **رِشاء الحاجة**: من فصول أبي الفَتْحِ البُسْتِي القصار: الرِّشوة رِشاء الحاجة[١].

١١٦٧ ـ **راكبُ الفيل**: سَمِع البحتريّ قول الشاعر:

ومُغنٍّ يتغنّى بطعامٍ وشَرابِ
فإذا رُمْنَا سُكوتاً فبمالٍ وثِيابِ

فقال: مَثَل هذا مثَل راكبِ الفيل، يركَب بدانِق وينزل بدرهم.

١١٦٨ ـ **راكب اثْنين**: يضرب مثلاً لمن يعمد لشيئين اثنين فما يتحصل منهما على شيء، ويتضرر بذلك، قال الشاعر:

أضحَى حُرَيْثٌ أدام اللّهُ صَرْعَتَهُ كراكبِ اثنَيْنِ يرجو قُوَّة اثنيْنِ
حتى إذا أخذَا في حالِ شَوْطِهِما تفرَّقا فهوَ في بين الطريقيْنِ
طالَ الزمانُ ولم يَظْفرْ بحاجتِه كذاكَ حالُ الذي يدعُو إلٰهيْنِ

١١٦٩ ـ **رِيقُ الدنيا**: أوَّل من قال ذلك للنّبيذ ابنُ الرُّومي في قوله:

فتىً هَجَرَ الدُّنيا وحرَّمَ رِيقَها وما ريقُها إلا الشرابُ المصرَّدُ

وفي الكتاب المبهج: الدنيا معشوقة، ريقها الراح[٢].

١١٧٠ ـ **رُقْية الزِّنا**: قال المَدائنيّ: لمّا نزل الحُطَيئة بيتي فسمِع شُباناً يتغنَّوْن فقال: جنِّبوني تغنِّيَكم فإنْ الغِناء رُقْيَة الزِّنا.

---

(١) الرشاء: الحبل.
(٢) المبهج ٤٣.

وكان سليمانُ بنُ عبدِ الملك يقول: إنَّ الفَرَس يَصهَل فَتِنقّ له الحَجْر، وأن الفَحْل يَهْدِر فتَضع له الناقة، وإن التَّيْس لِيَنِبُّ فتستحرِم له العَنْز[1]، وإن الرجل يُغنّي فتَشتاقُ له المرأة.

١١٧١ ـ زكاة الجاه: سأل سائلٌ رئيساً كتابَ وَصاةٍ فَمنَعَه إياه فقال له: إنّ اللّه تعالى قد أمَرَنا بإيتاء الزكاةِ، وزكاةُ الجاه الكُتُب؛ فأمر له بما سَأل.

ومما يستحسن لأبي أحمد بن أبي بكر الكاتب قوله لأبي الفضل البلعميّ:

يا أبا الفضلِ لك الفضلُ المُبينْ ... وبما تُكنَى به أنتَ قَمينْ
ليسَ تَخلُو من زَكاةٍ نِعمةٌ ... أوجَبَتْ شكراً لربّ العالمينْ
فزكاةُ المالِ من أصنافِه ... وزَكاةُ الجاهِ رِفْدُ المُستعينْ

١١٧٢ ـ زَغَبُ الحُسن: أوّل من قال ذلك لخطّ عارِض الغلام الصاحب في قوله:

قلتُ وقد قيلَ بدَا شَعْرُه ... بمثلِ ذاكَ الشعرِ لا يُشعَرُ
هل زَغَبُ الحُسْنِ له ضائرٌ ... ذا القمرُ التِّمُّ به يُقمَرُ!

١١٧٣ ـ سِقاية الحاجّ: كانت من مكارم قُريش ومآثِرها إذ كانت تسقي الحاجّ نبيذ الزبيب[2] طول أيام الموسم. وكانت تُسمّى تلك المكرُمة سِقاية الحاجّ، ويتولّاها أكابِرُهم، ويتوارَثونها كابراً عن كابر؛ حتّى استقرّت للعبّاس بنِ عبد المطّلب، وسُمّيَ ساقِيَ الحَجيج.

ويُروَى أنّ مُفاخرةً وقعتْ بين طلحة بن شيبةَ والعبّاس وعليّ بنِ أبي طالب رضي اللّه عنهم، فقال العبّاس: أنا صاحب السِّقاية، والقائم عليها، وقال ابن شيبة: أنا صاحبُ البَيْت، ومعي مِفتاحُه. فقال عليّ: ما أدري ما تقولون؟ أنا صلّيتُ إلى هذه القِبْلة قَبْلَكما وقَبل الناس أجمعين بستة أشهر، فنزلت آية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [التوبة: ١٩].

١١٧٤ ـ سِرّ الزجاجة: يُضرَب مثلاً لما لا يُكتمُ من الأسرار، لأنّ الزُّجاجَ لا يُكتم فيه شيءٌ لما في جِرْمه من الضيّاء.

---

(١) الحَجْر: الأنثى من الخيل. والنقيق: التصويت. وتضع: تسرع، وينب: يصيح.
(٢) ط: «الزيت» تصحيف.

وكَتَب ابنُ المعتزّ إلى صديقٍ له: أقلِل من فلانٍ نَصيبَك، فإنّه أنمُّ مِن زُجاجة على ما فيها.

وللسَّريّ في هذا المعنى مُلَح لم أرَ مِثلَها حُسناً وبَراعة، فمنها قولُه وهو يعاتب صديقاً له أسرّ له حديثاً فأذاعه:

لسانُك السَّيفُ لا يَخفَى له أثرُ ... وأنتَ كالصِّلِّ لا تُبقي ولا تَذرُ
سِرِّي إليكَ كأسرارِ الزجاجة لا ... يَخفَى على العَين منها الصَّفْوُ والكَدَرُ
فاحذَرْ من السِّرِّ كَسْراً لا انجبارَ له ... فللزّجاجةِ كسرٌ ليس يَنجَبِرُ

ومنها قولُه:

رأيتُك تُبدِي للصَّديق نوافذاً ... عدوُّك من أمثالِها الدَّهرَ آمِنُ[1]
وتكشِفُ أسرارَ الأخِلّاء مازِحاً ... ويا رُبَّ مَزْحٍ راحَ وهو ضَغائنُ
سألقاكَ بالبِشْر الجميلِ مُداهناً ... فلي منكَ خِلٌّ مُذْ عرفتُ مُداهِنُ
أنَمُّ بما استَودَعْتَه من زُجاجةٍ ... يُرَى الشيءُ منها ظاهراً وهو باطنُ

وقوله:

أريدُ منك ثِماراً لستُ أُخفِيها ... وأَرتجِي الحالَ قد حلّت أواخيها[2]
أستودِع اللّهَ خِلّا منك أو سِعُهُ ... وُدّاً ويُوسِعُني غِشّاً وتَمويها
كأنّ سِرّيَ في أحشائِه لَهَبٌ ... فما تُطيقُ له طيّاً حَواشيها
قد كان صَدرُك للأسرار جَنْدَلةً ... ضنينةً بالذي تُخفِي نَواحيها
فصار من بَثّ ما استودعْتَ جوهرةً ... رقيقةً تَستشِفّ العَينُ ما فيها

وللأمير السيِّد أدام اللّه تأييدَه في حَلِّ البيتين الأخيرَين: قد كان في حفظ السرّ صخرةً لا تنصَدِع، فأصبح زُجاجةً لا يَحجُب ما في ضِمنه ولا يمتنِع.

١١٧٥ ـ سرّ الفَلَك: قال بعض العصريين في صديق له منجِّم:

صديقٌ لنا عالمٌ بالنجوم ... يحدِّثنا بلسانِ الفَلِكْ
ويَكتُمُ أسرارَ إخوانِه ... ولكنْ يَنِمُّ بِسرِّ الملكْ

(١) ديوانه: ٢٦٧.
(٢) ديوانه: ٢٧٦، ٢٧٧.

١١٧٦ ـ سَوْط عذاب: من استعارات القرآن قول اللّه تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، اقتبَس منه كُشاجِم فقال:

يا رَحمةَ اللَّه التي قد أصبحتْ   دون الأنام عليَّ سوطَ عذابِ[١]

١١٧٧ ـ سُلّم الشرف: قال بعض الحكماء: التواضع سُلّم الشرف. وقال آخَرُ: التواضع من مصايد الشرف.

١١٧٨ ـ سُوس المال: قال بعضهم: العيال سُوس المال. ومن أبلَغ ما قيل في التمثّل بالسُّوس قولُ خالد بنِ صَفْوان: واللَّه لثلاثون[٢] في مالي أسرَع من السُّوس في الصُّوف في الصَّيف.

وقال أبو نصر العُتْبيّ في فصوله القِصار: للهمِّ في وَخز النفوس أَثرُ السُّوس في خزِّ السُّوس.

١١٧٩ ـ سَفاتج الأحزان: قال بعض الأدباء: كُتب الوُكلاء سفاتج الأحزان، فنظمه من قال:

طَلبَ الثّناءَ مجاهداً ليُعزَّه   فغَدَا بدار مَذَلةٍ وهوانِ
ورأى رِقاعَ وَكيلِهِ فزُهي بها   فإذا الرِّقاعُ سفاتجُ الأحزانِ

وفي الكتاب المبهج: الضياع مَدارج الغموم، وكُتُب وُكلائِها سفاتج الهُموم[٣].

١١٨٠ ـ سَقَط الجند: هم الذين قد أُسقِطتْ أرزاقُهم فلا أذلَّ منهم ولا أضيَع، يُضرَب بهم المثل في السقوط والذلّ، قال الشاعر:

وعاشقٍ من سَقَطِ الجُنْدِ   قد ماتَ مِن شَهْوة الشَّهدِ
أهدَى إلى أحبابه كامَخاً   في زَمَن النَّرجس والوَرْدِ

١١٨١ ـ شَريكا عِنان: يُضرَب بهما المثل، كقولهم: رَضيعَا لبان، في المتقاربيْنِ المتماثلين. وقد أحسن أبو تمّام في الجمع بينهما وبين ما يُذكر معهما من أشكالهما حيث قال:

شَريكَا عِنانٍ، رَضيعا لِبانٍ   عَتيقَا رِهانٍ، حَليفا صَفاءِ[٤]

---

(١) ديوانه: ٩.

(٢) ط: «ليكون».

(٣) المبهج: ٢٥.

(٤) ديوانه: ٢٤٧ (بيروت) وروايته هناك:

وكانا جميعاً شَريكَيْ عِنانٍ   رَضِيعَيْ لِبَانٍ خَليلَيْ صَفَاءِ

١١٨٢ ـ **صحبة السَّفينة**: يُضرَب مثلاً في الصُّحبة التي لا صداقة معها، وذلك أن الناس ربما تَصاحَبوا في السَّفينة ثمَّ لا يتصادقون بعدَها، قال الشاعر:

مـن غـاب عـنـكـم نَـسِـيـتـمـوه ... ورُوحُـه عـنـدكُـمْ رَهـيـنـهْ
أظُـنُّـكـمْ فـي الـوَفـاء مـمَّـن ... صُـحـبَـتُـهُ صحـبـةُ الـسَّـفـيـنـهْ

١١٨٣ ـ **صِبْغة الشباب**: هي السّواد، فإنَّ الإنسان أحسنُ ما يكون في العين ما دام أسوَدَ الشَّعر؛ قال كُشاجِم في وصف مجلّلاتٍ بسَواد:

كُـسِـيـتْ مـنْ أديـمِـهـا الـحُـلَـلَ الـجـوْ ... نَ غِـشـاءً أَحْـسِـنْ بـه مِـن غِـشـاءِ![1]
مـشـبِـهـاً صـبـغـةَ الـشـبـاب وَلـمّـا ... تِ الـعَـذارَى ولِـبـسـةَ الـخُـلـفـاءِ

١١٨٤ ـ **صَدْع الزّجاج**: يُضرَب مثلاً لما لا يُجبَر ولا يلتئم. وأنشَدَني الأمير السيّد أدام اللّه تمكينَه لابن العَلّاف في الزّجاج فقال:

قَـدُّ وُدٍّ قـد جـبَـرنـا ... هُ فـأعَـيَـتْـنـا صُـدوعُـهْ
فـإذا وُدُّك مِـمَّـا ... كـنـتَ بـالأمـسِ تَـبـيـعُـهْ

١١٨٥ ـ **صوْلة الكريم**: يقال: اتّقوا صَوْلة الكريم إذا جاع، وصولةَ اللئيمِ إذا شَبع. ويُقال: نعوذ باللّه من صَوْلةِ الكريم إذا جاع، وضربة الجَبان إذا خاف.

١١٨٦ ـ **صابون الهُموم**: كان كِسرَى يقول: النبيذ صابون الهُموم. ومن أمثال التُّجّار: النَّقدُ صابون القلوب، يعنون أنّه يَغسِل ما خامرَها من المَوْجِدة بطُول المَطْل.

١١٨٧ ـ **ضمير الغَيْب**: قال بعضُ فُضَلاء أهل العصر:

كـم فـي ضَـمـيـر الـغَـيـب مـن أسـرارِ ... يُـهـدِي الـيـسـارَ إلـى ذوي الإعـسـارِ
فـاسـتـشـعـرِ الـظَّـنَّ الـجـمـيـلَ تـوقُّـعـاً ... لـمـنـاجِـحِ الأوطـارِ والأطـوارِ

١١٨٨ ـ **ضَربة الجَبان**: يقال: اتّقوا ضربةَ الجبان إذا خاف، لأنه لا يُبقِي ولا يَذَر. ومن أمثالهم: عصا الجبان أطوَل. واللّه أعلم.

١١٨٩ ـ **ضربة لازِب**: يُضرَب مثلاً في الشيء الواجب اللازم، قال البحتريّ:

وإذا رأيـتِ الـهـجـرَ ضـربـةَ لازبٍ ... يـومـاً رأيـتِ الـصّـبـرَ ضـربـةَ لازبِ[2]

---

(١) ديوانه: ٦.
(٢) ديوانه: ١/ ٦٦.

١١٩٠ ـ طعم الحياة: سئل بعضهم عن طعم الماء، فقال: طَعْم الحياة، قال ابن المعتزّ:

هاكَ منّي خُذْها ومنكَ فهاتِ صَفْقَ مشمولةٍ كطَعْم الحياةِ(١)
كلَّ يومٍ تَعْفُو الحوادثَ حالٌ فانتهزْ فيه فرصةَ الأوقاتِ

١١٩١ ـ ظلّ الموت: قال أعرابيّ لابنه: يا بُنيّ، كن يدا لأصحابك على مَن قاتَلهم، ولكن إيّاك والسّيف فإنه ظِلّ الموت، واتّق الرُّمح فإنه رِشاءُ المنيَّة، واحذر السِّهام فإنّها رُسُل الهلاك. قال: فبماذا أُقاتِل؟ قال: بما قال القائل:

جَلاميدُ تَرتادُ الأكُفَّ كأنّها رؤوسُ رجالٍ حُلّقَتْ بالمَواسِم(٢)

١١٩٢ ـ عَرَق القِرْبة: من أمثال العرب في عَرَق القِرْبة: لقيت من فلان عَرَق القِربة، أي شدَّة ومشقَّة، وأصله أنَّ حاملَ القربة يَتعَب في حَملها وثِقلها حتَّى يَعرَق جبينه؛ فاستعيرَ عَرَقه في موضع الشدّة والتعب.

١١٩٣ ـ عَرَق الموت: يضرَب مثلاً لأشدّ الشدّة. وكان الحسين الخادمُ خادم المعتضدِ والمكتفِي الذي كان يتولى البريدَ يلقَّب بعَرَق الموت. وقيل: إنَّ المُكتفِي لقّبه بذلك.

١١٩٤ ـ عزُّ التُّقى: يُقال: إنَّه لم يُمدَح عالم بأحسنَ من قول ابن الخَيّاط في الإمام مالكِ بنِ أنَس رضي اللّه تعالى عنه:

يَأْبَى الجوابَ فما يُراجَعُ هيبةً والسائلون نَواكِسُ الأذقانِ
هذا التَّقيُّ وظلُّ سُلطانِ التُّقى لَهُوَ المَهيبُ وليس ذا سلطانِ

١١٩٥ ـ غفلة الرَّقيبِ: يشبَّه بها ما يُستحسَن ويستلَذّ، كما قال العَطويّ:

أحسنُ من غفلةِ الرّقيبِ وغمزةِ اللّحظِ من حَبيبِ

وقال غيرُه:

يُديرُ في كَفّه مُداماً أحسنُ من غَفلةِ الرّقيب

ومن فصل للأمير السيّد أدام اللّه تأييدَه: ما زلت أسمع بوَصْل الحبيب وغفلةِ

---

(١) المشمولة: الخمر.

(٢) المواسم والمياسم: جمع ميسم؛ وهو المكواة.

الرقيب، ونَيْل الوَطَر، ومُخالَسة النّظر؛ وكل ذلك مستصْغرٌ في جَنْب سُروري بكتابك، وإعجابي بثمرة خطابك.

١١٩٦ ـ **غَضَبُ العاشق**: تُشبّه به سحابة الصَّيف، وتُشبَّه سحابةُ الصيف بغضب العاشق في سرعة الانحلال.

وكان الهَمَذانيُّ يقول: غَضَب العاشق أقصر عمراً مِن أن ينتظر عُذْراً.

١١٩٧ ـ **غبار العسْكر**: كان أبو السِّمْط مَرْوان بنُ أبي الجَنوب يلقَّب غبار العسكرِ، لقوله:

لـمّـا بـدا لـونُ الـمَـشيـبِ ستَـرتُـهُ ... وتـركـتُ مـنـه ذَوائـبـاً لـم تُـسـتَـرِ
قـالـت أرَى شَـيْـبـاً بـرأسِـك قـلـتُ لا ... هـذا غُـبـارٌ مـن غُـبـار الـعـسـكـرِ

وفي رَهَج الخَميس يقول أبو تمّام:

مَـن لَـم يَـقُـدْ فـيـطـيـرَ فـي خَـيْـشـومِـهِ ... رَهَـجُ الـخميسِ فلن يقودَ خميسا[1]

وفي كتاب المبهج: ناهِيك بمن أدّىَ حقّ الخَميس، وطارَ في أنفه رَهَجُ الخَميس[2].

١١٩٨ ـ **غصص المَوْت**: يشبّه بها كلّ ثقل وكراهة، قال الشاعر:

وصـديـقٍ كـأنّـه غَـصَـصُ الـمـو ... تِ كـثيـرُ الـمراءِ ويُـشـجـي الـخَـلـيـلا
يَـذكُـرُ والـخـصـومَـةُ فـي الـدِّيـ ... ـن وقـد حـازتِ الـكـؤوسُ الـعُـقـولا
ويـصـلّـي فـي غـيـر وقـتِ صـلاةٍ ... لـيـس إلّا لأن يـكـونَ ثـقـيـلا

١١٩٩ ـ **فتنة الدجّال**: كان النبي ﷺ يتعوّذ باللّه من فتنة الدجّال وعذاب القبر، والأخبار في وصف الدَّجال وفتنِته والاختلاف في أمره أعظَم من أن يتّسع لها هذا الباب.

١٢٠٠ ـ **فُقّاع القِلَى**: قال بعض المولّدين:

شـربـتُ فُـقّـاع الـقِـلَـى بـعـدكُـمْ ... لـعـارضٍ مـن تُـخـمـةِ الـحـبِّ
حـتّـى تـجـشّـأْتُ جـمـيـعَ الـذي ... قـد كـان مـن حُـبّـك فـي قـلـبـي

---

(١) ديوانه: ٢/ ٢٧٠ والرهج: الغبار. والخميس: الجيش.
(٢) المبهج ٢٨.

١٢٠١ ـ **فِطنة الأعراب**: يُضرَب بها المثل، وذلك لصفاء أذهانهم وجَوْدة قرائحهم، قال شاعر في قوم:

لا دِقّةُ الخَصْرِ الرّقيقِ غذَتْهُمُ   وتباعَدوا عن فطنةِ الأعرابِ

١٢٠٢ ـ **فتح الفُتوح**: فتح مكّة يُسمّى فتحَ الفتوح، ويشبَّه به كلّ فتح جليلِ القدر، كما قال أبو تمّام في فتح عَمّورية:

فتحُ الفُتوح تَعالى أن يُحيطَ به   نَظْمٌ من الشّعرِ أوْ نثرٌ من الخُطَبِ[١]
فَتْح تفتّحُ أبوابُ السماءِ له   وتَبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ

١٢٠٣ ـ **قبور الأحياء**: يُروَى أنّ يوسفَ عليه السلام كَتَب على باب السجن: هذه منازِل البَلْوَى، وقُبور الأحياء، وتجربة الأصدقاء، وشَماته الأعداء.

١٢٠٤ ـ **قُبلة الحُمَّى**: هي ما يثورُ بشَفَة المحموم من البُثور، وتُسمِّيها أهلُ اللغة العَقابِيل؛ قال الشاعر:

يا ليتَ حُمَّاكَ بي أو كنتُ حمّاكَ   إني أغار عليها حين تغْشاكا
حُمّاك حاسدةٌ، حُمّاك عاشقةٌ   لو لم تكن هكذا ما قبّلَتْ فاكا

١٢٠٥ ـ **قِمَع الفؤاد**: قال بعض الحكماء: الأذن قِمَع الفؤاد.

ومن فصل للصاحب: زوِّج بَناتِ صَدْرك من بني عِلْمي، وأَفرغ صَوْب عَقْلك في قِمَع أُذني.

١٢٠٦ ـ **قَرْن الكركدنّ**: الكركدنُّ[٢] حَيَوان لا يكون إلا بأرض الهند، يُحكَى عنه أعاجيب، ويذكر أن قَرْناً واحداً في جَبْهته في طُول ذِراع، وعرْضه يُضرَب به المثل ويشبّه به القَرْنان[٣]، قال ابن الروميّ:

كان للكركدنِّ قَرنٌ فأَضحَى   وهو الآنَ عند قَرنِكَ مِدْرَى
مَنْ يكُنْ قَرنُه كقَرْنك هذا   فليكنْ بابُهُ كإيوان كِسرَى

١٢٠٧ ـ **قُطْب السّرور**: هو النبيذ عند أصحابه، قال العَطَويّ:

أنا بالقُربِ منك عندَ كريمِ   لم أجدْ في نَداهُ شبهَ شبيهِ

---

(١) ديوانه: ١/ ٥١.
(٢) في القاموس: «الكركدن، مشددة الدال، والعامة تشددُ النون».
(٣) القرنان: الديوث.

مجلسٌ كالرّياضِ حُسْناً ولكن ليس قُطْبَ السّرور يا قطبُ فِيه

وقال السريّ:

الكأسُ قُطْبُ السّرور والطَّرَبِ فاحْظَ بها قبل حادثِ النُّوَبِ[1]

١٢٠٨ ـ **كتّاب النّثار**: هم الكتّاب الذين لم يختلفوا إلى الكتّاب. وكان الخُوارَزْميّ يقول: فلانٌ من أدباء الدار، وكتّاب النّثار.

وممّن ذكرهم في شعره ابن عَروس حيث قال:

ولمّا أنْ رأيتُهُمُ وُقُوفاً على الجِسْرَيْن كالحِدَإ الضَّوارِي

سألتُ فقيلَ كُتّابٌ ولكنْ ألَمْ تَسمَعْ بكُتّاب النِّثارِ!

ثم قال:

وكَم بغلٍ على بغلٍ وكم مِنْ حمارٍ قد أَنافَ على حمارِ

وبِرْذَونٍ تَراه قد تثَنَّى على بِرْذَوْنِه مِثلَ الجِدارِ

١٢٠٩ ـ **كيمياء الفَرَح**: النَّبيذ كِيمياء الفَرَح، وصابون الفَرح وجامُ الكِرام.

١٢١٠ ـ **كفّ الجواد**: قال العسكريّ في تشبيهه المطر بها:

حال بينِي وبين بابِك حالا نِ: وُحُولٌ وقربُ عَهْدِ عِهادِ

فكأنّ الوُحُولَ لَيلُ مُحِبٍّ وكأنّ السماءَ كفُّ جوادِ

١٢١١ ـ **كَرْبُ الدواء**: كان المكتفِي يلقّب وزيره العبّاس بن الحسين: كَرْب الدّواء، فلما قُتِل في أيّام المقتدِر قيل فيه:

قد أُرِحْنا من بلاءِ ومَضَى كَربُ الدواءِ

كانَ واللّهِ على الصِّحّةِ غيظَ العُقلاءِ

١٢١٢ ـ **لَمْع السَّراب**: يُضرَب مثلاً لما لا حاصلَ له من الوَعْد الكاذب وغيرِه، قال المأمونيّ:

يفتحُ بالوعدِ بابَ نائِلِها حتى يَرَى الوصلَ ثمّ ينطبقُ

وَعْدٌ كلمعِ السّرابِ تَحسَبُه منكَ قريباً ودونَه شَفَقُ

ومن فصل للصّاحب: بعض الوعد كلمع السّراب، وبعضُه كنَقْع التراب؛

---

(١) ديوانه: ٦٣.

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩].

١٢١٣ ـ **لعاب المنيّة**: كان لأبي حيّة النُّميريّ سيف ليس بينه وبين العصا فرقٌ، وكان يسمّيه لعابَ المنيّة، فحكَى جارٌ له قال: أشرفتُ عليه ليلةً وقد انتضاه، وكان كلب قد دخل بيتَه فظنه لصّاً، فجعل يقول: أيها المغترّ بنا، والمجترىء علينا، بئس واللّه ما اخترتَ لنفسك! خيرٌ قليل، وشَرٌّ طويل، وسيفٌ صَقيل، ولعابُ المنيّة الذي سمعت به مشهورةٌ ضربتُه، ولا تخافُ نَبْوَتُه.

أخرُج بالعفو عنك، أو لأُدخِلَنّ العقوبة عليك؛ واللّه لئن أدعْ قيساً لَتمْلأ الفضاء خَيلا ورجلاً. سبحان اللّه، ما أكثرها وأطيَبها! ثم فتح الباب فخرج كلْب فقال: الحمدُ للّه الذي مَسَخكَ كَلْباً، وكفانا حَرْباً.

١٢١٤ ـ **لزوم الدّبق**: وصف الحسين الجمل البصريّ ابنَ الخراسانيّ فقال: يلزم لزومَ الدّبق[1] إلى أن يأخذ شيئاً، ثم ينسَلّ انسلال الزِّئْبَقِ.

١٢١٥ ـ **لذّة الخُلْسة**: قال الجاحظ: قيل لرجل يَعشق قينة: لو اشتريتَها ببعض ما تُنفِق عليها! فقال: كيف لي إذ ذاك بلذّة الخُلْسة، ونَيْل المُسَارقة، وانتظارِ الوعد على الرِّقبة، وإيقاع الكَشْح على مَوْلاها!.

١٢١٦ ـ **مجالس الكرام**: كان أبو مسلم الخَوْلانيّ يُكثِر الجلوس في المساجد، ويقول: المساجد مجالس الكرام.

١٢١٧ ـ **مِيزان القوم**: كانت العرب تقول: السَّفَر ميزان القَوْم، كأنه يَزِنُهم بأوزانهم ويُفصِح عن مقاديرِهم في الكرم واللّؤم، قال الشاعر:

ولا تكُنْ كلئام أظهَروا ضَجَراً إنّ اللّئامَ إذا ما سافَروا ضَجِروا

١٢١٨ ـ **مصباح السُّرور**: في الكتاب المبهج: الخمر مصباح السُّرور، ولكنها مفتاح الشرور[2].

١٢١٩ ـ **مفتاح النّجاح**: قال بعض الحكماء: مِفتاح النَّجاح الصبر على طُول مدّته.

قال الشاعر:

مِفتاحُ بابِ الفَرَجِ الصَّبرُ وكلُّ عُسْرٍ بعدَهُ يُسْرُ

---

(١) الدبق: غراء يُصاد به الطير.

(٢) المبهج: ٤٣.

وكــلّ مَــن أعــيَــاكَ أخــلاقُــهُ فــإنّــمــا حــيــلَــتُــهُ الــهَــجْــرُ

١٢٢٠ ـ **مفتاح باب الرِّزق**: قال الشاعر ـ وهو أحسن ما قيل في معناه:

قَــبِّــلْ أنــامــلَــهُ فــلَــسْــن أنــامــلاً لــكــنّــهــنّ مــفــاتــحُ الأرزاقِ

١٢٢١ ـ **مفتاح الأمصار**: كان يُقال لعمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: مفتاح الأمصار، لأنه هو الذي فتح أكثرها، وهو أول مَن مصّر الأمصار، ودَوَّن الدواوين في الإسلام.

١٢٢٢ ـ **مفتاحُ الفِتَن**: يُقال إنّ ذلك كان قَتْل عثمان رضي اللَّه عنه، وقيل: بل قَتْلُ الحُسين رضي اللَّه عنه، حدّث الصُولي قال: حدثني الحسين بنُ عليّ الكاتب، قال: دخلتُ يوماً على عُبيد اللَّه بن سليمانَ وعنده ابن الأشنب وحدَه، فحين وقعتْ عينُه عليَّ قال لي: يا أبا عبدِ اللَّه، إنّا رضينا في شيء قد تَشاجرْنا فيه بأَوّل مَنْ يَدخُل علينا، فاحكم بيننا من غير أن تعرف ما قاله كلّ واحد منّا لئلا تتبع قولَه، ثمّ قال: تَلاحَيْنا على أشدِّ ما كان في الإسلام على المسلمين؛ فقال أحدنا: أشدّه قتلُ عثمانَ إنَّهُ مِفتاح الفِتَن، وأوّل الاختلافِ، وسببُ الفُرقة، وقال أحدنا: قتلُ الحسين، لأنّ المسلمين يئسوا بعد قتله من كلّ فرج يَرتجونه، وعدلٍ يَنتظرونه، قال: فقلتُ: أيّد اللَّه الوزيرَ! الأمرُ في هذا الحكم أوضَح سبيلاً، وأقرَب متناوَلاً من أن يقع فيه لأحد شكّ. قال: أين ذلك؟ اشرَحه لنا، فقلْتُ: إنّ أشدَّه على رسول اللَّه ﷺ، فهو الأشدّ على المسلمين. فضحك عُبيد اللَّه، وقال: للَّه درّك يا أبا عبدِ اللَّه مِن صادع بالحقِّ، حاكم بالعدل؛ أنتَ واللَّه أحجّ في جَوابك من قريش؛ فقال ابن الأشْنب: لا يكون أشدَّ على رسول اللَّه مِنْ أمر عثمانَ رضي اللَّه عنه وإن لم يكن عندَه كالحسين لأمر الإسلام، فقال عُبيد اللَّه: اسكُت يا هذا، فإنَّك عند الحجة عطفتَ عن المَحَجَّة.

١٢٢٣ ـ **مطيّة الجهل**: هي الشَّباب، قال ابنُ عباس رضي اللَّه عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، قال سُفيان: قال الحسنُ: أي شُبّان، لأن الشّباب مطية الجهل، قال النابغة:

فــإن يــكُ عــامــرٌ قــد قــال جــهــلاً فــإنَّ مــطــيَّــة الــجــهــلِ الــشَّــبــابُ[١]

(١) ديوانه: ١٥.

ومَن رَوَى «مِظَنّة» بالظاء والنون عَنَى معدلة، قال أبو نواس:

كان الشَّبابُ مِظَنَّةَ الجَهْلِ ومحسّنَ الضّحِكات والهزلِ[1]

١٢٢٤ ـ **مودّة السوقة**: يُضرَب بها المثَل في الضَّعف والرّكاكة، قال بعضهم:

قد نَرَى يا بنَ أبي إسْـ ـحاقَ في وُدِّك عُهْدَهْ[2]
وكذا السُّوقيُّ للإخـ ـوانِ سوقيُّ المودَّهْ

١٢٢٥ ـ **مَولَى الموالي**: يُضرَب به المثل في القلَّة والذِّلَّة، قال الجاحظ: أنشَدَني أبو زيد وأبو عبيدة:

فلو كان عبدُ اللَّهِ مولًى هجَوْتُهُ ولكنَّ عبدَ اللَّه مولَى مَوالِيَا

وأنشد:

مَن لقلبٍ صَدَّ عن سَلْمَى على غيرِ مِثالِ
صَدَّ عنها خشيةَ النّا سِ ومِن قِيلٍ وقالِ
رغِبَتْ عنِّي لأنّي كنتُ مولًى لا أبالي

وأنشِد: «مولًى لِموَالِ».

ليتَها قالت إذا ما غيَّرُوها: لا أبالي

١٢٢٦ ـ **مُعترَك المَنايا**: هو ما بين السِّتين إلى السَّبعين من أعمار النَّاس؛ لأنّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أكثَر أعمار أمَّتي ما بين السِّتين إلى السَّبعين»، ولمَّا أنافت سِنُو عبدِ الملك بنِ مروانَ على السِّتين وسُئلَ عن مَبلَغ عمرِه قال: في معترَك المَنايا.

١٢٢٧ ـ **مَدرَجة الشَّرف**: قال أكثَم بن صَيْفيّ: المَناكح الكريمةُ مَدارِج الشَّرف.

١٢٢٨ ـ **نَقْد البلد**: يُضرَب مثلاً للإنسان المتوسّط، ويشبّه ما يتعامل به أهل البلاد من النقد المتوسط بين الجودة والرَّداءة، فيُقال: فلان من نَقْد البلد، ومن الطبقة الوسطى.

---

(١) ديوانه: ٣١١.

(٢) العهدة هنا: الضعف.

١٢٢٩ ـ نُور الهُموم: هو الشَّيب، قال ابنُ المعتزّ:

أنكرَتْ هندٌ مَشِيبي وَولَّتْ ... بدُموعٍ في الرِّداء سجومِ[(١)]
فاعذري يا هندُ شيْبي لهمِّي[(٢)] ... إنّ شيبَ الرأسِ نورُ الهمومِ

وقد شُبِّه الشيب كثيراً بالنُّور، قال ابن الرُّوميّ:

قد يَشيبُ الفتى وليس عجيباً ... أن يُرَى النّورُ في القَضيبِ الرَّطيبِ

وقال التميميّ:

أقولُ ونوَّار المَشيب بعارِضي ... قد افترَّ عنه نابُ أسوَدَ سالخِ
أشيبُ وحاجاتُ الفؤادِ كأنّما ... يَجيشُ بها في الصّدرِ مِرجَلُ طابِخِ

وقال آخَرَ:

لَمْ يَعرِفِ القومُ الأُلى شبَّهوا الـ ... مَشيبَ بالنُّوار ما شبَّهوا
أَلشَّيبُ نُوّارٌ ولكنّهُ ... يُثَمِّرُ بالموتِ فآهاً لَه!

١٢٣٠ ـ وَقار الشَّيب: يُروَى أنَّ إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام أوَّل من شاب، وحَلّاه اللّه بالشيب ليميّزه عن إسحاق، إذ كان من الشبه به ما لا يكادُ يميَّز بينهما، فلما وَخطه الشيب قال: يا ربِّ ما هذا؟ قال: هو الوقار، قال: يا ربّ زدني وقاراً، وقال دِعبل:

أهلاً وسهلاً بالمشيب فإنه ... سمةُ الوَقورِ وهيبةُ المتحَرِّجِ[(٣)]

وقال أبو نُواس:

يقولون في الشيبِ الوقارُ لأهلِهِ ... وشيبي بحمدِ اللّه غيرُ وَقارِ

ومن فصلٍ للبديع الهَمَذانيّ: الشباب هناء، والمشيب إناء، فالحمد للّه الذي بَيّض القار، وسمَّاه الوَقار.

١٢٣١ ـ وَقاحة العُمْيان: مِن أمثال العامَّة: أوقَح من الأعمى؛ لأن الحياء في العين وليست له. وأحسنُ ما سمعتُ في ذم الأعمى:

كيف يرجو الحياءَ منه صديقٌ ... ومكانُ الحياءِ منه خرابُ!

---

(١) ديوانه: ٢/ ١٤١، وفي الأصول: «عند مشيبي»، وصوابه من الديوان.
(٢) في الأصول: «أعيدي». وصوابه من الديوان.
(٣) ديوانه: ٥٣.

وقيل لأبي العيناء: ويحك ما أوقحك! فقال: أما علمت أن للحياء شرائط ليست معي واحدة منهنَّ! قيل: فصفْهنّ، قال: أولهنّ في العينين، ولستُ أُبْصِر، الثانية اجتناب الكذب، وأنا من اليمامة من رَهْط مسيلمة الكذّاب، والثالثة أن النّبيّ ﷺ قال: «الحياء من الإيمان» فأيّ إيمان ترَوْن معي؟.

ونظير هذا ما يُحكَى أنَّ رجلاً سأل يحيَى بنَ أكثم، فقال له يحيى: أخطأتَ باب الرزق من ثلاثة أوجه: أحدها أني امرؤٌ مروزيّ، وبخل أهل مرْو مضروب به المثل، والآخر أنّي تميمي، ومَن لم يكن من التّميميّين بَخيلاً فهو لغيرِ رِشْدة، والثالث أني قاضٍ، والقاضي يأخذ ولا يعطِي، ويرتزِق ولَا يرزُق.

١٢٣٢ ـ يَنبوع الأحزان: قال بعض الفَلاسفة: القُنية ينبوع الأحزان، قال عُبيد اللّه بن عبد اللّه بنِ طاهر:

أَلَـم تـرَ أنَّ الـدهـرَ يَـهـدِم مـا بَـنَـى ويـأخُـذ مـا أَعـطَـى ويُـفـسِـد مـا أَسـدَى
فـمـن سـرَّه ألّا يَـرى مـا يـسـوؤه فـلا يـتّـخـذْ شـيـئـاً يَـخـافُ لـه فَـقْـدا

في الجِنَان وَهُو آخِر الأَبواب

جنَّةُ الدنيا، جنَّةُ الرَّجل، جنَّةُ الفردوس، جنَّةُ الخُلْد، جنَّةُ عَدَن، جنّةُ المأوى، جنّةُ المنتهَى، ظلّ طُوبَى، بابُ الجنّة، رَوضةُ الجنّة، كنوزُ الجنّة، ريحُ الجنّة.

الاسْتِشْهادُ

١٢٣٣ ـ جنَّة الدنيا: كانَ يُقال للشام جنّة الدنيا؛ ولما أَفرَج هرقْل عن بلاد الشَّام للمسلمين وخرج منها هارباً إلى الروم بكَى حتى أخضلت لحيته، وغُشِيَ عليه، فلما أفاق قال: السّلام عليكِ يا سُوريا، يا جنة الدنيا، سلامَ غير ملاقٍ.

١٢٣٤ ـ جنّة الرّجل: في الخبر: «جنّة الرجل داره»، وأنشدني المأمونيّ لنفسه:

أَجِدْ صنعَ المباني حينَ تَبني ... فليس لِمن يحُلُّ بها حصونُ
وأحسِنْ جنَّةَ الدُّنيا إلى أن ... يكونَ من القيامةِ ما يكونُ
فما الإحسانُ إلا مُقلةٌ لا ... تُغمِّضُ أنْ يكونَ لها جُفونُ

١٢٣٥ ـ جنَّة الفِردوس: يُضرَب مثلاً للمكان يجمَع الحُسن والأمان والطيِّب، وممَّن ضرب به المثَل في شعره أبو تمام حيث قال:

ما لي أرى القبّةَ الفَيْحَاءَ مقفلةً ... دوني وقد طالَ ما استفتَحْتُ مُقْفَلَها
كأنّها جنّةُ الفروس مُعرِضةً ... وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخُلَها

١٢٣٦ ـ جنة الخلد: قال ابن طَباطَبا:

ومهما أَنسَ لا أنسَ التِذاذي ... بِجنّاتٍ كجنّاتِ الخلُودِ
بنفسجُ عارِضَيَّ إلى أقاحِي ... ثغورٌ زَانَها وَرْدُ الخُدُودِ

وأحسن جدّاً في قوله:

وَوَجْنةٍ كجنَّةٍ ... عِشقِيَ فيها قد خَلَدْ

١٢٣٧ ـ **جنَّة عَدَن**: من الأبيات السائرات على وجه الأرض قول القائل:

أَلموتُ بابٌ وكلُّ النَّاسِ داخِلُهُ يا ليتَ شعريَ بعدَ البابِ ما الدارُ!

الجواب:

الدار جنَّة عَدْن إن عملتَ بما يُرضي الإلَهَ وإن خالفْتَ فالنارُ

١٢٣٨ ـ **جنّة المأوى**: قال بعض المفسّرين: أخَصُّ الجنان وأعلاها جنّة المأوى، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٥]؛ فلما كانت السِّدْرة غايةً لتلك المواطن وعندَها جنّة المأوى، علمنا أنّها أخَصّ الجنان.

١٢٣٩ ـ **جنّة المنتهى**: قال سعيد بن جبير:

لو كنتُ لا أُهدِي إلى أن أرى شيئاً على قَدْرِك أو قدري

لم أُهْدِ إلا جَنّةَ المُنتهى ترفُلُ في أثوابها الخُضْرِ

١٢٤٠ ـ **ظِلّ طوبَى**: أحسَن ما يُنشِده القُصّاص على فروع المنابر قولُ محمود الوراق ـ ويُروَى لغيره ـ:

مَنْ يشتري قبّةً في الخلد عاليةً في ظلِّ طوبى رفيعاتٍ مبانيها؟

دَلّالُها المصطفى واللَّهُ بائعُها ممَّن أرادَ وجبريلٌ مُناديها

١٢٤١ ـ **باب الجنّة**: خطب عليٌّ رضي اللّه عنه فقال: في خطبته: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنَّة، فمن تركه رغبةً عنه ألبَسَه اللّه الذلّ، وسيمَ الخَسْفَ، ودُيِّث؛ الصَّغار.

١٢٤٢ ـ **رَوْضة الجنّة**: في الخبَر: «ألا إن القبر رَوْضة من رياض الجنّة، أو حفرةٌ من حُفَر النار». وفيه: «إن مِنبري هذا على تُرْعة من تُرَع الجنة». وفيه: «عائد المَريض على مَخارِف الجنة حتى يرجِع»، وفيه: «مَن سَرّه أن يلزَم بحبُوحَة الجنّة فليلزَم الجماعة».

١٢٤٣ ـ **كُنوز الجنة**: كان يقال: أربع من كنوز الجنّة: كتمان المصيبة، وكتمان المرض، وكتمان الفاقة، وكتْمان الصَّدَقة.

١٢٤٤ ـ **ريح الجنّة**: في الحديث: «ريح الولد من الجنّة»، وقال ﷺ

للحسين والحسن: «إنكم لتُنْجِبون، وإنكم لتُنْجَلُون[١]، وإنكم من ريْحان الجنة».

وقال الجاحظ في قول أبي العتاهية:

إنَّ الشَّباب حُجَّةُ التَّصابي روائحُ الجنّةِ في الشَّبابِ

يعني: كمغني الطرب الذي ترتاح له القلوب، ولا تقدر على وصفه الألسُن.

وقال بعضُ أهل العصْر يصف نَدّاً:

وَنَدٌّ ماله نِدُّ تَعاطيه من السُّنَّهْ
إذا ما دخلَ النارَ حَكَى رائحةَ الجَنّهْ

إلى هنا انتهى الكتاب ولله الحمد، والصلاة على النبيّ محمد وآله[٢].

(١) لتنجلون، أي لتُطعنون.

(٢) كذا في ط، وفي آخر ب: «تم كتاب المضاف والمنسوب في عصر يوم الجمعة شهر صفر الخير من شهور تسعة عشر ومائة بعد الألف من الهجرة الشريفة النبوية على مهاجرها أشرف الصلاة والتحية، على يد الفقير يوسف بن محمد الشهير بابن الوكيل الملوي، غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين أجمعين».

الفهارس العامة

فهرس المضاف والمنسوب

حرف الباء

حرف التاء

حرف الحاء

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزين

حرف الشين

حرف الغين

حرف القاف

حرف النون

فهرس الشعر

حرف الباء

(١) طبع خطأ «العباس».

حرف التاء

حرف الراء

حرف الزين

حرف السين

حرف اللام

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الألف المقصورة

فهرس الرجز

فهرس أنصاف الأبيات

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزين

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

(١) طبع خطأ «عبد الله بن المرزبان».

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأمم والقبائل

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس البلاد والأمكنة

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزين

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس المراجع

أحسن التقاسم للمقدسي ـ (ليدن ١٨٧٧ م).

أخبار الحكماء للقفطي ـ (ليدن ١٩٠٣ م).

الاستيعاب لابن عبد البر، مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ.

أسماء المغتالين من الأشراف ـ (ضمن مجموعة نوادر المخطوطات. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥م).

الاشتقاق لابن دريد ـ (مطبعة السنّة المحمدية ١٩٥٨ م).

الإصابة لابن حجر ـ (نشره مطبعة مصطفى محمد ١٩٢٩ م).

الأصمعيات ـ (دار المعارف سنة ١٣٧٠ هـ).

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ـ (مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ، دار الكتب).

الإقتضاب لابن السيد البطليوسي (بيروت ١٩٠١ م).

أمالي القالي (طبعة دار الكتب).

أمالي المرتضي، (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٠ م).

إنباه الرواة للقفطي، (طبعة دار الكتب).

البخلاء للجاحظ، (دار المعارف ١٩٥٨ م).

البيان والتبيين للجاحظ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠م).

تاج العروس لمرتضى الزبيدي، (القاهرة ١٣٠٦ هـ).

تاريخ الطبري، (دار المعارف بمصر).

التبصر بالتجارة للجاحظ (دمشق ١٩٢٤ م).

تتمة اليتيمة لأبي منصور الثعالبي (طهران ١٩٣٤).

تحفة الأمراء في أخبار الوزراء للصابي (مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٦٧م).

التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي (مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٦٧ م).

جمهرة الأمثال للعسكري (نشرة دار الكتب العربية).
جمهرة أنساب العرب لابن حزم، (دار المعارف ١٩٦٢).
حياة الحيوان للدميري (المطبعة الشرفية بمصر ١٣٠٦ هـ).
الحيوان للجاحظ، (مصطفى الحلبي ١٣٥٧).
خزانة الأدب للبغدادي (بولاق ١٢٩٩ هـ).
ابن خلكان (المطبعة اليمنية ١٣١٠ هـ).
ديوان الأخطل، (بيروت ١٩٨١ م).
ديوان أبي الأسود الدؤلي، (ضمن مجموعة نفائس المخطوطات، بغداد سنة ١٩٦٤ م).
ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧ م، المطبعة النموذجية ١٩٥٠ م).
ديوان امرىء القيس، (دار المعارف ١٩٥٨ م).
ديوان أوس بن حجر، (بيروت ١٩٦٠).
ديوان البحتري، (مطبعة هندية بمصر ١٩١١ م).
ديوان بشار بن برد، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ م).
ديوان بشر بن أبي خازم، (دمشق ١٩٦٠).
ديوان أبي تمام (دار المعارف ١٩٥١ م، بيروت ١٣٢٣ هـ).
ديوان جرير، (الصاوي ١٣٦٣ هـ).
ديوان حسان بن ثابت، (المطبعة الرحمانية ١٩٣٩ م).
ديوان الحطيئة، (مطبعة التقدم بالقاهرة).
ديوان الحماسة ـ بشرح التبريزي، (مطبعة حجازي سنة ١٩٣٨).
ديوان حميد بن ثور، (مطبعة دار الكتب).
ديوان الحماسة ـ بشرح المرزوقي، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م).
ديوان دعبل، (بيروت سنة ١٩٦٢).
ديوان زهير بن أبي سلمى، (دار الكتب ١٣٦٣ هـ).
ديوان ذي الرمة، (كمبرج ١٩١٩).
ديوان سحيم، (دار الكتب ١٩٥٠ م).

ديوان السري الرفاء، (القاهرة ١٣٥٥ هـ).
ديوان السموأل، (ضمن مجموعة نفائس المخطوطات، مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥٥ م).
ديوان الشريف الرضى، (بيروت سنة ١٣٠٧ هـ).
ديوان الشماخ، (السعادة ١٣٢٧ هـ).
ديوان طرفة (الأنجلو ١٩٥٨ م).
ديوان العباس بن الأحنف، (دار الكتب ١٩٥٤).
ديوان عبيد بن الأبرص، (مصطفى الحلبي سنة ١٩٥٧ م).
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، (بيروت ١٩٥٨ م).
ديوان أبي العتاهية، (بيروت ١٩١٤ م).
ديوان علقمة، (ضمن مجموعة خمسة دواوين، المطبعة الذهبية ١٢٩٣ هـ).
ديوان علي بن الجهم، (دمشق ١٩٤٩م).
ديوان عمر بن أبي ربيعة، (مطبعة السعادة ١٣٧١ هـ).
ديوان أبي فراس الحمداني، (بيروت ١٩١٠ م).
ديوان الفرزدق، (الصاوي ١٣٥٤ هـ).
ديوان كشاجم، (بيروت ١٣١٣ هـ).
ديوان كعب بن زهير، (دار الكتب ١٩٥٠ م).
ديوان لبيد، (الكويت ١٩٦٢ م).
ديوان المتنبي ـ بشرح العكبري، (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م).
ديوان مجنون ليلى، (مطبعة مصر).
ديوان مسلم بن الوليد، (دار المعارف سنة ١٩٥٧ م).
ديوان المعاني لأبي هلال العسكري، (القاهرة ١٣٥٢ هـ).
ديوان ابن المعتز، (المحروسة ١٨٩١ م، الآستانة ١٩٤٥ م).
ديوان النابغة الذبياني، (ضمن مجموعة خمسة دواوين ـ المطبعة الذهبية ١٢٩٣ هـ).
ديوان أبي نواس، (العمومية ١٨٩٨ م).

ديوان الهذليين، (دار الكتب ١٣٦٩ هـ).
ديوان الوأواء الدمشقي، (دمشق ١٩٥٠ م).
رسائل البديع الهمذاني، (بيروت ١٨٩٠ م).
الروض الأنف للسهيلي، الجمالية ١٣٣٢ هـ).
سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، (دار الفكر العربي ١٩٦٤م).
سيرة ابن هشام، (مطبعة حجازي ١٣٥٦ م).
شذور الذهب لابن هشام، (مطبعة السعادة ١٩٤٨ م).
شرح مقامات الحريري للشريشي، (بولاق ١٣٠٠ هـ).
الشعر والشعراء لابن قتيبة، (عيسى الحلبي ١٣٦٤ هـ).
صحيح مسلم، (عيسى الحلبي ١٩٥٥م).
عيون الأخبار لابن قتيبة، (مطبعة دار الكتب).
غرر الخصائص الواضحة لرشيد الدين الوطواط، (بولاق ١٢٨٤ هـ).
الفهرست لابن النديم، (ليبسك ١٨٧١ م).
القصائد العشر ـ بشرح التبريزي، (السلفية ١٣٤٣ هـ).
القول في البغال للجاحظ، (مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٥ م).
الكتاب لسيبويه، (بولاق سنة ١٣١٦ هـ).
الكامل للمرد، (مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦ م).
الكشاف للزمخشري، (المطبعة البهية بمصر ١٣٤٣ هـ).
الكنايات للجرجاني، (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م).
اللآلي في شرح أمالي القالي، (مطبعة لجنة الترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ).
لسان العرب لابن منظور، (بولاق ١٣٠٠ هـ).
لسان الميزان لابن حجر، (حيدر آباد ١٣٣٠ هـ).
لطائف المعارف للثعالبي، (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٠ م).
المبهج للثعالبي، (مطبعة محمد مطر).
مجمع الأمثال للميداني، (مطبعة الاستقامة ١٩٥٥ م).
المحاسن والمساوىء للبيهقي، (مطبعة نهضة مصر ١٩٦٢ م).

محاضرات الأدباء للراغب، (المطبعة الشرفية بمصر ١٣٢٦ هـ).
المخصص لابن سيده، (بولاق سنة ١٣١٨ هـ).
مروج الذهب للمسعودي، (مطبعة السعادة ١٩٤٨ م).
المعارف لابن قتيبة، (مطبعة دار الكتب).
معجم الأدباء لياقوت، (دار المأمون ١٠٣٦ م).
معجم البلدان لياقوت، (مطبعة السعادة ١٩٣٦ م).
معجم ما استعجم للبكري، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٤ م).
المفضليات، (دار المعارف سنة ١٣٦١ هـ).
النجوم الزاهرة لابن تغري بردى، (طبعة دار الكتب).
نساء الخلفاء، (دار المعارف..).
نهاية ابن الأثير، (المطبعة العثمانية ١٣١١ م).
نهاية الأرب للنويري، (طبع دار الكتب).
نوادر المخطوطات، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١).
الهاشميات للكميت، (مطبعة التمدن ١٩١٢ م).
الوزراء للجهشياري، (مطبعة مصطفى كامل الحلبي ١٩٣٨ م).
الوساطة بين المتنبي وخصومة، (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٤٥ م).
يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي، (نشرة الصاوي ١٣٥٤ هـ).

فهرس المحتويات

وَتَكْشِفُ أسْرارَ الأخِلاَّءِ مازِحاً ... ويا رُبَّ مَزْحٍ راحَ وَهْوَ ضَغائِنُ
سَألْقاكَ بالبِشْرِ الجَميلِ مُداهِناً ... فَلي مِنْكَ خِلٌّ مُذْ عَرَفْتُ مُداهِنُ
أنَمُّ بما ٱسْتَوْدَعْتُهُ من زجاجَةٍ ... يُرَىٰ الشَّيءُ فيها ظاهِراً وَهوَ باطِنُ

وَقَوْلُه[1]: [من البسيط]

أروضُ مِنْكَ ثِماراً لَسْتُ أجْنِيها ... وَأرتَجي الحالَ قد حُلَّت أواخيها
أسْتَوْدِعُ الله خِلاً مِنْكَ أوسِعُهُ ... وُدّاً وَيُوسِعُني غِشاً وَتمويها
كأنَّ سِرِّي في أحشائِهِ لَهَبٌ ... فَما تُطيقُ له طَيّاً حَواشِيها
قَد كانَ صَدْرُكَ لِلأسْرارِ جَنْدَلَةً ... ضَنِينَةً بالَّذي تُخْفي نواحيها
فَصارَ من بَثّ ما ٱسْتَوْدَعْتُ جَوْهَرَةً ... رَقيقَةً تَسْتَشِفُّ العَيْنُ ما فيها

● وَللأمير السَّيِّد ـ أدامَ الله تأييدَه ـ في حَلِّ البَيْتَينِ الأخيرَين: قَدْ كانَ في حِفْظِ السِّرِّ صَخْرَةً لا تَنْصَدِعُ، فأصبَحَ زُجاجاً لا يَحْتَجِبُ ما في ضِمْنِهِ ولا يَمْتَنِعُ.

١١٧٨ ـ **سِرُّ الفَلَكِ**: قالَ بعْضُ العَصْرِيِّينَ في صَديقٍ له مُنَجِّمٍ[2]: [من المتقارب]

صَديقٌ لَنا عالِمٌ بالنُّجومِ ... يُحَدِّثُنا بِلِسانِ المَلَكْ
وَيَكْتُمُ أسْرارَ إخْوانِهِ ... وَلَكِنْ يَنِمُّ بِسِرِّ الفَلَكْ

١١٧٩ ـ **سَوْطُ عَذابٍ**: من ٱستعاراتِ القُرآن قَوْل الله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬﴾ [الفجر: ١٣].

ٱقْتَبَسَ منه كُشاجِم، فَقالَ[3]: [من الكامل]

يا رَحْمَةَ الله الَّتي قَدْ أصبَحَتْ ... دُونَ الأنامِ عَلَيَّ سَوْطَ عَذابِ

١١٨٠ ـ **سُلَّمُ الشَّرَفِ**: قالَ بَعْضُ الحُكَماءِ البُلغاءِ[4]: التَّواضُعُ سُلَّمُ الشَّرَفِ.

وَقالَ آخَرُ: التَّواضُعُ من مَصايِدِ الشَّرَفِ.

١١٨١ ـ **سُوسُ المالِ**: قال بَعْضُهُمْ[5]: العِيالُ سُوسُ المالِ.

---

(١) ديوانه ٢٧٦.
(٢) للثعالبي في ديوانه ١٧٧.
(٣) ديوانه ص ٤٥، ومطلع القصيدة:
«ها قد كتبت فما رددت جوابي ... ورجعت مختوماً إليّ كتابي»
(٤) لابن المعتز في نثر الدرر ٣/١٥٣.
(٥) سرّ العربية ٣٥٩.

ومَن أبلَغَ ما قيلَ في التَّمَثُّلِ بالسُّوسِ قَوْلُ خالدِ بنِ صَفْوان(١): واللهِ لَثَلاثُونَ في مالي أَسْرَعُ من السُّوسِ في الصُّوفِ في الصَّيف.

وقالَ أبو نَصر العُتبيّ في «فُصولهِ القِصارِ»(٢): لِلْهَمِّ في وَخْزِ النُّفوسِ أثَرُ السُّوسِ في خَزِّ السُّوسِ.

١١٨٢ ـ **سَفاتِجُ الأحْزانِ**: قالَ بَعْضُ أدباءِ التُّنَّاءِ(٣): كُتُبُ الوكلاءِ سَفاتِجُ الأحزان.

● فَنَظَمَهُ مَن قال: [من الكامل]

طَلَبَ التُّناءَةَ جاهِداً لِتُعِزَّهُ ... فَغَدَا بِدارِ مَذَلَّةٍ وَهَوانِ
وَرَأى رِقاعَ وَكيلِهِ فَزُهِي بِها ... فإذا الرِّقاعُ سَفاتِجُ الأحْزانِ

● وفي «الكِتابِ المبهجِ»(٤): الضِّياعُ مَدارِجُ الغُمومِ، وَكُتُبُ وُكلائِها سَفاتِجُ الهُموم.

١١٨٣ ـ **سَقَطُ الجُنْدِ**: هُم الَّذينَ قَد أُسْقِطَتْ أرْزاقُهُم، فَلا أذَلَّ مِنهم ولا أضْيَعَ؛ يُضْرَبُ بهم المَثَلُ في السُّقُوطِ والذُّلِّ؛ قال الشَّاعر: [من السريع]

وَعاشِقٍ مِن سَقَطِ الجُنْدِ ... قَد ماتَ مِن شَهْوَةِ فَلْكَنْدِ
أهْدَى إلى أحْبابِهِ كامِخاً ... في زَمَنِ النَّرْجِسِ والوَرْدِ

١١٨٤ ـ **شَريكا عِنانٍ**(٥): يُضْرَبُ بهما المَثَلُ، كَقَوْلِهم: رضيعَا لِبانٍ؛ في المُتَقارِبَين المُتماثِلين.

وَقَد أحْسَنَ أبو تَمَّام في الجَمْعِ بَيْنَهُما وَبَيْنَ ما يُذكَرُ مَعَهُما من أشكالهما، حَيْثُ قال(٦): [من المتقارب]

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٧٩، وجمهرة الأمثال ١/ ٢٠١، والمستقصى ١/ ٦.
(٢) مرّ برقم ٨٨٢.
(٣) التُّنّاء: التجار. والسفاتج: جمع سُفْتَجَة، والسفتجة: أن يعطي مالاً لآخر، وللآخر مالٌ في بلد المعطي، فيوفيه إياه، ثم (أي هناك) يستفيد أمن الطريق.
(٤) المنتخب من المبهج ٦٤.
(٥) شاركه شركة عنان: المثل في جمهرة الأمثال ١/ ٥٥٢، واللسان (عنن).
(٦) ديوانه ٢/ ١٩٠، ومطلع القصيدة:
«نعاء إلى كل حيّ نعاء ... فتى العرب احتل ربع الفناء»

شَـريـكَـيْ عِـنـانٍ، رَضـيـعَـيْ لِـبـانٍ عَـتـيـقَـيْ رِهـانٍ، حَـلـيـفَـيْ صـفـاءٍ[١]

١١٨٥ ـ صُحْبَةُ السَّفينَةِ: يُضْرَبُ مَثَلا في الصُّحْبَةِ الَّتي لا صَداقَةَ مَعَها، وَذَلك أنَّ النَّاسَ رُبَّما يَتصاحبُونَ في السَّفينَةِ، ثُمَّ لا يَتَصادَقُون بَعْدَها؛ قالَ الشَّاعر[٢]: [من مخلع البسيط]

مَـن غـابَ عَـنْـكُـم نَـسِـيـتُـمُـوهُ وَرُوحُـهُ عِـنْـدَكُـمْ رَهـيـنَـهْ
أظُـنُّـكُـمْ فـي الـوَفـاءِ مِـمَّـنْ صُـحْـبَـتُـهُ صُـحْـبَـةُ الـسَّـفـيـنَـهْ

● ومن فَصْلٍ للهمذانيّ: قد كانت صُحْبَتُنا في المدينة صُحْبَةَ السَّفينَة.

١١٨٦ ـ صِبْغَةُ الشَّبابِ: هيَ السَّوادُ، والإنسان أحْسَنُ ما يَكونُ في العَيْنِ ما دامَ أسْوَدَ الشَّعْرِ وكذلك شُعُورُهُم في الجنَّة.

وقالَ كُشَاجِم[٣] في وصف مُجَلَّداتٍ بِسَوادٍ: [من الخفيف]

كُـسِـيَـتْ مِـنْ أديـمـهـا الـحُـلَـل الـجُـو نِ غِـشـاءً أحْـسِـنْ بـه مِـن غِـشـاءِ!
مُـشْـبِـهـاً صِـبْـغَـةَ الـشَّـبـابِ وَلـمَّـا تِ الـعَـذارَى وَلِـبْـسَـةَ الـخُـطـبـاءِ

١١٨٧ ـ صدعُ الزُّجاجِ: يُضْرَبُ مَثَلاً لِما لا يُجْبَرُ وَلا يَلْتَئِمُ.

قالَ الأعشى[٤]: [من المتقارب]

فَـبَـانَـتْ وقَـد أسْـأرت فـي الـفُـؤادِ كَـصَـدْعِ الـزُّجـاجـةِ لا يَـلْـتَـئِـمْ

وأنشَدَني الأميرُ السَّيِّد ـ أدامَ الله تَمْكينَهُ ـ لابنِ العَلاَّفِ[٥] في الزَّجَّاجِ[٦]، فَقَال[٧]: [من مجزوء الرمل]

لَـكَ وُدٌّ قَـدْ جَـبَـرْنَـا هُ فـأعْـيَـتْـنـا صُـدُوعُـهْ

---

(١) في الديوان:
«وكـانـا جـمـيـعـاً شـريـكـي عـنـان رضـيـعـي لـبـان خـلـيـلـي صـفـاء»
(٢) البيتان في: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ١/ ٢٣٢.
(٣) ديوانه ٢٢.
(٤) ديوان ١٩٦، ومطلع القصيدة:
«أتـهـجـر غـانـيـة أم تـلـمّ أم الـحـبـل واهٍ، بـهـا مـنـجـذمْ»
(٥) ابن العلاف: أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي، كان مجمعاً للأدب ومفزعاً للشعر (يتيمة الدهر ٣/ ٤١٧).
(٦) أبو إسحاق الزجاج النحوي.
(٧) البيتان في نثر النظم وحلّ العقد ٤٤٥.

فَــــإذا وُدُّكَ مــــمَّــــا كُــنْــتَ بــالأمْــسِ تَــبــيــعُــهْ

١١٨٨ ـ **صَوْلَةُ الكَريم**: يُقالُ: ٱتَّقوا صَوْلَةَ الكَريم إذا جاعَ، وَصَوْلَةَ اللَّئيمِ إذا شَبعَ.

وَيُقالُ: نَعوذُ بالله من صَولَةِ الكَريمِ إذا جاع، وضَرْبةِ الجبانِ إذا خافَ.

١١٨٩ ـ **صابُونُ الهُمومِ**: كانَ كِسْرَىٰ يَقُولُ[١]: النَّبيذُ صابُونُ الهُموم.

وَمن أمثالِ التُّجار: النَّقْدُ صابُونُ القلوبِ؛ يَعْنُون أنَّهُ يَغْسِلُ ما خامَرَها من المَوْجِدَةِ بِطول المَطْلِ.

١١٩٠ ـ **ضَميرُ الغَيْبِ**: قالَ بَعْضُ فُضَلاءِ أهلِ العَصْرِ[٢]: [من الكامل]

كم فـي ضَـمـيـرِ الـغَـيْـبِ مـن أسْـرارِ تُـهـدِي الـيَـسـارَ إلـى ذَوي الإعْـسَـارِ
فٱسْـتَـشْـعِـرِ الـظَّـنَّ الـجَـمـيـلَ تَـوَقُّـعاً لِـمـنَـاجِـحِ الأوْطـارِ فـي الأطْـوارِ

١١٩١ ـ **ضَرْبَةُ الجَبانِ**: كان يُقالُ: ٱتَّقُوا ضَرْبَةَ الجبانِ إذا خافَ، لأنَّهُ لا يُبقِي ولا يَذَر.

ومِن أمثَالهم[٣]: عَصا الجبان أطْوَل. والله أعلم.

١١٩٢ ـ **ضَرْبَةُ لازِبٍ**: يُضْرَبُ مَثَلاً في الشَّيءِ الواجِبِ اللاَّزِمِ.

قال البُحتُريُّ[٤]: [من الكامل]

وإذا رَأيْـتِ الـهَـجْـرَ ضَـرْبَـةَ لازِبٍ أبـداً، رَأيْـتُ الـصَّـبْـرَ ضَـرْبَـةَ لازِبِ

١١٩٣ ـ **طَعْمُ الحياةِ**: سُئِلَ بَعْضُهُم عن طَعْمٍ، فَقالَ: طَعْمُ الحياةِ.

● قالَ ٱبنُ المعتزِّ[٥]: [من الخفيف]

هَـاكَ مِـنِّـي خُـذْهـا، وَمِـنْـكَ فَـهـاتِ صَـفْـوَ مَـشْـمُـولَـةٍ كَـطَـعْـمِ الـحـيـاةِ

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٠٣.
(٢) للثعالبي في ديوانه ١٦٥، وخاص الخاص ٢٧٥.
(٣) المثل في الألفاظ الكتابية ص ٧٦، وجمهرة الأمثال ٢/ ٥١، والدرة الفاخرة ٢/ ٤٥٤، وفصل المقال ٤٤١، والمستقصى ٢/ ١٦٣، والميداني ٢/ ١٩.
(٤) ديوانه ١/ ١٠٠، ومطلع القصيدة:
«ما أنت للكلف المشوق بصاحب فاذهب على مهل فليس بذاهب»
(٥) ديوانه ٢/ ٢٢٣، المشمولة: الخمر.

كُـلَّ يَـوْمٍ تَـعْـفُـو الـحـوادثُ عَـنْـهُ   فـٱنْـتَـهِـزْ فـيـه فُـرْصَـةَ الأوْقـاتِ

١١٩٤ ـ **ظِلُّ المَوْتِ**: قال[1] أعرابيٌّ لابنهِ: يا بُنَيَّ، كُنْ يَداً لأصْحابِكَ على مَن قاتَلَهُم؛ ولَكِنْ إيَّاكَ والسَّيْفَ، فإنَّه ظِلُّ الموتِ؛ وٱتَّقِ الرُّمْحَ فإنَّهُ رِشاءُ المَنِيَّةِ؛ وٱحْذَرِ السِّهامَ فإنَّها رُسُلُ الهَلاكِ. قالَ: فَبِماذا أُقاتِلُ؟ قال: بِما قالَ القائِلُ: [من الطويل]

جَـلامِـيـدُ أمـلاءُ الأكُـفِّ كـأنَّـهـا   رُؤوسُ رِجـالٍ حُـلِّـقَـتْ بـالـمَـواسِـمِ[2]

١١٩٥ ـ **عَرقُ القِرْبَةِ**: مِن أمْثالِ العَرَبِ[3]: لَقيتُ من فُلان عَرَقَ القِرْبَةِ، أي شِدَّةً ومَشَقَّةً؛ وأصْلُهُ أنَّ حامِلَ القِرْبَةِ يَتْعَبُ في حَمْلِها وَنَقْلها حتَّى يَعْرَقَ جَبينُهُ؛ فٱسْتُعيرَ عَرَقُهُ في مَوْضِعِ الشِّدَّةِ والتَّعَبِ.

١١٩٦ ـ **عَرَقُ الموتِ**: يُضْرَبُ مَثَلاً لأشَدِّ الشِّدَّةِ.

وكانَ الحسينُ الخادمُ خادِمُ المعتضِدِ والمُكتفي الَّذي كانَ يَتَوَلَّى البُرْدَ يُلَقَّبُ بِعَرَقِ الموتِ. وقيلَ: إنَّ المُكتَفي لَقَّبه بِذَلِكَ.

١١٩٧ ـ **عِزُّ التُّقَى**: يُقالُ: إنَّه لم يُمدَحْ عالِمٌ بأحْسَنِ مِن قَولِ ٱبنِ الخَيَّاطِ في الإمامِ مالِكِ بنِ أَنَس رضي الله تعالى عنه[4]: [من الكامل]

يَـأبَـى الـجـوابَ فَـمـا يُـراجَـعُ هَـيْـبَـةً   والـسَّـائِـلـونَ نَـواكِـسُ الأذْقـانِ
هَـدْيُ الـتَّـقِـيِّ وَظِـلُّ سُـلـطـانِ الـتُّـقَـى   فَـهُـوَ الـمَـهِـيـبُ وَلَـيْـسَ ذا سُـلْـطـانِ

١١٩٨ ـ **غَفْلَةُ الرَّقيبِ**: يُشَبَّه بِها ما يُسْتَحْسَنُ وَيُسْتَلَذُّ، كما قالَ العَطَويّ[5]: [من البسيط]

أحْـسَـنُ مـن غَـفْـلَـةِ الـرَّقـيـبِ   وَغَـمْـرَةِ الـلَّـحْـظِ مـن حَـبِـيـبِ

وَقال غَيرهُ[6]: [من مخلّع البسيط]

---

(١) الخبر في عيون الأخبار ١/ ١٣١.

(٢) البيت لجرير في ديوانه ٤٣٠، ومطلع القصيدة:
«تـغـطّي نـمـيـر بـالـعـمـائـم لـؤمـهـا   وكـيـف يـغـطي الـلـؤم طيّ الـعـمـائـم»
والجلاميد: الثِّقَل، والأملاء: جمع الملأ: الأشراف يقصد شعره.

(٣) المثل في جمهرة الأمثال ٢/ ١٩٨، واللسان (عرق).

(٤) لعبدالله بن سالم الخياط في ترتيب المدارك ٢/ ١٦١ وبلا نسبة في عيون الأخبار ٢/ ١٣٦.

(٥) له في المنتحل ص ١٨.

(٦) البيت بلا نسبة في كتاب نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص ٣٤٣.

يُـديـرُ فـي كَـفِّـهِ مُـداماً أحْـسَـنُ مـن غَـفْـلَـةِ الـرَّقـيـبِ

● ومن فَضْلٍ للأميرِ السَّيِّدِ ـ أدامَ الله تأييدَه ـ: ما زلت أسْمَعُ بِوَصْلِ الحبيبِ، وَغَفْلَةِ الرَّقيب، وَنَيْلِ الوَطَرِ، وَمُخالَسةِ النَّظَرِ؛ وكُلُّ ذَلكَ مُسْتَصْغَرٌ في جَنْبِ سُروري بِكتابِكَ، وإعْجابي بِثَمَرَةِ آدابكَ.

١١٩٩ ـ **غَضَبُ العاشِقِ**: تُشَبَّهُ بِهِ سَحابَةُ الصَّيْفِ، وَتُشَبَّهُ سَحابَةُ الصَّيْفِ بِغَضَبِ العاشِقِ في سُرْعَةِ الانْحلالِ.

● وَكانَ الهَمذانيُّ يقول(١): غَضَبُ العاشِقِ أقْصَرُ عُمْراً مِن أنْ يَنْتَظِرَ عُذْراً، وإن كان في الظَّاهرِ مَهابَةَ سَيْفٍ، فإنَّهُ في الباطنِ سَحابَةُ صَيْفٍ.

١٢٠٠ ـ **غُبارُ العَسْكَرِ**: كانَ أبو السِّمْطِ مَروان بنُ أبي الجَنوبِ يُلَقَّبُ غُبارَ العَسْكَر، لِقَوْله(٢): [من الكامل]

لَـمَّـا بَـدا لَـوْنُ الـمَـشـيـبِ سَـتَـرْتُـهُ وَتَـرَكْـتُ مِـنْـهُ ذَوائِـبـاً لـم تُـسْـتَـرِ
قـالَـت أرَى شَـيْـبـاً بِـرأسِـكَ، قُـلْـتُ: لا هـذا غُـبـارٌ مِـن غُـبـارِ الـعَـسْـكَـرِ

وفي رَهَجِ الخَميسِ يَقُولُ أبو تَمَّام(٣): [من الكامل]

مَن لَـمْ يَـقُـدْ فَـيَـطـيـرَ في خَـيْـشُـومِـهِ رَهَـجُ الـخـمـيسِ فَـلَـنْ يَـقُـودَ خَـمـيـسا

● وفي «الكِتاب المِبهجِ»: ناهيكَ بِمَنْ أُدِّيَ منه حَقُّ الخَميسِ، وَطارَ في أنفِهِ رَهَجُ الخَميس.

غُبار الولاية

١٢٠١ ـ **غُصَصُ المَوْتِ**: يُشَبَّهُ بِها كُلُّ ثِقلٍ وَكَراهةٍ؛ قال الشاعر: [من الخفيف]

ونَـديـمٍ كَـأنَّـهُ غُـصَـصُ الـمَـوْ تِ كَـثـيـرِ الـمِـراءِ وَيُـشْـجـي الـخَـلـيـلا
يَـذْكُـرُ الـدِّيـنَ والـخُـصُـومَـةَ فـي الـدِّيـ نِ وقـد حـازَتِ الـكـؤوسُ الـعُـقُـولا
وَيُـصَـلِّـي فـي غَـيـرِ وَقْـتِ صـلاةٍ لَـيْـسَ إلاَّ لأنْ يَـكـونَ ثَـقـيـلا

١٢٠٢ ـ **فِتْنَةُ الدَّجَّالِ**: كانَ النَّبيُّ ﷺ يَتَعَوَّذُ بالله من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَعَذابِ القَبرِ،

---

(١) رسائل البديع ص ٢٣٥، والتمثيل والمحاضرة ٢٠٩.
(٢) البيت الثاني بلا نسبة في شرح النهج ٢٠/ ٢١٠.
(٣) ديوانه ١/ ٢٤٤، ومطلع القصيدة:
«أقـشـيـب ربـعـهـم أراك دريـا وقـرى ضـيـوفـك لـوعـة ورسـيـا»

والأخْبارُ في وَصْفِ الدَّجَّالِ وَفِتْنَتِهِ والاختلافِ في أمْرِهِ أعْظَمُ من أنْ يَتَّسِعَ لها هذا البابُ

١٢٠٣ ـ **فُقَّاعُ القِلَى**: قالَ بَعْضُ المُوَلَّدين: [من السريع]

شَرِبْتُ فُقَاعَ القِلَى بَعْدَكُم لِعارِضٍ من تُخْمَةِ الحُبِّ
حتَّى تَجَشَّأْتُ جَميعَ الَّذي قَدْ كانَ من حُبِّكَ في قَلْبي

١٢٠٤ ـ **فِطْنَةُ الأعراب**: يُضْرَبُ بها المَثَلُ، وَذَلك لِصَفَاءِ أذْهانِهِم وَجَوْدَةِ قَرائِحِهِم؛ قال أبو تمَّام[1]: [من الكامل]

لا رِقَّةُ الحضَرِ اللَّطيفِ غَذَتْهُمُ وَتَباعَدوا عَن فِطْنَةِ الأعْرابِ

١٢٠٥ ـ **فَتْحُ الفتوحِ**: فتحُ مَكَّةَ يُسمَّى: فَتحُ الفُتُوحِ، وَيُشَبَّهُ بِهِ كُلُّ فَتْح جَليل القَدْرِ؛ كما قالَ أبو تمَّام في فَتْحِ عَمُّورِيَّة[2]: [من البسيط]

فَتْحُ الفتوحِ المُعَلَّى أنْ يُحيطَ بِهِ نَظْمٌ من الشِّعْرِ أو نَظْمٌ من الخُطَبِ
فَتْحٌ تَفَتَّحُ أبوابُ السَّماءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الأرضُ في أثْوابِها القُشُبِ

قصعة المساكين

١٢٠٦ ـ **قبور الأحياء**: يُروَى أن يوسفَ عليه السلام كَتَبَ على باب السجن: هذه مَنازِل البَلْوَى، وقُبور الأحياءِ، وتجربة الأصدقاء، وشَماتة الأعداء.

١٢٠٧ ـ **قُبْلَةُ الحُمَّى**: هي ما يَثُورُ بِشَفَةِ المَحْمُومِ من البُثُورِ، ويُسَمِّيها أهْلُ اللُّغةِ: العَقابِيل؛ قال الشَّاعر[3]: [من البسيط]

يا ليتَ حُمَّاكَ بي أوْ كُنْتُ حُمَّاكا إني أغارُ عليها حينَ تَغْشاكا
حُمَّاكَ جَمَّاشَةٌ، حُمَّاكَ عاشِقَةٌ لَو لَم تَكُنْ هكذا ما قَبَّلَتْ فَاكا[4]

١٢٠٨ ـ **قِمَعُ الفُؤادِ**: قالَ بَعْضُ الحُكماءِ: الأُذُنُ قِمَعُ الفُؤادِ.

---

(١) ديوانه ١/ ٤٥، ومطلع القصيدة:
«لو أنّ دهراً ردّ رجع جواب أو كفّ من شأويه طول عتاب»

(٢) ديوانه ١/ ٣٣، ومطلع القصيدة:
«السيف أصدق إنباء من الكتب في حدّه الحد بين الجدّ واللعب»

(٣) البيت الثاني لأبي دهمان في الورقة ٩٦، وقبله:
«من دون حبك قد أحببت حماكا أظنها دون خلق الله تهواكا»

(٤) التجميش: المغازلة.

ومِن فَضْلٍ لِلصَّاحِبِ: زَوِّجْ بَناتِ صَدْرِكَ من بَني عِلْمي، وأفْرِغْ صَوْبَ عَقْلِكَ في قِمَعِ أُذُني.

١٢٠٩ ـ **قَرْنُ الكَرْكَدَنِ**: الكَرْكَدَنُّ، حيوانٌ لا يَكونُ إلاَّ بأرْضِ الهِنْدِ.

• يُحْكَى عَنْهُ أعاجِيب، وَيُذْكَرْ أنَّ لهُ قَرْناً واحِداً في جَبْهَتِهِ في طُولِ ذراعٍ، وَعَرْضُهُ يُضْرَبُ بِهِ المثَلُ، وَيُشَبَّهُ به قرنُ القَرْنانِ.

قالَ ٱبنُ الرُّومي(١): [من الخفيف]

كـانَ لِـلْـكَـرْكَـدَنِّ قَـرْنٌ فـأضْـحَـى ... وَهْـو الآنَ عِـنْـدَ قَـرْنـكَ مِـدرَى
مَـنْ يَـكُـنْ قَـرْنُـهُ كَـقَـرْنِـكَ هـذا ... فَـلْـيَـكُـنْ بـابُـهُ كـإيـوانِ كِـسْـرَى

١٢١٠ ـ **قُطْبُ السُّرور**: هُوَ النَّبيذُ عِنْدَ أصحابِهِ؛ قالَ العَطَويُّ(٢): [من الخفيف]

أنـا بـالـقُـرْبِ مِـنْـكَ عِـنْـدَ كَـرِيـم ... قَـدْ ألَـحَّـتْ عَـلـيـهِ شُـهْـبُ سِـنـيـهِ
مَـجْـلِـسٌ كـالـرِّيـاضِ حُـسـنـاً ولَـكِـنْ ... لَـيْـسَ قَـطْـبُ الـسُّـرورِ والـلَّـهْـوِ فِـيـهِ

وقالَ السَّرِيُّ(٣): [من المنسرح]

الـكَـأسُ قُـطْـبُ الـسُّـرورِ والـطَّـرَبِ ... فَـٱحْـظَ بِـهـا قَـبْـلَ حـادِثِ الـنُّـوَبِ

١٢١١ ـ **كُتَّابُ النِّثارِ**: همُ الكُتَّابُ الَّذينَ لم يَخْتَلفوا إلى الكُتَّابِ.

وكانَ الخُوارَزْميُّ يَقُول: فُلانٌ من أدباءِ المجَازِ، وكُتَّاب النِّثارِ.

وَمِمَّنْ ذَكَرَهُم في شِعْرِهِ ٱبنُ عَروسٍ حَيْثُ قال: [من الوافر]

وَلَـمَّـا أنْ رَأيْـتُـهُـمُ وُقُـوفـاً ... عـلى الـجِـسْـرَيـنِ كـالـحِـدَإ الـضَّـوارِي
سَـألْـتُ فَـقـيـلَ كُـتَّـابٌ وَلَـكِـنْ ... ألَـمْ تَـسْـمَـعْ بِـكُـتَّـابِ الـنِّـثـارِ!

ثمَّ قال:

وكَـمْ بَـغْـلٍ عـلـى بَـغْـلٍ وَكَـمْ مِـنْ ... حِـمـارٍ قَـدْ أنـافَ عـلـى حِـمـارِ
وَبِـرْذَونٍ تَـراهُ وَقَـدْ تَـثَـنَّـى ... عـلـى بِـرْذَوْنِـهِ مِـثْـل الـجِـدارِ

---

(١) ديوان ١/٩٧، ومطلع القصيدة:
«يظلم الناس يعلم الله أخرى ... أنت بالكشخ منه أولى وأحرى»
(٢) له في الأغاني ٢٣/١٢٥.
(٣) ديوانه ٦٣، والبيت هو مطلع القصيدة.

١٢١٢ ـ كِيمياءُ الفَرَحِ: النَّبيذُ كِيمياءُ الفَرَحِ، وصابونُ الهُمومِ، وَلحامُ أرحامِ الكِرامِ.

١٢١٣ ـ كَفُّ الجَوادِ: قالَ العَسْكَري في تشْبِيهِ المَطَرِ بِها[1]: [من الخفيف]

حـالَ بَـيْـنـي وبَـيْـنَ بـابِـكَ حـالا ... نِ: وُحُـولٌ وَقُـرْبُ عَـهْـدِ عِـهـادِ
فَـكَـأنَّ الـوُجـولَ لَـيْـلُ مُـحِـبٍّ ... وَكَـأنَّ الـسَّـمـاءَ كَـفُّ جَـوادِ

١٢١٤ ـ كَرْبُ الدَّواءِ: كان المُكتَفي يُلَقِّبُ وَزيرَهُ العبَّاس بنَ الحسن: كَرْبَ الدَّواءِ، فَلَمَّا قُتِلَ في أيام المقتَدِر قيلَ فيه: [من مجزوء الرمل]

قَـدْ أُرِحْـنـا مـن بَـلاءِ ... وَمَـضَـى كَـرْبُ الـدَّواءِ
كـانَ واللهِ عـلـى الـصِّـحْـ ... ـحَـةِ غَـيْـظَ الـعُـقَـلاءِ

١٢١٥ ـ لَمْعُ السَّرابِ: يُضْرَبُ مَثَلاً لِما لا حاصِلَ له مِنَ الوَعْدِ الكاذِبِ، وَغيره؛ قال المأمُونيُّ: [من المنسرح]

يَـفْـتَـحُ بـالـوَعْـدِ بـابَ نـائِـلـهـا ... حـتَّـى يَـرَى الـوَصْـلَ ثُـمَّ يَـنْـطَـبِـقُ
وَعْـدٌ كَـلَـمْـعِ الـسَّـرابِ تَـحْـسَـبُـهُ ... مِـنْـكَ قَـريـبـاً ودُونَـهُ شَـقَـقُ

● وَمن فَصْلٍ للصَّاحِبِ: بَعْضُ الوَعْدِ كَلَمْعِ السَّرابِ، وَبَعْضُهُ كَنَقْعِ الشَّرابِ.

وَالأَصْلُ فيهِ قَوله تعالى: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩].

لُعابُ المَنِيَّةِ: كان[2] لأبي حَيَّة النُّمَيْريِّ[3] سِيفٌ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَصا فَرْقٌ، وكان يُسَمِّيهِ لُعابَ المنيَّة، فَحَكَى جارٌ له قال: أشْرَفْتُ عليه لَيْلَةً وَقَد انتضَاه، وكانَ كَلْبٌ يَعْتَسُّ فَدَخلَ بَيْتَهُ، فَظَنَّ أنه لِصٌّ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أيُّها المُغْتَرُّ بِنا، والمجتَرِىءُ علينا، بِئْسَ واللهِ ما اخْتَرتَ لِنَفْسِكَ! خَيْرٌ قَليلٌ، وَشَرٌّ طَويلٌ، وَسَيْفٌ صَقيلٌ؛ لُعابُ المنيَّةِ الَّذي سَمِعتَ به، مَشْهُورٌ ضَرْبَتُهُ، لا تُخافُ نَبْوَتُه؛ اخْرُجْ بالعَفْو عَنْكَ، أو لأُدْخِلَنَّ بالعُقُوبَةِ عليك؛ واللهِ إنْ أَدْعُ قَيْساً تَمْلأُ الفَضاءَ خَيلاً وَرَجلاً. سبحانَ اللهِ، ما أكْثَرَها وأَطْيَبَها!.

---

(١) ليسا في ديوانه.

(٢) الخبر في عيون الأخبار ١/ ١٦٨، وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٣.

(٣) أبو حيّة النميري: لهيثم بن الربيع بن زرارة: شاعر مجيد، فصيح راجز، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية (ت نحو ١٨٣هـ/ نحو ٨٠٠م). ترجمته في خزانة الأدب ٣/ ١٥٤، والشعر والشعراء ٢٩٩.

ثُمَّ فَتَحَ البابَ، فإذا كَلْبٌ قد خرجَ!.

فَقالَ: الحمدُ لله الَّذي مَسَخَكَ كَلْباً، وَكفاني حَرْباً.

١٢١٦ - **لُزومُ الدِّبْقِ**: وَصَفَ الحُسَيْنُ الجَمَلُ المصريُّ(١) ٱبنَ الخراسانيِّ(٢) فَقالَ: يَلزَمُ لُزومَ الدِّبْقِ إلى أنْ يأْخُذَ شيئاً، ثُمَّ يَنْسَلُّ ٱنْسِلالَ الزِّئبَقِ.

١٢١٧ - **لَذَّةُ الخُلْسَةِ**: قالَ الجاحظُ: قِيلَ لِرَجُلٍ يَعْشَقُ قَيْنَةً: لَو ٱشْتَرَيْتَها بِبعضِ ما تُنفِقُ عَليها! فقال: كَيْفَ لي إذْ ذاكَ بِلَذَّةِ الخُلْسَةِ، ونَيْكِ المُسَارَقَةِ، وٱنتظارِ المَوْعِدِ على الرِّقْبَةِ، وإيقاعِ الكَشْخِ على مَوْلاها!

١٢١٨ - **مَجالِسُ الكِرامِ**: كانَ أبو مُسْلم الخَوْلاني(٣) يُكْثِرُ الجلوسَ في المَساجِد، وَيَقُولُ: المسَاجِدُ مَجالِسُ الكِرام.

١٢١٩ - **مِيزانُ القَوْمِ**: كانَتِ العَرَبُ تقُولُ: السَّفَرُ مِيزانُ القَوْمِ؛ كَأنَّهُ يَزِنُهُمْ بأوْزانِهِم، وَيُفْصِحُ عن مَقادِيرِهم في الكَرَمِ واللُّؤمِ.

قالَ الشَّاعر: [من البسيط]

وَلا تَكُنْ كَلِئامٍ أظْهَروا ضَجَراً ... إنَّ اللِّئامَ إذا ما سافَروا ضَجِروا

١٢٢٠ - **مِصْباحُ السُّرور**: في «الكِتابِ المُبهجِ»(٤): الخَمرُ مِصباحُ السُّرورِ، وَلكنَّها مِفتاح الشُّرورِ.

١٢٢١ - **مِفْتاحُ النَّجاحِ**: قالَ بَعْضُ الحُكماءِ: مِفْتاحُ النَّجاحِ الصَّبْرُ على طُولِ مُدَّتِهِ.

١٢٢٢ - **مفتاح الفَرَجِ**: قالَ الشَّاعر: [من السريع]

مِفْتاحُ بابِ الفَرَجِ الصَّبْرُ ... وكُلُّ عُسْرٍ بَعْدَهُ يُسْرُ
وَكُلُّ مَن أعياكَ أخْلاقُهُ ... فإنَّما حِيلَتُهُ الهَجْرُ

---

(١) الجمل المصري: الحسين بن عبد السلام، أبو عبدالله، شاعر مدح الخلفاء والأمراء (ت ٢٥٨هـ). ترجمته في يتيمة الدهر ١/ ٤٢٤، ومعجم الأدباء ١٠/ ١٢١.

(٢) ابن الخراساني: محمد بن إبراهيم المصري، له مع الجمل مداعبات (الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٠).

(٣) أبو مسلم الخولاني: عبدالله بن ثُوب: تابعي فقيه زاهد (ت ٦٢هـ/ ٦٨٢م). ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/ ٤٦، وحلية الأولياء ٢/ ١٢٢.

(٤) المبهج ٥١، والتمثيل والمحاضرة ٢٠٥.

١٢٢٣ ـ مِفْتاحُ الرِّزْقِ: قالَ الشَّاعر ـ وَهو أَحْسَنُ ما قيلَ في مَعناه[١]: [من الكامل]

قَبِّلْ أنامِلَهُ فَلَسْنَ أنامِلاً ... لَكِنَّهُنَّ مَفاتِحُ الأَرْزاقِ

١٢٢٤ ـ مِفْتاحُ الأَمْصار: كانَ يُقالُ لِعُمر بنِ الخَطَّابِ: مِفْتاحُ الأَمْصارِ؛ لأَنَّه هو الَّذي فَتَحَ أَكْثَرها، وَهو أَوَّلُ مَن مَصَّرَ الأَمْصار، ودَوَّنَ الدَّواوينَ في الإِسلام.

١٢٢٥ ـ مِفْتاحُ الفِتَن: يُقالُ: إِنَّ ذَلكَ قَتْلُ عُثمان.

● وَيُقال: بَلْ قَتْلُ الحُسين.

● حَدَّثَ الصُّوليُّ قالَ: حدَّثني الحسين بنُ عليّ الكاتبُ، قالَ: دَخَلْتُ يوماً على عُبيد الله بن سليمانَ، وَعنده ٱبن الأشنب وَحْدَهُ، فحينَ وَقَعَتْ عَينهُ عليَّ قالَ لي: يا أبا عبدِالله إنَّا رَضينا في شيءٍ قد تشاجَرْنا فيه بأوَّلِ مَنْ يَدخُل علينا ولو تمنَّينا لذلك همّاً ما جازتنا الأمينة، فٱحْكُمْ بيَننا من غَيْرِ أن تَعرِفَ ما قَالهُ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا، لئلاَّ تَتَّبعَ قَوْلي؛ ثُمَّ قال: تَلاحَينا على أشدِّ ما كانَ في الإِسلامِ على المسلمينَ، فَقال أحَدُنا: أَشدُّهُ قَتْلُ عُثمانَ لأنَّه مِفتاح الفِتن، وأوَّلُ الاختِلافِ، وَسَببُ الفُرقَةِ؛ وَقالَ أحدُنا: قَتْلُ الحُسين، لأنَّ المسلمين يَئسوا بَعْدَ قَتْلِهِ من كُلِّ فَرَجٍ يَرْتَجُونَهُ، وعَدْلٍ يَنْتظرونه.

● قالَ: فَقُلْتُ: أيَّدَ الله الوزيرَ! الأمْرُ في هذا الحُكْمِ أوضَحُ سَبيلاً، وأقْرَبُ مُتَناولاً من أن يَقَعَ فيه لأحَدٍ شَكٌّ. قال: وَمن أين ذلك؟ ٱشْرَحْهُ لنا. فَقُلْتُ: ٱنْظُرْ إلى أشَدِّهِ على رَسولِ الله ﷺ، فَهو الأشَدُّ على المسلمين.

فَضَحِكَ عُبيدُالله، وَقالَ: لله دَرُّكَ يا أبا عبدِالله مِن صادِعٍ بالحَقِّ، حاكم بالعَدْلِ؛ أنتَ والله أحَجُّ في جَوابِكَ من قُريش. فَقالَ ٱبن الأشنب: يجوزُ أن يَكونَ الأشدُّ على رسول الله ﷺ أمْرُ عُثمانَ، وإن لم يَكُنْ عِنْدَهُ كالحسين لأمْرِ الإِسلام. فَقالَ عُبيدالله: ٱسكُتْ يا هذا، فإنَّكَ عِنْدَ الحُجَّةِ عَطَفْتَ عن المَحَجَّة.

١٢٢٦ ـ مَطِيَّةُ الجَهْلِ: هي الشَّبابُ.

● قالَ ٱبنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه في تَفْسير قَوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، قال سُفيان: قالَ الحَسنُ: أيْ شُبَّان، لأنَّ الشَّبابَ مَطِيَّةُ الجَهْلِ.

● قالَ النَّابِغَةِ[٢]: [من الوافر]

---

(١) لمسلم بن الوليد في غرر الخصائص الواضحة ٦٩١، وفي ديوانه، وهو مطلع القصيدة.

(٢) ديوانه ص ١٤، وهو مطلع قصيدة يردّ فيها على عامر بن الطفيل.

فـإنْ يَـكُ عـامِـرٌ قَـد قَـالَ جَـهْـلاً فـإنَّ مَـطِـيَّـةَ الـجَـهْـلِ الـشَّـبـابُ[١]

وَمَن رَوَى «مَظِنَّةَ» بالظَّاءِ والنُّون، عَنَى مَعْدِنَهُ.

● قالَ أبو نُواس[٢]: [من الكامل]

كـانَ الـشَّـبـابُ مَـظِـنَّـةَ الـجَـهْـلِ وَمُـحَـسِّـنَ الـضَّـحِـكـاتِ والـهـزلِ

١٢٢٧ ـ **مَوَدَّةُ السّوقَةِ**: يُضْرَبُ بها المثَلُ في الضَّعْفِ والرَّكاكةِ؛ قالَ بَعْضُهُم: [من مجزوء الرملْ]

قَـد نَـرَى يـا ٱبـنَ أبـي إسْـ ـحـاقَ فـي وُدِّكَ عُـهْـدَهْ
وَكَـذا الـسُّـوقـيُّ لـلإخـ ـوانِ سُـوقـيُّ الـمـوَدَّهْ

١٢٢٨ ـ **مَوْلَىٰ الموالي**: يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ في القِلَّةِ والذِّلَّةِ.

قالَ الجاحظُ: أنْشَدَني أبو زيد وأبو عُبيدة[٣]: [من الطويل]

فَـلَـوْ كـانَ عَـبْـدُالله مَـوْلًـى هَـجَـوْتُـهُ وَلَـكِـنَّ عـبـدَالله مَـولَـى مَـوالـيَـا

وأنْشَدَ: [من مجزوء الرمل]

مَـن لِـقَـلْـبٍ صَـدَّ عـن سَـلْـ ـمى عـلـى غَـيْـرِ مِـثـالِ
صَـدَّ عـنـهـا خَـشْـيَـةَ الـنَّـا سِ ومِـن قِـيـلٍ وَقـالِ
رَغِـبَـتْ عَـنِّـي لأنِّـي كُـنْـتُ مَـوْلًـى؛ لا أُبـالـي

وأنْشدَ: «مَوْلَى لِمَوالي»:

لَـيْـتَـهـا قـالَـت إذا مـا عَـيَّـرُوهـا: لا أُبـالـي

١٢٢٩ ـ **مُعْتَرَكُ المَنايا**: هو ما بَينَ السِّتين إلى السَّبعين من سِنيِّ أعمارِ النَّاسِ، لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أكْثَرُ أعْمارِ أُمتي ما بينَ السِّتِّين إلى السَّبعين**».

وَلمَّا أنافَتْ سِنُو عبدِ الملك بن مروانَ على السِّتِّين، وَسئِل عن مَبلَغِ عُمُرِه قال: في مُعْتَرَكِ المنايا.

---

(١) في الديوان:

«فـــإن مـــظـــنـــة»

(٢) ديوانه ص ٧٣١.

(٣) للفرزدق في الفاضل في اللغة والأدب ص ٩، والوساطة بين المتنبي وخصومه ص ١٣، وطبقات فحول الشعراء ص ١٤، وليس في ديوانه.

١٢٣٠ ـ **مَدْرَجَةُ الشَّرَفِ**: قالَ أكْثَمُ بنُ صَيْفيّ(١): المَناكِحُ الكريمَةُ مَدارِجُ الشَّرَفِ.

١٢٣١ ـ **نَقْدُ البَلَدِ**: يُضْرَبُ مَثَلا لِلإنْسانِ المُتَوَسِّطِ؛ وَيُشْبِهُ ما يَتَعامَلُ به أَهْلُ البِلادِ من النَّقْدِ المتوسِّطِ بينَ الجَودَةِ والرَّداءَةِ، فَيقالُ: فلانٌ من نَقْدِ البَلَدِ، وَمِنَ الطَّبَقَةِ الوُسْطى.

١٢٣٢ ـ **نَوْرُ الهُمومِ**: هو الشَّيْبُ؛ قالَ ٱبنُ المعتزِّ(٢): [من المديد]

أنْكَرَتْ هِنْدُ مَشِيبي وَولَّتْ ... بِدُموعٍ في الرِّداءِ سُجُومِ
أعْذِري يا هِنْدُ شَيْبي لِهَمِّي ... إنَّ شَيْبَ الرَّأسِ نَوْرُ الهمومِ

وَقَدْ شُبِّهَ الشَّيْبُ كَثيراً بالنَّوْرِ، قالَ ٱبنُ الرُّوميّ(٣): [من الخفيف]

قد يَشيبُ الفتى وليس عجيباً ... أن يُرَى النَّوْرُ في القَضيب الرَّطيبِ

وقال التَّميميّ(٤): [من الطويل]

أقولُ ونَوَّارُ المَشيبِ بِعارِضي ... قد ٱفْتَرَّ عَنْهُ نابُ أسْوَدَ سالِخِ:
أشَيْباً وحاجاتُ الفؤادِ كأنَّما ... يَجيشُ بها في الصَّدْرِ مِرْجَلُ طابخِ

وَقالَ بعضُ أهلِ العَصْرِ: [من السريع]

لم يَعرِفِ القَوْمُ الأُلَى شَبَّهوا ٱلْـ ... ـمَشيبَ بالنُّوَّارِ ما شَبَّهوا
الشَّيْبُ نُوَّارٌ وَلَكِنَّهُ ... يُثْمِرُ بالموْتِ فَأُفّاً لَهُ!

١٢٣٣ ـ **وَقارُ الشَّيْبِ**: يُرْوَى(٥) أنَّ إبراهيم عليه الصلاة والسَّلام أوَّلُ مَنْ شابَ، وحَلاَّهُ الله بالشَّيْبِ لِيَتَمَيَّزَ عن إسحاق، إذ كانَ من الشَّبَهِ به ما لا يكادُ يُمَيِّزُ بَيْنَهُما، فَلَمَّا وَخَطَهُ الشَّيْبُ قَال: يا رَبِّ ما هذا؟ قال: هُو الوقارُ، قالَ: يا رَبِّ زِدْني وَقاراً.

---

(١) الميداني ٢/٢٨٩.
(٢) ديوانه ٢/٤١٧.
(٣) ديوانه ١/١٣٨، ومطلع القصيدة:
«شابَ رأسي ولاتَ حينَ مشيبِ ... وعجيبُ الزمانِ غيرُ عجيبِ»
(٤) لأبي أحمد النامي البوشنجي في خاص الخاص ٢٢٢، ويتيمة الدهر ٤/١٠٦، وفيه «أبو أحمد اليمامي البوشنجي: شاعر بوشنج وغرتها، وشعره مدوّن سائر»
(٥) المعارف ٣٠.

وَقالَ دِعْبِل[١]: [من الكامل]

أهـلاً وسَـهـلاً بـالـمـشـيـب فـإنَّـهُ سِـمَـةُ الـوقـورِ وهـيـبـةُ الـمـتـحـرّجِ

وَقالَ أبو نُواس[٢]: [من الطويلِ]

يَـقُـولـونَ فـي الـشَّـيْـبِ الـوقـارُ لأهْـلِـهِ وَشَـيْـبـي، بِـحَـمْـدِ الله، غَـيْـرُ وَقـارِ

• وَمن فَصْلٍ للبَديعِ الهمذانيّ[٣]: الشَّبابُ هَناةٌ، والمَشيبُ أناةٌ، فالحمدُ لله الَّذي بَيَّضَ القارَ، وَسمَّاهُ الوَقارَ.

١٢٣٤ ـ **وَقاحَةُ العُمْيان**: مِن أمثال العَامَّةِ[٤]: أوْقَحُ من الأعمىٰ؛ لأنَّ الحياءَ في العَيْنِ، وَلَيْسَتْ له.

وأحْسَنُ ما سَمعتُ في ذَمِّ الأعْمَىٰ[٥]: [من الخفيف]

كـيـفَ يَـرجُـو الـحَـيـاءَ مـنـهُ صَـديـقٌ وَمَـكـانُ الـحـيـاءِ مِـنْـهُ خَـرابُ!

• وَقيلَ لأبي العَيْناءِ: وَيحَكَ ما أوْقَحَكَ! فَقال: أما عَلِمْتَ أنَّ للحَياءِ شَرائِطَ لَيْسَتْ معي واحدَةٌ مِنهنَّ! قيلَ: فَصِفْهُنَّ، قالَ أوَّلُهُنَّ: في العَيْنين، وَلَسْتُ أبْصِرُ؛ الثَّانيةُ: اجْتِنابُ الكَذبِ، وأنا من اليَمامة من رَهْطِ مُسَيْلَمَةَ الكذَّاب؛ والثَّالثة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**الحياءُ من الإيمان**» وأيُّ إيمانٍ تَرَوْنَ معي؟

• ونَظيرُ هذا ما يُحكىٰ أنَّ رجُلاً سألَ يَحيى بن أكْثَم، فقالَ له يَحْيَى: أخْطأْتَ بابَ الرِّزْقِ من ثَلاثةِ أوجُهٍ: أحَدُها أنِّي امرؤٌ مَرْوَزِيٌّ، وَبُخْلُ أهْلِ مَرْو مَضْروبٌ بهِ المَثَلِ، والآخَرُ أنِّي تَميميٌّ، وَمَنْ لم يَكُنْ من التَّميميِّينَ بَخيلاً فَهُوَ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ؛ والثَّالثُ أنِّي قاضٍ، والقاضي يأخُذُ ولا يُعطِي، ويَرْتَزِقُ ولا يَرْزُقُ.

١٢٣٥ ـ **يَنْبوعُ الأحزانِ**: قالَ بَعْضُ الفلاسِفَةِ[٦]: القِنْيَةُ يَنْبُوعُ الأحْزانِ.

---

(١) ديوانه ١٥٩، وهو مطلع القصيدة.
وفي الديوان:
«سـمـةُ الـعـفـيـف وحـلـيـة الـمـتـحـرج»

(٢) ديوانه ٤١٠، من قصيدة يمدح فيها العباس بن عبدالله الهاشمي، ومطلعها:
«ديـار نـوار، مـا ديـار نـوار كـسـونـك شـجـواً هـنّ مـنـه عـوار»

(٣) رسائل البديع ٣٣٦.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣٢٤.

(٥) لابن الرومي في ديوانه، وفي زهر الآداب ١٤٩٢، وبلا نسبة في التمثيل والمحاضرة ٣٢٤.

(٦) لسقراط في زهر الآداب ٢/ ٩٩١.

● قال عُبيد الله بن عبدالله بن طاهر[1]: [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنَّ الدَّهْرَ يَهْدِمُ ما بَنَى ... وَيأخُذُ ما أعْطَى وَيُفْسِدُ ما أسْدَى
فَمَن سَرَّهُ ألاَّ يَرَى ما يَسُوؤُهُ ... فَلا يَتَّخِذْ شَيئاً يخافُ له فَقْدا

❀ ❀ ❀

(١) البيتان له في خاص الخاص ١٨٢.

البابُ الحادي والستُّون

في الجِنَان
وهو آخِرُ الأبواب في المضافاتِ والمنسوباتِ

جَنَّةُ الدُّنيا، جَنَّةُ الرَّجل، جَنَّةُ الفردوس، جَنَّةُ الخُلْد، جَنَّةُ عَدْن، جَنَّةُ المأوى، جَنَّةُ المنتهَى، ظِلُّ طُوبَى، بابُ الجنَّة، رَوْضَةُ الجَنَّة، كنوز الجنَّة، ريحُ الجنَّة.

الاسْتِشهادُ

١٢٣٦ ـ جَنَّةُ الدُّنيا: كانَ يُقال لِلشَّامِ: جَنَّةُ الدُّنيا.

وَلَمَّا أفْرَجَ هِرَقْلُ عن بلاد الشَّام للمسلمين، وَخَرَجَ مِنْها هارِباً إلى الرُّوم بَكَى حتَّى اَخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، وغُشِيَ عليه، فَلَمَّا أفاقَ قالَ: السَّلام عليكِ يا سُوريا، يا جَنَّةَ الدُّنيا، سلامَ غَيْرِ مُلاقٍ[1].

١٢٣٧ ـ جَنَّةُ الرَّجُلِ: في الخَبَرِ: «جَنَّةُ الرَّجُلِ دارُه».

وأنْشَدني المأمونيُّ لِنَفْسِهِ: [من الوافر]

أجِدْ صُنْعَ المباني حِيْنَ تَبْنِي ... فَلَيْسَ لِمَنْ يَحُلُّ بها حُصُونُ
وَأحْسِنْ جَنَّةَ الدُّنيا إلى أن ... يَكُونَ من القيامةِ ما يكونُ
فَما الإحْسانُ إلاَّ مُقْلَةٌ لا ... تُغَمِّضُ أن يَكون لها جُفُونُ

١٢٣٨ ـ جَنَّةُ الفِرْدَوسِ: يُضْرَبُ مَثَلاً للمَكانِ يَجْمَعُ الحُسْنَ والأمانَ والطّيبَ؛ وَمِمَّن ضَرَبَ بها المَثَلَ في شِعْرِهِ أبو تَمَّام، حَيْثُ قال[2]: [من البسيط]

---

(١) معجم البلدان ٣/ ٢٨٠.

(٢) ديوانه ٢/ ١٥، من قصيدة في مدح مالك بن طوق، مطلعها:

«قل لابن طوق رحى سعد إذا خبطت ... نوائب الدهر أعلاها وأسفلها»

مـا لـي أرَىٰ الـقُـبَّـةَ الـفَـيْـحـاءَ مُـقْـفـلَـةً دُوني وَقَد طالَ ما ٱسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَها
كـأنَّـهـا جَـنَّـةُ الـفِـردوسِ مُـعْـرِضَـةً وَلَـيْـسَ لـي عَـمَـلٌ زاكٍ فَـأدْخُـلَـهـا

وٱبن الرُّومي في قوله(١): [من البسيط]

لَـهُ حَـريـمٌ إذا مـا الـجـارُ حَـلَّ بـهِ أضْحَىٰ الزَّمانُ عَليهِ جِدَّ مُؤتَمَنِ
كـأنَّـهُ جَـنَّـةُ الـفِـردوسِ قـد أمِـنَـتْ فيها النُّفوسُ من الرَّوعاتِ والحَزَنِ

١٢٣٩ ـ **جَنَّةُ الخُلْدِ**: قالَ ٱبنُ طَباطَبا: [من الوافر]

فَـمَـهْـمـا أنْـسَ لا أنْـسَ ٱلْـتِـذاذِي بِـجَـنَّـاتٍ كَـجَـنَّـاتِ الـخُـلُـودِ
بَـنَـفْـسَـجُ عـارِضَـيـنِ إلـى أقـاحِـي ثُـغُـورٍ زانَـهـا وَرْدُ الـخُـدُودِ

وَأحْسَنَ جِدّاً في قَوله: [من الرجز]

وَوَجْـنَـةٍ كَـجَـنَّـةِ عِـشْـقِـيَ فـيـهـا قَـدْ خَـلَـدْ

١٢٤٠ ـ **جَنَّةُ عَدْنٍ**: منَ الأبياتِ السَّائرَةِ على وَجْهِ الدَّهْرِ، قَوْلُ القائِلِ(٢): [من البسيط]

الـمـوتُ بـابٌ وَكُـلُّ الـنَّـاسِ داخِـلُـهُ يا لَيْتَ شِعْرِيَ بَعْدَ الباب ما الدَّارُ!

الجوابُ عنه(٣):

الـدَّارُ جَـنَّـةُ عَـدْنٍ إنْ عَـمِـلْـتَ بـمـا يُـرْضـي ٱلإلـهَ وإنْ خـالَـفْـتَ فـالـنَّـارُ

١٢٤١ ـ **جَنَّةُ المَأْوَى**: قالَ بَعْضُ المُفَسِّرين: أخصُّ الجِنان وأعلاها جَنَّةُ المأْوَى، لقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٥]؛ فَلَمَّا كانتِ السِّدْرَةُ غايَةً لِتِلْكَ المواطِنِ، وَعِنْدَها جَنَّةُ المأوىٰ، عَلِمْنا أنَّها أخَصُّ الجِنانِ.

١٢٤٢ ـ **جَنَّةُ المُنْتَهَىٰ**: قالَ سَعيد بنُ حُمَيْد(٤): [من السريع]

لـو كـنـتُ لا أُهـدِي إلـى أن أرى شـيـئـاً عـلـى قَـدْرِك أو قـدري

---

(١) ديوانه ٦/٢٤٨٧، ومطلع القصيدة:
«ما أشبه العرف والإحسان بالحسن أبي محمد المحمود ذي المنن»
(٢) لأبي العتاهية في ديوانه ص ١٢٣.
(٣) لصالح بن عبد القدوس في ديوانه.
(٤) له في المتحل ص ٣٩.

لَـم أُهْـدِ إلا جَـنَّـة الـمـنـتـهـى ... تـرفُـل فـي أثـوابـهـا الـخُـضْـرِ

١٢٤٣ ـ ظِلُّ طُوبَى: من أحسن ما يُنْشِدُهُ المُذكِّرون القُصَّاصُ على فُروعِ المنابِرِ ورؤوسِ الأشهادِ، قَوْلُ محمود الوراق ـ وَيُروىٰ لِغَيْره[١]: [من البسيط]

مَنْ يَشْتَري قُبَّةً في الخُلْدِ عَالِيَةً ... فـي ظِـلِّ طُـوبَى رَفيـعاتٍ مَبانيـهـا
دَلاَّلُهـا الـمُـصْطَفَى، واللهُ بـائِـعُـهـا ... مِـمَّـنْ أرادَ، وَجِـبْـريـلُ مُـنـاديـهـا

١٢٤٤ ـ بابُ الجَنَّةِ: خَطبَ عليٌّ ، فقال في خُطْبَتِهِ[٢]: أمَّا بَعْدُ، فإنَّ الجِهادَ بابٌ من أبواب الجَنَّةِ، مَن تَركَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ الذُّلَّ، وَسِيمَ الخَسْفَ، وَدُيِّثَ بالصَّغارِ.

١٢٤٥ ـ رَوْضَةُ الجَنَّةِ: في الخَبَر: «ألا إنَّ القَبْرَ رَوْضَةٌ من رِياضِ الجَنَّةِ، أو حُفْرَةٌ من حُفَرِ النَّار».

وَفيه: «إنَّ مِنْبَري هذا على تُرعَةٍ من تُرَعِ الجَنَّةِ».

وَفيه: «عائِدُ المَريض على مَخَارِف الجَنَّةِ حتَّى يَرْجِعَ»[٣].

وَفيه: «مَن سَرَّهُ أنْ يَلْزَمَ بُحبوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَم الجَماعَةَ»[٤].

١٢٤٦ ـ كُنوزُ الجَنَّةِ: كانَ يُقالُ: أَرْبَعٌ من كُنُوزِ الجَنَّة: كِتْمانُ المُصِيبَةِ، وَكِتمانُ المرَضِ، وَكِتْمانُ الفاقَةِ، وَكِتْمانُ الصَّدَقَةِ.

١٢٤٧ ـ رِيحُ الجَنَّةِ: في الحديثِ: «رِيحُ الوَلَد من الجَنَّةِ».

وقالَ ﷺ لِلحُسَين والحسنِ: «إنَّكم لَتُجَبِّنونَ، وإنَّكم لَتُبَخِّلُونَ، وإنَّكم من رَيْحانِ الجَنَّةِ».

● وَقالَ الجاحظُ في قَوْلِ أبي العتاهِيَة[٥]: [من الرجز]

إنَّ الـشَّـبـابَ حُـجَّـةُ الـتَّـصَـابـي ... رَوائِـحُ الـجَـنَّـةِ فـي الـشَّـبـابِ

مَعْنىً كَمَعْنى الطَّرَبِ الَّذي ترتاحُ له القُلوبُ، ولا تَقدرُ على وَصْفِهِ الألسُنُ.

وَقالَ بَعْضُ أهلِ العَصْرِ في وَصْف النَّدِّ[٦]: [من الهزج]

---

(١) ديوانه ص ٢٦٨.
(٢) الخطبة في شرح النهج ٢/ ٧٤، وكامل المبرد ١/ ٢٠.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٧٦.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٦.
(٥) ديوانه ٤٦٥.

وَنَـــدٌ مـــا لَـــهُ نِـــدٌّ تَـعـاطِـيـهِ مِـنَ الـسُّـنَّـهْ
إذا مـــا دَخَـــلَ الـــنَّـــارَ حَـكَـى رائِـحَـةَ الـجَـنَّـهْ

❁ ❁ ❁

إلى هنا آنتهى الكتاب ولله الحمدُ، والصَّلاةُ على النَّبيِّ محمد وآله.

❁ ❁ ❁

---

(١) للثعالبي في ديوانه ١٨٧.

التذييل المرغوب من ثمار القلوب

لمؤلف مجهول

شرح وتعليق

خالد عبد الغني محفوظ

فصل في الآباء

١ • أبو مُرَّة[1]: إبليس.

٢ • أبو البيضاء[2]: الحَبَشيّ.

٣ • أبو البَصير[3]: الأعمىٰ.

٤ • أبو دِثار[4]: الكِلَّةُ التي يُتَوَقَّىٰ بها من البعوض.

٥ • أبو عَمْرَة[5]: الإفلاسُ، والجُوع.

٦ • أبو مالك[6]: الجُوعُ، والكِبْرُ لأنه يملِكُ الرَّجلَ فلا يُفارقُه.

٧ • أبو طريف: الفَرْجُ. [من الكامل]

قالت: فأَهْدِ لنا إزاراً مُعْلَماً فأبو طَريفٍ ما عليهِ إزارُ[7]

ويُكَنَّىٰ أيضاً بأبي الزَّرْدان، كما يُكَنَّىٰ الذَّكَرُ بأبي جُمَيْحٍ، وأبي رُمَيْح، وأبي عَوْفٍ، وهو بمعنىٰ الذَّكَرِ والأسَدِ.

٨ • أبو لَيْلى[8]: كُنْيَةٌ لِمَن يُحَمَّقُ.

٩ • أبو أيُّوب[9]: كنيةُ الجَمَل، وكذلك: أبو صفوان.

---

(١) لسان العرب (مرر)، والمرصّع ٢٦٨.

(٢) اللسان (عهر، بيض، سلم)، والمرصّع ٦٨، والمزهر ١/ ٥٠٩.

(٣) اللسان (بصر، سعر، عيص)، والمخصص ١٣/ ١٧٩، والمرصّع ٦٧.

(٤) الدرة الفاخرة ٥٠٨، واللسان (بعض) والمخصص ١٣/ ١٧٥، والمرصّع ١٣٨.

(٥) الدرة الفاخرة ٤٧٦، والمخصص ١٣/ ١٧٦.

(٦) جمهرة الأمثال ١/ ٤٤، والدرة الفاخرة ٤٧٦، واللسان (ملك)، والمرصّع ٢٦٦، والمزهر ١/ ٥٠٨.

(٧) بلا نسبة في الظرف والظرفاء ٢٠١.

(٨) أبو ليلى: هو الأحمق، وإبليس، والذَّكر. وهو في جمهرة الأمثال ١/ ٤٣، والدرة الفاخرة ٤٧٥، واللسان (ليل)، والمخصص ١٣/ ١٧٨، والمرصّع ٢٦٢.

(٩) المرصّع ٣٩، والمزهر ١/ ٥١٠.

قال ٱبن الرُّومي وهو يهجو أبا أيُّوب سليمان بن عبدالله بن طاهر[١]: [من الرمل]

يـا أبـا أيُّـوبَ هـذي كُـنْـيَـةٌ مـن كُـنـىٰ الأنْـعـامِ قِـدْماً لـم تَـزَلْ
ولـقـد وُفِّـقَ مَـن كـنَّـاكـهـا وأصـابَ الـحـقَّ فـيـهـا وَعَـدَلْ
قـد قـضـىٰ قَـوْلُ لَـبـيـدٍ بَـيْـنَـنـا «إنَّـما يَـجزي الـفتىٰ لـيسَ الـجَـمَلْ»[٢]

١٠ • أبو قَمُوص: البَغْلُ.

١١ • أبو خالد[٣]: الكلب.

١٢ • أبو مضَاء[٤]، وأبو طالب: الفَرَس.

١٣ • أبو الحَجَّاج[٥]: الفيل: وكانت كنية الفيل الذي جاءت به الحبشة إلىٰ مكة: أبا العبَّاس، وٱسمه محمود.

١٤ • أبو نَبْهان[٦]: الأرنب.

١٥ • أبو يَقْظان[٧]: الدِّيك.

١٦ • أبو غِياث[٨]: الماء.

١٧ • أبو رجاء: السُّفْرَة[٩].

١٨ • أبو الخَيْر: الخِوان[١٠].

١٩ • أبو حَبيب: الرِّقاق[١١].

٢٠ • أبو رَزين[١٢]: الثَّريد.

---

(١) ديوانه ٥/١٩٠١.
(٢) هذا عجز بيت للبيد في ديوانه ١٧٩، وصدره: «فإذا جوزيت قرضاً فاجزه»
(٣) المخصص ١٣/١٧٩، والمرصّع ١٢٦، والمزهر ١/٥١١.
(٤) اللسان (مضى) والمرصّع ٢٦٩.
(٥) أبو الحجاج: العقاب والقنفذ والفيل، انظر: المرصّع ١١٢، والمزهر ١/٥١١.
(٦) المرصّع ٢٨٧.
(٧) جمهرة الأمثال ١/٤٨، والمرصّع ٣١٣.
(٨) المرصّع ٢٣٠.
(٩) المرصّع ١٥٢.
(١٠) المرصّع ١٢٧.
(١١) المرصّع ١١٢، وأيضاً الجدي.
(١٢) المرصّع ١٥٢.

٢١ • أبو نافِع[١]: الخَلّ.
٢٢ • أبو الفَرَج[٢]: الجُوذاب.
٢٣ • أبو مُسافِر[٣]: الجُبْن.
٢٤ • أبو الخَصيب[٤]: اللَّحْم.
٢٥ • أبو الطَّيِّب[٥]: الخَبيص.
٢٦ • أبو عَوْن[٦]: التَّمْر.
٢٧ • أبو ناجِع[٧]: الحَلواء.
٢٨ • أبو سائغ[٨]: الفالوذج.
٢٩ • أبو الأبيض[٩]: اللَّبَن.
٣٠ • أبو المُهَنّا[١٠]: الشَّراب.
٣١ • أبو بِشْر[١١]: النُّقْل.
٣٢ • أبو اللَّهْو[١٢]: الطُّنْبور.
٣٣ • أبو شائق[١٣]: الغِناء.
٣٤ • أبو راحة[١٤]: النَّوم.

---

(١) وأيضا: الحمار، والثريد، انظر المرصّع ٢٨٧.
(٢) الجواذب: طعام يصنع من السكر.
(٣) المرصّع ٢٦٩.
(٤) المرصّع ١٢٧.
(٥) المرصّع ٢٠٠، والخبيص: نوع من الحلواء تصنع من التمر والسمن.
(٦) المرصّع ٢١٢.
(٧) المرصّع ٢٨٧.
(٨) المرصّع ١٧٠، والفالوذج: نوع من الحلواء تصنع من الطحين والماء والعسل.
(٩) المرصّع ٣٧، والمزهر ١/ ٥١٠.
(١٠) المرصّع ٢٧١.
(١١) المرصّع ٦٧.
(١٢) المرصّع ٢٦١.
(١٣) المرصّع ١٨١.
(١٤) المرصّع ١٥٢.

٣٥ • أبو الأمْن[١]: الشِّبَع.

٣٦ • أبو الحَرَكَة[٢]: النِّكاح.

٣٧ • أبو النَّظيف[٣]: الحَمَّام.

❀ ❀ ❀

فصل في الأُمَّهات

١ • أُمُّ القُرى[٤]: مَكَّة. وأُمُّ كُلِّ أرضٍ أعظَمُ بُلدانِها وأكثَرُها أهلاً كالبَصْرَة، فإنها تُسَمَّى: أُمَّ العراق.

٢ • أُمُّ القِرى[٥]: هي النَّار.

٣ • أُمُّ النُّجوم[٦]: المَجَرَّة؛ بل هي السَّماء.

٤ • أُمُّ الحروف[٧] ـ عند النُّحاة ـ: حروفُ المَدِّ واللِّين.
وأُمَّهات الأفعال: فَعَلَ، وجَعَلَ، وأنشأ، وأقبلَ.

٥ • أُمّ دَفْرٍ[٨]: كنية الدُّنيا.

٦ • أُمّ الطّعام[٩]: هي الحِنْطَة.

٧ • أُمّ الرَّأس[١٠]: الدِّماغ.

٨ • أُمّ حُبَيْن[١١]: هي دُويبَّة على قَدر كفِّ الإنسان، تأكلُ العَرَبُ ما دبَّ وَدَرَجَ سِواها.

٩ • أُمّ عَوْف[١٢]: هي الجرادة.

---

(١) المرضّع ٣٩.
(٢) المرضّع ١١٢.
(٣) المرضّع ٢٨٨.
(٤) الدرة الفاخرة ٤٨٢، واللسان (أمم، قرا)، والمرصّع ٢٤٤، والمزهر ١/ ٥١٢.
(٥) المرصّع ٢٤٤.
(٦) الدرة الفاخرة ٤٨٢، واللسان (حول، أمم)، والمرصّع ٢٨٩.
(٧) المخصص ١٣/ ١٨٠، والمرصّع ١١٦.
(٨) الدرة الفاخرة ٤٨٣، اللسان (دفر)، والمرصّع ١٤١، والمزهر ١/ ٥١٤.
(٩) المخصص ١٣/ ١٨٣، والمرصّع ٢٠١، والمزهر ١/ ٥١٦.
(١٠) الدرة الفاخرة ٤٨٠، واللسان (حجج، أمم، لقم)، والمرصّع ١٥٤، والمزهر ١/ ٥١٢.
(١١) الدرة الفاخرة ٤٧٩، واللسان (حبن)، والمرصّع ١١٦، والمزهر ١/ ٥١٣.
(١٢) وأيضاً: الضبع، الدرة الفاخرة ٤٧٩، واللسان (حبن)، والمرصّع ٢١٧.

وكانت في لِسان زياد الأعجم لُكْنَةٌ لا يُقيمُ معها الرَّاء، فألقَىٰ عليه بعضُ الشُّعراء هذا البيت: [من الوافر]

فـمـا صَـفـراء تُـكـنَّـىٰ أُمَّ عَـوْفٍ   كأنَّ رُجَيْلَتَيْها مِنْجلانِ

فأجابَهُ على البَديهةِ(١): [من الوافر]

عَـنَـيْـتَ جَـرادةً وأظـنُّ أيـضـاً   بـأنَّـكَ إنَّـمـا تَـبـلُـو لِـسـانـي

١٠ • أمّ طلحة(٢): القَمْلَة.

١١ • أُمّ قَشْعَم(٣): المنيَّة، والحَرْب، والدَّاهية.

١٢ • أُمّ الخَلّ(٤): الخمر.

١٣ • أُمّ عُبيدِ(٥): المفازة.

١٤ • أُمّ شَمْلَة(٦): الشَّمس؛ لأنها تشملُ الخَلْقَ بطُلوعها.

١٥ • أُمّ جابر(٧): السُّنْبُلَة.

١٦ • أُمّ الفَضائل(٨): العِلم.

١٧ • أُمّ الرَّذائِل(٩): الجَهْل.

❀ ❀ ❀

(١) ديوانه ١٩٧، والشعر والشعراء ٢/ ٧٦٧.
(٢) المرصّع ٢٠٢، والمزهر ١/ ٥١٨.
(٣) الدرة الفاخرة ٤٨٥، واللسان (قشعم) والمرصّع ٢٤٥، والمزهر ١/ ٥١٧.
(٤) اللسان (خلل)، والمرصّع ١٣٠.
(٥) اللسان (عبد،ملك، أمم)، والمرصّع ٢١٤.
(٦) جمهرة الأمثال ١/ ٤٤، والدرة الفاخرة ص ٤٨٣، واللسان (شمل، أمم)، والمرصّع ١٨٣.
(٧) وأيضاً الدلو، والهريسة، والخبز. انظر: الدرة الفاخرة ٤٨١، واللسان (نكح، أمم)، والمرصّع ٩٧.
(٨) المرصّع ٢٣٨.
(٩) المرصّع ١٥٥.

فصل في الأبناء

١ • اَبنُ اللَّيالي[١]: القَمَر. قال نُصَيْب[٢]: [من الطويل]

بَـدَأْنَ بـنـا وأبـنُ الـلَّـيـالـي كـأنَّـهُ   حُـسَـامٌ جَـلَـتْ عنـهُ الـقُـيـونُ صـقـيـل

٢ • اَبنُ ذُكاء[٣]: الصُّبْح. وأبوهُ ذُكاء: الشَّمس.

٣ • اَبنُ الغَمام[٤]: البَرَد. قال اَبنُ الرُّومي[٥]: [من البسيط]

تُـدوي الـرِّجـالَ وتَـشـفـيـهـم بِـمُـبْـتَـسَـمٍ   كـابـنِ الـغَـمـامِ، وَرِيـقٍ كـابـنـةِ الـعِـنَـبِ

٤ • اَبنُ حَبَّة[٦]: الخُبْز.

٥ • اَبنُ النَّعامة[٧]: المحَجَّة، وبُنيَّات الطَّريق، وصَدْرُ القَدَم، وعِرْقٌ تحتَ الأخْمصِ، وعَظْمُ السَّاقِ.

٦ • اَبنُ دَأْيَة[٨]: الغُراب، لأنه يَقَعُ على دَأْيَةِ البَعيرِ الدَّبِرِ فينقرها.

قال[٩]: [من الطويل]

ولـمَّـا رأيـتُ الـنَّـسْـرَ عَـزَّ اَبـنَ دَأْيَـةٍ   وعَـشَّشَ في وَكْـرَيْـهِ جاشَـتْ لـه نَـفْـسي

عَنَىٰ بالنَّسْر: الشَّيْبَ؛ وبِاَبنِ دَأْيَةَ: الشَّباب.

٧ • اَبنُ الأرضِ[١٠]: نَبْتٌ يخرجُ في رُؤوسِ الآكام؛ سريعُ الخُروجِ، سريع الهَيْجِ؛ يُضربُ به المَثَلُ في سُرعة الإدراك والفَناءِ.

---

(١) المرصّع ٢٦٤.
(٢) ديوانه ١١٦.
(٣) جمهرة الأمثال ١/ ٤٠، والدرة الفاخرة ٢/ ٤٩٨، واللسان (كفر، بني، ذكا)، والمرصّع ١٥٠.
(٤) المرصّع ٢٣٢.
(٥) ديوانه ١/ ٢٦٩، ومطلع القصيدة:
«ما أنس لا أنس هنداً آخر الحقب   على اختلاف حروف الدهر والعقب»
(٦) جمهرة الأمثال ١/ ٣٦، والدرة الفاخرة ٤٩٠، واللسان (حبب)، والمرصّع ١١٨.
(٧) الدرة الفاخرة ٤٩٠، واللسان (بني)، والمرصّع ٢٩٢.
(٨) جمهرة الأمثال ١/ ٣٧، والدرة الفاخرة ٤٩٢، واللسان (بني، دأي)، والمرصّع ١٤٢.
(٩) للكميت الأسدي في ديوانه ١/ ٢٤١.
(١٠) الدرة الفاخرة ٤٩٨، واللسان (بني)، والمرصّع ص ٤٧.

٨ • أَبنُ الخَصِيّ: يُضربُ مَثلاً لِما لا يجوزُ أن يكون، كما قال أبو تمَّام[1]: [من الوافر]

وذاكَ لـهُ إذا الـعَـنـقـاءُ صـارَت مُـرَبِّـيَـةً، وشـبَّ أَبـنُ الـخَـصِـيِّ

٩ • أَبنُ طامِرٍ[2]: يُقالُ لِمَن لا يُعرفُ: طامِرُ أَبنُ طامِرٍ.

وهو البرغوثُ أيضاً بطُمورِهِ.

١٠ • أَبنُ الحَرْب: هو الشُّجاعُ الذي تَعَوَّد الحربَ وألِفَها.

وفي بعضِ رسائِلِ الصَّاحبِ: أبناءُ الحروبِ الذين ذاقُوا كؤوسَها حُلوةً ومُرَّةً، وأَلْتَحَفُوا لِباسَها مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ.

١١ • أَبنُ الغِمْد[3]: السَّيف، لطولِ مُلازمته إيَّاه وقراره فيه.

١٢ • أَبنُ الدَّهر[4]: هو النَّهار.

١٣ • أَبنا شَمام[5]: هَضَبتان في أصلِ جبلٍ يُقالُ لهُ شَمام، يُضْرَبُ بهما المَثَلُ في الاقترانِ والاصطحاب. قال[6]: [من الوافر]

فَـهَـل حُـدِّثْـتَ عـن أَخَـوَيْـنِ داما عَـلـى الأيَّـامِ إلاَّ أَبـنَـيْ شَـمـامِ

وقال[7]: [من الوافر]

وكُــلُّ أخٍ يُــفــارِقُــهُ أخــوهُ لَـعَـمْـرُ أبـيـكَ إلاَّ الـفَـرْقَـدانِ

وقَريبٌ منه: كَنَدْمانَيْ جَذيمة. قال: [من الوافر]

كـنَـدْمـانَـيْ جَـذِيـمـةَ لـن يـزالا عَـلـى رَوضِ الـسَّـمـا مُـتـنـادمَـيـنِ

١٤ • أَبنا سمير[8]: اللَّيلُ والنَّهار؛ وقيل: الغَداةُ والعَشيُّ.

(١) ديوانه ٢/١٢٨، ومطلع القصيدة:
«أيـا ويـل الـشـجـيّ مـن الـخـلـيّ وبـالـي الـربـع مـن إحـدى بـلـيّ»

(٢) الدرة الفاخرة ٥٠٥، واللسان (طمر)، والمرصّع ٢٠٢.

(٣) المرصّع ٢٣٢.

(٤) المرصّع ١٤٥.

(٥) الدرة الفاخرة ٤٩٧، واللسان (شمم)، والمرصّع ١٨٤.

(٦) للبيد في ديوانه ٢٠٨، ومطلع القصيدة:
«ألا ذهـب الـمـحـافـظ والـمـحـامـي ومـانـعُ ضـيـمـنـا يـوم الـخـصـام»

(٧) لعمرو بن معدي كرب في ديوانه ١٧٨.

(٨) الدرة الفاخرة ٤٩٧، واللسان (سمر)، والمرصّع ١٧٦.

١٥ • بَنُو غَبْراء(١): اللُّصوصُ والصَّعاليك المُهْتَدون في مَجاهل الأرضِ، والعالِمون بطُرقها. وقيل: بل هم الفقراء اللاَّصقونَ بالغَبْراءِ من سُوءِ الحالِ، عَلى غيرِ غِطاءٍ ولا وِطاءٍ.

١٦ • أبناءُ الدَّهاليزِ: كنايةٌ عن الأرذالِ وأبناءِ الزَّواني.

❀ ❀ ❀

فصل في البَنات

١ • ٱبنةُ الجَبَل(٢): الصَّدىٰ، والحيَّة.

٢ • ٱبنةُ الكَرْم(٣): الخَمْر؛ ويُقال لها أيضاً: ٱبنةُ العُنقود.

٣ • بنتُ الفكر(٤): الرَّأيُ، والشِّهْر.

٤ • بنتُ المَطَرِ(٥): دُوَيْبَّةٌ حمراءُ تُرىٰ غِبَّ المَطَر، فَيُقال: أَشَدُّ حُمرةً من بنتِ المطر.

٥ • بناتُ الدَّهر(٦): حوادثُهُ، ومَصائبُهُ.

٦ • بناتُ المنايا(٧): السِّهام.

٧ • بناتُ اللَّيل(٨): الأحلام، ويقال أيضاً: هي النِّساء، ويقال: بنات اللَّيل: أهوالُه، ويقال: هي المُنىٰ.

٨ • بناتُ الصَّدْر(٩): ما يُضمرهُ الإنسان من الخيرِ والشَّر.

٩ • بناتُ الفلا(١٠): الإبل يُقطعُ بها الفلا.

---

(١) اللسان (غبر، بني)، والمرصّع ٢٣٢.
(٢) جمهرة الأمثال ١/٤٩، والدرة الفاخرة ص ٤٩٩، والمثل: «كبنت الجبل، مهما يقل تقلْ»
(٣) المرصّع ٢٥٩.
(٤) جمهرة الأمثال ١/٤١.
(٥) جمهرة الأمثال ١/٤١، والدرة الفاخرة ٥٠٠، واللسان (مطر).
(٦) اللسان (خطب، نعط، ثكل، نجم)، والمرصّع ١٤٦.
(٧) المرصّع ٢٨٣.
(٨) الدرة الفاخرة ٥٠٣، واللسان (بني)، والمرصّع ٢٦٥.
(٩) اللسان (بني)، والمرصّع ١٩٤.
(١٠) المرصّع ٢٤٠.

١٠ • بناتُ القَفْرِ[1]: الوَحْش.

١١ • بناتُ وَرْدانَ[2]: دُوَيْبَّاتٌ تلزَمُ الكُنُف.

١٢ • بناتُ الخُدور: العَذارىٰ؛ ويُقال لهنَّ أيضاً: بناتُ الحجال.

١٣ • بناتُ التَّنانير[3]: الرُّغفان.

١٤ • بناتُ اللَّهو[4]: الأوتار.

١٥ • بناتُ العَين[5]: الدُّموع.

❀ ❀ ❀

فصل في الأذواءِ والذَّوات

١ • أذواءُ اليَمَن: هم مُلوكُها[6].

٢ • ذو الأوتاد: هو مَن ذكره الله تعالىٰ في كتابه العزيز؛ كان يأمرُ بمن يغضبُ عليه فَيُوتَدُ في الأرضِ بأربعةِ أوتاد، وهو أوَّل مَن سَنَّ ذلك.

٣ • ذو القَرْنَيْن: هو مَن ذكره الله تعالىٰ في كتابِهِ، وفيه تَفصيلٌ وٱختلافٌ.

٤ • ذو الكِفْل: هو الذي نطقَ القُرآن بذكرِ نُبُوَّتِهِ؛ وهو من بني إسرائيل، بُعثَ إلىٰ مَلِكٍ منهم فَدَعا إلىٰ الإيمان وكَفَلَ له بالجنَّة، فَسُمِّيَ ذا الكِفْل بالكفالة.

٥ • ذو النُّورين: عثمان بن عفَّان ، سُمِّيَ بذلك لأنَّ النَّبيَّ ﷺ زَوَّجه بِنْتَهُ رُقَيَّة، فكانا أحسن زَوجين في الإسلام؛ فلمَّا تُوفيت رُقيَّة زَوَّجه أمَّ كُلثوم؛ ثم لمَّا توفيت قال له: «**لو كانت لنا ثالثةٌ لَزَوَّجناكها**».

٦ • ذو الشَّهادتين: خُزَيمة بن ثابت الأنصاريّ.
سَمَّاهُ رسولُ الله ﷺ ذا الشَّهادتين؛ وذلك أن يهودياً أتاه، فقال: يا محمَّد، ٱقضني دَيني. فقال عليه السلام: «**أوَ لَمْ أقضِكَ؟**». فشهدَ خُزَيمة على قَضائِهِ، فأنفذَ عليه السلام شهادته، وسمَّاه بذلك.

---

(١) المرصّع ٢٤٩، والمخصص ١٣/٢١١.
(٢) المخصص ١٣/٢١٢.
(٣) المرصّع ٨٧.
(٤) المرصّع ٢٦٤.
(٥) المرصّع ٢٣٣.
(٦) المعارف ٦٢٧، والمرصّع ٣٢١.

٧ • ذو العَيْنَيْن: قَتادة بن النُّعمان الأنصاريّ.

شَهد بَدْراً والعقَبَة، وأُصيبَتْ عَيْنه يومَ أُحد، فَرَدَّها رسول الله بيده بَعدما سَقَطَتْ على خَدِّه، فكانت أحسنَ وأصحَّ من عَيْنه الأخرىٰ.

٨ • ذو الرَّأي: حَباب بن المُنْذر؛ صاحبُ المَشُورة يومَ بَدْرٍ.

أخذَ رسولُ الله بِرَأيه، ونَزَل جبريلُ عليه السلام فقال: «الرَّأيُ ما قال حَبابٌ».

وكانت له في الجاهلية آراءٌ مَشهورةٌ.

٩ • ذو اليَدَين: هو عُمَيْر بن عَبْد عمرو، من خُزاعَة.

كان يعملُ بيديه جميعاً، فَسُمِّيَ بذلك. وكان قبلُ يُدعىٰ ذا الشِّمالين.

وهو الذي ذُكر في الحديث الذي يُروىٰ فيه أن رسولَ الله ﷺ صلَّىٰ بهمُ الظُّهرَ، فَسَلَّم في الرَّكعة الثَّانية، فقال ذو اليدين: أقَصُرَت الصَّلاةُ أم نَسيتَ يا رسولَ الله؟. الحديث.

١٠ • ذو النُّور: عبدالله بن الطُّفَيل الأزديّ.

أعطاهُ رسولُ الله نوراً في جَبينه ليَدعوَ به قَومَهُ، ثم جَعله في طَرَفِ سَوْطه، فكان كالمصباحِ يُضيءُ له باللَّيل.

١١ • ذو العِمامَة: سعيد بن العاص بن أُميَّة.

كان في الجاهليَّة إذا لبسَ عِمامَتَه، لم يلبسْ قُرَشيٌّ عِمامةً حتى ينزعها.

كما أنَّ حَرْب بن أُميَّة إذا حَضرَ مَيْتاً، لم يَبْكِهِ أهلُهُ حتى يقومَ. وكما أنَّ أبا طالب إذا أطعَم، لم يُطعمْ أحدٌ يَوْمَهُ غيره.

وكما أنَّ أسَيد بن أبي العاص إذا شَرِبَ الخمرَ لم يَشربْها أحدٌ حتى يَتركها.

وزَعَم البعضُ أنَّ هذا اللَّقَبَ كِنايةٌ عن السُّؤدَد.

١٢ • ذو اليمينين: أبو الطَّيِّب، طاهر بن الحسين، الذي يُنْسَبُ إليه الطَّاهريَّة. بمعنىٰ ذو الاستحقاقين؛ من قوله تعالى ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ [الحاقة: ٤٥] أي: بالاستحقاق.

وقال الشَّمَّاخ[١]: [من الوافر]

إذا مــا رايَــةٌ رُفِـعَــتْ لِـمَـجْـدٍ تَـلَـقَّـاهـا عـرابـةُ بـالـيَـمـيـنِ

أي بالاستحقاق.

١٣ • ذو الثَّفِنات: كان يُقالُ لِكُلٍّ من عليّ بن الحسين بن عليّ، وعليّ بن عبدالله بن العبَّاس: ذو الثَّفِنات[٢]؛ لِما على أعضاءِ السُّجودِ منهما من السَّجَداتِ المُشَبَّهةِ بِثَفِناتِ الإبلِ لِكثرةِ صَلواتهما.

والثَّفِنَةُ ـ بكسرِ الفاءِ ـ : من البَعير: الرُّكْبَةُ: ومنكَ: الرُّكْبَةُ ومُجتمعُ السَّاقِ والفَخْذ.

١٤ • ذو القَلَمَين: عليّ بن أبي سعيد بنَ كنداجيق.

لأنه كان يَتَوَلَّىٰ ديوان الخَراج والجيش للمأمون.

١٥ • ذو الرِّياستين: هو الفضلُ بن سَهْل.

سَمَّاهُ المأمونُ لمَّا دَبَّرَ لهُ أمْرَ السَّيف والقَلَم.

١٦ • ذو الكِفايتين: أبو الفَتْح بن أبي الفَضْل بن العَميد.

لِكفايته رُكنَ الدَّولة أبا عليّ أُمُورَ الدَّواوين والجُيوش.

قال الثَّعالبيُّ: وقد أوردتُ نُكَتَ أخباره وَغُرَرَ أشعاره في كتاب «يتيمة الدَّهر في مَحاسن أهل العَصْرِ».

١٧ • ذات النِّطاقين: هي أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق.

ذلك لأنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا تجهَّزَ مُهاجراً ومعه أبو بكر أتاهما عبدالله بن أبي بكر وَهُما في الغارِ ليلاً بِسُفْرَتهما ومعه أسماءُ، وليس للسُّفْرةِ شناقٌ؛ فَشَقَّت لها أسماءُ من نِطاقِها فَشَنَقَتْها به فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«قد أبْدَلَكِ الله تعالى بِنِطاقِكِ هذا نِطاقَيْن في الجنَّةِ»**[٣]. فقيل لها: ذاتُ النِّطاقين.

١٨ • ذاتُ الأنواط:

---

(١) ديوانه ٣٣٦، ومطلع القصيدة:

«كـلا يـومـي طـوالـة وصـل أروى ظـنـون آن مـطّـرح الـظـنـون»

(٢) انظر المعارف ١٢٣، وكامل المبرد ٢/ ٢١٧.

(٣) الحديث في الاستيعاب ٤/ ١٧٨٢ والإصابة ٧/ ٤٨٧.

حدَّث وَهْبُ بن جرير بإسناده عن أبي واقد اللَّيثيّ، قال:

لمَّا فَصَلْنا مع رسول الله ﷺ إلىٰ حُنَيْن، فَمَرَرْنا بِسِدْرةٍ عظيمةٍ ـ وكان للمشركين شجرةٌ يُقال لها: ذاتُ أنواط، يعكفون عليها في كلِّ سنةٍ يوماً، فَيُعَلِّقون بها أسلحتهم، ويَذبحون عندها ـ فلمَّا رأينا السِّدْرةَ، ونحنُ يومئذٍ حَديثو عهدٍ بالجاهليَّة، فتنادَيْنا من جَنَباتِ الطَّريق، فقُلنا: يا رسولَ الله، اَجْعلْ لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم. فقال رسول الله: «الله أكبرُ، هذا والله كما قال قومُ موسىٰ لموسىٰ: ﴿اَجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

قال الجامع: سمعتُ من بعضِ الجراكسة أن هذهِ العادَة المكروهةَ ـ يعني التَّعَبُّدَ لِشَجَرةٍ عَظيمةٍ على نَسَقِ ذاتِ الأنواطِ ـ جاريةٌ في بلادهم إلى الآن.

والأنواط: المعاليق.



فهرس الجزء الثاني

الباب السادس والعشرون
في البقر والغنم

الباب السابع والعشرون
في الأسد

الباب الثامن والعشرون
في الذئب

الباب التاسع والعشرون
في الكلب

الباب الثلاثون

في سائر السباع والوحوش

الباب الحادي والثلاثون

في السنور والفار

الباب الثاني والثلاثون

في الضب والظربان والقنفذ والسرطان

الباب الثالث والثلاثون

في الحية والعقرب

الباب الرابع والثلاثون

في سائر الحشرات والهوام

الباب الخامس والثلاثون

في النعام

الباب السادس والثلاثون

في الطير

الباب السابع والثلاثون

في عتاق الطير

الباب الحادي والأربعون
في البيض

الباب الثاني والأربعون
في الذباب والبعوض وما يجانسهما

الباب الثالث والأربعون
في الأرض وما يضاف وينسب إليها

الباب الرابع والأربعون
في الدور والأبنية والأمكنة

الباب الثامن والأربعون

في المياه وما يضاف إليها

الباب التاسع والأربعون

في النيران

الباب الحادي والستون
في الجنان وهو آخر الأبواب في المضافات والمنسوبات

ṮIMĀR AL-QULŪB FĪ AL-MUḌĀF WAL-MANSŪB

(A book in litterature and proverbes)

by

ᶜAbdul-Malik Ben Muḥammad Al-Ṯaᶜālibi

Edited by

Ḫālid ᶜAbdul-Ǧani Maḥfūẓ

Volume II

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon